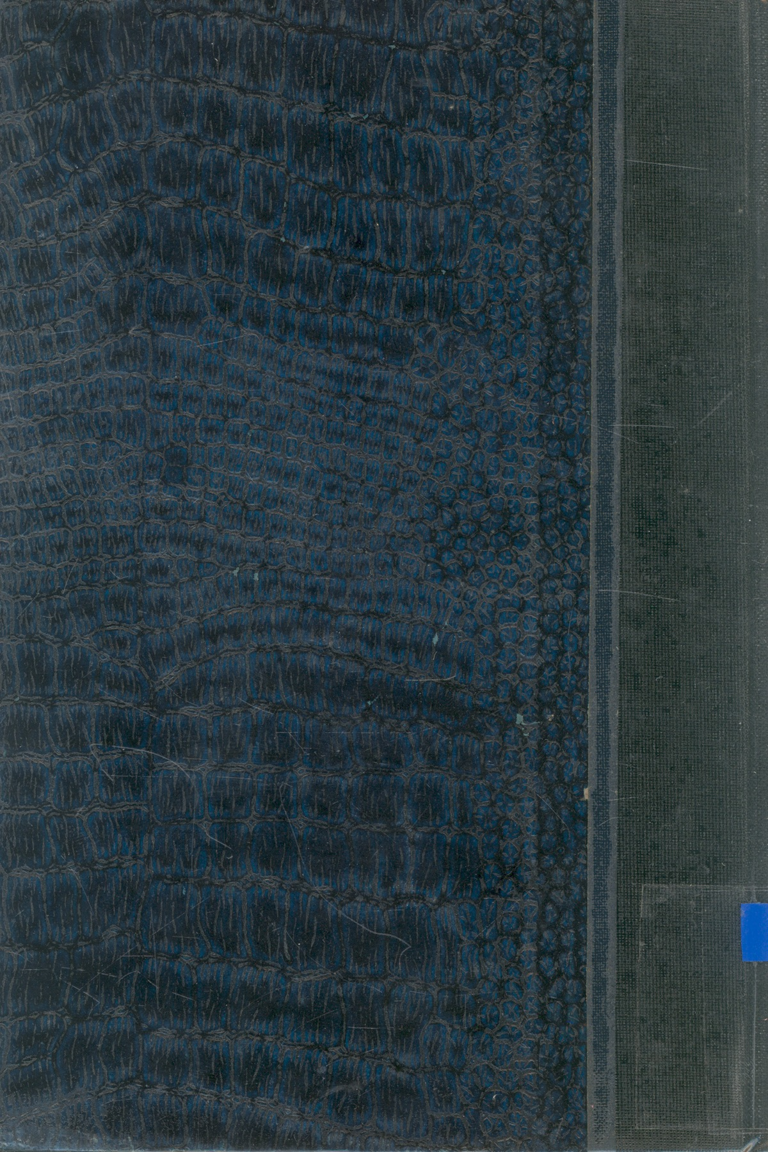


سلسلة الخباز

﴿ الحلقة الاولى ﴾

اذا ظهر السبب زال العجب

أو

لماذا حاربت سورية فرنسا

الجزء الاول

اسباب عامة : سياسة فرنسا فى الشرق

حقائق تجليها النزاهة والاخلاص ويقدرها الذوق السليم



طبع : بمطبعة علم الدين بشارع فم باب البحر بمصر سنة ١٩٢٨

المثال الحكيم

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال عبدالله بن المقفع الفيلسوف العربي : —

« اذا أردت أن يقبل منك الرأى فلا تشعرنه بشيء من الهوى لانك ان جردته عن الهوى قبله منك العدو . وان انت اشعرته بشيء من الهوى رده عليك الوالد »

***

أما بعد فهذه سلسلة تآليف امامي أولها ، وامام الله آخرها . اتقدم لطبعها ونشرها ورائدي القول الحكيم المثبت اعلاه .

وعساني أوفق لتطبيق العمل على النظر ، فلا اشعر رأيي بشيء من الهوى ، وما توفيقي إلا بالله

مصر اكتوبر سنة ١٩٢٨ حنا خباز

تقدمة الكتاب

لفتاة سورية البريئة المظلومة

لك أيتها المظلومة ، المهضومة الحقوق ، المهتوكة الاستار ، المدوسة الكرامة ، اقدم كتابي هذا ، تخليداً لذكريات الظلم والنذالة واللؤم التي مازال ابن الانسان يأتيها ، حتى في هذه العصور الراقية .

حكاية حالها

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره تأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

تحت سماء سورية حدثت أفظع المظالم باشتراك الاكليرس والحكام مع المعتدين الانذال . فتلطخت أرض سورية باطهر الدماء . ولا تزال تشهد فظائع وفضائح تهتك فيها الاستار ، ويظلم الابرار ، ويفوز الفجار ، ومنها حكاية هذه الفتاة .

هي صبية حسناء ، في عنفوان الصبوة وشرخ الشباب عذراء تربت تربية حسنة . وهي في بيت أبيها آمنة طارق الحدثان

وفيما هي تتم واجباتها البيتية ، وتحلم بالمستقبل السعيد ، انقض عليها تسعة رجال مدججون بالسلاح فحملوها وساروا بها في اول الليل ، وصياحها يصم الآذان . وصعدوا بها ذروة شاهق ، في ليلة مظلمة باردة ماطرة . وكان أبوها غائبا عن البيت . ولم يجسر أحد

من أهالى القرية أن ينجدها ، ويقتفي أثر الجناة . فكانت الفتاة تستغيث ولا مغيث . وفي الظلام ، والوحدة ، تحت أمطار السماء الذارفة . وبايد لاتعرف الرحمة والحنان . شهروا عليها البنادق والمدى وعذبوها عذاباً أليماً . فطرحوها على الارض ، تحت أقدامهم . وليس لهذا القلم أن يصف ماحدث آنئذ . فللقارىء أن يستنتجه استنتاجا .

وبعد بضعة أيام انحدر بالفتاة غريمها . الي مدنية في شمالى سورية وهي منخفضة الرأس . ذليلة النفس . مسحوقة الروح . في حالة لايقوى القلم على وصفها . بعد نزع عفافها . وتمزيق جيوبها . فالتزمت ان تعترف لدى الكاهن أن ذالك الغاصب زوجها ـ وهي في حالة اليأس والقنوط ـ فقبض الكاهن الاجرة . واتم لهما عقد القران . فاضحت والذى افترسها زوجين شرعيين . « والذى جمعه الله لا يفرقه انسان »

ليس مجال للبحث هنا في هل الله هو الذي جمعها أو الشيطان ولكن والدها عاد الي البيت . وعرف بأمرها . فجد في أثرها . واهتدى الى مقرها . بعد أن سبق السيف العذل . وكان اجتماع الوالد الحنون بابنته المذللة اجتماعا يفتت الاكباد . فوقع على عنقها وبكيا . . . . .

اجتمعت بوالد الفتاة . فقص علي "نبأها" وكنت أود لو يسمح لي أدب الكتابة بشرح تفاصيل الحادثة . ومما قاله لى : —

« لقد اعيتنى الحيل . ولم أتمكن من أخذ حق ابنتي من غريمها . وأعظم عاثور فى طريقى هو الكاهن الذى صلاها ـ وهو طبعاً غير

مسؤول ـ فكان الكاهن وراء الغاصب . والكنيسة وراء الكاهن والسلطة وراء الكنيسة . وربك ليس بغافل عما يعمل الظالمون » الى هنا انتهي الامر

فرأيت أن أقدم كتابي هذا لتلك الفتاة ـ المظلومة المهملة ـ عطفاً على انسانيتها ، واحتجاجاً على الظلم والفجور والعار المؤلف من تسطي اللئام ، وتدخل الكنيسة ، واهمال الحكام . واقول مع ميرابو : ـ إذا كان في الدنيا رجل واحد فقط يحتج على الظلم فانا ذلك الواحد : —

حنا خباز



بيان و اعتذار

(١) البيان

حضرة صاحب الفخامة مسيو بونسو المفوض السامي الفرنسي بسورية المحترم

تحية الانسان الانسان ، وسلام الرجال على الرجال

لما زرتم فخامتكم مدينة طرابلس الشام سنة ١٩٢٦ ، وجاءتكم وفود حلب تحمل اليكم مطاليبها الوطنية ، قلتم حينئذ ، بعد صمتكم الطويل في سورية : « اتعجب أن سورية تحارب فرنسا » . هذه براعة استهلالكم في بلدنا المحبوب .

قلتم ذلك بالنظر الي نشوب الثورة في جبل الدروز والتظاء نيران الحرب بين الثوار وبين الجنود الفرنسية . وينطوى تحت تعجبكم عدة فروض يدركها العقل . وها انا مورد بعضها

الفرض الاول : أن السوريين قلائل ، لا يزيد عددهم على مليونى نفس . وفرنسا تعدأربعين مليوناً من النفوس، عدا سكان مستعمراتها فكيف يحارب القليلون الكثيرين ؟ .

الفرض الثاني : السوريون ضعاف وفرنسا قوية . ليس للسوريين جيش منظم ، ولا قواد مدربون ، ولا أسلحة ، ولا ذخائر ، ولاشىء من معدات القتال . وفرنسا أعظم دولة حربية في الارض . ولها اضخم الجيوش ، وابرع القواد ، وامضى الاسلحة ، واوفر الذخائر

عدا الاساطيل والطيارات والغواصات والمدافع . فكيف يحارب السوريون الضعاف فرنسا القوية ؟ .

الفرض الثالث : السوريون فقراء وفرنسا غنية . ليس للسوريين موارد ثروة ، ولا صادرات ، ولا أموال احتياطية فى البنوك . اما فرنسا فمعروفة بالثراء ووفرة الموارد ، وزيادة الصادر على الوارد . فكيف يحارب السوريون الفقراء فرنسا الغنية ؟ .

الفرض الرابع : عرف السوريون بالاستكانة والرضوخ للظلم ، بدليل سكونهم تحت يد الاتراك ستمائة سنة ، لم ينبثوا فيها ببنت شفة فما الذي حدا بهم الى تغيير أوضاعهم السلمية حتى قاموا يحاربون فرنسا ؟ .

بقي ياسيدي فرضان ، لا اقدر ان أقول انك قصدتهما أو قصدت أحدهما . على انني اوردهما استفاضة في البحث . وهما الفرض ٥ و ٦

الفرض الخامس : ان سورية عاشقة فرنسا ، ولدى الاستفتاء طلبت الاكثرية الساحقة في سورية حماية فرنسا ـ هكذا اذاعت المفوضية الفرنسية كما سيأتي ـ فما الذي قلب الصفحة فصارت صديقة فرنسا في الامس عدوتها اليوم ؟ .

الفرض السادس : ان فرنسا اجرت العدالة والانصاف في سورية وكانت صادقة بوعودها ، برّة بعهودها ، وهي أم السوريين الحنون ، فظللتهم بجناحيها ، وطوقتهم بذارعى المحبة والحنان ، وكان نجاحهم في عهد انتدابها مضرب الامثال . فسارت البلاد في مادياتها ومعنوياتها شوطاً بعيداً الي الامام . حتي التفتت اليها انظار نصف مليون من أبنائها في أقسام المهجر . فتركوا أشغالهم ومراكزهم وأسرعوا اليها

للاستظلال بظل عدالة فرنسا فيها . فكيف قامت سورية على « الام الحنون » تحاربها حرب الفارس المستبسل ؟ .

هل عنيتم ذلك يامولاى ؟ . انت والله أعلم . . .

أما الفرض الاول ، فأوافقكم فيه طبعاً . انا قوم قليل عديدنا وما زال يتناقص ، ولا سيما مذ حللتم ديارنا . أما أنتم فقوم كثر . فيحق لك أن تتعجب من اقدام عدد ضئيل على مقاتلة العدد الوافر . ولا سيما ان المقاتلين ليسوا كل السوريين بل هم جزء منهم ، بل حفنة قليلة من مجموعهم . ذلك أمر مستغرب جداً .

وأوافقكم كذلك في الفرض الثاني . وهو انا ضعفاء حربياً بل ارانا أكثر من ذلك ، قل موتى حربياً . نعم نحن موتى .

ليس لنا جيوش منظمة ، ولا قواد مدربة ولا أسلحة وذخائر ولا أساطيل ولا طيارات ولا غواصات . فلم يكن ينتظر منا ، والحالة هذه ، ان نحاربكم . وبالاكثر لم يكن يتوقع ان يثبت هؤلاء الضعاف امام قوات فرنسا سنتين .

وأوافقكم كذلك في الفرضين ٣ و ٤

فاننا فقراء ــ كامة ــ وفقرنا يزداد مذ أصدرتم الورق السورى الذى يتقلب تقلب الحرباء ، بين صعود وهبوط : وهو في الحالين يستنزف القليل الباقي لنا من الثروة . ولولا فضل الله علينا ، ووجود نصف مليون سوري في المهجر يعدون ذويهم المتخلفين بالاموال ، لتعذر علينا دفع ما فرضتموه علينا من الضرائب .

ولا نكير في انا امة مسالمة مستكينة . لم نشهر حرباً في وجوه الظالمين المئات من السنين من يونان ورومان وأتراك وغيرهم . وكان

فاتح يدفع فاتحاً ، ويحل محله في بلدنا منذ العصور الخالية ، فقيامنا عليكم هو أمر غريب ، وأقل مايقال فيه انه من الخوارق .

أما الفرضان الخامس والسادس . اعني كون أكثرية السورية تعشقكم ، وان فرنسا مسند العدالة والانصاف في سورية ، وأنها الام الحنون ، فلا أريدأن أكذبكم فيهما اقتضاباً . فاتركهما لسياق البحث ـ لاتكذيباً ، بل تأييداً للحقيقة التي اليها تجوع النفوس ، مع التزام الادب الذي تفرضه علي انسانيتي : ـ

والخلاصة ان محاربة السوريين الفرنسيين أمر مستغرب . والمستغرب أكثر انهم حاربوهم سنتين . والاكثر استغراباً انفرنسا لم تتمكن من قمع الثورة حتي استعانت بانكلترا ، وتنازلت لها عن شقة حرام من الارض يزيد طولها علي ٣٠٠ كيلو متر ، تمتد من شرقي الاردن شمالا ، فاصلة بين الاراضي السورية الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، وبين الثوار الباقين فى الاراضي النجدية . فتحول دون الاتصال ، وتقف حاجزاً حصيناً في وجوه الثائرين . وفي ذلك منتهى العجب .

هذا ما أقوله فى أمر البيان

(٢) الاعتذار

أما الاعتذار ففيه اعترف لمن يقرأ كتابي هذا تحت كل سماء ، ان موضوع هذا التأليف يستلزم من المباحث والايضاحات أكثر كثيراً مما اتصل به قلمي . لانه إذا أريدت الاحاطة بالموضوع من

كل جهاته وجب البحث الوافي فى ماهية الامة الفرنسية ، والامة السورية ، ومقدمات التصادم بينهما . وذلك يقضي بالرجوع الى العناصر التي منها تتألف الامة الفرنسية فى القرون الخالية ، قبل عهد شارلمان وكلوفيس ، وقبل يوليوس ، منذ تدفقت سيول الهجرات الاسيوية على بلاد الغال ومرافقة جداول التاريخ الفرنسي في خلال القرون وكيف تنصرت فرنسا في عهد كلوفيس ، وارتقت في عهد شارلمان وتحررت في عهد جان دارك ، ونشأت فنونها وآدابها في عهد لويس الرابع عشر ، وقبل عهده . وهنا تحيط بنا المباحث الفنية والفلسفية والعلمية والتاريخية والاقتصادية والشرعية والسياسية والدينية والحربية ، كالبحار الزاخرة ، لايخوض عبابها الا أرباب الاقلام ، فيستخلصون من تلك المقدمات نتائجها ، ويجلون للحوادث أسبابها وعواملها ، في تكوين الكتلة الفرنسية ـ مهد الاحياء العلمي فى فجر التاريخ الحديث ، في الفلسفة والادب والفن والحرية ـ تلك العوامل هي خالقة فرنسا الجميلة ، ومعلية فى سوق المجد والعظمة عرشها فوق أمم التاريخ المتوسط والحديث. وتلك العوامل هي المكيف الاعظم لتطوراتها الاجتماعيه . وكل بحث في ماهية فرنسا خلا من ملاحظتها هو درس عقيم ، لايؤدي الي نتيجة حاسمة ، ولا يفيد فائدة بحسن سكوت المتكلم عليها

بل يجب ، علاوة على ذلك ، خفض النظر الي تاريخ الاعصر الحديثة ، ودرس سياسة أوربا الدفاعية والاستعمارية ، منذ فتح القسطنطينية حتى الساعه . وذلك يأتى بنا الي التوازن الاوروبى ، والمسألة الشرقيه ، والمحالفات السرية ، والتقاليد القومية ، وتوفر

العوامل فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، التى آلت الى انقسام أوربا بين التحالف والتآلف . ففي التحالف ايطاليا والنمساوالمانيا ، وفي التآلف روسياوفرنساوانكلترا ، وذلك يحملنا علي درس الحرب الاوربية الكبرى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ درساً نقدياً تحليلياً لاستجلاء مقدماتها ونتائجها ، وتبيان كيفية اتحاد فرنسا وانكلترا في حل الامبراطورية العثمانية ، واتحاد العرب معهما ضد الاتراك . وما حدث فى الحرب ، وبعد الحرب ، من التطورات ، وكيف تجاوزت فرنسا حدود مملكة فيصل بالشام ، واجتاحتها على أثر معركة ميسلون فى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠

هذا بعض مايذكر في شأن فرنسا وعلاقاتها بالشرق

أما الامةالسورية ، ماهي ، وما شأنها ، وعلاقاتها باوربا عموماً وفرنسا خصوصاً ، وبالتمدن والشرع والفلسفة والفن ، فهو بحث ابعد غوراً وأوسع مدى ،وأكثر شعاباً . ويحتاج الى تضلع من مواضيع لها علاقاتها العالمية . فيلزم كاتبها أن يرسل النظرة الى الاصول التي من مجموعها تكونت الكتلةالسورية ـ اثنولوجيا ـ والحوادث التاريخية التي مرت عليها ، من صيكولوجية واجتماعية واقتصادية وفنية منذ عهد حمورابى ، وقبل عهد حمورابى . والكشف عن تواريخ الشعوب القديمة ، التى هى العناصر السورية الاصلية . كالحثية ، والارامية ، والفينيقية والعبرانية والعربية والاشورية والكلدانية والتدمرية والنبطية والكفتورية وغيرها

والبحث قاض بالفات النظر الى غزوات المصريين وحملات الاشوريين ، ومعارك الفراعنة والروتانو ، وغزوات الاشوريين

والفرس واليونان والرمان ، وخلفاء الاسكندر والعرب والدولة الاموية بالشام ، والعباسية ببغداد ، وفروعها في آسيا وأفريقية وأوربا ثم تدفق الحملات المنغولية والتركية ، والحروب الصليبية بين أوربا والاسلام ، وما تركت تلك الحروب من الآثار فى نفوس الشرقيين وفي هيئة أوروبا الاجتماعيه

ويجب درس حملات نابليون ، ومصادمات انجلترا اياه بسورية ومصر ، واخراجه من البلدين بحد الحسام ، واخراج ابراهيم باشا المصري كذلك ، بعد ما كاد يقضى علي الدولة العثمانية . ولا ندحة للؤلف عن الاشارة ، ولو من طرف خفي ، الى مذابح سورية سنة ١٨٦٠ ، وارمينيا سنة ١٨٩٤ ، والقسطنطينية سنة ١٨٩٥ ، وكيليكيا سنة ١٩٠٩ . وحروب روسيا وتركيا بخصوص اليونان سنة ١٨٢٧ ورومانيا سنة ١٨٢٨ والقرم سنة ١٨٥٤ وبلغاريا سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وحروب الاتراك بطرابلس الغرب سنة ١٩١١ و ١٩١٢ ، والبلقان سنة ١٩١٢ و سنة ١٩١٣ . وما تركت هذه الحروب من المفاعيل في النفوس حسنة كانت تلك المفاعيل او سيئة .

بل يلزم النظر فى أصل الديانة اليهودية ، وتأثيراتها فى خلق الامة ، وتفرع المسيحية منها وفعلها فى الهيئة السورية ، وفي منزلة السوريين العالميـة . ودخول النصرانية أوربا بأيدي دعاة سوريين هم أسس النصرانية ومعلمو المسكونة . ونشوء المجامع اقليمية ومسكونية ونشوء البدع والارتقات فى النصرانية ، بسبب امتزاجها بالفلسفة اليونانية والمذاهب المجوسية . كذلك ظهور الاسلاميه منذ سنة ٦٣٢ ومصادمات أورباوالاسلام ، في القسطنطينيه والبندقيه وفينا وليبنتو

واسبانيا وغسقونيا . ومعركة تور الفاصلة بين أوربا والاسلام العربي ودخول النصرانية تحت لواء الاسلام في الشرق ، وتقهقر فروعها الشرقية ، وهجوع الفن ، وتقلص اظلال النصرانية امام الاسلام ، في غربي آسيا وشمالي أفريقية ، وفوزها في الميدان الاوربي . ثم كشف أمريكا وتأثيراته في أوربا والشرق والنصرانية عموماً . وذلك يقضي بدرس هجرة السوريين الى أمريكا وأوستراليا وأفريقية . وكيف كانوا حلقة اتصال بين المتخلفين وبين التجليات الاجتماعية الحديثة وكيف تسربت اليهم ، والى سورية بواسطتهم ، فكرة الحكم الذاتي والاستقلال.

بل يجب النظر في اللغات السامية ، عربيـة وعبرية وسريانية وفينقيه وفروع هذه الاصول . ودرس آداب هذي اللغات وفنونها شعراً ونثراً . مع فن الرسم ـ الانساني ـ الذي اغفله الاسلام واخوات هذا الفن . ودرس الميثولوجيات الاشورية والكلدانية . وعلاقات سورية بوادي الفرات ووادي النيل . وصحراء العرب وبلاد فارس . وهندستان . وما اوجدت هذه العلاقات في نفس السوري من الآثار.

وانت ترى ان كتابي اصغر من ان يشتمل على كل هذه الابحاث ويوفيها حقها من البحث والنقد والتحري . مع ان لهذه الابحاث الصق العلاقات بموضوعي . وبدونها يجيء التأليف ابتر اعور اعرج غامضاً ضئيلا .

اعترف بذلك صراحة وأتأسف شديد الاسف لانه لم يمكني

سد هذا الفراغ . فترى اني اقدمت على هـذا التأليف ليس بدون شعور بقصورى وعدم اهليتي ، بالنظر الى الاعتبارات المشار اليها .

* * *

من الذي يخاطب مسيو بونسو ؟ .

من هو الذى يخاطبكم ، يافخامة العميد ؟ . ويخاطب وراءكم أربعين مليونا فرنسيين ، وألفى مليون يعيشون اليوم تحت كل سماء ، وألوف الملايين الذين سيولدون ؟ من هو ؟ . وما شأنه ؟ . وما هى أهليته ؟ واستعداداته ؟ . وما هي فكرته الاجتماعية ؟ . وأمياله السياسية ؟ .

وما الذى حمله على هذا التأليف ؟ . افيمكن هذا القلم ان يحسن وصف من يحركه ؟ .

وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق

لان الاخلاص رائدي والنزاهة صبغتي

فأقول : —

يافخامة المفوض ، .

أنا رجل فقير ، من أسرة فقيرة ، فى بلدة حقيرة ، فى دويلة حقيرة ، . رأت عيناي النور بحمص ، في شمالي سورية سنة ١٨٧١ يوم كانت الجيوش الالمانية تطوق عروس العواصم — باريس الخالدة —

نشأت في أواخر حكم الاتراك ، واذكر ، وللذكريات في النفس آثار ، الحوادث المعاصرة ، أوربية وأسيوية ، دينية وسياسية . اذكر معارك بلافنا ، وعهدة برلين واحتلال تونس وضرب الاسكندرية وحرب اليونان واستقلال كريت ، وحرب الصين واليابان ، وحرب

الروس واليابان ، ودمار الاساطيل الروسية في الشرق . وفتوحات انكلترا وفرنسا بافريقية . واذكر ثورة البكسرس بالصين ، والحملة المشتركة على باكين ، وحرب الترنسفال

واذكر الدوى الهائل الذى زعزع الدنيا سنة ١٩١٤ بانفجار مراجل الحرب الاوربية ، وميادينها الفرعية في آسيا وأفريقية وفي البحار البعيدة .

اذكر الذعر الشديد الذى الم ببلدى من جراء مظالم الاتراك في خلال سني الحرب . ومن علقوا على الاعواد من الصق الاحباب وأعز الاصحاب ، واذكر قدوم الحلفاء ، واتحاد العرب معهم ، بقيادة الامير فيصل ـ وهو اليوم ملك العراق ـ واحتلال مدائن سورية ، وما تلا ذلك من حوادث الصلح في فرنسا . ونظام الانتدابات ، وانسحاب أمريكا من دائرة الحلفاء ، ومؤتمرات سيفر وكان وجنيفا ونقابة الامم ، وحروب الترك واليونان ، وفوز مصطفى باشا كمال .

واذكر نطاكم الاتراك في كيليكيا وشمالي سورية . واذكر سقوط الخلافة العثمانية . واستئثار مصطفى باشا كمال بالاناضول . وانتزاع انقرة الزعامة من عاصمة الاغريق الكبرى . وانسحاب الانكليز من تلك العاصمة بعد دمار ازمير . واذكر انقلاب الصين العظيم وسقوط الامبراطورية ونشوء الجمهورية ، والحرب الاهلية واذكر الانقلاب الروسي العظيم الذى هز الدنيا ، وسيادة البلشفية في بلد القياصرة ، ومصرع آل رومانوف ، وسقوط آل هبسبرج وآل هوهنزولرن ، والاسر المالكة في اليونان والعجم ، ونشوء الفاشستي بايطاليا ، وفوز الوهابية في جزيرة العرب ، وسقوط الحسين ابن علي امام سعود عبد العزيز

أفول شمس الخلافة من سماء الاسلام

لهذه الامور أثرها في نفسي وحياتي وقلمي . الا ترى نخامتكم ان عصرنا غني جداً بالحوادث الكبرى والانقلابات الاجتماعية ؟ . هذا ولم اذكر الاكتشافات الجغرافيـة والاختراعات الكهربائية والهوائية والجراحية الخارجة عن موضوع هذا الكتاب . وفعال اديسن ومركوني وكوري وكوخ وباستور وبوهر ومليكان وميشاثيلسن وانشتين ورصفائهم في فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا وأمريكا .

لهذه الامور مالها في تكوين عطفي وميلي مع أوربا أو ضدها ـ كما لها من الرنين في اصقاع القطرين السوري والمصري ، وفي الدنيا قاطبة . وقد قرأت بعض الشيء عن تاريخ المعارف والفلسفة والتمدين والدور البديع الذي مثلته فرنسا في تاريخ الاجتماع البشري ، واليقظة الاوربية الحديثة . وقرأت فكتور كوزينو ، وفكتور هيوغو ، وغستاف لوبون ، وادمون دي مولان ، واسكندر دوماس ، وفنلون وروسو وفولتير وديدرو وديكارت وكاسندي وبوسويه وفلامريون وفورييه وكابيت وبوبوف وسان سيمون ولويس بلانك . كما قرأت من قبلهم ريشيليو وشارلمان وآل بوربون واكتشافات باستور وتاريخ نابليون الاول والثالث ، وظهور الجمهورية الفرنسية الاولى سنة ١٧٩٣ والثانية سنة ١٨٤٨ والثالثة سنة ١٨٧١ . ولكل هذه الاطلاعات آثار في نفسي لا أقوى على التغلب عليها ـ حسنت أم ساءت ـ واجلائها عن دائرة حياتي ونفسيتي . نقد تؤثر هذه الآثار في أحكامي ولا أشعر . لكنني أعني أن اكون مخلصاً نزيها ، وقرائي ـ والتاريخ حكم في مبلغ نزاهتي واخلاصي . وسيحكم حكمه المبرم لي أو على

بعد أن أغمض عيني عن نور هذا الجلد ، وزوال المؤثرات والمكيفات التي تساور حياتي ووجودي . ولم تبق الا الحقيقة عارية في متحف التاريخ كالقطع الفنية تعلن درجة صناعها فى سلم الفن

واليك بعض مبادئي ، لاتمام التفاهم وازدياد التعارف .

١ : أول مبادئي واشهرها : انصافى الخصوم : وليس الشرف عندي كيد الخصم بل احتماله وانصافه . اتشبث بهذا المبدإ ولو صلبت الف مرة ، على ألف خشبة ، في ألف جلجثة . فان الخصم يهبنا اثمن فرصة لممارسة اسنى مزية . فانصاف الخصم تسعة اعشار الشرف . أما التحامل عليه ، واتهامه بما ليس فيه ، ثم تفنيد ما نسب اليه زوراً وبهتاناً ، فهو من أدل الظاهرات على صغارة الكاتب ، وركاكة حجته ، وقلة بضاعته ، وعدم أهليته . وما كنت لارضى لنفسي ذلك ، ولو ملكت العالم وما فيه . لقد أمسكت القلم منذ أربعين سنة ، وكتبت عشرات الالوف من الصفحات ، يمكنك أن تجد فيها كل أنواع الخطأ الا التحامل علي الخصوم والمطاعن الشخصية . فليس ذلك ، فى شرعي ، من أوضاع الرجال . ولا أثر له فى كتاباتى .

٢ : وثاني مبادئي : تقديس الانظلام : وعندي ان الويل للظالمين أما المظلوم فاني أغبطه ، واشفق قلبياً على ظالميه . وأرى أن اعظم بركات حياتي هى أن أكون مظلوماً لاظالماً واثقل لعنة تسكبها السماء علي الناس هي أن يكونوا ظالمين . أما الظالمون فهم ظالمو أنفسهم أولا ، وليس لهم عاذر أو مدافع . وقد أوضح ذلك افلاطون في جمهوريته ، ايضاحاً وافياً . وابان سوأة الظلم ومصارع الظالمين .

٣ : ثالث مبادئي : استقلال الحق عن القوة : رسمياً وسرمدياً .

وقد لا يرد تطبيق هذه النظرية في التاريخ ، فيشك صغار الاحلام في صحة القاعدة اما في نفسي فانها من البدائه والا وليات ، لا ينزعها من قرارتها انسان ولا شيطان ولا املاك ولا اله . فمها يتبجح المتنفذون ، ومها يسجلوا من مدعيات برهم ، ومها تنطلق الالسن والاقلام في مدحهم وتقريظهم ، فلا أرى الحقيقة تتلاشي وراء سحب المداجات والرياء . بل أراها تتألق في جو صاف خال من شوائب الخطل والخطأ . وستمزق أنوارها سحب البطلان وغياهب البهتان . فالحق حق في ذاته . والبطل بطل نفع أواضر . والمتسلح بالبطل صغير وان يكبر ، والمعتصم بالحق كبير مهما يصغر

فصغير أهل الحق طود شامخ وكبير أهل البطل عقدة اصبع

هذا هو السر فى هدوء روحي فى التأليف ، وارتياحي الى البحث والتنقيب فالحقيقة فى يقيني أصلح للبقاء . فمهما يتحامل الخصوم ، ومهما تتشعب مسالك البحث ، ومهما تحجب محيا الحقيقة ، فلا أزال انظر فيها نظراً حسابياً ، غير متأثر باحكام العاصف تأثراً يحرجنى فيخرجنى عن العدالة الي النزق فاسخر عقلى وقلمي للانفعال . اللهم الا ماتسرب الى نفسي على سبيل الوراثة ، وكمن في قرارها وراء حدود شعوري . ولا طوق للانسان ، مادام انساناً ، على التحرر من كل نقص وخطأ . وحسب الفاضل أن يكون نزيهاً مبدئياً ، فلا يدينه ضميره على حركة غير قويمة في نفسه . والعصمة والكمال لله وحده

٤ : ومن خصائصي حبي أوربا عموماً وفرنسا خصوصاً .

فاذا كان ذلك الحب عيباً فانا معاب بالخامة العميد . واذا كان ذلك الحب فخراً فلا فخر لي ، كما لا فخر لي في تيقن البدائه . أعني

اني في حبي غير مختار ، ولا نضل حيث لا اختيار . فقد حل ذلك الحب نفسي ووجودي بدون اختياري ولا سعيي .احببت عن عقيدة ، وما كان لبشر أن يغير أحكام العقائد في نفسه . فاما عاشق فرنسا ، وان كان عاشقها مهاناً . ولا ينزع حب فرنسا من قلبي الا فرنسا . وذلك باثباتها لي اني مخطيء في عقيدتي. فالعقيدة عندي متصرفة في الحب وحاكمة عليه . فاذا أقنعتني فرنسا اني مغرورها فاني آخر من ينزع حبها من فؤادي . على أن فلسفتي تحملني على التسامح مع الاحباب ولو أساءوا ، احتفاظاً بفضائلهم ودواعي أهليتهم

٥ : اني احتقر الانتقام ، واكره سيف النقمة . واذكر جيداً اني كنت حراً من هذه العاطفة كل الحياة حتى نحو الذين سموا في حياتي وفي ماهو أعز عندي من حياتي . فلم اسع في خصم ولا نصبت شركاً لمقاوم ظلوم . فاهنيء خصومي بصفحي واهنيء نفسي بمبدئها . وعندي أن توخي النفع أرقى كثيراً من تعمد الانتقام ، وارقى من هذا وذاك الغيرية . ذلك المبدأ المقدس الذي يحمل المرء على ايثاره غيره على نفسه ، هذا هو الآلة الرافعة التي تجلس الانسان على عرش الالهة . هذا هو النور السموي الذي يبدد الظلمات عن هذا العالم ويقوده في سبيل الابرار .

فما اجد اليوم الذي يحل فيه الايثار محل الاثرة ياسيدي بونسو ؟.. فتصير الارض كالسماء والناس كالملائكة .

٦ : بقي يامولاي ، ان من مبادئي اني لا أحرك قلمي لجر مغنم ولا لدفع مغرم الا ما كان لخير بني الانسانية . ولا سيما اذا كانوا مظلومين مهضومي الحقوق ، مهتوكي الاستار ، كالتي قدمت كتابي لهله

وواشديد عطفي عليها . فقد ظلمت ولم تنصفوها .

اني حر العاطفة من طلاب المناصب ، والسعي وراء الوظيفة أو الرفعة ، سواء كان ذلك عندكم أو عند غيركم من الدوائر الحاكمة فاني في نحو الستين من العمر ، وقد صارت المطامع والاغراض ورائي ، وقد بلغ اصغر أولادي الثانية والعشرين . وكلهم تقريباً خارج منطقة الانتداب . وهم في مناصب ورواتب يرضونها . فلست متالماً على نصيب أو وظيفة خسرتها في حكمكم . وليس فيّ ولا في أولادي شعور مر يحملنا على القيام ضد فرنسا . وآزيد على ذلك اني من أنصار الانتداب . وقد أيدته شفاهاً وكتابة ونشرت كتابتي بهذا الشأن في جرائد أمركا وهي الهدى والسائح والشعب وأبو الهول . وفي مجلتي جادة الرشاد بحمص واذا كان قد ساءني وطني مني خليقة فان هي الا تحيزي لفرنسا . ولما شبت الثورة كنت أنا وأولادي في البلاد ، ولم نشترك فيها سرا ولا علناً . ولم يعمني غرض عن خطيئات الثورة والثوار . وكنت شديد الوطأة عليهم ، وها أنا أكتب غير مدفوع منهم ، ولا مستند اليهم ، ولا علاقة لي بهم إلا علاقة الحب الواجبة علي نحو جميع الناس. فلست مأجوراً ، ولا انتفاعياً ، وقد قضيت الحياة خادماً العلم والادب في بلدي ، غير مأجور ولا منتفع ، بل معتصماً بالحقيقة ومن غواتها .

على هذا الاساس اتقدم للكلام في رد سؤالكم

لماذا حاربت سورية فرنسا ؟

رامياً في ذلك الى تجلية الحقيقة ، لك ولبني قومك الفرنسيين

ولكل من يقرأ كتابي هذا . وقد قسمته الي أربعة أقسام ستصدر بأربعة مجلدات .

الاول : أسباب الثورة العامة . أي ما نشأ عن سياسة فرنسا في الشرق.

الثاني : أسباب ثانية . نشأت عن تصرفات موظفيكم الفنيين والاداريين في سورية .

الثالث : الاجراءات والعيوب العسكرية ، سابقة ولاحقة .

الرابع : اختباري الخاص ، في ماجري لي شخصياً مع الفرنسيين مما يصح اتخاذه نموذجاً يقاس به تصرف فرنسا مع احبابها

الجزء الاول

أسباب عامة حملت السوريين على محاربة فرنسا . وهي ناشئة عن أسلوب السياسة الفرنسية في الشرق ، والاحوال المقارنة ابتدائها في سورية

تتوزع هذه الاسباب ، والعوامل الباعثة على نشوب الحرب بين السوريين والفرنسيين في فروع عديدة ، يرجع بعضها الى استعداد الاكثرية الساحقة في سورية ، روحياً واجتماعياً . ويرجع بعضها الي خيبة الامل بفرنسا ، والاضرار الكثيرة التي أحلتها بالبلاد السورية وساكنيها فاضطرت لامتشاق الحسام ، مع اختلال التوازن بين الجانبين المتحاربين ، اذ كانت القوة الى جانب فرنسا ، والضعف الى جانب سورية

واليك الاسباب متوالية مع شرحها وايضاحها

السبب الاول

دخول فرنسا سورية منتدبة بدون رضا السوريين

سيدى مسيو بونسو

تقول لماذا حاربكم السوريون ؟ فالجواب هو لانهم لايريدونكم منتدبين لبلادهم . وقد دخلتم سورية بالسيف لا بالحب ، فليس لكم عندهم الا السيف . ليس هذا شوقي ولكنه الواقع اردناه ام لم نرده ، اقرره بقلمي وقلبي حر منه كل الحرية .

* * *

أصدرت المفوضية الفرنسية بلاغاً سنة ١٩١٩ ، تقول فيه : « جرى الاستفتاء فى سورية فكانت الاكثرية تطلب الانتداب الفرنسي » :

فيالها من خطيئة ، ويا له من ظلم احلته المفوضية الفرنسية بنفسها وبقومها . اصحيح ان أكثرية السوريين طلبت انتداب فرنسا ؟ . وكم هى تلك الاكثرية ؟ . واذا كانت الاكثرية تطلبكم فلماذا حاربتموها ؟ . ان الذى يحبك ، وانت تحبه ، يدعوك الى بيته فتدخله بالحب والسلام . ولا تسوق أمامك جيشاً لجباً ، مجهزاً بالمتفجرات والدبابات والطيارات وغيرها من معدات القتال .

ان الاستفتاء الذي اشار اليه البلاغ الفرنسي لم يجر في ظلام الليل ، ولا في زاوية خالية . بل جرى في ضوء النهار ، اياماً متوالية في كل انحاء سورية ولبنان وفلسطين : وقامت به لجنة مؤلفة من اناس اجانب عن سورية واوربا . اناس لاناقة لهم فيها ولاجمل . لجنة امريكية كاتبها هنرى س . كنغ ورئيسها شارلس د . كراين

موفدين من طرف رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، الدكتور وود رو ولصن ٠

ليس هذان الرجلان من عامة الناس ، فيسيران في عملهما فوضى . بل هما من الذين الفوا الاعمال الرسميه ، والتقارير المدققة وقد كان رئيس اللجنة شارلس كراين سفيراً للولايات المتحدة الامريكية بالصين وقد دونت اللجنة في دفاترها تقريرات مضبوطة جمعت فيها كل شاردة وواردة ، من متعلقات الاستفتاء ٠

واليك بعض ما اثبتوه في تقريرهم ٠ عن جريدة التيمس النيويركية ، وهي من اشهر صحف امريكا واوفرها رصانة واستقامة ٠ وقد قدمت لهذا التقرير مقدمة بليغة من قلم المستر وليم ت ٠ ألس من كبار كتاب امريكا الذين يعنون بشؤون الشرق جاء في تلك المقدمة : —

ان السر في امتناع وزارة خارجية امريكا عن نشر هذا التقرير هو ما اشتمل عليه . ولو نشر في حينه لغير مجرى الحوادث في تركيا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ وهاك ملخص التقرير : —

« يعرض الاعضاء الامريكيون في اللجنة الدولية المعينة لدرس الوصايات في تركيا تقريرهم الاخير عن القسم السوري من مهمتهم وقد صدرت اللجنة غرضها ببيان كانت تعطيه للصحف اينما حلت يوضح مهمتها ويحددها كما عينها الرئيس ولسن وهي — ان الشعب الامريكي ليس له مطامع سياسية باوربا او الشرق الادنى . بل يؤثر على قدر الامكان تجنب كل علاقة بالمشاكل الاوربية والاسيوية والافريقية . ويرغب في ان يسود السلام الدائم وانه بهذه الروح

يدنو من مشاكل الشرق الادنى —

لقد عين مجلس الاربعة . ارلندو عن ايطاليا . وكليمانصو عن فرنسا . واللويد جورج عن انكلترا . والرئيس واصن عن امريكا لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات . فغاية القسم الامريكي الموجود الان هي الوقوف جهد المستطاع على احوال السكان والسلطات وعلاقاتهم . ليكون الرئيس ولصن والشعب الامريكي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها . فيما يتعلق بمشاكل الشرق الادنى . سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح او في جمعية الامم

زارت اللاجنة ٣٦ مدينه من اهم مدائن سوريه . المنتشرة في المناطق العسكرية الثلاث · الظاهرة في الجداول كلا على حدة · وهي الانكليزية والعربية والفرنسية ووقفت على احوال الجهات الاخرى من الوفود واللاجان التى قابلتها · ولا تشمل اللائحة اسماء القرى المجاورة التي زارتها لانها كانت ممثلة بنوابها الذين زاروا اللاجنة · وتضم السجلات اسماء ١٥٢٠ قرية من هذا النوع

بلغ مجموع سكان سورية	٣٢٤٥٥٠٠	نفس
منهم مسلمون	٢٣٥٥٠٠٠	«
ومسيحيون	٠٥٧٥٥٠٠	«
ودروز	٠١٤٠٠٠٠	«
ويهود	٠١١٠٠٠٠	«
طوائف أخرى	٠٠٥٥٠٠٠	«

تلقت اللاجنة ١٨٦٣ عريضة · مدة وجودها في سوريه

محتويات هذه العرائض ما يأتى . كان في ١٣٦٤ من هذه العرائض اتفاق تام — بالحرف الواحد — فالعرائض التي طلبت وصاية انكلترا بالدرجة الثانية هي ١٠٧٣ ومجموع العرائض التي طلبت الانتداب الفرنسى بالدرجة الاولى ٢٧٤ والتي طلبتها بالدرجة الثانية هي ثلاث . والعرائض التي طلبت الانتداب الامريكي بالدرجة الاولى ١١٢٩ او هى ٦٠ في المائة من العرائض تطلب انتداب امريكا . فى هذه العرائض كانت الشكاوى العامة على الفرنسيين كبيرة جداً . وبلغ عددها ١١٢٩

قضت اللجنة فى القدس أسبوعاً . . . وطافت شمالي فلسطين بسرعة ووصلت بيروت بعد ان جابت فلسطين ، والنصف الجنوبي من منطقة الاحتلال الغربية . فقضت يومين فى مقابلة اللجان ، فكانت تزور الاماكن من صور الي البترون بالسيارة وزارت طرابلس واللاذقية والاسكندرونة . وقابلت الوفود ، وسمعت أقوالهم ، في كل جهات المنطقة الغربية .

أما في لبنان الاصلى الصغير فالاكثرية مخلصة لفرنسا معارضة للانكليز . وأما فى المناطق الاخرى التي يراد ضمها الى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس ، فان فيها أكثرية تعترض علي الحكم الفرنسي وتقاومه ، ويدخل فى هذه الاكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين ، وقسم من الارثذكس ، وطائفة البروتستانت . فأكثر هؤلاء يريدون أمريكا أولا وانكلترا بالدرجه الثانية . والاكثرية فى باقي المنطقة الغربيه الى شمالي لبنان الكبير المراد انشاؤه هي ضد الوصاية الفرنسية فى كل الاحوال

واقامت اللجنة في دمشق تسعة أيام ، قضت ستة منها فى مقابلة الوفود الدينية والسياسية ، والهيئات الرسمية ، وأصحاب المراكز السامية من كل الطبقات . ومكثت هنا أكثر من كل مكان آخر .
وعقد المؤتمر السوري في اثناء وجود اللجنة في دمشق ، وعلقت فى الشوارع ألواح كتب عليها « نريد الاستقلال التام » . وكانت خلاصة مطالب المسلمين الاستقلال الناجز ، بلا وصاية ولا حماية . ولكنهم لما كانوا يشعرون بحاجتهم الي الارشاد الاقتصادى والمالى فيطلبون مايلزم من المستشارين - بعد الاعتراف باستقلالهم - من أمريكا .
وكان المسيحيون ، وهم فئة قليلة فى خوف عظيم . يطلبون تعيين دولة قوية على سورية ليحصلوا على الحماية التامة . وهم يفضلون ان تكون بريطانيا العظمى تلك الدولة . وقضت اللجنة يوماً واحداً فى بعلبك . وبعد أن مكثت عشرة أيام في المنطقة الغربية عادت ثانية الى المنطقة الشرقية في الطريق الممتدة من حمص الي طرابلس .
وقصدت الى حلب ، بعد أن اصغت لاقوال الوفود بحمص وحماه . ومكثت ثلاثة أيام في حلب . فطلب القوم في هذه المنطقة « سورية المتحدة » بالاجماع تقريباً . وطلبوا لها الاستقلال الناجز ، ورفضوا كل مساعدة فرنسية . واتفق المسلمون كلهم على طلب المساعدة من أمريكا . وكان الكاثوليك كلهم واللاتين يطلبون الوصاية البريطانية او وصاية أمريكا ، اذا كان الانكليز لا يستطيعون المجيء لسبب ما .
وكان الارثذكس السوريون كلهم فى جانب أمريكا . هنا يرد فى التقرير منشور المؤتمر السورى وفيه يطلبون انتداب أمريكا ، والا فانكلترا . ويرفضون انتداب فرنسا بهذا النص : —

« ٦ لانعترف بأى حق تدعيه الحكومة الفرنسية في أي شطر من بلادنا السورية مهما يكن . ونرفض مساعدتها ، أو ان يكون لها يد في بلادنا فى أى حال وفى أى مكان » . ويقول مستر كراين « أن من الصعوبات فى طريق الوحدة السورية هي كره العرب العظيم في الشرق للسيطرة الفرنسية » . وقال « ان ماوصلنا اليه في درسنا لايدع مجالا للشك في رغبة أكثرية الشعب السوري . فانه بالرغم من كون قبول أمريكا الوصاية أمراً مجهولا كل الجهل فقد كانت أمريكا الدولة التى اختارها السوريون في الدرجة الاولى . وكانت نسبة العرائض التى تطلبها ٦٠ في المائة في المجموع كله . ولم تنل دولة أخري أكثر من ١٥ في المائة من المجموع . (في الدرجة الاولى) . ثم يقول : « ان الجداول تبين ان هنا لك ١٠٧٣ عريضة في سورية تطلب وصاية بريطانيا العظمي ، اذا لم تأخذ أمريكا الوصاية وهذا يزيد كثيراً على العرائض التى تطلب فرنسا . بل أن ستين في المائة من العرائض تحتج بشدة على وصاية فرنسا مباشرة . وتتحاشى اللجنة البحث في أسباب هذه الحالة ، مضطرة الي الاعتقاد بان الموقف تستحيل معه الاشارة بأن تكون سورية كلها تحت وصاية فرنسية . أن شعور العرب في الجهة الشرقية شديد ضد فرنسا . وهنا لك سبب خطير يدعو الى الاعتقاد بان السعي لاكراه القوم على قبول الوصاية الفرنسة يؤدي الى حرب بين العرب والفرنسيين . ولعل اللجنة يسمح لها أن تقول ان هـذا الاستنتاج يخالف ماكانت ترجوه في البدء فقد كانت تأمل بالنظر الى علاقات فرنسا القديمة والودية مع سورية والى تضحياتها الفائقة في الحرب ، ان تتمكن من الاشارة على المؤتمر

بوضع سورية كلها تحت وصاية فرنسا . ولـكن كلما طال مقام اللجنة في سورية تأكدت ان هذا الامر لا تمكن الاشارة اليه ، ولا العمل به » .

وختمت اللجنة تقريرها بهذه الجملة : « اذا كانت فرنسا تتشبث بمصالحها في سورية تشبثاً لا تبالي معه بالعلاقات الودية بين الحلفاء فانه من الممكن أن تعطى وصاية على لبنان غير مكبر بالانفراد عن سورية ، كما ترغب جماعات كبيرة في هذه المنطقة ولا تستطيع اللجنة ان تشير بهذا الامر علي المؤتمر ، ولـكنه ترتيب ممكن » .

(هنرى س كنغ)   (شارلس د . كراين)

فليحكم القاري في درجة صراحة ووضوح هذا التقرير ونزاهته ان بلاغ المفوضية الفرنسية « ان أكثرية السوريين طلبت انتداب فرنسا » علاوة كونه مخالفاً للواقع ، هو أيضاً مجحف بكرامة فرنسا لانه يلقي عليها أعظم ملام في نشوب الثورة . ولا يدع لها عذراً مقبولا لدي التاريخ . فقـد يقال : ـ اذا كانت أكثرية السوريين ترغب في انتداب فرنسا فلماذا حاربتها ؟ . اليس لانها ظلمتهم ظلماً فاحشاً فانقلبوا اعداء ، بعد ما كانوا أصدقاء ؟ . ومن السهل قبول هذا الاعتراض ، فتكون فرنسا قد قطعت على نفسها خط الرجعة ، وحصرت نفسها في دائرة يعسر عليها الخروج منها

ولـكن أيوجد سوري واحد يظن ان بلاغ المفوضية الفرنسية صادق ؟ . وان تقرير لجنة كراين الامريكية كاذب ؟ . وان الاكثرية السورية تطلب انتداب فرنسا ؟ . ان حقيقة الحال على ما أعلمه ، ويعلمه كل من له اطلاع علي نفسية السوريين هو أن الاكثرية السورية ضد الانتداب الفرنسي . فتقرير كراين هو الصحيح ، لانه مطابق

الواقع . وانا كسوري كنت من الحزب الذى اراد انتداب فرنسا لكننى لا أجهل ان الاكثرية الساحقة - خارج لبنان الصغير - كانت ضدنا . وكان كل محيطي ضدى ، حتي أقاربى . فكنت يتيما فى طلبي انتداب فرنسا . ورفاقي في طلبي اقلية مطلقة ، يكادون ينحصرون بلبنان الصغير ، وفي بعض كاثوليك سورية ، وأفراد قلائل نظيرى . واعلم علم اليقين ان الاكثرية السورية لم تكن ضد الانتداب الفرنسى فقط بل ضد فرنسا أيضاً ، تكرهها وتقاومها . وقد هبت لمقاومتها وتزييفها قبلما رأت منها خيراً أو شراً . وأرى ان اثبات هذه الحقيقة هو فى مصلحة فرنسا . افلا يجد مسيو بونسو في ذلك رفقا بفرنسا امام التاريخ اكثر مما في ذلك البلاغ الرسمى ؟ . واية فائدة في الادعاء ان الاكثرية السورية تطلب انتداب فرنسا ؟ . وكيف ومتى كانت الاكثرية تطلب ذلك الطلب ؟ .

ان المفوضية الفرنسية بسورية خسرت ذلك الرفق والانصاف وجنت على نفسها وعلى قومها ، واضاعت عذراً كبيراً بادعائها ذلك الادعاء الفارغ . ولم تستفد منه الا تسجيل العار على اسمها مرتين الاولى في كونه مخالفاً الواقع ، والثانية في تحملها مسؤولية انقلاب السوريين عليها . وقد جاءت الوقائع التاريخية مبررة نظرية مستر كراين ومسفهة بلاغ المفوضية الفرنسية . فهلم الي ميسلون ، والبلاغ النهائى المقدم من الجنرال غورو ، غب اطلاع انكلترا عليه ، الى الملك فيصل فى الشام في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٠ . وبه تطلب فرنسا من الملك فيصل ستة أمور . والمهلة ٤٨ ساعة . والمطالب هي - ملخصة -

الاول : أن تقبل حكومة فيصل ان تخلي الجنود الفرنسية سكة

الحديد السورية من رياق الي حلب

الثاني : وبان تحتل محطات حمص وحماه وحلب احتلالا عسكريا

الثالث : أن تقبل البلاد الخاضعة لحكم فيصل التعامل بالورق السوري النقدى

الرابع : ان تقبل انتداب فرنسا عليها ـ مرغمة ولو كانت الاكثرية تريد ذلك الانتداب ـ فما هى الحاجة الى هذا البند ـ ؟ .

الخامس : ان تعاقب الثائرين (في مذابح مرجعيون سنة ١٩٢٠)

السادس : أن تمنع التجنيد ، الذى كان على قدم وساق في ملكوت فيصل . لست في موقف الدفاع عن حقوق السوريين ، ولا في مقام الاحتجاج والرد على هذه البنود . هل هي عادلة أو غير عادلة ؟ : وهل يجوز أن تخاطب بهادولة راقية جارتها أو لايجوز ؟ . ليس هذا موضع نظرى . لان تأليفي علمى محايد فوضع نظري هو أن الجيوش الفرنسية ، لا اختيار الشعب السورى ، هو الذى ، أو هي التي ، أوجدت الانتداب الفرنسي في سورية

ويجب أن أقول أن الجيوش الفرنسية تقدمت على أثر ذلك البلاغ في داخلية سورية ، والتقت بالجنود الشريفية فى ميدان ميسلون . افيمكن ان يوجد مجال للمراء في أن الانتداب الفرنسي على سورية حصل ضد رضا السوريين واختيارهم ؟ . واذا فرضنا جدلا انه وجد من عارى بهذه الحقيقة الواضحة وضوح شمس الظهيرة افيجوز أن يكون ذلك الواحد مسيو بونسو الرجل الفهيم الخبير ؟ . أما أنا فلا أظن ذلك الظن قطعياً . ويقيني ان فخامتكم تعلم كما يعلم هذا العاجز وكما يعلم كل عاقل حر النفس ، ان انتدابكم على سورية لم يكن الا قسراً

وارغاماً ، وقد نفذبقوة « الحديد والنار » . هذا كل ما أريد تقريره الآن . ولذلك اعطف على ماجريات الاحوال سنة ١٩٢٠ استتماماً للبحث وزيادة في الايضاح ، وترسيخاً للحقيقة فأقول : –

قال كولونيل فرنسي مانصه « ان السوريين يظنون أن قواتنا لاتتجاوز ٢٥٠٠٠ محارب في حين ان لدينا أكثر من ٦٠٠٠٠ في سورية وكيليكيا . وتبلغ معداتنا ١٢٠ مدفعاً عيار ٧٥ و ١٢ مدفعاً من عيار ١٥ . وعندنا خمسون دبابة ، واربعون اوتومبيلا مدرعاً ، ومئة وخمسون طيارة . واننا مصرون على الزحف على الداخلية » .

هذا كلام صادق . فلماذا ياحبيبي كل هذه المعدات ، وأنتم تعلنون ان أكثرية السوريين تريدكم ؟ . الا يري القارىء هنا الحقيقة ساطعة سطوع شمس الظهيرة أن السوريين كامة هم ضد الانتداب الفرنسي ؟ .

* * *

وسارت القوات الفرنسية الى داخلية سورية في ٢١ تموز بقيادة الجنرال غارنيه القائد العام . وتوزعت قواته في ثلاث فرق .

اتجهت الفرقة الاولي الى بلاد الدروز ، في وادى التيم وحوران وما وراء حوران

وضربت الفرقة الثانية شمالا في طريق حمص وحماه

والثالثة قصدت الى الشام رأساً بطريق وادي الحرير

افلا يوضح سير هذه القوات ، مصحوبة بالاجهزة والاعتاد الحربية برية وهوائية ، كل الايضاح ، الصفة الحقيقية التى بها دخل الانتداب الفرنسى سورية ؟

أنول . ولقد قص على مواطني النزيه هاشم بك الاتاسي ، رئيس وزارة فيصل يومئذ أنهم لما أبرقوا للجنرال غورو يبلغونه قبولهم بنود بلاغه النهائي قال « وبذلك وضعنا أرواحنا في أكفنا ، واجتزنا اضيق حلقات الخطر . ولولا توفيقات الله الخارقة لكنا سبقنا عبدالرحمن باشا اليوسف وعلاء الدين بك الدروبي » . (اللذين قتلا بعدئذ في خربة الغزالة) قال . « ولكننا رأينا من حسن السياسة الرضوخ لمنطوق البلاغ الفرنسي » .

ولكن قوات فرنسا تقدمت قبل الميعاد . ولما وصلها الرد كانت جنودها قد بلغت عين الجديدة في لبنان الشرقي . فارسل الجنرال غورو مذكرة حبية للملك فيصل . ولكن الجنود الشريفية ، وعدداً من العرب هجموا على فصيلة فرنسية مرابطة بتل كلخ - مركز قضاء في منتصف الطريق بين طرابلس وحمص - فهزمتهم الفصيلة يوم ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ واسرت منهم خمسين محارباً بينهم ضابطان ، وغنمت مدفعاً من عيار ٧٧ وستة مدافع سريعة الطلقات ، وقتلت وجرحت عدداً غير قليل . عند ذلك أطلق الجنرال غورو لنفسه العنان بحرية العمل ، لان الحزب المتطرف بدمشق قوي ، وهو كان المحرض على القتال .

وفي الساعة الثالثة بعد نصف ليل ٢٤ تموز تقدمت الجنود الفرنسية المعقودة اللواء للاميرال غوابيه ، من جنود تابعة للالاى ٤١٥ من المشاة ، والاي الرماة والافريقيين ، والاي الصباحيين المغاربة . ومعهم بطاريات ميدان ، ومدافع جبلية من عيار ١٥٥ . والتقت بالجنود الشريفية بمعركة شديدة . وكانت الجنود الشريفية مؤلفة من فرقة

دمشق ، ومن عصابات من البدو مسلحة بالمدافع الكبيرة ، ومدافع سريعة الطلقات ، وهي تحتل المضائق على طول ثمانية كيلو مترات ، من وادي التكية الي خان ميسلون حيث المعسكر الشريفي

وبعد معركة دامت ثماني ساعات ، اطلقت فيها الدبابات والطيارات القنابل ، استولى الفرنسيون على جميع مواقع أعدائهم ، والحقوا بهم خسارة كبيرة واكرهوهم على الفرار . فهربوا تاركين وراءهم تسعة مدافع و ٢٥ مدفعا سريع الطلقات ، ومقداراً كبيراً من الذخائر والمركبات والمعدات الحربية . وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية .

وفي نهار ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وصلت الجيوش الفرنسية الشام . ويعني هذا بالفوز الباهر انحلال الجيش الشريفي تلا ذلك أن الجنرال غورو ابلغ الملك فيصل في ٣٠ تموز قرار الحكومة الفرنسية بوجوب مغادرته الشام ، والعودة الى الحجاز ، والمهلة ٤٨ ساعة .

هل كانت تصرفات فرنسا منطبقة على المبادىء المعمول بها ديلوماتيكياً (سياسياً) فاستحق الملك فيصل هذه المعاملة ، أو ان فرنسا خرجت عن حدود التقاليد المتبعة ، وعاملته معاملة ضئزى ؟ . يمكن أن يقال هذا أو ذاك ، وسواء كان الحكم في جانب فرنسا ، أو في جانب خصومها ، على الحالين ، فالقضية التي ارمى الى اثباتها هي هي . أي أن دخول فرنسا سورية منتدبة لم يكن برضا السوريين بل بحد الحسام . فلم تدخل فرنسا الشام دخول الاحباب ، بل دخول الظافرين . ولم يستقبلها الاهلون استقبال الصديق ، بل استقبال المقهور فاتحا قهره فالترحيب بفرنسا ، اذا كان ثمة ترحيب ، هو تكلف ، ناشيء عن قلوب سحيقة ناقمة تتحين الفرص للقيام على

قاهرها القوى . وإذ اجلي الفرنسيون الملك فيصلا عن الشام ورثوا حقد الشوام وضغينتهم . هذا ما أردت تبيانه مع حفظ كرامة كل من الخصمين . فلست أقصد بما أوردته ذم فرنسا ولا مدح خصومها ، بل تقرير حقيقة تاريخية يوقن بصحتها كل فرد من الملايين تحت سماء سورية وهي أن فرنسا لم تدخل سورية برضا أهلها ، ولا احترمت عواطف الامة . وهم ــ السوريون ــ يقولون : ــ أية أمة في الدنيا عاملتها جارتها بمثل ما عاملتنا فرنسا ؟ . أية دولة توجب على جارتها التعامل بنقدها ؟ . واخلاء مواقعها ؟ . وحل جيوشها ؟ . لست أقول أن الوطنين لم يخطئوا ، فان خطيئاتهم تبين لهم ، ولكنها خطيئات تحملت الامة السورية تبعتها . ولكن مهما يكن من أمر خطيئات السوريين وخطلهم فالقضية التي أعالجها هي في محلها وهي : أن فرنسا دخلت سورية بالسيف لا بالحب ، وبالقوة لا بالرضا . ولذلك فالامة السورية ناقمة ، غير راضية ، تتحين الفرص السانحة للقيام على الانتداب الفرنسي ، لاقصاء فرنسا عن ربوع الشام بالسيف كما دخلتها بالسيف ورغائب الناس مقدمات أعمالهم .

هل يرى القارىء اني اصبت هدفي بذلك أو انى اخطأته ؟ . إذا كان رايي اخطأت فأرجو أن يؤكد أن ذلك الخطأ لم ينشأ عن قصد سيء لا ضد السوريين ، ولا ضد فرنسا . انى كاتب نزيه ، يثبت اقتناعاته ، ويرفع الحقيقة مجردة عن كل غرض ، ويرجو عفو الله عن زلله .

هنا اجود بالتفاتة لطيفة الى المفوض السامي كاخ واخاطبه بتمام الكياسة والادب ، قائلا : ــ يافخامة المفوض السامى

انك تبدي التعجب من أن السوريين حاربوكم ، وانت ترى انه لا يمكن التخلص من داعي تعجبك الا باحد أمرين . الاول ان يكون السوريون موتي روحياً ، وعديمي الاحساس والشعور . فلا يبدون ادنى ظاهرة من ظاهرات الاحساس والقومية . والثانى ان تنقلب فرنسا بعد بسط حمايتها عليهم بالقوة منقلب انكلترا في الترنسفال ، فتعمد الي محاسنة القوم وانهاض عواطفهم ، بعدما قهرتهم بميدان الحرب والاهم من ذلك كثيراً ان تنصفهم ، أو تعدل في حكمهم

أما فرنسا فلم تنهج هذا المنهج ، كما ساثبت ذلك بالادلة القاطعة والظاهر أن السوريين لم يبلغ فيهم الموت آخر مبالغه . فلم تكن ثمة مندوحة عن امتشاق الحسام . وبناء عليه أرى في تعجبكم ، يا فخامة المفوض ، توقع المحال . فاترك القضية لادبك السامي ، واطلاعك الواسع ، الا ترى ياصاحب الفخامة ان محاربة السوريين دولتكم أمر طبيعي ؟ . والا فاذا تظن انه كان يجب ان يفعلوا ؟ . او ماذا تظن أنهم سيفعلون بعد هذا ؟ . اما انا فارى امامهم أحد أمرين أما الموت أو محاربتكم . فاذا نجحتم في اماتة نفوسهم وقيتم شر محاربتهم والا فدونكم ميداناً لا يبرد سعيره حتي يقضي الله أمراً كان مفعولا .

هذا أول أسباب الحرب بين سورية وفرنسا : دخول فرنسا سورية بغير رضا أهلها . وهو على ماترى من الاسباب المعدة . والذى أراه ان كل الاسباب التي ساوردها فى هذا الجزء من تأليفي هى من هذا النوع ــ أسباب معدة ــ متعلقة بسياسية فرنسا الاستعمارية . اما الاسباب المتممة ، التي لها علاقة مباشرة بنشوب القتال فسترد في الجزء الثانى والثالث ان شاء الله .

السبب الثاني

لماذا حاربت سورية فرنسا ؟..

الجواب : لان فرنسا دخلت سورية راشية ، مادياً وأدبياً . ولانها لم تحسن الرشوة بل جرت فيها ضد مصلحتها . وبذلك دفعت السوريين للقيام عليها .

لاجراءات الدولة علاقة كبيرة بمنزلتها في قلوب الناس ، وبحفظ كرامتها في التاريخ . وبروز نتائج أعمالها لا بد منه عاجلا أو آجلا لارتباط النتيجة بالمقدمات . فماذا عملت فرنسا في سورية حتى نفر السوريون الى السلاح ؟ .

أقول ، كأنه لم يكف فرنسا انها دخلت بالسيف بلداً تكرهها أكثرية سكانه . فاضافت الى ذلك سوأة غير عادية ، تقضى على كل ما يمكن ان يكون قد بقي لها من الكرامة في عيونهم . وتلك السوأة هي انها « عمدت ، حال دخولها ، الى رشوة السوريين »

لا أعني أن المأمورين الفرنسيين ، كانوا يرتشون ، بل الخطب أفظع من ذلك كثيراً وهو ان فرنسا كانت ترشو السوريين لاستمالتهم اليها وقبولهم انتدابها . وهي قضية لا اذكر انه عالجها غير هذا القلم مع ان جميع ارباب الاقلام يعرفونها .

قلت ان هذه الرشوة كانت على نوعين ، مادية وادبية ، وأقول ان فرنسا ارتكبت في النوعين خطأ واحداً ، وهو انها علاوة على ارتكابها جرم الرشوة ، لم تحسنها . فوضعت الرشوة في غير محلها ،

أى انها رشت الاضعف ، والاقل تأثيراً ودونك البيان

أولا الرشوة المادية : الاصفر الرنان .

التقيت بمدينة سانبولو البرازيل سنة ١٩٢٢ برجل صحافي من شمالى سورية . كان قد برح وطنه الى ديار كولمبوس. فتبادلنا الحديث وكلانا من حزب الانتداب . فافضى الي باحاديث طويلة عن فرنسا والسوريين . وذكر لى في عرض الحديث ان فرنسا كانت تدفع له راتباً شهرياً بالجنيهات الذهب . فلم اتعمق يومئذ بالبحث في هذا الشأن ، فمرت الجملة فى عرض الحديث مرور النيزك فى عرض الفضاء وكالنيزك رسمت جملة صديقي خطاً نورانياً في سماء عقلي المظلم — فرنسا دفعت رشوة — وكانت هذه الجملة تتردد في ذهني ، ولكن ذلك التردد لم يقترن باستهانة بفرنسا ، أو بسوء ظن . وقلت ربما كان صديقي يقوم بخدمة للمفوضية ، فكانت تكافي اتعابه ، « والفاعل مستحق طعامه » .

وبعد عودتى الى سورية — بعد غياب تسع سنين — كنت ذات يوم احدث صحافياً آخر ، من طبقة الاول ، فقص على ضاحكاً — ويجب ان أقول ساخراً — ان فرنسا كانت تدفع له مرتباً شهرياً بالجنيهات الذهب. والمبلغ على ما اذكر مضاعف ذاك . فابديت استهجاني الامر . وقلت له بلهجة الانكار، « وعلى م كانت فرنسا تدفع لك؟. » فرد على انكاري بانكار نظيره قائلا « وهل كانت تدفع لى وحدى» ؟. قلت فلمن دفعت ؟ . قال بلهجة ساخر « للكل ». يعني أن فرنسا كانت تدفع لكثيرين من أرباب الصحف رواتب شهرية . قلت وهل كان لها نفع من ذلك الدفع ؟ . فضحك صديقي حتى ذرف الدموع وقال « أى نفع ترجو أن يكون» ؟ . . .

ان مجلة هذا كجريدة ذاك الذي لقيته في برازيل ، لا حول ولا طول من حيث التاثير فى الرأي العام . فلا دولة فيهاذرة من العقل تجود بالاصفر الرنان على كتاب جرائد كهذه . ان اوضح ظاهرات العقل هى القوة المتصرفة . واضبط مقاييس القوة المتصرفة هو استعمال الدراهم . .

فالعاقل لا يدفع الا لسبب كاف . ومن يبذر الدراهم على غير منتوج فليس بعاقل . فاين عقليه فرنسا فى تبذيرها هذا ؟ .

والانكى من ذلك ان فرنسا كانت تدفع الدنانير الصفراء لجريدة غير هاتين وتلك الجريدة اقل من الاثنتين السابقتين انتشاراً ونفوذاً . كان كاتبها يقبض ٥٠٠ غرش تركى اجرة تاليفها ــ راتباً شهرياً ــ فجعلت فرنسا تدفع له عشرين جنيها عثمانيا ذهباً اعنى ٣٢٠٠ غرش او اكثر من ستة اضعاف راتبه . ويود القارىء ان يعرف نتيجة ذلك الدفع . فاقول انى مررت بمدينة سنتياغو وكان نزولي فى محل وكالة تلك الجريدة . فرأيت اعدادها مكدسة على الارض وقد نبذها قراؤها ؟ ولدى السؤال علمت ان سبب سقوطها هو تشيعها لفرنسا . فنفر الناس منها نفورهم من الطاعون . فكان ما دفعته فرنسا لتلك الجريدة قاضياً على كرامتها ، وكان قاضيا في نفس الوقت على كرامة الجريدة ايضاً فى عيون قرائها . لانهم اعتدوها ساقطة المبدأ وآلة فساد بيد فرنسا .

وقال لى بعضهم « يا استاذنا لو ان فرنسا رشت كبار الكتاب لما احتقرناها ، ولكن ان ترشو فلانا وفلانا ؟ . فانت احكم فى اهلية عملها . فعلى م نحترمها ؟ . قالوا ذلك لى رداً على دفاعي عنها .

فترى ان فرنسا اشترت بتلك الدراهم اهانتها وسقوطها . لانها لم تدفعها لمساعدة المحتاجين ، ولا لنشر العلم بل رشوة في غير محلها . فلو ان فرنسا دخلت سورية برضا السوريين – وكانت اهلا للانتداب – لوجب ان السوريين يدفعون لها لا انها هي تدفع لهم . لان الدفع حتم على المنتفع لنافعه . فالمريض هو الذي يدفع اجرة الطبيب وثمن العلاج . والمتعلم هو الذي يدفع للمعلم . وصاحب الحذاء هو الذي يدفع للراقع . اما دفع الطبيب للمريض ، ودفع المعلم للمتعلم والخياط لصاحب الثياب فامر غير منطقي ولا طبيعي . وهذا الذي عملته فرنسا ولي في هذا الموقف نظرات ، اوردها مع قليل من الشرح ، وللقارىء الحكم

النظرة الاولى : ان رشوة فرنسا صحف سورية تدل دلالة واضحة على عدم ثقة فرنسا بعدالة تصرفها ، ومن يثق بعدالة قضيته لا يعمد الى الرشوة ، بل يستند الى الحق – فلو كانت فرنسا عادلة واحسنت صنعاً ، في بلد هو غاية في الاحتياج الي رعاية امثالها ، فماذا كانت الحاجة الى الرشوة ! . هذا احد نواميس الاجتماع ، وعلى القارىء النزيه ان يثق بنواميس الاجتماع ، وبربها . وقد لمس الشاعر العربي هذه الحقيقة فنظمها ، واثقاً بتأييد الرأى العام ، قال:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الانسان احسان

ولو وضعت فرنسا العدالة موضع الرشوة لاحسنت . لان العدالة مأثورة . اما الاساءة فهي خسران . وتغطية الاساءة بالرشوة افتضاح. لانها تغطية العار بالعار .

النظرة الثانية : ان رشوة فرنسا السوريين بهذه الصورة هى مظهر جهلها نفسية الشعب السوري ، ومنزلة صحافته . وكيفية ذلك

هي ان للصحف في العالم المتمدين منزلة رفيعة ونفوذاً عظيما . ولذلك النفوذ أكبر تأثير في تطورات الامم وتحويل مجارى امورها . وفرنسا احدى الامم المتمدينة ، وفيها أحزاب ، ولها صحف ، ولصحفها - محازبة ومحايدة - تأثير عظيم في تيار الامور ، وفى نقط التحول . فقاست سورية على نفسها ، ظانة ان لتلك الصحف فى سورية ما لاخواتها في فرنسا . فجادت عليها ببدر الاموال آملة انها بذلك تستميل السوريين .

ولاجل تنوير القارىء اميط اللثام عن صحافة فرنسا ، ومنزلتها فى الامة : -

تقسم الصحف الفرنسية الى قسمين كبيرين محازبة ومحايدة . فالحزبية اربعة اقسام وهى الوطنية والملكية والشيوعية وصحف اليسار

١ : الصحف الوطنية هي لسان حال احزاب اليمين ، وهى التى ندعوها محافظة وفيها : ايكودى باري (صدى باريس) وكاتبها هنرى دى كيريليس خصم الجنرال ساراى الالد . ومنها الغلوا والفيغارو :

٢ : صحف اليسار هي لسان حال الحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي ، وهم القابضون على ازمة السلطة منذ ١١ ايار سنة ١٩٢٦ . وفيها الكوتيديان والاوفر والابرنوفل

٣ : اما ما اذكره من الصحف الملكية فهي الاوكسيون

٤ : ومن الشيوعية الاومانيتيه (الانسانية)

هذا ما يقال فى الصحف الحزبية . اما الصحف المحايدة فهى كثيرة ، واشهرها قسمان كبيران

القسم الاول : الاخبارية المحضة ، واهمها الماتان وبتي جورنال وبتي باريسيان

القسم الثاني: الاخبارية مع البحث السياسي ومنها الطان والجورنال.

ويقال مثل ذلك في صحف انكلترا والمانيا وايطاليا وامريكا واليابان

اما في سورية فلا أرى للصحافة شيئاً من شأن اخواتها في الغرب . ولست انتقص اخواني كتاب الصحف السورية ، فهب انهم اكثر من كتاب الغرب حذاقة ولياقة ونزاهة وحيلة ، ولكن ليس لهم - لسوء الحظ - او ليس لصحفهم ، ما لاخواتها من الحول والطول . فالتجاء المفوضية الفرنسية في سورية الى الصحف ، ولا سيما الضعيفة المهملة منها ، وبذلها الاموال في سبيلها، عمل في غير محله وهو احد مظاهر عدم الاهلية لجهل فرنسا نفسية السوريين

والا فليبين لي من اراد الدفاع عن تلك السياسة ما معنى دفعها عشرين جنيهاً شهرياً لكاتب لو عرض نفسه على الصحافة لما استأجره احد بجنيهين ؟ . وما القصد من دفع الجنيهات لصحف كان كتابها يهزأون بعمل فرنسا ونتيجة كتابتهم الوحيدة نفور الناس من الانتداب ؟ .

النظرة الثالثة : ولو فرضنا ان مرامي فرنسا في رشوتها الصحف كانت صائبة ، وان للصحافة السورية ما توهمه الفرنسيون من النفوذ والتأثير ، وهو غير واقع ، مع ذلك ، فرشوتها في شرع العقلاء افظع ضروب الفضائح. تحتقر الحكومة ، ويستهان بها اذا هي قبضت رشوة.

ولا يمكن حكومة من حكومات الدنيا ان تحوز على كرامة وثقة واحترام على غير قياس نزاهتها وعفافها . واذا انتشرت فيها الرشوة.

خسرت كرامتها في عيون الناس . هذا ما يقال في امر ارتشاء الدولة . اما ان تكون هي الراشية فذلك ظاهرة السقوط التام وخسران كل هيبة واحترام ، وبينة فساد اخلاق لا حد له . لان افظع خطيئات الزعماء انهم هم انفسهم يقودون تابعيهم الي الخطأ وهذا ما عملت فرنسا في سورية ، قادت الناس الى الخطأ الذي يقضي عليها واجبها بنزعه وتطهير البلاد منه . فهوى بها ذلك من حالق مجدها ، وافقدها هيبتها ، وجرأ الناس على مناوأتها الى حد لم تحلم به فرنسا ولا حلم السوريون .

٤ : ولي نظرة رابعة هي اعمق واغنى من كل ما ذكر ، وهي ان الراشي طبعاً عديم الحق ، وان يكن صاحب حق ـ فان استناده الى الرشوة يفسد حقه ، فيحسب في شرع النبلاء عديم الاخلاص والنزاهة والاستقامة . فلا يركن اليه ، ولا يعتمد على بيناته ، ولا يسمع له قول ، ولا يعتبر منه دليل ولا برهان ، لانه راش . وقد فرضت كل شرائع الدنيا عقوبة ثقيلة على الراشي والمرشي . واخف تلك العقوبات سقوطه من الحق المدني . والناس مطبوعون على الاحتساب من الراشي . والتبرؤ منه ، والخروج على سطوته وسيطرته ، وحسبان دائره نفوذه دنية . لان ذلك النفوذ غير طبيعي ، ولم يحصل بوسائل حميدة ، بل هو ثمرة زواج غير شرعي بين الراشي والمرشي . فلا يربح قلوب الجماعات غير الاستقامة والاخلاص . والسعي في ربحها عن طريق الرشوة يؤدي الى خسرانها ، ويفسد كل علاقاتها .

والآن احول المسائل التالية لفخامة مسيو بونسو ـ فيجيب عليها بنفسه لنفسه

١ : هل رشت فرنسا السوريين حباً بهم او لمصلحة اخرى ؟.

٢ : هل يمكن الجمع بين الرشوة وبين الشرف ؟ .

٣ : وهل تحفظ الدولة مكانتها فى النفوس عن غير طريق الشرف ؟ .

٤ : اي ادنى ؟ . ارشوة المحكوم للحاكم ام رشوة الحاكم المحكوم ؟ .

٥ : هل راجع مسيو بونسو ميزانيات سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ للانتداب الفرنسي بسورية ليرى كم كانت تدفع من تلك الميزانية للصحف السورية

٦ : وهل تحرى نخامته الحسابات ، وراجع القابضين الدراهم ليتحقق مطابقة القيود المدفوعات او ان بعضه قبضه الصحافيون والقسم الآخر تسرب الى جيوب الذين باعوا هيبة فرنسا بانتفاعهم المنكر .

٧ : وهل مسيو بونسو هو من رأي اولئك الراشين ؟ .

٨ : وهل فعل الراشون ذلك من انفسهم او بمصادقة الجمهورية الفرنسية

٩ : وهل الامة الفرنسية راضية عن ذلك ؟

١٠ : واذا كان ذلك ضد رأي الامة ، والراشون يمثلون الحكومة الفرنسية ، والامة الفرنسية ، بسورية ، ومع ذلك فقد سكت البرلمان الفرنسي عن هذه الجريمة ولم يناقش الحكومة الحساب ، فالجرم واقع على الامة الفرنسية باجمعها . افتتعجب ياسيدي اذا حاربكم السوريون بعد ذلك ومزقوا اوصال رجالكم ؟....

وحقك إني أكثر منك تعجبا . لانى اعلم سكينة قومي ودعتهم

وقـد ادهشني مارأيت منهم ، ولو أخبرت به لما صدقته . كما ساينه لك يامولاي بالضبط والوضوح ، بحيث لا ابقي في نفسك ريبة في انى الحق أقول . ولذلك ،فمع يقيني انشعبي أبعد الشعوب عن امتشاق الحسام اراني أكثردهشة وتعجبا لولم يحاربوهم

ثانياً : الرشوة المعنوية

ينحصر ماتقدم في الرشوة المادية . وهي الرشوة البسيطة ، أو صغرى الرشوتين ولـكن هنا لك رشوة أخرى افظع شكلا ، وادنى عنصراً ، واوفر فساداً ، وأشد نـكالا ، وهي الرشوة الادبيـة — المعنوية .وفي هذه أيضا كما في تلك لم تصب فرنسا المرمى . بل اخطأته واضلت نفسها ، لانهارشت الذين لا تقدر أن تستفيد من رشوتهم .

هلم معى ايها القارىء الى بيروت سنـة ١٩١٩ وانظر واسمـع ماجرى تحت سمائها : —

وافت الدارعـة جيرار دى لا كنزافير الفرنسية من اوربا تقل غبطة البطريرك الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونية فلما بلغت المياه السورية ، وألقت مراسيها الي قاع البحر انحدر منها غبطتـه في طراد فرنسي الى البر . ولـما وصل البر عزفت الموسيقي العسكرية ترحيباً واصطفت فصائل الجند الى جانبي الطريق لاخـذ سلامه . وكان موكبـه مؤلفا من سيارات لايحصى عددها ، تحمل امراء العسكرية وكبار الموظفين . وكانت كوكبـة من فرسان الجيش الفرنسي تحف بسيارة غبطته حتي اذا بلغ ركابه مقر نزوله بادرت الاقوام — وفى مقدمهم كبار العسكريين — لتحيته بالاعظام . ا . ه .

فلمن كل هذا الاعظام ؟ ولماذا ؟

لست احتقر رئيساً من رؤساء الدين . ولا أكره طائفة من طوائف الارض نصرانية كانت أو غير نصرانية . على أني اخص الطوائف الصغرى في الارض بحب خاص ، كاليهود والارمن والاقباط والدروز والموارنة . زد على ذلك اني أحب الطائفة المارونية حباً جماً ، وذلك لاسباب عادلة ساذكرها فى غير هذا الموضع ، ولبطريركها في نفسي الاحترام الذى يستوجبه . فلست انكر عليه الاكرام ولكن تصرف السلطة الفرنسية فى سورية هو غير مألوف عندنا . فقد أكرمت البطريرك الماروني اكثر مما تكرم كل بطاركة الدنيا واكثر من اكرام الكرادلة ، ورئيس الكرادلة ، بل ان البابا نفسه لما زار فرنسا لم يلق مثل هذا الاكرام :

فلا بد ان وراء ذلك الاكرام الخارق مقصدا خارقا . فما هو ذلك المقصد ؟

ان غبطة البطريرك رئيس ديني . والمفوضية الفرنسية تمثل دولة فيها تمام الانفصال بين الدين والسياسة فلا تعبأ برجال الدين ، ولا تستقبل رئيس أساقفة فرنسا بمثل ما استقبلت به بطريرك الموارنة فما السر فى هذه المعاملة ؟ ماهى درجة البطريرك الاجتماعية؟ اما انه ليس الها فمسألة لا تحتاج الى بحث . وانه رئيس أقلية في سورية أمر ثابت بالارقام كما ثبت ذلك باحصاء الانتداب نفسه ، فماذا عمل البطريرك لسورية ، وللانسانية ، حتي تقابله السلطة العسكرية الفرنسية بمثل هذا الاكرام ؟ وما هى الفائدة التي جنتها فرنسا من مساعيه ؟ .

ومسألة المسائل هي : — اى تاثير كان ، او يمكن أن يكون لتصرف المفوضية الفرنسية هـذا فى نفوس الاكثرية في سورية ؟

ان أكثرية السوريين اسلاميه ، يتبعها الدروز والنصيرية . افلا يرى فخامة ، المفوض السامى ان معاملة البطريرك الماروني بمثل هـذا الاكرام الخارق يثير كوامن الحقـد والعداء فى صـدور غير الموارنة فى سورية ؟ افهذا ما تقصـده المفوضية ؟ أعني هل قصدت من اكرام بطريرك الموارنة ، اكراماً خارقا ، اثارة عداء الاكثرية فى سورية لان لهـا وراء تلك الاثارة مقاصد ؟ اذا كان نعم ، وقد حصل ماأرادت وماسعت اليه فمم يتعجب فخامة العميد ؟

اماهذا القلم فيرى معاملة البطريرك — المحترم — على الصورة التي سبق وصفها خطأ مركباً ، وفيه اضرار كبيرة للموارنة وللسوريين وللانتداب وللانسانية عموماً . وهو عمل خارج حدود الاعتدال . وما تجاوز حدود الاعتدال تجاوز حدود اللياقة وهو عمل يدل على جهل مطبق فى ادراك نفسية الامـة السورية ، وقوانين الجماعات ، ومظهر قصر نظر في السياسة ، بل خرق سياسي لا يتناسب مع منزلة فرنسا فى الدنيا .

وهاك خارقة ثانية تدل علي خرق اعظم

ادب الجنرال غـورو مأدبة لغبطـة البطريرك — بطريرك الطائفة المارونية — ومطارنته ، لم يحضرها أحد من الاهالى ولامن رجال الحكومة . وبعـد الغدا اختلى الجنرال بغبطة البطريرك من الساعة الثانية الي الساعة الرابعة تماماً . ولم يعلم احد بماذا دار الحديث بينهما في هذه الخلوة . ولـكن البطريرك خرج ودلائل البشر بادية

على وجه أخسن سياسة هذا يافخامة العميد امسوء سياسة ؟ . وهل لذلك مثل في سياستكم العالمية ؟ ان البطريرك الياس الحويك رئيس طائفة لايجهلون ما بينها و بين جيرانها غير المسيحيين من المواجد . بيلد للتعصبات فى جنباته مركز لايجهله حصيف . فلما تعينت فرنسا منتدبة للبلاد ، يعلم ربي ويعلم قلبي ، انه كان في عداد الاسباب لنقمة الاكثرية على ذلك التعيين والجهد برفضه — كما أثبت ذلك فى تقارير مستر كرين الامريكي ــ تحيز فرنسا لموارنة لبنان . فتظاهرها هذا فى اكرام البطريرك اكراما خارقا مما يذكي نيران العداء ويوسع شقة التقاطع والنفار في قلوب الاكثرية ، ويضع العراقيل في سبيل الانتداب ، ويعود على فرنسا والانتداب والبلاد السورية بسيء العواقب . هل قلت فى ذلك قولا نكراً ؟

ورب قائل يقول . — ان ذلك التصرف هو مسؤولية الجنرال غورو شخصيا ، وان فرنسا براء من هذه النعرة وانها اشرف كثيرا من هذه المقاصد . فاذا كان هنا لك سوء ادارة أوسوء نية فليست فرنسا بمسؤولة . بل المسؤول هو رجال الانتداب . فلكي لاألقي الكلام في ردي عليه جزافاً اجعل الرد برهاناً ، بايرادي صورة كتاب مسيو كليمانصو ، رئيس وزارة فرنسا في ذلك الحين ، ومفوضها في مجلس فرساي العظيم ؟ الذي كتبه الى غبطة البطريرك المارونى فى باريس ، يعبر به عن موقف فرنسا الرسمي تجاه البطريرك ، ولاحاجة الى القول ان فرنسا مسؤولة بهذا الكتاب . وعليها كدولة يقع اللوم ان كان هنا لك لوم وهذا نص الكتاب . —

الى غبطة بطريرك الموارنة

باريس ات ٢ ١٩١٩

ايها السيد

ان المفاوضات التى جرت من يوم وصول غبطتكم الى باريس فى ما بينكم وبين وزير الخارجية وبيني قد وطدت دون أدنى شك فيكم الاعتقاد ان حكومة الجمهورية متمسكة تمسكا ، لاتنفصم عراه بتقاليد الوداد المتبادل القائم منذ قرون بين فرنسا ولبنان . تلك المفاوضات انما هى حل المشكل الذى نسعي الى حله فى مؤتمر الصلح على وجه الاجمال . مطابقا لاماني الشعب الذي أنت ممثله السامي .

ان رغبة اللبنانيين في المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطنى مستقل تتفق كل الاتفاق مع تقاليد فرنسا الحرة . وان اللبنانيين لتأكدون مع مساعدة فرنسا ومؤازرتها ، وبالاستقلال عن كل مجموع حزبي اياً كان ، ان يحفظوا تقاليدهم ، ويوسعوا نطاق نظاماتهم السياسية والادارية ، وان يستعجلوا بانفسهم زمن الانتفاع التام من مرافق بلادهم . واخيراً أن يتأهب اولادهم بمدارسهم للانتفاع بالوظائف العمومية

اما الحدود التي سيجرى ضمنها هذا الاستقلال فلا يمكن تعيينها نهائياً قبل ان يتقرر ويتحدد امر الوصاية على سورية

على ان فرنسا التي بذلت ما في وسعها سنة ١٨٦٠ ، لكي تخول لبنان ارضاً اوسع لاتنسى ان تضييق حدوده كما هي الآن ، هو نتيجة الضغط الذى أن منه لبنان طويلا . وان فرنسا ترغب في تحسين الصلات الاقتصادية بين البلاد الموضوعة تحت وصايتها ستنظر ايضاً بعين العناية عند تحديد تخوم لبنان فى ضرورة تخويل الجبل

الاراضى السهلية والمرافىء البحرية اللازمة .

واني على ثقة ان التأكيدات التى ابديها لغبطتكم توافق العواطف التي حملت الشعب اللبناني هذه المرة ايضاً على طلب وصاية فرنسا لبلاده . ولي الامل ان الحل النهائي الذي سيدركه مؤتمر الصلح فى المسأله السورية سيفسح المجال للحكومة الفرنسية ويمكنها ان تحقق كل التحقيق امانى هذا الشعب الباسل . تنازل واقبل يا صاحب الغبطة فائق اعتباري «كليمانصو»

وعلى القارىء اولا : ان يذكر ان كليمانصو رجل لاديني ولما دعوه لحضور حفلة شكر في الكنيسة بمناسبة القاء الحرب اوزارها هزأ بهم قائلا : اذهبوا انتم واشكروا :

فاكرامه غبطة البطريرك ليس اكراماً دينياً . انما هو عمل رسمي من رئيس وزارة لمتحق بالجمهورية الفرنسية .

ثانياً : ان غبطة البطريرك راهب مسيحي ، وان رئيسه ومثاله لم يكن له اين يسند رأسه . فاذا عرضت له الدنيا بزخرفها وراودته على ان تجود عليه بلذيذ وصالها ، اشاح عنها ببصره ، وحنى رأسه وصلى قائلا « لا تدخلنا فى تجربة » .

فالاكرام المقدم لغبطته ليس اكراماً شخصيا

٣ : هب ان طائفة البطريرك ارتاح خاطرها الي ما اسبغ على زعيمها من مجالي الاكرام والتبجيل فالطوائف الاخرى ، ولاسيما غير النصرانية تتأثر من ذلك تأثراً سيئاً تحفظه فى نفسها ، وتبرزه في يوم يجعل الولدان شيباً . وها أنا اورد احصاء لبنان سنة ١٩٢٢

٧٢٠٠٠٠	سكان لبنان الكبير
١٣٠٠٠٠	منهم في المهجر
٦٠٠٠٠٠	الباقون ستمائة الف

اقسامهم حسب طوائفهم

١٩٥٠٠٠	موارنة
٢٢٩٠٠٠	مسلمون سنيون وشيعيون
٠٨٠٠٠٠	روم ارثذكس
٠٥٠٠٠٠	دروز
٠٤٥٠٠٠	روم كاثوليك
٠١١٠٠٠	بقية الطوائف

فموارنة لبنان اقل من ثلث مجموع سكانه . وهم في سورية ، وسكانها ٣٢٤٥٥٠٠ ، اقل من جزء من ١٥ او اقل من ٦ في المائة .

فالبلاد اسلامية ، وتظاهر فرنسا بالميل لبطريرك مسيحي فيها ، واشارتها الى حوادث سنة ١٨٦٠ هو مناف لمقتضى الحال .

٤ : بقي ان يقال أن غبطة البطريرك رئيس الوفد الذي يمثل لبنان ، واكرام فرنسا له هو لا باعتبار كونه بطريركا ، بل باعتبار كونه رئيس الوفد اللبناني . افيعتبر مسيو بونسو كثيراً هذا الدفاع ؟ .

إن ارساله الى فرنسا رئيساً للوفد ، حال كونه بطريركا ، هو

نفس ما نشكوه لسوء اختياره. ونعلم علم اليقين ، ان للانتداب اصابع في تعيينه وارساله بمهمة سياسية ، وهو زاهد مسيحي ، ديدنه الصوم والصلاة ، وقداسة الحياة .

فاذا كان الموارنة فى لبنان الكبير ١٩٥ تجاه ٤٠٥ وفى سورية ١ الي ١٦ . فعلى اى اساس ، وباي منطق جاز لحكومة فرنسا ان تعامله المعاملة التي مر وصفها ؟ . نقول انها رشوة . حسناً

ان فرنسا هنا ايضاً ، كما في معاملة الصحافيين لم تحسن الرشوة . بل كانت رشوتها وبالا عليها ، وعلى الذين رشتهم .

لقد قلت اني احب الطائفة المارونية حباً جماً والآن ابين اسباب ذلك

١ : لأنها احدى الطوائف الصغرى في الدنيا وقد مر بيان ذلك

٢ : لانها في يقيني ، صميم السوريين . فانها الطائفة الوحيدة التي لم يتلوث جسمها بدم اجنبي . وبعبارة اضبط ان دمها اقرب الى السلامة من كل طوائف البلاد السورية .

نحن السوريين ارأميون اصلا ، ممتزجون كثيراً اوقليلا بالعرب . ففي الموارنة ، ولسان الموارنة ـ السرياني ـ وترانيمهم الشرقية ، استمرار حياة اجدادنا وفنونهم . ولما حضرت قداسهم فاضت دموع العين مني تأثراً ، لعلمي ان امهات اجدادنا كن يهومن لاطفالهن بمثل هذه الالحان ليناموا ، وذلك في العصور الخالية . فنحن سريان قبل حنا مارون ، وقبل محمد ، وقبل عيسى ، وقبل موسى . واعتقد ، وقد اكون مخطئاً ، اني اتنو لوجياً سرياني ارامي . وأرى ان استعمال الموارنة اللغة السريانية في عباداتهم وترانيمهم الكنسية ، مع استعمال

هذا اللسان عند بعض اهالي جبل قلمون دليل ساطع على انه لسان السلف الكريم الذي انتسب اليه . فقلبي اذا ماروني مدنياً ، ان لم اكن مارونياً مذهبياً

٣ : قد لقيت من الموارنة ، في سياحتي حول الارض افضل رعاية واكرام . واذكر رجال هذه الطائفة بالشكر ما حييت ، واثبته فى الصحف ليظل بعد موتي اعترافاً بفضلهم مؤبداً

٤ : اني شريك هذه الطائفة بحب فرنسا ، وفي ارادة اتحادا بها . وكتاباتي شاهدة علي

ولي اكثر من ذلك في هذا الباب ، وهو مهم جداً ، لا يمكني اثباته هنا . ولكن ما قيل يكفي لاثبات صفاء طويتي نحو الطائفة المارونية . وبهذا الاعتبار لا أرى تشيع فرنسا للطائفة المارونية فى مصلحة فرنسا ، ولا فى مصلحة الطائفة المارونية ، ولا في مصلحة سورية .

وعندي معلومات في هذا الباب لاتحتملها الاوراق . والذى اعلنه وارجو من ورائه خيراً كبيراً ، هو ان خير الامة السورية يحصل بوقوف فرنسا ، امام مختلف الطوائف ، موقفاً واحداً . لا تقدم طائفة على اختها ، ولا تؤخر طائفة عن اخواتها . ولا تخص رئيس احداها بالاكرام ولا تصب على رئيس غيرها جامات غضبها .

والاهم من ذلك ، والافيد ، والاشرف ، والاكثر ضرورة لحياتنا ، نحن السوريين ، وهو الامر الذي تعلنه ملائك الحضرة لو انحدرت الينا ، هو

: ان تفهم طوائف هذا البلد التاعس اننا اخوان ، وان

الدرزي واليهودي والمسلم والعلوي والبدوي اقرب الينا من الانكليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، وذلك بحكم المصلحة .

فابكي ايتها السموات ، ولتضحك جهنم على قوم يتبرأون من اخوانهم وينتمون لاعدائهم . أجل انى لا اخص بكلامي هذا اخواني ابناء المارونية ، معاذ الله ، فاذا كان هنا لك ملام فهو على الاقوى والاقدر على لم الشعث ، وحفظ الوحدة الروحية فى البلاد.

ولم ار بين هذا الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

وارجو اخواني السوريين المعذرة اذا شاموا فى كلامي هذا شيئاً يخالف اميالهم .

* * * * * * * * *

وخلاصة ما اقول فى هذا القسم الثاني ان فرنسا بعد ان دخلت سورية بدون رضا اهلها ـ الاكثرية ـ وبسطت انتدابها عليها بقوة الحديد والنار ، جعلت ترشو الاهالي مادياً وروحياً ، وقد اخطأت بالامرين . وكان لخطأها تأثير ، غير مباشر ، في قيام السوريين عليها سنة ١٩٢٥ و سنة ١٩٢٦

واقول واظن انى منصف ، انه لو ان فرنسا اكرمت رئيس كل وفد مثل اكرام بطريرك الموارنة ، لوجب استثناؤه من ذلك الاكرام رفقاً به وبطائفته ، لان ذلك الاكرام لا يتناسب مع حالة البلاد النفسية ، ولا تؤمن عواقبه .

السبب الثالث

سقوط الجيوش الفرنسية في الاناضول

ان انسحاب الجيوش الفرنسية من ولاية كيليكية ، ومن سناجق عنتاب ، وأورفة ، ومرعش ، اعظم صدمة اصابت نفوذ فرنسا في الشرق عموماً ، وفي سورية خصوصا ! فزعزعت مركز فرنسا شرقي المتوسط أي زعزاع واسقطت هيبتها في عيون الشرق عموماً والمسلمين خصوصا ، وآثارت عليها المسلمين في أسيا والمسيحيين في أوربا . فكان ذلك الانسحاب سبباً ، غير مباشر ، لقيام السوريين عليها ومحاربتهم اياها

وهي قضية تستلزم ، في حسباني البحث بمزيد الدقة ، والاحاطة بها من كل جهاتها ، ولواني خصصتها بمجلد برمته ، لما كنت مسرفاً ، بل لما كفى للاحاطة بها ، ولبيان علاقاتها البعيدة والقريبة .

تمشي كرامة الدول في الدنيا ، ولاسيما في الشرق ، على قاعدتين . القاعدة الاولى قوتها المـاديه . والثانية قوتها الروحية . وتتناسب معاملات الامم اى دولة وا كرامهم اياها ، مع هاتين القاعدتين فيهابون دولة القوة والبطش ، ويحبون دولة العدالة والحق ولو رأوا في امة في الارض هاتين المزيتين ، اعني القوة المادية والقوة الروحيـة ، لعبدوها ولاذوا بها . واذا فقدت دولة من الدول القوتين ، المادية والادبية ، نبذوها نبذ الحذاء المرقع اعتبر بما في التاريخ من الانباء .

جاءت فرنسا الي الشرق حامية الاقليات ، باسم الدول المعظمة ومصادقتها ، واخذت على عاتقها صيانة الامن العام ، وارشاد

الاهالي الى ادارة شؤونهم بانفسهم حتى متى بلغوا حد الاستقلال التام كانوا كفاة لاستلام ازمة الامور . فانظر خطورة المركز الذي شغلته فرنسا ، ومقـدار الشرف المعلق عليه . فـكان لفرنسا أثمن فرصة لصيانة عرضها ، وترسيخ هيبتها في القلوب .فماذا كان منها ؟ . اى مقدار من القوة العسكرية اظهرت ؟. وكم من القوة الروحية ؟ .

ان موقفي هذا ، كمؤلف ، هو غاية فى الدقة والحراجة . واراني في حاجة الى كل ماوضع الله في روحي من النزاهة والادب والرفق بالخصوم . لئلا أجرح عاطفة اوامس احساساً ، أوكرامة

ولاأدري هل ماعندي كاف لسلامة العواطف وحفظ الـكرامة لان ما أظهرته فرنسا من الضعف والانخذال بميدان كيليكية وشمالي سورية يكسو المدافع عنها عارا لايستهان به ، فى عين التاريخ . وفي عيون أرباب النظر الثاقب . فلا أدافـع عن فرنسا ، ولاأحملها فوق ما حملت نفسها . لانني لست لواماً ، ولامحامياً بـل مؤرخ ينشـد الحقيقة ويثبتها . ولذلك اورد قرارات المفوضية ، التى نشرت في بلدي وفى بلادها وبلاد حلفائها

وليست المسألة بعيدة عنا ، ومن حوادث العصور الخاليـة ، كاساطير طسم وجديس . ولاهي قضية متلفعة بحجب الخفاء بل هي قضية اليوم ، وقد حدثت بيننا، فهي محسوسة ملموسة . فلا سبيل معها للمراء ، ولاتحتمل المذاهب والاراء . وها أنا ابسطها للقارىء على ما هي فى ذاتها غير آخذ على نفسى مسؤولية الرواية

الارمن

لاامة في الدنيا اصابها ما أصاب الامة الارمنيـة من الـكوارث

والنكبات ، اللهم الا الامة اليهودية فكانت مذابح الارمن، والفضائح المرتبطة بها مواسم تتوالى كمواسم الجراد . من حين الى حين كان يضج العالم المتمدن بسمع اخبار السوء . او اسوإ الاخبار، عن ذبح الارمن ذبح الاغنام ، وحرق كنائسهم ، ونهب ارزاقهم ، وهتك اعراضهم . فقامت اوربا وقعدت لهول ما سمعت عن الارمن، وشددت النكير على الباب العالي ، وارغمته على اصدار ارادة بانفاذ الاصلاحات في الامبراطورية التركية . وارسلت اساطيلها الى الدردنيل والاستانة سنة ١٨٩٥ ، وضيقت عليه الخناق حتى قبل. وقام الخطباء والكتاب السياسيون في كل عواصم اوربا وامريكا ينادون بوجوب حل المسألة الشرقية ، واخراج الاتراك من اوربا ، وتقليم اظافرهم في اسيا .

هل كان الذنب ، في تلك الكوارث ذنب الارمن وحدهم ، فسببوا كما قيل هذه الشرور بسوء تصرفهم ؟ .

او هو ذنب تركيا وحدها ، التي أدى سوء ادارتها الى هذه النتائج المحزنة ؟ أو ذنب التركمان والاكراد ، الذين حملتهم همجيتهم على الفتك بجيرانهم واخوانهم ؟ او ذنب اوربا التي دفعتهم الى طلب الحرية ثم تخلت عنهم ؟ او ذنب انكلترا وحدها التي ارادت ان تقيم من الجسم الارمني حاجزا حصينا يصد روسيا عن الامبراطورية العثمانية في اسيا ، او ذنب امبراطور المانيا وحده الذي اراد ان يشتري صداقة يلدز بدماء الارمن ؟ او ذنب روسيا وحدها التى اباحت دماء الارمن لمقاصدها السياسية المعلومة ؟

اوهل الحق على الديانات وواضعيها ، التى اقامت الاخوان خصوماً

او ان المسألة من الله عز وجل ، قضى بها لحكمة خفيت على عقولنا؟ سواء كان هذا او ذاك ، أي سواء أكان الحق علي الارمن ، ام على الترك ، أم على انكلترا ، أم على المانيا ، أم روسيا ، ام اوربا ، ام على النصرانية ، ام على الاسلامية ام على الجميع على السواء ، او ان لم يكن من لوم على احد ، وان الامر من الله ، على كل حال ، فما حل بهم هو شيء فظيع . هذا الذي اريد تقريره. واترك لله وللتاريخ الحكم في موقع المسؤولية .

اما ما حل بهم فى خلال سني الحرب الاربع سنة ١٩١٤ ١٩١٨ فمما لا تقوى على وصفه الاقلام — وهذا ايضاً ليس من اغراض تاليفي ـ فلا اريد ان اشوش عقل القارىء بغير المقصود. فالذى اروم حصر النظر فيه هو هذه النقطة : بقيت من الارمن بقية ، ورفعت هذه البقية نظرها الى اوربا وسألتها المساعدة ، بتعيين دولة حامية لها :

هذا هو محط النظر ، احسن الارمن او اساءوا . فسمعت اوربا للارمن ، وقررت استقلالهم ، تحت وصاية ، واذ رفضت امريكا حمايتهم عهد الحلفاء اي استقلال قطعة من بلاد قوقاسيا باسم الجمهورية الارمنية ، يلجأ اليها الارمن القريبون من تلك الاصقاع ، وقرروا ان تحمى فرنسا ولاية ادنه ـ او اطنة ـ مع انتدابها على سورية . فكان الباقون من سناجق ولاية حلب ـ مرعش واورفه وعينتاب واسكندرونة وانطاكية ـ مع ولاية ادنه تحت حماية فرنسا .

هذا الذي اريد تقريره أولا . وهذا هو موضوع البحث

قبلت فرنسا بذلك ، وارسلت جنودها المدربة ، مصحوبة بالذخائر

والمؤن الى وادي سيحون والفرات . فخلوا تلك الاصقاع ، وشرفوا جوها بالعلم المثلث . فعلق الارمن آمالهم على فرنسا . ووضعوا يدهم بيدها . . وتجند شبانهم تحت لوائها . وخضعوا لاحكام قوادها . وباعوا ارواحهم رخيصة في ميادينها . وكان المنتظر ان تحرز فرنسا شرف القيام بحماية امة اخنى عليها الدهر بكلكله . فتثبت عطفها وحنانها وامانتها وصدقها وانسانيتها، بالذود عن حياة الارمن ومالهم وعرضهم وجاههم . وتثبت شهامتها في عدم التخلي عمن وثقوا بها ، وصدقوا وعودها ، وعرفوا اهليتها الحربية . وبذلك تصون هيبتها في الشرق .

فهل قامت فرنسا بذلك ؟ .

هل حمت الارمن ؟ . هل ضمنت سلامتهم وحقوقهم ؟ . واقرتهم في اوطانهم ؟ . لا ادري اذا كان يوجد من يقول « نعم » ولو انه العميد الذي اخاطبه بمؤلفاتي . هل قامت فرنسا ، يا فخامة العميد ، بوعدها للارمن لخدمتهم ورعتهم ؟ .
لا أدري اذا كان هنا لك من يجرؤ على القول ان فرنسا قامت بمواعيدها . وهب انه وجد من يقول هذا القول . فما هي قيمة قوله وتقارير فرنسا الرسمية ضده ؟ .

بل ما نراه ونسمعه ونلمسه هو ضده ؟ .

لا اطرق باباً من ابواب البحث الا واراني امام فرنسا في موقف المشفق العطوف . واراني حائراً في امري . فاذا قلت غير الحقيقة كان ذلك مني انتحاراً روحياً واذا قلت الحقيقة كنت خصما لفرنسا : والحق اني لست خصما لها . بل أنا خصم الباطل والفساد . ولكن

الحق اولى بان يقال ، ولا يكون للمؤلف نعرة ولا حزب ، ولا طائفة ولا جنسية ولا دولة بل فليكن كالنور يضرب فى عرض الفضاء دون تحيز . هكذا اراني امام فرنسا . لذلك اعرض عن التعليق والتعريض ، واقتصر على الرواية .

جاء فى برقيات ٥ شباط سنة ١٩٢١ ما نصه : —

جاء من مرعش ان عصابات تركية لجأت الى اعلى الجبال . فقصدت اليها قوة من الجيش الفرنسى ، فنكلت بهم تنكيلا ، وقتلت من رجالها ١٣٠

ونشرت جرائد بيروت البلاغ الرسمى الذي اصدرته السلطة الفرنسية وهو : —

« علمنا ان قرية حمام التي تبعد ٣٠ كيلو متراً عن حلب من جهة طريق اسكندرونة قد هاجمتها عصابة من الاشقياء ، عددها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رجل . غير ان قومسيرنا العالي — الجنرال غورو — المستيقظ ، لم يفت ادراكه امرهم . فاوفد وقت هجومهم ثلة من الجنود لنجدة اهالي تلك الناحية . فابلت فيهم البلاء الحسن . معيدة ما فعلته جنودنا البواسل في الحرب الكبرى من الفنون الحربية . فقتلت منهم ٥٠ رجلا . واسرت ١٧٠ رجلا . اما الباقون فانهزموا شر هزيمة ، وهم لا يلوون على شيء » :

هذا هو نص البلاغ الفرنسى الرسمي

وسنتقدم للوقوف على حقيقة الواقع : فيكون لهذا البلاغ حظه من الاعتبار او عدم الاعتبار .

جاء في الصحف السورية ما نصه : —

« ثار اهالي جرابلس عند الفرات ، وخربوا السكة الحديدية . فسيرت الحكومة قطارا فيه ٢٠٠ جندي ومدافع رشاشة . فنزله الفرنسيون من القطار . وساروا لمقاتلة الثائرين . فعاملهم هؤلاء بالمثل . وصدوهم ـ اي صدوا الجنود الفرنسية ـ فعادوا الى قطارهم تاركين وراءهم ٤٠ من القتلى و ٦ مدافع رشاشة :

وجاء فى جريدة المفيد بتاريخ ٩ و ١٠ شباط سنة ١٩٢١ : قتل الاتراك ٢٥٠ جندياً فرنسياً في ضواحي جرابلس شماليها، واستولوا على المراكز وظهرت العصابات في ١٧ مكانا في آن واحد . وحاصروا خمس محطات من ذلك الخط . وخربوا بعض الجسور . ولا تزال الثورة تمتد . وخافت الحكومة العربية ثورة الاهالى اذا مرت في منطقتها نجدات فرنسية ذاهبة لمعونة القوة الفرنسية المهددة بزحف الاتراك والاكراد :

ونشرت جريدة الدفاع الدمشقية مايلي: —

« تفيد الانباء الاخيرة ان قد امتد لهيب الثورة الي ادنه وانحائها وانحاز الاهالي هناك الى العشائر الثائرة . وقام الجميع على القوة الفرنسية واعملوا فيها الفتك. فقتلوا كثيرين بينهم ١١ ضابطا ويظهر من الانباء ان العصابات التركية في جهات ادنه ومايجاورها تعمل عملا منظما. فقد ذكرت الانباء إن جميع من يقع فى أسرها من الجنود الفرنسية يرسل في سيارات ومركبات خاصة الى سيواس رأساً :

والذى أقوله على مسؤوليتي ان نشر هذى الاخبار في سورية يحرك فى نفوسهم ثائرة القيام على فرنسا . فيعاملونها بمثل ما عاملتها عصابات الاتراك فى ادنه . فسقوط الجيش الفرنسي أمام تلك

المصابات هو مقدمة منطقية للثورة في سورية

وأعود الي نشريات الصحف السورية جاء في ٢٥ شباط — :

ابلغت القومسيرية الفرنسية العليا في بيروت الجرائد مايلي : نشرت شركة ليون الفرنسية اللاسلكية في ٤ شباط الجارى خبراً مبتوراً بشأن المسألة التركية . وقع التباس في ترجمته ، وهو ان فرنسا ستعطى امثولة من النزاهة با كتفائها بكيليكية : ان النقط الواردة في هذه البرقية نقطة كيليكية ناشئة عن التأثير الذى احدثته الحالة الجوية في البرقية المذكورة بحيث اشكل معناها وحقيقة هذه البرقية انها لاتتناول غير حل المسألة التركية ، ولادخل فيها للمسألة السورية، التى لم يطرأ عليها شيء من التغيير لان السلطة التركية قد انتزعت عنها نهائياً . فاصبحت خارجة عن الاتفاق الذى سيعقد بين فرنسا وتركيا بشأن كيليكية . والجملة التي وردت النقطة فيها لايراد بها الا الاتفاق المنوى عقده :

ان سبب هذا الاستدراك من المفوضية هو الاشاعات المتواترة عن رغبة الترك بالزحف على سورية . وظلت هذه الاشاعات الى سنة ١٩٢٣ . حين تم الاتفاق نهائياً بين الاتراك وبين فرنسا على اعطاء سنجق اسكندرونة صفة استثنائية . فاعتقد جميع الناس ان ذلك مقدمة انضمام ذلك السنجق الى الاناضول .

والان اتتبع نقط الحوادث المؤلف منها خط انسحاب فرنسا من الشمال : جاء بتاريخ ٢٩ أذار سنة ١٩٢١ مانصه : —

هاجم الثوار جرابلس فاخلاها الفرنسيون خوفاً من قطع خط الرجعة عليهم ، وانسحبوا الى كلس :

في ١٠ حزيران سنة ١٩٢١ : —

بمناسبه تقهقر فرنسا امام الاتراك انشأ القومندان جان جبريل الفرنسي مقالة عن حوادث مرعش واورفه وسيس قال : اصبحت الحالة مرتبكة في تركيا الاسيوية . فقد هوجمت اورطة من جنودنا منذ شهرين فى مرعش التى تبعد عن حلب ٥٤ كيلومتراً ، و ٥٠ كيلو متراً عن سكة حديد بغداد . فانفصلت تلك الاورطـة عن قواتنا النازلة في جهـة حلب ، واضطرت الى التقهقر امام قوات الجنود النظامية التركية ثم تحول هذا التقهقر الى فشل شديد . لان الاراضي الممتدة من مرعش الى خليج اسكندرونة صعبة جداً . فلا يسهل على قوة متقهقرة ان تسوق مركباتها وبطارياتها وهى تقابل عدوها فى مثل تلك الاراضي الوعره

ولما ترامى خبر هـذا التقهقر الى فرنسا قال الجمهور الفرنسي انها مناوشة خسرنا فيها مئات من الجنود ولن تتجـدد . ولـكن ماانقضت اسابيع قليلة حتى أصبنا بفشل آخر فى أورفه . وهي تبعد عن حلب ١٨٥ كيلومتراً من الجهة الشمالية الشرقية ، تحميها قلعـة مشرفة عليها وخنادق منقورة في الصخر عمقها ١٢ قدما . وكان لنا في أورفه اورطة ، نصفها من الجزائريين والسنـكاليين . فاخـذت العصابات التركية التي ألفها مصطفى باشا كمال تحاصرهامنذ ١١٥بريل الماضي . فقاومتها وقطع عمال الترك المؤونة عنها وهدموا مجارى المياه التي كانت تشرب منها . فاضطرت الى ترك أورفه ، بعد الاتفاق مع مصطفي باشا كمال . وبينما كانت تتقهقـر بغتتها عصابات من الاتراك والاكراد أ كثر منها عدداً فخسرنا ٥٠ رجلا بين قتيـل وجريح

ومفقود . من تلك الحامية ، التى حلت محل الجنود الانكليزية في اورفة لتبقي الى ان يعقد الصلح النهائي . وعلى أثر هذه الحوادث ازدادت هجمات العصابات التركية الكردية ، وكثر عددها فى كيليكية . وبلغنا اخيراً ان الترك حصروا جنودنا في عينتاب وسيس. وان العصابات وصلت الى طورس ومرسين . فارسل الجنرال غورو فصيلتين لانجادهم ، أحداها بقيادة الكولونيل نورمان ، فرفعت الحصار عن سيس ، والثانية لانقاذ بوزانتى ، آخر نقطنا على سكة الحديد.

ولا تزال الفتنة تشتد وتمتد فى جهة مرسين . ان الحوادث التى جرت ليست الا وقائع منفردة . وهي مقدمات لحوادث اعظم منها ، ينوى الترك والكرد ان يقوموا بها ·

هذه المقالة بقلم قومندان فرنسي صريحة الدلالة على صدق اخبار الصحف السورية ، وسقوط الجيش الفرنسى امام عصابات مصطفى باشا كمال . والبرقيات والمقالات من هذا النوع كثيرة لااطيل فى سردها . والذي اريد اثباته هناهو نتيجتها القطعية وهي انسحاب فرنسا من تلك الجهات . هذا الذي اسوق اليه مطايا البحث . وفى ٢٣ ت ٢ سنة ١٩٢٣ تم الاتفاق بين الاتراك والفرنسيين بخصوص كيليكية التى كانت فرنسا قد استلمتها من الحلفاء فان فرنسا لم تدخل كيليكية بالسيف ولكنهاخرجت منها بالسيف. وكان الانتداب عليها من درجة ب . اى دون سورية وقد . قدمت اللائحة الى مجالس انقره وباريس لتوقيعها . ومندرجاتهاثلاثة أمور

١ : انهاء الحرب بين فرنسا وانقره

٢ : اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين الذين بيد الترك

٣ : انسحاب الجنود الفرنسية من جهات كيليكية في خلال شهرين من الزمان

وقد وقع هذه اللائحة مسيو بريان وسامي بك .

والخلاصة ان فرنسا قد ارغمت على اخلاء كيليكية وعينتاب واورفة ومرعش بعد نحو سنتين من دخولها

الدوي الهائل الذى احدثه

انسحاب فرنسا

وكان لاخلاء فرنسا تلك الاصقاع دوي هائل فى اوربا وفي كل الارض . كما يستفاد من البرقيات التالية ، وهي قطرات من يم مما نشرته شركات البرق بهذا الشأن .

واعترضت الحكومة الانكليزية على فرنسا اعتراضاً شديداً ، فقدم اللرد كرزن ناظر خارجيتها مذكرة بهذا الشأن لحكومة فرنسا. يطالبها بها بحماية الاقليات ، ويذكرها بها ان مسيو بريان قطع عهداًفى تموزسنة ١٩١٤ بان لايصالح تركياً منفردا ، بل بالاتفاق مع حليفته انكلترا . هذا ما قاله الانكليز .

وجاء في برقيات هافاس بتاريخ ٢٣ ت ٢ سنة ١٩٢٢ ما نصه «نظر مجلس الوزراء الانكليزي بعد ظهر امس في الاتفاق الفرنسي الكمالي وسترسل انكلترا مذكرة بهذا الشأن الى فرنسا :

وعن لندن في ٢٧ ت ٢سنة ١٩٢٢

توكد شركة هافاس ان مجلس الوزراء البريطاني قرر ارسال مذكرة الى الحكومة الفرنسية . وسيصر بها على ان اتفاق انقرة ليس اتفاقاً محلياً ـ كما ادعت فرنسا ـ وانه يمس عمل الحلفاء فى

الشرق الادنى . وان فرنسا « اخلت بعقد ذلك الاتفاق في امر التضامن الذى اندمجت به مع الحلفاء . وان بريطانيا قد تضطر للدفاع عن مصالحها فى الشرق الادنى وستكون هذه المذكرة من حكومة الى حكومة : وستسلم الى الحكومة الفرنسية فىهذا الاسبوع

وعن لندن فى ٢٤ منه : « خطب اللرد كرزن فى مأدبة في ستي هول (قاعة المدينة) فاستطرق الى الكلام عن الاتفاق الفرنسي الكمالي فقال : —

« ان الصلح بين الترك واليونان لن يعقـد اذا حاولت دولة من الدول ان تسابق سائر الدول خلسة ، وعقدت اتفاقاً منفردة .

فان هذه التدابير تؤدي الى مآزق يستحيل الخروج منها : »؛

ان المذكرة الانكليزية . مسبوكة في قالب المخاطبات السياسية، ويرون فى عباراتها منتهى ما تبلغه مذكرة دولية من الشدة . فانها ابانت بصراحة تامة ان انخذال فرنسا في الاناضول يمس منزلة الدول الاوربية في الشرق . وان فرنسا لا تملك هذه الصلاحية حتى تتخلى عن اراضي للترك . لانها استلمت تلك الاراضي من ايدي الحلفاء . فكان عليها ان تردها للحلفاء ، او انها تراجع الحلفاء في امرها اذا هي عجزت عن حمايتها .

هذه كانت المحادثات بين الدول . فاسمع ما ذا كان يجري في حلب في تلك الاوقات

٢٦ ت ٢ سنة ١٩٢٢ : —

دعا الجنرال دي لاموط ، مندوب المفوض السامي بحلب ، وقائد قواتها الفرنسية الحربية ، في ذلك الحين ، رجال الحكومة الحلبيين

والرؤساء الروحيين ، واعيان المدينة ، وكبار تجارها . والتى عليهم بيانات هي على جانب عظيم من الاهمية ، قال : —

اعرف اضطراب اهالي عينتاب ومرعش واورفه ـ الارمن على انني انصح لهم ان لا يتسرعوا ، ولا يستسلموا للمخاوف . وهل تختلف حالة اهالي عينتاب عن سواها ، لانهم حاربوا الاتراك (تحت اعلام فرنسا) . فاذا شاءوا الانتقال فانا اسهل عليهم ذ ولكنني اقول لارمن عينتاب ان الضمانات التي اتخذت بشأ وافية جداً .

وهذه برقية وردت الي من الجنرال غورو ، يقول فيها بوجوب لفت انظار أهالي عينتاب الى ان مصلحتهم تقضى بأن يبقوا فيها ، ولا يبرحوها قبل وصول مندوب الحكومة الفرنسية ، الذي سيصل مع المسيو فرنكلان بويون :

لندن في ٢٨ ت ٢

وصلت ثغر الاسكندرونه ثلاث بواخر غاصة بالارمن ، القادمين من مرسين . ولم يستقر القرار بعد على السماح لهم بالنزول الى البر

تعني هذه البرقية ان الارمن ، الذين كانوا حماية فرنسا ، وقد حاربوا تحت اعلامها ، حاربوا اخوانهم وجيرانهم الاتراك ، والآن وقد انخذلت فرنسا امام الاتراك وانسحبت من البلاد ، وخاف الارمن على ارواحهم واعراضهم ، فاخلوا هم ايضاً البلاد ، وبرحوها وهم لا يلوون على شيء مخافة فتك الاتراك بهم انتقاماً . هؤلاء الارمن التاعسون ، لما وصلوا مياه الاسكندرونه حيث يرجون عطف فرنسا عليهم ، والاخذ بيدهم ، جزاء معاونتهم جنودها ، هم

الآن بالبواخر في عرض البحر ولم تأذن السلطة لهم بالنزول الى البر . هذا فحوى البرقية . .

ولست اريد ان اعلق على هذه الانباء ، وهي بالحقيقة في غنى عن التعليق . فاتقدم الى انهاء برقيات ومقالات هذا الموضوع .

باريس في ٢٩ ت ٢

قالت الطان الباريسية بمناسبة اتفاق انقره :—

ان وجود قائد انكليزي في الاستانة ، وقائد الاسطول الانكليزي في الدردنيل ، وقائد البارجة كنكورد في مرسين . . . . لا تترك للترك مجالا للريب في وجوب رضا انكلترا للوصول الى سلم عام . وليس في بريطانيا حكومة تستطيع ان تقول ان فرنسا يجب ان تبذل جنودها ومواردها في تركيا . وليس في فرنسا حكومة تسلم بذلك .

اقول ، ان في هذه البرقية صراحة تامة في ان فرنسا مقهورة في الاناضول . وانها عديمة الامل في حفظ مركزها . ولا اريد ان ناقشها في ذلك بل اريد ان يكون مفهوماً عند القارىء ان تخلي فرنسا عن كيليكية وشمالي سورية لم يكن « مثال النزاهة » بل ظاهرة سقوط عسكري اذا لم اقل اكثر من ذلك .

جاء في المورنن بوست الانكليزية : —

ينتظر ان يكون لنشر شروط الاتفاق بين فرنسا والترك وقع سيىء جداً في نفوس العرب . فقد روعي في معاهدة سيفر ان تكون الحدود بحسب العهدة التي قطعتها انكلترا للملك حسين سنة ١٩١٥ . وقد اتفق على تعيين هذه الحدود لاعتبارات جنسية ، خطة

فاصلا بين البلاد التي يتكلم اهلها العربية ، والبلاد التي يتكلم اهلها التركية . اما الاتفاق التركي الفرنسي الاخير فينص على ان تعيد فرنسا لتركيا بلاداً طولها ٣٠٠ كيلو متر ، وعرضها يتراوح بين ٣٠ و ٦٠ كيلو متر (فتكون مساحتها بين ٩٠٠٠ و ١٨٠٠٠ كيلو متر مربع) . فيدخل في ذلك عينتاب وبيره جيك واورفه ومرعش ونواحيها . مع ان هذه المواقع حررت من الترك سنة ١٩١٨ . فصارت الآن في عيون العرب في حكم الاراضي غير المحررة ، بل المفقودة والمسألة التي يدور عليها البحث الآن هي :

« هل لفرنسا صلاحية بصفة كونها منتدبة لسورية ان تتنازل عن مقاطعة من بلاد الدولة التي انتدبت لها » ؟ .

زد على ذلك ان الترك صاروا الآن اصحاب السلطان على جانبي السكة الحديدية الوحيدة التي تصل سورية بالعراق العربي . وصار في وسعهم ايضاً ان يتمتعوا بالمزايا الحربية والاقتصادية العديدة التي يخولهم اياها مركزهم على جانبي السكة الحديدية » . انتهى كلام مورنن بوست

لندن في ١٩ ت ٢ سنة ١٩٢١

تقدمت رسالة اللرد كرزن الى سفير فرنسا بلندن بتاريخ ٥ ت٢ سنة ١٩٢١ : سرد فيها اعتراضات الحكومة البريطانية على اتفاق فرنسا مع انقره . ـ ولم اكد اصدق ان الحكومة الفرنسية تقبل الاتفاق في صيغته الحالية . فانه يتضمن الاعتراف الصريح بان مجلس انقرة الوطني الاكبر هو الحكومة صاحبة السلطة في تركيا . واذاً يكون الصلح مع انقرة مناقضاً المعاهدة الفرنسية البريطانية المعقودة

فى ٤ ايلول سنة ١٩١٤ ، وعهدة لندن فى ٢ ت ١٩٢٥

وليس في المادة الثالثة ضمان لتنفيذ وعود الكماليين بحماية الاقليات المسيحية . ثم ان تعديل حدود سورية الشمالية كما جاء فى مادة ٨ ليس من اختصاص فرنسا وحدها . لان هذه الحدود عينت بمعاهدة سيفر

وفى الختام أقول ان الحكومة البريطانية لا ترى ان الاتفاق فى صيغته الحالية ، التي هي وقتية لا محالة ،يشبه الاتفاق المحلى الذي ذكره مسيو بريان . بل ترى فيه اتفاقاً منفرداً عقده احد الحلفاء مع حكومة معادية من غير ان يستشير سائر الحلفاء . وتأثير هذا ضار بسياسة التعاون التي ما فتئت الحكومة البريطانية تؤمن بها والتي جرت عليها بلا استثناء رغبة منها فى احلال السلام العام فى الشرق الادنى . فالحكومة البريطانية تنتظر ايضاحاً ودياً وافياً بجميع هذه الامور التي توافق عليها الحكومة البريطانية اجتناباً لاسباب النزاع وسوء التفاهم »

هذا بعض ما في مذكرة ناظر خارجية بريطانيا .

واليك برقية أخرى عن لندن ١٨ ك ١ سنة ١٩٢١

روتر : عقدت اللجنة البريطانية الارمنية اجتماعاً حافلا وافقت فيه على قرار بالاحتجاج على اعادة كيليكية للترك ، والمطالبة بالوفاء بالعهود التي قطعت للارمن في اثناء الحرب ، والالحاح فى اثناء سير المفاوضات على مسائل الشرق الادنى في انشاء وطن قومي للارمن مستقلا تمام الاستقلال عن تركيا :

وعلي كمورخ مدقق ان اثبت هنا انالاستياء من تصرف فرنسا

هذا لا ينحصر بانـكلترا بل شمل غيرها من دول الحلفاء ، ومن جملتها ايطاليا . واليك ما جاء تحت عنوان « ايطاليا واتفاق انقره»

رومية في ٢ ك ٢ سنة ١٩٢٢ . قال المسيو دي توريتا اليوم للجنة الامور الاجنبية الخارجية فى مجلس النواب : —

ان الاتفاق الفرنسي التركي عرضة للاعتراضات ، ليس من جانب الحـكومة البريطانية فقط ، بل ايضاً من جانب الحـكومة الايطـالية » .

هذا هو نص البرقية الايطالية وهى واضحة ، كما ان اساسها السياسي واضح لارباب الاطلاع . ولـكننى لست اريد ان اذهب في الشعاب ، بل استأنف سيري الى الامام في شرح هذه النقطة المهمة . فأقول . ان الاستياء من تصرف فرنسا في الاناضول لم ينحصر في دول الحلفاء ، بل تجاوزها الى فرنسا نفسها . جاء عن باريس بنفس التاريخ الآنف ما نصه : —

اخذت المعارضة للاتفاق الفرنسي الـكمالي تظهر من أيام في بعض الدوائر السياسية الفرنسية .

وقد ارسل اكثر من مائة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ بينهم مسيو بوانكاره كتاباً الى مسيو بريان اعربوا فيه قلقهم عن الشديد من جراء التعديل الذى طرأ على سورية ،وجعل الاسكندرونة تحت رحمة المدافع التركية . وقالوا ان المسيحيين من اهالي كيليكية تعرضوا لخطر عظيم من جراء جلاء الفرنسيين . وطلب مرسلو الكتاب الـكف عن الجلاء الى ان تتوفر الضمانات الاكيدة للمسيحيين » :

فليتأمل القارىء ذلك جيداً . وليفكر من يود الدفاع عن سياسة فرنسا في الشرق بالمائة عضو أي مجلس الشيوخ ،وعلى رأسهم مسيو بوانكاره ـ رجل فرنسا العظيم ـ فلا اظن ان المتحيز لفرنسا تحت سمائنا يكون اكثر غيرة عليها من هؤلاء الاقطاب . فالمسألة ليست بسيطة . وفيها ما فيها .

هذا قليل من كثير مما تناقلته صحف اوربا وامريكا واسيا ومجالسها النيابية ، ودوائرها الوزارية وجمعياتها الدولية ، مما يتعلق بالمسألة الارمنية . وهو واضح الدلالة على منزلة الاتفاق التركي الفرنسي في نظر العالم المتمدن عموماً ، وفي نظر ارقى طبقات الهيئة الاجتماعية خصوصاً. ولا اشك في ان مسيو بونسو ينظر بالاشمئزاز الى ذلك الاتفاق ، لانه يعلم انه اسقط هيبة فرنسا في الشرق ، واضر بمصالحها ضرراً بليغا . وان تخليها عن أرمن كيليكيا وشمالي سورية ليس فى مصلحتها ولا اظن ان فخامة العميد يستخف بالمائة عضو الشيوخ ومسيو بوانكاره الذين خاطبوا مسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية ـ مستنكرين هذا الامر .

لست اقول ان رجالات فرنسا بالاناضول قد ارتشوا ، او انهم اغفلوا واجبهم ، ليس هذا المراد .

فقد يكونون احسنوا صنعاً ، وانهم كانوا غاية في الحكمة — دعني افرض ذلك ـ وانهم فوق انكار المنكرين ، وتفنيد المفندين ، وان يكن بين اولئك المنكرين المفندين اللرد كورزن ومسيو بوانكاره وغيرهما بعواصم اوربا وامريكا ، وفي كل الارض .

ولكن غرضي الخاص هو هذا : ان انسحاب الفرنسيين من

كيليكية اسقط هيبتهم في الشرق اسقاطاً فاضحاً .

وذلك باعتبارات عديدة اشير اليها مختصر الاشارات

الاعتبار الاول . ان السوريين وهم على مقربة من كيليكيا ، بل هم على مرأى ومسمع مما حدث . وقد تواردت عليهم جماعات المهاجرين من الارمن ، وهم لا يلوون على شيء وقد علموا انهم كانوا يعلقون ثقتهم بحماية فرنسا ، حصل فيهم - اي في السوريين - ولا شك ، شعور عميق بعجز فرنسا . ولا يمكن ازالة ذلك الشعور بعشرات السنين . وليس حصوله في النفس اختيارياً بل هو ضربة لازب . والنتيجة انهم استصغروا فرنسا . أصابوا في ذلك ام اخطأوا؟ ليس هذا من شأني ، قد يقال انهم اصابوا ، وقد يقال انهم اخطأوا وقد يعذرون وقد لا يعذرون . ولكن الواقع هو الذي اقرره هنا . وهو ان السوريين راوا في الفرنسيين انحطاطاً يحرمهم الاحترام الذي كان في نفوس السوريين لهم من ذي قبل . فقابلوا ما اصاب كيليكية واهالي كيليكية ، بما جنت مصر والمصريون في خلال الاحتلال البريطاني في ذلك القطر السعيد ، فسجلوا لكل من بريطانيا وفرنسا درجة من الاحترام هي غير ما لاختها . وقد ينكر المصري فضل الانكليز على قطره . وقد يكون المصري على هدى في انكاره . مع ذلك فقد رسخ في نفوس عامة السوريين ، ولا سيما المسلمين منهم ان مصر سعدت ببريطانيا . فهم يحترمونها ويقدرونها فوق قدر فرنسا كثيراً .

الاعتبار الثاني . لما رأت الاكثرية غير المسيحية . في سورية ، فلول الجيش الفرنسي تنسحب من الاقطار الشمالية تحت رصاص

الاتراك ، على النحو الذي وصفه القومندان « جان جـبريل » ، نشأ فيهم استخفاف بمقدرة فرنسا ، شجعهم على التحدث بالقيام عليها قائلين اذا كانت عصابات الاتراك قد اجلتها عن ربوعهم فنحن ايضاً.

الاعتبار الثالث : قد ذكر السوريون بلاغات المفوضية الرسمية التى كانت تنشرها بينهم ، تحتقر بها المجـاهدين الـترك ، وتلقبهم الاشقياء ، وانها دحرتهم الخ . ثم رأوا الجنود الفرنسية تنسحب امام « عصابات الاشقياء » مخـذولة ، تاركة وراءها جثث المئات والالوف من قتلاها، فنشأ فيهم يقين جديد فى منزلة فرنساالادبية. لا شيء يحقر دولة من دول الارض كـكذب بلاغاتها ، وافتضاح امرها ، ببزوغ انوار الحقيقة . فـكان تلك البلاغات كانت تروم ان تحجب السموات ،،بالقباوات . ،،

انى اذكر ، وليس بدون خجل ، جماعات الارمن في حلب والشام وبيروت وغيرها من مدائن سورية . وانهم اجلوا عن ديارهم وخسروا ارزاقهم وكرامتهم جزاء ثقتهم بفرنسا واذكر جيداً كتابات الصحف الـسورية ، واحاديث السهرات ، التى حرمت فرنسا الشهرة الحربية التي منحتها اياها معـارك المارن وفردون واميان وشيمن دي دام. فاين كبار قوادها ؟. واين ابطالها الـكماة واين حكمة اركان حربها ؟ ـ واين ـ واين ـ واين ؟ .

فرنسا زعيمة الحلفاء عسكرياً ، والدولة التي قادت خمسة أو ستة ملايين فى الجهة الغربية ، من جنود الانـكليز والامريكان عدا جنودها وجنود ايطاليا ، وهم لا يقلون عن ذلك العدد ، واحرزت

الفوز النهائي بحسن ادارتها ، وبسالة جنودهـا ، افتنسحب الآن امام عصابات تركية ؟ .

سقطت تركيا اولا امام ايطاليا بطرابلس الغرب ، وبنغازي : ثم جرفتها جيوش دويلات البلقان المتحدة . فاخرجتها من ديارها خالية الوفاض بادية الاوفاض . فلم يمكنها ان تقف على قدميها الا متوكئة على ذراع المانيا والنمسا . فامدتاها بالاسلحة والذخائر والقواد والاموال . مع ذلك لم تقدر ان تحفظ مركزها امام جزء صغير من الجنود البريطانية . هو اقل من عشر جيوش بريطانيا . فدحرها فساقها امامه من ترعة السويس غرباً ومن شط العرب جنوباً ، الى ما وراء طورس شمالا والموصل شرقاً . والخلاصة ان جزءاً صغيراً من الجيش الانكليزي سحق الجيوش التركية بفلسطين والعراق وسورية ، بما فيه من ضباط المان ، ومدفعيون نمسيون . فـكم كان لهذا الفوز من الرنين ، والطنطنة في نفوس السوريين ؟ .

اخبرنى اسوجي اسمه دونالدسن ، كان فى طهران العجم قال :

— انه كان لسقوط القدس الشريف بايدى الانكليز تأثير لاحد له فى نفوس الفرس .

ونشرت صحفهم المقـالات الضافية تصف بهـا فتح عواصم الامويين والعباسيين بقوة الانـكليز وحدهم . بل بقوة جزء صغير من جيوشهم ، على ما سبق بيانه : فاعلى ذلك منزلة الانـكليز فى عيون الاقوام ، وصارت بريطانيا عندهم مناط الآمال في كل الشؤون فاحترموها كثيراً . ولا غرابة فى ذلك فالقوة معبودة في الشرق ـ او ليس لهذا السبب اله اليونانيون ابطالهم ؟ .

فليتصور القارىء الحالة ، لما انسحبت الجيوش البريطانية من شمالي سورية ، وحلت الجيوش الفرنسية محلها . وجاء دور الاهالي ليروا ما في الجيش الفرنسي من المزايا الحربية ، وما في سياسييهم من المزايا الادارية ، فرفعوا عيونهم ليروا ابطال المارن وفردون. وعلى ما سيرون ستؤسس منزلة فرنسا في عيونهم . لانهم لا يعلمون من امر فرنسا ما يعلمه الخاصة سياسياً وعسكرياً. معلوم ان الفرنسيين يفوقون الاتراك كثيراً في فنون العسكرية ، وفي معدات القتال ، . ولا سيما ان الذى امامهم اليوم انما هو فلول الجيش التركي . او كما يدعونها « عصابات » وان شئت فقل « اشقياء ». فقد ختمت الحرب الكبرى باحتلال الحلفاء عاصمة آل عثمان ، وانسلاخ اقاليم اليمن والحجاز ومصر والعراق وكردستان وسورية ولبنان وفلسطين والجزر عنها . والباقي منها قسمان ، قسم بيد الخليفة العثماني ، اعني القسطنطينية وما حولها ، وقسم مع مصطفى باشا كمال ، وهو انقره وما حولها .

وبعض هذا القسم كان يناوىء فرنسا اعني ان جزءاً صغيراً جداً من الجيوش التركية كان يحارب فرنسا . فاذا كان جزء من الجيش الانكليزي قد سحق مجموع القوات العثمانية بالدردنيل والعراق وفلسطين ، وانتزع منه كل الاقاليم العربية ، الواسعة النطاق الممتدة الآفاق . فما هو موقف جزء صغير من الجيش العثماني تجاه ابناء السين والغارون ؟ .

افيمكن ان تثبت حفنة من الاتراك امام ابطال اراغون ؟ .

هذا هو الموقف الروائي .

فاي تأثير واية دهشة شملت العقول لما نكصت الجيوش الفرنسية امام حفنة ضئيلة من الجيش التركي المسحوق المبعثر ؟ . وانسحب الفرنسيون من تركيا يتعثرون باذيال الخيبة؟ وكان خروجهم من ادنه ولا خروج نابليون الاول من موسكو سنة ١٨١٢ . فاخلى الفرنسيون مرعش واورفه وعينتاب وسيس وبوزانتى وطورس وادنه وترسيس ومرسين وضواحي هذه المدن . وسيوف الاتراك تعمل في اقفيتهم . وزد على ذلك انهم بالغوافي الزلفي لمصطفى باشا وسلموه اسلحة ٤٠ الف جندي و ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

فاين كان الذكاء الفرنسي الذي هو مضرب المثل فى التاريخ واين كانت الشهامة الفرنسية التى لا يجهلها خبير ؟ ؛ واين كانت السياسة الفرنسية المعروفة ؟ . لا ادري ولا المنجم يدري . والذي اعلمه ان انخذال الفرنسيين امام مصطفى كمال هو انخذال كبير .

وكانه لم يكف ما حدث لخفض فرنسا ورفعة انكلترا فى عيون الشرقيين . فانزاح الستار عن فصل آخر على مسرح التاريخ رجح كفة الانكليز كثيراً . واليك البيان

بعدما قهرت اطراف الجيوش الكمالية الفرنسيين في شمالى سورية ، واخرجتهم منها بالذل والخيبة ، وبعد ما فاز مصطفى كمال على اليونان في المعركة الفاصلة على نهر سكاريا ، وانقذ انقرة وبقية السلطنة العثمانية، ولما تحول مصطفى كمال باشا من مدافع الى مهاجم وساق الجحافل اليونانية الظافرة امامه سوق النعاج امام الاسود وبعد ما حل أزمير وقضى على العنصر اليوناني فى اناضوليا . وبلغ ابواب الاستانة ، وقف الاسد البريطاني في وجه الابطال الاتراك

وقد لعبت ثورة ـ خمرة النصر ـ في رؤوسهم ، فكانوا ثملين بانتصاراتهم . وقوتهم هنا اكثر من عشرة اضعاف قوتهم في اقاليم طورس امام فرنساوهم رابضون في بروصهواسكودار ليس كشراذم او عصابات اشقياء ، بل كجيوش منظمة ، لها مجلس اركان حرب ، وضباطوفرق زين النصر اعلامها ، وهي متعطشة لا كتساح البلقان ، واعادةامجاد آل عثمان . فيهذا الموقف الذي يهزالاعصاب وقف الاسد البريطاني في وجه مصطفى باشا، ووجه جيشه الظافر وقال لهم : — لن تدخلوها :

وقفت الدولة التي عرفت للشهامة معنى وللشرف العسكري الف معنى . بصمت قدمها على ضفاف الدردنيل والبوسفور ، ولم تبرح حتى اخمدت ثورة الحماسة ، ووضعت الحد لمصطفى باشا وجنوده ، وافهمتهم انهم لن يفعلوا في القسطنطينية ما فعلوا في ازمير . فصانت دماء واعراض واموال نصف مليون من الارمن واليونان كانت الجيوش الكمالية متعطشة لسحقهم وتدميرهم . ولم يجرد مصطفى كمال في اقفية الانكليز السيف الذي جرده في اقفية الفرنسيين

هنا رأى السوريون ، وغير السوريين ، عظم الفرق بين الدولتين . راوا سقوط فرنسا امام حفنة من الاتراك ، وثبوت انكلترا امام جموع الاتراك برمتها فاحلوا انكلترا محل الاعتبار والاحترام ، وفرنسا محل الاحتقار والازدراء . هل اصابوا بذلك او اخطأوا ، ليس هذا شغلي . أما انا راو ، اصف واصور للقارىء وللتاريخ حوادث وواقعات . لكنني اذا طلب رائيي بهذه الشؤون

اجبت صراحـة : — مع اعترافي بفضل فرنسا العسكري ، ومع يقيني نبوغها في فنون القيادة ، ومع عرفاني قدرها العظيم فى التاريخ وانها بعد الحرب اعظم قوة حربية برية في الدنيا ـ مع كل ذلك ـ فاني اعـذر الشرقيين اذا احتقروها واستصغروها لانها لم تحفظ مقامها في عيونهم :

هذا هو رأيي . وكل انسان حر في ابداء الرأي .

كثيرا ما نقرأ في برقيات اوربا أقوال سياسيي الانـكليز « ان تسليمنا بمطالب المصريين يثير علينا سائر مستعمراتنا في الشرق ، فى الهند وفي افريقية وفي المحيط الهادىء » . وفي هذا القول شيء من الفكرة السياسية لم يكن يجوز ان يفوت الفرنسيين . فان رضوخهم لمصطفى كمال اثـار عليهم سلطـان باشا . ان الماجريات متناسبة ومترابطة ، تتفاعل وتتوالى في كل قطر وفي كل عصر . فسقـوط دولة في قطـر يهز الارض في محيطهـا كما يهـزها سقوط جبـل وفشلها في ميدان يفت في عضدها في ميـدان آخر ، . ولا نعرف منطقا الا ما املاه علينا الاختبار . والاستعمار مجموع عضوى فيه حياة تعتـل وتشفى طبقا لنواميس الاجسام العضوية فجسم الاستعمار الفرنسى في شرقي المتوسـط عليـل اختلطت ادواؤه فبلـغ حدود الخطر .

اية هيبة لفرنسا في عيون السوريين يوم انسحبت من كيليكيا وشمالى سورية أمام شر اذم كانت في الامس تحتقـرها وتدعوها « عصابات اشقياء » واليـوم تجر امام تلك العصابات اذيال الخيبـة والفشل ، بعد معارك اذاقتها فيها الامرين ؟ . فارغمت فرنسا —

ارغاما شائنا — ان تتخلى لتلك الشراذم التي احتقرتها عن السناجق والامصار وتسلمها اسلحتها وذخائرها ، وخرجت من اناضوليا خروج الصغارة التى لاترضاها دولة أوربية في الشرق.

وهناك نقطة — اقتصادية — وهى ان الاتراك اوصدوا وراء فرنسا الابواب وفرضوا المكوس الباهظة على الواردات الصناعية الى اناضوليا . وتلك الواردات ليست الا سورية . فقتلوا صناعة سورية وتجارة حلب . وبذلك أحرجوا مركز فرنسا في سورية وأقاموا عليها السوريين الذين راواها علة بلائهم

هل يرى مسيو بونسو في ذلك جوابا تنعجبه ؟ . او هو جواب صغير في عينيه ؟ .

ارجوك يا فخامة العميد ان تعرض هذا السبب على المارشال فوش واركان حربه ، وتسألهم رأيهم فيه . قل لهم ان سوريا غير فني يزعم ان سقوط جيوشنا فى ادنه وشمالي سورية حرك وحرض السوريين على قتالنا، فهل في ما زعم السورى شيء قايل من الحق ؟

ساهم هذه المسألة ، وانا بدوري مستعد لاصلاح خطاي – ان كان هنا لك خطأ – فى الطبعة الثانية ، وفي الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب بل اني اخفف عليك يا سيدي عبء المسألة . انت رجل فهيم ، ومطلع فارجوك ان تفتكر فى الامر بذاتك لذاتك تتجل لك الحقيقة . والحقيقة نقطة اجتماع انظار العقلاء . لا يتعامى عنها عاقل ، ولا يجهلها حصيف ، ولا بد انك ، اذا راعيت في هذه المسألة ما يراعيه العاقل في مواضيع النظر ، لا بد ان تتأكد ان لانسحابكم من شمالي سورية تأثير غير مباشر في ثورة جبل الدروز والغوطة . وفروع هذين الميدانين

السبب الرابع

(تقلبات السياسة الفرنسية بسورية)

من الامـور المسلم بها عند جميع علماء الطبيعيـات والعقليات والاجتماعيات ، أن التغيرات والتطـورات الملابسة الانسانية تحصل تدريجاً ، وان الانتقال ، فجأة ، من نقطـة الى نقطة بعيدة عنها ، كالانتقال من القطب الي خط الاستواء مثلا ، امر غير طبيعي ولا مألوف ولا سليم العواقب . والتغيرات الفجائية في الاجتماع الانساني سبب اعظم الاضرار والويلات . وان المنهج القويم فى سياسات الشعوب هو الجاري ـ قياساً على الطبيعة ـ مجرى التدريج المتوالي ، فيتمشى مع النواميس العقلية والاجتماعية . وان التزام خطة واحدة في المستعمرات ، لا تتأثر بالاهواء الحـزبية هي السياسة الرشيدة الناجحة ، وعليها تشاد صروح المجد . فهل كانت سياستكم الاستعمارية بسورية من هذا النوع يا فخامة العميد ؟ .

اعني هل كانت لـكم خطة واضحة ثابتة . يتبعهـا كل عميد اطراداً ، فيسوس البلاد كبلاد ، لا كملحقة بالبرلمان الفرنسي ؟ .

وهل كانت خطتـكم مبنية على مصلحة السوريين وراحتهم وسلامتهم ؟ . ان نعم فيحق لك ان تتعجب وتدهش لان السوريين حاربوكم . واذا لا اعني اذا كانت سياستكم الانتدابية بسورية متقلبة مضرة ـ فانى اتعجب اذا لم تحاربكم امة ليس من عاداتها الحرب

الامر واضح انّ سياسة فرنسا بسوريا كانت على عكس ما ذكرنا على خط مستقيم . فـكانت تغير وتبدل برجالها الذين يشغلون

اعظم المناصب فى البلاد ، كلما هبت نسمات لطيفة من ناحية «دورسي» فكانها تلعب بالنرد ـ طاولة الزهر ـ تغيرت فى خلال سبع سنين اكثر من سبعة مفوضين

الاول : مسيو بيكو ، صاحب عهدة ساكس بيكو

الثاني : الجنرال غورو سنة ١٩٢٠

الثالث : الجنرال ويغان سنة ١٩٢٣

الرابع : الجنرال ساراي سنة ١٩٢٥

الخامس : مسيو جوفنيل سنة ١٩٢٥

السادس : مسيو بونسو سنة ١٩٢٦

عدا من شغلوا المنصب بصفة وكيل فى الفترات بين راحل وقادم

ولم يقتصر الامر على تغيير المفوض ، بل كان يتناول الخطة والمنهج . فكان لكل مفوض سياسة حزبه . فيتبع التقلب في فرنسا التقلب فى سياسة سورية

مثلا : كان الجنرال ويغان اكليريكي الصبغة ، فخلفه الجنرال ساراي ماسوني النزعة . كان الجنرال ويغان يحترم الكنيسة ويكرم رجالها ، فجاء الجنرال ساراي يقلب لها ولهم ظهر المجن . فثاروا عليه ، واصلوه حرباً حر نار الجحيم ابردها . ولم يخمد لظاها حتى برح البلاد منكوباً .

ذهب الجنرال ساراي الذي لم يرض ان يزور البطريرك وخلفه مسيو دي جوفنيل ، لا ينتظر حتى يزوره البطريرك بل سبقه بالزيارة . او كما يقولون — ذهب لسؤال خاطر غبطته — الجنرال ساراي رفض ان يحضر قداس الآباء الكبوشيين ، وخلفه اسرع

المثول في ذلك القداس . ولم ينحصر ذلك التقلب في علاقة المفوضين السامين بالكنيسة ورجال الدين بل شمل نظام الحكم . فكان المفوض الواحد سريع التقلب من سياسة الى سياسة ، ومن نزعة الى نزعة .

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

فكان بسورية سنة ١٩٢٠ حكومة عربية واحدة للشام وحلب والمنطقة العلوية وسنجق اسكندرونة .

وفي ٧ ايلول سنة ١٩٢٠ وقف الجنرال غورو في حلب وقال ، انه تلبية لرغائب الشعب الحلبي يعلن فصل حلب عن الشام . فصار في سورية ، دولة لبنان ، ودولة حلب ودولة الشام . ثم فعل كذلك في جبل الدروز ، فصارت في داخلية سورية ثلاث دويلات . ثم فعلوا كذلك في المنطقة العلوية ، فصارت الدويلات اربع . ثم عن لهم ان ينشئوا الاتحاد السوري فقرنوا حلب بالشام وبالمنطقة العلوية ثم عادوا ففصلوا المنطقة العلوية عن الاتحاد السوري . وقالوا انهم فعلوا ذلك عملا برغبة الاهالي

وفعلوا مثل ذلك بلبنان . فكان اولا خاضعا لمجلس ادارة تقرر انشاؤه منذ سنة ١٨٦١ وظل الى ان حله الفرنسيون

فالغى الجنرال غورو ، المجلس ، ضد نصوص الدستور اللبناني باجماع دول اوربا ، والف بامره واستحسانه لجنة سورية ، ثم امر بانتخاب حاكم وطني . ثم تحول عن هذا الرأي وعين له حاكما اجنبياً . ثم امر بتأليف دستور له . وبين عشية وضحاها خلق دستور لبنان ، ثم سعى بتعيين سوري كبير حاكماً عاماً للبنان واتوابه

من القطر المصري ، ثم عدلوا عنه لسبب ، اجهله ، وعزموا على انتخاب حاكم وطني . ثم تغير الرأي وتعين مسيو كيلا حاكما للبنان ثم تغير الرأي ، وقرروا ان تكون جمهورية ،واختير الدباس رئيساً لها ، ثم شاع انهم ينوون ان يعدلوا دستور لبنان ، وان يحولوا الجمهورية اللبنانية امارة، يولون عليها عيناً معروفاً بالقطر المصري .

وكان المفوض السامي يامر بسن دستور ، ثم يصدر اوامر خاصة تخالف نص الدستور . والخلاصة ان الادارة الفرنسية العامة بسورية كانت متقلبة متغيرة لا تستقر على حال

بل كانت مسالك الاشخاص متنافية متعاكسة ، على ما ترى .

كان ويغان يسوس البلاد بيد من حديد . فجاء ساراي متناهياً في الحرية وترك الحبل على الغارب . وكان دي جوفنيل خطاباً ملأ الدنيا خطباً ومناشير ومراسلات ومحادثات ومواعيد . فجاء بونسو لا يفتح فاه ولا يقول . واول عبارة فاه بها هي موضوع اربعة كتب هذا أولها وهي قوله : اتعجب ان سورية تحارب فرنسا .

فذكرنا بزكرياوالديوحنا المعمدان الذي كان صامتاً مدة طويلة وكان المفوض الواحد ينسخ ما سنه سلفه من الاوامر ، ويضرب به عرض الحائط .

والنتيجة ان مركز الانتداب قد تزعزع في عيون السوريين . ولا سيما ان تلك التقلبات لم تحدث مطاوعة عوامل وطارئات محلية، بل مسوقة برياح بعيدة ، لا علاقة لها باحوال سورية ومصالح السوريين ، بل هي برلمانية فرنسية حزبية . فكانت الرياح ، مثارها

فى فرنسا ، ومفاعليها في سورية ، فحــار الناس ، وتشعبت امامهم المسالك ، والتبست الامور ، حتى لم يـكونوا يعلمون ما ذا يعملون ، وأى مسلك يختارون

وانى اقتصر على نقد مسلـكي الجنرالين المتعـاقبين ، الجنرال ويغان والجنرال ساراي لا بين، التذبذب الذي اتصفت به سياسة الانتداب قبيل الثورة فاقول :

جاء الجنرال ويغان سورية ، وهي مشرفة على الفوضى . وقد بدأت عاصفة شديدة بلبنان ، الذي كان فيما سلف مضرب الامثال في سلامه وطمأنينة اقوامه . فتبدلت الاوضاع ، وانبثت العصابات فى جنباته تريق الدماء ، وتزهق الارواح ، وجاءت احدى تلك العصابات بحمدون ، وافترعت بيتاً وأهله نيام . فذبحتهم ذبح الاغنام بما فيه من نسوة وأطفال واضياف. وامر كهذا لم يسمع ولا فى عهد البربرية ، فراع الناس ما حدث ، وتبلبلت الافـكار ، واضطربت القلوب ، اضف الى ذلك حادثة محمد القاسم وعصابته الـكبيرة في لبنان الشرقي .

فى هذه الاحوال جاء الجنرال ويغان ، فضرب بيد من حديد على اولئك المحركين المشوشين . ونصب الاعواد ، وعلق عليها المجرمين . فهدأت العاصفة واستبشر الناس ، وسكنت القلوب. وكان للجنرال ويغان هيبة ونفوذ عظيمان في طول البلاد وعرضها . وكان يمكن ان تدوم السكينة والسلام اللذان خيما على البلاد. واظن ـ وقد اكون مخطئاً ـ انه لو ظل الجـنرال ويغان بسورية لما نشبت الثورة . لان هيبته ملات القلوب ، وسطوته أوقرت الالباب ، ولم

تكن فكرة الثورة فى عقول الدروز ، ولا في عقول غيرهم

ولكننا في وسط هذه الحال فوجئنا ـ ولا نعلم لماذا ـ بخبر قدوم الجنرال ساراي ، ليس لنقص فى ويغان ، ولا لمزية في ساراي جعلت هذا اجدر بها من ذاك ، ولا لحاجة فى سورية اوجبت ذلك التبديل . بل بالعكس ، كانت الحاجة ماسة ، حسب فكري ، لبقاء ويغان ، ولكن دواليب السياسة فى باريس ، كانت تدور برياح الحزبية ، فخسر حزب ويغان ، وعلا نجم حزب الشمال ، فافل هذا وطلع ذاك ، في سماء سورية . فنقلوا الذي احسن الادارة ، وارسلوا من لا يصلح لها . فكانت الولاية فى سورية العوبة بأيديهم ، كلعبة الشطرنج .

فاسمع ما جرى في سورية من جراء ذلك التغيير

جاء ساراي والبلاد السورية فى احسن الاحوال ، فاساء الادارة ورجع من سورية وهي في اسوإ الاحوال . لانه عاد بها لضعفه وعدم اهليته ، الى عهد الفوضى ، واوجد فيها ، عن غير قصد منه ، ثورة لم يحلم الشرق بمثلها . وسأذكر ذلك تفصيلا . والذي اذكره هنا طرداً للباب ، انه لما وجب سحبه من البلاد ، وجعلت الصحف تعنون مقالاتها ، بفرنسا طبعاً ، بهذه الجملة « يا مسيو بانلفه اسحب ساراي من سورية » . واقتنعت الاقوام بباريس بوجوب نقل الجنرال ساراي من سورية ، مع ذلك لم يجرؤ رئيس وزارة فرنسا ان ينقله ، مراعاة لعواطف حزبه . وحذراً من استياء مسيو هريو ، رئيس احزاب اليسار الذين منهم الجنرال ساراي .

ولئلا يتوهم قارىء اني اتكلم من عندي اورد هنا ما جاء في

صحف باريس نفسها -

جاء في الديبا الباريسية : —

لما فازت احزاب اليسار بتأليف الوزارة ، اقال مسيو هريو . الجنرال ويغان من المفوضية السامية في سورية ، فجأة ، وبدون جرم ، ولا مسوغ ، ففهم الناس ان التغيير الذي حدث ببيروت نجم عن اعتبارات حزبية سياسية برلمانية فرنسية داخلية محضة . وان الغاية منه خلق منصب كبير لقائد من انصار حزب اليسار . وطلبت الديبا ان لا يكون تعيين المندوب السامي بسورية مرتبطاً بالتقلبات الحزبية بباريس .

لم يكن كلام الديبا هذا ناشئاً عن غرض ، او ضعف قومية ، أو فضول . كلا . فان من له اقل اهلية واطلاع في وزن الامور ، وادراك نفسية الرجال ، لا يقول هذا القول فهي . خطة حكيمة ، اوحتها الخبرة لجريدة الديبا ، فرغبت الى ولاة الامور باتباعها . وقد نشأ كلامها عن شعور دقيق بكنه الحال في سورية ، وادراك مضبوط لخطأ المنهج الذي انتهجته وزارة هريو في ادارة سورية . بحيث جعلت الحل والربط فيها معلقاً على تقلبات الاحزاب ، وتابعاً لاهواء رجالها . وتبيان المسألة غير متعسر ، وهو في متناول كل من من اراد ان يدرك الحقيقة اذا احسن قدر نفسه ، وزان كلامه بميزان النزاهة والاخلاص . فان التقلب والتبدل مألوف بباريس ، وليس بسورية :

١ : لان ذلك التبدل والتلون من خلق الفرنسيين

٢ : لانه من صنعهم ، ونتيجة عوامل مقبولة عندهم

٣ : لان الوسط الفرنسي الكبير يتحمله ، كما تتحمل الاوقيانوسات اضخم البواخر والبوارج بخلاف الترع والبحيرات الصغيرة ولكن سورية لا تحتمل ذلك ، فانه واثر ادارتها كالبرك، أو الترع بالنسبة الى البحار .

فلا مجال فيها للبوارج والبواخر الكبيرة ، ولا تحتمل حركاتها العنيفه . فليس من العدالة ، ولا من المصلحة ، ولا من حسن الادارة في شيء ، ان تقاس الامور بسورية بمقاييس باريس ، وان تدار دواليب هذه برياح تلك لاختلاف الاوساط

ثم ان السوريين ليسوا شركاء الفرنسيين في المسؤولية ، ولافي العاطفة ، فلا يحتملون ما يحتمله اولئك ، ولا يرضون ما يرضاه الفرنسي . وهم لم يألفوا المفاجآت التي الفتها فرنسا فغيرت عشر وزارت بسنة واحدة ، منها وزارة لم تمش اكثر من ساعتين . واما السوريون ، فقد خضعوا لنير الاتراك ستمائة سنة ، وهم يخالونها « يوماً أو بعض يوم » . ولذلك كان السوريون غير راضين عن التقلبات المساورة الانتداب الفرنسي . فكانوا يتوسلون — وهم غير راضين عن الانتداب — بكل حركة للنقد والتبرم وابداء العداء .

لا اريد بذلك ان اقوامي غير منصفين . كلا والف كلا . ولا لهذا اسوق الكلام . منصفين كانوا او غير منصفين ، لا فرق بهذا الاعتبار ، فان من طبائع الاقوام تفنيد ما لم يألفوه ، ونبذه قصياً . ومن أوضاع المحكومين التنكيت على الحاكمين . فلم يكن المنهج الذي انتهجته فرنسا بسورية من مصلحتها ، ولا من مصلحة سورية . بناء على ما ذكر وما سيذكر . كانت الادارة تستلزم اساساً ثابتاً ذا

قواعد راهنة ؟ لا تهزها تيارات الاحزاب ، ولا تزعزعها مناوآت المتزاحمين على مناصب الادارة بباريس . وللسوريين مثل يقيسون به الحسن والقبيح ، في سياسات الدول الاستعماريه . وذلك المثل هو سياسة انكلترا بمصر . فقد أرسلت اليها اللورد كرومر بصفة مندوب سام بريطاني . فظل في منصه الحكم أو الادارة ـ كالطود الراسخ ، تتزعزع الجبال ولا يتزعزع ، وتهتز الدنيا ولا يهتز مدة اربع قرن . فلم يكن مركز اللرد كرومر بمصر معلقاً على التقلبات الحزبية بلندن ، المحافظين برئاسة سالسبوري ، او حزب الاحرار برئاسة غلادستون ، أو اسكويث ، فكان ، على الحالين ، مركز اللورد كرومر هوهو .

واتبعت انكلترا في سياستها بمصر خطة واحدة تلاحظها وتعتصم بها جميع الاحزاب ، على اختلاف نزعاتها . حتى انه لما ذهب سعد باشا زغلول ، زعيم الوفد المصري ، الى لندن ، في عهد وزارة العمال ، وقابل الوزير « مكدونالد » آملا ان ينال ، او تنال مصر ، منه ما لم ينل في عهد غيره . اجابه رامزي مكدونالد « ان ما تطلبه مني يا باشا ، لا يمكن ان تسلم به وزارة انكليزية اياً كان مذهبها او حزبها » :

بهذه الكيفيه كانت ادارة انكلترا بمصر . ، فرأى السوريون ان مصر قد نجحت نجاحاً خارقاً في عهد الاحتلال الانكليزي . فزاد سكانها من ٦ ملايين الى ١٥ مليون . وزادت ميزانيتها من ٤ ملايين الى ٢٢ مليوناً . فنسبوا ذلك ، صواباً أو خطأً لا فرق ، الى وجود الاحتلال ، اى حسن ادارة انكلترا في وادي النيل . فاتخذوا

منهج انكلترا مقياساً ، للسياسة وحسبوا ما وافقه صواباً ، وما غايره خطأ . فلما خفضوا نظرهم الى بلدهم ، ورأوا فيها ما رأوا من الشقاء والتقهقر نسبوا ذلك ، خطأ او صواباً ، لتقلب السياسة ، او الادارة ، الفرنسية ، وعدم استقرارها على حال. فانحوا (با للائمة) على فرنسا وانتدابها عليهم

١ : لماذا ينقل مندوب سام — هو في قدر الملك ووزنه — من بلاد احسن فيها صنعاً ؟ . وبعبارة أفصح — يقولون : — لماذا نقل ويغان من سورية ، كان سورية قرية ، وكان المفوض السامي فيها شيخ ضيعة ، او مختار محله ؟ .

٢ : لماذا لا ينقل مندوب سام وقد اساء ، اساءات كبيرة فادحة وفاضحة ، وقامت الادلة على سوء ادارته ، وعدم اهليته ؟ .

وبعبارة افصح ، : لماذا لم ينقل الجنرال ساراي وقد ثبت للفرنسيين وجوب نقله ؟ .

حملت صحف فرنسا على الجنرال ساراي — ولا سيما هنري دي كيريليس ، كاتب جريدة ايكودي باري — طالبة سحبه من سورية . وشاطرها فريق من الوزراء الحاليين . وفي مقدمتهم مسيو كايو الشهير وزير الماليه ، ومسيو بريان وزير الخارجية ، ومسيو موتزو وزير المعارف . فالحوا على مسيو بانلفيه رئيس وزارتهم وان يسمع نداء الصحف ويستدعي الجنرال ساراي من سورية ، لان بقاءه هنالك لا يحتمل ، ولا ينطبق على مصلحة فرنسا وكرامتها ولكن لما كان الجنرال ساراي صديقاً لمسيو هريو وكان مسيو هريو يخطب ود

انصاره غير عابىء بمصالح السوريين او خلافهم ، لذلك تردد رئيس الوزارة مسيو بانلفيه في قبول النصيحة الحكيمة ، والطلب العادل التي اسداها ، أوقدمه ، اركان وزارته ، وعزم على استبقاء الجنرال ساراي في سورية . لا لكونه اهلا بل استرضاء للزعيم هريو . هنا استلفت نظر مسيو بونسو الثاقب ، وارجوه بكل ما فيه من الرجولة والانسانية ، نقد هذه الحقيقة المؤلمة ، التى لا بد لها من اثرها في سياسة الشعوب . وليلاحظ اثرها الفاجع بسورية ، ومسها بكرامة فرنسا وهي ٠ ان الموظف لاجل المنصب لا المنصب لاجل الموظف: فقد اجمعت الآراء على عدم صلاحية الجنرال ساراي وظهر للخاص والعام سوء ادارته وعدم اهليته ، الى درجة لا تقبل المراء ولا تحتمل الابطاء . وصار بقاؤه بسورية ماساً بكرامة فرنسا ، وبمصلحتها المادية . مع كل ذلك ، ومع اقتناع رئيس وزارة فرنسا بعدم صلاحية الجنرال ساراي ، ووجوب نقله من سورية ، اقول — مع كل ذلك — فقد ابقاه فيها تصحباً لمسيو هريو ، أو خوفاً من اغبرار خاطره . اعني ان الوزارة الفرنسية آثرت العواطف والشخصيات على المصالح العمومية ، وعلى الكرامة القومية . فاي دليل اقطع يروم مسيو بونسو على عدم صلاحية هذا الانتداب ، وعلى ان الثورة السورية ضربة لازب في ادارة كهذه ؟ . افي كلامي هذا تحامل ؟ .

اذا زعم احد انه من انصار الانتداب فانا هو ذلك النصير ، الذي ظل متشبثاً بلزوم الانتداب ، الى ما بعد الموت . واذا ادعى احد حب فرنسا ، فانا ذلك المحب . بل العاشق الواله . ولكن

الحق اولى ان يقال: قد خابت آمالنا بحبيبتنا بفرنسا وهي خيبة مؤلمة محزنة فاضحة ، عديمة المثال في التاريخ .

وماذا جرى بعدئذ ؟ .

اجيب نقلاعن صحف فرنسا .

لما ساءت الاحوال في جبل الدروز ، وفي دمشق الشام ، كل المساءة وعجز المندوب السامي عن تأديب « العصاة والاشقياء » وقمع ذلك « العصيان » ، وشاع في فرنسا ان الجنرال ساراي يطلب مدداً لانه غلب على امره ، قامت الصحف الفرنسية لذلك وقعدت وشاركتها الصحف المحايدة في نقدها تكتم الجنرال ساراي ، واخفاءه عن الوزارة والامة ما كان يجب ان يتجلى في تقاريره ، لرئيس الوزارة ، اذ لم يبق في قوس الصبر منزع ، وان ليس في مقدوره مقاومة خصوم الجنرال ساراى . وان سحبه من سورية اصبح ضربة لازب . رأى ان يزور مسيو هريو في مصيفه ، ويفاوضه او يستأذنه ، في امر نقل الجنرال ساراى من سورية ، ويقنعه بلزوم استدعائه من ذلك البلد التاعس . . . .

جرت هذه الحوادث بباريس ، في جو صاف ، بعيداً عن ضوضاء الثورة ، وقصف المدافع ، ومثار النقيع . وجرت بين الفرنسيين انفسهم . بل بين اكابر الزعماء وممثلي نفسية الامة . لست اروم أن اعيب مسيو بانلفيه . ولا أن اهزأ بمسيو هريو . لان ذلك ليس من الرجولة في شيء ، ولا هو من مقاصدى في التأليف . ولا يجوز لي أن ازين اجراءتها الباريسية بالموازين الحمصية ، ففي باريس ما ليس في حمص : فقد يكونان على هدى :

او معذورين في عملها : وقد يكونان على ضلال وملومين : وسواء كان هذا او ذاك فقصدى الخاص هو ان اثبت ان التقلب والتبدل في اسمى مناصب الانتداب الفرنسى بسورية كان يحصل ليس بحكم الارادة الحرة ، ولا بداعي المصلحة وحسن السياسة : بل بالرياح الهابة في البرلمان الفرنسى من جهة الاحزاب : وانه لم يكن النظر في التبديلات والتنسيقات ، يلاحظ مصلحة سورية وراحة اهاليها ، بل يلاحظ المسايرات . واريد ان اقول ان ذلك اضر بالسوريين ضرراً غير محدود وساءهم مساءة شديدة ودفعهم الى رفع راية الثورة على فرنسا . تتجلى هذه الحقيقة من اعادة النظر في ماجريات الاحوال في ذلك البلد التاعس .

بدأت العصابات بارتكاب المنكرات فى لبنان ـ في آخر عهد الجنرال غورو ـ فهزت سورية هزاً تأثر له مركز الانتداب . ولا يهمنا هنا البحث فى الباعث ، الذي حمل تلك العصابات علي ذلك الاجرام . فاقتصر على القول ان الشعور العام في سورية ولبنان كان يخشى اتساع الخرق على الراقع . فارسلوا نظرهم الى فرنسا ، لتمد ساعدها لمداوة العلة ، ونقع الغلة ، وتأمين الناس على ارواحهم وتهشيم اسنان المجرمين . فما خابت آمالهم بفرنسا . التي لبت نداء الحاجة بارسال الجنرال ويغان القائد الحازم . الذي عالج الداء بالعلاج الناجع . فاطمأنت القلوب وصين الانتداب . فكان ينتظر طبعاً أن مفوضاً كهذا يستقر فى بلد كهذا عشرات السنين لاستثمار مساعيه . ولكن الامر جرى علي عكس المنتظر . وفوجئت البلاد بنبأ نقل ويغان . فزال بسفره الاطمئنان وكان حرمان

سورية مديراً قديراً ، وبليتها بمدير عاجز ، من شر ما ولدت المنازعات الحزبية الفرنسية تحت سمائنا . وفي ذلك الماع الى التنافر بين تصرفات الفرنسيين وبين مصلحة الانتداب . فكان الانتداب ضحية على مذبح الاختلافات الحزبية ، او فريسة تحت براثن الشيع البرلمانية .

والحقيقة المثلى التي املاها عليها الاختبار هي فصل الانتداب عن سياسة الاحزاب . كما فصلت الحكومة عن الديانة فى أوربا وأمريكا .

والنتيجة ان السوريين لما رأوا ادارة بلادهم مسوقة ، ومحمولة ، برياح هابة من عالم آخر ، ارادوا لاجل سلامة بلادهم وخيرها . ان يحرروها من سيطرة ذلك التأثير ، وهي احدى فلسفات الثورة وشرف الكاتب رهينة قلمه .

• • • • • • •



السبب الخامس

الجاسوسية .

وهنالك علة من شر علل السياسة واشدها نكالا ، واقلها للاستئمان ، وانفاها للكرامة والاعتبار ، وابعدها عن الشرف وعزة النفس ، وادعاها للتلبك والتشويش ، واضرها بمصلحة الانسانية ، وتلك العلة الوبيلة هي « الجاسوسية » او التجسس . وهي عندي من اعراض الانقراض في الدول

افي كلامي هذا شيء من الغلو يا فخامة المفوض ؟ . الا ترى ان في تسقط اخبار الآخرين ، وحوادثهم الشخصية والعائلية ، وكل ما هو مستور عن الآخرين ، صغارة لا تليق بالرجال ، بل هي عيب عليهم ، وداء نجيس يفسد السجية ويؤدي الى سفالة الاخلاق؟. فاي رجل يستحق ان يدعى رجلا يتطلع الى خصوصيات جيرانه واصحابه ، فيسألهم ما ذا يأكلون ويشربون ، او يتنصت الى ما يقولون ويهمسون ، او يتلصص لكشف ما يضمرون ويسترون؟. وتمشي الفضائل ، والنقائص، في الامة على قياس الفضائل والنقائص في الافراد . مطبقة على النواميس الادبية في الافراد . الا انها في في دائرة اوسع لان الامم في شرع الادب شخصيات معنوية كبيرة. وتقوم معارج الارتقاء في توحيد مواد الدستور في الدائرتين ، دائرة الشخصية ودائرة القومية. وتنافر الخطط بين هاتين الدائرتين هو علة ما نراه في هذا العالم ، الذي لا يعرف السكون ، من الاختباط

والتشويش . ويوم تتوحد النظم والمناهج فيها لتطبيق الفضيلة في الامة على نفس النظام والمنهج في الفرد هو اليوم السعيد الذي به تتحرر الانسانية من قيود الهمجية ، التي جرت ، وما زالت تجر على بني الانسان ما نرى آثاره في شقاء الامم ودمار الامصار . يوماً يحل فيه التحكم محل الحرب . وتتحدد صلاحية الافراد . وتكون البشرية جمعاء عائلة واحدة ، كشجرة ممتدة الاغصان . فتتوحد مصالح الشرقي والغربي ، والاسود والابيض ، والمؤمن والكافر . وتزول المشاحنات الاستعمارية والمطامع الدولية . وينتهج الانسان نهجاً مشروعاً . وتعيش الامم آمنة . كما يعيش الافراد اليوم . آمنين في ظل الحكومات والنظم ، في ارقى ممالك اوربا وجمهوريات امريكا لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

الا اننا مهما نقرب من ذلك اليوم فما زلنا بعيدين . ولكننا جادون نغذ السير اليه . وتزداد الانسانية في صدورنا شوقاً اليه كلما دنت منه . بل كلما سارت خطوة الى الامام . فالاشواق الى الحرية الادبية تتناسب مع حال الفرد الروحية . فالراقي الشريف المخلص يشتاق شوقاً عظيما لانتشار الحرية والاخاء ويؤمن بسيادتها المستقبلة . والمنحط الدنيء الغادر لا يعبأ بذلك ولا يصدقه .

الم تسر فرنسا الجميلة في مقدمة الامم نحو « اليوتوبيا » . منذ ما اعلنت « حقوق الانسان » . وسقت بدماء زهرات شبانها ذلك الغرس المقدس ، أعني تراث الانسانية ، وستسير ، على اتم وفاق ، مع فرنسا واخواتها في أوربا وامريكا . سيراً طبيعياً الى الموطن الانساني المقدس . الذي اليه تشد الرحال . ولا ينكد علينا

اختلاف النظريات في اثناء المسير . فاننا نسير الى جهة واحدة واليها يسير الكون قاطبة . وهي القبلة التي يتولاها اعمق الاشواق في جوارح الانسانية . المولعة بادج الارتقاء ، النزوعة الى المعالي . ولا يغيرنا تباين النظريات في مختلف الشرع والمناهج ما دام المبدأ العامل فينا جميعاً واحداً .

اعود الى موضوع هذا القسم الجزئي ـ الجاسوسية ـ فاقول . ان الحكومات والدول الحالية ، اعتادت ان تنشيء في احوال خصوصية ما تدعوه « قلم الاستخبارات » . او الاستعلامات قصد الوقوف على سير المرض في جسم الدولة او الامة . واتخاذ الحيطة لتدارك الطوارىء وتلافى الخطب قبل وقوعه .

ويدخل تحت قلم الاستخبارات ، كلياً أو جزئياً ، التجسس او الجاسوسية ، ورجالها المتلصصون المتلقفون وهم احقر ما استخدمت الهيئات المنظمة من الوسائل . وقد اعتاد الناس ، في عهد الانتداب الفرنسي بسورية ان يسمعوا من يوم الى يوم ، ذكر قلم الاستخبارات ، وتنقلات موظفيه من كتاب ومترجمين ورؤساء . ويتعذر على قلمي وصف الطعنة النجلاء التي اصابت الانتداب الفرنسي ، وكرامة فرنسا من دائرة الجاسوسية المندرجة في ملف قلم الاستخبارات فاكتفي بالاشارة اليها .

ان دناءة الطبع البشري هي عيب مشاع ، لا تختص به امة دون غيرها . وهذا العيب حمل افراداً من موظفي ذلك القلم على استغلال هذه الوظيفة في مصالحهم . ولكن المفوضية وفرنسا وراءها مسؤلتان بنقائص موظفيها . الذين كانوا يستخدمون الجاسوسية

لاغراضهم الدنية ، واضرار ذلك تصيب الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة . فسار اولئك الافراد في خدمة شهواتهم على حساب الفوضية شوطاً بعيداً . ومع ان الجاسوسية في ذاتها عيباً فقد كان هؤلاء فيها عيبا في عيب . حتى ان مرض التجسس وهو الداء الدفين ايحسب صحة بالنسبة الى حال اولئك السفلة الاوغاد . الذين الفوا دولة في الدولة ، او سلطة في السلطة . ورفعوا علم فرنسا على سعايات تعاب بها حتى بنات البغاء . فلوثوا ذلك العلم ووصموا اسم فرنسا وصمة لا اراها تمحى فى عشرات السنين . فجنوا على الاوفياء الابرار متسلحين بما استمدوه من الانتداب ، تحت استار قلم الاستخبارات فاضروا بمصالح الافراد والاسر ، وتطاولوا على كرامة ارباب الكرامة ، وداسوا مصلحة البلاد وشرف الدولة المنتدبة ودنسوا امجاد الانسانية .

شواهد

رافقت مستخدماً فى هذه الدائرة ، ولم اكن قد اجتمعت به قبلا ، اما هو فكان يعرف عني كل شيء ، كما سترى . فسلم علي سلام الاحباب ، فرددت السلام . وللحال شرع يتلو علي سمعي من غرائب الاخبار ، واسرار العائلات ، وفضائح المحصنات ، ما لم يخطر لي على بال . ولا يأذن الادب بتسجيله على القرطاس .

كانت رفقتنا فى القطار خمس ساعات ، قضى كلها تقريباً فى سرد تلك الغرائب على سمعي . لقدعشت في بلدي خمسين سنة، واخذت عن والدي واجدادي الذين عاشوا قبلي مثل هذه المدة . فعندي

معلومات مائة عام لكنني وجدتني امام ذلك الجاسوس طفلا قليل الالمام فى عوادي الايام . فهو ، وهو غريب ، كان يعرف كل اسرة، وافراد كل اسرة ذكوراً وإناثاً . وكان يعرف من اسرارها ما لا يعرف ابناؤها ولا آباؤها . وكل ما قصه علي من تلك المعايب لا علاقة له بمصلحة الانتداب ، ولا بادارة البلاد. بل هي حوادث شخصية عائليه ، وشؤون بيتية ، بما يجري بين الام وبنتها ، واخيها وابيها . فكأنه كان يعيش مع كل عائلة ، وينام على كل فراش ، كل ليلة فى كل بيت . فيرى عورة كل رجل وكل امرأة وكل فتى وكل فتاة . وكانه يسجل على صفحات قلبه اخبار تلك المعايب واحدة فواحدة . وكان يتلوها على مسمعي . وانا دهش مما اسمع ، واكاد لا اصدق اذنى .

واذ اسأله : هل درى والد الفتاة بأمرها ؟ .

يجيب : كلا ، ان اباها لم يعرف ولكن امها عرفت ؟ .

فقلت له فكيف اتصل بكم هذا الخبر الذي يجهله الوالد ؟ .

فقال : عندنا عجائز، من حيزبونات كل حي يتغلغلن فى البيوت ، ويقفن على المخفى من اخبار ساكنيها ، ويأتين بها الينا لقاء دراهم ندفعها لهن ، وبهذه الكيفية نعرف ما يجري على كل فراش كل ليلة .

فلما افضى الرجل الي بهذاالحديث شعرت ان كل شعرة في رأسى وقفت كقضيب حديد .واعادت الى الذاكرة اخبار « الحاكم بامره » . وحكايات الف ليلة وليلة . واخبار ديوان التفتيش والجمعيات السرية في أوربا . فرأيت فى دائرة الانتداب ما كنت

اجلها عنه قدراً . والحق اقول ان ما اطلعني عليه حضرة الافندي كاد يفلق دماغي . ويسرني الآن اني نسيت اكثره . واود من كل قلبي ان انسى الباقي حرصاً على اعراض بنات وطني .

وممن كان جنابه يقبض راتبه ؟ . من فرنسا

وممن كان يدفع لاولئك العجائز ؟ . من اموال فرنسا

ولمن كان ينقل تلك الاخبار المنتنة ؟ . لرجالات فرنسا .

فما اتعس حظ فرنسا ، وما اتعس حظ سورية بها وهذا ديدنها ؟ .

يا فخامة المفوض .

اعرف وجيهاً في بلدي لايذكر فرنسا بخير ، ولايريد لها خيراً لم اجتمع به مرة الا وكان حديثه مراً ، شديد العداء لفرنسا ، ولم يجتمع مرة باحد رجالكم الا فاتحه بمر الانتقاد . ومع انه هادي الروح ، مسالم ، كان مع ذلك شديد الوطأة عليكم . فرابني أمر الرجل ولم اعرف السر في ذلك . فلما اجتمعت بمحافظة أسرار الانتداب ، وقص علي من اسرار عائلة ذلك الوجيه ماتحمر له وجنات الاملاك رأيت في ذلك بعض العذر له وماادراك ان الرجل عارف باصابع المفوضية الممتدة خلسة الى خباء زوجه وبناته ، وهي تغدر بكرامته وهو راقد على مضجعه في وجنة الظلام ؟ .

قلت اني نسيت كثيراً مما تلاه علي ذلك الافندي . وهو صحيح اني نسيتها ، ولكن تأثيرها السيء مازال منقوشاً على صفحات ذاكرتي . فلما حضر مسيو برونيه ، من قبل لجنة برلمانية في باريس ، الى بيروت سنة ١٩٢٥ . ونزل في القومسارية العليا نشر في الصحف انه مستعد لمقابلة كل من يريد ان يبدي له رايا في مصلحة البلاد

بوواجب الانتـداب . اعني انه كان يريد ان يتزود اراء وافـكار الاهالي ليمكنه ان يولف رايا اجماليا يعرضه على اللجنة البرلمانيـة فحالما قرأت اذاعته توجهت الى القومساريه وطلبت مقابلته ، وبعد بضع دقائق كنت في حضرته . وهذا هو حديثي معه : —

خباز . اتتفضل باستـدعاء ترجمان يامسيو برونيه ؟ . قلت له هذه العبارة بالفرنسية

برونيـه . مؤكـداً ، فليحضر الترجمان يوسف غصوب حالا . وقبلما حضر الترجمان سالته

خباز : هل تعرف اللغة الانـكليزية يامسيو ؟ .

برونيه : اعرف قليلا منها ، ويمـكنني أن أفهمك

خباز : اذا نتخاطب بها . وكان غصوب قـد حضر ، فسألتـه بلطف ان يعود من حيث أتى فاننا — مسيو برونيه وانا — يمكننا ان نتفاهم بالانـكليزية . فودع حضرة الترجمان وقفـل راجعاً . فاستأنفت حديثي مع مسيو برونيه

خ : لولم تـكن ذا مزية ، يامسيو برونيه تستند اليها اهليتك ، لمـا اناط بك رجال البرلمـان هـذه المهمـة الفحص عن الموقف في سوريه — فانا عالم انني امام رجل عظيم

ب : شـكراً لك على ذلك

خ : وقد سرني انك فتحت الباب على سعته ، وابحت مقابلتك لـكل من يريد . ولذا بادرت بالمجيء اليك ، حسب رغبتك

ب : على الرحب والسعة انى ارغب فى الوقوف على أراء الاهالى فى الانتداب فيمكنك أن تصارحني بافـكارك

خ : لست ذا غرض اومطمع شخصى ، فاني لست من موظفي الحكومة ، ولا من الطامعين في وظيفة ، اومصلحة ، ولم أشتغل بالسياسة في حياتى ، بل أنا خادم العلم والادب في وطني ومن هذه الناحية أكلمك ، وافضى اليك برأيي

ب : ونعم الناحيـة هى . فانني أروم ان اسمع أراء السوريين من كل النواحى .

خ : في انتـداب فرنسا على سورية امران مصلحة وشرف . فالمصلحة لنا والشرف لكم . وهـذان الامران قرينان متلا زمان يعدم الواحـد منهما بانعدام الآخر . فاذا ضمنتم مصلحتنا ربحتم شرفكم ، واذا اضعتموها خسرتموه .

ب : من كل بد يامسيو خباز، وارجو أن لاتضيعها ولا تخسروه

خ : فنحن على أتم وفاق نظرياً . وهذا يشجعني على التقـدم الى ما ارمي اليه من رأى فكيف تصان مصلحة السوريين ياسيدى ؟ او ماهي الذريعة التي تتوسل بها فرنسا لضمان تلك المصلحـة ؟.

ب: ماذا تظن ؟. انى احب ان اسمع رايك ؟.

خ : هذه هي كلمتي الى فرنسـا بواسطتك وهى كلمة واحدة تضمن مصلحتنا وشرفكم معاً . وهي الصراحة» اعنى ان تكونوا مخلصين . صادقين ، تعنون ماتقولون ، وتثبتون علي قولكم . فلا تكلمونا بالشفاه ، بل من القلب. فاذا أحسنا فقولوا لنا أحسنتم ، واذا اسأنا فقولوا لنا اسأتم . ولا تلبسوا علاقاتكم بنا غير أثوابها

ان التلون والتمويه ، يامسيو برونيه ، هما شأن الضعيف المتهيب. فلا مسوغ يبيح لكم هذا الموقف المنخفض . نحن السوريين

سريعو الخاطر ، فنشعر حالا بما يكنه صدر مخاطبنا ، فنعرف من يحبنا ، ومن يبغضنا : وشاعرنا يقول · لااسأل المرء مما في فؤاده ففي ظاهراته ما ينم عن حقيقة حاله، فلا تتكلفوا الترسم وتخاطبونا بغير ، أوبخلاف مافي قلوبكم . فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم الصلة الروحية بيننا ، فتصبح علاقاتنا جافة ممقوته ، وينحو مصيرنا نحو النزاع ، ولستم لهذا في سورية . بل انتم على ما اعتقد لغرض اسمى وامجد

ب : من كل بد يامسيو خباز . نحن نعلم ان شرفنا رهينة قيامنا بواجب الانتداب حق قيام ولذلك جئت من فرنسا لاقف على واقعة الحال واعطي رايا في ما يلزم

يتفرع عن كلامي ، يا مسيو برونيه ، تحذيركم من الداء العضال الذي هو يفسد السياسة ، ويدك صروح الانسانية والكمال وهو

— الجاسوسية —

ذلك هوالوجه السلبيللمسألة ، ووجهها الايجابيهوالصراحة اني أعنى أن تخاطبنا فرنسا وجها لوجه ، وتسمع خطابنا من افواهنا دون ما واسطة او تلون . اعني ان لا تضع بيننا وبينها ما يفسد الصلة الحية الضرورية بين الفريقين لاستكمال غرض الانتداب . لا يضع الاب والام جاسوساً على اولادهما ، ولا يكلمانهم بخلاف ما فى قلبيهما نحوهم ، وهكذا يفعل الصديق نحو صديقه ، اذا كان مخلصاً وشريفاً :

الجاسوسية يا حضرة النائب عمل دنى ، لا تقدم عليه الدول الراقية الا في احوال استثنائية كالعلاج الخطر ، الذي يؤخذ وهو

غير مرغوب فيه لا من الطبيب ولا من العليل ، ولكن الحاجة الماسة دعت الى استعماله على ان استعماله فى غير تلك الحال التي استلزمته ضار ، وقد يكون قتالا . فليس من الحكمة استعماله فى غير وقته . ونطس الاطباء يضعون السم في العلاج لدى الضرورة وبمقادير قليلة ، يحتملها جسم العليل . فاذا تجاوز احدهم الحد ، وزاد في كمية السم في الدواء ، قتل عليله وكان جاهلا .

فالدولة الحكيمة الرشيدة ، يا مسيو برونيه ، لا تستند الى الجاسوسية في مواقف تفتقر فيها الى الاستقامة والفضيلة . والتعويل على الجاسوسية سياسة خرقاء . لان طغمات الجواسيس كالفواصل الشاذة يحولون بين القلوب فيحولون النافع ضاراً ، والحق بطلا ، الخير شراً والنفع ضراً . ولم تصنع الجاسوسية خيراً لروسيا وتركيا واسبانيا ، بل كانت مزالق لتلك الدول هوت بها من حالق مجدها ، فقد دحرجت تيجانها وحطمت صوالجتها ، وانقلبت عروشها شر منقلب . فانطفأت مصابيح مجد في الاسر والدول . ولن يكون خطبكم منها اخف من خطوب اخواتكم المنكوبات على ضفاف البوسفور والنيفا وتاغوس . لان النتائج تتبع المقدمات

فخير لنا ولكم ان تحذفوا هذه الصلة النجيسة من بيننا ، وتعتمدوا الصراحة والجد فى علاقاتكم بنا واعمالكم بيننا . وعليكم ان تفهموا مستشاريكم الاداريين والفنيين في الداخلية ان يتبعوا هذه الخطة الحميدة ، ويعرجوا عن المسالك المظلمة المعوجة الدنية فانها لا تؤدي الى غير خزيكم وخيبتكم . هذه هي كلمتي الى فرنسا واليك يا سيدي

برونيه : هل تتفضل بكتابة هذا الكلام باللغة الفرنسية فاصحبه في عودتي الى باريس . مع مذكراتي التي اعني بجمعها ؟

خباز : لا اراك ، ولا ارى قومك مفتقرين الى سوى حسن القصد وصفاء النية . مع ذلك فسأترجمها لك حسب رغبتك .

وقد فعلت . وارسلتها اليه بيد مسيو لاريسى احد اساتذة الجامعة العلمانية الفرنسية ببيروت ، وهذا الرجل — لاريسى — وعدني ان يسلمه اياها بالبرلمان ، ويسلم منها نسخة الى رئيس البرلمان ، ورئيس الوزارة ، ورئيس شرق فرنسا الاعظم والامر الذي الفت انظار مسيو بونسو اليه هو ان مستشاريكم ، الاداريين والفنيين بسورية ، لم يحصروا جاسوسيتهم في المسائل السياسية الدولية ، بل تعدوها الى هتك الاستار ، وفضح الاحرار ، واباحة الاسرار الشخصية والعائلية التي لا يجيز كشفها ادب ولا انسانية او مسها او التعرض لها بوجه من الوجوه . ولا سيما ما تعلق بمن ، ولا شأن له في السياسة .

الا ترى يا فخامة المفوض ، فضيحة عذراء في حجر والدها عيباً عليكم ومضراً بالمصلحة التي تخدمونها ؟ .

الا يحكم ضميرك الحر يا مسيو بونسو ، ان دفع المفوضية الدراهم للعجائز بيد التراجمة ليمكنوها من كشف عورة الاسر وصمة عار في جبهة فرنسا ان كانت تعاب او يؤثر في جسمها عار ؟ .

فما لكم وللبنات ؟ . وما لكم وللامهات ؟ . وما لكم ونهش الاعراض ؟ .

اولا ترى يامولاي ان الجاسوسية مظهر ضعف الحكومة ، وعدم

ثقتها بنفسها ، وعدم اخلاصها للامة التي تخدمها ؟ . وهل تظن ان الحاكم الامين النزيه يعبأ بتجسس أحوال العائلة ، ويفسد قلوب الناس بالرشوة ويلهو بالسفاسف عن اقدس واجبات الحاكمين ؟ .

ولكي تتجلى لك سماجة هذا العمل ودناءته حول المسألة نحو نفسك . فافرض ان لك اختاً وأماً في باريس . وان اقواما اجانب اموا عروس عواصم اوربا ، واتصلوا بتينك العزيزتين عليك : ولنفرض ان اولئك الاقوام من السوريين . وانهم اتصلوا بالنسوتين اللتين يهمك كثيراً امرهما. ولنفرض ان السوريين بباريس استأجروا من عجائز الحي منسقطات متلقفات يتغلغلن في البيوت والمخادع . فذهبن الى بيت امك واختك ، وكشفوا من امرهما ما كان مستوراً او نسبوا اليهما ماهما براء منه. فماذا يكون اولئك الاقوام الفواضح في عينيك ؟ . اتعتمدهم ؟ . وتحفظ لهم العهد والميثاق وتعاملهم بغير ماعاملك به بنو قومي ؟ .



السبب السادس

دمار الامة السورية اقتصاديا ، بسعي الانتداب

قالوا للورد كرومر ، ذات يوم ، ان في مصر ظاهرات ثورة ، فهزأ بهذا القول لان « الشعب لا يثيره الا الجوع ، فمتى نفد الخبز من السوق فاعلموا ان الثورة على الابواب اما اذا كان الشعب شبعان فمهما يكن من امر سياسته فلا تخشوا ثورته ، اذا طبقنا هذه النظرية على سورية قلنا ، مهما تكن اسباب النفار بينها وبين فرنسا ، فالسبب الاقتصادي هو الذي يحملها على الثورة ، وستكون الاقتصاديات آخر اسباب الحروب في الدنيا وهي كما قال الشاعر : —

يا ليل ما لك آخر   يرجى وهل للصب آخر ؟ .

فللمسألة الاقتصادية علاقة مباشرة بالثوره ، من كل بد ، لانها ذات علاقة لصيقة بحفظ الحياة ، وحرص الانسان على حياته اول فطرة في نفسه ، وهذا الموضوع بحر بعيد الغور ، عديم السواحل ، متراكم اللجج . قد يتعذر خوض عبابه على اكبر الكتاب . فلا يتوقعن القارىء مني استيفاء البحث فيه ، والاحاطة به من كل جهاته . فان ذلك يملا المجلدات الضخمة ؟ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . فاقتصر على اشارة مختصرة تتعلق بالدخان — شركة الريجي والورق السوري — والالتزامات النافعة — ونحو ذلك من المواضيع التي تتجلى فيها اضرار الانتداب الاقتصادية بسورية ، ضرراً يحمل اودع الامم ، واكثرها مسالمة ، على الثورة

لا يجهل سوري ما كان لشركة حصر الدخان ، المعروفة « بالريجي » من المساوي في حكم الاتراك العثمانيين الاخير بسورية فقد كانت تلك الشركة دولة في دوله ، وكان مفتشوها كزبانية الجحيم ، ومديرها كالحاكم بامره ، فكم اساءوا وكم ظلموا ، وكم جنوا ، وكم شوهوا جبهة الانسانية ؟ .

لا يسع هذا القلم بسط ذلك هنا ، ولا هو المراد الآن ، ولو سالت السوريين ما الذي تكرهونه اكثر من الموت ؟ لاجابوك فوراً « شركة الريجي »

ومما يستحق الذكر ان لبنان كان مستثنى من احكامها ، في عهد الاتراك لانه كان مستقلا ادارياً ، تحت رعاية الدول المعظمة وهي فرنسا وروسيا وانكلترا وبروسيا وايطاليا والنمسا فبينما كان السوري يضام ويسام الخسف ، في الولاية ، ويخسر كثيراً من جراء تعديات عمال الريجي عليه كان اللبناني آمناً ساكن الروع ، يرفع رأسه تيهاً واعجاباً بحريته ، وشرف تربته التي لا سلطة للريجي عليها ، بل كثيراً ما كان الناس في جوار الجبل يلجأون اليه هرباً من مظالم الريجي وهو احد الاسباب للقول الشائع « طوبى لمن له مرقد عنزه في لبنان »

فلما سقطت الامبراطورية العثمانية ، وانتثر عقدها ، فانسلخت عنها الاقاليم والامصار العربية ، كسورية والعراق والحجاز وغيرها ، تنفس اهلوها الصعداء ، آملين انهم سيحصلون على اقل تقدير ، على مساواة لبنان من هذا القبيل وبالتبعية انهم سيستريحون من اثقال الريجي الممقوتة . ولم يخطر لهم على بال ان الحال سيكون عكس

ما املوا ، فتعم اللعنة لبنان بدل تخلص الولاية منها ، « ويصبح الـكل في الهوا سوا » . ولـكن هذا الذي حصل . وعوض تحرر الداخلية من ظلم الريجي شمل ذلك الظلم لبنان ، وغلت يد عامله الفقير عن الانتفاع بأرضـه . ولكي لا اكون متحاملا فاقول ما لم يقله اللبنانيون ، اورد المقالة التاليه بقلم لبناني : —

الزراعة اهم موارد الحياة لسورية ، بل هي قوام معيشتهـا ، ومداد نما تجارتها . ولكن الزراعة على الاساليب القديمة ، مع قلة الايدي العاملة ، بسبب تيار المهاجرة الجارف ، وهبوط اسعار الحاصلات ، ومزاحمة الواردات الاجنبية من حاجيات المعيشة للبضائع الوطنية جعلها قليلة الجدوى . فصار الفلاح يرى أن ترك هذه المهنة المجهدة العديمة الجدوى ، مع جهله غيرها من مرافق المعيشة وتوليته شطر المهجر ، امراً لا مناص منه ولا سيما بعدما فقدت الفائدة الجزيلة التي كان يجنيها من « الدخان » الذي كان يعول عليه كثيراً ، ويفضله اضعافاً على زراعة غيره . وهو الذي كان يتدارك به محل موسمه من الاصناف الاخرى . وكل مفـكر في زيادة ثروة البلاد يراها تكاد تنحصر في هذا الصنف ، فما هو حال الفلاح الوطني وحاصلاته وهو يرى في دخانه الذي عانى في زرعه العنـاء والـكد ، وادارة الريجي تصليه الحرب العوان وتقيم سدوداً في وجه تصريفه ؟ .

ان اهل القطر السوري لا يطلبون من دولة اقامت نفسهـا وصية على بلادهم الا ان تعاملهم عما يعامل به الوصي القاصر فاذا رأت فيهم قصورا عن اداك معاني الادارة وابعدتهم عنها

يكون ذلك بعد الاختبار التام ، والا لم تراع المصلحة المنوطة بها واذارأت حبل اقتصا ديانهم مضطرباً تحتفظ به تعين عليها أن تتعهده بالاصلاح فلا يضطرهم الى الهجرة القاتلة فما هو رأي اهل هذه البلاد في الامرين ؟ . فاذا تركنا حديث الوظائف فهل تترك حديث الدخان ؟ . والدخان مقيد بالاحتكار تجارية الشركة بكل ما اوتيت من السلطة الواسعة .

واذا كانت محدودة الاصل — عن علم بطرق المحاربة ، وهو علم واسع ، والحيية المنتدبة واقفة حيال هذا الامر موقفاً لا يراه الوطنيون في مصلحة أوطانهم ، بل في مصلحة الشركة نفسها ، التي هي الواقع حكومة في قلب حكومة . وماذا يحول دون ترك الحكومة زراعة الدخان حرة ؟ . تذمر اهل البلاد ، التي تعنى بزراعته ، من الشركة ، وقام ذوو المكانة منهم وكل من يمثلهم في المجالس العالية من المقامات ، ومن لهم التأثير في الرأي العام يحاضرون ويكتبون في الصحف ، ويفيضون ما شاءوا ان يفيضوا به من بيان مضافاً الى ذلك شكوى الاهلين من الشركة ، والتماس مساواتهم بالبلاد التي رفعت عنها قيودها الثقيلة ، وأبانوا الطرق التي تعتاض بها الحكومة مما يفوتها من منافع الادارة ، فماذا اجدى ذلك كله ؟ . وهل بعد ذلك كله مجال للشك في ان موقف الحكومة . تجاه هذا المرفق العظيم ليس في مصلحة البلاد ، وان وراء كل هذا السكوت ماوراءه ؟. وهل قول احد النواب في وسط المجلس اللبناني ان الحكومة تضحي بمصالح البلاد مراعاة لاسهم في شركة الريجى يحملها الفرنسيون هو ماترمي اليه حكومة الانتداب ؟ .

هذا بعض ماعثرت عليه في احدى الصحف العربية بقلم سوري وهو يعطي صورة واضحة لشعور السوريين فى مايتعلق بشركة الريجى وعلاقة الانتداب بها . وان الانتداب بسبب النفع الشخصي لافراد فرنسيين ضحى بمصالح سورية ولبنان . تلك المصالح التي أنيط به الدفاع عنها فيكون الانتداب والحالة هذه وسيلة لاهتضام منافع البلاد وانتزاع اللقمة من فم الامة الفقيرة . ولهذا التصرف نتيجة عرفها الجنرالان ميشو وغاملان .

جاء في ختام جلسات مجلس الاتحاد السوري فى دمشق الشام ما نصه : — « ختم مجلس الاتحاد السوري فصل الجلسات الحاضرة بعد ان قرر الغاء حصر الدخان من الولاية » وهذا المجلس هو الذي اراده الفرنسيون لحكم البلاد ولكن هذا القرار لم ينفذ لان المفوض السامي رفضه . بل ذهب الى اكثر من ذلك على خط مستقيم . فانه امضى عقداً مع شركة الريجى ، جدد به امتيازها . وقد فعل ذلك بدون علم مجالس الامة النيابية ، وبدون ادنى سؤال عنها . فالمفوض السامي فرنسي ، وقد عطل قرار مجالس الامة السورية ، في مصلحة شركة فرنسية ، وجدد امتيازها ، الذى هو فى الحقيقة قتل الامة السورية ، ودوس حقوقها وكرامتها . ومع ذلك فهو مفوض سام بيده ازمة امورها . فاذا تعمل الامة بعد ذلك غير الثورة ؟ .

هنا مواقف استجلاء الحقيقة .

ان قرارات المجلس النيابى لا تكون نافذة الا اذا صدقها المفوض السامي . فقرارات المجلس مهما تكن ليست الا حبراً على

ورق . فيحملونها الى فخامته ، فينظر فيها نظرة يعرفها ، غير مقيد بشريعة ولا دستور . فلا يراجع ، ولا يناقش ، ولا يعرف غير ارادته المطلقة حاكماً . وواضح انه غير مقيد بمصلحة الامة التي قبض على ازمة امورها . بل بالعكس هو منحرف طبعاً عن تلك المصلحة مراعاة لمصالح مزاحميها على الحياة فهو اذاً خصيم وحكم في وقت واحد . وفي ذلك منتهى ما يمكن تصوره من الاجحاف والظلم. والمفوض السامي ، مع السلطة العسكرية التي هو رئيسها ، اقوام فرنسيون فهم يوثرون منافع ابناء بلدهم على حياة الامة السورية التي هم ضامنوها . فالامة مقيدة بالمفوض السامي وهوغيرمقيد بها ولا بربهاوالنتيجة انه بالرغم من انين الامة المحتضره اقتصادياً ، وبالرغم من الام المزارعين ، وبالرغم من صيحات الجرائد والكتاب ، وبالرغم من قرارات المجالس النيابية في الشام وبيروت ، وبالرغم من الواجب الانساني القاضي بانصاف الضعيف ، صاحب الحق ، و الرغم من واجب الانتداب للشعب السوري ، ذلك الواجب الذي يرتبط به شرف فرنسا ، فيسلم بسلامته وينعدم بانعدامه ـ لان هتك مصلحة سورية يجرح شرف الدولة المنتدبة ـ اقول بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من المسؤولية الملتحقة بالمفوضية في عين التاريخ ، وفي عين الرأى العام ، وفي عين التمدن ، بالرغم من ذلك كله ، حدد المفوض عقد الريجي ، وظلت تلك الشركة « الحامية » تمتص دماء امة لصق جلدها بعظمها ، واشرفت على الموت . فداست الشركة بقدميها مصلحة سورية ولبنان ، بمساعدة وعضد دولة الانتداب التي تعهدت بالدفاع عن مصالح سورية ولبنان . فترى ان السلطة

الفرنسية في سورية ليس فقط لم تقم بواجبها الرسمي ، بل انها هي نفسها بنفسها عطلت ذلك الواجب ، وعاكست مصالح لاجلها وجدت تحت سماء سورية . فهدمت امة اؤتمنت على صون كيانها ، وسدت منافسها لتخنقها خنقاً . ونخامة المفوض السامي يتعجب من ان سورية تحارب فرنسا فماذا يتوقع ان تعمل امة خنقتها حكومة اجنبية ؟ .

سال ألدكتور قدوره في أواسط شهر حزيران سنة ١٩٢٢ مندوب الحكومة قائلا : — ما السبب في ان شركة الريجي ودائرة الديون العمومية بقيت بسورية ولبنان مع انها الغيت بفلسطين ؟ . فلم يعط جواباً على سؤاله هذا :

وفي ١٥ ك ١ سنة ١٩٢٢ وجه الامير فؤاد ارسلان سؤالا للحكومة قال : — اتخذ المجلس قراراً بخصوص الريجي والديون العمومية في اجتماع اذار الماضي ولم يعط جواباً على ذلك وها قد مضى ثمانية اشهر . ثم قال : —

ان جواب الحكومة غير واف بالمرام . فلو صح ان هذه المسألة معلقة على تصديق معاهدة لوزارن فلماذا الغيت فى فلسطين والعراق ؟ . سبق لي ان قلت فى خطابي في اب سنة ١٩٢٢ اذا كان للريجي حق عندنا فنحن نرضى ان نجرى حساباً عند المفوضية العليا ، واذا كان لها علينا شيء دفعناه لها . ولكن المظنون ان تكون هى المديونة . وحتى الآن لم تتمكن الريجي من اثبات قانونية وجودها عندنا . اذ لم يصدق على تعديد مدة امتيازها المجلس العثمانى ثم ان في اتفاق الريجي مع الدولة العثمانية شرط صريح ما له

انه اذا انسلخت ولاية عن جسم الدولة العثمانية ، وكان للريجي في تلك الولاية حقوق تعود الريجي على الدولة العثمانية لاستيفائها حقوقها . وهل انسلاخ اكثر من انسلاخنا عن تركيا ؟ . فلماذا لا يعمل بهذه المادة ؟ .

ان المعروف ان لهذه الشركة منافع لبعض متمولي الفرنسيين فلاجل منافع ذلك البعض يضحى بمقدرات الشعب اللبناني . ولو ان في الامر منفعة للشعبين الفرنسي واللبناني ، لعذرنا الدولة المنتدبة بمساعدتها شركة ، او شركات ، فرنسية بما فيه ضرر الشعب اللبناني بكامله . وحضرة المفوض السامي اعرف الناس بحالتنا الاقتصادية التي تحتاج الى موارد ، عدا حاجة اشغال اليد العاملة المكتوفة . ايجوز أن نرى شركة بدون حق قانوني تأخذ اهم موارد البلاد ، والدولة المنتدبة تساعدها علينا ؟ . انهم رغم قرار المجلس ، ورغم شكوى الاهالي والجرائد ، لا يوقفون الريجي عند حدودها المزعومة. بل نرى انها تتعدى لبنان القديم ، الذي لم يشعر بوطأتها في الزمن العابر . فاصبح اليوم معرضاً لهجمات الريجي . ولا من يدافع عنا

فمع ردي هـذا على جواب الحكومة أسألها تكراراً لماذا لاتجيب بصراحة عما سبق بيانه . واسألها الايضاح عن مآل التلغراف المنوه عنه اعلاه . ماهو الاتفاق الممضى مع الريجي ؟ . وماهي مقاولة الجمرك ؟ . وباي حق يمضي المفوض السامي مقاولات بدون ان يكون لحكومة لبنان والمجلس المنتخب علم بما يجرى بموارد البلاد العائدة اليه ؟ .

وهذه صورة التلغراف ” امضى المفوض السامي اتفاقاً مع الريجي والجمرك الذى أصبح مأموراً بالمحافظة على حقوق الريجي لقاء مال يقبضه “

اكتفى بهذه الاشارة اللطيفـة الى مسألة الريجي وهي كافيـة لتبرير القيام على فرنسا لوكانت وحدها . فما قولك وقد أضيف اليها ما هو أفظع منها واكثر اتلافاً لمصـالح السـوريين ؟ . فـرأى السوريون، كما رأى كل عاقل ، انهم بين امرين ، الموت سكوتاً والموت تحت ظل الثورة ، فآثروا الثانى وراوا الواجب يدفعهم للموت في محاربة انتـداب اوثقهم يداً ورجلا ، وضرب مصالحهم الاقتصادية ضربة قتالة .فركبوا هـذا المركب الخشن الذي لم يركبوه في عهـد السلاطين العثمانيين ، لان تعديات اولئك لم تبلغ تعديات فرنسا ، وماتجره تلك التعديات .

الورق السوري

القي نظرة واحدة على الريجى ـ شركة حصر الدخان ـ والف نظرة على ورق البنك السورى . فان هذا اعم من الدخان لاضطراركل واحدان يتعامل به فهو امس من الدخان بمصالح السوريين فيهمنا في كتاب كهذا ان اعرف شيئاً عن أصل الورقة السورية وفصلها

كان في جملة بنود البلاغ النهائي المقدم من الجنرال غورو للملك فيصل في تموز سنة ١٩٢٠ مادة تختص بالورق السوري وسبب وضع هذه المادة في البلاغ هو ان ناظر مالية الملك فيصل — فارس بك

الخوري — كان قد اصدر قراراً به يحظر التعامل بالورق السوري ، مستنداً بذلك الى قواعد مالية ، وحقوق دولية ، معمول بها ومقررة في كل ممالك الارض . ومن تلك القواعد ان البنكنوت يجب ان يكون مضمونا بالذهب ، أو بورق أجنبي يستند الى الذهب ، كالجنيه الانكليزي والدولار الامريكي ، والين الياباني . وبما ان البنك الذي سموه البنك السوري اصدر الورق السوري بترخيص الانتداب ، وذلك الورق غير مضمون بالذهب حسب الاصول وبما ان خسارة المتعاملين به لا بد منها ، اذ لا يوجد تقاء كل ثلاثمائة لير اوراقاً الا ليرا واحدة ذهباً ، هذا عدا المضاربات المعلقة بصعود الورق وهبوطه ، لذلك أصدر ناظر مالية الملك قراراً حظر به قبول الورقة السورية ، او التعامل بها ، في الدولة السورية . قد فهم القارىء ان المسألة من خصائص فن الاقتصاد ولا أدرى الى أي فن استندت الدولة الفرنسية في الزامها الامة السورية ان تتعامل بورق غير مضمون !! . . . اترك البحث بهذه المسألة ، فنياً ، لارباب الفن . واقتصر على تبيان العلاقات التاريخيه والمنطقية بين السبب والنتيجة اى بين تصرف المفوضية وبين الثورة ، لان هذا غرض التأليف ، فاقول

جرت العادة في البلدان المتمدينة ان يصدر بنك الدولة ، اوبنك اهلى تعتمده الدولة ، كالبنك الاهلى المصري مثلا ، ورقاً يتعامل به الناس ، ويسمونه بنكنوت ، او بنك نوط . ومعني الاسم ورق البنك . ومن المعلوم ان الذهب اساس البنكنوت . أي ان الدولة لا تأذن للبنك باصدار اوراق مالية مالم يكن عنده احتياطاً لكل جنيه ورق جنيه ذهب . ويلتزم البنك في أي حين قدم اليه

ورقة من ورقه ان يبدلها بالذهب .. فيتعامل الناس باوراق البنك ماشاءوا ، ومتى احوجهم الامر كما لو أرادوا السفر من البلاد،أوان يرسلوا أثمان بضائع اجنبية ، او ماشا كل ذلك من الاسباب ، يذهبون الى البنك الذى اصدر تلك الاوراق ويستبدلونها بقيمتها ذهباً . ويستلزم ذلك طبعاً أن يكون احتياط البنك معادلا قيمة الاوراق التي اصدرها . وللفنيين في ذلك قواعد وتعليمات يعرفونها ، ليس من اغراضي الايغال فى حصرها . والذى أريد أن أقوله ان الدولة هي المراقب على البنك . وعلى هذا الاساس يأمن الناس على أموالهم . فاذا فقدت الحكومة الامانة والشرف ، كما فعلت المانيا وروسيا ومكسكو ، عرضت مصالح الناس للضياع . كما حدث لليرا العثمانية ، والروبل الروسي ، والكرون النمساوي ، والمارك الالماني ، والبيسو المكسيكي . فخسر حاملو تلك الاوراق كل أو بعض قيمتها ، وكانت الاضرار والمراثر الناجمة عن الخسارة ما لايجهله أحد في البلاد . فلما اصدر البنك السوري أوراقه المعروفة ، وهى غير مضمونة بالذهب ، وناظر مالية الملك فيصل عالم بأمرها ، كان قراره مشروعاً ، بل واجبا ، دفاعا عن مصلحة الامة . ولكن المفوضية الفرنسية وهي عادمة الحجة والبرهان فى هذا الموقف عمدت الي المدافع والمتفجرات . لكي تبرهن لنا انه يجب علينا التعامل بتلك الاوراق ومعلوم عند القارىء الحصيف ان السيف حجة من لاحجة له ، ودليل من أعوزه الدليل . لذلك جاء في التميتم الجنرال غورو الذى ارسله الى الملك فيصل وجوب التعامل بالبنكوت السورى . وعب سقوط مملكة فيصل ، وتوطيد عرش الانتداب الفرنسي ، الزم الناس

ان يتعاملوا بالورق السوري . فخسروا أموالهم بالورق وربحها البنك . فان البنك اصدر الورقة بسعر ٣٦ غرشاً صاغاً مصريا . فهبطت قيمتها الى ٩ غروش . وخسر الناس بها ٧٥ فى المائة من قيمتها . واشتراها البنك من ايدي الناس بتسعة غروش رفع قيمتها الى ٢٥ غرشا . فربح البنك بذلك ، وقبضها الناس من البنك بهذا السعر ثم هبطت اسعارها وعلى هذه الكيفية اصبحت الورقة السورية منشاراً بيد البنك يقطع فيها الباقي من خشب الحياة السورية نزولا وصعوداً .

اصدر البنك السوري على ما اعلم اوراقا قيمتها خمسة وعشرون مليون ليرا سورية . اما رأس مال البنك فهو ٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية . فيكون الاحتياطى بالبنك ليرا فرنسية ، ورقا ، لكل خمسين ليرا سورية وبما ان الذهب الاحتياطي بالبنك الفرنسي بباريس ليرا ذهباً لكل ست ليرات ورقا كانت ال ٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية مضمونة بسدسها ذهبا اي ان كل ليرا سورية مضمونة بجزء من ثلاثمئة جزء من الليرا وبعبارة أوضح كل ثلاثمئة ليرا سورية قيمتها الحقيقية ليرا واحدة ذهبا . جاء فى مباحث البرلمان الفرنسى ، من فم السيد فكتور بيرار ان البنك السورى تأسس في أحوال ، وعلى شروط لم يكن الممولون الذين اشتركوا فى تأسيسه يتوقعون أفضل منها . فقد دعت حكومة فرنسا بعض ذوى الاموال للاكتتاب بمبلغ عشرة ملايين فرنك (٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية ورقا) ثم سألتهم رفع هذا المبلغ إلى ٢٠٠٠٠٠٠٠ مليون فرنك (١٠٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية ورقاً) وعلى هذه الصورة البسيطة تم انشاء البنك السورى

الذى يقوم الآن باعماله تحت حماية ممثل فرنسا بسورية . ثم اعطوا لهذا البنك امتيازاً باصدار الورق النقدى . وقالوا له ان يصدر المبالغ التي يريدها بشرط أن يدفع ضمانتها للخزينة الفرنسيه . من سندات الدفع الوطني . فقدم البنك من هذه السندات ماتوازى قيمته ٢١٥ مليون فرنك . أي ١٠ ملايين ليرا ورقا . وتدلنا ميزانية هذا البنك الذى رأس ماله (٢٠ مليون فرنك بنكنوت — ١٦٠٠٠٠ جنيه مصري تقريبا) ان معدل ربحه كان ٢٨ مليون فرنك اي ١٤٠ في المائة . عدا ٦ فى المائة قبضها من حكومة فرنسا عن الضمان . فيكون ربح البنك في السنة ١٤٦ في المائة

ومن الذي خسر هذه القيمـة ؟ . سورية . لان البنك كان يلاعب سورية بمقامرة تجهلها ، ويداها مغلولة باحكام الانتداب . فـكانت خسارة الاموال ودمار المصالح امرا محتما كالموت بحكم الانتداب تخسر السوريون المساكين ، المظلومون ، المقهورون ، دراهمهم واشرفت بلادهم على الافلاس . ولا يمكن اعفاء فرنسا من المسؤولية على تصرفها هذا، فانها استعملت السيف لارغام الناس على تسليم اموالهم للبنك الفرنسى . وعمل فرنسا هذا هو في جوهره وحقيقته نفس ما عمله البوليس المكسيكي . واليك حكايته . لما شعر السوريون ان البيسو المكسيكي على وشك الموت شرعوا يمتنعون عن قبضه . ولكن المكسيكيين الذين كانوا يحملون البيسو جملوا يرغمونهم على قبضه بقوة البوليس . اخبرني سوري قال : صرنا نقفل مخازننا وندعي اننا مرضى ، فكانوا يجروننا من بيوتنا ، ويرغموننا على فتح مخازننا ، والمسدسات مشهرة على اعناقنا بيد

البوليس . فكانوا يطلبون منا ما شاؤوا من البضائع . فاذا لم يجدوا مطلوبهم طلبوا نوعاً آخر ، وحملوا بضائعنا ودفعوا لنا اثمانها اوراق البيسو . وفي صباح اليوم التالي الغي البيسو ، وصارت قيمته قيمة المارك الالماني ـ اعني صفراً ـ فاصبحنا مفلسين . هـذا ما عمله بوليس مكسكو . وهو نفس ما عملته فرنسا فانها ارسلت الجيوش بقيادة الجنرال غارنيه ورفاقه مصحوبين بالطيارات والدبابات وغيرها من معدات القتال ، لترغم الامة السورية على قبول الورق السوري. وفازت فرنسا بالمعركة طبعاً . والتزمنا ان نقبض من حبيبتنا فرنسا الورق السوري والمبلغ ٢٥ مليون ليرا قيمتها يوم اصدارها خمسة واربعون مليون دولار امريكي . واليوم قيمتها بايدينا ٢٠ مليون دولار فقط. فتكون الخسارة بقيمتها فقط خمسة وعشرين مليون دولار امريكي . هـذه القيمـة حصلتها منا فرنسا « بالحديد والنـار » فـكيف لا نستميت في حبها ؟ . فهل فهم مسيو بونس لماذا حاربناها ؟.

لا وابيك فان هنالك ما هو ابدع من ذلك جداً . فان من اغرب ما سطرت الاقلام في سياسات الشعوب ما فعله الجنرال غورو بلبنان . وهو ان الحكومة اللبنانية كانت قد احتاطت لنفسها وذخرت مبلغاً من الاموال بالنقد الاجنبي - مصري وانكليزي وامريكي ـ الثابت القيمة ، المضمون بالذهب . فصدر امر فخامته ، الذي لا يرد، في ١٥ ت ١ سنة ١٩٢٠ « بابدال الاوراق المصرية التي بخزائن الحكومة باوراق سورية من خزائن الجيش الفرنسي « الظافر » ومحكمة فعل . فلم يكن للبنانيين التاعسين ندحة عن الطاعة . فحملوا اموال الامة بايديهم الى خزائن الجيش . ودفعوها لهم ـ وهي

ذهب . وبعضها اثمن من الذهب . وقبضوا بدلها اوراقاً سورية . لاقيمة لهافربح الفرنسيون وخسر اللبنانيون ولكن الامر كان بالقسر والارغام . فهذا العمل يحسبه السوريون ان لم اقل تحسبه العدالة من نوع اللصوصية ، وبما ان البنك السورى لمساهمين فرنسيين كما مر بك فتكون فلسفة الامر هكذا : ان الجنرال غورو امر حكومة لبنان ان تدفع ما عندها من الذهب لافراد فرنسيين وتقبض بدله ورقا لا قيمة له . وفلسفة فلسفة الامر هي هكذا بما ان الجنرال غورو ليس الا موظفاً فرنسياً :« ان فرنسا سلبت بالقوة والاجبار اموال السوريين ودفعت تلك الاموال المغتصبة بالقوة لابنائها وتركت احبابها اللبنانيين صفر اليدين : »

افيرى سيدى بونسو ذلك كافياً لحمل السوريين السلاح في وجوه اخوانه الفرنسيين ؟ .والافما الذى يحسبه سبباً كافياً للحرب ؟

جردني من القومية . وان شئت فاجعلني حجراً . فماذا تعمل باقلام السوريين الذين ملاوا الدنيا صياحا . وهوذا جملة بقلم احدهم قال :—

سنوا (الفرنسيون)قانوناً لايفاء الديون التي من قبل الحرب . فقرر القانون ان تدفع الجنيهات الذهبية بالورق السورى . اى ليرا سورية بدل الجنيه الذهب وكانت النتيجة ان البنك العثماني — هو البنك السورى بعد الحرب — وامواله لمساهمين فرنسيين ، كان عنده ودائع وامانات تبلغ قيمتها مليونين من الجنيهات ذهباً. فدفعها لاربابها السوريين مليوني ورقة سورية .وصافي ربحه بها ١٣٠٠٠٠٠ جنيه ذهباً من دماء الشعب السورى : »

ومسيو بونسو يتعجب كيف يحارب السوريون فرنسا !

وجاء في مقالة ثانيه لكاتب آخر ما نصه : —

ماذا فعلت فرنسا فى الاربع سنين (اى منذ احتلت سورية الى سنة ١٩٢٢) ؟ . الجواب

اولا : اخذت الذهب الي بلادها

ثانيا : ملات البلاد اوراقاً سورية لا قيمة لها

ثالثاً : البعثة الفرنسية هي الواسطة لاستنزاف ما بقى لنا من الثروة

رابعاً : انشأت البنك السورى الذى ربح فى سنة فقط مليون ليرا

خامساً : انشأت المجلس التمثيلي لتتوكا عليه وهو لا يستطيع البت فى ابتياع رغيف خبز دون موافقة المفوض السامى

سادساً : لزمت الطرقات والكبارى لرجالها بمبالغ عظيمة مع انه كان يمكن ان تلزمها الوطنيين بمبالغ صغيرة . وصقالة طرابلس برهان واضح على صحة ما اقول . فقد لزمتها السلطة للفرنسيين بمبلغ مائه وستين الف جنيه ورفضت طلب مقاولين سوريين بمبلغ ستين الف جنيه . والفرق بين المبلغين فقط مائة الف جنيه . »

هذا بعض ما قاله كاتب سورى . ولئلا نتهم بعدم محبة فرنسا نحن السوريين — اورد هنا ما كتبه لبنانى من عشاق « الام الحنون » قال : —

« الانتداب فى لبنان »

« لو ان جمعية الانتداب (في سويسرا) علمت بما ترتكبه

الدول باسم الانتداب على البلاد الخاضعة لسلطانها ، لو ان جمعية الامم علمت ان الانتداب اصبح استعماراً مقنعاً لناقشت تلك الدول فرنسا الحساب عما يرتكب عمالها من الامور المغايرة لكل نظام . وهنا اورد الكاتب شواهد واقعية تثبت استئثار الفرنسيين بالامر ولاسيما طمعهم بالمال وتحيزهم لابناء جنسهم ضد مصلحة البلاد وضد العدالة وضد الناموس والشرف وضد مصلحة فرنسا نفسها اكتفيت بالاشارة اليه مع المقدمة الواردة اعلاه . .

ذكرت امرين فقط وهما الريجي والورق السوري . واشرت اشارة الى امرين آخرين هما الديون العمومية والالزامات . وهنا لك طرق اخرى بها افقرت المفوضية سورية وسلبت اموالها ساذكرها في الجزء الثاني ان شاء الله .

والنتيجة هي قيام السوريين على الانتداب ، وهو ما يتعجب منه مسيو بونسو

. . . .



السبب السابع

تحيزها لابناء فرنسا ضد العدالة

واحلالهم محل ابناء البلاد في اجتناء ثمرتها

يراعي التشريع في كل امة مصلحة ابنائها اولاً، وايثارهم على من سواهم ، في قطف ثمرات البلاد من صناعة وتجارة ووظائف وزراعة وتعدين وتحريج ، الى غير ذلك من مقدرات البلاد .

وكل تشريع يخالف هذه القاعدة فهو صادر عن عدو الامة والبلاد . ولا يمكن دولة فاتحة ، او محتلة ، ان تربح القلوب وهي تجني على تلك الامة بما تسنه من القوانين او تصدره من القرارات المنافية مصالح ابناء الامة والبلاد . كما فعلت المفوضية الفرنسية في سورية ولبنان . فكأنها كانت ترمي الى اثارة السوريين عليها ، او الى قطع اواصر الحب التي تقرن قلوبهم بها : مثال ذلك ما يأتي

(١) المحاكم المختلطة

نرى في الاخبار التي نشرتها الصحف السورية ما نصه : « اصدر المفوض السامي قراراً حدد فيه يوم ١ شباط سنة ١٩٢٤ موعداً لبدء المحاكم المختلطة في سورية ولبنان . والشائع ان المحامين في بيروت ، سيضربون عن العمل ١٠ او ١٧ يوماً احتجاجاً على هذا العمل » .

وجاء في الصحف ايضاً ما نصه : —

« سأل الامير فؤاد ارسلان مندوب المفوضية في المجلس عن المحاكم المختلطة ، وسبب انشائها ، دون اخذ رأي المجلس . وقال ان هذا العمل مناقض لصك الانتداب ، الذي لا ينص على مثل هذه المحاكم التي تعتبر مهينة للبنانيين ، ولارقى هيئة فيهم – وهي الهيئة القضائية – وذكر ان الامتيازات الاجنبية الغيت من تركيا . فهل يكون للدول ثقة بالترك اكثر من الثقة التي لهم بالدولة المنتدبة. وختم الامير مذكراً فرنسا بشعارها – حرية مساواة اخاء –

بعده

« تقرر ان تضرب نقابة المحامين في لبنان اسبوعا واحدا احتجاجاً على انشاء المحاكم المختلطة » .

وجاء في جريدة الاحوال – صديقة فرنسا – :

« ان مسيو ركلان المستشار السابق للعدلية في سورية استقال بسبب انشاء المحاكم المختلطة على شكلها الحالي ، من دون مراعاة مصالح لبنان وعواطفه . وانه سيغادر بيروت الى فرنسا . وان فريقا كبيراً من المفكرين يقيمون حفلة تكريمية لهذا البطل الحر .

وقالت الجريدة نفسها تحت عنوان « كل شيء يزول وحرف واحد من الناموس لا يزول » : ان وزارة العدلية تلقت امراً بان هذه المحاكم ستباشر عملها في اول شباط القادم ،فقامت في صحف سورية ضجة كبيرة حول المحاكم المختلطة التي صدر القرار بانشائها . وقد نشر المحامي نجيب خلف دعوة الى زملائه المحامين بالاضراب احتجاجاً على هذه المحاكم .

وحملت جريدة البرق حملة صادقة على هذا المشروع . وعقدت

نقابة المحامين في دمشق اجتماعاً برئاسة الاستاذ فارس بك الخوري للنظر في قضية المحاكم المختلطة . وبعد البحث والدرس تقرر ان يتولى مجلس النقابة مواصلة الاحتجاج الى المفوض السامي ، ووزارة الخارجية الفرنسية على هذا الامر ، وان يكتب الى رئيس الاتحاد السورى طالباً منه الامتناع عن توقيع اية لائحة ، او قانون او نظام ، اوامر يودي الي قبول هذا المشروع ، كليا او جزئيا . وان وان يكتب بمثل ذلك الى مجلس الاتحاد السوري ، وان يطلب منه الامتناع عن تصديق هذا القانون ، وعن قبول كل نفقة او راتب لخدمته . وان يكتب كتابا لحاكم دمشق لتقديمه الي المجلس التمثيلي حين اجتماعه يطلب فيه اعطاء قرار من المجلس بالاحتجاج على هذا المشروع وعدم الموافقة عليه ، ومفاوضة نقابة المحامين بحلب للاتفاق معها على مقاومته ، واذا أصرت السلطة عليه فالاضراب » .

غيره

اجتمع قضاة المحاكم المختلطة فى لبنان بالقضاة الوطنيين فى قاعة المجلس النيابى . وتولى شارل افندي دباس مدير العدلية مهمة تعارف الفريقين . فدارت بينهم أحاديث مختلفـة ، صرح بعض القضاة الفرنسيين في خلالها انه ثبت لهم بالاختبار ان القضاء في سوريـة ولبنان يضارع القضاء الفرنسى في ارتقائه . وان القضاة الوطنيين جديرون بالاعجاب الفائق لما هم عليه ، من سعة الاطلاع ، وطول الباع فى الشؤون القضائية .

وقال كاتب هذه المقالة : « كنا نتردد في اثناء ايام الاضراب الثلاثة على قصر العدلية ، فيبدو لنا السكون الرهيب : اذ لم يكن

هناك سوى رجال القضاء ينتظرون المتقاضين وهم جلوس على منصات الحكم وعبثا انتظروا » . برهنت البلاد على نفورها من انشاء المحاكم الاجنبية بلسان صحافتها ، واضراب المحامين . واظهرت لولاة الامور ، والملا اجمع ان جلوس القضاة الاجانب على منصات الحكم في مجالسنا القضائية هو اغتصاب حق شرعي شاءت الاقدار ان يهضم

وصدرت جريدة الوطن البيروتية مجللة بالسواد يوم الاضراب حداداً على الكارثة النازلة بالقضاء الاهلي . واضرب المحامون ثلاثة ايام .

وجاء في مقالة لاحد الكتاب السوريين في صحيفة عربية بمصر بتاريخ ١٤ آب سنة ١٩٢٢

« القضاء احد الأركان الثلاثة التي تقوم عليها سيادة الدوله . وهو اول مظاهر السيادة والاستقلال وعنوان رقي الامم ، والميزان الذي توزن به كفاءتها، فحفظه شرط اولي لسلامة الامة والبلاد . وقد وجد الفرنسيون حين نزلوا بسورية ولبنان محاكم وقوانين تفي بحاجة البلاد . ووجدوا قضاة اكفاء امتازوا بالنزاهة والاستقامة ، ونالوا اعجاب القريب والبعيد . وقد اثنى عليهم الجنرال ويغان في محاضرة القاها في فرنسا فقال في كلامه عن القضاة « ولا يسعني في هذا المقام الا ان اجاهر ، كما يطلب مني الانصاف ، بأنه يوجد في سورية ولبنان قضاة ممتازون جداً ». وقد كان العقلاء ينتظرون السلطة المنتدبة ان تقرر هذه النظم المستمدة من التشريع الفرنسي. وتولي هؤلاء القضاة الذين تخرج معظمهم من فرنسا ـ ثقتها .

فتنشطهم وتشجعهم فينهضون بالقضاء نهضة تحفظ له كرامته وكرامة الامة التي يمثلها . ولكننا عوض ذلك عمدوا الى انشاء المحاكم الاجنبية التي كانت اول طعنة طعن بها القضاء الاهلي وقد احتجت جميع الهيئات التمثيلية في سوريه ولبنان على هذا النظام ، مبينة عدم انطباقه على كرامة الامم المستقلة . واضرب المحامون عن العمل ، وصدرت الصحف مطوقة بالسواد حداداً فلم يثن ذلك السلطة عن عزمها فوضعت هذا النظام ، ونفذته في وسط ضجيج البلاد لا تعبأ باحد . ولا تكترث لاحد ، معتمدة على سلطانها القائم على القوة الحربية. ولم تقف المفوضية عند هذا الحد . فاعدت مشروعا جديداً يؤدي الى القضاء على القضاء الاهلي . ويقضي المشروع الجديد الذي وضعه مسيو فروجلو ، رئيس محكمة التمييز اللبنانية العليا ، بادغام القضاء الاهلي بالقضاء الفرنسي (وسيأتي بيان ذلك) وتعيين قاض فرنسي في كل محكمة لبنانية وسورية . واستعانوا ببعض الموظفين القضائيين ، فجالوا بمضابط بها يطلبون مزج القضائين ، ويطلبون توقيعها من الناس لتستند اليها المفوضية ، وتدعي انها عملت ما عملته نزولا عند رغبة الاهالي .

فاعرض عن توقيع تلك المضابط كبار القضاة ، وهي تماثل ما كانت تركيا تجريه يوم ذبح الارمن ، فتكتب لوائح تشهد بعدالة عمل الحكومة ، وتثني على استقامتها ثم ترسل تلك اللوائح التي كتبتها الى الآباء الروحيين ليوقعوها تحت التهديد الشديد اذا هم ابوا ذلك . فاحتجت نقابة المحامين على هذا العمل .

. . . .

الادغام القضائي

مر بك الكلام عن المحاكم المختلطة ، التي انشأتها المفوضية الفرنسية في سورية ، ضد رغائب اهاليها . وهنالك عمل آخر يحاكيه شذوذاً ، « وهو الادغام القضائي » . والفرق بين المحاكم المختلطة والادغام القضائي ، هو ان المحاكم المختلطة تحسب اجنبية ، وان كان فيها عضو وطني . واما في الادغام القضائي فالمحاكم محسوبة وطنية . ثم ان المحاكم المختلطة لا تكون في مراكز القضاء . ولا توجد الا في العواصم . اما القضاء المدغم فيوجد في كل محكمة . وهذا هو قانون تأليف المحاكم حسب الادغام القضائي .

جاء في صحف البلاد ما نصه . نشر المشروع القضائي ، وقد اقرته باريس . وهو يقضي بتأليف المحاكم ، كما يأتي .

اولا . محكمة التمييز العليا

الرئيس الاول : وطني
الرئيس الثانى : اجنبي (اى فرنسي)
النائب العام : اجنبى
المحامي العام : وطني

ثانيا . محكمة الاستئناف

الرئيس الاول : وطني

الرئيس الثاني : اجنبي
المدعي العام : اجنبي
المحامي العام : وطني
ويكون لهذه المحكمة ثلاثة معاونين ، احدهم اجنبي ، والاثنان الآخران وطنيان . ويكون لها سبعة اعضاء مستشارين وطنيون وثلاثة اجانب

ثالثاً . المحكمة البدائية

رئيسان اجنبيان ، ورئيس ثالث وطني
النائب العام . وطني
ستة اعضاء وطنيون . وثلاثة اجانب
معاونان اجنبيان . وثالث وطني
وفي محاكم الملحقات احد عشر اجانب ، بحيث يكون ملحق واحد في كل محكمة .
وقد اضرب محامو بيروت يوم اعلان هذا القرار

. . . .

لا اظن ان مسيو بونسو تصور امامه صفقة واحدة كل هذه الاسباب والعوامل ، او بالحرى البواعث ، التى هي حلقات متواصلة تؤلف سلسلة نسيمها الادارة الفرنسية في سورية . وغاية هذه الادارة ، منطقياً الثورة . ولو نظر فيها فخامته نظرة نزيه منصف لاستحال ان ينكر على السوريين قيامهم على فرنسا او يستغرب به . بل بالحري كان ينكر على فرنسا تحاملها على السوريين ، بدليل ما

رأيناه من حسن نيته في اجابته السوريين الى مطالبهم ، والاحتفاظ بحقوقهم في ادارة شؤون بلادهم . فيحملنا حسن الظن على الاعتقاد انه لما ابدى تعجبه من قيام السوريين على فرنسا لم تكن هذه الاسباب نصب عينيه. بل كان ناظراً الى القضية من جهة واحدة فقط

فارجو فخامته ان يراجع تاريخ حماية انكلترا سلطنات ملقا في القرن التاسع عشر . فانها من ابدع ما ازدان به تاريخ الاستعمار في كل القرون . ثم يتأمل كيف اكتفى بها اقوام تلك الاقطار السحيقة ، والشقة بينها وبين انكلترا ابعد جداً من الشقة بين سورية وفرنسا . ولينظر الفرق العظيم بين عمران تلك الاقطار وخراب سورية ، وبين نجاح تلك وتقهقر هذه . وبين مقام انكلترا الادبي هناك وبين المنزلة التى انحدرت اليها فرنسا فى ربوع اقوام كانوا يحبونها قبلما عرفوها . وبين السلام المخيم فوق بينانغ وجوهر وسيلانغور وسنغابور وبين الثورات والقلاقل التى اكتسحت جبال العلويين وجبل الدروز والغوطة ووادي التيم وحلب والشام

حكاية حماية انكلترا اقسام ملقا

دخلت ملقا وبنانغ وسنغابور في حوزة شركة الهند الانكليزية سنة ١٧٩٥ وانضمت معاً سنة ١٨٢٦ وتخلت عنها الشركة للدولة الانكليزية سنة ١٨٦٨ . فيكون قد مر عليها الى الان ١٣٣ سنة راتعة في بحبوحة من الهناء والفلاح ، يحسدها عليها لبنان

كان في جوار هذه الاقسام اربع سلطنات وطنية وهي بيراك وسيلانغور ونيجري سمبليون وماهانغ . وكان سلاطين هذه

الاقسام في نزاع مستمر بينهم ، اورثهم الفقر والانحطاط . وفى سنة ١٨٧٨ لجأ الى انكلترا اثنان من سلاطين تلك الاصقاع ، هما : سلطان بيراك وسلطان سيلانجور . فطلبا الحماية الانكليزية . وجاء فى عريضتهما ان الحامل لهما على طلب الحماية هو حسم المنازعات مع جيرانهما ، والحصول على نظام حسن لادارة شؤون البلاد .

فلبت انكلترا طلبهما ، وارسلت لكل منهما مستشاراً من انكليز المضائق المار ذكرها ـ وهي سنغابور وملقا وبينانغ ـ واوصته بعدم التعرض لشؤون البلاد والعبارة التى الفت نظر مسيو بونسو اليها وهي « عدم التعرض لشؤون البلاد الاهلية »

وليأذن لي فخامته ان اكرر هذه العبارة بحروف اكبر

« عدم التعرض لشؤون البلاد الاهلية »

ناسمع ماذا كانت نتيجة السياسة الانكليزية .

اوصت انكلترا المستشارين الذين عينتهم لتلك السلطنات ان يحصر كل منهم همه بالشورى فقط ، وسن نظام للميزانية بمساعدة لجنة من موظفي المضائق . ويترك الادارة والقضاء للاهليين فسكن ثائر الهياج سريعا ، في بلد تعود اهله الحرب وشن الغارات . وذلك عكس ماجرى بلبنان البلد الذي كان هادئا امينا فصار بعد حلول فرنسا مباءة لجرائم الثورات والنزاع وسفك الدم .

فنمت مداخيل بيراك وسيلانجور ، وبعد كونهما بؤرتى فساد صارتا ميدانا اقتصاديا راقياً ـ أفلم يعمل اللرد كرومر هكذا بمصر ؟ —

فلما رأى سلطان نيجرى سمبليون ذلك نحا نحوهما ومد يده للانكليز طالبا الحماية ، فاجابوه الى ذلك ، فعمت الخيرات بلاده . وسنة ١٨٩٠ قال سلطان ماهانع لانكلترا « وانا » . فقالت له « وانت » . يعني انه طلب الحماية اسوة باخوته فمنت بها عليه . وشملت الحماية الانكليزية السلطنات الاربع ، غير المضائق التي ذكرت آنفا .

وفي سنة ١٨٩٦ قادتهم انكلترا مختارة الى تأليف محالفة — كونفدراسيون — بينهم . واعضاؤها هم الآتون .

١ حاكم المضائق ومقره سنغابور
٤ سلاطين السلطنات الاربع
٤ مستشارو كل من السلاطين الاربعة
٤ اعضاء ، من كل سلطنة عضو

١٣ المجموع ثلاثة عشر عضواً

ينحصر عمل هؤلاء في ميزانية الدخل والخرج وسن القانون ، او الدستور . مع ترك كل سلطان حراً في سلطنته

لم اسمع ، ولا احد في الارض سمع ، ان تلك السلطنات ندمت على دخولها تحت حماية انكلترا ، او انها ثارت عليها او حاربتها . فلما رأت أقوام تلك الجهات ما رأت من نزاهة انكلترا وحكمتها وحسن ادارتها ، ومحافظتها على حقوق الاهالي ، وانها تركت لهم حريتهم في ادارة بلادهم ، سارعوا هم ايضاً لطلب حمايتها . فاستظل بتلك الحماية اربعة اقسام اخرى هي كيدا ، وبرمي ، وكالانتان ، وترانجور فعينت لها انكلترا مستشارين كسلطنات

المخالفة واوصت اولئك المستشارين ان لا يتدخلوا فى شؤون الاهالي.

وواضح ان انكلترا لم تخسر بحسن سياستها ، كما ان لا دولة تخسر شيئاً بحسن سياستها . فقد جنت انكلترا من ذلك يانع الثمار فاحرزت مجداً لم تحلم به دولة اوربية . وامنت طرقها الى الشرق الاقصى . وارسلت الي سنغابور اكبر حوض بحري فى الشرق لاصلاح البواخر والبوارج . وكل ظاهرات الحال هنا لك تدل على فوز الادارة الانكليزية .

فيا فخامة المفوض السامي ،

هل فعلتم فى سورية كما فعلت انكلترا عملا ؟. لو ان لك ضميراً يقول « نعم » لكان يحق لك ان تتعجب من ان السوريين حاربوكم . ولكن . . . وهنا اسف شديد لكلمة « ولكن » هل اوصيتم رجالكم ان لا يتدخلوا فى القضاء ولا فى الاقلام الاهلية كالاملاك والاعشار ونحوها ؟ .

اذا كنتم قد اوصيتموهم فحق لنا ان نتعجب منهم لانهم لم يحفظوا وصيتكم . ونتعجب لفرط حلمكم عليهم ، مع انهم خالفوا اوامركم وجنوا على كرامتكم. واذا كنتم لم توصوهم فنتعجب منكم وحدكم ولا تعجبك من السوريين الذين حاربوكم .

اتظن ياسيدى ان السوريين احط مدنية من اهالى ملقا فبخلتم عليهم بما جادت به انكلترا على اولئك ، او انكم رأيتم انكلترا مخطئة ونادمة على تدلها فاردتم ان تملوا عليها درسا جديدا في فن السياسة والاستعمار؟ .

انكم لم تقتصروا على التدخل في كبير الامور وفى صغيرها ،

كالقضاء الاهلي ، واوراق البنكنوت والريجي ، والكهرباء بل تقدمتم خطوة اخرى الى الامام فأخذتم بيد المحتكر ضد مصلحة البلد الذي اودع لرعايتكم . وبذلك خالفتم اشرف اقوال اشرف رجالاتكم . وهاك بعضها ضد الاستبداد ، والتسلط على الحريه في تفنيد الاحتكار الذي نصرتموه فاسأتم الى الشعب السوري المسكين

١ : قال ميرابو الشهير ..

الاحتكار يعطي الفرد ماهو حق المجموع فيقيد حرية الثاني في ما اطلقت له الحرية فيه . ليطلقها للاول في ماحرمته الطبيعة عليه فهو مخالف بمبدئه ، واحكامه ، ونتائجه ، للناموس الطبيعي

ولما كانت الحكومة قد وجدت لخدمة المجموع وصيانة حقوقه كان اقدس واجباتها ان تصون اولا حرية العمل لكل فرد من افراد المجتمع ، فلا تحدده ، وتضعف قوته بقيود النظام او القانون

٢ : وقال إدجنسون : —

ينبغي للحكومة ان تصون حرية العمل الفردي بحيث لا يشعر المجتمع بانها تحكم الا لصيانة هذه الحرية ضمن القانون

٣ : قال ميشال شيفاليه : —

ان مبدأ علم الاقتصاد السياسي ، وغرضه الوحيد هو ان يفرغ قواه في صيانة حرية العمل لانها في اعتباره خلاصة واساس الصناعة البشرية التي لا يفهم بها القوة البدنية ، والعمل المادي فقط بل تأثير العقل البشري في عالم المادة . ولما كان العقل حراً بطبيعته فانه يفتقر حتما الى حرية مطلقة في عمله وتاثيره كما تفتقر الطير الى الهواء في طيرانه

٤ قال فكتور كوزينو الشهير :

ان المخلوقات حره بطبيعتها . فالنظام الاكثر ملاءمة لها هو ماكان اساسه الحرية المطلقة . وهو تعليل منطقي يتفق كل الاتفاق مع روح العدل . والحكومة انما هي ممثله للمجتمع الانساني ، ومنفذة لمبدا العدل فيه بل هي العدل المجسم الذي انما وجد لصيانة هذه الحرية وحمايتها : وتمتيع كل فرد من افراد المجتمع بها

٥ : قال دينوب : ــــ

الحرية مبدا قوة المجتمع . لابالنظر الى المادة واستخدامها للانتفاع بها فحسب . بل النظر الى مايقصد به ترقية البشر وتحسين العادات والاخلاق والمزايا الادبية . اى ان الحرية هي مبدا القوتين المادية والادبية

٦ : قال تيرغو : ــ

كانت حرية العمل في ميلانو مطلقة في القرون الوسطى ، فلم تكن هنالك امتيازات، ولا احتكارات تعرقل سير العمل الحر وتقيده فكانت تضرب الامثال برواج المتاجر فيها فلما برزت الاحتكارات الى حيز الوجود ، بادت صناعتها الصوفية ، وكسدت تجارة المدينة وقضى على الحياة الاقتصادية فيها قضاء مبرما

هذه الاقوال الجميلة من رجال فرنسيين لهم اعتبارهم الخاص عند مسيو بونسو ، وعند كل ذي فهم واطلاع ــ هذه الاقوال ــ تفضح سياسة الانتداب في سورية ولبنان ، لانها نصرت الاحتكار وقضت على حرية الجمهور . خذ مثلا لذلك شركة حصر الدخان الريجي ــ التى خسر بها لبنان وحده كل سنة ٢٥٠ الف جنيه . وفي كل اربع

سنوات مليون جنيه . ولـكن هنالك باباً اقفل للامة ، وهو مناف كل المنافات اقوال اولئك الاقطاب (وهذا) نص مايدل عليه : —

بيروت سنة ١٩٢٠

وضعت الحـكومة المحتله في سورية حدا لثمن الحرير والمفهوم ان هذا اشبه باحتكار يعود ضرره على اللبنانيين خاصة ، والسوريين عامة لان تقييد الثمن ولا سيما قبل اوان الحرير يقلل حركة البيع والشراء الا لتجار معروفين قد يحضرون من فرنسا

يليه ماياتى: ٩ ك ١ ١٩٢٣

اصدر المفوض السامى — ويغان — قراراً بانه لا يمكن استيراد بزر دود الحرير الى لبنان وسورية ، برا او بحرا ، الا فى المدة الواقعة بين ١٥ ايلول و١٥ ك ١ كل سنة . اما اذا كانت هنالك اسباب خصوصية قاهرة نان المفوض يعطي رخصة للحكومة بناء على اقتراح احد مندوبيه لمسيو شفلر بالشام والجنرال بايوت بحلب

ولا بد لهذا الافتئات على حرية الشعب من ثورة افكار شديدة فاسمع ماهو اعتبار ممثلي الشعب تلك التصرفات وماذا جري لهم في الدوائر الرسمية

بيروت ك ١ ١٩٢٣

كانت جلسة الممثلين اليوم خطيرة جدا .فقد حضر مستشار النافعة المسيو دى لاتير . وتـكلم عن مسألة الاتفاق مع شركة الترام والـكهرباء . وقال ان حق الامتيازات وعقد الاتفاقات مع الشركات الاجنبية المحتكرة هو من خصائص المفوض السامي وارث تركيا في هذه البلاد . فرد عليه المجلس ، ولم يعترف بان المفوض

السامى هو وارث تركيا ، بل ان البلاد لها استقلالها وحكومتها الوطنيه . وكان المستشار يستند الى المادة ٣٠٠ من معاهدة سيفر فرد عليه الاعضاء بان هذه المعاهدة الغتها معاهدة لوزان وهذا مما يدل واضحا على نصرة الانتداب الاحتكار الاجنبي وعمله على دمار سورية اقتصاديا

هنا نقف قليلا ونعيد النظر فى ما اوردناه فهل يسمح فخامة المفوض ان اساله همسا ؟ . ياسيدي ،

لماذا يروم مفوضكم السامي ان يستاثر باعطاء الامتيازات وعقد الاتفاقات ؟ . أشفقة منكم على سورية ، وغيرة على مصلحتها لكى لا يصيبها غبن ، فى مالو عقدت اتفاقا ، او لكي يجود بها على بنى قومه الفرنسيين ؟ . فقد عرضت الحكومه التزام صقالة — مرفا — طرابلس المناقصة فقدم وطني التزامه بمبلغ ٦٠ الف ليرا ، وعرض فرنسى التزامه بمبلغ ١٦٠ الف ليرآ والفرق بينهما ١٠٠ الف ليرا ، فلو ان الالتزام من حقوق الحكومة الوطنية افكان من الممكن ان تقبل التزام شركة فرنسية وتدفع لها مئة الف ليرا زيادة عما عرضه الوطنى ؟ . واذا اعتبرنا تصرف المفوضية في الزام صقالة طرابلس مثلا لتصرفاتها في البلاد افمكن الاستئنان الي الانتداب ؟ . وهل امامنا الا الثورة لصيانة حقوق البلاد ؟ . ولو ان فخامة المفوض شفقة منه على مرافقنا يروم الاحتفاظ بها لحسابنا ، فلماذا لم يكتف بالمشارفة والاطلاع على تصرفات حكومتنا الوطنية فى اعطاء الامتيازات وعقد الاتفاقات كي لا يقع علينا غبن ؟ .

هل يشغل قلب فخامتكم هذا السؤال ؟ . وما هو جوابك عليه ؟ .

السبب الثامن

تمرض الانتداب للمسلمين في شؤونهم الدينيه

ومع غرابة هذه الخطوة كل الغـرابة — فانى اراها متناسبة مع مسالك الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان . لـكـنها في عين ساسة الشعوب اغرب اخطاء الفاتحون فى كل العصور . وليس اسهل من تقريب ذلك الايام ، على النحو الآتى . يؤلف المسلمون الاكثريه الساحقه من سكان الداخلية فيسوريه.وهم على الخصوص غير الراضين عن الانتداب الفرنسى . وقد قرروا رفضه ومقاتلته وابلغوا مجلس الدول في فرساى ذلك بواسطة لجنة كراين ، وقد مر بك وصفه فى بيان السبب الاول صفحة ٢٤ ـــــ ٢٩

واذا استقصينا أسباب نفار المسلمين من الانتداب الفرنسي رأيناها ترجع باعتبارات عديدة ، قريبة و بعيدة ، الى الدين ، وما يتعلق بالدين ، مباشرة او غـير مباشـرة . ومن عوامل ذلك الداء ومنابت جراثيمه مذابح سنة ١٨٦٠ ومجيء نابليون الى سورية سنة ١٨٠٠ والحروب الصليبيه ، وأتحاد الموارنةمعهم ضد المسلمين

وفي ظني ان حوادثالغزوات الصليبيه من اعظم اسباب العداء والتعصب في سورية سواء كان الذنب على اوربا اوعلى الشرق فالنتيجة واحدة .

واذا لم تـكن هي كل السبب ، فقد زادت المرض الاجتماعي الذى يئن منه الشرق زيادة باهظة فكاد يصبح داء عضالا ناصلت

جراثيمه في نفوسنا .

فكانت فرنسا وانتداب فرنسا مكروهين من المسلمين فهم خصومها الطبيعيين قبلما محسن اوتسيء . ولا سيما لانها بسطت انتدابها عليهم بحد السيف . وداست على جماجمهم يوم دخلت الشام . وزادت على ذلك انها طردت الملك فيصلا من البلاد واستاثرت بالامر فيها وليفتكر مسيو بونسو قليلا كرجل،اوكانسان وليس كمفوض سامي، ليفتكر في هذه النقطة البسيطة وهي مدفن يوسف بك العظمه ناظر حربية الملك فيصل الذى استشهد بالحرب. وفي ظني ان هذا القتيل خدم الوطن بموته اكثر من كل سوري . فان السوريين يزورون قبره سنوياً فيقولون :—

س · قبر من هذا الجواب : قبر يوسف العظمة
س : ولماذا دفن هنا ؟ » » : لانه هنا قتل
س » ومن قتله ؟ » » : الفرنسيون
س » قتلوه ؟ » » : لانه ارادان يدفعهم عن الوطن
س : فهو اذا شهيد » » نعم
س . والفرنسيون اعداء » » نعم

فليفتكر مسيو بونسو.وكل فرنسي في كنه المساله.فيعيدالسوريون كل سنة لذكرى الشهداء ،ويزورون هذا القبر ، وهذا هو حديثهم فمركز فرنسا في سورية هو غاية في الخطوره والدقه وعلى مسلكهم يتوقف مستقبلهم . فكم من الحكمة يلزمهم وكم كان يجب ان يحرص رجالهم على اللياقه والادب،وان يلزموا الحياد؟.ويتجنبوا كل ما يوقظ

البغضاء في الصدور ان كان يمكن تلك البغضاء ان تنام في نفوس السوريين عموما والمسلمين خصوصا . بناء عليه كان اي خطا تخطئه فرنسا اقرب الى التسامح من تعرضها المسلمين فيما هو مختص بشؤونهم الدينيه ، هذا هو حكم العقل السليم .

الدين وترحساس في كل امة ، وهو محور التاريخ العربي والاسلامي فالتعرض للمسلمين بشيء من ملابسات دينهم هو اخر انواع الخطا الذى ترتكبه دولة عاقله . ان الدين عند المسلم الحقيقي هو كل شيء ، والتعرض لدينه امر لا يحتمل ولكنه عند الفرنسيين اصغر الخطيئات كما سنرى . هذه هي مقدمة عمومية تتلوها مقدمة خصوصية وهي :—

عند المسلمين وظيفة عليا تدعي الامامة ، او الخلافة، ومن يتولاها فهو زعيم المسلمين في كل الدنيا يدعون باسمه فى المساجد نهار الجمعه وقت صلاة الظهر ، وينضوون تحت لوائه للجهاد حين يدعوهم . وكانت الخلافة وما زالت موقع اعقد المشاكل في التاريخ الاسلامي . هذه هي المنازعات بين الامويين والهاشميين . وهذه هى البدع التى اشتقت من الاسلام . بل انقسام المسلمين الي سنيين وشيعيين .

وكانت الخلافة فى سلاطين آل عثمان من عهد سليم الاول . هل انتزعوها من العرب بحق او بغير حق ؟ تلك مسالة لا يعنينا من امرها شيء وليست من اغراض هذا التاليف . ولكن الذي يجب ان اقوله هو ان الخليفة شخص مقدس عند المسلمين ، كالبابا عند الكاثوليك . وقد نص الدستور العثماني انه شخص « فوق القانون » . على ان

فى صدور الامة العربيه عموما ، والحجازيه خصوصاً حنيناً الى استعادة هذا الامتياز السامى. ولكنهم لم يكونوا يجرأون على اقتحام هذه المسألة الخطيرة لاسباب لاداعي لشرحها هنا ، ولا يسمح بها المجال

وفى سنة ١٩٢٣ قام القائد التركي الشهير مصطفى باشا كمال على الخليفة العثمانى فخلعه والغى الخلافة من تركية . فهب العرب لاغتنام الفرصه السانحة ، وجعلوا يبايعون الحسين بن علي ، ملك الحجاز يومئذ ، ووالد الملك فيصل ملك العراق . فبايعه الحجازيون والعراقيون والفلسطينيون وبعض السوريين . هل اصابوا بذلك ام اخطاوا ، وهل كان يجوز لهم التبرؤ من خليفتهم السابق اولا ؟ تلك مسائل لاتعنينا . وليس لنا حق التدخل بها . كما انه لا يعنينا الحكم في أهلية الحسين او عدم اهليته ، وهل في خلافته خير المسلمين اولا هي مسائل اسلامية ، وليس من الادب التعرض لها ومس عواطف جيراننا واخواننا . كذلك لا يهمنا البحث في هل بايعته الاكثرية اوالاقلية . لان هذه الموازنة لاتتعلق بغرض هذا الكتاب

فالموضوع الذى يهمني الفات الانظار اليه هو ان فرنسا هبت لمقاومة المسلمين في امر مبايعة الملك حسين . هذا هو موقف الدهشة والانذهال . فرنسا ! . الدولة التى انتدبت لسورية ضد رضا اهلها بل رغم انوفهم ، وهم يكرهون ارضا نحملها وسماء تظللها ، ويغتنمون كل سانحة لمناوأتها . فتحت لهم اوسع الابواب للقيام عليها . وهيأت لهم افعل الاسباب . وذلك بانها تعرضت لهم في هذه المسألة الخطيرة وهم يحسبونها مسألة اسلامية بحتة على ان فرنسا ، لفرط تعجب العقلاء فى كل جيل ودهشتهم : لم تتعرض لهذه المسألة الجسيمة

تعرضا غير مباشر ، او بصورة تقبل الترقيع متوسلة بعذر سياسي او اجتماعي . لاوا ايـلك . بل وقفـت في طـريق المسلمين سافرة وجرت بعزيمتها المنكرة في رابعة النهار ، بمظهر لم يبق ريبة لمستريب بان فرنسا اقدمت على عمل ان لم يعد جنونا فهو اكثر ما عرف في السياسة خرقا وركاكة

قد بلغني عنك يافخامة المفوض انك طويل الباع في الشؤون الاسلامية ، وواسع الاطلاع على المسائل الدقيقه : فلا بد انك تقدر عمل فرنسا هذا قدره حكمة اوجهلا فاترك ذلك لفطنتكم ولا ادري اذا كنت فكرت فيه لما ابديت تعجبك من ان سورية حاربت فرنسا اما انا فاري انه كان يجب ان تتعجب من تصرف فرنسا هذا بل اتعجب من تاخر الثورة . لانه كان يجب ان تنفجر من اجلها في ذلك الحين . والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان المسلمين لم يكونوا مستعدين للثورة وقولنا انهم لم يكونوا مستعدين إعاء الي ثقل ما تتحمله فرنسا من المسؤولية بانها احرجتهم فاخرجتهم عن طورهم : انهم لم يكونوا يفكرون بالثورة ولا خطرت لهم على بال : ولكن اذا اغضينا عن كل الاسباب فهذا السبب وحده كاف لاصلاء اوارها واضرام نارها

بل هو كاف لتدمير الشرق باجمعه وطموس امجاد فرنسا شرقي المتوسط . وقد قامت فرنسا بهذا العمل بذاتها لذاتها ، ولم يكن لها مشير فيه ولا دافع . ولو عقلت لما اقدمت عليه ، ولو كانت الرشوة ١٠٠ مليون جنيه ذهباً

تصوريا مسيو بونسو ، ان الحبر الاعظم الروماني ، قد توفاه الله ففي حالة كهذه يلزم انتخاب خليفة له يجلس على كرسي بطرس

جلوس الخليفة على عرش ابي بكر . ثم تصور انه بينما الكرادلة منفردون للصوم والصلاة لانتخاب قداسته ، اطبقت عليهم جنود دولة اجنبية وطوقتهم وامرتهم ان يعدلوا عن ترشيح فلان الذي يريدونه وانتخاب فلان الذي لا يريدونه ، اي انه يجب عليهم ان ينتخبوا الشخص الذي تريده تلك الدولة الغاشمة . ويجب ان نقول انها غير كاثوليكية . وان الكاثوليك فى كل الدنيا يكرهونها . وانه ليس هنالك ادني مسوغ او عذر يبرر دخولها في امر كهذا لا يعنيها ولا يجوز لها ان تلمسه او تدنو منه . ولكن تلك الدولة ، غير الكاثوليكية ، جدت كل الجد فى مقاومة انتخاب الشخص الفلانى بابا . وبرهن تصرفها على انها تعني الجد بان تحول ٣٠٠مليون كاثوليكى في الدنيا عن عزمهم . وتسوقهم لينتخبوا لهم بابا حسب ذوقها وهى لا ذوق لها فى الامر . فما هو رأي نخامتكم في ذلك ؟ لست اسألك اىجوز هذا ام لا . ولا اسألك أيليق اولا . لان الجواز واللياقة لا يدخلان فى الاستبداد . ولكنى اسألك اتؤمن عواقب ذلك ؟ . ايحتمل كاثوليك الدنيا تعرض دولة اجنبية لهم فى دينهم ؟ او تتوقع انهم يخضعون لعدوتهم ؟ . لا شك فى انك تقول لا . افتستغرب ان يحارب الكاثوليكيين دولة تعرضت لهم في دينهم ؟ . كلا . فهذا هو كنه المسأله السورية . ابدل اسم بابا باسم خليفة . وابدل اسم كاثوليك باسم مسلمين . فالسؤال هو : ايحتمل المسلمون تعرض فرنسا لهم فى انتخاب خليفتهم ؟ . وانها نهتهم عن مبايعة الحسين وامرتهم بمبايعة غيره ؟ .

ولئلا احسب متحاملا على السلطة المنتدبة ، وعلى فرنسا فى

أحكامي بهذا الشأن ، أخلي الميدان المسلمين ، فيتكلمون هم ، كلاماً لم يأخذوا رأيي فيه ، ولا رأي غيري . بل نشأ عن مجرد وجدانهم ومحض اختيارهم ، وهو يعرب عن رأيهم صراحة ، ودرجة استنكارهم عمل فرنسا . بل يجسم فظاعة الادارة الفرنسية في الشرق ويبرر الثورة عليها .

(١) : حمص ٣٠ نيسان ١٩٢٣

« وصل الى حمص مسيو شفلر مندوب المفوض السامي لدى حكومة دمشق ، لمفاوضة الحمصيين في قضية الخلافة ، واقناعهم بالعدول عن مبايعة الملك حسين . فاجتمع بهاشم بك الاتاسي . وشفيق بك ارسلان ، ويقال انه أعلن استياءه واستياء حكومته من خطة الحمصيين ، ومقاومتهم رغائب السلطة ، وتوعد باستعمال الشدة اذا لم يعدلوا عن خطتهم . ثم ذهب الى حماه للغرض نفسه »

هل في الشرق قلم بليغ ، كقلم دماس أو هوغو أو شكسبير ، فيعلن لاوربا والملأ أجمع بل يعلن لفخامة مسيو بونسو وحده ما في هذا المسعى من الرعونة والخرق السياسي ؟ . أمة من غير دينكم يا فرنسيون ، ومن غير جنسكم وغير وطنكم . أمة تحاملتم عليها ، ودخلتم عقر دارها ، وارغمتموها على قبول انتدابكم عليها بالنار والحديد ، فهي تكرهكم ولا كره الموت . هذه الامة تحلم بعدائكم وتراع ، من غير ان تبتدعوا أسباباً جديدة ، ثم تفاجئونها في أحرج المواقف ، بمس مسألة من أعضل مسائلها وأخطرها ، علاوة على كونها دينية محضة . ومع ذلك تتعرضون لها في نقطة هي

عندهم محظورة المساس على غير المسلم . وتتحكمون في حريتها واختيارها وتأمرونها بما لا يجوز عندها اطاعته ؟

أهذه منكم حكمة ؟ . أو هذا هو مؤدى الانتداب ؟ . فما هو شأن شفلر ، وما شأن حكومته النصرانية الاجنبية ، في أمر الخلافة النبوية ؟ . وعلى أى أساس يتوقع مسيو شفلر ان ينحاز هاشم بك الاتاسي وشفيق افندي ارسلان لرأيه ؟ . وهب ان هذين الذاتين حملهما الاغراء أو التحذير على المضي وراء شفلر ، فأية قيمة لعملهما هذا في عيون المسلمين ، في حمص وفى غير حمص ؟ .

ولو ان مسلمي الدنيا أجمعوا على مبايعة الملك حسين ، أفيمكن حمص ، وسورية معها ، ان تؤثر في الامر ؟ . بل هل تستطيع فرنسا ان تحول دون خلافة من يجمع عليه المسلمون ؟ . واذا كان مسلمو الارض لا يقبلون بالحسين خليفة ، فهل يضير فرنسا شفيق ارسلان ورصيفه هاشم بك ؟ . واذا امتنع مسلمو الهند والصين وجافا واخواتها فى الباسفيك ، وملقا والافغان والعجم والتاتار وتركيا ومصر والسودان واليمن ونجد ومراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازى ، وفي كل الارض ، عن قبول خلافة الحسين ، أفيصير خليفة بارادة حمص وبعض سورية والعراق وفلسطين والحجاز . فأين رجالات فرنسا ، وأين مستشرقيها ، يفهمونها عبث سعيها ، وفساد رأيها .

واذا فرضنا ان السوريين أخطأوا بمبايعتهم الحسين — وليس من صلاحيتنا الحكم بالخطأ والصواب فى الامر ، ولكن هب انهم أخطأوا — فخطأ فرنسا أكبر ، بل أفظع ، بل أجهل وأشد حماقة

وخرقاً من كل خطأ في هـذا الشأن . فتجوال شـفلر في سناجق الشام ، ليثني عزائم المسلمين عن مبايعة الحسين خليفة عليهم ، هو أسخف ما سجله التاريخ من اجراآت الاستعمار .

(٣) . حمص أيضا

ومن ظاهرات تلك الرعونة ما جاء عن حمص في وثيقـة ثانية : ـ

« بينما كان الحاج عزة افندي الاتاسي ـ أحد وجهاء حمص ـ خارجاً من بيته في فجر يوم الاحد الماضي ، لاداء فريضة صـلاة الصبح في الجامع اعتقله رجال السلطة الفرنسية ـ فمنعوه من أداء الصلاة ـ وأركبوه سيارة سارت به الى جهة مجهولة ، يظن انهـا « بيت الدين » بلبنان . فاستغرب الحمصيون هذا الامر جداً . ولا سيما لان هذا الرجل أبعد الناس عن السياسة ومشاكلها » .

فيا فخامة المفوض الحـكيم ماذا تظن يكون تأثير عملـكم هذا ـ اذا لم أقل تعديكم ـ في عائلة الرجـل ، لما أوقظ بنوه وبناته من نومهم قبل شروق الشمس ، وطنت آذانهم بان والدهـم الحنون ، سيق بأمر الدولة النصرانيـة ، الى حيث لا يعلمـون ، ومصير لايتصورونه ، فقط لانه لا يجري في أمور دينه على هوى فرنسا ، التي يحسبونها كافرة مستبيحة ؟ . ماذا يـكون وقع عمل فرنسا في بيت الحاج عزة . وماذا تكون نتـائج تلك الرنة في آل اتـاسي بحمص . وهم أكثر من الف نسمة على ما أعلم . يتبعهم من فلاحين

وخدم وبستانيين وغيرهم ألوفاً من النفوس . وكلهم يكرهون ويمقتون تعدي فرنسا . ماذا تظن . أفتحسب من يحاول اطفاء النار بصب الزيت عليها رجلا عاقلا . هذا هو عملكم ليس الماضى فقط بل الذى ما زلتم تعملونه حتى الساعة وقد كلفكم ذلك ألوف الملايين من الفرنكات .

(٣) : ـ في حمص أيضاً

اعتقلت السلطة المحامي الوجيه شكرى بك الجندي . وحظرت على كل انسان مقابلته أو مراسلته . وساقته في جنح الظلام الى حيث لا يعلم ولا تعلم عائلته . والجندي كالاتاسى من اسرة عريقة فى المجد في سنجق حمص . وقد كانت اسرته تحكم اللواء الحمصي . فيما سلف حكماً اقطاعياً . علاوة على ذلك الرجل من الطبقة المتنورة . بعيد عن التعصب والسفاسف التى تعيب الرجال . وهو حاد كل الجد فى خدمة وطنه ورفعة شأن قومه . فالقبض عليه . وسوقه الى حيث لا يعلم . وهو لم يجنى ذنباً . ولا سعي سعياً منكراً وبعد مدة طويلة فهم ان مقصد فرنسا هو الحيلولة دون مبايعة الملك حسين خليفة . أقول ان عمل فرنسا هذا ليس في مصلحتها «لانه يسقطها أدبياً . ولا ينفعها مادياً . دعنا من البحث والتعليق . ولنلازم سياق الموضوع الخاص وهو : لماذا حاربت سورية فرنسا : ألا يرى فخامة مسيو بونسو ان تصرفات فرنسا هذه مما يحمل أضعف أمة في الارض على الثورة وان الامة السورية علي ضعفها أرغمت بهذه التعديات علي ثورة لا تقبل فيها هوادة ولا مهادنة .

(٤) . في طرابلس وبيروت

لم يكن ما عملته فرنسا في حمص إلا رمزاً طفيفاً لما اقترفته فى طرابلس الشام — جارة حمص — وفي بيروت أيضا . حيث اعتقلت السلطة المنتدبة عبد الحميد افندي كرامة والدكتور سامح الفاخورى وأبعدتهما إلى خارج الحدود . واعتقلت عدداً من الصحافيين . وعطلت جريدة الحقيقة ، وأصدرت أمراً باعتقال صاحبها . وفتشت كثيراً من المنازل والمخازن . وتعرضت لكثيرين من كبار القوم تعرضاً منكراً

(٥) . في الشام

كل ذلك لا يكاد يحسب شيئاً بازاء ما أجرته السلطة بالشام . واليك البيان . —

قامت السلطة الفرنسية بالشام على الشيخ سليم البخارى رئيس علماء الشام — رحمه الله تعالى فقد توفي بهذا الأسبوع ١ ت سنة ١٩٢٨ — رئيس العلماء ، وعزلوه من وظيفته لانه لم يخضع لهم في أمر يحسبه دينياً لا صلاحية لهم فيه ، ولا لكل أوربا والعالم أجمع ولا يطاوعه وجدانه في اطاعتهم به . وهو أمر اختيار أو مبايعة خليفة المسلمين . فاهتزت البلاد لهذا الاستبداد ، وكادت ترفع علم الجهاد ضد تعديات فرنسا على الدين المحمدي . ولو فعلوا لكان عملهم أقرب إلى الصواب — بل إلى المعذرة والتسامح — من عمل

السلطة المنتدبة. فلينظر مسيو بونسو إلى أي حد من الخطأ والخطل وصل قومه في سورية . وبعد ذلك يتعجب ـ اذا ساغ له التعجب ـ من ان سورية تحارب فرنسا .

ها أنا أتكلم ، في جو هادىء ، بعيداً عن التحمس الديني . لانى مسيحى ، ولا تهمنى مسألة الخلافة كثيراً ولا قليلا . فلا فرق عندى اكان الحسين بن على ، أم عبد المجيد بن عبد العزيز ، آل عثمان ، أم سعود بن عبد العزيز الوهابى ، أم مصطفى كمال باشا الاناضولي ، أم عبد الكريم المغربى ، أم امان الله الافغانى،أم فؤاد الاول ملك مصر ، أم السنوسي ، أم غير هؤلاء خليفة . وسيان عندى أكان في الدنيا خليفة وبابا وباب وحاخام أعظم أم لم يكن . ومع كل ذلك فقد ساءني تعرض فرنسا للمسلمين . وشعرت في نفسي بثورة الانكار . ولماذا ؟ . لان فرنسا خرجت عن دائرة صلاحيتها ، وتعرضت للمسلمين فى ما لا يجوز لها ولا لغيرها التعرض له . فكنت أقول . — ما دخل السلطة النصرانية الاوربية في أمور الدين الاسلامي ؟ . وأية نتيجة تتوقع فرنسا من استعمالها السيف فى ارغام المسلم على معاكسة منزع ضميره وحكم وجدانه ؟ أو يلام المسلمون اذا كرهوا دوله هذه أعمالها ، وأخذوا رجالها حيث ثقفوهم؟.

(٦) اسمع وأفهم

قال المسلمون . —

قد نكون خالفنا الاجماع بمبايعتنا الملك حسيناً ، ولكن ما

للسلطة الفرنسية ولهذا الامر الديني البحت ؟ . وهل ينطوي الانتداب على الاشراف والسيطرة أيضاً على الشؤون الدينية ، كما على الشؤون الادارية والسياسية والاقتصادية ؟ وهل حكم على السوريين أيضاً ان يكونوا قاصرين حتى فى واجباتهم الدينية فيرشدهم أبناء فرنسا الى هذه الواجبات ؟ . وهل الدين أيضاً مما يخضع للانتداب ويستلزم الاصلاح والتهذيب ليسيطر عليه المنتدبون وهلا يباح للسوريين ان يتمتعوا بحريتهم الدينية وحدها بعد ان حرموا من الحرية السياسية ، ومن حرية المطبوعات ، ومن حرية الكلام ، ومن حرية الاجتماعات ، ومن الحريات الاخرى ، التى هى من حقوق الانسان الطبيعية .

« يقول السوريون كل هذا ، ثم يلتفتون الى صك الانتداب الذي قدمته فرنسا لجمعية الامم ، وتعهدت للدول بلسان مندوبها مسيو فيفيانى بتنفيذ أحكامه فيقرأون المادة الثالثة من صك الانتداب وهذا نصها : —

« وتمتنع الدولة المنتدبة عن التدخل في ادارة مجالس المعابد أو في الغرف الدينية ومعابد الطرائق المختلفة التي تظل حرمتها مضمونة الجانب ضمانا تاما »

« يقرأ المسلمون هذه المادة ثم يتساءلون . هل امتنعت الدولة المنتدبة بشخص ممثلها الجنرال ويغان عن التدخل في شؤون المسلمين الدينية ، وعن انتهاك حرمة معابدهم ، التي كانت تحاط بالجنود — الاجانب — ورجال البوليس ، فى دمشق وحمص وحماه وبيروت وطرابلس ، ويضرب حولها سور من البنادق أيام الجمع لمنع الناس عن ذكر اسم « حسين » عن المنابر ، وللقبض على

كل من يجرؤ على المجاهرة بهذا الاسم .

« هذا من جهة ، ومن جهة أخري فقد عزلوا الشيخ سليم افندى البخاري ، رئيس علماء دمشق ، وألغوا وظيفته لانه بايع الملك حسيناً وعزلوا أيضاً الشيخ أبا اليسر افندىعابدين ، وأيضاً خطيب جامع الورد في دمشق لانه دعا للملك حسين . وعزلوا أيضا الشيخ توفيق افندي خطيب جامع الطاوسية فى دمشق لانه ذكر اسم الملك حسين — في الدعاء يوم الجمعة —

« ولما كانت حادثة عزل رئيس علماء دمشق مما يستحق الذكر لغرابتها فاننا نقصها ليظهر كيف وقعت . دعا حقي بك العظم حاكم دمشق الشيخ سليم البخاري وسأله عن السبب الذى دفعه لمبايعة الملك حسين . فقال له ان المسألة مسألة دينية تعبدية لاعلاقة لها بالسياسة ، ونحن أحرار فى مبايعة من نشاء . فقال له الحاكم ، ألا تدري انك بعملك هذا غضبت السلطة الفرنسية ؟ . قال لا علاقة للسلطة الفرنسية المسيحية بهذا الامر الدينى الاسلامي . قال . لقد أمرنى الجنرال ويغان ومسيو شفلر ان أبلغك ان اشتراكهما معك وتعاونكم غير مستطاع بعد الآن . فلذلك عليك ان تستقيل . قال الشيخ عليك ان تبلغهما اني لا أستقيل . وفى استطاعتها ان يعزلانى . وهكذا كان . فقد صدر لامر بعد المقابلة ببضع ساعات بالغاء وظيفة رئاسة العلماء بتاتا . ولم يكتفوا بذلك ، بل أرسلوا سامى بك العظمة ، سكرتير مدير الحقانية للاتحاد السورى ، الى قاضى دمشق يطلبون اليه الاستقاله لانه بايع الملك حسينا . فاجاب أيضاً كما أجاب سلفه ، انه لا يستقيل وان عليهم أن يعزلوه اذا شاءوا .

وهو يعتبر مسألة البيعة مسألة دينيـة لا علاقة لهـا بالسياسة . فعزلوا هذا أيضاً وقطعوا معاشه .

« هذا بعض ما جري فى دمشق ، اما فى بيروت فقـد قبضوا على الدكتور سامح الفاخوري ، أو بعدوه إلى خارج الحدود . واعتقلوا بضعة صحافيين وأدباء ، ثم أبعدوهم أيضاً . وأقفلوا جريدة الحقيقة ، وأصدروا أمرهم باعتقال صاحبها ، ولكنه نجا من أيديهم وفتشوا منازل كثيرة ، وتعرضوا لعدد كثير من كرام القوم . وقبضوا فى طرابلس علي سماحة مفتيها السابق عبد الحميـد افندى كرامة ، زعيمها الوطني الكبير . فاهترت الفيحاء ، وقامت على قدم وساق تطالب برد ابنها . وكاد يقع ما لا تحمد عقباه ، لولا تدخـل بعض العقلاء ، الذين أخمدوا جذوة الهياج — ليتأمل مسيو بونسو كيف احرج رجال الانتداب الفرنسي السوريين المسالمين الضعاف فأرغموهم على الثورة ـ

« فأصدر موسى كاظم باشا الحسيني رئيس الوفـد الفلسطيني بياناً يستنكر فيه الاعمال التي أثارها ممثلو الجمهورية الفرنسيـة فى سورية انتهاكا لحرمة الدين ، وهذه صورته: ـ

(٧) السلطة الفرنسية في سورية

ان الرواية الاخيرة التي مثلتها المفوضـية الفرنسية في سورية بشأن الخلافة الاسلامية كانت من أفظع الروايات التي مثلت حتى الان في تلك الارجاء . فبينما نرى دول أوربا ، والامم غير المسلمـة تظهر حيادها في هذه القضية الاسلامية البحتة ، نجد حكومة فرنسا التي تتغنى بالحرية والتمدن ، في القرن العشرين ، تجبر لمأموريهـا

في سورية أن يحولوا بين المسلمين وبين دينهم ، ويضللوا الرأى العام ويحملوا المسلمين الذين أجمعوا في تلك الجهات على مبايعة جـلالة الملك حسين الخلافة الاسلامية ، وفقاً لنصوص الشرع الاسـلامي الشريف ، واسوة باخوانهـم العرب ، على نقض البيعة . ويرسلوا البوليس والعساكر المسلحة إلى المساجد ليمنعوا الخطبـاء من ذكر اسم خليفتهم الشرعي ، ويهددوا أهل الحل والعقد ، الذين سارعوا لبيعة جلالته بانواع التهديد . ولم تقتصر مداخلتهم السيئة الى هذا الحد ، بل تجاوزته إلى نفي صاحب السماحة عبـد الحميـد افندى رامة ، مفتى طرابلس الشام ، وزعيمها الاوحد ، والوجيه الدكتورسامح الفاخورى ، أحد وجهاء بيروت ، من بلادهما إلى خارج سورية ظلما وعدوانا . وعليه فانا نحتج . على هذه الاجراآت المخالفة الشرائع السموية والقواعد الانسانية . ونلفت انظار العالم المتمدين الي هذه المداخلة الفظيعة التي يعدها المسلمون والشعوب المتمدينة تعـدياً غير مشروع من حكومـة الجمهورية الفرنسية ومأموريها في سورية على حقوق الاسلام الدينية المقدسة ولربما يحدث اقدامها على هذه الاعمال فتنة دينية في الشرق لا تحمد عقباها . وتكون الجمهورية الفرنسية هي المسؤولة عنهـا في نظر العالمين ، الاسلامي والمسيحي . فنطلب من ملوك المسلمين وأمرائهم ونرجو من الدول الغربية ، والشعوب المتمدينة أن تضم أصواتها الي صوتنـا ، وتؤيد احتجاجنا هذا لخدمة الانسانية ومصالح البشرية العامة

رئيس اللجنة التنفيذيه
للمؤتمر العربى الفلسطينى السادس
موسي كاظم الحسينى

هل حلم مسيو بونسو ان خرق السياسة سيبلغ من دولته هذا المبلغ ؟.

ان فى هـذا القرار كلمات اسلاميـة فنية ، لا يفهمها الاديب الاوربي، لها قوة عظيمة في اصطلاح علماء الاسلام، كقوله « يحملوا المسلمين على نقص البيعـة » فكلمـة « نقض البيعـة » لا يفهمها الاوربى . ولا الشرقي غير المسلم . لكنها في عرف المسلمين كلمة قوية جداً . فان من نقض البيعة عندهم يجب فيـه الجهاد . وقوله « ليمنعوا الخطباء من ذكر اسم خليفتهم الشرعي » وفي هذه أيضاً ما في تلك . فان ذكر الخليفـة بالخطبة في صـلاة الجمعة هو عندهم تقليد مقدس كذكر رؤساء الـكنيسة في القداس عند المسيحيين وعلى هذا القياس نجد فى قرار موسي كاظم باشا عبـارات فنيـة يفهمها متشرعو الاسلام ويجهلها موظفو الانتـداب وخواها عنـد المسلمين فوق حـد الاحتمال . فليست هي احتجاجاً بسيطاً ــ بروتستو ــ في العرف الاوربي . فهي عندهم توجب الجهاد على المسلم الصميم الذي يختلج الايمان في صدره .

فترى ان فرنسـا هي التي أضرمت ــ عمداً أو سهواً ــ نيران الثورة بتعرضها للمسلمين فى ما هو من خصائص دينهم ، ولا يجوز عندهم احتماله مع اخلاص الايمان . وبعبارة شعرية أقول : « لقد كومت فرنسـا الحطب ، وصبت عليه الزيت والبنزين ، وأورت الشعلة وألهبت النار ، ولـكن الحطب كان يومئذ أخضر » . لان شمس المنطقة الدرزية لم تكن قد سطعت عليه فجففته » فاذا لم تنشب الثورة يومئذ فليس ذلك لان فرنسا قصرت في اضرامها . بل لان المسلمين لم يكونوا على استعداد لخوض غمراتها . ومتصفح

التاريخ اللبيب ، الحر النفس ، المتوقدالذهن ، يري ان فرنسا اتت أكثر مما يلزم لاثارة المسلمين . فلا يسمح المنطق لرجل تثقف بالجامعات الاوربية ، وخبر الاسلام ونفسية المسلمين أن يبدى تعجبه من انهم يحاربون فرنسا . اللهم الا اذا كان يهزأ بمن هو بينهم ويحسبهم أطفالا لا يفقهون للكلام معنى . بل بالحرى ان كل عاقل منصف مطلع يذهل ويدهش لرضوخ المسلمين لتمادي فرنسا في انتهاك حرمة الدين الاسلامى ، وتعديها على أحكامه وحكمائه وانهم لم يبيعوا أرواحهم رخيصة في سوق الجهاد . كما يستدل باقوال الحسيني باشا الذي لم يكتب ما كتب عن جهل أو هوى ، او عن غير روية وتدبر ، بلما كتب الا مستنداً الى قواعد راهنة يسلم بها كل مسلم فى مشارق الارض ومغاربها . وعلي مسيو بونسو ومن يريد ادراك المسائل باطرافها وعلاقاتها المنطقية ان يدرك ان رجلا آخر من آل الحسيين بالقدس الشريف ، كان أمين صندوق الثورة . أفهمت يا مولاى كيف حاربكم السوريون ؟ . أو لا ترى فى تبيان السبب موجباً لزوال ذلك العجب ؟ . وأعظم خطأ عمله المسلمون — هو انفرادهم بالثورة . ولو انهم أشركوا معهم اخوانهم المسيحيين ، كما (لا بد ان يكون في المرة الثانية ، لكانوا فازوا في طرح فرنسا بالبحر ، وارغامها على احترام الناس كما فاز الاتراك من قبلهم فان الدرس الذى أملاه عليها مصطفى باشا كمال في الاناضول لم يكن كافياً . فقد دلتهم تصرفاتها بسورية على انها لا تفهم بغير القوة . فرأوا كل جهد للتفاهم والتعاون معها ضربا من المحال ، إلا اذا كان تمليقاً ولوقت قصير ، ريثما تلم الامة شعثها وتستعد لخوض المعمعان . والا لم تكن أمة على الاطلاق . بل حظها

الفناء والعار الابدي . قال قائل وذلك على مسؤوليته انه ولو فقه السوريون ، لوضعوا يدهم بيد ايطاليا ، وصانوا بها استقلالهم ، كما عملت رومانيا وبلغاريا ، وكما عمل فنزيلوس مؤخراً . ان الامور تسير نحو هذه النقطة . وانه بعد ان ييأس السوريون من انكلترا سيولون وجوههم شطر « موسوليني » . فهو القادر أن يرفع عن أعناقهم نير فرنسا . ولا يقطع الشجرة الا فرعها . فلا يقهر أوربا إلا باوربا . كما ان أوربا لم تتخلص من آل عثمان ، على ما لها من حول وطول إلا بعضد العرب المسلمين . هذا باب جديد للمسألة السورية . وقد لغطت به الصحف غير مرة . ولا أراه بعيداً كثيراً عن ميدان السياسة الحكيمة .

وقد يهزأ القارىء بكلامي هذا ، ويرى فيه شيئاً من الخرقه . فلا بأس في ذلك . انما لا ادعي النبوة ولست بالمعصوم . ولكنه يتراءى لي من خلال الظاهرات ، انه قد يكون وراء الاكمة ما وراءها ، كما يظهر لك من رسالة السنيور ارنلدو تشيبولا مكاتب جريدة الستمبا الايطالية ، يصف بها الاضطرابات في سورية قال . –

« ان الهياج الذي استفحل أمره بين العرب ناجم عن الاحتلال الفرنسي . وهو احتلال يثير الكراهية والنفور – افهم يا قارىء – وتقوم أركانه على الاستبداد ، ومن شأنه ان يفضي الى قيام العرب كلهم قومة واحدة بين لبنان والفرات . فقد جهر العرب بعد جلاء الفرنسيين عن كيليكية ، بانهم سيجلون الفرنسيين هم أيضاً عن سورية – اليس هذا الذي قلناه في السبب الثالث ؟ – ويخرجونهم منها ، لان هيبة فرنسا في الشرق قد هزت هزة عنيفة

بخروج جنودها من كيليكية ، ولا سيما بعد ما عظم الكماليون أمر هذا الجلاء وكبروه وصوروه بصورة فوز عظيم . وان وصو الجماعات المتوالية من الارمن الفارين الى لبنان ، وكثيرون منهم من الذين خدموا الجيش الفرنسى ، أثار مرارة فى نفوس المسيحيين ، وحملهم على الاشمئزاز من الفرنسيين وعلى جفائهم .

وهنا لك أسباب أخرى زادت الاشياء شدة . ومنها قسمة سورية الى دويلات ، وجعلها بمعزل عما حولها من البلدان كالاناضول والعراق وفلسطين التى كانت لها علاقة تجارية عظيمة بها . وبوار التجارة وكساد الاعمال ، وفوق ذلك كله وجود الجنود السود ، قد أثار حنق العرب السوريين ابناء العائلات العريقة فى الحسب والنسب ، والذين يباهون بانهم كانوا على الدوام زعماء الحركة الفكرية والادبية فى العالم العربى كله

لقد توهم الفرنسيون ان العرب سيخلدون الى السكينة ، وانهم تنقصهم وسائل المقاومة ومعداتها . ولكن الامر جاء على خلاف فان هذه المقاومة نظمت تنظيما تاما ، واشتركت قبائل البادية فيها . فقد كان الفرنسيون يمدون الامير مجحما بالسلاح والذخيرة ، وجهزوه بالمدافع السريعة ومدافع الميدان ، لانه كان خصما حراً للامير جاحم عدوهم . فلما قضى الامير مجحم لبانته من الفرنسيين وحصل منهم على مراده ، صالح الامير حاجماً واتفق معه ، وانضم بقواته اليه . ويقال ان عند كل من الاميرين الآن قوة لا تقل عن ١٥٠٠٠ . فيكون مجموع قوتيهما جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف محارب ، حسنى العدة موفوري الاهبة . وعرب البادية يباهون

الآن بان عندهم كل ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة . وقد حدثت اضطرابات منظمة في أوائل الربيع في دمشق وحلب وجاهر العرب بانهم يأبون القعود على الضيم ، ولا يصبرون على معاملتهم كأمة منحطة ، ولا ان يستعبدوا على يد جنود سنغاليين من سودان افريقية .

وأخيراً شبت فتنة مظلمة في دمشق ، واضطر الفرنسيون الى استخدام المدافع السريعة ، والسيارات المدرعة ، وأعلان الحكم العرفي ، لقمع الفتنة ، وقد هاجم الجمهور دور الحكومة ، فقتل اناس وجرح آخرون . وجرى مثل ذلك تماما في حمص ، التي صارت مدينة نيها الف نفس (كذا) . فان الجنود السنغاليين هجموا بالحراب غير مرة ، فقتل وجرح من الاهالى ٣٠ نفساً ، وقتل ضابط فرنسي ـ والارجح ان الكاتب أشار هنا الى حادثة حماه والخطأ فى الترجمة ـ

وتشرف اللجنة على الفتنة ، وتدير حركاتها . وقد أرسلت الرسل الى القبائل البادية ، وبثت الدعاة ليحضوا الرجال على القيام بعمل مشترك ضد الفرنسيين . فثار الامير مجحم في دير الزور ، وانزل العلم الفرنسي المرفوع ، ومزقه . وهاجم الجنود الفرنسيين في جرابلس ، واضطرهم الى التقهقر في جهة حمص المجاورة حدود لبنان . وأسر منهم ضابطين . اما الامير جاحم فنازل بعث حلب وبين دير الزور . وقد اتصلت قواته بقوات الامير مجحم .

ويقول الفرنسيون ان لهم ٤٩ الف جندي بسورية . ولكنهم كانوا قد زعموا قبلا ان لهم ٦٠ الفاً في كيليكية . في حين انه لم يكن

فيها تسعة آلاف . وقد اضطر الجنرال غورو ان يعد المجلس الفرنسي بتنزيل الجيش الى نصف ما هو الآن . ولكن السوريين يقولون انه بدلا من ان يتمكن الجنرال غورو من انقاص هذا الجيش سيضطر الي زيادته الى مئة الف جندى .

ويقال ان الفرنسيين قد هددوا السوريين بتسليمهم للترك . فاجابهم السوريون ان ذلك يوافقهم غاية الموافقة . لانه اذا كان عند الترك مقاتلة فعند السوريين مقاتلة أيضاً . ويتحدث السوريين بانشاء اتحاد عربي عام يشمل العراق وفلسطين . ا . ه .

انتهت مقالة الستمبا . وهي وان لم نوافقها فى كل ما أثبتت ، تعرب عن عواطف ايطالية . واليك ما هو أفصح اعراباً عن تلك العواطف . وهو قرار حزب الفاشيستى لسان حال الحكومة الايطالية . وهذا هو نص القرار : —

« أن الفرق الفاشستية ، بعد ان بحثت في مشاكل الشرق الادنى ، وعلى الاخص ما كان منها متعلقاً بالانتداب الفرنسى في سورية ولبنان ، والانتداب الانكليزى فى فلسطين ، رأت ان تبين موقفها حيال هذه المشاكل على الصورة الآتية

١ ان الانتدابات ذات العلاقة بمعاهدة سيفر تعتبر ساقطة بسقوط هذه المعاهدة . كما ان كل القرارات التى أخذت بشأن مسائل شرقى المتوسط تعد منقوضة للسبب نفسه .

٢ ان الانتدابات المفروضة علي سورية ولبنان وفلسطين ليست في الحقيقة سوى خرق صريح لمبدأ استقلال الشعوب وحريتها . ولا سيما ما تعلق بسورية التي بلغت من الحضارة شأواً بعيداً ؛

ولبنان الذي كان يتمتع دائما ، حتى فى أشد ايام الترك ، نظام استقلالي تضمنه الدول العظمى

٣ على ممثلي ايطاليا فى جمعية الامم ان يحولوا دون ابرام هذه الانتدابات الجائرة وان يسعوا لاسقاطها لانها لم تعد مرتكزة على اساس قانوني ، ولان ابرامها قد يفضى الى الاضطراب وسفك الدماء .

٤ ان مصلحة ايطاليا الادبية والمادية تقضى بالمساعدة على انشاء حكومات مستقلة متحدة ، او غير متحدة ، فى البلاد الواقعة شرقى البحر المتوسط كالواسطة الوحيدة لتقييد مطامع الاستعماريين الانكليز والفرنسيين ، ولافساح المجال لرواج التجارة الايطالية فى تلك البلاد التي بدأت تظهر على بلادنا منذ وقت قريب عطفاً شديداً » .

عن الفرقة البرلمانية

جيونتا لوبى ١ : نوري شيانو موسوليني

* * *

ان تدابير مسيو بونسو الحكيمة اللطيفة تعتبر ، بعين الناقد الحكيم ، كصب الماء على النيران المتأججة ، يخمدها قليلا ، ولكنها لا تطفأ فسيشتد ضرامها ثانية ، فلا يمكن مياه المتوسط ان تخمدها

هنا أقف ، وأقول ، ليس أمر الخلافة محط نظري . فانها مسألة تهم المسلمين وحدهم . فلا حظ فيها لعواطفي وقلمي ، مع انى أريد كل خير وبركة لاربابها . فليس بحثي في . أملائم الملك حسين للخلافة او غير ملائم .

وقد فصل الزمان في المسألة موقتاً ، وسيفصل فيها مؤبداً . فمحط نظري هو تصرف فرنسا ، باعتبار هذه القضية ، تصرفاً أدى الى نفور السوريين من انتدابها . فلا ابحث فى هل اصاب المسلمون في مبايعة الحسين او اخطأوا . وهل اضرت بهم فرنسا بمقاولتها او لم تضرهم او نفعتهم . وسواء كان هذا او ذاك فليس هذا مرمى قلمي . فمرماه هو ، سواء كان المسلمون مخطئين بمبايعة الحسين ، وفرنسا مخطئة في التعرض ، فقد أبعد عنها عملها قلوب أكثرية السوريين ، وحملهم على الاستعداد عليها . لا لانه جرح عواطف المسلمين فحسب ، بل أكثر من ذلك ، ان عمل فرنسا ، في هذه القضية ، باسلحتها وجنودها ، واصدارها الاوامر المشايخ بالامتناع عن ذكر اسم خليفتهم الذي أرادوه ، ومحاولتها الغاء البيعة بالقوة ، ونفيها الذوات الذين صرحوا بمبايعتهم الحسين ، أقول ان تصرف فرنسا هذا يجرح الدين الاسلامي في نقطة تكاد تحسب من صميمه . وهو تعرض منكر غير معذور لانه ينافي الامور الآتية :

١ العدالة
٢ صلاحية الانتداب
٣ وعود فرنسا لجمعية الامم
٤ انصاف المسلمين ومحبتهم
٥ احكام الاسلام
٦ لم يبق محل للصلح بين الاسلام وبين فرنسا على الاطلاق ولا اظن . انها ترتاح او يرتاحون معها .

وغني عن البيان اني لست أرمي الى تسفيه واعابة السياسة الفرنسية في الشرق ، وان اجرا آتها واهنة ، وغير مستندة الى اس متين ولو. اردت ذلك لكان علي سهلا لتوفر البينات وقاطع الادله ليس هذا شغلي . بل شغلي هو ان أبين لفخامة المفوض السامي مسيو بونسو ، ان ليس السوريين بل الفرنسيين هم الذين سعوا الى الثورة واضرموا نارها وانهم اضلوا انفسهم بانفسهم فستنتهي بهم مسالكهم التي ذكرت بعضها وسأذكر البعض الآخر منها بالبراح من سورية كما برحوا هايتي وكندا ولوزيانا ومكسكو وجنوبي افريقية ومصر وسيلان وهندستان وكيليكية وشمالي سورية .هذا الذي اريد ان اثبته لمسيو بونسو .

واذا كان لي من وراء ذلك غرض آخر فهو حفظ مكانتنا في أعين احفادنا ، وفي عيون ارباب الصحافة والاطلاع في فرنسا وأوربا. ليفهموا اننا وان كنا مرضى فلسنا بالعميان . فان خروج فرنسا من سورية أمر لا مندوحة عنه انما الامور مرهونة باوقاتها فمسألة طرد فرنسا من سورية هي مسألة وقت فقط . ولن تخرج منها بشرف بل بدون شرف ، تطبيقاً للنتيجة على المقدمات ، ومن يعش يره . كان يجب ان ينتهي كتابي هنا ، لولا اني أحسب سورية ولبنان جزءاً لا يتجزأ . وان سورية ولبنان عائلة واحدة حية يقتلها الانقسام . فلبنان هو لبنان سورية . وسورية هي سورية لبنان . والمسلمون والحوارنة والدروز واليهود اخوان ، مصلحتهم واحدة . علاوة على ذلك ان في تصرف فرنسا مع اللبنانيين اقطع دليل على ان السوريين معذورين في محاربتها .

السبب التاسع

فرنسا ولبنان

هل كان لبنان جزءاً من سورية سياسياً ؟ .
كيف عاملت فرنسا أحبابها اللبنانيين .
ماذا كان شعور اللبنانيين نحو فرنسا ؟ .
(١) لبنان

لبنان قسم من سورية ، وله في تاريخها ماله من الاهمية ، وهو عبارة عن سلاسل جبال ، تمتد على طول البلاد ، تجاه البحر المتوسط من الشمال الى الجنوب . انحدر كثيرون من سكانه الى السواحل وسكنوا مدنها ، ولا سيما بيروت . وقد كانت مسألة لبنان ، وما زالت ، من أهم وأعقد المسائل السياسية في سورية . لا يمكن فهم كنه القضية السورية مع قطع النظر عن المسألة اللبنانية

ويدعى القسم الشمالي من لبنان « جبال العلويين » وهو يمتد من سهل عكار وصفيتا الى حدود طورس وراء خليج اسكندرونة يقال لها « جبال النصيرية » . والنصيرية أو العلوية احدى الشيع الاسلامية تعتبر علياً بن أبي طالب اعتباراً خارقاً ، وانه أولى بالخلافة من أبي بكر وخليفته عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ولا يهمنا الدخول في شعاب هذه النظريات ، والتعرض لاربابها « بالصح والخطأ » . بل أقول ان أهالي جبال النصيرية كانوا وما

زالوا متميزين عن بقية اخوانهم السوريين مذهباً واجتماعاً وعادات فهم أقرب إلى الشكل الاقطاعي ، وخضوعهم لمقدميهم أو اشياخهم أشبه الاشياء بخضوع الفلاحين للاسياد في النظام الاقطاعي، المدعو في تاريخ الاجيال الوسطى « فيود لازم » .

وقد ثار زعيمهم الشيخ صالح ، في القدموس ، على فرنسا ، وحاربها مدة . وقد زرت بلده ، ودرست المسألة بنور الموقع الجغرافي والاجتماعي . ولا لزوم لشرحها هنا . فقد خضع الشيخ صالح لحكومة الانتداب واستراحت فرنسا من حربه . وأوجدت لجبال العلويين حكومة مستقلة على رأسها حاكم فرنسي . وفي المنطقة العلوية عدة قرى مسيحية ، فيها أسر راقية عمراناً وادباً ، تهذب كثيرون من رجالاتها في المدارس العالية وهم يؤلفون حلقة نيرة في تلك الاقطار . وقد اجتمعت بأولئك المهذبين ، ودرست الموضوع معهم في جو هادىء . وعرفت أميالهم وأحكامهم في المسائل السورية . وليس من أغراض كتابي التبسط في شرح القضية العلوية احدى فروع القضية السورية .

لكنني لست اترك الموضوع بدون اشارة الى تدخل فرنسا في الجبال العلوية تدخلا يخرج عن حدود صلاحيتها . من ذلك ان الحاكم هنا لك فرنسي . وان أصابع فرنسا هي التي أبرزت مسألة الاستقلال العلوي الى حيز الوجود ، وضربت بها الاتحاد السوري .

الآن التفت الى القسم الآخر من لبنان . وهو الممتد من سهول عكار الى مصب الليطاني بقرب صور . وهي تدعي سلسلة

لبنان الغربي . والسلسلة الممتـدة من جنوبي حمص الى وادي التيم هي لبنان الشرقي أو انتيلبنان .

يتبع لبنان الغربي مدن فينيقية وهي طرابلس وبيروت وصيدا وصور . وقد ضم اليه الفرنسيون بلاد بعلبك وسهل البقاع ووادي التيم ـ كما ضموا اليه مدن فينيقية ولم تـكن منه في عهد الاتراك ـ يسكن القسم الاعلى والشمالي الموارنة . اما الجنوبي فالدروز، وبينهـم كثيرون من النصارى والمسلمـين ويكثر الدروز في اقليم الشوف المتاوح بيروت والممتد منها الى الجرد . استثنى من ذلك الوجـه البحري فاكثر سكانه نصارى

ان الموارنة أكبر طوائف الجبل . ولـكنهم ليسوا أكثرية سكانه . بل هم ١٩٥ من ٦٠٠ أي أقل قليلا من الثلث . يأتي بعدهم المسلمون . ولـكن الموارنة كتلة واحدة زعيمهـا غبطة البطريرك ، مقر السلطة الروحية ، والحلقة الوحيـدة بين الطائفة وبين الحـبر الروماني . وقد خضع الموارنة للحبر الروماني وارتبطوا برومية من أجيال عديدة

اذهب ولا رأيي اشط عن الصواب الى ان الموارنة هم انقى بقايا الاراميين في سورية دماً . وكان لذلك الشعب الراقي منذ العصور الخالية عواصم عديدة في سورية والعراق والجزيرة ومنها نينوى واور وكركميش ودمشق . وكان الاراميون ينتمون الي عواصمهم أو أقاليمهم . فيقال ارام دمشق وارام النهرين الخ وهم سلالة الاشوريين الاعاظم . ولغتهم «السريانية» أقدم لغات العالم واعرقها مدنية وفلسفة . وبهم دعيت بلادنا «سورية» أي بـلد السريان .

فالموارنة هم سكان البلاد الاقدمون ، التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية باعترافهم برئاسة البابا ، لكنهم في طقوسهم ولغتهم الكنسية سريان . واللغة السريانية هي دون شك لغة البلاد القديمة ولا يعارض ذلك امتزاج الاهالي ، كثيراً أو قليلا ، بالعرب فالعرب والاراميون اخوان . حتى ذهب بعض كتابنا الي ان الاراميين عرب أيضاً ، أو من أصل عربي .

على ان السريان سبقوا العرب كثيراً تمدناً وسيادة . فقد مصروا الامصار ، وشيدوا الدول قبل محمد وقبل المسيح وقبل موسي وقبل حمورابي . وملأوا الخافقين بالكتب العلمية والفلكية والفلسفية وغيرها . واذا كان العرب يفخرون بانهم أخذوا عن اليونان ، فالسريان هم الذين أعطوا اليونان تمدنهم وأصول فلسفتهم فهم أجداد التمدن الاوربي بلا خلاف . ويجب ان أقول ان مسيح النصرانية سرياني . باعتبار ان اليهود كالفينيقيين عائلة سريانية . واليهود عائلة لا جنس

فهذه البقية النقيه من الجنس الارامى هى الطائفة المارونية . وهى تؤلف أكثرية ساحقة فى شمالي لبنان أعني في كسروان والبترون وجبة بشرة . وهم ضلع فرنسا من قديم الزمان . وكان تعلقهم بفرنسا من أكبر أسباب مذابح سنة ١٨٦٠ وأمرها معلوم

اما الدروز فيكثرون في اقاليم الشوف ووادي التيم وفي جبل الدروز . وهم كالنصيرية — أو العلويين — من الشيع التى تنتمى الي الاسلام ، وهى ليست من الاسلام على شيء . فهي تؤله الحاكم بامره ، كما يؤله العلويون علياً بن أبي طالب . والارجح ان كل

الدروز أو جلهم من عرب كندة . وهم رجال أشداء صلاب العود ذوو نجدة وبطش ، محافظون على الآداب الجنسية . واذا كان في سورية كتل تستحق ان تدعي أمة فتلك الكتل هي (١) الدروز (٢) الموارنة (٣) النصيرية هذا عسكرياً اما علمياً واجتماعياً فالموارنة هم فى الدرجة الاولى .

ففى هذه العناصر الصغرى فى سورية ، من الرابطة القومية ما يحلها محل الامم الحية . وكانت تتلاعب بهاتين الكتلتين اصابع يلدز والتر وكاديرو حتى انفجرت مراجل الحرب الاهلية بينهما واتسع نطاق دمارها ، فشملت غير الدروز من المسلمين ، وغير الموارنة من المسيحيين . وكانت المذابح والفضائح التى وصمت جبين الاتراك ، وأحلت الضربة القاضية بالقومية السورية ، بمذابح حاصبيا وراشيا ودير القمر والشام سنة ١٨٦٠ فاورثت الاهلين التقاطع والبغضاء ، وما زالت سمومها في عروق السوريين الى هذه الساعة . تلك كوارث طوتها الايام ، ولكن ذكراها حية فى الصدور .

وبما ان الدروز من جانب تركيا ، وهم يمتون بالنسب الى الاسلام ، والموارنة من جانب فرنسا وهم نصارى دون ريب ، اتخذت مسألة النزاع بينهما الصبغة المذهبية ككل شيء فى الشرق . فقسمت عواطف السوريين الي قسمين ، مسيحية واسلامية ، أقول ذلك وعيناي على عابر الحوادث كغزوات الصليبيين ، والفتح الاسلامي ، وقدوم نابليون ، وفتوحات ابراهيم باشا . وغير ذلك من مولدات النعرة المذهبية . فلست أزعم ان ذلك التقاطع ،

والداء الاجتماعي الدفين لم يكن قبل سنة ١٨٦٠ . ولكنه اتخذ من ذلك التاريخ قوة جديدة واستحكم في الجسم السوري حتى يتعذر شفاؤه .

وجاءت أساطيل أوربا — بزعامة فرنسا — لحماية المسيحيين فاتسعت بذلك شقة الخلاف بين الطوائف السورية . وزادت المرائر، وتاصلت الاحقاد في الصدور . وتوارثنا هذا الداء اللعين خلفاً عن سلف ، حتي صار فينا طبيعة خامسة . فنحن السوريين متعصبون .

وكل عيب كان من طي الحشا في المرء ينمو فيه كلما نشا

عقدت الوفود الاوربية ، مؤتمراً دولياً ببيروت ، دامت جلساته أشهراً متوالية . اشتهر فيه اللورد دوفرين بالدفاع عن الدروز . هل كان دفاعه عملا انسانياً أو سياسة انكليزية ؟ . تلك مسألة أطويها لانها ليست من أغراضى . كما انه ليس من أغراضى ان أقول هل كانت مبادرة فرنسا لنجدة الموارنة عملا انسانياً أو سياسة فرنسية . والذى أريد ان أقوله هو ان الدول المعظمة الممثلة فى ذلك المؤتمر وهي روسيا وبروسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا والنمسا ، قررت بالاتفاق مع تركيا سلخ لبنان عن جسم الامبراطورية العثمانيـة . ومنحوه استقلالا ادارياً . وسنوا له دستوراً . كان الباب العالي ، بموجب ذلك الدستور يعين حاكم لبنان من الكاثوليك غير السوريين ، بمصادقة الدول الست وليست مسألة استقلال لبنان ، وما يتعلق باستقلاله من الشؤون ، إلا كاخواتها المسألة الارمنية ، والمسألة البلغارية ، والمسألة اليونانيـة ، ظاهرات المسألة الشرقيـه

وهى حل الامبراطورية العثمانية واخراج الاتراك من أوربا . تلك لامبراطورية التى أسسها عثمان الاول سنة ١٣٠٤ وظلت الى سنة ١٩١٨ . مدة تربو على ستمائة عام ، أبدت فيها تركيا من الفعال ما أبدت . وهـذه أيضاً غـير مقصودة بهذا التأليف . وقد دب المرض فى جسمها منذ سنة ١٦٤٨ وبدأ انحلالها منذ سنة ١٨٠٠ او قبل ذلك التاريخ بقليل . وجعلت اياالاتهـا تنسلخ عنهـا واحدة فواحدة فانفصلت عنها سربيا واليونان ورومانيا وبلغـاريا وقـبرص ومصر ولبنان وكريت ودودوكانيز وطرابلس الغرب وبنغـازي . وهذا لبنان ألف منذ بدء استقلاله سنة ١٨٦٠ صفحة جميلة فى تاريخ الامبراطورية العثمانية الآخذة فى الانحلال .

جئت لبنان في حكم عبد الحميد الثاني ، قبل اعلان الدستور العثمانى بسنـين . وما أعش لا أنس عواطـفى يوم ظللتني سماؤه ، وارتياح خاطري لتبطنى غبراءه ، وارتشافي ماءه ، واطلاعى على هناء سكانه ، واستئمانهم من اللصوص والغزاة . ولم يكن مثيل للاغتباط الذى شعرت به تحت سماء لبنان إلا اغتباطي يوم وطئت البر الامريكي . والذى شاقنى في لبنان دماثة أخلاق سكانه ، ولا سيما الدروز . وائتلافهم مع المسيحيـين في أفراحهم وأتراحهم ، وتناسى الفريقين الضغائن والاحقاد ، مع التزام كل فـريق منهما تقاليده وعاداته . وظـل المـوارنة يخطبون ود فرنسا ويحلمون بالوقت السعيد الذي فيه يخفق فى جوهم العلم المثلث . والدروز يحلمون بمحبة انكلترا ويرغبون في ان تكون لهم ظهيراً . والمسلمون فى لبنان وخارج لبنان اميـل الى مشرب الدروز . وكـانوا مع

الدروز يكرهون فرنسا ويختصمونها ، كما أثبتت ذلك تقارير راين .

في الاتراك استقرت الزعامة الاسلامية في الدنيا . ففيهم الخلافة النبوية منذ قرون ، ولم يقم من يناقشها الحساب ، فقبل المسلمون الامر الواقع ، وسكتوا عن النقد إلا ما كان همساً في جنح الظلام . ومع ما عانى العرب من مظالم الاتراك ظلوا يوقرون مسند الخلافة « ظل الله الظليل » وكان مسلمو الولايات الممتازة كمصر أكثر تعلقاً بالعرش العثماني ، وأشد اخلاصاً للخليفة التركي من سائر العناصر الخاضعة للهلال العثماني . مسلمو الولايات العثمانية يحسدون اخوانهم المصريين ، ويتمنون ان يحصلوا على نعمتهم والمصريون وقفوا قلوبهم لحبة ذلك العرش .

هذا كان موقف المسلمين يوم شب ضرام الحرب الاوربية الكبرى . وبنشوب تلك الحرب استيقظت المسألة العربية من سباتها الطويل ، وبرزت ظاهراتها الى الوجود . هل كان استيقاظها طبيعياً بهمة العرب وابائهم ، أو صناعياً باموال انكلترا ومساعيها ، ليس هذا ما ابحث عنه . انما أقول ان الحرب الاوربية قسمت مسلمي تركيا الى قسمين متحاربين ، العرب والاتراك . وكان الاتراك فيما سلف يحتسبون من العرب أصحاب الحق الاول في الخلافة . لانهم منبت الاسلام ، ومهده ونصراؤه الاخلصين في كل القرون . وبلغتهم انزل القرآن الكريم ، فهم صميم الاسلام فى الدنيا . فلم تكن للاتراك حجة مشروعة يدافعون بها دعوى العرب فكان خوفهم من نهضة العرب يقض مضجعهم ويسلبهم الراحة

والسلام . فعمدوا الى القوة ، والقوة في موضع البرهان دليل الافلاس . فامعن الاتراك في العرب نفياً وشنقاً ، بسبب وبلا سبب . ولم يميزوا بين المسيحي وغير المسيحي . فخفف ذلك ولو الى حين وطأة التعصب ، وأوجد في السوريين شيئاً من الحياة الروحية . وصار المسلمون يخطبون ود المسيحيين ، والمسيحيون ود المسلمين ، كانهم اخوان . معيدين رواية اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨

وخرج شريف مكة ، الحسين بن علي ، على مولاه الخليفة العثماني محمد رشاد ، واعلن استقلال الحجاز ، ونادوا به ملكا ، وجرد جيشاً عربياً بقيادة نجله الامير فيصل — ملك العراق اليوم — وساقه لنصرة الحلفاء . فسارت الجنود الشريفية الى جنب الجيوش الانكليزية ، يسوقان امامها الجيوش التركية من فلسطين وسورية ولبنان . ولما اخترقت جنود الحلفاء الجبهة البلغاريه ، وانفصمت حبال الاتصال بين القسطنطينية وبرلين طلب الاتراك الهدنة وانسحبوا نهائياً من سورية . وألقت الحرب أوزارها في ١١ ت ٢ سنة ١٩١٨ والامم السورية أقرب الى الوحدة من كل وقت سلف . ولو أعلن استقلال سورية يومئذ دون تدخل أوربا إلا تدخلا بسيطاً مقروناً بالنزاهة والاخلاص لفويت العاطفة القومية في صدور السوريين ، وتدرجت البلاد في مناهج التمدين الحديث .

ولكن مسألة الانتداب ، وتقسيم البلاد السورية الى مناطق ، وبعبارة أضبط ، وأقرب الى العدالة ، أقول : الانقسام الروحي

بين فرنسا وانكلترا : رد السوريين الى الوراء أجيالا وقروناً . فانتبه شيطان التعصب من مرقده ، وقسم البلاد الى مسيحية واسلامية

بدأ الاحتلال وسورية مقسومة الى لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وسورية تحت الحكم العربي ، مع وجود الجيش الانكليزي ، وفلسطين تحت الانتداب الانكليزى .

ولأمر ما نادى السوريون بالامير فيصل ملكا عليهم ، وخطا الفرنسيون خطوتهم بضمهم الى لبنان اقساما لم تكن من لبنان منذ سنة ١٨٦٠ الى ١٩٢٠ . وألفوا من المجموع ما سموه لبنان الكبير وليس من أغراضي البحث فى عدالة هذا العمل أو عدم عدالته . ولا النظر في هل نفع ذلك العمل لبنان واللبنانيين او اضرهم . وليس من أغراضي الموازنة بين تمليك فيصل وخلق لبنان الكبير لا . لست ذلك الرجل . ولكنى الرجل الذى يقول ان أكبر أنواع الخطأ السياسي الذى يرتكبه اخواني السوريين هو اعتمادهم على نجدة أوربا . والحقيقة التي يجب ان نبكيها ونحاربها في وقت واحد هي ادخال الدين في السياسة . وقد تبرهن لاخوانى المسلمين والنصارى على السواء ضرر الامرين . أعنى الخلط بين الوطنية والدين والاستناد الى أوربا . وقد روى لي رجل ممتاز كان ترجمان الامير فيصل لدى اللويد جورج فى فرساى ، ان اللويد جورج قال للامير فيصل هذه العبارة . «يا أمير ، فرنسا جارتنا يفصلنا عنها زقاق ضيق ، وقد امتزج دماء أبنائنا وأبنائها فى الحرب معاً . فلسنا نريد ان نحارب جارتنا لأجل بلادكم الحقيرة سورية :

وقد أوردت في صفحة ٣٠ — ٣٥ من هذا المجلد أخبار الحرب بين الملك فيصل — بل بالحرى بين السوريين — وبين الجنود الفرنسية . وأبنت كيف انتهي الامر بفوز الفرنسيين واحتلالهم الشام في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠

ومن ذلك التاريخ يبتدىء الانتداب الفرنسى على سورية ولا يزال . وكانت عاصمة الانتداب الفرنسي بيروت ، والشام فرعاً . فيحل المندوب السامى في الاولى ، ومفوضه في الشام .

والآن ألوي عنان البحث نحو اجراآت فرنسا بلبنان

(٢) خلق لبنان الكبير

انحصرت حدود لبنان سنة ١٨٦٠ بين مصب الليطانى جنوباً والهرمل شمالا ، والبحر غرباً والبقاع شرقاً . فكان اول عمل باشرته فرنسا خلق لبنان الكبير فاضافت الى لبنان القديم جبال النصيرية وبلاد الحصن وكل صفيتا وعكار والضنية وطرابلس الشام وبعلبك والبقاع وحاصبيا وراشياومرج عيون وصيداوصور وبيروت تصرفت فرنسا بذلك بمحض اختيارها وارادتها دون استفتاء سكان تلك الاقاليم . لأنها عرفت أنها لو استفتتهم لرفضوها . فكان خلق لبنان الخطوة الاولى فى سلسلة التصادم بين اغراض الانتداب والامانى الوطنية . هل اقول ان ذلك العمل كان الحلقة الاولى فى سلسلة خطيئات ذلك الانتداب ؟ .

القارىء حر في الحكم بين هذا وذاك . فلست اريد ان اكون محبذاً ولا لواماً . ولكنى اذا قلت ان ذلك العمل ساء المسلمين ،

حتى من سكان تلك الاقسام فانما اكون قد رويت الواقع ولا فضل لي ، ولا حرج علي في ذلك . وهذه هي العبارة التاريخية التي دونتها الاصقاع : —

« ايلول سنة ١٩٢٠ اعلن الجنرال غورو تأليف لبنان الكبير».
وعلى اثره نشر ما يأتى

« نشر النظام الموقت للبنان الكبير المستقل ، وقد نص في القسم الاول منه على تقسيمه الادارى ، فجعله اربع متصرفات ومدينتين ممتازين ، هما بيروت وطرابلس وجعلت بيروت عاصمته الكبرى. واضيفت اليه مرج عيون .

اما القسم الثاني فينص على تاليف الهيئة التنفيذية . وفيه أن حاكم لبنان العام موظف فرنسى مسؤول للقومسير العالي الفرنسى . وهذا الحاكم العام يقرر الميزانية لدولة لبنان ، ويعرضها على القومسير العالي للمصادقة ، ويعين الموظفين لكل الدرجات ، ما عدا الذين يترك انتخابهم لمصادقة القومسير العالي ، والى جانبهم مستشارون فرنسيون ، يعينهم القومسير ، وجميع القرارات الادارية التى يقررها رؤساء المصالح تعرض على المستشارين الفرنسيين ، الذين يصادقون عليها بامضاآتهم ويرفقونها عند الحاجة بملاحظاتهم ، ولا تصبح هذه القرارات نافذة الا بعد مصادقة الحاكم العام .

وقد جعلت المصالح الكبرى التي مع الحاكم العام سبعاً ، وهي .
١ الداخلية ٢ المالية ٣ العدلية ٤ النافعة ٥ التلغراف والبوستة والمعارف والفنون الجميلة ٦ الزراعة والصناعة والتجارة ٧ الصحة
اما مجلس الادارة فابدل بلجنة الادارة ويكون رأيها استشاريا.

ثم صدر قرار رسمي من الجنرال غورو بتعيين « مسيو رزكار ترابو » حاكما عاما للبنان الكبير . وبعد اعلان لبنان الكبير الغيت جميع الدوائر الادارية في أراضي لبنان السابق . وستتخذ فيما بعد تدابير خصوصية في شأن الموظفين الذين سيعينون في وظائف لبنان الادارية ٦ موارنة ٣ ارثذكسي ٢ سنيان ٢ شيعيان ١ روم كاثوليك ١ درزي المجموع ١٥ ولكل متصرف مستشار فرنسي .

يتضح من ذلك ان فرنسا عملت عملين في وقت واحد ، كلا منهما ضد مصلحتها ، الاول : انها ضمت الى لبنان أقاليم ضد رضا سكانها

الثاني : انتزعت ادارة لبنان من أيدي أبنائه فنشأ عن الاول ايغار صدور المسلمين عليها

وعن الثاني فتح الباب لخسران عواطف الموارنة .

هنا يقف الباحث النزيه ويسأل : —

ما هو الباعث على تحمل فرنسا كل هذه المسؤوليات ؟ .

لماذا ضمت أقاليم الى لبنان وصياح سكانها قد طبق السماء احتجاجاً وانكاراً ؟ .

وأية فائدة لفرنسا ولبنان في ذلك العمل ؟ . لست من الفنيين حتي ولا في المساحة . لكني أريد ان أفهم . اذا فرضنا ان سهل البقاع لازم للبنان لاجل الزراعة . وان مدن السواحل كذلك لازمة . فما هو لزوم حاصبيا وراشيا وبعلبك ومرجعيون ؟ .

ويتراءى لي ، وقد أكون مخطئاً انه لو اكتفت فرنسا بضم

سهل البقاع الى حدود الليطانى ، وجعلت هذا الجدول حداً فاصلا بين لبنان والداخلية لما كان في ذلك باس . ولو تركت طرابلس وما يتبعها الداخلية لما كان عليها لوم ولا تثريب .

ولكي يقف القارىء على نفسية الاهالي ، وتصرف الفرنسيين يومئذ معهم أورد له الرواية التالية : —

دعا متصرف بيروت نجيب بك أبو صوان ، بامر الحكومة العسكرية الفرنسية المنتخبين الثانين عن سنة ١٩١٣ للاجتماع الساعة ١٠ صباح ذلك النهار في قاعة السراي القديمة في بيروت . ولما اكتمل تقدمهم دخل عليهم الكولونيل نيجر ، المندوب الاداري العام ، والمتصرف نجيب بك ابو صوان ، ومسيو ترابو مستشار الولاية — وذلك قبل تعيينه حاكما لجبل لبنان — ومسيو دوازله مستشار المتصرفية . وطلب الكولونيل نيجر ان تقرأ اسماء المنتخبين الثانين . فاذا جميعهم حاضرون الا اثنين تخلفا عن تلبية الطلب . فطلب الكولونيل من المتصرف توقيفهما . ثم التفت الى الحاضرين وخاطبهم قائلا : —

تلقينا عن ثقة انكم تسعون في انتخاب ممثلين لكم في المؤتمر السوري المنعقد في دمشق . وقد كلفني الجنرال غورو ، المندوب السامى ان أبلغكم أن مؤتمر الصلح قد قرر انتداب فرنسا لسورية كلها . وانه تلقى الامر من حكومته بابقاء القديم على قدمه ، ريثما يتقرر شكل الانتداب . فكل حركة تتعلق بالانتخابات التى أشرت اليها تعد مخالفة للحقوق الدولية ، وتلقي تبعتها على القائمين بها ، وتعرضهم للمحاكم العسكرية . وانا انصح لكم — أي

آمركم — ان لا تعرضوا انفسكم لسخط العسكرية » .

نظارة بسيطة في هذا الخطاب تكفي الذهن الحر لادراك ما تنطوي عليه سياسة فرنسا من نحو اللبنانيين . استهانة بأثمن ما يحرص عليه الانسان من حرية وكرامة . جفوة وغلظة فى الخطاب لا تستعمل لغير احقر العبيد . فلم يترك للبنانيين — احباب فرنسا — أقل حرية . بل وضع السكين على العنق . وقال لهم اما اما الاستسلام او الموت » .

افيرى مسيو بونسو فى ذلك البلاغ شيئا من العدالة او الكياسة التي عرف بها الذوق الفرنسي في التاريخ ؟ . بل ايرى في صوغ الخطاب على هذه الصورة شيئا من الجمال الفاتن الذي نسبه اللبنانيون لفرنسا ، لاستمالة القلوب ؟ . ليس هذا موضوع البحث . فهنالك امور جوهرية هي اجدر بالنظر الدقيق والتأمل العميق

١ ان هذا البلاغ ينافي تصريح الجنرال غورو قبل ١٣ يوما اذ قال « لما تشرفت باستقبال مجلسكم الاداري ، في ١١ اذار الماضي ، صرحتم لي ، بشكل شبيه بالرسمي ، برغبتكم في ان تدرسوا مشروع دستوركم الاساسي . فالحكومة الفرنسية تحبذ هذا العمل وان يكن لا بد من انتظار تقارير مؤتمر السلم فى هذا الشان . فان هذا الدرس ، علاوة على كونه تمهيديا ، مفيد فائدة عظيمة . وهو من حقوقكم » الشرعية . ومما لا ريب فيه « ان لمجلسكم الصلاحية » في ذلك . ولكنني رأيت من الموافق ان اوسع دائرته بان أضم اليكم بعض وجوه اللبنانيين الذين اخترتهم من المتنورين من جميع

الطوائف ، حسب التناسب المعول عليه في لبنان . وانا اعتقد فيكم الكفاءة لهذا العمل ، ولزيادة الفائدة أضم اليكم رئيس المراقبة الاداري للمنطقة الغربية ، او معاونه . والمستشارين الماليين والتشريعيين في القومسارية واقبلوا فائق الاحترام » .

مع ما في هذا القرار من الخروج عن حدود الانتداب ، وذلك بتعيينه في المجلس اللبناني « بعض الوجوه » وضمه اليهم مستشارين « اجانب » — مع ذلك — هو صورة لطيفة مقترنة باعتراف صريح ، ووعد جميل ، يصح تسجيلهما على الحكومة الفرنسية . واحترام الدولة يقترن حتما ولزوما بحفظها وعودها . فماذا كان منها بعد ۱۳ يوماً ؟ . هذا هو موقفنا امام الكولونيل نيجر الذي خاطب نواب لبنان ذلك الخطاب الجاف

۲ لما سمع الحضور كلام نيجر نهض انطون بك شحيبر رئيس محكمة التجارة وحاول التكلم فتمنعه الكولونيل نيجر بلهجة شديدة بقوله : ليس الموقف موقف مناقشة او اظهار عواطف وابداء آراء . انما هي « أوامر عسكرية » كلفت ابلاغكم اياها .

۳ قرار عالي الشان . من الجنرال غورو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية ، الى مجلس لبنان الاداري

أولا . الغي مجلس ادارة لبنان لعدم استطاعته القيام بوكالته .

ثانياً . تقوم مقام مجلس لبنان الاداري لجنة موقتة ادارية ريثما يتم تعيين النظام السياسي للبنان الكبير ، يمكن الشروع بالانتخابات العامة .

ثالثاً : سيصير فيما بعد تعيين اعضاء اللجنة . ا . . .

قارن بين قول الجنرال « الغي المجلس لعدم استطاعته القيام بوكالته »، مع قوله سابقاً « ان للمجلس الصلاحية » للاشتراع . اما قوله « بوكالته » فمن الذى وكله ؟ . أفرنسا أم الامة ؟ . فاذا كانت الامة فعزل المجلس والغاؤه هو من حقوق الامة ، بموجب الدستور، وليس من حقوق الجنرال الاجنبي . ومتى وبماذا ثبت عجز المجلس؟ ان متصفح التاريخ ينشد الحقيقة . والحقيقة تتألق ببهاء ، في سماء الاذهان ، فوق غيوم الاغراض وخطيئات السياسة .

تألف ذلك المجلس سنة ١٨٦١ بمصادقة فرنسا وأوربا . وسار في عمله ٦٢ سنة لم يقل احد — في كل تلك المدة — بعدم كفاءته فعلى أى أساس ، وبأى حق ، واستناداً الى أية مادة ، في أى دستور ، يحكم الجنرال غورو بحل المجلس والغائه ؟ .

وما شأن غورو « ليعين » اعضاء اللجنة « تعييناً » ؟ .

٤ ان غورو لم يعزل أعضاء المجلس بل ألغاه الغاء ، كائناً من يكون اعضاؤه . ومعنى ذلك انه كسر دستور البلاد وداس كرامتها افمفوض هو بذلك ؟ . ومن الذى فوضه ؟ . وأين الاوامر بيده بهذا المعنى ؟ . الا يحتمل ان يخطيء هذا الجنرال ؟ . دعنا من ذلك أفليس هذا هو نفس المجلس الذى خاطبه نفس الجنرال ، منذ ايام بما يجعل هذا القرار قولا نكراً ؟ . هنا لك فوض اليه سن الدستور بمساعدة المستشارين . وهنا ألغاه الغاء أبدياً ، واستأثر بالامر فعين هو تلك اللجنة الاستشارية .

وهو عمل لم يجرؤ عبد الحميد الثاني العثماني ان يقدم عليه .

٥ — ان تصرف الجنرال ينافي الامر الذي استند اليه الكولونيل نيجر ، القاضي « ببقاء القديم على قدمه » وهذا المجلس « قديم » فلماذا يلغيه الجنرال ؟ .

هل يتعجب الجنرال بونسو ان أمة ، تعاملها فرنسا هذه المعاملة ، قد رفعت لواء الحرب ، وشرعت الاسنة والنصال ؟ . اما التاريخ وعقلاء الارض والسماء وجهنم ، وانا ، فنتعجب من قعود اللبنانيين على هذا الضيم ، وعدم محاربتهم فرنسا

٣ — حادثة السبعة أعضاء مجلس لبنان

يحب القارىء ان يقف على مجرى الحوادث ، ليتبين نفسية البلاد ، وما هية السلطة الاجنبية . فاقول : —

أعضاء مجلس لبنان الادارى هم نواب الامة المنتخبون انتخابا حراً . فهم يمثلون لبنان ، بل هم لبنان . وعددهم ١٣ عضواً انتخبتهم الامة اللبنانية طبقاً لنصوص الديكريتو الذى سنته الدول المعظمة سنة ١٨٦٠ القاضية باستقلال لبنان ، والقائمة على رقابته ، والدفاع عن استقلاله . وهؤلاء الاعضاء غير مسؤولين لحاكم لبنان ، الذى كان يتعين بفرمان عثماني وتصديق الدول الست . بل هم مسؤولون للامة التي انتخبتهم . فاجتمع هؤلاء الاعضاء بمحض حريتهم واختيارهم ، ضمن حدود صلاحيتهم ، وأصدروا القرار الآتي :

” ان مجلس ادارة لبنان النيابي ، المؤلف نظاما من ١٣ نائباً وفى الوقت الحاضر من ١٢ نائباً ، لسبب خلو مركز أحد نائبي قضاء كسروان المستقيل . قد وضع نهار السبت الواقع فى ١٠ تموز

١٩٢٠ باكثريته الكبرى القرار الآتي : —

« انه لما كان اللبنانيون ، منذ أعلنت الدول العظمي حق انشاء الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد ، فقد طلبوا ، وما زالوا يطلبون ، حقوقهم بتأسيس حكومة وطنية مستقلة . ولما كان استقلال لبنان ثابتاً تاريخياً ، ومعروفاً منذ أجيال طويلة ، وموقعه وطبيعة أهاليه المؤلفة للحرية والاستقلالية منذ القديم تستلزم استقلاله وحياده السياسي أيضاً ، لوقايته من الطوارىء ، وكان من أهم مصالحه وراحة شعبه الوفاق ، وصفاء العلاقات مع مجاوريه . وقد دل علي ذلك ما أحدثه التقاطع من ثوران الجهل لارتكاب الحوادث المؤلمة المتعلقة المتسلسلة من السنة الماضية الى هذه الآونة فبناء علي ذلك كله ، قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلا لوفاق يضمن حقوق البلادين ، لبنان وسوريه ، ومصالحهما ، ودوام حسن الصلات بينهما فى المستقبل . وبعد البحث فى هذا الشأن وجدانه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية

١ استقلال لبنان التام المطلق

٢ حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب . ويكون « بمعزله عن كل تدخل أجنبي » .

٣ اعادة المسلوخ منه بموجب اتفاق يتم بينه وبين سورية

٤- المسائل الاقتصادية يجرى درسها ، وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين . وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسورية .

٥- يتبادل الفريقان السعي لدى التصديق على هذه البنود الاربعة

وضمانة أحكامها

ولاجل التمكن من العمل على ذلك تجربة ، وبمعزل عن كل ضغط وتأثير خارجي ، ولاجل السعي الناجح في المراكز الايجابية لتقرير أحكام البنود الاربعة المقدم بيانها التي هي مطالب الامة اللبنانية ومصلحة لبنان الحقيقية المنزهة عن المآرب والاغراض الخصوصية ، وبالنظر لنيابة هذا المجلس عن الشعب اللبناني القانونية والمؤيدة مؤخراً باصوات أكثرية الشعب الكبرى قد قررت باكثرية المجلس موقتاً هذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات للملاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بيانها في المحال المقتضاة والمراجع الايجابية وابلاغ هذا القرار منه الى المقامات الرسمية الاوربية بالطرق الممكنة على الامة اللبنانية

فؤاد	محمود	سليمان	خليل	سعدالله
عبد الملك	جنبلاط	كنعان	عقل	الحايك
			محمد الحاج	الياس
			حسن	شويري

ان من ينظر الى هذا القرار يراه حائزاً على الصفة المشروعة الرسمية ، وهو من صلاحية الذين ألفوه ووقعوه وليس أكثر من ان أعضاء مجلس لبنان رأوا طريقاً صالحا لادارة بلادهم فقرروه هل كان قرارهم هذا صواباً أو خطأ ؟ . تلك مسألة لا يتناولها قلمي . قل ما شئت فى الامر . انما كل عاقل نزيه خالى الغرض يؤيدهم فى قرارهم باعتبار نيابتهم . أو على الاقل لامة المستأمنة لهم تؤيدهم وهى واثقة بهم كل الثقة . فارادتهم هى ارادة الامة .

ومن العبث اتهامهم بالخيانة والارتشاء . وهم ليسوا بموظفين أجانب وغرباء عن مصالح الامة . بل هم أبناء الامـة ومن جسمها . فغير معقول انهم يبيعون مصالحها بثمن لانها مصالحهم ومصالح أبنائهم وأحفادهم . ولا يرى في قرارهم هذا ما ينافي مصلحة لبنـان بوجه من الوجوه . وإلا فأى ضرر في كون لبنان « مستقلا » فى كونه على اتم « وفاق » مع جيرانه ، مع حفظ ذاتيتـه ؟ . نعم هنـالك شيء واحد لم يرض الانتداب الفرنسي ، وهو تقريرهم الاتفاق مع اخوانهم السوريين بدون تأثير خارجي . وهي فـكرة أوحاها اليهم النظر العميق في مصلحة الجيل .

فماذا حدث بعد ذلك ؟ . اسمع وتعجب ! !

بعد توقيع هذا القرار المار ذكره المعرب عن أميـالهم هموا بالذهاب الى الشام ليمكنهم التسرب منها الى فلسطين فيوصلوا صوتهم الى مسامع أوربا لانفاذ قرارهم ، ولا ريب فى انهـم فعلوا ذلك بعد تبادل الاراء ، ومراجعة الافـكار ، والوقوف على أميـال الامة ، ولا سيما عظمائها ، وتحت تأثيرات حوادث اختبارات كثيرة ، وكون هؤلاء الموقعين من أحباء فرنسا ، والمرحبين بها ، اعـاء إلى فشل السياسـة الفرنسية في سورية دون مراء . وسبب ذلك الفشل هو تجاوز فرنسا حدود الحق والعدالة وهضمها حقوق الذين وثقوا بها كما سأبينه بنصوص صريحة من أصدقاء فرنسا اللبنانيين ، الذين تكلموا فى جو هادىء ، خلواً من كل تأثير أو غرض . وسأبين ان فرنسا « ليس فقط عجزت عن ربح قلوب خصومها ، بل زادت على ذلك انها خسرت قلوب محبيها »

والآن أحول النظر إلى ما كان من أمر السلطة الفرنسية بهذا الشأن فاقول . ركب هؤلاء السبعة السيارات قاصدين إلى دمشق الشام ، فعلمت السلطة بامرهم ، وذلك طبعاً من جواسيسها المنبثين ، حتى في دوائر الحكومة العليا . فبغتتهم قوة عسكرية تبعتهم بايعاز الكولونيل نيجر . فادركتهم في صوفر ، فقبضت عليهم ، وعادت بهم مخفورين الى دار حبيب باشا السعد ، حيث كان الكولونيل نيجر والقومندان لا لرو حاكم لبنان . ولما حضروا سأل الكولونيل نيجر رئيس المجلس عن السبب الذى من أجله سافروا . فانكر الرئيس معرفة شيء عن هذا الامر . وقال ان لا علم له بهذه الرحلة الفجائية وبعد ان استجوب الاعضاء مراراً أرسلهم مخفورين الى السراي القديمة . ووزعهم فى غرف كلا على حدة ، بحيث لا يمكن أحدهم أن يرى الآخر . وأقيم عليهم الحراس من الجنود الفرنسية . وحظرت عليهم مقابلة الناس .

وبعد ماسجنتهم أرسلت بعضاً من رجالها ، فاوقفوا سعيد البستانى قائد الجند اللبناني سابقاً ، وجاءوا به الى السراي لاشتباههم فى أمره ، لا سيما بعد عودته الاخيرة من الشام . وقبضت أيضا على يوسف البريدي ، العضو الاداري ، وانطون بك الخوري ، قائمقام المتن سابقاً ، وضموا الجميع الى رفاقهم فى السراى القديمة

وان العضوين داود بك عمون ، ونقولا افندي غصن هما العضوان اللذان لم يشتركا بهذه الحادثة . وأحيل المقبوض عليهم على المحكمة العسكرية ، المؤلفة من أعضاء فرنسيين ، أجانب عن البلاد

فحكمت عليهم الاحكام الآتي بيانها . —

					ليرا		ليرا
خليل بك عقل :	نفي	عشر	سنين	ورد	١٤٠٠	وغرامة	٢٠٠٠
سليمان بك كنعان :	«	«	»	»	٣٢٠٠	»	٢٨٠٠
سعد الله بك الحويك :	«	٨	»	»	١٤٠٠	»	٢٨٠٠
فؤاد عبد الملك :	«	١٠	»	»	١٨٠٠	»	١٦٠٠
محمد محسن :	»	٨	»	»	١٤٠٠	»	٢٨٠٠
محمود بك جنبلاط :	«	٧	»	»	١٥٥٠	»	٢٧٠٠
الياس افندي الشويري :	«	١٠	»	»	١٥٠٠	»	٣٠٠٠
سعيد بك البستاني :	«	١٠	»				
امين ارسلان :	»	٨	»				
الياس بك الحويك :	»	٩	»				

وقد مر بك الغاء مجلس ادارة لبنان . فرأى السوريون في ذلك مرين كبيرين : الاول انتزاع ثقة اللبنانيين بفرنسا وثقة فرنسا باللبنانيين . وامحاء المحبة المتبادلة التي سادت العواطف من عهد القديس لويس الحادي عشر . الثاني ان فرنسا استعملت القوة لارغام السوريين على الامتثال والخضوع لرأيها . فلم تبق لها صفة الانتداب المزعوم بل صارت قاهرة ، تنكر على الاهالي حرية التفكر وابداء الرأي . وقد سمت هؤلاء الاعضاء خونة ، وما هم بخونة . ونفتهم من بلادهم ولا صلاحية لها بذلك . فاذا كان نواب البلاد يضطهدون ويهانون ويجلون عن بلدهم لانهم استعملوا الحرية التي لهم في ما ظنوه واجباً عليهم كنواب الامة ، ولم تسمع الدولة

المنتدبة حجة ولا دليلا ، بل اعتصمت بالقوة ، ولم تبق وسيلة لافهامها واقناعها إلا القوة افتستغرب يا مسيو بونسو اذا قامت الامة تخاطبكم باللغة الوحيدة التي تفهمونها ؟ . فانتضت الامة السيف لتفهمكم صلاحيتكم وحدودكم

قد ألبست السلطة المنتدبة حادثة لاعضاء السبعة غير ثوبها . فحسبت نواب لبنان خونة ، وانها هي الذائدة عن حرية لبنان وسلامته . فاذا فرضنا جدلا ان فرنسا تعني ما تقول ، وان هؤلاء الاشخاص هم خونة كاشخاص لا كلبنانيين ، فالداء اذاً محصور فيهم ، وبقية الامة بريئة ، اليس هكذا يريد الكولونيل نيجر أن يقول ؟ . والجواب عليه ان كان ذلك صحيحاً فيكفي عزلهم واستبدالهم بسواهم من الرجال الامناء ، مع ابقاء القديم على قدمه حسب الاوامر الرسمية الواردة اليكم .

فلماذا لم تكتف السلطة بذلك ، بل ألغت المجلس بتاتاً ؟ . اليس لعلمها ان قرار هؤلاء السبعة هو قرار الامة ؟ . وان أي عضو آخر حل محلهم نحا نحوهم ، ونسج على منوالهم ؟ . لان الامة اللبنانية تريد أن تتفاهم مع اخوانها السوريين هذه كل خطيئتها . تريد أن تضع يدها بيد جيرانها الاقربين . فساء الدولة المنتدبة ذلك وقامت تضطهد السوريين لانهم راعوا الاخاء . وهي تريد ان تفرق بينهم لتسودهم .

ولئلا تحسبني يا سيدي بونسو مفتئتاً عليكم ، ومجازفا بالقول ، أورد لك شهادة تحنى الهام امامها ، وتقتنع ان القلم الذي خط ما تقرأه مغسول بماء النزاهة والحرية .

أفتجهل يا مسيو ان فى باريس برلماناً ؟ . كلا . أو تجهل ان في البرلمان رجلا اسمه مسيو بيرار ؟ . كلا . أو لا تعلم ان الرجل صادق الفرنسية، مخلص في ما يقول ؟ . بلى. فاسمع ماذا قال فى ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٢ في وسط البرلمان ، بحضور هيئة الوزارة ومسيو بوانكاره رجل فرنسا العظيم ، قال : —

« انى أجمل يا حضرة الرئيس الحوادث السياسية التي وقعت في السنوات الثلاث الماضية وأنا عالم انك لم تستلم زمام الامور إلا منذ بضعة أشهر . ان الحقيقة التي لا جدال فيها هي ان عمالنا في سورية تمكنوا من تطبيق سياسة (فرق تسد) ـ قاعدة مكيافيلي ـ من الوجهتين ، النظرية والعملية . فقسموا سورية الى دويلات لا مبرر لوجودها . ونفثوا العداوة بين شعوبها . وجددوا فيها المنازعات الدينية الى درجة لم تكن تعرفها من قبل . اسألوا أيا شئتم من السوريين ، وكم كنت أود ان أجيء اليكم بمسيحيين ومسلمين وماسونيين ويهود وجزويت — حتي الجزويت أنفسهم — لان الكل مجمعون على رأى واحد ، وهو ان وجودنا فى سورية أدى الي احياء الاحقاد والمنازعات الدينية . ولماذا ؟ . لاننا أغدقنا النعم والنفقات على كل من السوريين بدوره . فى سنة ١٩٢٠ قمنا بعملنا الكبير ضد فيصل . فقال المسيحيون في نفوسهم ان فرنسا جاءت لحماية المسيحيين . ولكننا في أواخر تلك السنة ، وأوائل سنة ١٩٢١ أصدرنا الحكم فى مسألة أعضاء المجلس الاداري . انى أستميحكم عذراً ، يا حضرة رئيس الوزراء اذا عدت الى هذه المسألة مرة أخرى . لان من أعظم أحزانى ان أرى الدور الذي

مثلناه في هذه المسألة . وقد مضى علي الآن ١٤ شهراً ، وأنا ألفت انظار الحكومات التى تعاقبت على مقاعدكم هذه ، الى حالة لا يجيزها شرع ولا يبررها قانون ، وسوف تسمحون لي ان أقول رأيي في الجرم القضائي الذى اقترفناه مع أعضاء مجلس ادارة لبنان

(ليلاحظ القارىء . سيدي بولسو ان حنا خباز لم يأت بشيء من عند نفسه . ولا حاد عن سنن الاستقامة وحرية الضمير . فما أورده في سلسلته قد مر أولا بالبرلمان الفرنسى . والآن أعود لايراد بقية خطاب مسيو بيرار)

« كان هذا المجلس مؤلفاً من الاعضاء المنتخبين . وقد أوقفت السلطة تسعة من أولئك الاعضاء بتهمة الاتفاق مع العدو . أي مع فيصل الذى كان يومئذ لا يزال حليفنا . وحاكمتهم في مجلس عسكرى فرنسي . وحكمت عليهم بالنفى (والغرامة) رغم المعارضة الشديدة التى أبداها بعض أعضاء ذلك المجلس . وكان معظم هؤلاء الاعضاء من المسيحيين ، ورئيسهم هو شقيق البطريرك الماروني . . . .

وقد نفذ هذا الحكم ، واعتقل هؤلاء اللبنانيون ، بكورسكا ثم بفرنسا . واسفرت المساعي الفرنسية فى نيسان سنة ١٩٢١ عن حمل الحكومة على الاعتراف بان هذه الحالة غير قانونية (أي ان الاعضاء مظلومون) وقد أفرغت وزارة الخارجية — التى أدركت حرج الحالة — قصارى جهدها لكي تسفر المفاوضات عن نتيجة ولكن مضى الآن على وجود هؤلاء اللبنانيين ١٤ شهراً ودوائرنا ببيروت تمنع وزارة الخارجية عن احترام العدل ، وخدمة مصالح

فرنسا الحقيقية . فهذه الحال لا يمكن أن تدوم (صراخ من مجالس الاعضاء — حسن . حسن جداً) وهكذا كانوا السبب في العواطف التي تسود سورية الآن (أي عواطف النفور من الانتداب الفرنسي وكره رجاله) فان السوريين اعتمدوا على فرنسا ورجوا منها الصداقة والعدل . ولكنهم صادفوا عكس ما كانوا يرجونه » .

هذا يا سيدى كلام رجل فرنسى سامي المقام بباريس . وقد أملاه على مسامع الهيئة الحاكمة الفرنسية ، في أسمى مراجع الدولة أعني به مجلس نواب فرنسا . فما قولك فى هذا أيضاً ؟ . هب انك كفرت بمحبة واخلاص بطريرك الموارنة وهذا الداعي الذي عشقكم وعشق انتدابكم . وهب انك قلت فينا ما قاله غيرك في غيرنا . أفيمكنك أن تكفر بوطنية مسيو بيرار وباخلاص مسيو بوانكاره ؟ . فلا أراك تجهل اذاً ان معاملتكم أعضاء مجلس ادارة لبنان محسوبة عليكم في عداد الامور التيخسرتكم احترام محبيكم وقلوب وثقة مريديكم . وبرهنت على انكم أمة لا غنى عن اصلات السيف فى وجوهكم لتحترموا حقوق الآخرين . فقاموا يعاملونكم بما ألزمتموهم وأرغمتموهم أن يعاملوكم به رغم ضعفهم وفقرهم . فاذا جاز لك أن تتعجب ، فلا تتعجب من محاربة السوريين لكم بل يجب أن تتعجب من غرابة تصرفاتكم وفظاعتها التى جعلت أحباءكم يحاربونكم

ويرى السوريون في حل السلطة مجلس ادارة لبنان ، افتئاتاً على حقوق الجبل . لان المفوض السامى لا يملك هذه الصلاحية ،

ليتدخل فى شؤون لبنان المقررة . زد على ذلك ان المفوض السامي أمر بان يكون حاكم لبنان فرنسياً . وهذا أيضاً يخالف نص بروتوكول لبنان . ولا يجوز مخالفة قانوناً قبل الغاء ذلك القانون ، وإلا عد مخالفه جارماً .

ثم ان في تعيين حاكم فرنسى للبنان ، وللعلويين ما يوغر صدور أبناء الامة على المنتدبين ، ويحملهم على مقتهم وكراهيتهم

( ) مقالة تعرب عن نفسية اللبنانيين

قال كاتبها :—

لا أقدر إلا أن أحب فرنسا ، البلد الذي أبرز مثل جوفر وبوانكاره ونابليون وغمبتا وباستور ولامارتين وهيوغو . على ان هنا لك نفراً من الموظفين الفرنسيين فى سورية يهتمون بمصالحهم الشخصية ، أكثر مما يهتمون بمصالح الدولة التي ندبتهم ، فافسدوا كل ما غرسته فرنسا في سورية من بذور التربية والادب . وكادوا يقضون على كل الارث الادبي الذى فاخر مسيو بوانكاره به قائلا : ان فرنسا اكتسبته في الشرق :

ومما يصح اتخاذه دليلا على ذلك مخالفة هؤلاء روح الادب فى ما حدث أخيراً في حالة تعيين حاكم لبنان الكبير . فقد أصدر دولة الحاكم العام بواسطة حكومة لبنان الكبير أمراً يقضى بحل جميع البلديات بلبنان ، وانتخاب بلديات جديدة . وحدد موعداً للانتخاب ١٨ نيسان الماضي . وفي اثناء ذلك كانت الاوامر ترد

الى مديري النواحي باعداد لوائح الكشوف باسماء الاعيان الذين يرشحون أنفسهم للانتخابات ، مع الاشارة الى الذين اشتهروا منهم بميلهم الى فرنسا . وبعد ما أرسلت الكشوف المذكورة الى ديوان الحاكم العام ، وضعت قوائم خاصة بكل بلدية وفيها أسماء الاعضاء الذين وقع عليهم اختيار الحاكم العام ليكونوا أعضاء بلدية . وأرسلت هذه الكشوف الى المديرين . فجعلت الاشراف على الانتخابات ومراقبتها لتسييرها في الوجهة التي تلائم السياسة الموضوعة ، مع العمل على انتخاب أصحاب الاسماء المذكورة في القوائم الواردة من ديوان الحاكم العام . ولما حل ميعاد الانتخاب أعد الحكوميون عدتهم ، وخاضوا غمار المعركة الانتخابية فنجحوا في كل الجهات تقريباً ، نجاحاً اذا لم يعطهم الاجماع فقد ضمن لهم الاكثرية بلا نزاع . واحتفظ الحاكم العام لنفسه — وهو فرنسي — بحق تعيين الرئيس لكل بلدية . فكان يعين الرئيس الذى يراه مناسباً ، أي الذي يمتاز بالميل الى فرنسا . وهذا في نظرهم ليس الذى يحب فرنسا حباً خالصاً ، بل الذى يخضع لجميع الاوامر والرغبات التي تصدر من ديوان الحاكم العام والسكرتارية .

وهكذا تم انتخابات البلديات ، وتعيين كل رؤسائها كما أرادوا تمهيداً لاعراب الشعب عن رغبته بواسطة البلديات في تعيين الحاكم العام .

جرى ذلك في ١٨ نيسان ، وما جاء آخر تموز حتى ورد على المديرين برقيات مختلفة تدعوهم الى بمبدأ ، أو غيرها من عواصم

المتصرفيات ، وهاك نص برقيتين . . . . نموذجاً لسواها

(١) قابلوني غداً (كسروان) أي كسروان الخازن .

(٢) احضروا غداً لمركز بعبدا (التوقيع)

فلما اجتمعوا طلب منهم أن يحملوا رؤساء البلديات على ان يرسلوا تلغرافاً الى النواب والمجالس طالبين تعيين القومندان ترابو حاكما لجبل لبنان . وهكذا وقع . فعاد المديرون الى مراكزهم ، وما لبث بعض البلديات ان ارسل تلغرافات هذا نصها : —

« قررت بلدية صيدا باجماع الاصوات ان يكون الحاكم فرنسياً لمدة خمس سنوات ، وأن يكون القومندان ترابو بالنسبة لمحبة الشعب له »

وأرسلت أوامر مكتوبة بالحبر والورق لمتصرفي البقاع وصيدا تحضهما على ارسال التلغرافات المجلس لتعيين ترابو حاكما على جبل لبنان لمدة خمس سنين . على ان عدة بلديات رفضت ان تكون ألعوبة بأيدي الفرنسيين وضنت بكرامتها ان تؤمر فتأتمر . ولكن ذلك لم يمنع الكثير من البلديات من ارسال البرقيات المذكورة

فترى من هنا ان فرنسا خسرت حتى محبة اللبنانيين الذين كانوا يريدونها . وذلك لتحاملها وتجاوزها

٥ مسألة القداس الرسمي

وقد يراها القاريء من الغرائب ، وقد تكون حكايتها أغرب من حكايات الغول والعنقاء . ولكنها أمر واقعي ، رأيناه بعيوننا

ولمسته أيدينا ، وشممنا عبيره . وشهوده أحياء ، وهم كلنا . وحكاية هـذا القداس أغرب ما سمع في ملكوت ابن مريم . لـكنهـا في انتداب فرنسا ليست أمراً مستغرباً ، بل هي مما اعتاد السوريون ان يروه يومياً من اجراءات الانتداب . وسأذكر شيئا من ذلك فى الجزء الثاني . اما هذا الجزء فمختص بسياسة فرنسا العامة فقط ولـكن هذا القداس هو من اغلاط السياسة الفرنسيـة العامة وقد ملأ ذكره الصحف ، وتحدث الناس بامره في البيوت وفي الاندية وشغل بيروت ولبنان وسورية ورومية وباريس وجنيفا والارض والسماء .

ملخص الحـكـاية

اعتاد الآباء الـكبوشيون فى بيروت ان يقيموا قداساً حافـلا لممثـل فرنسا في سورية ولدى وصوله البـلاد السورية . يحضره المفوض السامى بحاشيته ، والهيئات الرسمية فى كل دوائر المفوضية الفرنسية .

فلما حضر الجنرال ساراي ، وهو من الحزب الحر المناوىء الاكليرس ، ظن الآباء ان الخطة المثلى التى جرى عليها المفوضون السامون هي سنة محتمه الاتباع . فارسل كاهنهم الاب ريمي بلاغا الى الجنرال ساراي المفوض السامى الجديد ، الذي وصل سورية حديثا (في أوائل سنة ١٩٢٥) يخبره ان القداس الخاص سيكون في كذا الشهر .

وبما ان الجنرال ساراي من غير ذلك المشرب ، وليس عنـده تعليمات بهذا الشأن ، وليس من التزاماته حضور قداس كهذا ،

ظن كما يظن كل واحد في مثل تلك الظروف أنه يتصرف فيه حسب ميله الخاص . فارسل كتابا الى الاب رمى يشكره ويعتذر عن قبول دعوته وانه لا يحضر قداساً كهذا ، لا في كنيسة الاب رمي ولا في غيرها من الكنائس ، باعتبار كونه مفوضاً سامياً . وانه حين يمكنه حضور الصلاة فسيحضرها كشخص عادي ، لا كمفوض سام . وذلك في المكان والزمان اللذين يختارهما ، لا اللذين يعينهما له كائن من الناس . وظن الجنرال ان ذلك سيكون خاتمة الامر بينهما . ولكن الاب ريمي رفع القضية الى القاصد الرسولي « جانيني »

فكتب هذا بدوره الى الجنرال ساراى يقول : —

ان هذه العادة قديمة ، وان كل اسلاف الجنرال ساراى قد جروا عليها من بدء الاحتلال ، وقال انه سيرفع الامر الى قداسة الحبر الاعظم برومية فاذا فقدت فرنسا هذا الامتياز كان الجنرال ساراى هو المسؤول ، وليس الكنيسة

ذلك كان بدء الحادث ، ومنه يتبين القاريء ان المسألة ليست مسألة تسفيه طلب الاب « ريمي » ولا تحبيذ عمل الجنرال ساراي فلا يهم هذا القلم صلى الجنرال عند الكبوشيين أو عند العازريين أو الموارنة أو الكاثوليك أو الارثذكس أو فى جامع المسلمين أو في كنيس اليهود أو فى خلوة الدروز أو لم يصل على الاطلاق . ليس هذا موقع النظر . ولكن الموقع هو ان هذه المسألة لم يكن لها نظام مقرر يتصرف الجنرال بحسبه فهي غير مسجلة فى بروتوكول لبنان ، ولا فى الدستور الفرنسى ، ولا في قانون

الانتدابات في جنيف ، ولا في واجبات الجنرال كجنرال . ولو انها من واجبات الجنرال ساراي الرسمية لما تأخر عن القيام بذلك الواجب ، كما انه لو كان حضور القداس متروكا لارادته لما كان الاب ريمي والسيد جانيني اكترثا له ، ولما كان أزعج نفسه وأزعج الآخرين حتى اهتزت عروش أوربا والشرق . وشغل الدوائر العالية سياسية ودينية ، وملأ صحف العالم ومجلاتها شرحه والتعليقات عليه . فترى ان التشويش في الانتداب الفرنسي ناشيء عن عدم تحديد صلاحيات الموظفين والتزاماتهم

لما ذاع أمر تخلف الجنرال عن حضور القداس ، واستاءت منه الدوائر الاكايريكية ، أخذته الصحف مآخذ متنوعة ، حسب صبغاتها وأميال كتابها ، بين مادح ومفند وهازيء وناقم . فالصحف الاكليريكية سفهت تصرف الجنرال ، والحرة استحسنته ، والصحف غير المسيحية هزأت بالامر .

قالت لا سيري . —

«ان الجنرال ساراي أدخل أكبر انجاله الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت ، وانه طاف بزوجه وولده مشاة على الاقدام دون ابهة ولا خفر » تعني بذلك انتقاد تصرفه وتفنيده .

بعد ذلك ذهب الجنرال ساراي لرد الزيارة للقاصد الرسولي جانيني فأوصد في وجهه الابواب ، بدعوى انه غير موجود فالتزم الجنرال أن يسلم كارد زيارته للبواب وقفل راجعاً . ومن المعلوم ان الجنرال لا يذهب لرد زيارة كهذه دون ارسال اشارة . وعليه فيكون القاصد الرسولي تعمداً رفض بزيارة الجنرال ، لانه لم

بحضر القـداس . ومسألة كهـذه ليست بصغيرة في عرف الهيئـة الاجتماعية . لان المفوض أكبر شخصية رسمية في البلاد . وأكبر ممثـل للجمهورية الفرنسيـة في الشرق . فرفض القاصـد الرسولي مقابلته دلالة واضحة علي بالغ الاستياء وجسيم الاعتداء والعداء . بل على كبير التصدع بين حربى الدولة ، الاكليريكي والحر ، فالى الاول يستند القاصد الرسولي طبعاً ، ومن الثاني كان الجنرال .

بعده ، ذهب القاصد الرسولي الى روميـة . وتشرف بالمثول لدي قداسة الحبر الاعظم . وقابل بالفاتيـكان رئيس الكرادلة ، وقابل غيره من مراجع الملـكوت . ولا شك في انه بسط لهم حادثة القداس والجنرال ، وبادلهم الافـكار في ما يلزم ان يعمل . وعلى أثر ذلك توجـه الى باريس ، واجتمع برؤساء الـكنيسة ، وممثـلي الحبر الاعظم ، وذاكرهم فى الامر ، وطرح المـوضوع للنظر بين أعلى مراجع البابوية وبين وزارة هريو الحـرة . ولا ريب فى ان رومية وباريس ، وبعبـارة أضبط الفاتيـكان ودورسي ، تبادلتـا الـكـتابة بهذا الشأن ، رسمياً أو غير رسمي لا فرق . وكـانت النتيجة النهائية ان وردت الى فخامة الجنرال اشارة من رئيس وزراء فرنسا — مسيو هريو — أو من وزير حربيتها يأمره بحضور القداس ، نزولا عند رغبة الاكليرس . فاضطر الجنرال ساراي ان يصدع بالامر . فسار بموكبه الرسمي ، وحاشيته العريضة ، الى كنيسـة الاباء الـكبوشيين ، وحضر القداس حسب رغبـة الاب جريجي والقاصد جانيني .

قد ينكر القارىء علي الافاضة في الامر . فهلا انه لم ينته بهذ

بل ما زالت عيوننا على المسرح تشهد من بدائع الحوادث غرائب الفصول . فدعنا نتتبع هذه المهزلة الفرنسية الى نهايتها ، فاقول :ـ ان فخامة الجنرال ساراي تناول أمراً بحضور قداس الاباء الكبوشيين لكنه لم يستلم أمراً بعدم حضور غيره من القداديس والحفلات الدينية . فرأى انه حر يفعل ما يشاء . ولذلك بعد ما اطاع الامر ، وحضر القداس المذكور ، عملا باشارة باريس ، أبت عليه نفسه الحرة إلا أن يحضر قداديس وصلوات كل الطوائف . فصار يحضرها الواحدة بعد الاخرى ، اليوم عند الكاثوليك ، غداً عند الارثذكس ، وبعده عند الموارنة الخ .

هل كان تصرفه هذا من تلقاء نفسه أو باشارة من باريس ؟ . وهل قصد بذلك تعطيل امتياز الاباء الكبوشيين بجعله كغيره من حفلات بقية الطوائف الدينية ، أو قصد به ابداء روح المساواة بين الطوائف في نظر المفوضية ؟ . سيان عندي . فليس غرضي نقد فخامة الجنرال ، ولا تفنيد تصرف غبطة القاصد الرسولي لا لا بل تبيان ضعف الادارة الفرنسية في الشرق . وقد سبب ضعف رأى فرنسا كثيراً من القيل والقال في سورية . فأي نظر يكون للمسلمين والدروز واليهود والبروتستانت والعلويين في أمر صبياني كهذا ؟ . ومع احترام الكنيسة والحكومة كلتيهما أرى ان أمراً كهذا كان يجب ان يكون مقرراً ، احتفاظاً بهيبة الجنرال ومكانة فرنسا . فاذا كان حضوره القداس واجباً وجب ابلاغه ذلك الواجب كي لا يتأخر عن أدائه . واذا كان غير واجب لا يتعرض له الآباء الروحيين . هذا مثل واحد من مئات الامثلة اوردته لابين للقارىء

عموماً ولمسيو بونسو خصوصاً — لماذا سقطت هيبة فرنسا وجرؤ الناس على مناوأتها .

٦ انقلاب اللبنانيين على الانتداب

عرف اللبنانيون باعظم الميل الي فرنسا من قديم الزمان والرغبة الزائدة فى الحصول على حمايتها ، وزاد هذا الميل فيهم بعد حوادث سنة ١٨٦٠ وتظاهر نابليون بونابارت الثالث بنصرتهم . وذلك معلوم فلا أطيل فيه . وأوضح أدلتي على شدة تملق اللبنانيين بفرنسا القرار الذى رفعه الوفد اللبناني الثانى بفرساى لمجلس الاربعة ، وسأورده في موضع آخر .

وكان يجب ان يكون اللبنانيون راضين عن انتداب فرنسا ، ولا بد من كونهم كذلك لو عدلت فرنسا في معاملتهم . فلم يغير عواطف اللبنانيين نحو فرنسا الا تصرفات فرنسا ، والخطيئات التي ارتكبها الفرنسيون . ليس انفرنسا داست ناموس لبنان فقط ، بل انها داست ناموس الانسانية ، ناموس المحبة والاستقامة والوفاء . وسأورد الادلة على ذلك فى المجلدات التالية ٢ و ٣ و ٤ . لانها لا يخلو واحد منها من تبيان سوء صنع فرنسا فى سورية . وانها جنت بذلك على مصالحها وعلى كرامتها جناية كبيرة . كالغاء مجلس لبنان ، والحكم الصارم على أبرياء لم يعملوا إلا واجباتهم . وأظن ان عمل فرنسا فى سورية هو أفظع ما عملته دولة في الدنيا فى كل العصور . ومثلها تعيينها حكاماً فرنسيين فى لبنان وجبل الدروز والمنطقة العلوية . فتكون فرنسا قد سلبت لبنان أثمن ما يمتلك ،

وهو الحرية والاستقلال. وجردته من كل صلاحيـة . وانتزعت منه امتيازاته المقتناه بدم رجاله ، وبما هو اثمن من تلك الدماء . لذلك هب اللبنانيون في أقسام المهجر ، وألفوا الجمعيات واللجان ضد الغاصب الجاني — دفاعاً عن حقوق لبنان وانتصاراً له من مظالم الفرنسيين وتعدياتهم . فليتامل القـارىء اللبيب كيف تبدلت الاوضاع ، فصار عشاق فرنسا في الامس أعـداءها اليوم . لانهـم رأوا فيها ما لم يكونوا يتصورونه ولا يصدقونه لو أمـلاه عليهم نبي من الانبياء .

لست أريد ان أشغل وقت القارىء وعقله بالتقارير والشواهد على صحة ما قلت — أعنى على قيام صميم اللبنانيين فى كل الدنيـا ضـد فـرنسا — فاكتفي بالقليـل منهـا لانه عـلى الـكثير دليل .

أولا : احتجاج حزب لبنان الفتي

« حزب لبنان الفتى الذى يمثل معظم اللبنانيين في الاسكـندرية يحتج بشدة على النظام الذي وضع أخيراً ليـكون دستوراً للبنان الـكبير . ويطلب الغاءه وتحقيق مطالب الحزب باستقلال لبنان استقلالا تاماً ، وتعيين حاكم وطني ، أو دعوة لجنة من المفـكرين اللبنانيين في الوطن والمهجر لوضع النظام الدستورى للبلاد ، وتسليم مقاليـد الحـكم للشعب ، ويعتبر أصراركم على تنفيـذ النظام النيابي المذكور اعتداء على حرية اللبنانيين ، وحقوقهم التي نالوها بدمائهم

رئيس الحزب
توفيق طنوس

ثانياً : جريدة الراديكال الفرنسية

جاء في جريدة الراديكال بتاريخ ٣ أيار سنة ١٩٢٢ ما نصه

« المسألة السورية »

« درس المجلس الملي لجمعية حقوق الانسان في جلسته التي عقدها في ٢٤ نيسان ما صارت اليه الحال في سورية استناداً الى وثائق يعول عليها . فوضع القرارين التاليين

القرار الاول · تحتج شعبة مرسيليا على ابطال الحرية السورية بسبب احتلال الجيش الفرنسي البلاد احتلالا عسكرياً .

القرار الثاني . نطلب من السلطات العمومية اجراء استفتاء تحت رقابة جمعية الامم في شكل الدولة التي يريدها السوريون في المستقبل . وان يعمل هذا الاستفتاء في فلسطين ، التي تعد جزءاً من الوحدة السورية . وانه ريثما يجرى هذا الاستفتاء تصدر فرنسا منشوراً بالغاء رقابة المطبوعات والتجسس

(السكرتير العام)　　　　(الرئيس)

يتذكر القارىء كلامي في التجسس في صفحة ١٠٣ — ١٠٦ من هذا الكتاب . فترى ان لي شركاء في هذا الشعور النزيه المجرد عن كل هوى . فان جمعية حقوق الانسان ليست عدواً لفرنسا ، بل هي فرنسية . وما كتبته بهذا الشأن أملاه عليها الاخلاص . وهي تغار على مصلحة فرنسا وشرفها ، كما يغار كل صديق نزيه .

فالجاسوسية عيب وعار ، لا يرغب فيهـا انسان شريف النفس سليم الاخلاق .

ثالثاً : احتجاج جمعية الدفاع عن حقوق لبنان بمصر

فى مصر جمعية لبنانية ، فرنسية الميل ، باباوية الاعضاء ، نزيهة المقاصد ، سامية المطالب . « وهي تدعى جمعيـة الدفاع عن حقوق لبنان » . رئيس هذه الجمعية عبـد الله باشا صفير . وقد عرف أعضاؤها بحب فرنسا ، حباً خالياً من كل شائبـة . وليس أحد من اعضاء هذه الجمعية ، على ما أعلم ، يرمى الى انتفاع شخصي من وراء مساعيهم السياسية ، بل كلهم يرمون الى المصلحـة العامـة ، مجرداً عن كل غرض نفسانى . واليك احتجاجهم .

احتجاج لجنة الدفاع عن حقوق لبنان

لجناب مسيو جايار المفوض السامي والوكيل السيامى الفرنسى بمصر

يا جناب الوزير

نحن الموقعين أسماءنا على هذا ، اعضاء لجنة الدفاع عن حقوق لبنان الـكبير ، نتشرف بان نعرض عليكم ما يأتى : —

ليس بخاف على جنابكم ان لجنتنا خلفت اللجنة اللبنانية السورية بعد انحلالها . وهي التى تألفت فى الحرب وطلبت انتـداب فرنسا لسورية ولبنان

وغرض لجنتنا السعي ليتم للبنان تحقيق الوعود التي جاهر بها الحلفاء عموما وفرنسا خصوصاً . ولذلك . ولذلك سبق لنا ان قدمنا لكم بروغرامنا في يوليو سنة ١٩٢٠ وفيه

١ اعلان استقلال لبنان

٢ اعادة أراضيه المغتصبة

٣ انتخاب جمعية وطنية تأسيسية

٤ تحديد موقف وعمل رجال الانتداب

وقد اطلعنا فخامة مندوب الجمهورية الفرنسية السامى في سورية ولبنان ، الجنرال غورو على هذا البروغرام بواسطة جنابكم . وبتنا ننتظر منه تحقيق الامل بملء الثقة وفي شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٢٠ انشأ فخامته دولة لبنان الكبير وأعلن استقلالها . ولكنه عين الحاكم الاعلى للدولة الجديدة فرنسياً . فكان هذا التعيين خروجاً عن مبدأ الانتداب ، ومساساً باستقلال لبنـان ، من حيث حقه ان تكون ادارته وطنية صرفة

وكان الجواب على ما بدا يومئذ من الشكايات ان ذلك تعيين موقت سيزول بعد انتخاب الجمعية اللبنانية . فما كان أشد دهشتنا اذ فوجئنا باذاعة قانون أساسى أعدته سلطة الانتـداب من دون استشارة أي كان من عناصر الامة اللبنانية ؟ . وأوجدت فيه مجلساً لبنانياً ليس له على العموم الا اختصاصات استشارية . اما السلطة فمحصورة بموجب هذا القانون في يد الحـاكم الفرنسي ، وفي يد المندوب السامى . مع ان التصريح الذى أذاعتـه الدولتـان ، الفرنسية والبريطانية ، فى ٨ نوفمبر (٢ ت) ١٩١٨ واضح ، لايحتمل

تأويلا وهو : ـ ان هاتين الدولتين تتحاشيان اخضاعهم (السوريين واللبنانيين) لشيء من الانظمة الغريبة عنهم ولا يكون لهم هم إلا بتسهيل عمل الحكومات التي اختاروها بحريتهم لانفسهم » . فكان هذا القانون نقضاً صريحاً لهذا التصريح الرسمي

ومن نتائج هذا القانون الحط من منزلة لبنان قهراً ، ألى صف البلدان التي من درجة ب في ترتيب جمعية الامم . وهي الدرجة التي يحق للدولة المنتدبة ان تديرها على ان تستشير الاهالي فقط . فالموقف مخالف تماماً لنص البند الثاني والعشرين من جمعية الامم وهذا نصه : — ان بعض الجماعات التي كانت خاضعة للدولة العثمانية قد بلغت من الرقي مبلغاً يمكن معه ان يعترف لها موقتاً انها أمم مستقلة على شرط ان يرشدها في سبيل ادارتها ، وان يعينها عليها دولة منتدبة الى ان تتمكن من السير وحدها ، وعملا بهذا البند قد جعل مجلس جمعية الامم لبنان وسورية في درجة الحرف أ وقررا ان يكون الانتداب لهاتين البلادين قاصراً على مجرد الشورى والارشاد . دون ان يمس سلطة الحكومة المحلية بشيء . ثم ان مسيو ريمون بوانكاره رئيس مجلس وزراء فرنسا شرع بكل وضوح غرض الانتداب في مجلة العالمين الصادرة في أول ينـاير (٢ ت) ١٩٢١ قائلا : ـ لسنا في الشرق لضم أراض وبسط حماية . بل نحن فيه بموجب انتداب عهد الينا من جمعيه الامم ، ورب قائل ان ذلك مجرد ظواهر ، واننا سادة البلاد . كلا ثم كلا . فان مجلس جمعية الامم تنفيذاً للبند ٢٢ حدد ثلاث رتب ـ ا . ب . ج ـ فيدخل في الحرف ـ ا ـ انتدابنا في سورية ولبنـان » : ونضيف الى ان

هذا القانون مخالف أيضاً المطالب التي عبر عنها باسم اللبنانيين ، الوفد اللبناني الثاني ، الذي رأسه البطريرك الماروني حين طلب انتداب فرنسا بمذكرته لمؤتمر الصلح في ٢٧ اكتوبر (١ ت) ١٩١٩ وهذا نص المذكرة . —

« ان استقلال لبنان مؤيد على ما فيه من النقص بنظامه الاساسي الذي أنشيء سنة ١٨٦١ . وعليه فالوفد اللبناني يرى انه اذا كان الغرض من تقرير الانتداب التسهيل على الشعوب المقصودة به سبيل الوصول الى السيادة الوطنية المطلقة من أقرب الطرق ، وأسلمها عاقبة ، كما يتضح من نص المادة ٢٢ من عهدة جمعية الامم فلبنان بعد ان خبر ستين سنة شكل الانتداب الدولي ، واتم تربيته السياسيه ، صار يحق له ان يكون اليوم ذا استقلال مطلق . فاللبنانيون بطلبهم الانتداب الفرنسي يعتقدون اعتقاداً راسخاً ان فرنسا ، بما عرفت به عن سعة الصدر والشهامة لا تقتصر على احترام استقلالهم . بل انها تعززه وتدافع عنه . وهم يعتقدون أيضاً انها ستحترم كرامتهم وحكومتهم وارادتهم التي يرغبون في بقائها لبنانية صرفة . وانها ستجيء لبنان جيئة المرشد والصديق . وتهتم بانماء الشعور الوطني بتركها شؤون تنظيم الحكومة والادارة والقضاء في أيدي اللبنانيين . ويعتقد اللبنانيون أيضاً ان فرنسا أبعد من تفرق بينهم ، وانها سوف لا تدخر وسعاً لتأليف الوحدة الوطنية بين طوائف لبنان المختلفة . وانها تساعد على احترام كل أنواع الحرية بواسطة نظام ديموقراطي يكون فيه للمجلس المنتخب كل اختصاصات المجالس النيابية في البلدان الغربية » .

« فيظهر جلياً من كل هذه النصوص ان وجود حكومة وطنية شرط ضروري للقيام بالانتداب من درجة ـ ا ـ . ويستلزم ذلك وجود مجلس نيابي منتخب ، له حق الاشراف على الحكومة . اما الطريقة التي تتبعها السلطات الفرنسية في لبنان الآن فمخالفة تماماً لهذه المادة . وهي أقرب الى طريقة الحكم في مستعمرة منها في بلد مستقل . وذلك لان الحاكم الفرنسي معفى لكونه فرنسياً من المشورات والاشراف التي يكون الحاكم الوطني مقيداً بها . فيتحمل هو نفسه المسؤولية تجاه المندوب السامي الذي لا يسعه إلا الاعتماد على مشوراته . ثم ان هذا الحاكم ليس تجاهه مجلس تمثيلي له حق الاشراف على أعماله . فينتهي به الامر الى الاستقلال في العمل استقلالا تاماً . ويترتب على ذلك ان رجال الانتداب في لبنان يعدون الحاكم الفرنسي مرجعاً لهم : ويقاسمونه السلطة مسيطرين على الموظفين اللبنانيين غير مكترثين لهم

ونحن نرى ان الجنرال غورو نظم حكومات سورية تنظيما مطابقاً لقوانين الانتداب . فكان ذلك مؤديا بنا الى هذا الموقف . وهو ان الولايات السورية التي كانت مستعبدة صارت الآن حرة . ولبنان الذي كان حراً صار الآن مستعبداً . وهذا الحرمان كاف وحده ليزيل من قلوب اللبنانيين أهم وأمتن دافع لهم منذ القديم الى التعلق بفرنسا

حاشية ـ هذا اعتراف صريح من لبناني صميم بلسان جمعية لبنانية شريفة ، ان تصرف الانتداب افقد فرنسا محبة اللبنانيين أنفسهم .

« اذ لا شيء من جميع أعمالها وصفاتها يستوي في نظرهم متى فقدوا من استقلالهم .

نستأذنكم يا جناب الوزير ، بان نعبر لكم عن ألم الخيبة الالم الذي أحدثته في نفوسنا اذاعة هـذا القانون الذي جاء قاضياً على الآمال التي أعرب عنها الوفد اللبناني في شهامة فرنسا وصدقها . ونطلب بكل الحاح الغاء النظام المتبع الآن في لبنان ، وابداله بنظام آخر يطابق حقوقه التاريخية ... بانشاء حكومة وطنية وايلاء المجلس اللبناني الصلاحيات التي يقتضيها استقلال لبنان . ونؤمل ان ثقتنا في عدل حكومة الجمهورية لن يخيب . وان جناب رئيس الوزارة الفرنسية ، ووزير خارجيتها ، الذى نرفع اليه شكوانا هذه يحتم بتنفيذ قوانين الانتداب على مافرضها هو نفسه بالتدقيق التام وعليه يا جناب الوزير نرجو أن تتكرموا بتبليغ عريضتنا هـذه للادارة الخارجية . وتقبلوا احترامنا

عن لجنة الدفاع
عن حقوق لبنان

رئيس	كاتب	نائب رئيس
عبد الله صفير	أسعد عطيه	فريد بابازوغلي

موقف نامل : يا فخامة المفوض السامي ، مسيو بونسو

لم يمس قلبي ، في مطالعاتي مدة خمسين عاماً ، كلام قط أكثر من هذا الاحتجاج . ولا سيما القرار الذى قدمه الوفد اللبنانى لمؤتمر فرساي .

واني استغرب ، الف ضعف استغرابك ان سورية حاربت فرنسا . استغرب كيف أمكن مسيو جايار ، ومسيو بوانكاره . ومسيو بريان ، ومسيو كليمانصو ، ورجالات فرنسا الكبراء ، ان تتحمل نفوسهم هذه النصوص التي تمس حبة الفؤاد . وتمزق الجيوب ، مع ما في الدم الفرنسي من الحماسة والحياة . فالانسانية مهما تنحط وتتقيد لا تقوى على احتمال مثل هذه الشعورات . أخص بالذكر ٤ نقاط

الاولى : ثقة اللبنانيين بشرف فرنسا وشهامتها . حتى انهم ضحوا على مذبح تلك الثقة استقلالهم وحريتهم

الثانية : وعد فرنسا الرسمي الواضح انها تحترم حرية هذا الشعب .

الثالثة : تقرير جمعية الامم ، وفيها أكبر رجالات فرنسا ، أهلية اللبنانيين

الرابعة : ماذا كان من شهامة فرنسا وعزة نفسها بعد كل ذلك ؟ . هل حققت ثقة اللبنانيين ؟ .

بأسف نسمع صيحات اللبنانيين المخلصين ان « آمالهم خابت » بوفاء فرنسا . لانها عبثت بحريتهم ، وداست حقوقهم ، وقتلت دستورهم ، واستعبدتهم . فقتلت أعظم حب في قلوب أخلص اصدقائها .

قد يظن فخامة المفوض اني أتحامل على فرنسا : استغفر الله وما الحاجة الى التحامل ، ولو اني رمت منها مقتلا فمقاتلها أوفر عدداً من شعر رؤوس أبنائها . انما يتحامل صاحب الغرض على

خصمه حين لا يجد له فيه موجباً الوقيعة والملام . وليس أحد في الارض يحاول ان ينقب صفاة . لان فيها من الثقوب ما لا يبقى زيادة لمستزيد . فالزعم اني اتحامل على فرنسا يعني اني في احتياج الى مستندات في تبيان خطيئاتها .

فليفتكر قرائي في هذا الشيء الواحد فيكفيه وهو ان كلام لجنة الدفاع الرقيق الحكيم المتين الحجة . العذب المذاق المسبوك في ألطف صور التحنان والصراحه الودية ، حتى انه لو رفع الى أرملة فقيرة ، بل الى قطاع الطرق ، لجادوا بالارواح في سبيل كاتبيه . ولم يرم هذا الاحتجاج الى نيل مطلب بطريق التسول . ولم يبغ ما ليس له . كلا . بل طلب حقاً غمطته فرنسا بصورة منكرة وشكل معيب . طالباً حقاً مقرراً أعترفت هي به للسوريين شفاهاً وكتابة رسمياً وغير رسمي . وقد عرفته وسلمت به الدول في كل الارض . وكان شرف فرنسا ومصلحتها والوجدان الحر يقضي باجابة اللجنة الى ما طلبت . ولكن بكل أسف لم تسمع فرنسا ولم تلب طلب أحبائها المخلصين . فمرت سنة ١٩٢٢ و١٩٢٣ و١٩٢٤ و ١٢٩٥ ولم تبد فرنسا أقل ميل الى احبائها الثقات ، أو أقل ميل لانصافهم فكانت ثقة اللبنانيين بفرنسا وحبهم اياها مقيسين بظلمها اياهم واستهانتها بحقوقهم . ظلت فرنسا على هذا الحال حتى رفع الدروز والشوام أعلام الثورة . واخترق رصاصهم علمها المثلث ، بل مزقوا أوصال جنودها ، وردوا ميشو واخوانه على اعقابهم وانتزعوا من فرنسا كل البلاد . من حدود نجد الى ابواب حمص ولبنان الصغير . عند ئذ لانت عريكة فرنسا وعرفت للبنان شيئاً من

الحق عليها . ففهم السوريون ان فرنسا لا تفهم ، ولا تنصف ، لغير القوة القاهرة . وانها تحتقر المحبة والولاء ، وتهزأ بالثقة والاخلاص — هكذا رأوا — فجاءوا يخاطبونها باللغة التي تفهمها لغة الحديد والنار

وهنا جواب مسيو بونسو . فانه يتعجب كيف حاربت سورية فرنسا . وجوابي على ذلك انكم أرغمتموها على ركوب هذا المركب الخشن .

لا أزال يا فخامة المفوض في معرض البرهان . فأورد لكم الادلة المحسوسة على صحة ما أقول .

ولئلا ابعد شاهدي أورد هنا قرار حزب الدفاع عن حرية لبنان . وهو الوارد على الصفحة التالية وما بعدها : —



« لبنان وفرنسا »

مصر في ١٦ ـ ت ٢ سنة ١٩٢٤

« كان مؤسسو حزبنا — الدفاع عن لبنان — قد عرضوا في تموز سنه ١٩٢٠ على ذوى السلطـة الفرنسية البرنامج المحتوى على المطالبة الآتية مستندة الى نص المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ، والى التصريح المشـترك الصادر من انكلترا وفـرنسا ، والى وعود فرنسا .

١ استقلال لبنان

٢ توسيعه حتى يعود الى حدوده الطبيعية القديمة

٣ انتخاب جمعية مؤسسة تقوم لسن القـانون الاساسي طبقاً للمبادىء الديموقراطية

٤ تحديد اختصاص رجال الانتداب ، وعملهـم بموجب اتفاق يعقد بين السلطة المنتدبة والحكومة المحلية طبقاً للمادة ٢٢ من قانون لجنة الانتداب فى جمعية الامم .

وقد وافق رئيس جمهورية فرنسا على كل ما تقـدم . وتألفت لجنة الحزب الحالية للعمل على تحقيقه وتنفيذه . بيد انه لم يلبث ان حدث في شهر ايلول سنة ١٩٢٠ ما جاء مخالفاً لهذا البرنامج بتعيين حاكم فرنسي على دولة لبنان الكبير . وقـد أكد المفوض السامى آنئذ ان ذلك ترتيب موقت ريثما يتم انتخاب المجلس النيابي . تلا ذلك في اذار سنة ١٩٢٢ قرار المفوضية السامية ببيروت — موقع

بامضاء مسيو « روبير دي كاي » سكرتير المفوضية العام ، الصحافي الاستعماري سابقاً ، خص المندوب السامي بسلطة مطلقة في الادارة وفي التشريع ، يعاونه حاكم خاضع لسلطته ، مشارك له في اختصاصه . وانشيء بموجب هذا القرار نفسه ، مجلس نيابي ذو صفة استشارية ، إلا في بعض الامور التافهة ، التي ترك له حق البت فيها نهائياً . فكان مما تقدم اقامة الحكم المباشر على الطريقة الاستعمارية ، وخرق صريح المبادىء المقررة في مادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ، ونكث على الوعود المقررة . فبادرت اللجنة الى رفع احتجاج شديد على ذلك الى وزارة الخارجية بواسطة السفارة في مصر .

ثم واصلنا السعي والجهاد الجدي في باريس لحمل السلطة على العودة الي مبادىء الانتداب والعمل بها .

وقد حدثت مناقشة في مجلس الشيوخ الفرنسي سنة ١٩٢٣ بشأن الانتداب وموضوعه . عرف بها مسيو لوسان هوبير (وكيل لجنة الامور الخارجية ومقرر ميزانية سورية ولبنان) الانتداب تعريفاً محكما جلياً ، وافقه عليه مسيو بوانكاره ، رئيس مجلس الوزراء نفسه . وقد جاءت التصريحات يومئذ موافقة بجوهرها مطالب اللبنانيين

١ سيادة لبنان وسورية ٢ انشاء حكومة وطنية ذات سلطة في الادارة والتدبير ٣ تخويل المجالس الوطنية المنتخبة حق التشريع

٤ تحديد اختصاص رجال الانتداب

بيد انه ارتفع في المجلس في اثناء المناقشة صوت معارض ، فان المسيو دومنك دي « لا هي » أحد شيوخ المحافظين من حزب اليمين أبى الاعتراف بالعهود التي قطعتها فرنسا على نفسها لاجل تنفيذ الانتداب على حقيقته ، وأيدها حضرة رئيس الوزارة نفسه بقوله « انها نتيجة لازمة لمعاهدة فرساي ولسائر المعاهدة التي أبرمها مجلس النواب (الجريدة الرسمية في ٢١ حزيران سنة ١٩٢٣ صفحة ٩٣٦ عمود أول) . اما مسيو « لا هي » فأنكر عليها ذلك وجهر بوجوب الجري على سياسة فرنسا في سورية فحسب . وانه لا يصح ان تعدل فرنسا هناك عن سياستها التقليدية يرمي بذلك الى استعادة حكم الفرنج في سورية كما كان في عهد الصليبيين . فهو يحاول ان يربط الحاضر بماضي مرت عليه سبعة قرون ، منتحلا لزعمه ما ينتحله الصهيونيون في فلسطين ، من الحجج لاستعادة حقوق كانت لهم قبل الفي سنة .

يتجاهل مسيو « لا هي » تطورات الاجيال والمبادىء التي قررتها الثورة الفرنسية العظمى ثم ذلك العامل الخطير الذي أوضح مسيو لوسان هوبير انه قد نشأ عن الصلح وقلب التقاليد وبدل التاريخ والاوراق وبدل ذلك بكلمة حديثة العهد في لغة السياسة ، حضرية المدلول يقال لها « الانتداب » .

على ان هذا الصوت المعارض ذهب ذهاب الريح بسبب اجماع تلك الهيئة على تأييد مسيو هوبير في تعريفه الانتداب ، ووافقه حضرة رئيس الوزارة ، الذي بلغ منه التمسك بذلك حداً أنكر فيه على مجلس الشيوخ عنده حق البحث في ميزانيات الحكومة السورية

واللبنانية . لان فرنسا ليست هناك في بلد من ممتلكاتها أو تحت حمايتها » صفحة ٩٣٧ عمود أول . بيد ان هذا الاجتماع لم يحل دون انتصار مذهب الشيخ المحافظ عند الانتقال من حيز القول الى حيز الفعل . لان مسيو بوانكاره صرح في ١٥ ت ٢ الحالي امام مجلس النواب تصريحاً فسرته الطان في ٧ ت انه يقصد منه اقرار النظام الذى وضع بقرار في اذار ١٩٢٢ واحلاله محل النظام الذى يقضي به صك الانتداب (وقد صار نافذاً منذ ٢٩ ايلول الماضي بالاتفاق مع السلطات الوطنية ، ويكون مطابقاً لرغائب الاهالي . ان هذا النقض الصريح المتعمد لصك الانتداب انما هو تأييد لمبدأ التحكم بالبلاد . وتقرير للسلطة المطلقة التي حفظها ممثل الدولة الفرنسية لنفسه . فاصبح بها في واقع الامر الحاكم العام ، والسيد المطلق في كل بلاد الانتداب . وترتب على ذلك ان هذه البلاد مع حرمانها من حكومة وطنية وايجاد مجلس استشارى مما لا فائدة منه سوى ستر الاعمال الاستبدادية . ومع حرمانها من جهة أخرى من مزايا ، وأثبتها البرلمان الفرنسى استناداً الى انها ليست البلاد المملوكة لفرنسا ، ولا تحت وصايتها ، قد أصبحت كأنها البلاد التي لا مالك لها وتسري عليها قوانين البلاد الاخرى . فيسوغ لاي موظف الاستئثار بالحكم فيها كما يشاء تحت ستار من الاوهام والمدعيات الفارغة . وليس علينا سوى أن نبحث عن الاسباب التى حملت الحكومة الفرنسية على الرجوع القهقرى صبعة اجيال ، وتفضيل مذهب مسيو دي لاهي وحزبه فى مجلس الشيوخ من بعد ان كان رئيسها قد جاهر ان هذا الحزب ليس هو فرنسا ، ليدة الثورة ،

التي نادت بحقوق الانسان .

وعليه فان ثقتنا لم تتزعزع ، ولا تزال قوية بفرنسا . هذه هي الحقيقة التي تمثلها أكثرية الاحرار في مجلس النواب ، والى هذه الهيئة الكريمة التجأت اللجنة والتمست منها السعي لدى الحكومة لتطبيق الانتداب تطبيقاً عادلا يتفق مع معناه ، وبمنع المصادقة النهائية على القانون الحالي . وهذا هو نص الالتماس.

لرئيسي المجلسين ، ورئيس لجنتي الامور الخارجية في المجلسين ورئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق في مجلس النواب .

باريس في ٣ ت ١٩٢٣

يا حضرة الرئيس

في ١٩ حزيران الماضي بسط بطريقة جلية حضرة مسيو لوسيان هوبر عضو مجلس الشيوخ ، ومقرر ميزانية الوزارة الخارجية لدى المجلس المشار اليه ، والى الانتداب الذي نالته فرنسا على سورية ولبنان وغرضه . وقد وافق رئيس الوزارة على كلامه في هذا الموضوع وأيده . فعلق عليه سكان البلاد الآمال

قرر مسيو هوبر ان مهمة فرنسا ليست تولي الحكم بنفسها في سورية . بل تعليم السوريين مزاولة الحكم بانفسهم . وعقب على ذلك بقوله يجب ان نترك للمجالس الوطنية حق تقرير الامور مع الاحتفاظ للمفوض السامي بحق المعارضة والتعديل في بعض الاحوال ولا ينبغي ان يكون في سورية وصي ولا هيئة تتلقى ارشاداته

وأجاب رئيس الوزارة على ذلك بقوله . أجل ان الانتداب نوع من المراقبة ، تشرف بها فرنسا على الشعوب السورية ، وليس

الانتداب ضمناً . وهذا لا حاجة الى التصريح به لانه مفهوم ، ولا حماية ، ولا أية طريقة للحكم تشبه الحماية . فكانت هذه التصريحات منطبقة على مبادىء الانتـداب ؛ ولـكن لسوء الحظ جاءت تصريحات رئيس الوزارة بمجلس النواب في ١٥ ت ٢ هادمة تلك الآمال . وقد أسهبت في التعليق عليها جريدة الطان الشبيهـة بالرسمية في عـددها الصادر في ١٧ منه بما يؤيدها ويزيدها تأكيداً فالبند الاول في صك الانتداب ، الذي أصبح معمولا به منذ ٢٩ ايلول الماضي ينص بان على الدولة المنتدبة ان تضع في مدى ثلاث سنين ، بالاشتراك مع الحـكومة الوطنية ، نظاماً أساسياً تراعي فيه أماني الاهالي . إلا ان جناب رئيس الوزارة قد صرح ان هذا القانون قد وضع موضع الاجراء من قبل . ونشرت ذلك جريدة الطان عن حقيقة الانتداب ، التي قررها مجلس الشيوخ ، مع موافقة جناب رئيس الوزارة عليهـا ، والتي لا يجوز أن يكون الانتداب بمقتضاها سوى مراقبة تشرف بها فرنسـا على الشعوب السورية واللبنانية ، فضلا عن ان هذه الخطة مخالفة لمنطوق صك الانتداب وخالية من كل مراعاة لاحتجاجات ذوي الشأن . ولذلك يحق لنا القول ان فرنسا بطلبها من جمعية الامم الموافقـة على القانون الآنف الذكـر على منهج لا يتفق مع روح المبـادىء الديموقراطية وهو سيؤدي بلا شك الى نتائج وخيمة .

ان هذا التحدي لبلاد الانتداب سيقابل دون شـك بصلابة الحزم وصادق العزيمة . وها ان سكان دمشق قد أعلنوا مقتهم للطريقة الحالية ، خلافاً لمـا ابلغ الـبرلمان الشعب الفرنسي عنـه :

وقاطعوا الانتخابات التي جرت في شهر ١ ت الماضي للمجلس المؤلف طبق الطريقة التي وضعها القانون الاساسي المزعوم . فدمشق وحمص اقفلتا أكثر حوانيتها ، والمحال العمومية عدة أيام متوالية مجاهرتين بالاحتجاج . فاضطرت الحكومة لرقابة الناخبين القليلي العدد الذين حضروا للانتخابات حتى ان مجلس دولة دمشق نفسه المنتخب في تلك الاحوال ، والذي لا ريب في ولائه للانتداب قد أجاب على الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه مندوب المفوض السامي بما يلي : —

ان الامة السورية كانت ترجو أن يكون لها حظها من الحكم الذاتي ، أوفر مما يصرح لها به قانون الانتخاب . وقانون صلاحية المجلس النيابي . فلقد جاءت هذه القوانين مخالفة رغائب الامة من حيث الوحدة السورية والسيادة القومية .

وكان ذلك سبباً في الاستياء الذي ظهرت بوادره في دمشق خاصة . ان المجلس يترقب من دولتكم أن تعاونوه بصورة جدية لتحقيق مطالبه وعمنياته التي تؤيد رغائب الامة المشروعة وهو يرى اعماله ضمن حدود الصلاحية الممنوحة له ستبقى عقيمة . واذا طال الامر على حصره ضمن الحدود الضيقة فان القنوط يستولي على نفوس أعضائه ويسود الاستياء بين جميع طبقات الشعب

هذه هي الحقيقة التي لم تنفك عن المجاهرة بها منذ اعلان النظام اللبناني . وقد جئنا الى باريس لكي نذكرها بها . ورب معترض يقول ان لا صلاحية لنا للقيام بذلك . ولكن ما عساه ان يعترض على مطالب مجلس تمثيلي ليس فيه إلا غلاة أنصار الانتداب

الفرنسي ، الذي لم يؤلف إلا بانتخاب فريق معدود من المريدين الذين استهدفوا بهذا الانتخاب لسخط مواطنيهم .

هذا ولقد جرى في المجلس التمثيلي بلبنان الكبير حادثة مكدرة بخصوص قانونه الاساسي سنة ١٩٢٢ ، على أثر موافقة مجلس جمعية الامم على نص صك الانتداب — ولكن قبل صدوره — طلبت هذه المفوضية العليا من المجلس ان يوافق على استقدام طائفة من المأمورين الفرنسيين « وأن يكون ذلك علي شكل اتفاقية معقودة بين الطرفين . ولما أبدى المجلس رغبة في الاطلاع على نص الصك الرسمي ، وعدوه بانهم يبلغونه اياه حالما يصل اليهم . وعلى ذلك أرجيء البحث في الامر الى فرصة أخرى . حتى اذا كان شهر آب الماضي بلغ هذا النص الى الحاكم ، ولم يبلغ الى المجلس . فاقترح أحد الاعضاء في جلسات ذلك الدور المناقشة فيه . الا ان مندوب المفوض السامي ، الذي كان حاضراً معهم ، منعهم من ذلك بحجة ان نظام المجلس كان يخصص جلسات ذلك الدور بالبحث في الميزانية فاحتج بعض الاعضاء على ذلك المنع ، وسألوا هل وصل الحكومة النص الرسمي ، الذي وعدوا به في السنة الماضيه أولا ؟ . ومتى تحيله الحكومة الى المجلس ؟ . فلم يعط جوابا .

فيتضح ، والحالة هذه ، ان المفوضية لا تنوي ان تفاوض المجلس في شأن القانون الاساسي . وان مقالة الطان المفسرة لتصريح جناب مسيو بوانكاره ، قد جاءت مثبتة هذا الامر . ولولا ذلك لسهل عليها ان تعد المجلس بانها ستبلغه ذلك القانون فيما بعد

ففي هذه الحالة لا يبقى للبلاد الخاضعة للانتداب من وسيلة الا

الالتجاء الى تلك الهيئة . ومما لا مشاحة فيه ان موقف الفريقين بالنظر الى الحق والعدل على تباين واضح والدليل على ذلك ما يأتي ان فرنسا بركونها الى شهادة عمالها تزعم ان أهل البلاد قوم متقهقرون . لانهم خالون من الشعور الوطني . فلا سبيل والحالة هذه الى تخويلهم الانتفاع بالبند الاول من صك الانتداب

الا ان السوريين واللبنانيين يردون التهمة بشهادة جمعية الامم نفسها التي عرفت لهم من التقدم في الحضارة ما جعلها تنظم بلادهم في رتبة — ١ — اعترافاً لهم بالمقدرة . اما اللبنانيون فانهم فضلا عن ذلك يدلون لاثبات حقهم في السيادة بالحجج الآتية :

١ الشروط التي بموجبها طلبوا انتداب فرنسا على بلادهم ، على ما هو مبين بوضوح فى المذكرة التي قدمها لمجلس الصلح الوفد اللبناني سنة ١٩١٩ برئاسة غبطة البطريرك الماروني المفوض من سكان لبنان الكبير .

٢ ما كانوا عليه قبل الحرب رمز الاستقلال الاداري المعترف به من الدول المعظمة . وقد كانت فرنسا أشد أنصاره بحمايتها لتلك الامتيازات التي يحاول عمالها الآن القضاء عليها

٣ البروغرام الذى وافق عليه ممثل فرنسا الجنرال غورو في شهر تموز ١٩٢٠ وهو يتضمن انتخاب جمعية تأسيسية تضع بالاتفاق مع فخامته قانونا اساسياً مبنياً على المبادىء الديموقراطية الدستورية وتحدد فيه اختصاصات رجال الانتداب . وهذا البروغرام هو الذي طلبت جمعيتنا وضعه موضع الاجراء . وكلا الفريقين من سورية ولبنان يستند الى وعود الحلفاء المكررة ، ولا سيما فرنسا

وهم يستندون أيضاً الى المنهج الذى تسير عليه انكلترا فى العراق باعترافها بسيادة هذه البلاد ، وبحقها في ان يكون لها ممثلون فى الخارج ، وبان تنظم فى جمعية الامم .

وقد نشر مشروع القانون الاساسى الذي سيعرض على الجمعية المؤسسة فى جمعية الامم . وهو ينص على تأليف مملكة دستورية ووزارة مسؤولة لدي مجلس نواب يتألف من عشرين عضواً . فيتضح من ذلك الفرق العظيم بين طريقة الحكم التي حتمتها فرنسا على سورية ولبنان وبين الطريقة التي سلمت بها انكلترا لمملكة العراق .

أفيجوز بعد ذلك ان يرمى السوريون واللبنانيون بالجهل والتقهقر والعالم طراً يعترف لهم بالتفوق حضارة على سكان العراق قد يلجأ ذوو الغايات الى محاولات أخرى ، بيد ان كل فصاحة التقارير الرسمية والمقابلات الموحي بها في الجرائد لا يمكنها ان تموه الحقيقة على مجلس غيور على كرامته ، وعلى شرفه ، كجمعية الامم .

يرون هؤلاء أن يستندوا الى شروط الانتداب في فلسطين معرضين عن العراق ليشوهوا الانتداب المقرر لسورية ولبنان . ولكنه لا يوجد أقل مشابهة بين تينك المنطقتين . ففلسطين محكوم عليها بقبول المهاجرين من جميع الامم ليستوطنوها ، ويكتسبوا بها حق المساواة لسكانها الاصليين في الحقوق . اما سورية ولبنان فليست هذه حالتها .

ثم ان البند الاول من صك الانتداب لفلسطين يتحول بصورة

قطعيـة الدولة المنتـدبة حق الادارة والتشريع . اما الانتـداب السوري اللبناني فانه بعكس ذلك منصوص فيه وضع قانون أساسي يمكن الاهالي من تولي شؤونهم بانفسهم بمساعدة الدولة المنتدبة وفقاً لمضمون البند الثاني والعشرين من عهد جمعية الامم ، وتصريحات الحليفتين المشتركة الصادرة في ٢ ت ١٩١٨

اما عمال الانتداب فانهم لا ينفكون عن تحريك المقاومة التي يتهمون بها السوريـين واللبنانيـين ، زاعمين ان هؤلاء يناهضون الانتداب الفرنسي كلما اعترضوا على شيء من الاجراءات المخـالفة لروح الانتداب . وهم ينسبون ذلك حتى الى أشد الناس اخـلاصاً وصداقة لفرنسا . على ان الحقيقة هي ان الانتداب لا دخل له في شيء ممـا تقدم . واذا كان ثمـة استياء فليس إلا من المنهج الذي يجرون عليه .

ولعمر الحق ان مثل هـذه الحال لا يمكن أن تدوم دون أن يجر فرنسا الى تضحيات متواصـلة ، ودون أن يزعزع مركزها في الشرق ويعرضه لطوارىء الاحوال . أجل انها قادرة على المحافظة عليه إلا ان استياء الاهلين الذي تستفيد منه البـلدان المجاورة يضطرها ان تبقي جيشاً محارباً كبيراً حذار ما تستهدف له من الاستمرار القلق الحاضر وفقدان الثقة في المستقبل مع ما يصحب ذلك من المخاطر والمحاذير . فنواب الامـة الفرنسيـة لا يسعهم والحالة هذه أن يظلوا غير مكترثين لهذه الامور . وقد سبق للبرلمان ان طلب اجراء تحقيـق عن الادارة العسكرية في سورية ولبنان . وكان من وراء ذلك تخفيف اعباء الامة الفرنسية . أفلا يرون الآن

ان قد حان اجراء مثل هذا التحقيق عن الادارة ؟ . وهذا التحقيق يكون لغايتين . الاولى البحث عن حاجة الادارة الحقيقية الى طائفة المأمورين والى نفقات الميزانية سواء أكانت هذه النفقات تدفع من الخزينة الفرنسية أم من خزينة البلاد . الثانية التنقيب عن أفضل وسيلة يحسن بها التذرع لتنفيذ الانتداب على وجه يحقق اماني الاهالي دون أن يجحف بمصالح فرنسا . ويجب أن يجريه فريق من أعضاء البرلمان ونخبة من الموظفين الذين ينكرون مناهج التوسع والاستعمار التي نشرها الحلفاء على أثر هذه الحرب الاخيرة ويجرى ذلك بالاتفاق مع ممثلين ذوى صلاحية ينوبون عن الاهلين .

ولا يرجى حدوث أدنى تغيير في الطريقة الحالية بعمل فرد من أفراد الموظفين لما يجره ذلك من المسؤولية التي لا يشار على أحد حمل اعبائها . فالوزارة تلقي المسألة على عاتق المفوض السامي وهذا لا مناص له من التعويل على أعوانه ، وهؤلاء متمسكون بخطة تعزز لهم سلطتهم المطلقة على البلاد ، وتمكنهم من المحافظة على مناصبهم . ولذلك يصورون للحكومة ان الامور تؤول الى اسوإ مصير ان هي أظهرت ميلها الى منح الاهلين الحرية ومالأتهم على أمانيهم . على ان الحقيقة ان هذا المصير السيء يخشى من الوصول اليه اذا ظلت الحكومة مصغية لسماع أقوال هؤلاء الاعوان .

وعليه فان تدخل البرلمان دون سواه من شأنه أن يحمل الحكومة على تحمل المسؤولية بما يؤيدها من مرافقته وتعضيده . وانما ريثما يتم ذلك من المهم أن يحال دون حدوث مشاكل لا مفر

منها اذا أصمت الحكومة الفرنسية أذنيها عن صوت الاهالي في الدفاع عن حقوقهم التي قدسها الانتداب . وضربت باحتجاجاتهم عرض الحائط بتصميمها على استبدال القانون الاساسي بالنظام الحالي ورفعها اياه الى جمعية الامم للمصادقة عليه .

في شأن البرلمان الفرنسي التدخل لدى الحكومة لاجل وضع حد لهذه الحالة . ان في تدخله أملنا الوحيد والا خير بفرنسا

عبد الله صفير

رئيس جمعية الدفاع عن حقوق لبنان

هذا هو القرار الذي رفعه عبد الله باشا صفير اللبناني ، الى دولة فرنسا . وهو أهم من مجلد برمته . ولا سيما انه صادر من أصدقاء حميمين لفرنسا . ولئلا أشوه محاسنه اتركه بدون أدنى تعليق أو شرح . وأثبته في كتابي هذا أثراً — بل تحفة من تحف الدهر — شاهداً بعدالة اللبنانيين ، وخطيئة فرنسا .

قال لبناني آخر تحت عنوان : ماذا عمل الفرنسيون في سورية وجوابه على هذا السؤال ما بعضه · —

١ سنوا قانون الدين ٠٠٠٠ أن تدفع الجنيهات الذهبية ورق نقد سوري للدائنين . فكانت النتيجة ان ربح البنك الاجنبي وخسر الشعب السوري

٢ صرحوا للبنك باصدار الورق السوري بلا قيد ولا شرط فأصدر ٢٥٠٠٠٠٠٠ ليرا مضمونة بـ ٨٠٠٠٠ ذهباً أي ليرا واحدة ذهباً لكل ٣٠٠ ليرا سورية .

٣ وضعوا القانون الاساسي اللبناني الذى جعل لبنان فى مستوى

المستعمرات .

٥ حصروا مقاولات المشروعات في شركة فرنسية لا تخفى مطامعها ليفوزوا برضا « لوشار وشركاه »

٦ أبقوا شركة الريجي التى ألغيت فى الولايات العثمانية وفلسطين وشرقي الاردن .

٧ عقدوا اتفاقات مع الحكومات المجاورة من غير أن يستشيروا السوريين واللبنانيين

٨ حصروا السلطة بأيديهم غير مبالين بعواطف الشعب وارادته واستخدموا الحاكم المباشر فى لبنان

٩ أوجدوا جيشاً من الموظفين (الفرنسيين) أثقلت كواهل الشعب (السورى) رواتبهم

١٠ أحيوا الامتيازات الاجنبية

ثم ليس السوريون واللبنانيون والفرنسيون فقط صرحوا بخطيئاتكم فى سورية . بل أكبر موظفيكم في البلاد اعترف بها وهذا هو نص كلامه . قال الجنرال فندبرغ حاكم لبنان الكبير : —

ان الرجال الرسميين الذين سبقوني وسبقوا الجنرال « ويغان ارتكبوا خطيئات جمة »

وأنا أقول ان فندبرغ وويغان وساراى لم يكونوا أقل خطيئات ولا أخف مساوي ممن سبقوهم . فاصبح الفرنسيون فى سورية محكوماً عليهم من أنفسهم .

وسأبين ذلك فى المجلد الثانى والثالث والرابع

حنا خباز

ملحق

هذه تسعة أسباب يا فخامة المفوض السامي هي بعض ما ارتكبته فرنسا من الخطيئات في سياستهـا الاستعمارية شرقي المتوسط . ولا يغرب عن فطنتكم اني لم آخذ على عاتقي تعداد كل هذه الاسباب ، بل اقتصرت على ذكر البعض فقط ، وذلك اراه كافيـاً لازاله تعجبكم من اقدام سورية على محاربتكم . بل ان سبباً واحداً منهـا يكفي كالسبب الثامن مثـلا ، أي تعرضكم للمسلمين في دينهم ، ومحاولتكم ارغامهم على انتخاب من تريده فرنسا ليكون خليفة لهم . فلو ان كاتباً امريكياً أو المانياً كتب في احدى مجلات اليوم ان فرنسا تعرضت للمسلمين في أمر انتخاب خليفة لهـم ، وأمرتهـم أن ينقضوا بيعتهم الملك حسين بن علي ملك الحجاز ، ويبايعوا شخصاً آخر غيره فثار المسلمون في سورية على فرنسا ، وساعـدهم اخوانهم في فلسطين والعراق والحجاز » أقول . لو كتب الكتاب هكذا . افـكان أحد في الارض يتعجب من قيام السوريين لمناوأة فرنسا ؟ . كلا . فما لي أراك تتعجب من ثورة السوريين وليس تعرضكم للمسلمين في أمور دينهم إلا واحداً من تسعة أسباب ذكرتها واغفلت غـيرها . وكل ذلك يختص بسياسة فـرنسا الاستعمارية في الشرق . وهو فرع واحد من أربعة فروع هي بيانات وأيضاحات لازالة تعجب فخامتكم . فحق لي ان اتوقع من فخامتكم

استبدال تعجبكم من قيام السوريين على فرنسا بتعجبكم من محاولة

رنسا سياسة السوريين . ً لا يساس به زنوج مـدغشقر واشنتي وصفر طونكين

هذا ولا أزال في اول معارج التأليف فكم بالحري اذا تصفحتم الجزء الثاني وهو « خطيئات المأمورين الفرنسيين في سورية » التي اصلت جذوة الحرب . والجزء الثالث وهو الخطيئـات العسكرية . والرابع هو « معاملة فرنسا أحبابها » .

وسأوافيك يا فخامة المفوض بكل ذلك ان شاء الله . لا ريك وأري قومك معك أن سورية لم تـكن جانية عليكم بقيامها ضدكم بل انتم الجانون عليها لانكم هتكتم اسناد . المـروءة والانصاف . وسجلتم على أنفسكم العار الابدي .



خطأ	صفحة	سطر	صواب
الدرو	٧	١٠	الدروز
نطالـكم	١٦	١٤	نطاحكم
أقول	١٧	١	وأقول
١٣٠٠٠٠	٥١	٢	١٢٠٠٠٠
اندمحت	٦٦	٢	اندمجت
ناقشها على	٦٨	٥	أناقشها تخلى
١٩٢٥	٧٠	١	١٩١٥
الجهة	٧٤	٢٠	الجبهة
اربع	٨٩	٧	ربع
اجراءتها	٩٢	٢٠	اجراءاتها
استغلال برها	٩٧	١٩	استغلال غيرها
عق	١٠٣	٣	عن
الخبر	١٠٧	٤	الخبز
بالبنكوت	١٢٧	٢١	بالبنكنوت
ياربس	١٢٩	١٢	باريس
الهواع	١٣٥	٢٢	الهواء
ترقة	١٣٦	٩	ترقية
الفاتحون	١٣٩	٥	الفاتحين
الثار	١٤٨	٣	النار

خطأ	صفحة	سطر	صواب
تجنى	١٤٨	١٤	تجن
رامة	١٥٤	٩	كرامة
بعشه	١٥٩	١٩	بعشائري بين

اكتفي بهذا القدر تاركا اصلاح باقي الخطيئات لفطنة القارىء





المجلد الاول من سلسلة الخباز (فرنسا وسورية)

صفحة

فرنسا وسورية

الجزء الثاني

خطيئات الموظفين الفرنسيين

تأليف

حنا خباز

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٢٩

ان الرجال الرسميين الذين سبقوني ، وسبقوا الجنرال ويغان ، ارتكبوا خطيئات جمة (فندبرغ حاكم لبنان الاسبق)

***

ان من اعيب اجراءات الحكام ، واخوفها ، واشدها خطراً على الرعية ، ان ينقلب الحكام ذئاباً ، ينقضّون على الرعية ويمزقونها بأسنانهم (افلاطون)

***

الحقيقة التي لا جدال فيها ان عمالنا في سورية . . . قسموا البلاد الى دويلات ، لا مبرر لوجودها ، ونفثوا العداء بين شعوبها
(بيرار بمجلس اعيان فرنسا)

***

يستحيل صلاح الدولة اذا تسلط فيها الفقراء المعدمون الخالون من صلاح النفس ، الذين يرمون الى جرّ المغانم بالنهب والاختلاس
(افلاطون)

***

اعتمد السوريون على فرنسا ، ورجوا منها الصداقة والعدل ، ولكنهم صادفوا عكس ما كانوا يرجونه
(بيرار بمجلس اعيان فرنسا)

تمهيدات

(١)

تقدمة الكتاب

الى شهيدي الظلم ، والقسوة والجور ، الذين قتلا بأيدي الجنود الفرنسيين معذّبين ، دون محاكمة ، ولا دعوى ، او باعث . وهما اديب مندو وشريف الحلبية ، من اهالي حمص . أقدم كتابي هذا تخليداً لذكرى الظلم والتعدي .

حكاية مقتلهما

في صباح ٣٠ اذار (مارس) ١٩٢٩ ، كان الطحان اديب مندو ، وشريكُ شريف الحلبية ، في مطحنتهما ، بمزرعة حمص ، على نهر العاصي ، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من المدينة . وفي المطحنة كثيرون من العربان والفلاحين ، من نصارى ومسلمين ونصيرية ، بجمالهم وبغالهم وحميرهم ، كانوا قد جاءوا المطحنة لطحن غلالهم ، حسب العادة . فأطبق على المطحنة ثلة من الجند ـ بقيادة ضابط فرنسي ـ وطلبوا تسليم الشقي « نظير النشيواتي » ورفيقيه خيرو الشهلا وعمر المجرّص . فأجابهم من في المطحنة أن لا احد منهم هنالك . فقالوا من هو صاحب المطحنة؟. فتقدّم « اديب مندو » وقال انا صاحب المطحنة يا افندي.

فقال له الضابط ، يلزم ان تدلّنا على موضع نظير النشيواتي ورفاقه . فأقسم اديب اغلظ الاقسام انه لا يعرف اين اولئك الاشخاص . وقال يا افندي الله يطول عمرك . نحن جماعة عمّال على باب الله ، نأكل خبزنا بعرق الجبين . فأرجوك ان لا تسمح بوقوع ظلم ، لا يرضاه الله ، عليَّ . واذا كان عليَّ دعوى شخصية ، او عسكرية ، فأنا تحت امر الحكومة ، رعاية القانون العادل . اما اذا كان للسلطة شأن مع نظير ، وامثال نظير ، فهي اطول باعاً ، واوسع نظراً . فأسترحم عدالتكم ان لا تحملوني جريرة غيري .

فلم يسمع الضابط ذلك الكلام القانوني اللطيف ، بل امر الجنود بتعذيبه . فشرعوا يعذبونه عذابات لم يسمع التاريخ بمثلها . وهو يصرخ ويستغيث ، بمراحم فرنسا وعدالتها ، ويقول ، « يا ناس برقبتي حريم واطفال ، فاكراماً لله لا تظلموهم ، سوقوني الى المحاكم ، تروا براءتي ، وتطلقوني لأولادي ولأحبابي » فلم يزدهم استرحامه وتوسلاته الاّ قسوة في تعذيبه . كم عذبوه ؟ . لا يمكن هذا القلم أن يصف . فعذّبوه ، وعذبوه ، وعذبوهُ . حتى دخل في حشرجة الصدور ، وخمدت أنفاسه ، وما زالوا يعذبونه ، بلا رحمة ، ولا رأفة ، ولا حنان ، ولا رقة !!... وأخيراً فاضت روحه تحت أقدامهم ! . . . فياويلاه . وامصيبتاه .

أعدموا الرجل الحياة ، وليس بيدهم أمر أن يكلموه . وليس عليه دعوى ولا شبه دعوى .

فلما رأى شريكه شريف الحلبية ما رأى . وخشي أن يصيبه ما أصابه ، ألقى بنفسه في نهر العاصي طالباً للفرار من أيدي ظلاّم لا يرقون ولا يرحمون . فصوبوا عليه بنادقهم ، وأمطروه ناراً حامية ،

وهو في النهر . فاخترق رصاصهم حنايا أضلاعه ، وامتزج ماء النهر بدمه ، وغاص الى الاعماق . ولم يأذن الضابط الفرنسي لأهله أن ينتشلوا جثته من النهر .

قتل الشريكان دون جرم ، ولا حكم ، ولا شبهة . ولم تكن هنالك ضرورة حربية . ولم يكن الحكم عرفياً . قتلا وهما في شغلهما ، فحملت جثة اديب على الاكف ، ووراءها من أهالي حمص جموع لا يدرك الطرف آخرها . أعربوا بذلك عن استيائهم مما حل بالرجل من الظلم والاعتساف ، وأبدوا شعورهم نحو نسوةٍ وأطفال جنت عليهم منيته .

ذلك ما عملته فرنسا ، في حمص ، تحت قيادة الجنرال كوله ، ومفوّضية مسيو بونسو .

فلروح الفقيدين أقدم هذا الكتاب . لتخليد ذكريات الظلم ، ورفع الصوت عالياً بالاحتجاج على السلطة الفرنسية في سورية . اما ان اديب مندو ، وشريف الحلبية قتلا بأيدي جنود السلطة الفرنسية فأمر اعترفت به البلاغات الرسمية . واما انهما قتلا بلا أثم ولا حرج فأمر واقع لا يختلف فيه اثنان. واما ان فرنسا مسؤولة بدمهما فقضية واضحة كل الوضوح . على ان هذا الحادث ليس الوحيد من نوعه . فهو مثل لما اجرته السلطة الفرنسية في سورية .

ولذا أقول مع ميرابو : اذا كان في الارض رجل واحد يحتج على الظلم فذلك الرجل هو أنا

حنا خباز

مصر في ٢٢ ابريل سنة ١٩٢٩

(٢)

الى القارىء العزيز

أيها الصديق

أبنت في الجزء الاول من هـذا التأليف الاسباب المعدَّة ، التي حملت السوريين على امتشاق الحسام في وجه فرنسا سنة ١٩٢٥ـ١٩٢٧ وقلت ان تلك الاسـباب هي فروع السياسة الفرنسية الاستعمارية في الشرق . وقد ذكرت تسعة من تلك الاسباب ، وهي : —

١ً : دخول فرنسا سورية ضد رغبة اهاليها .
٢ً : تعويلها على الرشوة الدنيئة لبسط نفوذها .
٣ً : انخذال جيوشها في كيليكيا ، وخروجهم منها أذلاء .
٤ً : تقلبات سياستها بسورية ، تقلبات شائنة .
٥ً : اعتمادها الجاسوسية المعيبة في البلاد .
٦ً : سعيها الى دمار سورية اقتصادياً .
٧ً : احلال ابنائها محل ابناء الوطن في مناصب القضاء .
٨ً : تعرضها للمسلمين في امور دينهم بصورة خارقة .
٩ً : غدرها بلبنان واللبنانيين ، الذين احبوها ، وسلموها قيادهم .

فنفر الناس منها وقاموا عليها . وقد عززت كل واحد من هذه الاسباب بشواهد ساطعة ، وادلة قاطعة ، مما يعرفه السوريون ، ولا يقوى على انكاره مكابر . وقد وعدت اني سأبيّـن ، في الجزء الثاني الاسـباب المتمّـمة ، التي آلت الى انفجار مراجل الثورة ، ونشوب القتال بين

السوريين ، وبين الفرنسيين . وها انا ابرُّ بوعدي في هـذا الجزء . فسأذكر بعض تلك الاسباب ، وهي راجعة الى سوء تصرف الموظفين الفرنسيين ، ادبياً واداريا . تصرفات تنافي مبادىء الانتداب ، وتغاير روح التمدن ، وتعارض اصول البولوتيكا ، وتضاد تعهدات فرنسا ، بفرساي للسوريين ، ولجمعية الامم وللدول . وهي جناية على العدالة ، والذوق ، والشهامة والناموس ، والشرف ، والشعور الادبي ، والرجولة والوجدان .

وقد بلغ تسفُّـل بعض الموظفين الفرنسيين بسورية ، وفساد اخلاقهم ، وسوء ادارتهم ، ودناءة نفوسهم ، ادنى الدركات . فطفح كيلهم ، وما طفح فاض . فنشب القتال بينهم وبين السوريين ، وكان من امرها ما كان .

(٣)

عود على بدء

قلت ان فرنسا دخلت سوريا راشية (جزء اول صفحة ٣٧) وذكرت من رشوتها دفعها نقوداً ذهبية شهرياً لبضع صحف ومجلات . على ان صديقي المخلص ا . ش : أنكر على ضعف البرهان . وقال : « ان مجرد قول صديقك في برازيل انه كان يقبض عشرة جنيهات شهرياً ، من السلطة الفرنسية ، ليس بالدليل القاطع انها كانت « ترشو الصحافة » . فكان ينبغي لك ان تؤيد دعواك هذه باقطع الادلة ، وأثبت الحجج »

أجل ايها الصديق . ابيك وحنانيك .

اني لعلى يقين ان ليس في كل سورية من يجهل صحة ما قلته . مع ذلك اني ارحب باعتراضك لانه يهب لي فرصة ثمينة للتوسع في اثبات مدعاي ، اثباتاً لا يبقي للمراء مجالاً . ولست استشهد هذه المرة باقوال كراين ، ولا برواية الصحف السورية . بل بما هو اقطع من ذلك كثيراً ، باعتبار الاقتناع الفرنسي ، وهو اعتراف رجالات فرنسا في برلمانهم ، في حضرة كبراء الجمهورية الفرنسية ، ونقلاً عن الجريدة الفرنسية الرسمية . وقد نشرتها جريدة الاستقلال الشامية وها هي بحروفها

المناقشة الثالثة . في مجلس النواب الفرنسي يوم ٤ تموز سنة ١٩٢٢

الخطيب اندره برتون

« لسنا في سورية في بلاد الاعداء ، بل نحن في بلاد كانت صديقة لنا ، وكادت تتحول الى عكس ذلك (قال الخطيب هذا القول في تموز سنة ١٩٢٢ ، وكان ذلك نبوة)

« ذلك منذ نهجنا السياسة التي اندد بها

أعتقد ان الصحافة يجب أن تكون حرة في بلد السياسة فيها لاهلها ولحكومتها . ولا ازيدكم علماً بشيء ، يا حضرات السادة ، اذا قلت لكم إن الصحافة لا أثر لها في سورية . والصحافة التي تطبع في تلك البلاد صحف مقيدة مستعبدة . والجرائد القليلة التي تصدر في دمشق وحمص وحماه وحلب واقعة تحت مراقبة مزدوجة ، المراقبة الادارية والمراقبة العسكرية

تجد فيها قبل كل شيء البلاغات شبه الرسمية التي يصدرها ممثل الحكومة الفرنسية . وليست المراقبة هناك تابعة لقانون ، بل ان

المراقب حاكم مستبد يشطب كل شيء يراه ماساً بالسياسة من قريب او بعيد . وسأظهر لك يا جناب الرئيس جريدة عربية على شكل بعض الجرائد التي كانت تصدر ابان الحرب. انك لا تزال تذكر ذلك الرجل (كليمنصو) الصحافي ، الذي تحول من رجل حر الى رجل مقيد . وكاد يتحول الى رجل ثائر ، لو لم تطابه الى الاليزيه وتصالحه ، مكرهاً مضطراً

بوانكاريه : ـ لقد اكرهتني الوطنية على مصالحته

اليكم ايها السادة هذه الجريدة السورية كما تتداولها ايدي قرائها (هنا قدم لهم صحيفة فيها اعمدة بيضاء برمتها ، لان قلم الرقيب شطب ما فيها) ولا تصدر صحيفة هناك بدون ان تكون يد الرقيب قد بيضت اقساماً عديدة من صفحاتها. اما في طرابلس وبيروت فقد زالت المراقبة على الصحف قبل طبعها. لتحل محلها مراقبة يقوم بامرها رجال المكتب السياسي في المفوضية العليا . فمن هذا المكتب تصدر الاوامر الصريحة الى اصحاب الجرائد . بنشر بعض الاخبار ، وبعدم الاشارة الى سواها

لقد بلغت منكم الرغبة في تقييد الصحافة في سورية انكم وضعتم في دستور لبنان الكبير مادة خاصة ، تحتم على الصحف نشر البلاغات التي تأمرها الحكومة بنشرها . ولما سمحت بعض الجرائد لنفسها بانتقاد بعض اعمال الحكومة ، ورددت جريدة « الوطن » صدى استياء الشعب من دستور لبنان امرت السلطة بتعطيلها . . . واوامر تعطيل الصحف لا تبنى عادة على سبب ، ولا ترى السلطة موجباً ، على ما يظهر ، لتعليل حكمها. ومتى اقفلت الجريدة فانها لا تعود الى الظهور الا بامر صريح من المفوضية العليا

ـ هنا بدأ الخطيب بسرد ما اريده لاثبات ان المفوضية الفرنسية

كانت ترشو الصحف السورية ، قال : ـ

«والجرائد العربية تتناول اعانات مالية واسعة من خزانة المفوضية العليا . ولقد اظهرتم ايها السادة دهشكم لضخامة الاعتمادات المطلوبة لنفقات هذه المفوضية . وجرى بمجلس الشيوخ مجراكم في ذلك . فمتى علمتم فخامة الاعانات المالية التي تجود بها المفوضية على الجرائد فان دهشكم يزول . وتعلمون حينئذ كيف تنفق الاموال التي يطلبونها منا . واليك المثال : ـ

ان الصحف البيروتية ـ كالبرق والبلاغ والجامعة السورية والوطن ولسان الحال تتناول الواحدة منها اعانة شهرية قدرها ٢٠٠٠ فرنك (١٠٠ ليرا فرنسية) ـ وكانت جريدة المقتبس تتناول مثل هذا المبلغ وهنالك صحف اخرى ـ اخصها الف باء وسورية الجديدة والعمران ـ تقبض اعانات على هذا الشكل »

هنا أقف ، وأسأل صديقي ا . ش : هل يرى ذلك مستنداً وثيقاً لتأييد دعواي بأن فرنسا كانت ترشو الصحف السورية . والا فما معنى دفع ١٠٠ ليرا شهرياً لجريدة كلسان الحال وقد خلف صاحبها مركزاً لا يباع بمليون فرنك ؟ . وكذلك جريدة الاحوال الشهيرة . فليس اصحاب هذه الصحف في حاجة الى المساعدات المالية . وليست تلك الاعانة المالية احساناً ، بل هي رشوة . وهي رشوة دنيئة ، لانها من الحاكم الى المحكوم. وقد اعدمت فرنسا هيبتها وكرامتها. لان الحكومة الشريفة لا ترشو رعاياها . والدولة التي تحل الرشوة محل العدالة تتحكم في رؤوس رجالها سيوف الثائرين . وهذا الذي جرى في سورية

هذا ما أقوله في أمر رشوة الصحافة السورية . وهنالك امر آخر

اعترض به عليَّ . وهو اني أستشهد باقوال الاشتراكين ، اعداء الحكومة ومعارضيها . وعلى هذا اجيب

اولاً : لست اسند اهمية خطبة برتون الى شخصيته ، بل الى انه تلاها على مسمع رجال الحكومة الفرنسية من وزراء وقواد ، ولم يكذبوه فكأنهم كلهم شركاؤه في هذا التصريح .

ثانياً : ان ما قاله برتون معروف عندي . وقد أشرت الى ثلاث صحف لم أذكر أسماء اصحابها ، وقد عففت عن ذكرياتها احتفاظاً باعراض اقوامنا . فليس كلام برتون وارداً في ما نجهله .

ثالثاً : ما قولكم ، دام فضلكم ، في مسيو جوفنل المندوب السامي الفرنسي السابق بسورية ؟ . هل هو معارض للحكومة ، او هو ممثل الحكومة الرسمي؟. وقد عرف السوريون من هو جوفنيل . فاليك ما قاله في خطبة له بمناسبة مرور السنة الاولى على الجمعية المسماة « لجنة فرنسا ولبنان وسوريه » . واني اورده هنا نقلاً عن الاهرام المصرية بتاريخ ٢٢ مارس صفحة ٣ عمود ٤ قال : ـ

« لما الفنا هذه اللجنة قوبلنا بالشك والارتياب من الجميع فالشك هو اول ما يقوم في الذهن ، سواء في فرنسا وفي سورية . ولكننا لم لم نبرر هذه الشكوك ، لاننا لم نؤلف لجنتنا لنقيم الصعوبات والعراقيل في سبيل احد . واذا كانت هذه الشكوك انقصت عدد انصارنا والمنضمين الينا . فانها لم تغير برنامجنا ، وقد خلقنا لنخدم ولننفع لا لنضر . وغايتنا بسيطة مطابقة لفكرتنا الصريحة ، وهي ان على فرنسا واجبات في سورية ، وسورية محتاجة الى فرنسا . فيجب ان نصل بأسرع ما يستطاع الى انهاض سورية اقتصادياً . ولبلوغ هذه الغاية لا بد لنا من تقديم

رؤوس الاموال من الفرنسيين ، ومن السوريين المهاجرين ، الذين يحق لسورية الاعتماد عليهم . ولكننا نرى انه لاجل الانتقال الى عهد الانهاض الاقتصادي لا بد من حل المسألة السياسية. وانا لم أغير رأيي في هذه المسألة ، بعد تغيير مركزي . فقد قلت في اواخر سنة ١٩٢٥ للحكومة الفرنسية ، لما كنت مندوباً سامياً في سورية، انه لاجل جلب رؤوس الاموال ، التي تحتاج اليها تلك البلاد لا مندوحة عن تقديم ما تتطلبه رؤوس الاموال ، وهو الطمأنينة . والانتداب بشكله المقرون بالالتباس لا يوجد هذه الطمأنينة المرغوبة . . . فيجب اعطاء الانتداب شكل معاهدة لمدة ثلاثين سنة ، لاسباب اقتصادية وسياسية. وقد عقدت انكلترا معاهدة كهذه مع العراق التي هي دون سورية رقياً وتقدماً ، وليس من المعقول ان تكون فرنسا اقل تسامحاً — ولكنها كانت بالفخامة المفوض — . وقد تلقيت في ذلك الحين ، من الحكومة الفرنسية ، موافقة تامة. ولكن لم يمض وقت قصير حتى ساد التردد حول اقتراحي ولقد مضت اشهر ، بل مضت بضع سنوات، ولا يزال هذا التردد سائداً

هذا بعض خطاب جوفنيل وفيه عدة امور تستحق الاعتبار :

١ : ان اكبر رجال فرنسا يشهد عليها ، مبيناً ان تصرفها هو حجر عثرة في سبيل انهاض سورية

٢ : ان فرنسا بخلت على سورية بما لم تبخل به انكلترا على العراق وهي دون سورية ارتقاء وأهلية

٣ : ان فرنسا لا تحفظ كلامها ، بل هي مترددة متقلبة . فانها بعد ما وافقت على اقتراح جوفنيل ترددت في تطبيق العمل على النظر فتصريحات كهذه، من رجل كجوفنيل ، كافية لاقناع مسيو بونسو

ان أراد ان يقتنع ان انتقاداتنا على سياسة فرنسا هي في محلها . وان اللوم في ما حصل في سورية يقع على فرنسا — لانها مع معرفتها الداء بخلت على العليل بالدواء .

وأراني في غنى لاقناع مسيو بونسو ، فان الدليل القاطع موجود في نفس تصرفه . فقد رأى حفظه الله ان فرنسا مخطئة في سياستها . وانه من اللازم دعوة جمعية تأسيسية ، ينتخبها السوريون ، فتسن دستوراً لسورية ، وتؤلف لها حكومة حسب نصوص الدستور . وبعد ذلك تعقد مع فرنسا معاهدة . فلما شاع ذلك قابلت رجلاً معروفاً في مصر ، وقلت له يظهر ان فرنسا لانت شكيمتها ، وان مسيو بونسو نجح في مهمته ، فقد باشروا في انتخاب أعضاء الجمعية . فتبسم الرجل تبسم الاستخفاف والازدراء وقال : — انك واهم يا أستاذ .

قلت ولماذا ؟ . ألا تصدق الاخبار اليومية ؟ . قال : اني اصدق الاخبار ، ولكني لا أصدق وعود فرنسا ، واسوف ترى . قلت : وماذا تظن أن سيحدث ؟ . قال ستحاول فرنسا بكل وسيلة أن تكون اكثرية الاعضاء في جانبها . فتملي عليهم دستوراً في مصلحتها لا في مصلحة البلاد . قلت : واذا لم تنجح في اجتذاب الاكثرية ؟ . قال انها ، دون أدنى سبب ، ستحل الجمعية :

وبكل اسف اقول انها قد عملت كما قال صديقي . فانها بذلت كل جهدها لاحراز الاكثرية في الانتخابات . واذ لم تحرز الاكثرية ، حلت الجمعية . هـذا هو شأن فرنسا في معاملة سورية . فانها تبتدىء بعمل وتنقضه غداً ، وتعد ثم تحنث في وعدها . وهذا هو السر في مصير الامور الى اسوإ حال .

واليك ما جاء في المقطم بنفس تاريخ خطاب جوفنيل (٢١ اذار (مارس سنة ١٩٢٩) ص ٨ بقلم مكاتبه اللبناني ما يأتي : —

« اذا تذكرنا ما نقلته الشركات التلغرافية ، يوم عودة مسيو بونسو الينا من باريس ، من انه قادم ليتعاون ، على حل القضية السورية ، مع السوريين المعتدلين ، علمنا ان المفاوضات مع الكتلة الوطنية لا يمكن ان تستأنف ، للاسباب المتقدمة ، ولمراعاتهم رغبات الاكثرية السورية ، التي لا تقنع بحل يكون دون ما ناله العراقيون في انكلترا . ويستشهد الناس على ميل المفوضية عن التعاون مع الكتلة الوطنية ، او الجاسية بحوادث عديدة حدثت بعد تأجيل الجمعية التأسيسية . اولها استعادة سيارة رئيسها هاشم بك الاتاسي ، التي قدمتها له الحكومة عند انتخابه لرئاسة الجمعية التأسيسية . وآخرها عدم ذكر اسمه في برنامج استقبال مسيو اندره لابريير مندوب المفوض السامي الممتاز في دمشق ، الذي تسلم وظيفته . ومع ان هذا البرنامج عين مواعيد لاستقبال من هم دون رئيس الجمعية التأسيسية منزلة أغفل ذكر الرئيس ، وبخل عليه بثلاث دقائق من الوقت . واذا كان « الكتاب يقرأ من عنوانه » على قول العامة ، فليس هذا الاغفال بالدليل الحسن .

على ان الفرنسيين يرتكبون غلطاً فظيعاً — وهل هي اول مرة ؟ — في التعويل على اناس لا مكانة لهم في الرأي العام السوري لتسيير دفة السياسة السورية . وقد كانت غلطاتهم السابقة سبباً لما يعانونه اليوم في سورية من الازمات المستفحلة الشأن »

ترى في ذلك أيها القارىء :

ان سياسة فرنسا في سورية متقلبة تقلب الحرباء وهو رابع

أسباب القيام عليها . أبنت ذلك في الجزء الاول صفحة ٨١ وما بعدها

٢ : انها لا تبر بوعودها ، ولا تحفظ عهودها، والشاهد محسوس

٣ : ان مسيو بونسو، نفسه ، بعد ما شرع في اجابة السوريين انقلب عليهم ، ومدّ يده لاناس لا مكانة لهم ليتساح بهم على اخوانهم . ولو فكر قليلا لرأى أن سعيه عقيم . وبعد كل هذا نراه يبدي تعجبه من قيام السوريين على دولته . فماذا يتوقع فخامته منهم أن يفعلوا ؟ . هل يمكن شعباً حياً أن لا يقوم على دولة داست كرامته ، ولا تسمع للبرهان والدليل ، ولا تفهم بغير القوة ؟ .

(٤)

تقدمة الجزء الاول من تأليفي

لفخامة المفوض الفرنسي السامي في سورية

لما نجز طبع الجزء الاول من هذا الكتاب قدمت منه نسخة ، مضمونة بالبريد ، لفخامة مسيو بونسو المفوض الفرنسي السامي في سورية ، وهذا هو نصها : —

مصر ٦/٢/١٩٢٩

يا صاحب الفخامة

أتشرف بأن أهدي اليكم في هذا البريد نسخة من كتاب جديد وضعته باللغة العربية عنوانه « فرنسا وسورية » وقد توخيت في هذا الكتاب معالجة موقف سورية الحاضر، والعلاقات الحالية بين فرنسا وسورية ، والاسباب التي أفضت الى الموقف الحالي ، وحرصت على

التزام النزاهة التامة في ما كتبت ، والتجرد عن كل غرض . فلم تؤثر في دعايات الاحزاب المعادية للانتداب الفرنسي . كما اني لم أعبأ بما يقوله أنصار الانتداب . بل بذلت كل جهدي لرسم صورة حقيقية للحالة في سورية . واستعنت لتأييد كل رأي أبديته بمستند رسمي او شبه رسمي ، تجنباً لكل تهمة بالغرض . وجريت على هذا الاسلوب في جميع فصول الكتاب. وقد رأيت أن أقدمه اليكم لكي أسمعكم صوت رجل سوري لا يفتش الا عن الحقيقة ، ولا يهمه سواها . ومن كان مثلكم من رجال أمة عرفت بتقاليدها الحرة لا يسعه الا أن يسلم بنزاهة القصد ، ويعترف ، ولو ضمناً ، بالحقائق الملموسة

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول وافر الاحترام

الداعي

مصر (لوكاندة خلف هوس) حنا خباز

فيرى القارىء مسلكي في مخاطبة رجالات فرنسا الذين تعدوا علينا ، وأضرّوا بنا ، فأخاطبهم في جو هادىء ، برفق وأدب ، غير متسلح بالقسوة والسفاهة . لان لي في قوة حججي ، وعدالة مطلبي ، ما يغنيني عن ذلك .

(٥)

من والى

لا يفوت ذكاء القارىء اني في هذا الموقف بين قوتين ، تتجاذبانني الى جهتين متعاكستين . وها انا اوردهما في شكل حساب الدوبيا . ليكون القارىء على بينة من امر موقفي

اولاً جانب من . وهو عبارة عما يسجل عليَّ او يطلب مني ، يقولون : —

اولاً : انه يعسر اثبات ما تقرره من الشواهد ، المستمدة من تصرفات الموظفين الفرنسيين ، اثباتاً قضائياً ، وقد يتعذر ذلك الاثبات فتضعف حجتك ، وتتحمل مسؤولية المفترين .

ثانياً : تدعي أن من مبادئك الترفع عن الطعن الشخصي ، فما بالك الآن تورد المعايب الشخصية ؟ . أفليس ذلك ضد ما تدعيه ؟ .

ثالثاً : ان القصورات الادارية والادبيـة ، وان ثبتت على الفرنسيين لا توجب ادانتهم . لان هذه العيوب غير محصورة فيهم بل هي مرض عام ، اصيب به المستعمرون ، كثيراً او قليلا ، في كل الازمان. كالانكليز والاسبانيين والايطاليين والهولانديين والبلجيكيين فلماذا تجعل الفرنسيين وحدهم مسؤولين بذلك وحدهم كأنه لم يصدر عمن سواهم ؟ .

رابعاً : ان بعض السوريين أنفسهم لم ينج من أمثال هذه المفاسد، بل كانوا شركاء الفرنسيين وسماسرتهم فيها . فكيف تعيب اولئك دون هؤلاء ؟ .

خامساً : انك يا هذا تقرر حوادث تافهة ، جزئية ، ويفوتك ايراد حوادث كلية الاهمية ، هي أدلّ على ما تروم اثباته .

هذه امور خمسة يمكن تسجيلها في جانب « من » وهي تجعلني مسؤولاً في محكمة ضميري ، ومحكمة وجدان القارىء. واني أقرُّ بعدالة هذه الاعتراضات ، وأعترف بصعوبة حلها . على اني أقيد تجاهها في جانب « الى » الامور الآتية ، رداً عليها

أولاً : ان المؤلف غير المدعي لدى المحاكم. فلا يرمي الى ادانة شخص ، بل الى اثبات مبدأ. وما يورده من المعايب والفظائع لا يقصد به الطعن الشخصي بل الاستشهاد لاثبات القضية . مع ذلك انني ابذل كل جهدي في تجنب ما يعيب شخص من الناس . ولكن للضرورة أحكام . ثم انه في المواضيع السياسية لا يستلزم الامر الادلة القضائية، فتكفي الاشاعة . مثلاً : اذا لم يثبت ان الفرنسيين يرمون الى نزع استقلال جبل الدروز ، بل شاعت اشاعة ، وصدقها الناس ، فذلك كاف للقيام عليهم . ولا يخفى على ذكاء القارىء ان موضوع تأليفي : لماذا حارب السوريون الفرنسيين : وهذا لا يلزمه اكثر من اقتناع السوريين بخطيئات فرنسا، ولو توهماً ، ليقوموا عليهم. على ان القارىء سيرى ان في مستنداتي ما هو اكثر كثيراً من مجرد اشاعة او توهُّم. وسيرى في هذا الجزء ، كما رأى في الجزء الاول متانة المستندات ، وقوة الحجة

ثانياً : ان كثيراً من جرائم الفرنسيين ، وان لم يثبت قضائياً ، ثابت عرفاً . وقد شاهده كثيرون من السوريين والاجانب . وأقرَّ بصحته حتى رجال الانتداب الرسميين . كما يرى القارىء في تصريح الحاكم فندبرغ حاكم لبنان الاسبق ، ومسيو جوفنيل المفوّض السامي السابق

ولم تكذب المفوضية ، ولا نظارة الحربية الفرنسية ، ما قاله هذان مما يثبت قضيتي .

وهنالك حوادث مسجلة في قرارات الحكومة، وفي أعمال البرلمان، وفي صحف فرنسا الرسمية وشبه الرسمية ، عدا المتداول بين الناس في

الاندية والمخازن والبيوت ، من ذلك حوادث احراق القرى، واتلاف الارزاق ، ونهب البيوت ، وضرب الشام بالمدافع ، واجلاء الاعيان عن بيوتهم دون محاكمة ، ونفيهم الى حسجه وارواد وهم لا يعلمون لماذا . فهذه امور يتعذر على شيطان اخفاء حقيقتها .

ثالثاً : ان اعابة غير الفرنسيين، بمثل ما عيب به هؤلاء لا يبررهم، ولو ان الانجليز والايطاليين حلوا محل الفرنسيين ، وأساءوا اساءات هؤلاء لقلنا فيهم ما قلناه في الفرنسيين . فهذا الاعتراض واهن لا يعبأ به

رابعاً : انني أقللت ، ما أمكن ، من الشواهد المسموعة، وعولت بالاكثر على اختباراتي الشخصية جاعلا اياها مقياساً تقاس عليه اختبارات كل شخص . ولا ريب عندي في ان كثيرين من القراء عندهم اكثر جداً مما أوردته . وذلك يقوي حجتي ولا يضعفها . لانه اذا كانت اختباراتي الزهيدة تثبت على الفرنسيين الاجرام فكم بالحرى اختبارات من هو أوسع اختباراً ، وادق نظراً ، مني ؟

وقد أضفت الى اختباراتي ما حدثني به اناس صادقون ، او تلي في مجمع فرنسا ، ونشر في صحفها الرسمية . أفيسع القارىء تكذيب ذلك؟

خامساً : اني لست في موقف مؤرخ للفظائع الفرنسية في سورية. بل أستشهد بما اتصل بي منها لاثبت لمسيو بونسو ان السوريين معذورون ، اذا هم حاربوا فرنسا . لان أعمال الموظفين الفرنسيين مما تثير عليهم أضعف الامم واكثرها خمولاً . فليس الغرض ايراد كل نقيصة للفرنسيين ، بل ايراد ما يكفي منها لاثبات القضية. فاورد القليل وهو على الكثير دليل . واذا كفى القليل للاثبات زاد الكثير عن

القدر اللازم ، وضاعف متانة حجتي أضعافاً كثيرة .

سادساً : ان أدبي لا يأذن لي بابداء كل ما أعرفه عن الموظفين الفرنسيين . لان الامور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. واست أنسى انني أكتب للاحفاد ، فلا أدنس نفوسهم باملائي عليها أموراً لا نريد أن يسمعوها . وحين يضطرني الى ذلك واجب التأليف آخذ أدق التحوطات من اظهار فظاعة تلك الفعال . واللبيب تكفيه الاشارة . فقط أرجو مسيو بونسو أن يؤكد ان أقلامنا تتنزه عن الجري في كل ما بدا من أقوامه من المعايب تحت سمائنا ولا بد انه هو يعرفها كما أعرفها أنا ، ان لم أقل أكثر . ولو ان الكلام من فمي لاذنه لتلوت على سمعه اموراً يحملني حسن ظني بادبه وكماله ، على الاعتقاد انه يطرق الرأس ويندى الجبين حياء وخجلا .

وبيت القصيد هنا ، ان كثيراً من أحباء فرنسا وعشاقها ، وهذا الداعي كان – منهم . أرغمهم واجب الامانة للحق وللانسانية والادب أن يتحولوا عنا، ويبرأوا ممّا جنت، ويرفعوا الصوت عالياً ضدفظائعها. ومع اني ما زلت معجباً بما أبدته الامة الفرنسية في تاريخها من المآثر، ومع اني ما زلت أرجو – لها ولجميع الامم – الخير الذي أرجوه لامتي، ومع اني لست من خصوم الانتداب ، ومع اني لا أتعامى عن خطيئات قومي ، مع كل ذلك ، لست أرى أدبي وكرامتي يأذنان لي أن أموت وأبرح هذه الدنيا ، قبلما اثبت شهادة يطلبها مني الوجدان والحق العام . فاسجل صراحة شهادتي الصادقة على ما كان من فرنسا في سورية ، مما أثار عليهم ابناءها فحملوا السلاح في وجهها ، مما أراد مسيو بونسو ان يظهر انه عجيب . وليس بعجيب ، بل هو امر طبيعي

لا بد من حدوثه .

وألتزم في هذا الجزء كما في الجزء الاول ، الخطة التي اخترتها في تأليفي وهي أن أوجه خطابي الى مسيو بونسو المفوّض السامي في سورية مع التزام أدق واجبات الكياسة والادب . فأريه اذا اراد أن يرى، ان تعجبه ، من محاربة السوريين فرنسا ، غير منطقي. وكان عليه كشبهم أن يتعجب من سوء سياسة دولته ،وخرق سياسة رجالاتها في الشرق. فحقروا انفسهم واساءوا الى دولتهم ، وقضوا على كرامتها واحترامها ، وربحوا عداء السوريين الى الابد،والصقوا بفرنسا وصمة عار لا تغسلها مياه الاتلانتيك ، ولا يؤثر تجمل او ازدلاف في اخفاء شناعتها .

فلم يبق وراء بونسو الا أن يسير وراء فندبرغ ، وجوفنيل و بيرار وبرتون وامثالهم من ارباب الشهامة،في استنكار ما عمله الفرنسيون في سورية من المخازي ، فأساءوا الى انفسهم ، والى احبابهم ، والى المبدأ الانساني . ويوجب على دولته ـ فرنسا ـ التوبة النصوحة عن شر عظيم ارتكبته في ضوء الشمس ، بتسليطها على سورية جارمين قساة ، وتصلح ما افسده هؤلاء . فحين ذاك وليس الا حين ذاك ، نمد الى فرنسا يداً نظيفة ، ونصافحها مصافحة المظلوم كريم النفس ظالمه النادم

(٦)

خطابي لمسيو بونسو في مطلع هذا الجزء .

يا فخامة المفوّض السامي : —

أوردت في كتابي الاول ، الذي بعثت به اليك، الاسباب المعدة، التي هيأت السوريين لحمل السلاح ضدكم . وهي الاسباب المرتبطة بسياسة

فرنسا الاستعمارية في الشرق . وقد أوضحت منافاتها العواطف الشريفة التي غمركم بها السوريون واللبنانيون يوم حللتم ربوعهم ، وأبنت لكم اضرار تلك الاسباب بسمعتكم ، وكرامة دولتكم ، ومغايرتها الشعور الانساني العام ، والشرائع الدولية ، بشهادة أكابر كتابكم كميرابو وادجنسون وشيفاليه وكوزينو وديتوب وتيرغو . وبشهادة أعظم موظفيكم كفندبرغ وجوفنيل وأمثالهما . بل المنافية للغرض الذي لأجله أنتم تحت سماء سورية . بما عملتم بأحبائكم ، الذين ورثوا حبكم عن الجدود . فأمّلوا بكم خيراً ، وجردوا أقلامهم للدفاع عن كرامتكم ، وتطوعوا للجهاد تحت أعلامكم ، وسلموكم قيادهم ، واستماتوا في حبكم . فكافأتموهم مكافأة بجيرام عامر . وعوض تحريركم سورية استعبدتم لبنان الحر . فنزعتم استقلاله ، ومزّقتم دستوره ، وذلّلتم رجاله ، وهزأتم بحقوقه ، وحكّمتم فيه أجنبياً ، واضطهدتم الامناء في ربوعه . وتدخل رجالكم في ما هو خارج حدود صلاحيتهم . وأضررتم بمصالح أمة فقيرة ، اضراراً اقتصادياً لا تعوّض . فقضيتم على حياتها وعمرانها . وعرّضتم مستقبلها للدمار . فهجرها أبناؤها ، تخسرت نصراءها ، الذين تعول عليهم في اشادة مجدها . ولا أرى عدالتكم يا سيدي الا شاعرة بصحة ما يملي عليك هذا القلم ، لأنك رجل فهيم ومهذّب ، ولا تخفى الحقيقة على أمثالك

وهبني قلت هذا الصبح ليل   أيعمى العالمون عن الضياء ؟

فلا أظن ان فندبرغ أذكى منك ، ولا أوفر اخلاصاً . ولا أرى ان جوفنيل أعلى في السياسة كعباً ، وأوسع في ميدان الشهامة نطاقاً . ولا بيرار اغزر اخلاصاً ، أو برتون أوفر تأدباً وحناناً . لا يا سيدي.

لا أراك الا أحد رجالات فرنسا ، أرباب الشعور الحي ، الذين وان لم تأذن لهم وظيفتهم أن يقولوا الحق ، لا تعمى بصائرهم عن ادراكه . وان صاحب هـذا القلم الذي فطر على حبكم ، وحب الحقيقة والجمال ، يمسك بيدك ، ويقودك الى مجلى الحقيقة ، ويريك رأي العين أنوارها ساطعة ، فترى بنورها ان الفظائع والفضائح والمخازي ، التي لا تجهلونها ، هي معلومة عندنا كما هي معلومة عند فاعليها . راجياً أن يحملك ضميرك الحي على اقناع فرنسا أن تنفض عنها ما ألصقه بها الخائنون من أبنائها من وصمات العار ، وتصلح ما أفسدوه ، فلا تشجع اللصوص والمرتكبين ليتمادوا في شرورهم ، ولا تضرب على أيدي المخلصين الامناء من أحبائها. والجناية على الحب هي أدنى ما بلغ المتسفلون من الانحطاط ، يا سيدي بونسو . ولا يرضى لـكم صاحب هذا القلم ما لا يرضاه لنفسه من كرامة واستقامة . فلن أتركك حتى أقنعك ، وأقنع معك كل من يحب الحق ، أن تعجبك الذي أبديته في طرابلس الشام ، من ان السوريين حاربوا فرنسا ، كان في غير محله . وان أبناء قومك تعدوا علينا يا صديقي تحت اسم انتداب . ولسنا نريد أن نعاقبكم على تعديكم ، بل نروم أن ترفعوا شركم عنا ، ولا تضيفوا الى شركم شراً ، بأن تحاولوا أن تجعلونا ملومين ، على كوننا مظلومين ، فتكونون ظالمين مضاعفاً ، أي معتدين ولائمين . وبعبارة أوضح جناة وحاكمين ، جرياً على قول المثل : ضربني وبكى وسبقني فشكا : ولئلاً يبقى مجال للشيطان بيني وبينك ، أضيق الفسحة ما أمكن ، كي لا يبقى بينك وبين وجدانك الا الحق الذي هو صورة الله وبهاؤه . ولذلك أرشدك الى ذريعة فيها الفصل لو تريدون . وهي أن تجري استفتاء عاماً ، حراً ، في سورية ولبنان . وتأخذ أصوات

الراشدين من نصارى ومسلمين ويهود ودروز . وليكن اسم غبطة بطريرك الموارنة في رأس القائمة ، واسم حنا خباز في أسفلها . وبقية الاسماء بين هذين الطرفين. وليجب كل فردٍ من السوريين عما يأتي:—

هل حققت فرنسا آمال أحبائها ؟

هل أحسن موظفوها بسورية صنعاً ؟

وهل حفظوا هيبتها وكرامتها ؟

فاذا كان خمسة في المائة في جانب الايجاب ، و٩٥ في جانب السلب، أعني اذا برر مسالككم خمسة في المائة ، فاني أحسب نفسي مسرفاً في كتاباتي . ولكن ما قولك ياسيدي اذا لم يكن في جانبكم خمسة في المائة من السوريين ؟. أظن انك تسلم معي ان الامر مخجل ، لو كان هنالك من يخجل . وأية خجالة أعظم ممن يخسر احترام أحبائهِ ؟ . ولا ريبة عندي يا فخامة المفوض ان خسارتكم في سورية تتجاوز كل تقدير لأنها تزيد على انفاقكم احد عشر الف مليون فرنك بغير جدوى ، (١١ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) خسارة قلوب أكثر من ٩٥ في المائة من شعب هادىء مسالم . لان خطيئات قومك لم تنحصر في مبادىء الانتداب ، ولا في كيفية تطبيق تلك المبادىء ، بل تجاوزت الحدود كثيراً . فكان أولئك الموظفون الاجانب ، في بلدٍ ليس منهم ولا هم منهُ ، كل واحد منهم الهاً صغيراً ، أو مفوَّضاً سامياً . « يأمر وينهى ، ويضع ويرفع ، ويحكم وينفّذ ، وليس من يعاند مشيئتهُ أو يقول له ماذا تفعل »

ولا أعرف مثلاً في الدنيا ، ينطبق على موقفكم في سورية الا موقف الاسبانيين في مكسكو . فانك ولا بد تذكر ان الاسبانيين احتلوا مكسكو ، في أوائل القرن السادس عشر بقيادة غورتز .فرحب

بهم أهاليها ، ترحيب اللبنانيين بكم . لأن في تقاليد الازتك ، سكان المكسيك الاصليين ، ان الهاً ، أبيض اللون ، يهبط اليهم من العلاء ، فيملأ المكسيك براً وعدلاً ، وينهض بها الى أوج السعادة والمجد . وهي نفس أحلام اللبنانيين ومن لفَّ لفهم بكم وبأوربا . ويا للفضيحة ويا للعار . فلما رأى المكسيكيون الاعلام الاسبانية خافقة في جوّهم أيقنوا بحلول العصر الذهبي ، الذي كانوا يحلمون بهِ . فعامل المكسيكيون الاسبانيين بما عاملكم به غبطة البطريرك الماروني ، وصحبه الوفد الى فرساي سنة ١٩١٩ . أعني انهم أحلوهم محل الثقة والاعتبار ، وسلموهم مقاليد الامور ، وخضعوا لهم خضوع الحب الخالص . وخضوع الحب الخالص أقدس أنواع الخضوع . وهو أوثق الربط بين الحاكم والمحكوم . على ان الاسبانيين هزأوا بالحب والاخلاص . والهزء بالحب والاخلاص أدنى وأخس ما حفظ التاريخ من آثار اللؤماء . والنتيجة معلومة عندكم . وما أنس لا أنس صورة الخيانة والغدر الاسباني باخوانهم وأحبائهم المكسيكيين ، منقوشة على جدار قاعة الرئيس في مكسكو . هنالك الاثر الخالد على لؤم المستعمرين ، وغدرهم السافل بمن وثقوا بهم .

أفليس ذلك نفس ما حدث لكم مع اللبنانيين يامسيو بونسو ؟ . اما وضعوا على أقدامكم استقلالهم ، الذي أحرزوه بدمائهم قبل ستين سنة ؟ . واثقين انهُ سيصان بشهامتكم ومروءتكم ؟ . فأباحوا لكم اختراق جبل لبنان ، ليهون عليكم اقتراع الداخلية . فبهذا الاعتبار أرى اندفاع اللبنانيين في حبكم أعظم من اندفاع المكسيكيين في حب اسبانيا ، وأمسّ منه للقلب ، ان كان هنالك قلوب تشعر . لأنهم وضعوا تحت تصرفكم حياتهم ، وما هو أعزّ من حياتهم . ولم يتصوّروا ولا صدّقوا ان الام

الحنون — فرنسا — تغدر بأحبائها . لان « المحبة لا تظن السوء » . فماذا كان من فرنسا نحو الذين أحبوها ووثقوا بها ؟ . هل كانت خيراً من اسبانيا مع المكسيك ؟ . وهل قدرتم محبتهم ؟ او قفيتم على آثار اخوانكم وجيرانكم الجنوبيين في مكسيكو ؟ .

واشديد الاسف والخزي . فانكم لم تكونوا دون الاسبانيين استهتاراً بالحب وازدراء بالثقة . ففعلتم بالبلاد واهاليها ما ذكرت لكم بعضه في الجزء الاول ، وسأذكر قسما آخر في هذا الجزء . لهذا السبب يا عزيزي هجر لبنان اهله . وعادوا الى اقسام المهجر . وألفوا ضدكم الاحزاب والجمعيات . واصدروا القرارات وألفوا الكتب . واصبح كثيرون من اصحابكم بالامس اعداءكم اليوم . وفعالكم المنكرة هي سبب هذا المنقلب . فكانت الحرب التي تتعجب فخامتكم منها نتيجة لازمة لفعالكم ، واحتجاجاً عملياً على تعدياتكم . وان الانفعال المرّ الشديد في النفوس هو اكثر كثيراً مما تمكن بعضهم أن يظهرهُ بتمزيق أوصال رجالكم . مع ما وفّقوا لاظهاره في الميادين من ضروب البسالة النادرة المثال في تاريخ البلاد . وقد دلّ ذلك دلالة واضحة على انه كان يستحيل أن يقوم هؤلاء عليكم لولا خطيئاتكم . أفتستغرب انهم حاربوكم ؟ . لست ألومك يا مولاي اذا استغربت نتائج فعال رجالاتكم تحت سمائنا . ولكن موجب العجب والدهشة السبب لا النتيجة . تعديكم على السوريين — هذا هو العجيب — لا قيامهم عليكم . والحكيم نظيرك ، يقدر تأثير فعال كهذه قدرها . وقد اقترفها موظفو وجنود دولة راقية ضد من أحبوهم . ولو لم تجرِ في ضوء الشمس ، ونرها بعيوننا ، ونلمسها بايدينا ، لما صدقنا انها تحدث . واليك بعضها تحت سبعة رؤوس .

الرأس الاول

تدخُّل الموظفين الفرنسيين في ما ليس من صلاحيتهم

اذا نزعت الحدود بطلت العلوم ، وتعطلت الحقوق ، وطمست رسوم العمران. فحيث لا حدود فلا علوم. وحيث لا علوم فلا حقوق. وحيث لا حقوق فلا عمران . وعيب الحكم المطلق أنه يبيح للحاكم تجاوز حده ، وتعدي صلاحيته ، وانتهاك حرمة الحقوق . وغرض الارتقاء الاجتماعي صون الحقوق والمصالح . وذريعته الفعالة تقييد الحكام ، وحصرهم ضمن حدود صلاحيتهم. لهذا السبب سنت الدساتير الملائمة نشوء الامة ، والضامنة حقوقها ومصالحها . وأوجب على كل حاكم أن يقسم يمين الاخلاص للدستور ، قبلما يتبوأ منصة الحكم . ولا يمكن أمة راقية أن تقر حكومة عاتية ، وتطلق يدها في مقدرات الجمهور . وأعظم أسباب الثورة السياسية في الدنيا هو تجاوز الحاكم حدوده ، وتعديه على مصالح الامة. فهبت الامة لتقليم أظافره وحصره ضمن حدوده . واذا لم تتقيد الحكومة بصلاحيتها عرضت الامة للدمار ، ودفعت الجمهور الى الثورة وسفك الدماء . هذا هو ميدان التنازع بين الطاغية وبين الاحرار في كل العصور . ألم يكن تجاوز ملوك ستورات في انكلترا ، وآل بوربون في فرنسا ، حدود الاعتدال سبباً في سقوطهم واندثار عقد سلالتهم الى الابد ؟ . أوليس هذا هو السبب في انهيار عروش آل رومانوف في روسيا ، وآل هوهنزولرن في بروسيا ، وآل هابسبرغ في اوستريا ، وآل عثمان في تركيا ، وغيرهم في غيرها ؟ .

أوليس هذا هو نفس السبب في قيام المكسيكيين على الاسبانيين والبرازيليين على البروتوغاليين ، وسكان الولايات المتحدة على انكلترا، وأهالي هايتي على فرنسا ؟ . انك ولا شك تقول بلى . فنحن اذاً على وفاق نظرياً . حسناً جداً . فحول نظرك من ميدان السياسة العام في الدنيا ، الى الميدان الخاص في سورية . وأرني ماذا كان من موظفيكم في سورية ؟ . هل لزموا حدودهم ، وحاذروا التجاوز ؟ . وكانت اصابعهم في كبير الأمور وصغيرها ، خلافاً لأحكام الدساتير ، كأنهم الحاكمون بأمرهم ؟ .

ان السوريين في الوطن ، والذين تجردوا عن الهوى في المهجر ، يعلمون علم اليقين ، ان الموظفين الفرنسيين بسورية عادوا كثيراً في الخروج عن حدود صلاحيتهم ، واقترفوا صوراً دنيئة وفظيعة من التجاوز ، بل افظع صور التجاوز التي عرفها التاريخ . فهضموا الحقوق، وشجعوا على هضمها . ذلك ما يمليه الاختبار النزيه على افهامنا . اما الذين يطالعون كتابي هذا سواء اكانوا سوريين في المهجر ، ام اجانب — قرأوا كتابي مترجماً الى لغتهم — فقد يرتابون في صحة ما نسبته الى الموظفين الفرنسيين من التجاوز المخل ، ويزعمون انها نقمة المحكوم على الحاكم او نزعة الطامع في ما لا اهلية له فيه . ولا لوم عليهم في ذلك ولا تثريب ، وهم يجهلون اية قوة تدير هذا القلم . فلئلا ترتاح ضمائرهم لمزاعمهم ، اتقدم لايراد الأدلة على صحة دعواي ، وأكثرها من اختباري الخاص .

اما الدعوى فهي : —

« ان الموظفين الفرنسيين بسورية تجاوزوا حدود صلاحيتهم

وتدخلوا في ما لا يعنيهم »

هذه هي الدعوى في صورتها البسيطة المختصرة. ولا بأس في تحويرها وسبكها في قالب الطف فتصير هكذا : —

« تجاوز موظفي فرنسا بسورية حدود صلاحيتهم »

ولا اجادل من يروم التعديل والتحوير . على انه مهما لطفنا الدعوى فيستحيل عكس الامور بحيث يصير البطل حقاً والظلام نوراً. واليك شواهدي

(١) قصة المعلم « و »

عدت الى وطني ، حمص ، بعد غياب طويل . كنت اطوف حول الكرة الارضية ، ادرس شؤون الامم وحكوماتها في مختلف الامصار . وكان غرضي الخاص في عودتي الى حمص استئناف ادارة الكلية الوطنية، التي كانت قد انشئت قبل الحرب، وجنى عليها الاتراك في خلال سني الحرب . فصادروا املاكها ، واقفلوا القسم الداخلي منها . ومما وجدته ، لدي عودتي ، وخضعت له غير مسرور هو ان لجنة المدرسة ، مع ابني ، ارتطبوا ببعض المعلمين للسنة القادمة . ومن جملة هؤلاء المعلم « و » . وهو موضوع الحكاية هنا . الشاب من النشء الجديد ، الذي لا اعرفه بسبب طول غيابي عن الوطن ، لكنني اعرف اهله.

هل كان المعلم مالئاً مركزه ، وأهلاً للبقاء في الكلية أولاً ؟ .

ليست هذه المسألة مدار البحث . والذي أقوله أنه لم ينشأ بيني وبينه أي نزاع أو كدر . وسواء كان الفضل لاهليته وأدبه ، أو لصبري واحتمالي ، أو للأمرين ، على كل حال ، فقد كنا وما زلنا أصحاباً واخواناً . فعشنا معاً بسلام ، وافترقنا على سلام ، وما زال

السلام يربط قلوبنا ، فهو يجود علينا بمحبته ، ونحن نحفظ له المودة كان أو كصديق فلا هو يذكر لنا اساءة ولا نحن نذكر له اساءة .

تنتهي سنتنا المدرسية في أول تموز (يوليو) وحين اقفال المدرسة أبدأ بمخابرة المعلمين ، واستبقاء من اختار استبقاءه ، واهمال من سواه، فيستقيل . هذا كان قانوني المتبَّع في كل عام. وندر أن أخابر معلماً قبل نهاية السنة واقفال المدرسة

أتاني المعلم « و » في شهر ابريل سنة ١٩٢٣ يسألني ماذا عندي بخصوصه للسنة المدرسية القادمة ؟ . فأوضحت له بكل لطف أنني لا أخابر أحد المعلمين قبل انتهاء السنة المدرسيَّة . فقال : واذا عُرض على أحدهم عمل آخر ؟ .

قلت : كلٌّ منهم حرٌّ في اختيار ما يريد .

فظن المعلم أن لا أمل له بالبقاء سنة أخرى في كليتي . ولقد كان مصيباً في ظنه مع حفظ المودة والاخاء . وكنت أظن أن ذلك آخر العهد بمخابرته . ولم أكن أتصور أنهامدخل ميدان واسع الرحاب . فكان يقابلني كل يوم بعض في الناس يتوسطون له ليكون معلماً عندي في السنة القادمة فكنت اجيبهم بما أجبته به ، وهو اني لا أخابر معلماً قبل نهاية السنة المدرسية . ولم يكن هيّناً عليَّ تسفيه الناس ، وبعضهم في مقام والدي وردهم خائبين . ولكن واجبي كرئيس كلية قضى عليَّ بذلك . لان المدرسة لا تعيش ، وان عاشت فلا تكون مدرسة، اذا كان معلموها يعينون لغير الكفاءة والاهلية ، أي بطرق المجاملة والتوسط . وعندي ان المعلم لاجل المدرسة لا المدرسة لاجل المعلم . ولكن المدرسة لاجل التلميذ لا التلميذ لاجل المدرسة . هي قضايا

يقدرها أربابها و ليست موضوع البحث هنا . فكان واجبي قاضياً عليَّ أن لا أرتبط بالمعلم « و » كل ذلك غير مقصود بالذات ، وانما أوردته توطئة لأبيّن للقارىء ، ولمسيو بونسو ، موقفنا أمام رجالهم ، او موقف رجالنا أمامهم : —

في ذات يوم جاءني المعلم « و » يحمل اليَّ كتاباً من مسيو لاكروا ، المستشار الاداري الفرنسي بحمص ، واليك نصه : —

« الى رئيس كلية حمص الوطنية

« اتشرف بأن اطلب منكم تعيين المعلم « و » استاذاً في كليتكم للسنة القادمة » (التوقيع)

ويجب ان يعلم القارىء ان الكلية اهلية حرة ، وهي المدرسة الوحيدة بحمص ، سنة ١٩٢٣ ، التي لم تكن تتناول اعانة من المفوضية . فعلى أي أساس ، وحسب أية مادة من قوانين الانتداب ، يأمرني مستشار اداري أجنبي أن أعين فلاناً معلماً في كليتي ؟ . بل بأي حق وبأي أدب يتدخل رجل اجنبي في عمل اهلي ؟ . أيقدر صديقي بونسو أن يجيب ؟ ان المستشار لاكروا لا يعلم شيئاً عن اهلية المعلم ، او عدم اهليته . كذلك لا يعلم شيئاً عن مبادىء رئيس الكلية ووزنه . فلو اني اجبت المستشار الى طلبه ، وعينت المعلم المشار اليه في مدرستي — لا لاجل اهليته — بل لاجل توسط المستشار وخاطره أفأكون اهلاً لادارة كلية ؟ اترك الحكم في ذلك لفطن ارباب الاهلية .

سلمني المعلم « و » كتاب المستشار ، وامارات الفوز تسطع على محياه . ووقف فوق رأسي كالجلاد ، يقول : هات الجواب لنشوف : قال ذلك وثقته تامة بالفوز . لان كثيرين تحت سماء سورية يسايرون

موظفي فرنسا في امر كهذا، وفي ما هو اعظم منه. ويسيرون على هواهم غير مقيدين بواجب . فاي انسان قرأ كتاب المستشار الي" لا يشك في ان المعلم « و » سيكون من معلميَّ للسنة القادمة . وانا ايضاً لا اشك ـ ولكن ليس في حصول الامر بل ـ في عدم حصوله . لقد كنت صديق فرنسا ، وكنت مريداً انتدابها، اما واجبي فهو واجبي. لا اتحول عنه ولو انقلبت الدنيا ، وانا اعلم اهمية عملي واقدره قدره . نعم ، اني احترم المستشار ، واطيعه ضمن حدود صلاحيته ، وهو بظاهر الامر صديقي . ولكنه ، كمستشار اجنبي، لا صلاحية له للتدخل في امر المعلمين . واذا لم يزدني تدخله تشبثاً في رفض المعلم فلا يمكن أن ينقصها مثقال ذرة .

فقلت للمعلم « الكتاب من المستشار اليَّ ، والجواب عليه هو من حقوق سعادته» . ولم اقل له اني سأجاوب. فعاد المعلم من حيث اتى، ولكني لم اجب المستشار .

وبعد اربعة ايام ، اجتمع بي اعظم عضو في اللجنة، وسألني بماذا اجبت المستشار في امر المعلم ؟ . فقلت اني لم اجبه بشيء ، وليس الموضوع من خصائصه . هل اقدر ان اصف للقارىء مظهر صديقي لما سمع كلامي؟. وهل اقدر ان اصوّره، وقد حملق فيَّ كأنه يظن اني مجنون ؟ . وهل اقدر ان اروي صياحه من قلب متفجع لما صاح ؟ : واحرباه ، ان هذا حاكم البلد : كأنه كان يرى منية الكلية في عدم اجابة المستشار . فأجبته بكل سكينة « لسنا في عهد الاتراك » .

لقد حسبني صديقي مجنوناً يا مسيو بونسو ، لاني اثق بكم ، وهو يعرفكم اكثر مني . لانه ذو تدخل في دوائر الحكومة ، وهو على

بينة من امركم . وقد رأى ان فرنسا في عقلي غير فرنسا في الخارج . افتتعجب يا سيدى اني انا الواثق بكم ، والرافع اعلام الثناء لكم الى السماء، استهان بي موظفوكم وتعدوا عليّ. وذاك الذي يراكم بغير العين التي اراكم بها انا هو المحبوب المقرب من رجالكم. كان صديقي في عهد الاتراك على صلة بالموظفين . ولما حلت فرنسا البلاد ، ظل مواصلاً مداخلته . فهو لا يرى فرقاً بين الفرنسيين والعثمانيين . اما انا فكنت في امريكا،والظاهر اني ظلمت الفرنسيين كثيراً لاني قستهم بغير قياسهم. فافترقنا ، انا وصديقي على غير تفاهم . وسبب ذلك ـ فقط ـ ثقتي بفرنسا

وبعد يومين شرف بيتنا سعادة المستشار صحبة قرينته، وهي فرنسية نظيره . فقمنا له بواجب الزائرين . وكانت امرأته جالسة الى جانبه ، وانا مقابل لهما . فوجه المستشار نظره اليّ وسألني قائلاً : ماذا فعلت بأمر المعلمين ؟. اراد ان يعرف هل اجبته الى طلبه وعينت المعلم «و» حسب رغبته. فلم اجب، لا تهيباً ولا جبناً ، بل لان المستشار سأل عما لا يعنيه . وعلى الاثر اعاد السؤال بصورة ثانيـة قال : هل تركت احداً منهم ؟ .

قلت بصوت منخفض وهدوء : ابدلتهم بأفضل : هذا كل ما قلته له . وانا آسف لان مبادئي لا تسمح لي ان اكون الطف مما كنت . فجعل يردد عبارتي بذاته لذاته قائلا : ابدلتهم بافضل :

لا ادري ماذا كان تأثير تصرفي في نفس المستشار ، ولكني اؤكد اني براحة ضمير تصرفت . ولا يلومني وجداني على ما فعلت . فاذا كانت فرنسا تريد رجالاً يصافونها ويحترمونها ، مع حفظ المبدأ، فانا معروف بمبدئي في محيطي . اما اذا كانت تريد آلات تعمل ٣٣٣

وتخرجهم عن استقلالهم الفكري . فمع محبتي فرنسا است ذلك الرجل فما هو دخل مستشار اداري في معلمي مدرسة اهلية ؟ هل فهم فخامة مسيو بونسو ذلك تمام الفهم؟. وهل عرف اي تأثير لهذا الفضول والتدخل من جانب موظفيه ؟ .

(٢) حكاية المعلم «ب»

وهو شاهد اوضح في تبيان جسامة وفظاعة الموظفين الفرنسيين

حكاية المعلم «ب» بل الجاسوس «ب» هي موضوع الجزء الرابع من هذا التأليف . وهي قصة طويلة عريضة ، غريبة الشكل ، كثيرة الاذيال ، لها شروح ضافية وحواش فضفاضة . ولـكن ضرورة الاستشهاد حملتني على الاشارة الى فصل من فصولها . لابيّـن تدخل مستشـار آخر ، غير لاكروا ، في ما لا يعنيه . وهذا المستشار هو مسيو « ميترو» وتدخل هذا المستشار اكثر سماجة ، وابلغ وقاحة من تدخل سالفه لاكروا ، واليك البيان .

في ذات صباح سلمني المعلم الجاسوس بطاقة من المستشار ، يأمرني فيها بمقابلته في ذلك النهار . وقد هددني المعلم الجاسوس اذا لم اقابل المستشار . ولم ادر لماذا كان هذا التهديد والتهويل ، فقد كنت كل يوم عند المستشار . فالتزمت ان اعطل واجباتي المدرسية ، واقابل سعادة المستشار مقابلة دامت ساعتين وخمس دقائق . وسيأتي بيانها في محلها. ومما قاله لي المستشار في عرض الحديث : ان المعلم «ب» وهو اجنبي، هو مدير فرعي المدرسة ، الفرع الانكليزي والفرع الفرنسي :

فاجبته : ان ولديَّ هما المديران ، فالكبير مدير الفرع الفرنسي ، والصغير مدير الفرع الانكليزي . وهما كفؤ لوظيفتهما ، وقد استلماها

من اول السنة ، واحسنا القيام بها . والآن منتصف السنة المدرسية (شهر شباط) فلا داعي لهذا التغيير ، ولا ينطبق على مصلحة المدرسة ، ولا يرضاه التلامذة ولا المعلمون :

قال . ألم يبلغك ان مسيو ديتوا قد قرر ذلك ؟

قلت : كلا لم يبلغني

قال : فانا الآن ابلغك

قلت : اني ارفض هذا التبليغ . وانا حر في مدرستي ولا يجوز لمسيو ديتوا ان يتداخل في امرها .

هنا وقف « ميترو » المستشار . وكان بطنه أمامه كنصف كرة . واطبق قبضته ، ونياشين فرنسا تلمع على صدره ، وضرب بقبضته في الهواء بمزيد الحماسة والغضب وصاح قائلا : — اني اخرجك من هذي البلاد : ولماذا ؟ . فقط لاني لا اخضع له في ما يعطل خدمتي .

فلم يسعني الا الضحك أمام كل ذلك . ولكن ضحك لطيف . وقلت له وأنا جالس هادىء وهو واقف يتقد غضباً : كنا نسمع ذلك في عهد الاتراك

لست أريد ان أتمادى في شرح القصة لأنها موضوع كتاب على حدة . وهي ظاهرة من أوضح ظاهرات السياسة الفرنسية في سورية. وارجو مسيو بونسو ، وكل من يقرأ هذا الكتاب من أبناء السين والغارون — لانه سيترجم حالاً للافرنسية ، ليرى أبناء فرنسا لماذا حاربنا دولتهم — أرجوهم أن يتصوّروا ذلك الموقف

رجل محب فرنسا ، وهو صاحب مدرسة ، وقد أرسلت اليه المفوّضية رجلاً جاسوساً بصفة معلم . والآن مستشار فرنسيّ يهدّده

اذا لم يخضع لترتيب رجلٍ اجنبي ، لا دخل له في المدرسة ، وذلك الترتيب مضر بمصلحة المدرسة ، بتسليمه مقاليد الكلية ليد اجنبي فأسألكم يا ابناء فرنسا : ألهذا أرسلنا ابناءكم الينا ؟ ليتدخلوا في شؤوننا ويهددونا بالنفي من بلادنا ؟

ان الرجل المهدَّد ـ الذي هو أنا ـ له خطية عظيمة لا تغتفر . وتلك الخطية هي محبته فرنسا ، وانه يحترم رجالها ويثق بهم .

هذه هي خطيتنا يا مسيو بونسو

وانت تتعجَّب اننا حاربناكم . أفيمكننا غير ذلك ؟ رجل اجنبي ، غبي ، لا يستحق أن يكون خادماً في كليتي . أقول ذلك عن ثقة . كان عندي عشرون معلماً و١٣ خادماً في المدرسة. وهذا المستشار لا يستحق الموازنة مع أحدهم لا في أخلاقه ولا في أدبه . ومع ذلك يهددني بالنفي من موطن آبائي واجدادي، لا لذنب اجترحته ، ولا لاساءة أتيتها ، بل لاني لم أخضع له بتعيين جاسوس مديراً لكلية انا رئيسها واولادي مديروها . وليس من وراء تعيين ذلك الجاسوس إلا خراب الكلية . فاما ان اقبل بتعيين يؤدي الى هدمها ، وهي خيانة مني لا اطيقها ، واما أن ينفيني المستشار الفرنسي من البلاد. فما قولكم دام فضلكم في هذه السياسة ، وفي هذا الادب ؟

ان الذين استند اليهم المستشار ليضربني ، علاوة على أنهم لم يبلغوا كعبي ، هم أعداء فرنسا ويحتقرونها . وكانوا يضحكون علي بأني أحبها وأثق بها . الى هؤلاء كان المستشار يمد يده ليضربني أنا صديق فرنسا المخلص . افنلوم من يحاربكم ؟ .

أو هذا هو معنى الانتداب ؟

أو هذه سياستكم الحكيمة يا مسيو بونسو ؟
أو على هذا تتعجب منا ؟

ان الناس والملائكة والشياطين وبهائم الصحراء لتتعجب من خرق سياستكم . اذا قلت لك ان الدولة التي تعلق نياشينها على صدر أمثال ميترو ، وتعينه مستشاراً ادارياً ليتحكم في أمثال صاحب هذا القلم، أقول ان الدولة التي يمثلها رجل لا أرضاه خادماً، لا عجب اذا اخترقت صدور جنودها حراب السوريين . واذا كنت تروم شاهداً آخر على قدر الرجل ومبلغ ذكائه وسياسته فخذها عن خبير

(٣) حكاية مدرسة فيروزه

ومع أن هذه الحكاية من أغرب ما سطرت الاقلام لم تكن اكثر من أمر عادي من سعادة « ميترو » وهي اعراب عن عقلية الرجل ، وعن سياسة الانتداب

فيروزه : قرية الى شرقي مدينة حمص بميلة الى الجنوب، على بعد كيلومترين. سكانها نحو الف نسمة، نصارى من مذهب السريان القديم. وكان من عادتي ان أزورها صحبة طلاب الكلية التي أنا رئيسها للنزهة، وأزور معلم مدرسة الامريكان البدائية فيها

فحدث مرة وأنا عند المعلم ان جاء جاره ابن ميدع ، ودعاني لشرب القهوة ، قائلا : ان هنالك كثيرين من « اصحابك الافندية » فلم أفهم ماذا أراد بالافندية ، وظننت ان بعض الحمصيين يزورونه . فقبلت دعوته وصحبته الى البيت ، فاذا هو غاص بمأموري الطابو ، وأعضاء المحكمة، والادارة وبعض المحامين. فسلمت وجلست الى جانب صديقي النبيه « ا » وكان يضحك ضحكاً يدل على امر مستغرب . فاستفهمته

عن غرض هذا الاجتماع ، فازداد ضحكاً وقال : هذي هي فعال صاحبك ميترو :

فقلت اية علاقة لميترو بالامر ؟ . فضحك كثيراً وقال : —

اسمع يا استاذي اجراءات هذا الذي تحبه وتدافع عنه . هكذا كنت ، وبحق يعيرني اقوامي . لان محبة أمثال مترو والدفاع عنه من موجبات العار ثم استأنف الرجل الكلام ، قال : —

«نهض أهالي فيروزة لبناء مدرسة لاولادهم في أرض مشاع القرية ، ثم خطر على بالهم ان يبنوا سوراً حول الارض التي فيها المدرسة ، فتكون ساحة مسورة يلعب فيها التلاميذ . فنهض مضيفنا ميدع لمقاومتهم بدعوى ان الارض له وليس للقرية حق انتزاعها منه ، وتحويلها مشاعاً . ولكن أهالي القرية تشبثوا بأن الارض مشاع وليست له . واشتد بينهما النزاع ، حتى افضى الامر الى التداعي لدى الحكومة . ولا أدري كيف اتصل الامر بمسامع المستشار الاداري . معلوم ان الامر خارج حدود صلاحيته ولكن ميترو كما تعلم ، لا يعرف حداً ولا نظاماً . فارادته هي وحدها الحكم في كل ما يعمل . وأصبعه في كبير الامور وصغيرها فركب سعادته الى فيروزة محفوفاً بالاجلال . ولاقاه أهالي القرية بالحفاوة والاكرام . واجتمع شيوخها . ونصبوا له عرشاً ركعوا حوله ركوع المجوس إمام أنوار اهورمزدا . وجعل مترو يسأل ، ويبحث ، ويستفتي ، ويراجع السجلات والقيود . وغب الفحص والتحري حكم ان الارض مشاع للقرية ، وليس لميدع فيها حق ولا دعوى . فأمر بانجاز بناء السور ووضع الباب الحديدي في موضعه . ولاجل ضمان النتيجة أبقي بعض أنفار البوليس ، ليحولوا دون تعرّض الخصم للبنائين

فـكمل بناء السور ، ووضع الباب ، وذهب كلٌّ في سبيله . هذا ما كان من الفصل الاول في رواية ميترو . والى هنا لم تبرز غرائب الادارة الميترويَّـة ، ومع أن تعرُّضه لامر كهذا هو خارج حدود صلاحيته — لانه مستشار اداري — مع كل ذلك يمكنك ان تقول لا بأس في ما عمل . فاسمع ما جرى

الظاهر أن ابن ميدع يعرف أخلاق ميترو ، كما يعرف جداً طبائع الانتداب . فذهب الى قرية زيدل ، حيث توجد طائفة سريان كاثوليك وهناك أعلن — عن يد خوري الـكاثوليك — انسلاخه عن كنيسة السريان القديم ، واعتناقه المذهب الـكاثوليكي . ذلك كل ما عمل ميدع

ما هي العلاقة بين الـكثلـكة والانتداب؟ وبين القسيس الـكاثوليكي وبين ميترو ؟ لا أعلم »

فأكدت لحضرة الافندي — حسب عادتي — ان فرنسا دولة حرة لا علاقة لها بالمذاهب . وأن الانتداب نزيه لا يرمي الى غرض سوى راحة الشعب ، وصون حقوقه ، وارشاده الى سياسة نفسه

فازداد صاحبي ضحكاً وقال : « وما قولك يا استاذي ؟ أن سعادة المستشار ، هذا الذي أمر ببناء الباب ، هو نفسه أرسل نفس القوة التي كان قد اوقفها لانجاز الامر ، أرسلها هذه المرة ، لهدم الجدار الذي بنوه بأمرهِ ؟ . ولنزع الباب الذي كانوا قد نصبوه بأمره ؟ . نعم . فهدموا اليوم ما بنوه بالامس . وليس هنالك دفاع ولا استئناف ، ولا واسطة الاَّ ان الرجل أعلن أنه صار كاثوليكياً »

عند ذلك صمتُّ ، ورجوته أن يريني الباب . فنهض وسار بي الى

سور المدرسة المتهدم . ورأيت الباب الحديدي مطروحاً على الارض . امام ذلك الباب الصامت وقفت وقد أملى عليَّ من دروس الحكمة ما لم أفهمه في ماضي الحياة

ثم قلت لصديقي اللبيب « ا » وما علاقة ذلك بكم ؟

قال : انا قد اتينا لجنة تحكيم لنفصل في الامر بين الخصمين

هذا مثل من فعال ميترو

وقد استشهد بفعاله في غير هذ الفصل لتبيان ضعف الادارة الفرنسية في سوريا ، وأنها كانت سبباً لاضرام نار الثورة

وهنا أقول

١ : ما دخل مستشار اداري في مسائل الاملاك ؟

٢ : كيف يجوز لمستشار دولة أجنبية ان يمارس الوظيفة الاجرائية « بالقوة » في حكم اسنده الى نفسه ؟ .

٣ : كيف ساغ له ان ينقض اليوم ما ابرمه بالامس ؟ . هل قبض رشوة من ابن ميدع ؟. استغفر الله . ليته يكون مرتشياً ، ليظل عندنا شيء من الامل بسلامة ناحية من نواحي عقله . وسواء كان عمله لرشوة او لغير رشوة فلا ارى انه يحفظ كرامة الدولة الفرنسية المعظمة ، بل لا يصون كرامة الرجال .

والسؤال الذي امامنا هو هذا : —

اي تأثير يحدثه في النفوس تصرف كهذا . من رجل كهذا ، في احوال كهذه ؟ . هل فكر صديقي بونسو في الامر . انك يا سيدي تريد ان تعصب على عيون السوريين ، وتحكمهم ، وتقودهم كما تشاء ، ولذلك تبدي دهشتك من انهم حاربوكم . كأنك تزعم انك تحكم

في مسامع اولاد ، او اطفال ، او اناس معتوهين عقلاً لا يفقهون ، ولا يزنون الكلام والارواح . فاسمح لي ان اقول لك انك واهم. فنحن في اقل الدرجات نفهم كما تفهمون . ولكن بيدكم قوة ليست بأيدينا . فاذا اسندتم عملكم الى القوة الجبرية ، وقلتم اننا نريد ان نستعبد السوريين ، ونسلخ جلودهم ، اراد الله او لم يرد ، اذا قلتم هكذا فهو قول صحيح ، في فعل سمج . اما اذا حاولتم ان تقنعونا ان في عملكم شيئاً من المنطق ، او العدالة ، او الحق ، او الذوق ، او الانسانية ، او الناموس ، او الشهامة . فنرجوكم ان لا تربحوا بدون ادنى نفع وصمة المرائين . فان عملكم يشهد عليكم انكم لم تتصرفوا في انتدابكم بسورية خيراً من تصرف احد من اناس هذه الدنيا .

وقد يقول القارىء اني اوردت حكايتين وبنيت عليهما حكماً ثقيلاً . فاني احني الهام أمام المعترض . وأورد له بعض ما حدث خارج حمص . لاراحة ضميره . ومنه

(٤) حكاية انتخاب عضو ادارة في حماه

في مدينة حماه مجلس ادارة ، كما في كل متصرفية . وقد ورث السوريون عن عهد الاتراك نظام الانتخاب لهذا المجلس . وأظن انه معروف عند اكثر القراء . فلا لزوم للاطالة فيه . وهو يجري في ثلاث درجات ١ التسمية ٢ الاسقاط ٣ التعيين

فالدرجة الاولى — التسمية — يعملها الرؤساء الروحيون، بالاشتراك مع رؤساء الاقلام الكبرى في الحكومة. وهم المتصرف ومدير المال والمفتي. يجتمع هؤلاء في وقت معين ، ويثبتون ثلاثة اسماء من وجهاء الطائفة ويسمون الرجال الذين اثبتوا اسماءهم « مرشحين » .

ثم ينظمون مضبطة بما حدث . ويوقعون تحتها بأسمائهم ويرفعونها الى المرجع الاعلى ، وهو الشام غالباً . فتسجل اسماء الثلاثة المرشحين هناك . هذه هي الدرجة الاولى في الانتخاب .

اما الدرجة الثانية ـ الاسقاط ـ فيقوم بها المختارون في الحاضرة وفي القرى . هؤلاء ترسل اليهم الحكومة اسماء المرشحين الثلاثة فيختارون اثنين منها ويسقطون الثالث . ولدى جمع الاصوات ينحصر الترشيح في اثنين فقط من الثلاثة المرشحين .

ثم تنظم الحكومة المحلية مضبطة بنتيجة الاسقاط . وترسلها الى المرجع الاعلى في الشام ، وينحصر عمل هذا المرجع في انتقاء واحد من هذين الاثنين ، واعطائه « البيلوردي » ليكون عضواً في مجلس الادارة

فيكون الرؤساء الروحيون قد اختاروا ثلاثة . ومختارو المتصرفية اسقطوا واحداً من الثلاثة ، وحكومة الشام اسقطت واحداً ، ويبقى فقط الفائز بالانتخاب . هذا ما كان يجري في عهد الاتراك ، وعنهم ورثه السوريون .

الآن اتقدم لبسط حكاية الانتخاب في حماه . وذلك في عهد المستشار ميك الفرنسي سنة ١٩٢٢ وهو كميترو مستشار اداري . هذا اعلن انه يريد رجلاً احبه كثيراً وألقبه بلقب «شيخ الأمراء» قال المستشار ميك انه يريد انتخاب « شيخ الأمراء » . ولكن الرؤساء الروحيين لما اجتمعوا سموا ثلاثة مرشحين لم يكن شيخ الامراء احدهم . وكتبوا مضبطة بنتيجة عملهم حسب الاصول . اما المستشار ميك فلم يرق له ذلك . وعزم على ايلاء المنصب « شيخ الامراء » .

غرافق المضبطة الى الشام ، وهناك تدخل مع حقي بك العظم ، فورد امر سعادته الى المتصرفية ان لائحة الانتخاب ناقصة ، فيلزم اعادته . فقال احد الرؤساء ، وهو رجل ظريف ، وماذا ينقص انتخابنا ؟ . لا ارى انه ينقصه الا ان يكون حسبما يلي علينا المستشار ميك . فانا قد اجتمعنا حسب القانون ، وعينا او رشحنا حسب القانون ، وحسب القانون كتبنا الى الشام . فما الذي ينقصنا ؟ . فكان الجواب من رئيس آخر « اسكت يا اخي اسكت . ليس النقص في عملنا ، ولـكن هي ارادة ميك » .

ثم جعل ترجمان المستشار يجول على الرؤساء ، واحداً فواحداً ويأخذ من كل منهم قراراً خطياً بتوقيعه ، باختيار « شيخ الامراء »

وكان عدد اعضاء مجلس التشكيلات ، الذي له حق التصويت ، تسعة . فأخذ من سبعة منهم ، كل على انفراده، توقيعاً بانتخاب «شيخ الامراء » . وبقي اثنان منهم فقط ، الذين كتب الله عليهم ان يربحوا الوجه الاسود مع « شيخ الامراء » . فلما اجتمعوا وجدوا ان سبعة منهم قد امضوا قرار انتخابه ، ولم يبق منهم الا اثنان . ولذلك لم يبق لهم الا ان ينظموا مضبطة بالانتخاب ويوضع شيخ الامراء مرشحاً اولاً ؟ وهكذا صار .

مهلاً يا صاح

ليس اعتراضي على شيخ الامراء فانه حبيب لي . وقد يجوز ان نحسبه افضل المرشحين ، وأفضل الناس في حماه ، او في كل الدنيا . فليس الشخص موضوع اعتراضي . بل الذي اريد ان الفت الانظار اليه هو تصرف المستشار ميك . فانه قد افسد عمل الانتخاب ، وقضى

على حرية المجلس ، وقتل ذاتيته ، وجعل ارادته هو الناموس النافذ. افهذه صلاحيته ؟ . او هذا معنى الانتداب ؟ . مجلس تشكيلات، مؤلف من رؤساء روحيين ، ويسمي ثلاثة مرشحين ، بمحض اختياره ، فيرفض المستشار ذلك . ثم يرسل ترجمانه يرغم سبعة منهم على توقيع ما املاه عليهم المستشار ميك . افهذا هو الحق الذي ارسلت فرنسا رجالها الى الشرق ليرشدونا اليه ؟ . ان هذا النفاق عرفناه عن ساداتنا الاسبقين الاتراك . فلا لزوم لتكليف فرنسا خاطرها بتكرار الدرس علينا ثانية . ولكن اين هيبة فرنسا به . واين شهامة الدولةالتي تنيط امور العباد بأمثال ميك وميترو ؟ .

ايرى القارىء اني متحامل بأني اعزو الى موظفي الانتداب الفرنسي التدخل خارج حدود صلاحيتهم ؟ .

او يجهل القارىء انه يوجد في كل لواء ما وجد في حمص وحماه من هذا النوع ؟ . بل انه حتى في حمص وحماه قصص كثيرة من امثال ذلك، لا يسع المقام بسطها ، وكلها تثبت دعواي؟. سهرت ذات ليلة مع رجل من عقلاء بلاد الحصن ، التابعة المنطقة العلوية ، فقضى الليل يملي على مسمعي حكايات غريبة عن تدخل المستشارين الفرنسيين في ما هو خارج حدود صلاحيتهم . ويمكن تأليف مجلدات ضخمة من هذا النوع . على اني اقتصر على حكايتين منها حدثنا للجنرال غورو . اولاها

(٥) حكاية لوكاندة خلف

هنا انتقلت بالقارىء من التدخل المجرد الى ما اسميه « التعدي » او «التسطي» على الحقوق فاسمع واحفظ

في ساحة الشهداء ، او ساحة الحرية ، في مدينة بيروت بناية شهيرة باسم البنك العثماني . لانها كانت سابقاً مغنى البنك المذكور . على انها تحولت بعدئذ الى فندق (لوكاندة) شغله نجيب خلف من اهالي لبنان . وهو رجل معروف بالرصانة والهدوء والتزام حدود الواجبات، والابتعاد عن كل تشويش او تعرض للسياسة ، يسلم بصحة كلامي كل من عرف نجيباً . فلو ان فرنسا سألت عن افضل الرجال لاختيارهم خاصة لكان نجيب خلف مقدمة من يستحق تلك الثقة .

بعد الحرب جدد نجيب الفندق ، او اللوكاندة ، وشريكاه في العمل سبع شاهين ويوسف عياش . والثلاثة مشهود لهم من كل من عرفهم بالبعد عن كل اذى . ازيد على ذلك شهادة الاختبار، فقد رأيت نجيباً يرفض بعض الزبائن لمجرد ارتيابه بنظافة بزتهم. ولما اعترضتُ على تصرفه ، وسألته لماذا لا تقبل الناس كما هم . اجاب انه لا يقدر ان يقبل في اللوكاندة رجلاً فيه شبهة ، بأن التي تصحبه ليست زوجه . وقال هذا مبدأ اولي في شغلي وحياتي . رجال كهذا تزين الدولة المحتلة صدورهم بنياشينها تشجيعاً للناس على انتهاج مناهج الفضيلة والاستقامة. هذا اذا كانت الدولة شريفة عادلة . افيعلم سيدي بونسو ماذا عملت دولته مع نجيب ؟ . سل قومك من حولك : اين نجيب ؟ . ولماذا برح دار آله ومسقط رأسه ، وقطن مصر ؟ . ولماذا يتبرأ من الجنسية اللبنانية ويتجنس بالجنسية المصرية ، واللبنانيون معروفون بوطنيتهم ، فلماذا ؟ . ليس لنجيب خصومة او عداوة ، مع احد . وليس عليه دعوى للحكومة المحلية. وليس هنالك ضرورة أوجبت انتماءه الى مصر فلم ينسلخ عن جنسية وطنه الا لسبب واحد « فقط لا غير » . اتريد

ان اقول لك ياسيدي بكل خجل ان ذلك السبب هو تعدي الجنرال غورو عليه ؟ . اجل يا صديق ، انه لكذلك ، وهاك الحكاية :

مرّت سنو الحرب الاربع ، وقد انتاب اللبنانيين فيها ما انتابهم ، فخسروا الزرع والضرع والذراري وخمسي الاهلين . فيمكنك ان تتصوّر بكم من الرغبة والشوق عكف اللبنانيون على العمل بعد انتهاء الحرب . واللبنانيون مثل في الهمة والجهود ، ونجيب خلف وشريكاه من صميم اللبنانيين اجتهاداً وهمة . فانصبوا على العمل في الفندق الخديوي كل الانصباب فاستأجروه لخمس سنين ، مرت منها ثلاث وبقي اثنتان . وهنا تبتدىء الحكاية .

بينما كان نجيب منهمكاً في ادارة الفندق ، وصناعه دئبين علي عملهم واستقبال الناس ، ومحاسبتهم وتوديعهم ، ورد اليه امر من جانب القومسارية العليا بلزوم اخلاء المحل ، والامر موقع بامضاء الجنرال غورو . بتاريخ سنة ١٩٢٠ (لا اذكر تماماً اي شهر وأي يوم في الشهر) . فراجع الشركاء المفوضية ، قائلين ان ذلك غير ممكن ، الا بحلول خسارة كبيرة لا تسمح العدالة بوقوعها . وكتبوا اللوائح ووسطوا الوسطاء ، وسعوا السعي اللازم وأكثر من اللازم لتحويل الجنرال عن عزمه فلم يتحوّل . وأصرّ على طلب البناية لاستخدامها مركزاً للتلغراف والتلفون . فتشبث الشركاء بالقانون ، الذي لا يأذن بحلول الضرر بأبرياء . وأنهم قداستأجروا المحل ، ودفعوا الايجار عن خمس سنين . وأنهم لا يريدون ان يتركوا المحل بل ان يتموا المدة القانونية ، فلا يخلون المكان الا بوقت كاف وتعويض واف

بناء على ذلك عينت المفوضية لجنة خبراء لتقدير التعويضات اللازمة

وكانت اللجنة مؤلفة من ضابط افرنسي وسوري هو الخواجه تيان . فحكمت اللجنة ان يكون المبلغ اللازم دفعه لخلف وشريكيه ١٨٠٠ جنيه مصري . وقالت للشركاء ان لهم حقاً في قبول حكم اللجنة أو استئنافه . وأنه بحال عدم قبولهم تعين لهم القومسارية قومسيوناً اعلى للنظر في الامر . فرفض الشركاء قبول الحكم ، فعينت لهم المفوضية قومسيوناً أعلى مؤلفاً من أربعة اعضاء وطنيين،وهم محمد الجسر رئيس مجلس النواب حالياً.والياس فياض، و بنيامين خياط ، وخليل البدوي. وهؤلاء الاربعةمعروفون في لبنان جيداً،وموثوق بمعرفتهم ووجدانهم. فعين هؤلاء الاربعة جلسة للنظر في الامر المنوط بهم الحكم فيه ، وأبلغوا الشركاء ذلك ، وخيروهم في تعيين محام يتكلم بلسانهم ، ويبين حقهم . فقدموا محامياً ، وطلبوا بلسانه عشرة آلاف جنيه مصري تعويضاً عن الفندق،الباقي لهم فيه سنتان، على اساس ربحهم في السنين الماضية . فقد كان ربحهم خمسة آلاف جنيه ، كما تثبت ذلك دفاترهم . فلم يصدر الاربعة حكماً في تلك الجلسة ، بل اجلوه الى جلسة ثانية . وحضروا الى الفندق ، ورأوا رأي العين بينات الشركاء الناطقة بحقوقهم ، ووقفوا على ما احدثوه من الانشاءات والاصلاحات في البناية .

قال الراوي : — فكم كانت دهشتنا وتعجبنا لما استلمنا امراً من المفوضية بلزوم اخلاء الفندق بمدة ٤٨ ساعة ولماذا ؟ . ماذا حدث ؟ ماذا عمل القومسيون الذي عينته المفوضية ؟ .

هنا شيء يجب ان نرفعه في وجه فخامة مسيو بونسو ، كما يرفع المصباح في وجه البصير ، ليرى بنوره حقائق الاشياء . هكذا نرفع

مصباحنا — بياتنا — ليرى مسيو بونسو لماذا حاربت سورية فرنسا، فلا يتعجب من ذلك فيما بعد . وبياتنا هو : ان القومسيون ، وان يكن مفوضاً في الحكم ظاهرياً، لا يحكم بشيء على اساس الحرية والاستقلال المألوفين عند المحكمين في كل الدنيا ، بل عليه ان يعرض حكمه اولاً على احد الخصمين ، أي على القومسارية العليا . وقد نقل الينا الخبر انسان لا يمكننا ان نعلن اسمه . قال : —

ان اللجنة غب درس الموضوع درساً كافياً ، قررت التعويض خمسة آلاف جنيه. على اساس ان الشركاء يمكنهم ان يربحوا في السنتين الباقيتين خمسة آلاف جنيه اخرى . اعني انهم قسموا المبلغ الذي يربحه الشركاء في سنتين وهو ١٠٠٠٠ جنيه الى قسمين ، قسم يقبضونه من المفوضية عاجلاً ، وقسم آخر يربحونه من عمل يزاولونه في خلال السنتين الباقيتين . فلما عرضوا حكمهم على المفوضية ، حتى اذا قبلت به اعلنوه للشركاء ، وهنا موقف تبصر في عدم استقامة المفوضية ، لأنها كانت خصماً وحكماً في وقت واحد . وبذلك تنشر عدم الاستقامة في البلاد ، وتفسد اخلاق الامة . دعنا من النقد واسمع تتمة الحكاية . فرفضت المفوضية حكم المحكمين. فخفضوا المبلغ الى ٤٠٠٠ آلاف جنيه ، فلم تقبل المفوضية ايضاً . فخفضوه ثانية الى ٣٠٠٠ جنيه . فرفضت المفوضية ذلك. فحين ذاك استقالت اللجنة قائلة ان وجدانها لا يسمح لها ان تجعل التعويض اقل من ذلك. استقال أعضاء اللجنة لان المفوضية التي عينتهم جهاراً رفضت حكمهم سراً وفي ذلك ما فيه . ناهيك عن تأثيره المتسلسل في نفوس الامة . فعينت المفوضية — بذاتها لذاتها — مجلساً عسكرياً للنظر في الامر. فحكم هذا المجلس بأن التعويض يجب ان يكون

٢٥٠٠ ورقة سورية ، أو نحو ٨٠٠ جنيه مصري

فرفض الشركاء ذلك ، وقدموا برقية في الامر لنظارة خارجية فرنسا . طالبين انصافها ، ورفع الجور والتعدي عنهم وعن عيالهم وأطفالهم . على ان احد مأموري التلغراف اجتمع بهم سراً ونصح لهم ان يسحبوا برقيتهم ، لانه لا يمكن ادارة التلغراف ارسالها . قال :ـ ان من عادة المفوضية الاطلاع على الشكايات المقدمة بحقها . فتحفظها في خزائنها ولا ترسلها فلا تصل باريس شكاية على المفوضية . فتردد الشركاء في الامر ثم قبلوا رأي ناصحهم . وجعلوا يفكرون بالوسائل الفعالة لرفع الظلم عن نفوسهم . وقدموا ١٢ استرحاماً للجنرال غورو ، طالبين مقابلته خمس دقائق ، فلم يسمع لهم طلب . وقيل لهم ان استرحاماتهم لا تبلغ مسامع الجنرال . وأخيراً رفعوا اليه استرحاماً بواسطة اكليريكي ذي مقام سام ،وهذا أوصله لفخامته على خلاف السُّنة مع ذلك لم يكن لهم من مجيب .

وبغتة فيما كان نجيب في وسط العمل ، اذا بأمر معجل من فخامة الجنرال باخلاء الفندق في الحال . يحمله ضابط فرنسي ، ومختار محلة ، وأنفار من الجند لانفاذ الامر بالقوة، وخمسين حمّالا للعمل .. وهذه صورة الأمر بالحرف

« اذهب في الساعة الفلانية الى اللوكاندة الفلانية ، ومعك قوة كافية ، واخرج بالقوة كل ما فيها من أثاث ومتاع ـ الى الخارج ، واختم الابواب بالشمع الاحمر ، وحافظ على الموبيليات الى ان يصدر أمر آخر » .

وحالما اطلع نجيب على الامر رجا الضابط هذا الرجاء :ـ « أرجوك

أن لا تباشر بأقل حركة ما لم تبلغني الأمر بصورة رسمية »

ومفهوم أن نجيباً يريد أن لا يترك للمفوضية مجالاً لانكار جرمها، اذا أرادت في المستقبل أن تنكر. ففعل الضابط بهذا الرجاء وأبلغ نجيباً الأمر بصورة رسمية ثم أنفذه بأتم دقة حسب رغبة الجنرال غورو. نظرة أيها السوري العابر السبيل شرقي الحديقة، تر الضابط الفرنسي واقفاً. والجند يراقب الانفاذ. والتحطيم والتعدي يجري في فندق باسم المفوضية الفرنسية وسلطانها. فعطلوا أثاث فندق فيه خمسون سريراً بخواناتها وخزائنها وزجاجها ومغاسلها وصحافها ومرائيها. فأخرجوا هذه الاشياء من الفندق، وطرحوها في عرض الشارع وختموا ابواب الفندق بالشمع الاحمر، وظلت المو بيليات تحت الامطار السخية مدة ١٥ يوماً حتى صارت غير صالحة للمبيع. وكانت خسارة الشركاء فيها أكثر مما قبضوه من الحكومة تعويضاً.

وتفرّق الذين كانوا في الفندق من الزبائن القادمين من كل أقسام سورية، وهم يحملون أخبار التعدي الذي شاهدوه. وقد أقر الجميع على ان ذلك التعدي المصنوع باسم فرنسا، من اكبر موظف في الشرق، أفقد فرنسا كرامتها، وقضى على نفوذها الادبي. ومسيو بونسو لا يجهل تأثير ذلك في الناس. وعليه كانت الثورة نتيجة منطقية لتصرفات الموظفين الفرنسيين.

اليك زيادة ايضاح

كانت المفوضية توزع رجالها على الفنادق، وترغم صاحب الفندق ان يقبل من ترسله الحكومة برسم لا يتجاوز ٣ $\frac{٣}{٤}$ (ثلاثة غروش وثلاثة أرباع الغرش) مع أن رسم الشخص الواحد في الفندق، عن أكل

ونوم (خمسة وسبعون غرشاً) فتكون المفوضية قد سلبت كل فندق ٧١ ١/٤ عن النفر يومياً و ٧١٢ ١/٢ كل عشرة أيام و ٢١٣٧ ١/٢ في الشهر عن النفر الواحد و = ٢١٣٧٥ عن عشرة أنفار في الشهر . (واحد وعشرون الفاً وثلاثمائة وخمسة وسبعون غرشاً مصرياً)

وكان عمل توزيع الضباط والجواسيس والبنات (ولهؤلاء البنات شأن سيذكر) الفرنسيات منوطاً بضابط خاص. هذا كان يراعي الذمة في توزيع المصيبة على الناس بالتساوي . بحيث لا يكون في فندق كثيرون وفي آخر قليلون . فهذا هو المأمور الفرنسي الوحيد الذي اتبع منهج العدالة . فدعا نجيب خلف هذا الضابط وقرينته للغدا . وتغديا فطابا نفساً ، وطلبا نجيباً للحديث ، فتمنع لئلا يمس عواطفهما وهما ضيفاه . ولكنهما ألحا عليه أن يقول ما يريد فانهما يحبان أن يسمعا كلامه . وكان في الفندق رجل من آل فؤاد . فاستحلفه نجيب ان يترجم حرفياً، ولا يلطف العبارة بالترجمة . ثم انتفت الى صديقيه الضيفين وقال : —

ن . أرجو ان لا تدخلا في موضوع كهذا لئلا تزعلا .

ض : لا لا مسيو خلف . أعدك أني لا أزعل .

ن : اني سأتكلم صراحة فأخشى أن تزعل حضرة المدام قرينتكم

ض : تكلم صراحة ، ودع البحث يكون حراً . فلا أنا ولا قرينتي تزعل

ن : ولكني سأمس بكلامي الدولة المنتدبة . وأنت فرنسي ومن رجال العسكرية .

ض : لا بأس في ذلك . فأنت رجل عاقل . وأنا أبحث معك في

الحقيقة . وأردك الى الصواب اذا لزم

ن . الفرنسيون غلطانون فينا ، ونحن السوريون غلطانون فيهم

ض : وما هو موقع الغلط ؟ .

ن: أما غلط فرنسا فهو ظنها أننا شعب ميت،عديم الشعور كالسنغال أو أشنتي أو مداغشكر . وذلك غلط كبير . وهذا الغلط هو الذي أوصلها الى موقفها الحالي أمامنا . لان منه تفرعت كل أغلاطها الادارية.

أما غلطنا نحن فهو أننا اعتبرناكم دولة العدالة والحرية والاخاء والمساواة ولستم كذلك .

ض : وما الذي رأيتموه فينا مخالفاً هذه الفضائل

ن : شيئاً كثيراً ، كل يوم

لا أحد يجهل ما خسرتموه في سورية من مال ورجال . ولكنه لا شيء اذا قيس بما خسره السوريون عموماً، ولبنان خصوصاً، بسبب حبهم فرنسا. فقد خسرنا أثمن ما على وجه البسيطة،خسرنا المال والدم وماهو أثمن من الاثنين .

أما المال فلأن الأتراك صادروا كل ما نملكه بداعي الحرب. فأفقروا البلاد الى حد الفاقة قبلما خرجوا منها

وأما الدم فلأنهم علقوا على الاعواد زهرات رجالنا ، وأماتوا مئات الألوف منا جوعاً ، بمصادرتهم الأقوات ، ولأن ألوفاً من شباننا تطوعوا في الحرب تحت اعلام الحلفاء ، فأراقوا دماءهم في سبيل نصرتكم .

وأما الشرف والحرية فلأن الجوع اخرج كثيرين من ابناء البلاد وبناتها عن حدود كرامتهم . فكانت كرامتهم ضحية حبكم . تحملت

البلاد ذلك اربع سنوات ، وهي ترفع عيونها الى الأفق لترى اعلام النصر خافقة في جوكم . تائقة الى قدومكم ظافرين لتحريرنا، وتعويض ما خسرناه في سبيل محبتكم . فلما قيض الله لكم النصر ، ودخلت فرنسا البلاد، عمدت الى محجم عود البقية الباقية في البلاد بعد الذين ماتوا شهداء حبها . وكل من آنست في روحه حب الوطن دفنته حياً .

لا تظن ايها الضابط ان السوري ، ولا سيما المسيحي ، كان يكره تركيا بسبب الدين . كلا . ولم نحب فرنسا لكونها مسيحية . لا لا . بل كرهنا تركيا بسبب ظلمها ، وأحببنا فرنسا لأننا ظنناها عادلة . على انا غب الاختبار وجدنا ان مظالم تركيا لا تقاس بالمظالم الفرنسية . ومن قال لك خلاف ذلك فاما انه جاهل ، او انه مصانع جبان . ان عيب سياستكم هو انكم تضحون بالاقلية في سبيل الأكثرية . مع انكم انتدبتم لأجل الاقلية . فاعلم يقيناً ان الاقلية التي كانت من اصدقائكم صارت من اعدى اعدائكم .

انت ترى ان هذا الفندق يجمع الناس من كل حدب وصوب . ونسمع احاديثهم وما يحملون من الآراء والأخبار من الداخلية . فنحن هنا اعرف الناس بما معكم وما عليكم . وقد يعسر عليك ان تفهم الحوادث البعيدة التي تجري في داخلية البلاد ، كالشام وحلب وتوابعهما فأقرب الشاهد لكي لا يعسر عليك فهمه . وشاهدي هو هذا الفندق الذي انت فيه . فأي قانون ، وأية عدالة ، وأي شرف ، يجيز انتزاعه منا ، نحن اربابه بموجب كونتراتو مسجل ؟ . وهو مورد حياتنا ، وباق لنا سنتان ، نؤمل ان تدر علينا فيها الخيرات

ض : للسلطة العسكرية حق ان تعمل كثيراً او قليلاً في

احوال كهذه .

نجيب : غير ممكن . نعم ان السلطات العسكرية تأخذ اماكن كهذه لضرورة حربية . وليس هنالك ضرورة حربية تستلزم زحزحتنا منها . فلما كنتم في ميدان الحرب ، وكنتم تنزعون المباني والقرى من اربابها حين الهجوم وحين الانسحاب ، فحين ذاك لم ينسب احد اليكم عدم العدالة ، ولا حمل عليكم موجدة . اما الآن فما هو موجب ذلك ؟ نحن في حال سلم وانتظام فليس ما يحمل السلطة على التعدي علينا .

ثم ان مصلحة التنظيمات قد تلتزم ان تنتزع الاملاك من اربابها في مصلحة الاصلاحات العمومية . وفي حال كهذه تقدر الاضرار والحقوق وتدفعها السلطة لاربابها عن طيبة خاطر . وليس هذا واقع الحال معنا . اذ لا بناء ، ولا هدم ، ولا اصلاح ، ولا حرب .

الضابط : هذا حق . نعم ان الحكومة في احوال كهذه ملزمة ان تدفع الاضرار بمقدار .

اقول : وقد خصصت السلطة للشركاء الذين انتزعت فندقهم ، وخربت اعمالهم ، مبلغاً يعدل ٧٠٠ جنيه هو اقل مما اتلفت الامطار من اثاثهم مدة ١٥ يوماً

(٦) حكاية بيت الياس الجدلاني

اضيف هذه الحكاية كذيل لحكاية الفندق الخديوي خاصة نجيب خلف وشركائه .

المرحوم الياس الجدلاني من اهالي لبنان . وقد اصابه مرض خطر استلزم بناء بيت في اعلى قمم لبنان التي فوق سوق الغرب . فكان هذا البيت كمصح له ، يرجو منه سلامة حياته .

ورأى الجنرال غورو هذا البيت ، فأعجبه حسن موقعه . وبما ان رجال المفوضية كانوا ينوون ان يصطافوا في سوق الغرب، اختار الجنرال ان يصطاف هو ايضاً في بيت المجدلاني . فطلب البيت من صاحبه الياس. فرد عليه هذا انه منحرف الصحة ، وقد شاد هذا البيت مصحاً له . فهو ضروري لاستعادة صحته وحياته . ولولا ذلك لقدمه لفخامته عن طيبة خاطر . وقال ليس لي بيت يقوم مقامه اذا تخليت لك عنه

هذا جواب مالك في ملـكه ، لحاكم مسؤول باجراء العدالة والانصاف ، وهو ممثل فرنسا الاسمى في البلاد .

فهل بلغك يامسيو بونسو ماذا فعل الجنرال غورو ؟ . اسمح لي ان اقص عليك نبأ صادقاً

بينما كان المجدلاني ، يعد عدته في بيروت ، ليصعد الى بيته في الجبل ، ويقضي فصل الصيف للاستشفاء من مرضه ما كان من جنرالـكم غورو الا انه ارسل قوة عسكرية الى بيت المجدلاني ، في رأس الجبل فحطمت الابواب ، وكسرت زجاج الرواشن ، ودخلت البيت دخول الالمان بلجيكا ، مخربين محطمين . وزادوا على ذلك انهم حملوا الفؤوس والمجارف وشرعوا يشتغلون في تمهيد الطريق. فتصرفوا بالبيت تصرف المالك في ملـكه . فاذا تمحلت السلطة الفرنسية ، في أمر اللوكندة الخديوية ، ان البناية لازمة لها لاجل التلغراف فما هو عذر الجنرال غورو في انتزاعه بيت الياس المجدلاني عنوة واقتداراً ؟ . انك تقول ان الجنرال يريد ان يسكنه . فمتى كان رزق الناس مباحاً للجنرال غورو ؟

وهل كل ما احبه غورو يباح له ؟ .

أو يضمن ذلك كرامة فرنسا ويصون هيبتها ؟ .

وما قولك في امة يعاملها رجال فرنسا معاملة كهذه ؟. أفتستغرب انها تحارب ؟.

فاسمع ما جرى بعد ذلك ، لتتبين منتهى الحماقة في العمل . ان الجنرال بعد ما تعدى على حقوق مالك البيت ، وحطم ابوابه ودخله عنوة، وتصرف في محيطه تصرف المالك في ملكه، تركه واصطاف في عاليه مع بقية افراد الجالية الفرنسية الذين آثروا عاليه .

فانكشف الواقع عن استهتار الموظفين الفرنسيين في حقوق السوريين ، وفي كرامة فرنسا . وقد قال افلاطون ما معناه : اذا افترس الراعي الرعية فمن يحميها ؟ .

ولكن هنالك مظهر افظع ، وأشد غرابة في خروج الموظفين الفرنسيين عن حدود صلاحيتهم . وهو انهم لم يكونوا فقط يتعرضون لحقوق الناس لاكتساب نفع لهم . بل زادوا على ذلك انهم جرأوا الناس على التعدي على حقوق الآخرين، فقط لاجل تسليتهم وانبساطهم واليك مثلاً من ذلك .

(٧) حكاية بيت عبده القاضي

عبده موسى القاضي ، رجل شامي قطن حمص منذ زمان بعيد ، وتزوج من اهلها ، وشاد له بيتاً فيها ، ثم هجر بعائلته الى امريكا ، وكنت وكيله المفوض بالبيت . وفي ذات يوم بلغني ان مجلس حمص البلدي ينوي هدم البيت . فلم أصدق الخبر ، ولم اتصور ان عملاً كهذا يعمل في ظل الانتداب . لعلمي انه تتقدم هدم البيت المعاملات الآتي بيانها .

١ : ان ينظم قرار من طرف المجلس البلدي ، بلزوم هدم البيت مع تبيان السبب الموجب لهدمه .

٢ : ابلاغ مالك البيت ، أو وكيله ذلك القرار

٣ : اذا كان المقصد من الهدم غرضاً عمومياً ، كتوسيع الطرق مثلاً يعرض المجلس على رب البيت ثمنه .

٤ : اذا ابى رب البيت قبول الثمن يحيل المجلس الامر الى لجنة خبراء ، فيقررون الثمن .

٥ : ثم يبلغ رب البيت ذلك القرار ويعين موعد الهدم

٦ : يوضع الثمن في بنك

٧ · يحصل المجلس على تصديق مجلس الادارة على ما قرره

٨ : يعلن ذلك بورقة تلصق على جدار البيت وبعد كل هذه الاجراءات يصير الهدم .

ولكن شيئاً من ذلك لم يجر ، لذلك لم أصدق أن المجلس البلدي يقدم على عمل مغاير كهذا . ولا سيما . وأنا أعرف حضرة الرئيس ، وهو رجل فاضل ، من أسرة شريفة ، لم تسبق لها سابقة .

فكم كان تعجبي واندهاشي لما رأيت ذات صباح ، حبلاً ممدوداً في عرض الشارع لمنع المرور، وعدداً وافراً من الفعلة شارعين في الهدم بكل سرعة . فأسرعت الى البيت ، وبصعوبة تمكنت من الوصول الى الفعلة . وسألتهم بأمر من تهدمون ؟ . قالوا بأمر المجلس البلدي . فأوقفتهم عن العمل وأسرعت الى الرئيس لتدبير المسألة معه يصحبني الافندي الذي كان الهدم بموقفه . وهو عضو في المجلس البلدي ، وقد كان أخاً ورفيقاً لي نحو خمسين سنة . فقلت له في الطريق : ـ

يا أخي ان المروءة لم تمت في حمص ، فالتعدي على هـذا البيت يقدر عندي بصداقة خمسين سنة ، والمغزى مفهوم جيداً ،

أعني أنني أتبرأ من صداقته اذا هو مالأ على دوس حقوق موكلي. وظهر لي من أمارات عديدة ان في الأمر سراً . فلم يهمني كشف أمره، بل سرت في خطة الدفاع عن حقوق موكلي غير مكترث لكشف الاسرار. بل ظننت ، وبعض الظن اثم ، ان الامر تعرض شخصي . ولم يخطر على بالي أن أصابع المستشار الفرنسي في الامر .

فاجتمعت برئيس المجلس في مجلسه ، وسألته بأمر من حصل الهدم ، فقال ان جدار البيت على الطريق عاطل مستوجب الهدم ، وأن المهندس قدم لنا تقريراً بذلك . ويعلم القارىء أن المهندس يقدم التقارير للمجلس حسب الطلب . لان اسمه مهندس ، وهو في الحقيقة خادم مقاصد المجلس ، . فأجبت الرئيس ان ليس العطل هو سبب الهدم . ولو كان كذلك لوجب أن تأمروني أولاً أن أهدمه أنا ، وليس أنتم ، فاذا تمنعت عن اجراء أمركم بعد الاخطار ، فحين ذلك يجوز لكم الهدم. مع ذلك فاحتفاظاً بكرامتك يا حضرة الرئيس ، ونزولاً عند قرار المهندس أسلم معكم بعطل الجدار ، وهاأنا أصرح أمامكم أنني سأهدمه بنفسي فكفوا أيديكم عنه .

فاستحسن الرئيس كلامي . ودعا المهندس في حضرتي وأمره بكف يده عن البيت ، بمقابلة تعهدي باستئناف الهدم . فكف المهندس يده ووفيت بوعدي ـ هدمت الجدار الذي قالوا انه عاطل . وبعدها قابلت الرئيس وسألته اذا كان يريد نزع ملكية البيت كما بلغني . وقلت له اني مساعد لك في توسيع الطرقات واصلاح المدينة . فقال الرئيس لاشيء من ذلك . فالبيت بيتكم تعملون به ما تشاءون وأنا أعلم أن الرئيس صادق لا يدور لسانه الا بما في قلبه . فقلت له اني أتممت

عمل الهدم في الجدار الذي قلتم أنه عاطل فلم تبق لكم دعوى في البيت، وبما أنكم لا ترومون نزع الملكية لتوسيع الطرقات، فالبيت باق لمالكه . قال نعم . قلت فأذنوا لي بترميم ما تهدم . قال استدع من المجلس . فقدمت له في الحال استدعاءً رسمياً به أطلب الرخصة بترميم الجدار . فأحال الرئيس استدعائي الى المهندس حسب الاصول . وذلك كان في آخر العهد بيننا.

قد فهم القارىء أن لا دخل للمجلس في أمر غرف البيت الباقية. وبعضها جديد البناء . فاسمع ما جرى :

في ذات يوم مررت بالبيت واذ هو مهدوم الى الارض.فاسرعت الى الرئيس وقلت ما لكم وللبيت ؟ . قال بلغني أنكم ترومون هدمه . قلت ان الذي بلغك كاذب.وهب انا نود هدمه فما هو دخلكم في الامر وقد تسدد حسابكم بهدم ما زعمتم عطله في الطريق ؟وهذا الذي هدمتموه أولاً ليس عاطلا . وثانياً ليس على الطريق ، فما شأنكم في الامر؟ .

فقال الرئيس لقد تسرعنا

ما أشرف اعتراف المرء بخطيئته

قلت اذاً تدفعون ثمن البيت . قال ندفع .

عد الي بعد غد وخذ ثمن البيت .

فعدت اليه مرة ومرتين ولم اقبض . لا لان الرئيس عرقوبي الوعد استغفر الله . بل لان هنالك اصبعاً اجنبياً هو الباعث على هدم البيت.

وحكاية البيت طويلة جداً تشغل مجلداً برمته فلست أختار الاطالة على القارىء انما أذكر له حادثين يجليان الحقيقة

لما أعلنت عزمي على التشكي على المجلس البلدي قال الافندي

صديقي : حذار ان تفعل ، لانك تخسر حقك في البيت :
ان مثل هذا الكلام لايرضيني وأنا أعلم أني محق في دعواي . قلت ولماذا ؟. فعطف علي وهمس في أذني ان «المستشار وراء الرئيس»: فما هو مدخل المستشار في أمر كهذا ؟ .

ذهبت هذه الكلمة في عرض دماغي ذهاب البخار في الفضاء . وبعد اربع سنين ، كنت في خلالها قد نقلت من حمص الى بيروت ، التقيت هنالك بأحد اركان المجلس البلدي قادماً الى بيروت . وجرى لي حديث معه في شأن البيت . وأبديت تعجبي من ان رئيساً كاملاً كهذا يرتكب خطأً ظاهراً كهذا . فأجابني انت عند حسن ظنك في الرئيس ، ولكن أمر الهدم ليس منه . قلت فمن اذاً ؟ .

قال من المستشار .

قلت : أفالمستشار كوستلير امركم بهدم البيت ؟ .

قال : نعم . المستشار كوستلير هو الآمر . ولو انك شكوتنا لخسرت دعواك لان المستشار من ورائنا . قلت وما الذي حمل المستشار على ذلك ؟ . وما غرضه في الامر ؟ . قال ان المستشار يزور دير الآباء اليسوعيين صحبة زوجهِ . وقد استحسنت زوجه هدم البيت ليتسع المجال لسيارتها فلا تضطر الى الدوران .

قلت أفلاجل زوج المستشار كان الامر ؟ .

قال نعم .

اسمع ياسيدي بونسو . هذه هي السنة السابعة والى الآن لم اقبض ثمن البيت . والسبب المباشر في ذلك تدخل مستشاركم في الامر ولا صلاحية له فيه . ولولا تدخل المستشار فاماأن البيت كان باقياً الى اليوم ،

أو أن الرئيس كان دفع ثمنه قبل الهدم .

كان في عهد اقامتي بحمص من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ ثلاثة مستشارين وهم كوستلير ولاكروا وميترو . فمن آثار كوستلير هدم بيت عبده القاضي ، ومن آثار لاكروا مسألة المعلم « و » ومن آثار ميترو أمر المعلم « ب » ومسألة فيروزه

وأظن أن ذلك كاف في ما أردت اثباته . وهو أن الموظفين الفرنسيين بسورية تجاوزوا حدود صلاحيتهم ، وكان هذا التدخل ضد مصالح الناس فأوجب قيامهم على السلطة دفعاً لاضرارها .

على اني اضيف الى ما تقدم ما ترامى الآن الى سمعي والكتاب في المطبعة ، وهو دليل على ان ذلك التدخل المجحف بمصلحة الامة ، وشرف العدالة، مازال جارياً بجراه في سورية، ومعه لا يمكن استتباب الراحة والنظام واليك الشاهد

(٨) الامير فؤاد ارسلان والدباس

دخل الامير فؤاد ارسلان على رئيس جمهورية لبنان الاستاذ دباس وعاتبه على اسقاط اسمه من قائمة المرشحين للانتخابات اللبنانية الحالية (سنة ١٩٢٩) وذكره بما بذل في سبيله من الخدمات

فردّ عليه الدباس قائلاً . يا امير لست بناكر فضلك ولا بجاهل قدرك وأهليتك على اني رجوت اولي الشأن الفرنسيين المرتين والثلاث ليأذنوا بادراج اسمك في قائمة المرشحين عملاً بالعدالة ، ونزولاً عند رغبة الامة فاصروا على الرفض كل الاصرار

وأنت عالم جيداً يا مسيو بونسو ان ذلك كان منكم لان الامير فؤاد امين في خدمة الامة السورية فلا يمكنكم اتخاذه آلة تتلاعبون بها

فكانت معارضة الامير فؤاد في مجلس النواب ، وحملاته الصادقة – المعروفة – على تجاوز الفرنسيين حدود صلاحيتهم ، وحدود العدالة في تطبيق الانتداب ، مسجلة عليه في تقاريركم وفي اذهانكم . حتى اننا نرى حكومتك يا مسيو بونسو تتدخل – فوق القانون ، ودون الشرف – في خطر انتخابه . أفهذا من صلاحيتكم ؟ . او هذا هو الانصاف الذي يستند اليك ؟ . او على هذا الاساس تبدي تعجبك من ان السوريين حاربوكم ؟

قد ينكر مسيو بونسو عليّ ايراد حادثة الامير فؤاد ، فما قولكم دام فضلكم في ما ورد في هذا الصباح ٣١ مايو في الاهرام صفحة ٣ عمود ٤ تحت عنوان «معركة الانتخابات اللبنانية في لبنان» وهذا نصه : « ودخل وفد آخر اليوم قوامه ٧٥ وجيهاً ، وقابلوا رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ومسيو تيترو سكرتير المفوضية محتجين على تدخل الموظفين في شؤون الانتخابات » . ومعلوم ان الموظفون هم اصابعكم تعملون بها من وراء الستار . ودليلي على ذلك ما جاء في نفس البرقية في الاهرام وهو « وقد كتب غبطة بطريرك الموارنة الى مسيو بونسو يطلب اليه منع تدخل الحكومة في الانتخابات . والهياج شديد في زعرتا وبشري » أمفهوم عندك ذلك يا سيدي ؟ .

فان كتابة البطريرك لفخامتكم ، الماع الى انكم – على الاقل – مسؤولون بهذا التدخل المنافي العدالة والسياسة الرشيدة – واللبيب تكفيه الاشارة

الرأس الثاني

التعدي على الحق لأجل الرشوة

عاش السوريون تحت حكم الاتراك مئات من السنين ، وألفوا الرشوة ، وهضم الحقوق في الحكام . ولا اظن انه كان في الدنيا ، في كل العصور ، دولة اوفر رشوة ، وأقل عدالة ، من دولة الاتراك في القرنين الاخيرين . فكم كانت آلام نفوسنا من مظالم الاتراك ، وفساد احكامهم ؟ . وكم كانت الفرصة السانحة لفرنسا ثمينة لربح قلوبنا ، ولاحراز الشرف والاحترام ، فقط لو عدلت ؟ . نعم لو عدلت في الاحكام ونزه رجالها نفوسهم عن الرشوة والتعوج . اذاً لعبدها السوريون المتعطشون الى العدالة وشرف النفس في الحكام . ولو ان رجالات فرنسا هكذا فما نشكو ؟ . ولماذا تحولنا عن مسلكنا ؟ . هل حقق الفرنسيون آمال احبابهم ؟ . وهل نسجوا على غير منوال الاتراك ؟ . هل حكمونا بالعدل والانصاف والنزاهة ؟ . ذلك ما كنا نحلم بوجوده فيهم ، وهو احد اسباب كوني انتدابياً . فكنت ارجو ، كما كان كل حسن الظن يرجو ، ان تسير فرنسا في عكس منهج الاتراك ، فأري قومي وجيراني عظمة المبدأ الانساني ، الذي اليه نجوع النفس ، وأقنعهم بوافر نفع الانتداب ، وشديد حاجتنا اليه . رغبة في اقتباس ما عند احبائي الفرنسيين من المحاسن المعنوية . هذه كانت احلامي ، ويا حبذا لو صحت الأحلام . ووا أسفي على خيبة آمالي بفرنسا فقد كنت أرجو أن أرى منها في سورية ما رأيته من الامريكان بفيلبين ، والانكليز علقا . كان الاسبان بفيلبين كسادتنا الاسبقين ، الاتراك — رحمهم الله —

استبداداً وفساداً . وكان خلفاؤهم الامريكان ، كما كان الانكليز بملقا ، وكما كنت أحلم أن سيكون الفرنسيون بسورية ، عدالة وعفافاً ، وعزة نفس وشهامة . ولكن «ما كل ما يتمنى المرء يدركه». فقد كانت فرنسا بسورية غير ما كان الامريكان بفيلبين ، والانكليز بملقا ، مع عظيم الفرق بين الشعبين ، فالشعب السوري قوقاسي ، ذو ماض مجيد ، وأهالي ملقا وفيلبين أقوام ملاغاشيون لا ماضي لهم مجيد ، ولا فضل ولا شبه فضل على الانسانية

أيروم مني القارىء أن أسرد له تاريخ الرشوة الفرنسية بسورية ؟ . ذلك لازم حتماً . ولكني لست أرمي الى سجل الارتكاب . بل الى تبيان العلاقة بينه وبين فقدان فرنسا كرامتها ، وسقوط هيبتها في الشرق . ولكن لئلا ينسب الي التحامل على فرنسا ، واني أرمي الى اعابتها كيف كان الحال لذلك ، لا أستند الى شهادة اعدائها الدروز ، واخوانهم المجاهدين . بل الى شهادة اخواني المعجبين بحب فرنسا الذين كانت عندهم فرنسا في الارض والله في السماء . أستغفر الله العظيم

هلموا يا أحباب فرنسا وقولوا كلمة حق ، لانصاف سيدنا بونسو ، فأنه يتعجب من أن السوريين حاربوا فرنسا . لبيك يا أخا العرب . أنا أخاطب بونسو والعالم الاوربي بهذا القلم . فمن أنت يا أيهاذا الكاتب ؟ .

أنا شكري أفندي البخاش ، كاتب جريدة زحلة الفتاة ، مسيحي لبناني كاثوليكي . أنا الكاتب الكلي الصراحة ، الفرنسي النزعة . فهل يعلم مسيو بونسو حكاية شكري بخاش ؟ .

هذا الرجل الفاضل شهيد حب فرنسا ، ولو أن أحباء فرنسا قديسون لكان شكري افندي البخاش شيخ القديسين ، أو بكر

الشهداء لحبيبنا اسطفانوس .

أيها المولى الـكاي الاحترام

شرف أسطولـكم البحري بلدنا التاعس سنة ١٩١٣. وزار أميراله غبطة البطريرك الماروني فاحتفى به اخواننا الموارنة احتفاءً خارقاً . فنقمت عليهم الصحف الاسلامية في بيروت ، وفندت عملهم ، وميلهم الاوربي . فرد الاستاذ بخاش على تلك الصحف ، وجهر بحب ليلى ، كما جهر ماريوس بحب كوزيت . فوردت الى البخاش تهـديدات مخيفة ـ من أجل حبكم يا مولاي كانت حياةالبخاش في خطر ـ فهجر الوطن ، وغادر الآل والخطيبة ، ورحل الى بلاد كولمبوس . وتجند متطوعاً في الحرب. وقد رأيته لاول مرة عرفته بها ، بالثياب العسكرية بمدينة نيويرك .

وفي سنة ١٩٢٠ عاد شكري الى سورية واستأنف تأليف « زحلة الفتاة » .

فماذا كان جزاء هذا الفاضل عندكم ؟. بل ما هو موقفه اليوم، وما هي شهادته بحق موظفيكم ؟ . ليس البخاش من آل الحسين ، ولا من بني معروف . فليس عداؤه فرنسا تايداً بل طارفاً .

فهلم أيها الاديب الالمعي بخاش ، وقل لنا ما عندك في موظفي فرنسا ، والرشوة

قال بخاش — حنانيك يا اخي خباز . خذهاعن خبير. فهذا ماقلته في زحلة الفتاة ، تحت عنوان « الصحافي المنفي » : —

« ان من راقب سير القضاء العسكري بلبنان ، منذ رواية اعضاء المجلس الاداري اللبناني ، الى محاكمة الدكتور شهبندر ورفاقه ، ادرك

لاول وهلة ان قضاة المحكمة يسيرون بارادة المفوضية الفرنسية ، ويصدرون الاحكام التي تمليها عليهم السياسة (الفرنسية). فلا يكترثون للدفاع ، وضجيج المحامين ، ولا يلتفتون الى صحة التهمة ، او عدم صحتها ، بل يهينون العدالة بجعلها آلة لسياسة الاستعمار القاضية بدوس كل عثرة تقف في سبيلها .... الى ان قال : —

(١) حكاية الأديب بخاش بقلمه

« يعلم كل الناس اني كنت من اشد انصار الانتداب الفرنسي في لبنان ، تصوراً مني ان هذا الانتداب ، المؤسس على العاطفة المتبادلة — بين الفرنسيين واللبنانيين — سيكون عوناً لنا على تأييد استقلالنا ، ومكافأة اللبنانيين الذين ضحوا بما ضحوا ، في سبيل وطنهم، وسبيل فرنسا . وتطوع الآلاف منهم في جيوش الحفاء الامريكيين — والبخاش منهم — فلما عدت من امريكا الى الوطن السوري، وتوليت تحرير « زحلة الفتاة » . اخذت احبذ الانتداب الفرنسي ، وأمني النفس بالاصلاح ، الى ان انتهت موقعة ميسلون — وقد مر بك وصفها في الجزء الاول — وشمل الانتداب الفرنسي كل سورية . فأخذنا نحن الصحافيين — نطرق المواضيع الاصلاحية ، حباً بتجديد البلاد ، وتقويم المعوج من احوالها

وعندما حدثت سرقات الجمرك في بيروت، وظهرت الفضائح التي اعلنها مسيو جونار في مجلس الأعيان الفرنسي ، في العام الفائت ، وتكاثرت « الرشوة » في كل دوائر الحكومة ، ولا سيما لواء البقاع ، الذي كان مستشاروه الفرنسيون يصلون الينا فقراء لا يملكون شروى نقير ، فلا تمر شهور حتى يملأ الذهب صناديقهم ، ويعاملون البلاد معاملة الغزاة

الفاتحين ، الذين لهم حق الفتح والغنيمة ـ انشأت مقالاً معتدلاً نشرت فيه وجوب قطع دابر الرشوة .

(هذا ما اجرم به البخاش الاديب ، انه كتب مقالاً معتدلاً اشار فيه الى وجوب قطع دابر الرشوة . افعداء كان ذلك منه لفرنسا ام حباً ؟ . ايضر فرنسا قطع دابر الرشوة ام ينفعها ، في بلد هو تحت انتدابها ؟ . او يخفض ذلك منزلتها ام يعليها ؟ . او عدو من يرغب في ذلك ام صديق ؟ ليحكم القارىء عقله . والآن اعود الى كلام البخاش).

«وقلت ان الحالة عندنا لم تفرق كثيراً عن الحالة في عهد الحكم التركي. فما كاد ينشر المقال حتى شعر ذلك المستشار ـ في البقاع ـ بالوخزة التي اصابته في الوتر الحساس. وغضب غضبة السارق الذي يقبض عليه متلبساً بجريمته . فللحال استدعى متصرف زحلة والمدعي العام ، وأمرهما باقامة الدعوى علي لتحقيري السلطة ، واهانتي الحكام ، وتشويش الجمهور » ثم امر بتعطيل جريدتي الى أجل غير مسمى . . . فوقعت محكمة زحلة يومئذ في ارتباك شديد . فهي ، وكل الملأ عالمون ، ان « الرشوة سائدة » في دائرة المستشار ، وفي معظم دوائر الحكومة ، وعارفة ايضاً « ان لدي وثائق تثبت تلك الرشوات » (افيريد مسيو بونسو اشرف من هذه الصراحة ؟ . وأي نيشان يستحق الاديب بخاش على هذه الشهامة ؟) . « ولكنها ـ المحكمة ـ بذات الوقت ، تخشى غضب المستشار ، الذي يلغي الوظائف بكلمة تخرج من فيه. فأخذت تؤجل الحكم ، من يوم الى يوم ، والمستشار يستدعي النائب العمومي في كل مساء ، ويزجر ويهدد ، ويأمر بالحكم علي بالسجن ١٥ يوماً على الاقل ، اذلالاً لعنفواني كما يقول ، او تحطيماً لهذا القلم . وبالرغم

عن اعتراف الناس اجمعين بأن المقال لا يستحق ادنى عقوبة اضطرت المحكمة الوطنية . . . . الى الحكم علي بالسجن اسبوعين . ولو لم يتح لي القدر محكمة استئنافية كريمة في بيروت لكان السجن جزائي.

ومما اذكره ايضاً ان ذلك المستشار شعر قبيل صدور البراءة في محكمة الاستئناف بأن النائب العمومي سيطلب الغاء الحكم الصادر من محكمة بداءة زحلة . فأمر النائب في زحلة بركوب سيارة الحكومة ، والذهاب الى بيروت . لاقناع النيابة الاستئنافية بطلب تأييد الحكم ، ولو مخففاً ، فنبذه النائب العام الجرىء نبذاً مهيناً . وكانت هذه الحركة سبباً في اغتياظ السلطة منه ، ونقله الى مركز آخر ، ثم الغاء ذلك المركز الجديد ، وفصله بالكلية » .

هذا ما قاله البخاش وأرى فيه امرين كبيرين .

الاول : ان الرشوة ، بلغت تحت علم الانتداب في مدة سنتين ما لم تبلغه ، تحت علم الاتراك ، في ستمائة سنة ، حتى صار عند البخاش « وثائق لا ترد تثبت تلك الرشوة » . وصار قادراً ان يجهر في الصحف السيارة » ان قد تكاثرت الرشوة في كل دوائر الحكومة». ويقول ان الحكومة عارفة ان لديه وثائق الخ .

الثاني : ان الموظفين الفرنسيين جروا معهم المفوضية الى الدرك الاسفل ، بقطع معاش من لا يسير بوظيفته على هواهم .فقطعوا معاش النائب العام في محكمة الاستئناف ، فقط ، لانه لم يسخر ضميره ، ويسر في الحكم على هوى المرتشين .

افيستغرب رجل حصيف ، كمسيو بونسو ، ان تقوم الامة السورية ، على دولة هؤلاء هم ممثلوها في البلاد ؟ . وأي اعجب ، اقيام

السوريين على فرنسا ، ام سير الفرنسيين ذلك السير المعيب ، في بلد اتوا ليرشدوه ويقودوه ؟ .

وقد لا يرى القارىء في حكاية البخاش ما يكفي لاصدار حكم عام بهذا الشأن ، على نحو ما جرى مع الاخ ا . ش . الذي اوجب علي اشباع البرهان في رشوة المفوضية الصحف السورية . لذلك اورد له هنا الحكايه التالية عن موظف فرنسي كبير في الشام . وهي تبين كيف سفلت الرشوة برجال الانتداب ، ويرى تأثير ذلك في نفوس السوريين ، وفي علاقاتهم بفرنسا . وهي

(٢) حكاية القومندان فيرييه

وأرجو القارىء عذراً لكتمي اسم راويها . فانه ذو مقام كبير ، يضن بكرامته . فاحتراماً لارادته اكتم اسمه . وأورد القصة بحذافيرها .

قال الراوي

لآل زنانيري قرية في جوار الشام اسمها صحنايا . ولأنهم كانوا ، في بدء عهد الاحتلال ، مقيمين بباريس ، اقاموا وكيلا عليها الدكتور كامل بطرس هلال من حلب ، وفوضوا أمرها اليه لاصلاحها ، والدفاع عنها ، والتصرف بها . الوكيل هلال خريج الجامعة الامريكية ، وكونشلير قنصلاتو انكلترا في حلب ، قبيل الحرب ، وطبيب الاصلاحية في أثناء الحرب ، وهو رجل واسع الاطلاع على أحوال الدول ، طويل الباع في معالجة الشؤون ، دقيق النظر في نقد الواقعات ، وبسبب امانته وشعوره الانساني نقم عليه الاتراك . وحكم عليه مجلسهم العسكري بالاعدام ولكنه نجا من انفاذ الحكم فيه بطريقة لا محل لشرحها هنا . هذا الرجل المقتدر ، صاحب الوجدان ، بدليل تعريضه

حياته لخطر الموت ، عملاً بحكم وجدانه في أشد أزمات التاريخ حرجاً ، هو وكيل آل زنانير على قرية صحنايا

وكان الدروز ، جيران صحنايا ، قد اعتدوا على القرية في خلال سني الحرب سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ففتحوا طريقاً في وسط أراضيها الزراعية ، أو بساتينها. ولان الافكار كانت مشغولة بالحرب والمجاعات، والمروعات الجسام ، انصرفت الافكار عن أمر الطريق والاملاك، اشتغالاً بالأهم عن المهم . فلما ألقت الحرب أوزارها ، وحوّل الناس همهم لارزاقهم ، وشؤونهم وصيانة مصالحهم،صار من الممكن دفع تجاوز الجيران على صحنايا ، فبنى وكيل زنانيري ، الدكتور هلال، سوراً حول الاراضي. ومنع الناس من المرور في وسطها كما كانوا يعملون في سني الحرب

وهنالك أناس من متنفذي الشام ليس من أغراض هذا الكتاب اعلان فضيحتهم ، كانوا يرمون الى انتزاع ملكية آل زنانيري ، بأبخس الأثمان . فلكي يتوصل هؤلاء الى بغيتهم أوعزوا الى الدروز ان يهدموا الجدار ويدوسوا الارض ،كما في الماضي وسهلوا عليهم تحدي الوكيل ودوس القانون . فجاء الدروز ، وهدموا الجدار الذي بناه الوكيل، وفتحوا طريقاً في وسط الارض . فلم يسع الوكيل الا التشكي حسب القانون . وبما أن المحرضين من أرباب الشوكة ، خشي الوكيل من تأثيرهم في سير الدعوى ، فلجأ الى أعلى المراجع في البلاد. أي انه رفع الدعوى لفخامة المفوّض السامي . فأجابه الجنرال « راجع « الحكومة المحلية » . وبهذه العبارة «راجع الحكومة المحلية» تستقر حكمة الانتداب وكمالها . ولو التزم المأمورون الفرنسيون هذا الحد لاراحوا واستراحوا ، وضمنوا كرامة فرنسا ، وربحوا شرفهم ، ولما

كانت الثورة ، ولما كان هذا التأليف ، ولما أنفقوا ثلاثة عشرة ألف مليون فرنك ، وحياة عشرين الف جندي

اقول ، لما قال الجنرال للدكتور هلال « راجع الحكومة المحلية » — ذات الاختصاص — رأى ذلك عين الصواب . ففعل كذلك ، وكانت الحكومة المحلية في جانبه ، لان الحق في جانبه . فأصدرت قراراً أوجبت فيه على الدروز ترميم الجدار ، ومنع التجاوز ، وصيانة حقوق المالكين . وأرسلت قوة مسلحة لقرية صحنايا ، اجبرت الاهالي على انفاذ هذا القرار وترميم السور ، وتخويل المالكين حقوقهم . وأخذت منهم ضمانات بعدم التعرُّض له ، والمحافظة عليه

الى هذا الحد كان سير القضية طبيعياً وحسناً ، ومنطبقاً على كرامة فرنسا ، وعلى مصلحة سورية ، ومبادىء الانسانية . ولو وقفت القضية عند هذا الحد لربحت فرنسا الثناء والمجد

ولكن . ووا أسفي على كلمة « ولكن » . فقد أبت النقيصة الا ان تحرم فرنسا كرامتها وسورية مصلحتها ، من جرَّاء حب الرشوة ، والطمع في قبيح الربح . ذلك ما عمله « القومندان فيرييه » الذي ظهر على مسرح التمثيل فحوَّل مجرى الامور من أحسن الى أسوأ . وفتح صفحة جديدة في تاريخ المسألة السورية

قال مخبري ، وهو صادق : —

قبض القومندان فيرييه من الدروز رشوة مبلغها ثلاثون جنيهاً عثمانياً ذهباً . وبمقابلة ذلك أعطاهم امراً ممهوراً بتوقيعه الخاص ، بهدم الجدار والتعدي على آل زنانيري ، وابطال عمل دائرة الاختصاص المحلية :

هل يريد القارىء ان يطالب مخبري بالبرهان على ان القومندان

فيربيه قبض الرشوة ؟ . قد نعجز عن البرهان ، ولكن ، ما دخل قومندان أجنبي في دعوى ، اصدرت بها قرارها دائرة اختصاص رسمية ؟ وسواء قبض القومندان الرشوة ، كما نعتقد ، أو أنه لم يقبض كما يريد المعترض ان يقول ، فالامر الواقع هو ان القومندان تعرض لدائرة ايَّـد حقها المفوض السامي . ونقض ما أبرمته بل أمر بعكسه، وهو أكبر عيب في سياسة الانتداب . ولم ينحصر التجاوز في ذلك بل تعداه الى هتك حرمة العدالة ، ومس كرامة فرنسا ، وكرامة الانسانية ، ومصلحة الانتداب ومصلحة سورية . كل ذلك مقابل ثلاثين ليرة عثمانية قبضها القومندان الفرنسي بالشام من دروز صحنايا ، فأباح لهم التعدي على حقوق آل زنانيري ، ودوس حكم المحكمة ، والهزء بالقانون والنظام

بلغ ذلك الدكتور هلال ، وكيل آل زنانيري ، فهب يمثل الدور اللائق بحضرته ، تجاه القومندان المرتشي . واشرأبت الاعناق الى المسرح، لترى نتيجة المصادمة بين سوري يدافع عن الحق ،وعسكري فرنسي قبض الرشوة للقضاء المبرم على الحق

الدكتور هلال يحسن مع العربية اللغات التركية والانكليزية والفرنسية . فلا يحتاج الى ترجمان في مخاطبة فيربيه كذلك له ضلع واسع في الحقوق فلا يفتقر الى محام ، فسعى اول كل أول للاجتماع بخصمه العنيد القومندان فيربيه شخصياً . وتمكن من الاجتماع به في بيت الشاوي . فكلمه بأدب وانسانية ، وأوضح له حق موكليه ، ونزاهة فخامة المفوض السامي ، وعدالة المحكمة . فعل الدكتور هلال كل ذلك بأفصح عبارة وأجلى بيان. ولكن أمراً واحداً أغفله ، وهو

انه لم يمد يده الى جيبه ، وينفح القومندان ببدر الاموال بل استند في دفاعه الى شهامة فرنسا، وعدالة مطلبه، وصراحة القانون. على أن ذلك ماكان ليغنيه فتيلاً لدى القومندان فيرييه . فلم يقبل منه التماساً ، ولا اعتبر برهاناً ولا دليلاً ،ولا تنازل لتأييد حقوق أصحاب الاملاك ، بل أصر على اباحتها للدروز الذين قبض منهم الرشوة

ففكر الدكتور هلال بوسيلة يلجأ اليها كل من كان في مثل تلك الحال وهي أن يعرض واقعة الحال لحقي بك العظم ويستعين به على اقناع القومندان فيرييه بالاقلاع عن نصرة التعدي والوقوف عند حد القانون. ولما دخل على سعادة البك وجد عنده عطا الله بك الايوبي، ناظر العدلية السابق ، ولقي القومندان فيرييه نفسه هناك أيضاً

وكان الدكتور هلال قد حصل على الأمر الذي أصدره القومندان فيرييه للدروز ، بهدم السور والتعدي على ملك آل زنانيري ، فأسرع وسحب عنه نصف دزينة صور بالفوتوغرافيا وحماها في جيبه، وخصمه لا يعلم

فبدأ التمثيل على المسرح في حضرة حقي بك بالمعاتبة اللطيفة بين الخصمين، ثم اتسع النطاق من المعاتبة الى المجادلة فالمناوأة فاحتدم الخصام بينهما . وقال الدكتور هلال للقومندان انه لم يكن يتوقع منه اصدار أمر يبيح به التعدي على أملاك آل زنانيري ، وان ذلك لا ينطبق على العدالة والقانون ، ولا على شرفه الفرنسي والعسكري ، وعلى الاقل ينافي واجبه كمأمور

فصاح به القومندان : اني لم أصدر الأمر الذي تزعمه

فحملق به الدكتور وصرخ : انت كذاب يا مسيو فيرييه

فصاح به القومندان : أأنا كذاب ؟

فرد عليه الدكتور : بل « أنت خمسين الف كذاب »

قال الدكتور ذلك ويده في جيبه. وقد جمد عطا الله بك وحقي بك كأن على رأسيهما الطير . وخيل اليهما ان الدكتور يهم باخراج مسدس من جيبه ليحول المشهد الى مأساة. لا وأبيك إنما أخرج الدكتور يده من جيبه واذا بها تحمل ورقة عليها صورة الأمر المسحوب بالفوتوغرافيا فرفعها في وجه القومندان قائلاً : امضاء من هذا يا كذاب ؟

فجمد القومندان وابكم : لان الخط خطه والتوقيع توقيعه والصورة صورة الأمر الذي انكر انه اصدره. وحقي بك يعرف امضاءه وكذلك عطا الله بك. فلم يمكنه أن ينكر أنه كذاب . وهلال يقول له وقد أخذت منه الحدة كل مأخذ — هذا هو الأمر الذي تنكر أنك أصدرته . واندفع الدكتور يتلو على مسامع القوم خطبة رنانة . أسمع القومندان فيها كلمات تخرق الصخر لو يشعر ، فمنها قوله: كنا نؤمل انكم تنصرون الحق في بلدنا فدستم الحق . كنا نظن انكم آتون الى بلدنا بالمجد فاخترتم الخزي. بأمثالك تسقط هيبة فرنسا وتوصم بوصمات عار يحفظها لها التاريخ . بماذا تدفع عن كرامة الدولة التي علقت نياشينها على صدرك وقد بعتها بثمن بخس . الى غير ذلك من الاقوال

على أن القومندان لم يخجل كثيراً بعمله . بل استجمع قواه وشرع (دون أدنى حياء) يبرهن على صوابية العمل الذي كان قد أنكر أنه عمله

فنهض الدكتور هلال وقابل مندوب المفوض السامي وهو يوم ذاك « مسيو كاترو » وهو يحمل صورة المعاملات من أولها إلى آخرها

وفيها صورة الأمر المنكر الذي أصدره القومندان فيرييه للدروز يبيح لهم فيه هدم السور والتعدي على الأملاك. وأيضاً صورة قرار المحكمة ذات الصلاحية. وأبان لسعادة مسيو كاترو بأفصح بيان جسامة مافعله القومندان فيرييه

وبذل الدكتور هلال كل جهد ليجعل الموضوع مفهوماً جلياً. آملاً أنه يحصل على تأييد الحق

فكانت النتيجة أن القومندان فيرييه أصدر (بعد يومين) أمراً لكل دوائر المحاكم، يحظر عليها أن تفتح أبوابها للدكتور هلال أو تسمع له شكوى أواسترحاماً. ولكن الدكتور هلال حصل على صورة الأمر وسحب عنها نصف دزينة بالفوتوغرافيا وضمها الى الدوسيه الذي معه.

وبعد عشرين يوماً وصله جواب من مسيو كاترو بتوقيعه ولكن بخط القومندان فيرييه مملوءاً بالمغالطات والسفسطات التي لا تليق بحاكم ولا يقبلها عقل. والغرض منه واضح وهو اضاعة حقوق آل زنانيري. فرد عليه الدكتور هلال رداً فنياً مفنداً ما فيه جملة فجملة، وكاشفاً عن مواطن الخلل، ومخالفة نصوص القوانين

فأجابه القومندان فيرييه : ـ اذهب الى المحاكم الاهلية

فقال الدكتور : وأية محاكم تعني ؟ . أتجهل أنك أوصدت ابوابها في وجهي؟أوتظن أني لم احصل على امرك هذا كما حصلت على ماقبله؟. حذار ان تنكر فصورة هذا الأمر في جيبي كصورة سلفه

لقد كنا يامسيو فيرييه نأمل انكم تحترمون العدالة وتمثلون القانون وتنصرون الحق وتحظرون التجاوز. ولكننا بأسف نراكم تفعلون العكس في كل ذلك

وعبثاً كان الدكتور يتكلم ويسعى ، فلم يفت في عضد فيرييه. لأن الثلاثين ذهباً في جيبه كانت فوق كل فصاحة وبلاغة وبيان

فكم رجل في سورية يثبتون ثبات الدكتور هلال ، امام عاتٍ كفيرييه ؟ . فانه بعد ما لقي من الاعنات والسماجة لم تنثن له عزيمة، ولا لان له عود. فكتب الدكتور هلال الى الجنرال غورو بياناً مسهباً في صورة الواقع ، من اول القضية الى آخرها .

ثم بعث الى آل زنانيري بباريس بصورة الواقع ، مع صور الاوامر الاضافية التي اصدرها القومندان فيرييه لاضاعة حقهم .

ومرَّ زمان طويل والمفوضية العليا لم تجب الدكتور هلال . ولكن آل زنانيري بباريس، وهم اصحاب الشأن ، ولا شك في انهم سعوا في الامر لدى من يستطيع التأثير . وذلك عمل غير قانوني . لكنه ممكن.

وأخيراً وردت الى الشام اوامر عالية بعزل القومندان فيرييه ، وابطال اوامره ، واثبات قرار المحكمة ، وترميم السور ، وحفظ حقوق آل زنانيري .

فاجتمع الدكتور هلال بخصمه فيرييه قبيل براحه الشام ، وقال له : — كم عذبتني ، وكم تماديت ، وكم حملتني من المشقات في سبيل حق واضح لا يختلف فيه اثنان ؟ . وبهذا المقدار تشددت ، واقمت في سبيلي كل هذه الصعاب ، فاذا كان ذلك منكم مع مثلي وأنا دارس القوانين ، وقادر ان اثبت حقي ، واستطيع ان اتصل ببيروت وباريس، فكم تفعلون بالعامة الذين لا حول لهم ولا طول ؟ .

افيروم مني القارىء ان اسرد له حكايات كثيرة من هذا النوع؟. لست قصاصاً ، ولا عائباً . ولكني اريد ان ابين لمسيو بونسو ان

ارتشاء موظفي المفوضية اسقط هيبتهم وأثار الناس على الدولة الفرنسية. وسيأتي شيء من بيان ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب، وبقلم رجل فرنسي كبير. والذي اريد ان اقوله ان الرشوة التي قبضها موظفون فرنسيون كانت في عداد الاسباب الحاملة السوريين على دولة الانتداب

واذا كانت قد حوّلت شكري افندي بخاش من صديق فرنسا الى خصم لدود. واسمعت القومندان فيربيه ما اسمعت من الكلام بفم الدكتور هلال، واسمعت وزراء فرنسا بفم مسيو بيرار ما لم تسمعه دولة من جسور، كما سيجيء في محله. اذا كان للرشوة كل هذه الآثار فيستطيع مسيو بونسوان يفهم، اذا هو أراد: ان الرشوة وسلب أموال العباد اثارا حفظية السوريين على فرنسا فحاربوها:

تهمة الكولونيل بيشون بالرشوة

ان رجلاً من اهالي لبنان يدعى الخواجه قيصر حبيش شهد في الدعوى التي أقيمت على عارف بك ابراهيم ومحمود افندي العجوز مديري ادارة التحري في البوليس اللبناني بان الكولونيل بيشون مدير الامن العام في المفوضية كان يقبل الرشوة من هذين الرجلين

وقد شق على قيادة جيش الشرق العامة ان توجه مثل هذه التهمة الى ضابط كبير من ضباطها. فأبرقت في الحال الى وزارة الخارجية في باريس تطلعها على المسألة وتسألها رأيها فيما يجب عمله في هذه التهمة التي وجهها الشاهد الى الكولونيل، فورد الجواب بوجوب مقاضاة الشاهد امام المجلس الحربي العسكري بتهمة الافتراء. فعقد المجلس الحربي الفرنسي جلسة، وبعد سماع اقوال الشاهد ومرافعة النائب العام ودفاع وكيل المتهم لفظ المجلس الحربي حكمه على الخواجه حبيش بدفع جزاء نقدي قدره الف فرنك

الرأس الثالث

تحدي الانتداب معاهد العلم الوطنية

حسن النية مبدأ الهي ، يستقر في النفس ، وتتجلى ظاهراته في الحياة اليومية . وأهم ما الفت اليه انظار قرائي هو حسن نية الدولة المنتدبة نحو البلد الذي انتدبته عليه . ومن اوضح مظاهر حسن النية تنشيط التعليم الاهلي ، وتشديد سواعد القائمين به .

أما ما رأيناه من رجال الانتداب فقد كان عكس ذلك . فانهم كانوا يغتنمون كل فرصة لاقفال المدارس الحرة ، ويضعون العراقيل في طريق القائمين بها . وقد ادهشني ما رأيت من سعي الانتداب ، واهتمام رجاله ـ اعظم اهتمام ـ باقفال المدارس الاهلية . فكنت اقرأ في الصحف السورية كل يوم اخباراً عن صدور اوامر المفوضية العليا باقفال مدرسة الآنسة فلانة والاستاذ فلان في سورية ولبنان . استناداً الى انها غير مرخوصة . وذلك شر مما عمل الاتراك في سورية . فان اولئك مع ما نحفظ لهم من آثار قسوة وجهل ، لم يسعوا في اقفال المدارس المفتوحة ، بل كانوا يعطون رخصة لاصحابها ومديريها ، فتظل مفتوحة . اما المفوضية الفرنسية فمع انها فرع دولة عرفت في التاريخ بالعلم والعرفان ، مع ذلك ، لا نرى منها اسهل من اقفال المدارس الاهلية ، ومغادرة طلابها وأساتذتها في ظلام دامس . ويمكن القارىء ان يقف على شواهد كلامي بمراجعة الصحف السورية ، فانه ولا شك سيجد فيها أدلة عديدة تثبت ما اقول .

ولئلا يكون كلامي خالياً من الدليل اورد بعض شواهد فيها

يرى القراء، واضحاً، أن المفوضية تعمدت اطفاء مصابيح العلم الوطني

الشاهد الاول — بيشون وشبل

بيشون احد معلمي الياس شبل رئيس الجامعة العلمية بعاليه لبنان، تركه رئيسه لنفس الأسباب التي لاجلها يترك كل سوري المعلمين الفرنسيين. وكان الياس شبل قد سعى كثيراً للحصول على رخصة بمدرسة اهلية في دمشق الشام فلم يفلح. مع انه معروف في البلاد وقد علم ابناءها وبناتها بمدارس عاليه الوطنية التي هو صاحبها ورئيسها. ومدارسه هذه انشأها قبل الانتداب الفرنسي. ولو انه طلب بها رخصة في عهد هؤلاء الفرنسيين لما كانت لنا المدارس الجامعة في عاليه. لكنه سبق، وفقه الله، فانشأها في عهد الترك ففاز بمرغوبه، وفات الفرنسيين القضاء عليها. قلت انه سعى كثيراً للحصول على رخصة بانشاء مدرسة اهلية في الشام فلم يفلح. ولكن لما اقفل الامريكيون مدرستهم في سوق الغرب. وجاء بيشون، معلم الياس مشيل سابقاً، يروم فتحها أجرى له رجال الانتداب كل مساعدة وتسهيل. واظن انه فتح المدرسة بدون رخصة، فقط لانه فرنسي، وربما هو ذو علاقة سرية بالانتداب. ولو انه سوري لعارضوه، ومنعوه من ادارة مدرسة ولو كان فاضلا. اما هذا فاباحوا له ادارة المدرسة، وربما بدون رخصة خلافاً للقانون. فأدار المدرسة اسوأ ادارة بضعة اشهر، كان رئيسها بيشون قد فتح فيها قهوة للتدخين والمسكر وغير ذلك وأهالي سوق الغرب شهود على ما اقول. هذا الذي أراده الفرنسيون ورضوا عنه ثم تركها وسار في سبيله، وتفرق طلابها ايدي سبا. هل كان ذلك باتفاق بينه وبين المفوضية العليا انه يستلم المدرسة موقتاً فيحول دون

اشتغال غيره بها ، ثم يخربها، أو انه فعل ما فعل على مسؤوليته وحده؟. على كل فقد آثرته المفوضية الفرنسية على غيره، والنتيجة خسران البلاد مدرسة نافعة ، في ما لو ادارها وطني أمين

الشاهد الثاني — ابني توفيق في حماه

أعتدنا ان ندير مدرسة موقتة في كل صيف ، لمساعدة الطلاب الضعفاء، فيراجعون فيها دروس السنة الماضية ، ولاعداد الطلبة الجدد الذين ، يرومون الالتحاق بالمدرسة في السنة القادمة . وهذه المدارس الصيفية بركة عظيمة لنفوس الطلاب ، وقد الفها الناس في كل الدنيا ، وعليها يعول كثيرون من الاهالي واولادهم الطلاب لسد فراغ في حياتهم العلمية . وتشديد سواعدهم في طلب العلم والفوز بترقية الحياة . فلما كانت سنة ١٩٢٥ ، وارغمنا على ترك حمص وكليتها الوطنية ، بدسائس المفوضية وسعيها ، ضد مصلحة البلاد ، كما سأبين ذلك في الجزء الرابع من هذا التأليف، جئنا بيروت حيث مكثنا اكثر من سنتين . ورأينا من اللازم ان نخول الطلاب، ما اعتادوه كل عام. ولكي ينطبق عملنا على قوانين البلاد . ذهب ابني توفيق الى حماه . واتفق مع لجنة مدرستها الانجيلية أن يفتحوا مدرستهم صيفاً ، وهم اصحاب رخصة رسمية ، فيعلم اولادهم ولا يكلفهم شيئاً . فسرهم ذلك غاية السرور ، ورأوا في هذا السعي وقاية لاولادهم من الحر والغبار وسوء المعشر ، وفي الوقت نفسه يراجعون دروسهم ، ويستعدون للسنة القادمة وبعد اتفاق ابني مع لجنة المدرسة اتفق مع ثلاثة معلمين . فشرع الاربعة يعلمون من أم المدرسة من الطلاب وهم نحو ثلاثين ، من كل المذاهب

ولم يكن مسعى في حماه اكثر مسرة وفائدة من انشاء مدرسة صيفية، فوردت الاوامر من نظارة الداخلية بالشام بايصاد المدرسة . فدفع عنها اولاً لجنة المدرسة بانها مدرستهم،وانها فتحت بامرهم،وانهم اصحاب رخصة الخ . وهم وجهاء معروفون لدى الحكومة ، ولدى السلطة . ولكن ذلك لم يغن فتيلاً . فقد وردت اوامر مشددة لسعادة المتصرف بلزوم اقفال المدرسة، وتفريق طلابها ومعلميها . هل سمع القارىء ان السلطة الفرنسية تؤثر جهالة الشبان وفساد اخلاقهم على حصولهم على التهذيب وحسن الاخلاق؟. الامر غريب . ولكن هذا هو الواقع .

ويجب ان يعرف القارىء أن متصرف حماه يومئذ هو فيضي بك الاتاسي وكان ابني توفيق قد علمه سابقاً بعض اللغة الانكليزية بحمص وهو صديقه وصديقنا . وبالطبع صديق المتصرف ، وصديق وجهاء حماه ، ومهذب اولادهم والحاصل على ثقتهم ،ليس متشرداً ، ولا جانباً ولا من سفلة القوم . فذهبت الى الشام ، وقابلت اولي الشأن فيها . ففهمت انهم ممنونون من المدرسة ولا شيء لهم عليها . وانما الاوامر من المفوضية ، او من بعض رجالها ولماذا ؟ . ذلك ما يجب ان نعرفه .

وفي نفس الوقت كانت المفوضية تساعد مدرسة غير مرخوصة بجوار حماه . لان جواسيسها هم القابضون على ازمة العمل فيها .

افيعلم مسيو بونسو من الذي اطلق في صدور الجنود الفرنسية اول رصاصة ؟. انه ولا شك يعلم انهم الحمويون ، الذين رأوا سوء نية المفوضية ، وسعيها لحجز اولادهم في ظلمات الجهل والغباوة . فماذا يضر المفوضية ان تستمر مدرسة حماه الانجيلية صيفاً ، وهي نافعة

ومفيدة ؟ . اليس لانهم لا يريدون تنوير عقول الناس في سورية ؟ . وبأي حق يساعدون في نفس الوقت مدرسة غير مرخوصة بحمص ؟. اليس لان جاسوسهم هو مدير دفتها وقد طمأنهم بأن لا فائدة للناس من ادارتها صيفاً ؟. وهو الواقع فانه بعد ما اطمأن على اقفال مدرسة حماه ، كف عن جمع الطلاب في حمص . وغادرها ، وانتهت تلك المساعي بادارة مدرسة صيفية . فكأن غرض المفوضية قفل مدرسة حماه. قد يماري صاحب الغرض في الدفاع عن المفوضية، ويقول ما يريد دفاعاً عن رجالات فرنسا، وغمطاً لحق الوطنيين المخلصين. فلا بأس اني اوسع صدري للمقاوم فارضاً اخلاصه، واورد له شاهداً آخر على سوء نية المفوضية الفرنسية ، تعزيزاً للحقيقة ، شاهداً لا يمكن الستور اخفاءه ونوراً لا تستطيع شياطين الكذب والرياء اطفاءه ، وهو

الشاهد الثالث — حكاية مدرسة البنات الاهلية في بيروت

وحكاية هذه المدرسة غريبة في بابها . وهي تعطينا مثلاً لاهلية الوطنيين ، ونزاهتهم ، والمرامي السياسية الفرنسية المضرة في سورية . وتبين واضحاً سوء تصرفات رجالات الانتداب الفرنسي في البلاد . اخص منهم بالذكر مسيو ديتوا الذين شاع امره وعرف سره وجهره وسيأتي بيان ذلك في موضعه. هذا الرجل تهجم على مناوأة اقدس عمل انساني في الشرق ، واطفاء ابهى مصباح للعلم والفضيلة على ضفاف المتوسط ، واليك البيان : —

ماري كساب فتاة سورية لبنانية ، سليمة النية ، طيبة القلب ، كاملة التهذيب ، هادئة الروح والحياة بعيدة جداً عن السياسة وعن ادعياء السياسة ، وعن الاغراض والدسائس التي يقوم بها اناس

معروفون ، باسم السياسة والانتداب . وهي ابنة والدين فاضلين ، هما المرحوم سليم كساب وقرينته ، اللذين عاشا وماتا وليس في صفحة حياتهما نقطة سوداء، بل قضيا الحياة في خدمة العلم والادب ، واورثا ماري هذا الميل ، الذي رضعته مع الحليب . توفي هذان الوالدان عن ابنة وثلاثة انجال . فالابنة هي ماري ، والرجال الثلاثة هم امين وعزيز وشكري ، التجار الاماثل المعروفون في بيروت وفي سورية واوربا تهذبوا في الجامعة الامريكية في بيروت ، وعكفوا على التجارة السنين الطوال. ولهم اكبر المخازن للزجاج والاواني البيتية ، يستوردونها من اوربا ويبيعونها بسورية بالمفرق وبالجملة ، تحت اسم كساب اخوان .

كساب اخوان،واختهم ماري ، ابعد الناس عن السياسة والفضول، واوقاتهم اضيق من ان تأذن لهم بالبحث أو السؤال عما سوى تجارتهم الواسعة ، وممارسة اعمال البر والفضيلة . فهم تجار واوادم بكل معاني الكلمة . وهم من ذوي اليسار وهم بغنى عن اشتغال شقيقتهم بخدمة العلم والتهذيب . الا انهم احتراماً لحريتها ، ورعاية للعلم والادب الذي هو اساس نعمتهم ، تركوا للشقيقة حريتها لتدير مدرسة تربي البنات . وكانوا في عداد انصارها

انشأت ماري كساب مدرسة البنات الاهلية في وادي ابي جميل بيروت ـ حاضرة لبنان ـ ويرجع تاريخ هذه المدرسة الى بضع سنين قبل الانتداب الفرنسي فقد كان لمستر غوردن الاسكوتلاندي مدرسة انكليزية ، أرغم على تركها ، وهجر بيروت بسبب الحرب بين تركيا وانجلترا . فلئلا تتعطل المدرسة ، وتحرم البلاد نفعها ، اباح لماري ادارتها ، وبالحري استعمال البناية في سبيل التعليم والادب . ولما حل

الفرنسيون البلاد كان على اللائحة عندهم،في عداد المدارس السورية ، مدرسة البنات الاهلية في بيروت .

هذه المدرسة لا علاقة لها ببعثة اجنبية ولا بجمعية تبشيرية . بل هي مدرسة اهلية حرة ، مفيدة ، راقية ، ولو صدقت فرنسا بوعودها وبرت بعهودها ، لكانت المدرسة الاهليـة أول مدرسة تحصل على مساعدة الانتداب ، ولـكانت ماري كساب أول سيدة تحمل نيشان « دونور » من فرنسا ولـكن لسوء حظ فرنسا ، ولسوء حظ سورية كان الامر بالعكس ، فان هذه السيدة الفاضلة كانت مقاومة (بفتح الواو) من الموظفين الـكبار ، وهذه المدرسة المفيدة اللطيفة كانت اذى في عيون رجالات المفوضية . وعلى فخامة المفوض السامي – مسيو بونسو – ان يعرف السبب في ذلك . فلماذا ياسيدي هب رجالـكم يحملون حملة منكرة على هذه المدرسة ؟ .

وقد يسألني فخامته وماذا جرى ؟ . فاجيب . بينما كانت رحى المدرسة تدور ، ورئيستها ومعلماتها غارقات في بحـر الواجبات ، وتلميذاتها يرتعن في رياض التهذيب الغناء . فوجئت الاسماع بصدور قرار من المفوضية الفرنسية العليا باقفال مدرسة ماري كساب ،مدرسة البنات الاهلية

ولماذا ؟ .

هل اساءت المدرسة الى فرنسا ، او الى احد في الدنيا بشيء ؟ نعم . انهـا اساءت بشيء واحد عظيم ، وهو انها تنور عقول بنات البلاد ، وتغرس في تربة نفوسهن الصالحة اغراس الفضيلة . فاي عار يلتحق بدولة تحمل على مثل هذه المدرسة ؟ .

ليس من عادة المفوضية ان تبين اسباب القرارات التي تصدرها ولاسيما اذا كان السبب الوحيد في اصدار تلك القرارات سحق نفوس السوريين ، واستئصال الحياة الروحية من صدورهم . والسبب الذي حملته المفوضية لاقفال زهرة مدارس البلاد هو ان فيها ولداً أو ولدين في سن السادسة من العمر . فقالوا : ان ماري خالفت منطوق الرخصة بيدها بمدرسة « بنات » ـ بنات فقط ـ فاخطأت ، وأي خطاء ، بانها قبلت في المدرسة بين البنات ولداً أو ولدين ، هم في طهارة الملائكة . هـذا كل ما سجلته المفوضية على ماري . وعلى مدرستها من المخالفات . فرنسا تقفل مدرسة بنات مفيدة راقية ، نقط، لان فيها ولدين دون العاشرة في العمر ؟ . لا اقول فرنسا بل ممثلوها في سورية . من سمع بمثل ذلك في القرن العشرين ؟ . سل صحف سورية في ١ ك سنة ١٩٢٤ و ٢ ك سنة ١٩٢٥

استناداً الى هذا السبب الواهن هب مسيو ديتوا مستشار المعارف الفرنسي بسورية ، وعدو العلم والعرفان الاهليين شرقي المتوسط ، لاطفاء مصباح العلم الجميل في وادي ابي جميل . فلو ان مسيو ديتوا من اخوان بجه سقا في افغانستان ، أو من سلالات الامراء الحضارمة ، أو أمراء البحرين او خانات بلوخستان وتتارستان ، او أعارب نجد وتهامة ، أو القطيف وعامة ، أو لو كان من رجال ديوان التفتيش في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، لكان عمله هذا لائقاً بمقامه ولائقاً بمحيطه . أما وهو يمثل فرنسا الحرة ، في القرن العشرين ، على ضفاف المتوسط، فذلك أمر لا يحتمل ولا يليق . واذا ذكر القارىء أن رئيس وزارة فرنسا يومئذ مسيو هريو ، فأنه يرى جلياً أن خطأ ديتوا غير

محتمل ، والاغضاء عنه غير ممكن

هب أن ماري أخطأت — ويالها من خطيئة لأنها أضافت الى مبراتها بتهذيب البنات عطفاً باسبال اذيال الرعاية والحنان على طفلين ، وهي لم يدر في خلدها ان ذلك يخالف احدى الشرائع السموية او الارضية ، ولكن هب ان ذلك خطيئة افليس من دواء لهذا الداء الطف من اقفال المدرسة المفيدة ؟ . افلا يجوز اخراج الطفلين من المدرسة ، وتوصية ماري ان لا تقبل اطفالا بعدها ، وتبقى رحى المدرسة دائرة ؟ .

فلم هذا العقاب الصارم على هذه الهفوة الطفيفة ؟ . هذا اذا حسبناها هفوة . والا فأي ذوق ، او اية انسانية ، او اي اخلاص ونزاهة ، تحسب تربية طفلين سبباً كافياً لهدم معهد علمي يفتخر به الشرق اجمع ؟. ولو ان مسيو ديتوا ممن يحرم اجتماع الذكور والاناث لكان له بعض العذر . اما وهو قد تخذ احداهن عاملة في ادارته الخاصة ، فتراها نصب عينيه ، صباح مساء ، وهو نصب عينيها مساء صباح ، تلاقي بسمتها بسمته ، ويتلو احمرار خديها احمرار عينيه ، ففي تصرفه الاداري شيء من موجبات النقد ، وشيء ليس بقليل ، لا يمكن تعليله بحياته اليومية . ولو ان الولدين فوق العاشرة ، وأن احد اهالي البنات شكا امر وجودها في المدرسة بين البنات ، وأن مسيو ديتوا غيرة منه على الصون والناموس ـ معاذ الله ـ ساءه امر وجود الولدين في المدرسة لقلنا نعم . ولكن لا احد شكا الامر اليه ، ولا غيرة منه على الصون ، بل تعمداً يريد ان يقوض صرح العلم في الشرق . نعم هذا هو الكل . هذا العمل الفظيع الذي اقدم عليه ديتوا ، وصدقه ويجان هو عار ،

وعار كبير ، على الانتداب ، لأنه تعد سمج على حرمة الانسانية والادب . ومظهر الغدر والعداء في رجالات الانتداب فأي دفاع يمكن مسيو بونسو ان يقدمه عن عمل ديتوا ؟ . هذا اذا كان امر الدفاع مما يهم المفوضية. فانا لا نراها تكترث للدفاع. بل تغطي التعدي بالتعدي، والمغايرة بالمغايرة. قد يقول قائل ان المفوضية كانت قد وضعت في مدرسة ماري جاسوسة او جاسوستين باسم معلمات ، وان ماري لما رأت ان تينك الجاسوستين عديمتا النفع استغنت عنهما ، لانهما تقتلان اوقات الطالبات دون ما نفع لانها وقفت نفسها على مصلحة بناتها. وليس من مصلحتهن ان يكن تحت ايدي جاسوسات فرنسيات غير مغسولة. والواجب المدرسي يقضي باقصاء ذكور النحل عن القفير. فصبرت ماري عليهما صبر الكرام حتى انتهى العام المدرسي بسلام. حينذاك شكرت المفوضية على احسانها، وأنها في السنة القادمة لا حاجة لها اليهما .

قال الراوي

وفتحت ماري مدرستها في السنة الثانية (ت ١٩٢٤) طاهرة من داء الجاسوسية الدنيء ، التي لا لزوم لها في عمل شريف كهذا . ولكن مسيو ديتوا ، وأذناب المفوضية معه ، لم يرق لهم ذلك . فهبوا لمناوأة ماري ومدرستها . وجعلوا يترصدون لها ، يرومون ان يمسكوا عليها كلمة او سبباً . ولم يدر في خلد ديتوا ان قطع رأس الف رجل ، يعولون النساء والاطفال، جرم أخف كثيراً من إقفال معهد أهلي يربي مئات العذارى أشرف تربية . ولا أعلم ماذا أعد ديتوا لسورية تعويضاً عن هذه الخسارة التي لا تقدر .

لا أظن أنه يجوز لي الفرض في مثل هذا الموقف . وأخشى أن

يكون فيه شيء من الخطأ أو عدم التدقيق . ولذلك لا أعتمده ، وان يكن مما قد تؤيده الاختبارات . ولست أريد أن أتحمل ، أو أحمل غيري، مسؤولية فروض وآراء . فاني في غنى عن ذلك لاثبات القضية التي أعالجها ، فآخذ الامور بظواهرها . وأقول ان المفوضية الفرنسية أصدرت أمراً وقحاً باقفال مدرسة البنات الاهلية . والفت نظركم — يا صاحب الفخامة — الى نقطة واحدة وهي هذه : —

ماذا كان وقع الخبر في نفوس السوريين ؟ .

هذا هو محور الكلام ، لارتباطه بغرض التأليف ، ارتباطاً جوهرياً . فان غرض التأليف هو : لماذا حاربت سورية فرنسا ؟ . والجواب عليه ان هنالك أسباباً . واذا ظهر السبب زال العجب . أفلا يرى سيدي بونسو أن التعدي على السوريين، كان سبباً لأثارتهم على الانتداب. هبنا نفرض أن في تصرف مسيو ديتوا حكمة تخفى على أذهان العقلاء . أوهب ان عمله خطأ شخصيّ لا تؤاخذ عليه فرنسا ، مع أنه يمثلها في أهم النقط الحيوية وهو — نظارة المعارف — أوهب ان عمله كان مطبق على خطة مرسومة غرضها فرنسة السوريين،واستئصال العاطفة القومية من الصدور ، والحياة الروحية من النفوس . وبهذا الاعتبار لا يكون مسيو ديتوا ملوماً كموظف ، ولكن في ذلك مافيه بحق فرنسا . هب هذا أو ذاك أو غيرها . وهب وهب وهب . لسنا نروم أن ندخل في الشعاب والفروع فالقضية التي بين أيدينا هي هذه

١ً : ان دولة أجنبية انتدبت على سورية ضد رغائب أهلها

٢ً : وأن رجالات هذه الدولة لم يربحوا ثقة الاهالي

٣ً : وأن السلطة العليا في هذا الانتداب تأمر بأقفال معهد علمي

مفيد غير آثم ، قد أجمعت الامة على رعايته . هذا هو الواقع ، فما هو تأثير ذلك في النفوس ؟ .

أيقرب القلوب الى فرنسا ، ويؤصل في قرارتها محبة آل « دورسيه » ؟. فهل خدم ديتوا مصلحة فرنسا بهـذا التعدي ؟ . فمع عدم التعرض لشخصية ديتوا وأدبه . ومع عدم التدخل بينه وبين المفوضية ، وسواء كان كبراء فرنسا آمريه بهذه الفضيحة ، أولم يكونوا فالسوريون معذورون اذا ظنوا بفرنسا سوءًا ، بإزاء هذا العمل المنكر . لأن المستشار ليس في سن الجهل ، ولا من رتب الموظفين السفلى ، فيغضى عنه . بل هو كامل السن ، وفي مرتبة عالية ، وهو يعمل في جو هادىء ، وعن فكر وروية . فلا بد من أن عمله هذا يحمّل فرنسا كل تبعاته

ماري كساب من أنجب ماولدت السوريات من عذارى . وقد قامت بأمجد ماقامت به بنات لبنان من الاعمال . وقد عقد الأهلون الخناصر على نصرتها واحترامها . لان مدرستها ظاهرة حياة في جسم الامة السورية . واقفالها جناية على الانسانية ، ووعداء مر للأمة السورية . ولا سوري شريف يغضي عن عمل كهذا . فبالطبع ان لعمل ديتوا نتيجته اللازمة في نفوس السوريين . ان من يحز الاعناق لايتألم ، ولـكن الذي يقطع حدها اوداجه هو الذي يتألم . فنحن السوريين يؤلمنا جداً ان يناط امر معارفنا بواحد كديتوا ، يصدر اوامر مجحفة ضارة باطفاء مصابيح العلم في البلاد ، والجناية على بناتنا ، وعلى من سيلدن لذلك قامت البلاد ، لفظاعة ديتوا ، وملأت الصحافه اعمدتها بتفنيد هـذا العمل المنكر ، وكان موضوع احاديثهم في الاندية والقهاوي

والمخازن والبيوت . وذهب بعضهم مذاهبَ تجعل فرنسا ملومة اشد الملام بهذا العمل الباطل . ولست اذكر عملاً في الشرق اجتمعت فيه كلمة الناس اجتماعها في استنكار عمل ديتوا . ولا اذكر امراً انتصرت له الصحافة في الشرق انتصارها لمدرسة البنات الاهلية . ورددت صحف المهجر اصداء الصحف في الوطن ومصر. وقام الناس وأوفدوا الوفود ، وخاطبوا المفوضية . فرأوا في ديتوا سماجة الصخر الصلد امام داعي الانسانية. وأكدوا انه ينوي ما عمل. ولولا الاقدار لدخلت المدرسة الاهلية في خبر كان ، وحرمت بنات لبنان انفع وسيلة لترقيتهن . ولكن الدهر ابو العجائب والعبر . فدار الدولاب .وصب الخزي والفشل على ديتوا . وكيفية ذلك ما يأتي :

انه في ذلك الحين تماماً سقط الحزب الاكليريكي بفرنسا ، وخلفه الحزب الحر . فأقيل الجنرال ويغان من مركز المفوض السامي ، وأرسل خلفاً له الجنرال ساراي . ولا ادري في حظ من هذا التغيير فللقارىء حرية الحكم. هل كان ذلك التغيير في حظ فرنسا ، فرفع عنها وصمة عار ، او كان في حظ بنات سورية فصان لهن معهد علم؟. ولكن الذي يخطه هذا القلم هو انه في ذلك الحين سافر ويغان وجاء ساراي. ولولا ذلك لدخلت المدرسة الاهلية في خبر كان . وكان الجنرال ساراي مزوداً بوصايا من الحزب الحر بأن يحترم رغبات الاحرار في الشرق ، ويأخذ بأيديهم في ما هو لخير الامة . فسافر كاتب الاحرار — مسيو جبران تويني — الى مصر وحدث انه — عن قصد او عن غير قصد — ركب نفس الباخرة التي تقل الجنرال ساراي . ويقال انه اجتمع بفخامته ، وحدثه في امر المدرسة . وأبان له الحيف الذي يوقعه

اقفال المدرسة بالامة . ومبلغ العار الذي بصم به الانتداب . فتبين الجنرال ساراي بمقدار الاجحاف في عمل ديتوا ، ولا بدانه قرر الخطة الوحيدة الواجب اتخاذها في موقف كهذا . والجنرال ساراي وان يكن كثير الخطأ في اعماله هو ثابت على قراراته .

ولما حلت ركاب الجنرال مقر بيروت كان في مقدمة من لاقاه احتفاء بقدومه بنات المدرسة الاهلية . فقدمن له طاقات الازهار ورعن بمديحه ابدع الالحان. وكانت وجوههن النقية وألحانهن الشجية، وعيونهن اللامعة ، ودعواهن العادلة ، وعاطفة الشرف العسكري في صدر الجنرال ، والوصايا التي يحملها في وطابه برعاية مثل هذا المعهد ، وقيام الاحرار كلهم عليه قومة رجل واحد ، وعناية الله القدير التي هي فوق كل شيء ، كل هذه الامور معاً ، كانت مشهداً روائياً ، حمل الجنرال على نقض الامر السالف باقفال المدرسة . فأمر بفتحها .

وتقدمت لجنة المدرسة الى فخامته . وهي مؤلفة من علماء ووجهاء من كل الطوائف. والتمسوا من فخامته ان يسبل اذيال رعايته على بنات الوطن . افليس ذلك مشهداً يثير العواطف ؟. امة بريئة مسالمة خاضعة لانتداب اجنبي — بل لاستعباد في صورة انتداب — يطلق ابناؤه براثنهم في جيوب الامة ، ويطفئون انوار العلم في ربوعها بدون حياء، ويغادرون عذاراها في الظلام ، وليس للانتداب أدنى مستند في عمله هذا ؟ . لم ينته الامر .

بل لما نصح الجنرال ساراي اللجنة أن تقابل ديتوا . وقابلته، قال لها : اعزلوا ماري كساب وانا آذن بفتح المدرسة : ايدري القارىء لماذا ؟ . لان حياة المدرسة متوقفة على ماري . وهو يروم قتلها . فصاحت

اللجنة : الف مدرسة توصد ولا ماري تنبذ : اننا لجنة محدثة . وماري هي التي انشأت هذه المدرسة . ولا امة في عروقها دم الشهامة تحمل هذه الحملة على من احسنت اليها والى بنيها . ولما لم ير ديتوا ندحة عن فتح المدرسة اشترط عليهم اقفالها ٤ اشهر . لانه رجا على اقل الدرجات ان ذلك يقتل المدرسة . فعادوا الى الجنرال ساراي بقرار ديتوا، وأبانوا له وجهة الغدر فيه. فأمر الجنرال بفتح المدرسة بلا قيد ولا شرط . بهذه الواسطة هشمت اسنان ديتوا ، ونجت المدرسة الاهلية من انيابه . ولولا الصدف والاقدار لما كانت لنا كلية البنات الاهلية في بيروت ، ولخسرت فوائدها امة هي غاية في الافتقار اليها .

قد مر على هـذا الحادث خمس سنين . ومدرسة ماري كساب تدور رحاها . فأي ضرر نتج منها للامة او للانتداب . وقد بلغني ان مسيو « دونور» يخجل كثيراً لذكرى تلك الفظاعة . وقال لماري: ارجوك انسي خطيئتنا هذه : هذا حسن جداً . فماذا اقول لرجل احبه وأحترمه، ولما ذكرت الامر لحضرته قال: ان مدرسة ماري ضد فرنسا:

انا اخجل عن هذا الصديق. ولا اريد له الخجل . بل اقول له بحب واخاء . ان ماري لما زارت مصر سنة ١٩٢٩ اناطت رعاية المدرسة بخاف ديتوا . وقالت له هذه المدرسة مدرستكم . فهل يريد صديقي غ . ان يتنازل عن دعواه ان مدرسة ماري ضد فرنسا ؟ . ليست ماري، ولا مدرسة ماري، ولا كاتب هذه السطور ضد فرنسا . ولكن ضد فرنسا ، وضد الانسانية اثنان ، الاول ديتوا والثاني من يدافع عن الخطاء المعمول باسم دولة راقية .

والآن احول نظري الى مسيو بونسو وأخاطبه خطاب الاحباب،

فاقول : ـ يافخامة المفوض

قد ابنت لك واضحاً سعي المفوضية بشخص مستشارها لقتل معاهد العلم الوطنية . فحالت دون نيل الياس شبل رخصة لانشاء كلية في الشام ، وسمحت لبيشون بفتح مدرسة بسوق الغرب . لان هذا فرنسي وذاك سوري . وقد اسفرت النتائج عما يعطيكم موقفاً امامنا لا ينطبق على كرامتكم . لان الذي رفضتم الترخيص له علم البلاد ، اما الذي هو منكم فترك المدرسة في منتصف العام . واقفلتم المدرسة التي كان ولدي ورفاقه يعلمون بها ، وأبحتم لجاسوسكم في حمص ان يعلم في مدرسة بدون رخصة . فالذي اقفلتم مدرسته كان سالكاً حسب القانون ، اما الذي سكتم عنه فكان يتصرف ضدّ القانون ، اذ ليس بيده رخصة . وقد منعتم ابني لانه سوري وأجزتم جاسوسكم لانه فرنسي ولانه جاسوس ، ولانه عدو ومتعد بشهادة الجنرال ساراي كما سيأتي . وفوق الكل صدر قراركم باقفال مدرسة ماري كساب وكأني بها اقفلت . وفتحها هو عناية الهية فلا تخفف من جريمة ديتوا ، فمن اطلق الرصاص في الصدر فهو قاتل ، ولو وقى الله المصاب

افهذا هو غرض الانتداب الذي اخذتموه على عاتقكم في جمعية الانتدابات في جنيفا ؟ . الكي تميتوا العاطفة الروحية انتم ؟ . اذا قلتم لا فعلى اي اساس أقفلتم مدرسة مرخوصة ، وأبحتم مدرسـة غير مرخوصة ؟ واذا كان عمل الجاسوس هو ما ترضاه فرنسا وان خالف القانون ، وعمل الاوادم منكر عندكم وان كان طبق القانون ، فقد أثبتم على أنفسكم عدم الاخلاص ، وأنكم غير قانونيين ، وأن لـكم مقاصد غير شريفة في بلدنا . فأي احترام تتوقعون منّا ؟

أفيجوز لك بعد كل ذلك ان تتعجَّب من قوم احرجتموهم فأخرجتموهم من وداعتهم وخضوعهم وأرغمتموهم على حمل السلاح ضدكم ؟ . أفهمت لماذا حاربكم السوريون ؟ . فاعلم غير مأمور

ان اشلاء عشرين الف من جنودكم غطت سفوح حوران ووادي التيم ووادي العجم والغوطة وقلمون والبقاع ، هو واحـد من آثار سياستكم، وهذه السطور الخالدة التي أثبتها في بطون الاوراق هي أثر آخر شاهد حي الى ماشاء الله،ان فرنسا، باسم الانتداب تعدت علينا

ان عمل ديتوا بتهجمه على مدرسة البنات الاهلية ليس الوحيد من نوعه . ولـكني لست اريد ان أشوش عقل القارىء هنا بايرادي حكايات طويلة عن جاسوس فرنسي أرسلته المفوضية لي في صورة معلم. ولو تخجل المفوضية لخجلت كثيراً بما سطر هذا الجاسوس باسم فرنسا. ولقد ارصدت لفعائل هذا العلج مجلداً برمته . والذي اريد ان اقوله هنا انه كان يعرب عن فرط أهميته لدى المفوَّضية ، بل لدى فرنسا . وكان يتكنى بهريو ، وبنظارة الحربية . فهو لسان حال فرنسا . هذا المخلوق كان اقفال المدارس على لسانه قام او قعد. فلم نسمع منه الاَّ كلمة قفل المدرسة الفلانيـة اقفال كل المدارس . فكان يترنم طرباً بترديد هذه الجملة . كأنها غرض بعثته . حتى انه اخيراً صرح لي: ان فرنسا تنوي ان توصد كل مدرسة لا تتبع بروغرامها : قلت له فكيف توصدون المدارس وهي فروع جامعة الامريكان . فقال سنقفل هذه اولاً . وكان كل صباح وكل مساء يهددنا باقفال المدرسة . كأنه رسول القفل . ولما عاتبته لماذا سعى بالتعدي على ولديَّ قال دون ادنى حياء ودون ان يندى له جبين او يحمر له وجنة ، او يخفض نظره تأدباً .

كانت المفوضية تنوي ان تقفل الكلية لكن انا نصحتها ان تستعيض عن ذلك باجلاء ولديكم عنها. يعني ان اجلاء ولدي يعدل قفل المدرسة.

هذا جزاء الحب، وهذه عاطفتكم نحو المحسنين يا مسيو بونسو. فهل يمكنك ان تتعجب من هذا التصرف ؟

وخلاصة ما في هذا الفصل هو ان الموظفين الفرنسيين، بزعامة مسيو ديتوا، أظهروا ميلاً ثابتاً نحو اطفاء مصابيح التعليم الوطني والشواهد التي ذكرتها هي

أولاً : امرهم باقفال كثير من المدارس الاهلية في القرى، دون تعويض على الاهالى أعني دون فتحهم مدارس تسد مسدّ التي أقفلوها

ثانياً : انهم رفضوا الترخيص لالياس شبل بفتح كلية في الشام، ولكنهم أباحوا لبيشون — لانه فرنسي — ان يفتح مدرسة الامريكان في سوق الغرب وقد تبرهن انه غير أهل لذلك، واقفلت المدرسة بتاتاً

ثالثاً : انهم اقفلوا المدرسة الانجيلية الصيفية في حماه سنة ١٩٢٥ مع وجود رخصة رسمية بها، وأباحوا لجاسوسهم ان يعلم في حمص بدون رخصة بيده.

رابعاً : امر ديتوا باقفال مدرسة ماري كساب ببيروت دون سبب ولا مسوّغ. ولولا حوادث خارقة لحرمت البلاد من أنفع واشرف مدرسة

وفي ذلك ما يكفي لحمل الاهالي على النفور من الانتداب واعتقاد سوء النية في رجاله

الرأس الرابع

السرقة والسلب ومشاركة اللصوص

لكل امتداد حدود تنحصر ضمنها صلاحيته وضمان نفعه . فاذا تجاوز حدوده انقلب نفعه ضراً . وما تجاوز حدوده فهو الى السقوط. وقد يستخف المتجاوزون بهذه النظرية اغتراراً باستتباب الامر لهم ، فيزعمون انهم يقودون الطبيعة ضد نواميسها، والاجتماع خلاف قوانينه، كأنهم يرومون أن يجتنوا من الشوك عنباً، ومن الحسك تيناً . على ان من حاول ذلك فقد قصد المحال

يا من يميل الى الفساد وعنده اني اسود اذا ركبت فسادا
أخطأت رأيك عامداً او ناسياً من ذا الذي ركب الفساد فسادا

وعند التناهي يقصر المتطاول . ويضطره مجرى التاريخ الى احترام نواميس الطبيعة التي لا تتخلف . فليس الاطمئنان للدهر ، مع تجاوز الحدود، الا نقصاً في الاختبار ، ومسايرة الهوى. ومن تابع هواه ذل

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً جنوده ضاق عنها السهل والجبل

ومصدر التجاوز الجهل والبطر ونقص التهذيب. ونواميس الطبيعة كافلة برد المغتر الى صوابه. لان تلك النواميس نافذة لا تتخلف، فهي لا تصانع ، ولا ترحم من يعصاها . فكم دكت صروح مجد ، وكم ثلت قواعد عرش ، وكم حطمت من صولجان ، وكم دحرجت من تاج

ان تجاوز موظفي فرنسا حدودهم ، الى درجة صاروا عندها لصوصاً سالبين، دلنا على جهل مطبق فيهم، وفي الانتداب الذي يحتمل وجودهم . ودلنا على غفلة تامة في سياسة فرنسا ، واستسلام زائد

للهوى والبطر . ولكن ناموس الدهر لا ينام

(١) توطئة

حدثني عاقل ، كامل الاختبار ، تام النزاهة ، وافر العلم، قال : ـ

« كان السوريون يحبون فرنسا قبل الحرب ، وفي اثناء الحرب . ولكن الانكليز سعوا لاستئصال هذه الروح من صدور السوريين . فلما احتلت فرنسا ربوع الشام وزع الانكليز مقادير كبيرة من السلاح في مدن سورية وقراها . حتى ندر ان يوجد سوري ليس عنده بندقية او اكثر . وقد شجعت انكلترا الثوار بواسطة (. . . .) الاسم محفوظ، وبواسطة غيره . ولا يقدر انكليزي ان يتبرأ من اعمال هذا الرجل (الذي حفظنا اسمه) ولا من اعمال غيره من سافكي الدماء في سورية . حتى انهم ساقوا على فرنسا حرباً . ومن ذاك الحين انبث روح الثورة في البلاد . فكان السوريون خصوماً للفرنسيين قبلما رأوا منهم خيراً او شراً (اني اورد حديث هذا الرجل الفاضل لا مصادقة عليه او مضادة له ، بل اورده على مسؤوليته . وغرضي باثبات ملاحظاته هذه تبيان نزاهته الكاملة وانصافه، وعدم تشيعه لانكلترا)

انا نعرف ذلك ونعترف به على رؤوس الاشهاد. ونثبته في بطون الكتب حفظاً على كرامتنا في عيون أحفادنا

ولكي يكون القارىء على بينة من نزاهتنا حين نكشف الستور عن مساوي الانتداب الفرنسي . فلو أن فرنسا تمكنت من نزع العراقيل والشراك التي نصبتها يد انكليزية في سبيلها ، فاستمالت قلوب السوريين بلباقتها وعدالتها ونزاهتها وأدب رجالها — لو فعلت فرنسا ذلك — لكانت أعظم دولة في الأرض . ولكن . . . .

« ولكن فرنسا ويالالأسف ، قد ساعدت خصومها على نفسها . ساعدت انكلترا بتنفير السوريين منها، وساعدت غلاة الوطنية السوريين باعطائهم أسباباً، أكثر من كافية، للانتقاض عليها. فدخلت سورية بروح خاطئة، وعاملت أهلها كعبيد، أو كآلات ميكانيكية تديرهم حسب هواها، لا تقيم لهم وزناً، ولا ترعى لهم حرمة . وقد استسهلت ذلك، وهو من مساوي سياستها، متذرعة لانفاذ سياستها بمن ظنت أنهم زعماء البلاد، وقد فاتها أن كل سوري زعيم . وهذا أساس فشل الانتداب السوري

«السوريون أبداً تجار، لا يفهمون من السياسة الا ما أفادهم مادياً، أو حسّن مقدرات بلادهم ، من زراعة وصناعة وتجارة وعلم

قال مسيو شايدلين، مقرر ميزانية الحكومة الفرنسية، في البرلمان سنة ١٩٢٢ « ان الشعب السوري منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، لم يكن سوى شعب تاجر ، لا يطلب من الدهر شيئاً سوى أن يعيش بالراحة والهناء ، تحت سماء بلاده الصافية ، وأن يربح من المال أكبر كمية ممكنة

أعطوا السوريين انتداباً واسعاً ، واسمحوا لهم بتنظيم أحوالهم ونشطوا تجارتهم وصناعتهم ، فلا يطلبون شيئاً غير ذلك » اه

« ذلك ما قاله مقرر ميزانية الحكومة الفرنسية . ولكن فرنسا عملت ضد نصيحته على خط مستقيم. فساءت الحال الاقتصاديه في البلاد السورية . وكان من أسباب سوء الحال الاقتصادية بسورية ، الازمة العالمية . ولكن السوريين نسبوا السبب للانتداب الفرنسي فجعلوا يتذمرون منه. ثم انهم راجعوا التواريخ، وقابلوا أحوال البلدان، بعضها بالبعض الآخر، فرأوا أن أحوال مصر كانت هكذا لما احتلها الفرنسيون سنة ١٧٩٨. أعني أنها منيت بأزمة اقتصادية شديدة تحت الحكم الفرنسي.

ولكن لما دخلها الانكليز سنة ١٨٨٢ تحسنت أحوالها، ووفر رغدها وهناؤها ، وتدرجت في مراقي العمران حتى بلغت حداً تضارع عنده عمران اوربا وأمريكا. فأمام هذه المعلومات اعتقد السوريون ان انكلترا سبب نجاح مصر ، وأن فرنسا علة تقهقر سورية

ثم راجع السوريون التواريخ، وقرأوا عن فظائع الصليبيين فنسبوها للفرنسيين ، لانهم حسبوا أن جميع الاوربيين « فرنجاً » أو « فرنشاً » يعني فرنسيين . مع أن كثيرين من الصليبيين كانوا المان أو انكليز أو ايطاليين أو غيرهم من شعوب أوربا

« وكان السوريون يتوقعون ان تصلح فرنسا أحوالهم الاجتماعية والمدلية، وتحسن المواصلات المتحكمة في مقدرات بلدهم، فخابت آمالهم بفرنسا . ورأوا فلسطين والعراق قد تحررتا من ربقة الريجي والديون العمومية ؛ ورأوا الترام والسكك الحديدية تملأ فلسطين والعراق ، وانكلترا تأخذ بأيدي الوطنيين، وتشجع مساعيهم العمرانية ، بخلاف ما تعمل فرنسا في القطر السوري . فينام صاحب الالف بفلسطين أو بالعراق، ويستيقظ وهو صاحب الف كما كان لما نام . أما في سورية فينام صاحب الالف ، ثم يستيقظ واذا هو صاحب مئة . لان النقد المصري والانكليزي ثابت كالذهب. أما النقد الفرنسي والسوري فبخلاف ذلك، يتقلب تقلب الحرباء، وهو أبداً في سقوط. وانقطعت، بدخول فرنسا، علاقات سورية الاقتصادية بأرمينيا والاناضول والعراق وفلسطين ، فتوقفت الاعمال في ربوعها . فاتهم السوريون فرنسا أنها هي علة ذلك الجمود. فزادت كراهيتهم فرنسا، وصار بعضهم يحنّ ، حتى الى الحكم التركي

« ذلك ما أذكره لك كمقدمة لنقدي انتداب فرنسا، وفيه شيء من

المعذرة . ولكن هنالك مالا يمكن الدفاع معه عن خطيئات فرنسا فانها كانت ترسل الموظفين الفرنسيين، وتطلق ايديهم في السوريين، فوق كل عدالة وقانون أو انسانية. فكانوا يرتكبون المظالم والتعديات والرشوات دون وازع او مناقش . فألفوا في سورية حكومة استبدادية، تجاوزت حدود النظام الاقطاعي في اوربا في الأجيال المظلمة . وما دام حكام البلاد يتوقف عزلهم وتنصيبهم على كلمة من الجنرال ـ المفوض السامي ـ فكان يعزلهم أو ينصبهم حين يشاء . واليك اشارة الى موضوع هذا القسم من كتابك رأس ٤ وهو السرقة والسلب ومشاركة اللصوص فأقول:ـ

كان مأمور الجمرك ـ الفرنسي ـ يسلم البضائع بالرشوة . فيخرج رزم الحرير من الجمرك باسم « خيش » رخيص الثمن، قليل الرسومات. فتدخل الرزم ادارة الجمرك «خيشاً» وتخرج منها وكلها «حرير». وظل الأمر على هذه الحال مدة طويلة، ومدير الجمرك، الفرنسي الجنس، يقبض بدر الأموال من التجار، علاوة على راتبه الكبير. ولما افتضح أمره، وظهر ان مئات الالوف من الجنيهات، من دخل الجمارك، قد تسربت الى الجيوب، وأثبت الفحص أن النقطة المركزية في دائرة التسرب هي المدير «الفرنسي» وهو فوق كل قانون لأنه فرنسي . فماذا تظن كانت النتيجة ؟

اسمع ولا تتعجب : قد ذهب اللص الجارم الى فرنسا غنياً آمناً، يتمتع بما انتهب من ثروة. وألقت الحكومة القبض على مساعده السوري، مع أن المدير الفرنسي هو الآمر، والمنتفع الاكبر. فدانوا صغار اللصوص وعفوا عن كبيرهم وقائدهم، فقط لانه فرنسي . فاحتقر السوريون فرنسا أيما احتقار، وصغرت في عيونهم ايما صغارة . اذ لا شيء يرفع الدول في عيون الرعايا كعدالتها ، ولا شيء يدنيها كالبطل

والاختلاس . فصار السوريون ينظرون الى فرنسا نظر العداء . ليس فقط بناء على ما رسخ في اذهانهم من عهد الصليبيين ، وعهد نابليون، ولا بناء على ما زرعه الانكليز في أذهانهم ، على أثر الاحتلال ، بل بالحري بناء على ما شاهدوه من اجراءات رجالات فرنسا

اتريد مني يا استاذ خباز دليلاً آخر من نفس النوع ؟ . فاليك الشاهد :

«كان في الشام رجل اسمه حمدي الجلاد. وهو رجل ذكي مقتدر ، لكنه من احط الناس اخلاقاً وعنده ان « كل مفعول جائز » ـ هكذا قال محدثي واني ابرأ الى الله من تبعة ما في ذلك من الأثم ـ ولا انقله مصادقة على فحواه . بل توصلاً للنتيجة التي اسعى الى ادراكها . أي لأبين، كيف، ولماذا كره السوريون فرنسا وحاربوها. فعلى فرض ان حمدي كان رجلاً فاضلاً ولكن السوريين يعتقدون فيه ما قاله محدثي فالنتيجة هي هي . اعود الآن الى اتمام حديث صديقي والعهدة في ما يقول عليه لا عليّ : —

« وقد سعى هذا الرجل في عهد الانكليز ليتوظف في أدنى الوظائف ، فلم يفلح. ولكنه في عهد الفرنسيين تبوأ منصباً يمكنه من صنع ما يريد . اما خيراً كبيراً او شراً مستطيراً . اعني انهم جعلوه مدير الامن العام في الشام. ولهذا الامر في نظر السوريين اعتبار عظيم، وهو ان الرجل الذي لم يتمكن من بلوغ ادنى الوظائف في عهد الانكليز ، بلغ اعلاها في عهد الفرنسيين . فسجل السوريون ذلك العيب ، ليس على حمدي الجلاد ، بل على فرنسا . وشاعت عن حمدي الجلاد اشاعات عديدة معيبة ودنيئة، فسجلها السوريون على الفرنسيين،

ليس فقط لانهم نصبوه ، بل لانهم شركاؤه ورؤساؤه في ارتكاباته . هذا اذا لم اقل ان حمدي كان آلة بأيديهم يبتزون اموال عبادالله بواسطتها . فكان في الرشوة من الطبقة الاولى . وكان يرشو الموظفين الفرنسيين فلم يقبلوا عليه شكاية ممن كان يعتدي هو عليهم (هذا الكلام متم الرأس الثاني ، ويجوز ان يلي كتابات الاديب شكري بخاش) . وكيف يقبلون شكاية على حمدي وهو سمسارهم وصنيعتهم ؟ . لقد ملأ الاسماع ما كان يحدث من السلب في طريق ـ دمشق بغداد ـ وكانت العصابة السالبة عصابة مدير الامن العام حمدي الجلاد ، بل عصابة الفرنسيين الذين ولوه واصطنعوه وقاسموه الارباح. فقد نصبوه مديراً للامن العام ليستغلوا مساعيه في طريق بغداد . افتعلم كيف ولماذا سقط حمدي وحكم عليه ؟. فقط لانه تعرض ، عمداً أو خطأ ، لرجل فرنسي ، خالف الاوامر ، بشحن الذهب من سورية الى العراق ، وكانت الحكومة قد صادرت من رجل يهودي ، كان يعمل عمل الفرنسي في شحن الذهب الى فلسطين ، فصادرت السلطة منه ١٥٠٠٠ جنيه . وهذا الفرنسي شحن ٤٠٠٠ جنيه . فظن حمدي ان لا دعوى له اذا سلب ماله ، لانه تعدى الاوامر . فسلبت عصابة حمدي أموال الرجل المرسلة الى العراق . ولما أثبتت التحقيقات التي قامت بها الحكومة ادانة حمدي حكموا عليه بالسجن ، وسقط من منصبه . أما سادته وشركاؤه فلم تمس كرامتهم ، ولم يخسروا شيئاً . كانت القوافل تسلب في طريق العراق كل يوم فلم ينكد ذلك عيش الفرنسيين . لان ذلك مورد ثروتهم . ولكن لما سلب واحد منهم وهو مخالف الاوامر ومستوجب المصادرة ، قاموا وقعدوا ، وشرعوا في البحث والتنقيب

للوقوف على الجاني . ولم تكن جهودهم الا مهزلة . فان تعيين الجناة في وسعهم ، لأنهم ليسوا الا مخدمين عندهم . فساقوا حمدي الجلاد الى السجن . وردوا للفرنسي الاموال الواجبة مصادرتها . اما الفرنسيون الذين اغتنوا من جراء ذلك فظلوا في كرامتهم. وبذلك كان الفرنسيون يكيلون بكيلين ، ويزنون بميزانين . كيل للسوريين وكيل للفرنسيين ، فيعاقبون الجاني السوري ، ويغضون عن الجاني الفرنسي . وأنت ترى ان ذلك يهوي بكرامتهم الى درك الاحتقار . والنتيجة ان منزلة الفرنسيين سقطت في عيون السوريين في ستة أعوام سقوط منزلة الاتراك في ستمائة سنة . اعني ان الاتراك ظلوا ينزلون الى درك الفساد ستمائة عام . ولكن الفرنسيين بلغوا أدنى ما وصله الاتراك باقل من ستة أعوام

« وهنالك أمر آخر يعرب عن روح تضحية العدالة والشرف لاجل المال. وهو ان السلطة كانت قد استأجرت بيوتاً كثيرة لاجل إيواء الجنود. فلكي تخفف عنها الايجارات عمدت الى طريقة لم يسبقها اليها ابليس. وهو أنها سنت « قانون الايجار » وحسب منطوق ذلك القانون ، ألفوا لجنة خاصة لتقدير المبالغ العادلة للايجار . وجعلوا حكم هذه اللجان نهائياً مبرماً نافذاً ، دون استئناف ولا تمييز .فكان هذا العمل ضربة على هام ارباب الاملاك ، ولكنه ضربة اثقل على نفسية الامة وحياتها الروحية . اما على أرباب الاملاك ، وهم سوريون طبعاً ،فلأن المستأجرين كانوا ينقلبون عليهم ، بعدعقدالايجار ،وقبض المبلغ المتفق عليه ،فيرفعون تشكياتهم للجنة التقدير ،ويدعون أنهم مغدورون كثيراً في الايجار . فتأتي اللجنة ،وتقدر المكان المستأجر بأقل مما تم

الاتفاق عليه . وبذلك يخسر المالكون منافع املاكهم . ثم قررت اللجنة ان تكون قيمة الجنيه الذهب ٢٥٠ غرشاً سورياً ، والقيمة في السوق ٤٠٠ غرش . فكانت هذه خسارة ثانية على المالكين . هذا ما اقوله في اضرار القانون في مالية المالكين ، اما اضراره في حياة السوريين الروحية فلانه فتح امامهم الباب للغدر والمخاتلة، وسهل عليهم الرجوع بالقول واستلاب ما للغير . فكان المستأجر يقبل من المؤجر اي مبلغ طلبه . وبعد استلامه البيت واستقراره فيه يشكو صاحب الملك للجنة التقدير، فينال ما يريده . فلا تسل عما تسرب الى الامة بهذه الواسطة من فساد الاخلاق »

هذا بعض ماتكرم به عليَّ محدثي الكريم، وهو ليس ضد فرنساء ولا مع دولة غيرها في الارض، بل هو محايد، نزيه، ينظر الى امور هذه الدنيا نظراً حسابياً . وقد فهم القارىء من بيانه انه رجل ناضج، يزن الامور بميزان العقل والحكمة والانصاف . وقد ذكر ما يعتقده من عيب في انكلترا وفي فرنسا وفي غيرهما دون ادنى تحيز . وأود ان ازيد القارىء علماً به ، فانه من كبار الرجال . كامل السن ، واسع الاطلاع ، وافر الاختبار ، تقلب في مناصب عديدة ، وقد جاب اوربا ووقف على اسرار تطوراتها ، ودقائق علاقاتها ، فله في المسائل نظر ثاقب ، وهو يرى ان السلب والسرقة والارتكاب ومشاركة اللصوص هي من اعظم اسباب الثورة السورية .

طبعاً اني لست بمسؤول في كل ما قاله، وانما اوردته لاري القارىء سورياً أو اوربياً ، رأي رجل حكيم نزيه في الانتداب . وقد نشرت حديثه على علاته ليكون اعلاناً طبيعياً لنفسيته . ويجب ان اقول ان

الرجل هجر وطنه ـ سوريا ـ ليأمن على روحه وكرامته من شر ما في المحيط السوري التاعس .

(٢) من اختباري الخاص

ويجوز ان اورد في هذا الباب بعض ما دخل دائرة اختباراتي الخاصة . وهو حديث حصل بيني وبين المرحوم فوزي بك الملكي متصرف حمص السابق . وهو من الرجال الذين اولتهم فرنسا ثقتها ، فذهب ضحية تلك الثقة ، كما ذهب اسعد بك خورشيد من قبله . فقد قتل كلاهما بأيدي أناس سوريين ، لسبب انتمائهما الى فرنسا ، ضد رغائب الوطنيين .

كان المتصرف فوزي بك صديقاً لي ، أو بالحري كنت صديقاً له ، أمحضه النصح . وأغار على سمعته ، وعلى مصلحة الانتداب . فحدث في خلال متصرفيته بحمص ، ومستشارية مسيو لاكروا ، أن كثرت الجنايات بحمص كثرة لا تطاق ولا تحتمل . حتى كانت عصابات اللصوص تطرق البيوت في العشي ، وتكم افواه من فيها من نسيات ، وتحمل من ارزاقه ومتاعه ما تشاء ، وتخرج بتمام الحرية وراحة البال . ونشأت في حمص لجان لمخابرة اللصوص واسترداد ما استلبوه لقاء فدية أو مكافأة . فكان في المدينة نوعان من الشركات ، شركة سالبة وشركة متوسطة . فكتبت جريدة حمص بتاريخ نيسان سنة ١٩٢٣ مقالة تبين انه حدث في اسبوع واحد ٦٤ جناية في حاضرة المتصرفية ـ حمص ـ وذكرت بعض تلك الجنايات على سبيل التمثيل . ومن مقالة « حمص » يفهم القارىء ان في المدينة ثلاث حكومات ١ الفرنسية ٢ عصابات اللصوص ٣ حلقات السماسرة والوسطاء .

زد على ذلك أن اكثر من واحد من المحصين املى على مسمعي أن « المستشار ، أو دائرته ، داخلة في شركة مع اللصوص » . وذكروا في عداد ادلتهم على دعواهم انه كان مع المتصرف في قرية المشرفة ، صحبة رجل لا اذكره هنا . وأنه أمر فأتى بشيوخ القرية ، فأمر بعدهم للسياط ، وجلدهم في حضرة المتصرف والمستشار ، ظاهراً من باب المداعبة ، وباطناً لارهاب الفلاحين ، وانتزاع الميل من قلوبهم باستنجاد الحكومة ، اذا أساء هذا الضارب اليهم . وقال مخبري ان هـذا الضارب كان يشرب صحبة المستشار ، وكان المستشار يضحك له وهو يضرب الفلاحين ، كأنه كان يريد أن يحسبه سكران . والخلاصة أن ذلك الرجل ، وليس من أغراضي أن أسميه ، أراد بعمله هذا أن يبين للاهالي ان يده طائلة في ارزاقهم ونسائهم . وها هو يضربهم في حضرة المتصرف والمستشار الفرنسي . فاذا حدث في المستقبل ان اعتدى عليهم فلا يداخلنهم شيء من الوهم بأنهم قد يجدون من ضيقهم فرجاً ، بالتجائهم الى السلطة . لان هذا المذكور يضربهم حتى في حضرة المستشار . فعليهم ان يفهموا ان لا فائدة من الاستناد الى السلطة . وأنه يتحتم عليهم تسوية امورهم مع زعيم اللصوص هذا ، ذلك خير لهم وأدنى .

ارأيت ايها القارىء انّـي اضحت كرامة فرنسا ؟ . ذلك ما املي على مسمعي ، فذهبت الى دار الحكومة في صباح ١١ نيسان سنة ١٩٢٣ مدفوعاً بالغيرة ليس فقط على مصالح اولئك التاعسين المساكين ، ابناء الأمة اذا كان هنالك امة . وليس فقط انتصاراً للعدالة والنظام ، اذا صح أن عندنا شيئاً من العدالة أو النظام ، وليس فقط حرصاً على

كرامة الامة في عيون الاحفاد ، بل بالاحرى حرصاً على هيبة فرنسا واشفاقاً عليها ان تداس بالاقدام بهذا الاخلاص ، وهذه الغيرة على شرف فرنسا ، قابلت فوزي بك في قاعة المتصرفية بحمص . وكان في الغرفة وحده ، ومن نكد الدنيا ان تغار على مصلحة المرء فيحسبك مجرماً بتلك الغيرة . ومن معايب الاجراءات الفرنسية أن موظفيها حسبوا احباءهم وأحباء فرنسا جناة ، وصافوا اللصوص وعاملوهم معاملة الاصحاب. هذا كان موقفي تجاه رجالات فرنسا. فكنت أغار على شرف الدولة الفرنسية . وكانوا ينكرون علي تلك الغيرة ويريدون أن يجلوني عن البلاد . وكانوا يصافون اللصوص والسالبين ويدافعون عنهم .

بادرت سعادة المتصرف بالسلام كصديق ، فشرع يعتذر عن عدم حضوره حفلة قران ولدي الكبير، الذي تم في ١٠ نيسان . وقال انه سيزورنا مهنئاً ، وان لم يتمكن من زيارتنا في حفلة العرس . فأجبته مصارحاً : —

ياسعادة المتصرف ان بيت اخيك مفتوح ابداً لاقتبالك متى شئت أو قدرت ان تشرف. فليس لامر كهذا أقصد مقابلتك، بل أنا آت اليك بهذا الصباح لأمر يتعلق بمصلحة الأمة وبشرفك، وبمصلحة الانتداب

قال : — وما هو ذلك الأمر ؟ .

فمددت يدي الى جيبي ، وأخرجت العدد الذي معي من جريدة حمص وقلت له خذ واقرأ .

فأخذ العدد وجعل يقرأه . فقلت له هل قرأته قبلاً ؟ . اجاب لا. قلت انظر ياسعادة المتصرف انه قد حدث في هذا الاسبوع ٦٤ جناية في البلدة. وأنت ترى انها صغيرة لا تحتمل كل هذا العدد من الجنايات. وأني

اتأسف ان الجريدة صادقة في ما قالت . ولو انها كاذبة لمزقناها ودسناها . ولكني اعلم أنها صادقة في هذا التقرير ، لأني سمعت احاديث الناس في البيوت بأن قد حدث في البلدة ٦٤ جناية في خلال اسبوع . وأكثرها من نوع النهب والسرقة

٦٤ جناية تحدث في حمص في مدة ولايتك عليها، فلماذا انت هنا ؟.

وكان فوزي بك رحمه الله ، من اللياقة على جانب عظيم ، فأطرق برأسه الى الأرض . كأنه تلميذ في حضرة معلمه . فاستأنفت كلامي معه قائلاً . يا اخي ان الناس عدلوا عن مراجعتكم خوفاً من ضياع حقوقهم عن يدكم . وشرعوا يستردون مسلوباتهم بواسطة خارجية، يدفعون لها فدية وهو امر مألوف عندنا ، يمكننا ان نتبعه ، ولكننا لا نريد ذلك حرصاً على شرفكم كحكومة ، وشرف الدولة المنتدبة . واذا كنت تظن انك في مأمن من التعدي عليك اعتداداً بمنصبك ، «فاعلم انه سيأتي يوم فيه لا يمكنك ان تبلغ باب بيتك» . هذه العبارة قلتها له كأني نبي . وكم انا آسف لأن ذلك اليوم قد اتى ولم يتمكن من ادراك باب البيت، لأن الخصم ادركه بطعنة خنجر بين الأضلاع كانت القاضية . خر فوزي بك في شوارع حمص قتيلاً . ولا جرم له الا جرماً واحداً وهو انه يحب فرنسا. وقد ذهب دمه هدراً. ان المستشار فرض على عموم الحمصيين دية المتصرف . وجعل يحصلها منهم بالقوة العسكرية . ولما جاء دور احد انسبائه قال للمستشار ان المرحوم حبيبنا فنفديه بالمهج ، فكيف ندفع ديته الآن كمجرمين ؟ . فلم يسمع له المستشار بل امر بسجنه ولم يخرج حتى دفع المفروض عليه ظلماً .

ومما فاته للمتصرف حين ذاك اني اسمع الناس يقولون ان المستشار

شريك اللصوص . وانك كنت معه في قرية المشرفة وكان فلان ينكم فجعل يعد شيوخ القرية ويضربهم بالعصى، ليرى القوم نفوذه، وشوكته فلا يخالفون له امراً ولا نهياً فيما بعد . فلم ينكر المتصرف ذلك ولا قال لا . فثبت عندي صحته . وهو موقف يستلزم عميق التفكر . ان الوالد كان في حكم الاستبداد التركي لا يجرأ ان يظهر لدى الحكومة . أما الولد ، وهو كابيه ، فلم يجالس مستشار فرنسا ومتصرفه ويشرب معهم فقط ، بل زاد على ذلك انه يأمر بجاب شيوخ القرية ويعدهم فيجلدهم في حضرة المتصرف والمستشار : لا عقوبة على أثم جنوه بل تسلية وارهاباً . كانهُ ، يقول لهم : —

انظروا اني اضربكم في حضرة الحكام ، فحذار ان تخالفوا لي ارادة أو تشكوني للحاكم اذا انا مددت يدي الى ارزاقكم أو الى أعراضكم ! ! .

ثم قلت للمتصرف اذا لم يكن عندك قوة لضبط المدينة وخيانة اهاليها فاستمد قوة عسكرية في المفوضية . وفي ذلك الحين حضر المستشار ، وجعل يتمشى في غرفة المتصرف ، ونهض المتصرف يكلمه همساً ، ثم عاد خجلا وقال لي اننا كنا نتكلم في موضوع حديثك .

هل هو استدعى المستشار، أو ان الصدفة جمعتهما ؟ . لا ادري . وهل ساء المستشار كلامي ، أو انه خجل لسبب قصوره ؟ . كذلك لا ادري .. ولا اعلم كم كلفني ذلك . لكنني اعلم شيئاً واحداً وهو أن الناس اتهموا المستشار انه شريك اللصوص . وهم معذورون

ثالثاً : شهادة مسيو بيرار

مسيو بيرار عضو مجلس الشيوخ الفرنسي . وقد شهد في المجلس

الفرنسي العظيم بحضور الوزراء والاعيان . وهي شهادة قاطعة لا ترد ، وتصم الانتداب الفرنسي في سورية وصمة لا تمحى . هي افظع كثيراً مما وصمناه به . وكانت تلاوة هذه الشهادة الصريحة في المجلس في معرض المناقشة على الميزانية ، في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٢ وكان هذا الخطاب رداً على طلب الحكومة مخصصات جديدة لجيشها في سورية . فنهض مسيو بيرار وقال : —

ايها السادة

سيكون خطابي وجيزاً ، ولكنه صريح . أن مهمتي اليوم دقيقة وشاقة لانه يصعب على الوطني ان يناقش في تفقات عسكرية . في الوقت الذي يقال لنا فيه ان نفوذ بلادنا وشرف العلم الفرنسي متوقفان على تقرير هذه النفقات . لقد استلمت منذ ٤٨ ساعة فقط التقرير الذي وضعه مفتشو الجيش. وهو ذلك التقرير الذي وعدتنا به الحكومة (الفرنسية) منذ ثلاثة اشهر . فصرفت ليلي في مطالعته وها انا اقدم لكم نتائج هذه المطالعة . ويجب قبل كل شيء أن أقول لكم ان بعض فصول هذا التقرير جاءتني ناقصة مبتورة . ولا شك عندي أن يد الحكومة (الفرنسية) حذفت منه اشياء وغيرت اشياء (لا يدعن القارىء اللبيب هذه العبارة تذهب دون تفكر عميق) ان نتائج هذا التقرير تقسم الى ثلاثة فصول .

الاول : أن المال المخصص لجيش الشرق قد انفق على طريقة لا اجد عبارة لوصفها بما تستحق

الثاني : أن المراقبة كانت مفقودة تماماً في جيش الشرق

الثالث : أن الفوضى « وقلة الامانة وقلة النزاهة » ظاهرة في

حسابات الدوائر العسكرية في جيش الشرق .

فعن الاول اقول . . . أن المخصصات التي كانت تعطي للجيش يوم كان الجنيه المصري العملة الرائجة في سورية منعاً للخسارة التي كان يشكو منها ضباطنا وجنودنا في تحويل العملة الفرنسية الى عملة مصرية ، لا تزال موجودة رغم ازالة الجنيه المصري من اسواق سورية ، واحلال الليرة السورية محله وهي لا تختلف عن العملة الفرنسية في شيء :

وهنا يصل بنا البحث الى الفصل الثاني فلو انكم طالعتم ارقام النفقات المخصصة لشراء المعدات الحربية لرأيتم كيف ترقص الملايين، وكيف تتلاشى وتذوب . لقد اضاعوا الملايين بالعشرات على الاوتوموبيلات ووسائل النقل وبناء البيوت . وثقوا ايها الزملاء المحترمون اني استعمل في ما اقول العبارات التي استعملها مفتشو الجيش في تقريرهم (حسن جداً ! .)

لقد دفعوا مليونين ثمن قطعة أرض في بيروت ، ليقيموا فوقها قصراً للقائد العام . ولما ظهر لهم أن ليس في بيروت قائد عام بل القومسير السامي، وهبوا تلك الارض للقومسيرية السامية محولين تلك النفقة العسكرية الى نفقة ملكية بدون سؤال ولا حساب . ثم أنشأوا مخزناً لجمعية التعاون العسكرية في بيروت ، وقالوا ان هذا العمل كلفهم مليوناً . ثم رموا ستة عشر مليوناً في خليج الاسكندرونة بما عملوه فيه من الاعمال التي يجعلها اضطراب حبال الامن وقلة الوسائل الصحية عديمة النفع والفائدة . وأنفقوا بضعة ملايين لأنشاء مستشفى على مسافة احد عشر كيلو متراً من الاسكندرونة. ولما تم هذا العمل رأوا

أن ليس هنالك طريق للوصول الى هذا المستشفى .

وأنشأوا في مدينة حلب مستشفى عسكرياً أنفقوا عليه ثمانية ملايين . ويقول المفتش العام في تقريره ان هذا المستشفى لا لزوم له . لأن المستشفيات التركية الموجودة في المدينة كافية وافية (ويمكن القارىء أن يفهم من هنا لماذا يكره الحلبيون الفرنسيين) ثم أرادوا أن تكون حلب المقر الصيفي لاركان الحرب . فاستأجروا لهذا الغرض منازل وبيوتاً بمبلغ ٣٦٠ الف فرنك عن كل سنة . وحرقوا سبعة ملايين أيضاً في انشاء منازل لا لزوم لها . ويقول المفتش العام في تقريره مايلي بالحرف الواحد : — وقد أنفقوا آلافاً من الفرنكات على اصلاح سطح قالوا انه يصلح للتنزه

أما السيارات فأن لديهم مئة وخمسين سيارة ، تروح وتجيء بدون حساب ، ولها في كل مكان مخازن ومستودعات للبنزين . لا تقع عليها عين مراقب أو محاسب . فللضابط الكبير سيارة ، ولامرأته وأولاده سيارة . وفي التقرير ان هؤلاء الضباط يركبون السيارات مع عائلاتهم وعائلة أصدقائهم ، ولا سيما في أيام الآحاد ، ويقطعون ٨٠ أو ١٠٠ ميل كيلو متر في جبال لبنان ، ثم يعودون في المساء . ولما كانت المراقبة غير موجودة فأن النفقات تحسب على الخزينة العسكرية .

ولما وصل مفتش الجيش الى سورية بحث عن قلم المراقبة فلم يجد له من أثر . فدهش لذلك أشد الدهش ، ولم يكن ليدور في خلده أنه سيجد في بيروت ادارة بلغ منها الاختلال هذا المبلغ .

وفوق هذا فأن الادارة العسكرية في سورية لا تقف في نفقاتها عند الحدود المرسومة لها ، بل تتجاوزها غالباً . مثال ذلك أنها أنفقت

ستة وثلاثين مليوناً في ٣ أشهر ، على شراء الشعير والقش للخيل . في حين أن المبلغ المخصص لذلك كان ثلاثة عشر مليوناً فقط (فالزيادة فقط ثلاثة وعشرون مليون فرنك)

ولا أريد أن أزعجكم بايراد غير ذلك من البراهين . (تكلم ، تكلم . . .)

ان ما يقال عن الشعير يقال أيضاً عن الفحم والزيت ، وغيرها . وخلاصة القول ، ان ليس هنالك أقل مراقبة على النفقات العسكرية في جيش الشرق .

وهنالك أيها السادة ما هو أمر وأدهى من كل ما تقدم . وهو ليس لجيش الشرق حسابات رسمية ، ولا سيما في دوائره ومكاتبه المتصلة بالشركات المالية في سورية . وهذه الشركات المالية ، التي أشير اليها ، تنقسم الى أربعة أقسام : —

الاول : شركة سكة الحديد

الثاني : البنك السوري

الثالث : شركة الموانىء (بيروت والاسكندرونة)

الرابع : شركة يسوع

ان شركة سكة الحديد ، المعروفة باسم « سكة دمشق وحماه وتحديداتها » كانت على اتصال بالسلطة العسكرية الفرنسية بسورية . وكانت لها بها علاقات مالية . وقد اتى مفتش الجيش العام في تقريره على ذكر الأوامر التي أرسلتها اليها السلطة بنقل الرجال والمعدات على حسابها ، فقال :ـ ان هذه الاوامر الخطية لا أثر لها في سجلات جيش الشرق : وان أقلام المحاسبة لم تحفظ أصول القسائم . وان كل ضابط

كان يستصدر ما يشاء من تذاكر الانتقال المجانية . إما له وحده ، وإما لعائلته وأصدقائه وأثاث بيته أيضاً . ناهيكم بعثات الرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات الذين جاؤا بهم من فرنسا ، ينقلونهم في القطرات الى كل جهة وناحية على حساب الجيش ، لا لغاية الا لينفخوا في أبواق الشكر ويضربوا على طبول التمجيد (ابتسامات في الشمال)

ولكن هذا لا شيء بالنسبة الى ما ستسمعون . ـ ففي سنة ١٩١٩ انتقلت ادارة السكة الحديدية من أركان حرب الجيش الانكليزي الى الشركة ، وهنا ابتدأت التعليمات المدهشة .

لقد انتهيت الآن الى منطقة خطر ، فلا أجيز لنفسي الكلام الا اذا اقتصرت على استعمال العبارات الواردة في تقرير مفتش الجيش بدون أدنى تغيير ولا تحوير ، لان التهمة التي ستسمعونها لها من الاهمية والخطورة ما يربأ بي عن معالجتها وابداء رأيي فيها ، خشية أن ينطق لساني بكلمة قد تحملكم على الظن بأني على ضلال في ما أقول او اني سريع الانفعال (ليتأن القارىء وليفكر كثيراً)

يقول المفتش العام في تقريره ما يلي بالحرف : ان العملية المشار اليها هي انهم باعوا سندات على الخزينة العثمانية بمبلغ ٢٨ الف فرنك ذهباً بسعر اربعة غروش عن الفرنك الواحد (اي بمبلغ ١١٢٠٠٠ غرش) . ولما ارادوا دفعها لصندوق الشركة دفعوها بالعملة الورق ـ وكان القرش التركي الورق يساوي في شهر الكسنة ١٩١٩ سنتيماً واحداً ذهباً ـ اي انهم دفعوا ١١٢٠٠٠ غرش تركي ورقاً ، تعدل قيمتها ١٢٠٠ فرنك .

(اي انهم دفعو المائة اربعة فقط واختلسوا الباقي الى جيوبهم)
مسيو روستان ـ انها لصفقة رابحة .
الخطيب ـ اجل ، ولكن لو سئلنا رأينا في الرجل الذى يقبض ذهباً ويدفع بدله ورقاً ، وأردنا ان نسمي الأشياء بأسمائها لقلنا بلا تردد « انه لص »

وغير هذا فانهم دفعوا في اول كانون الأول سنة ١٩١٩ لشركة سكة الحديد مليوناً وستمائة الف فرنك (اي ١٦ الف جنيه مصري) وقيدوا هذا المبلغ في سجلاتهم مليونين وخمسين الف فرنك وزادوا ٤٥ الف فرنك قالوا انها مجموع الفائدة (يعني انهم قيدوا المبلغ ٢٠٩٥٠ جنيه مصري وأصله ١٦٠٠٠ . بزيادة ٤٩٥٠ جنيه مصري . فليتأمل القارىء) .

نعود الى تتمة خطبة مسيو بيرار قال : ـ
ولو انكم تصفحتم التقرير من أوله الى آخره لوجدتموه طافحاً بذكر « عمليات » كالتي ذكرتها لكم الآن .
ولا بد لكل من يريد ان يفهم هذا التقرير بكل تفاصيله ودقائقه فيما يختص بالقبض والدفع وتحويل المال أن يكون مطلعاً على حقيقة « البنك السوري ». فدعوني اقول لكم شيئاً عنه : أن هذا البنك قد تأسس في ظروف وعلى شروط لم يكن المولون الذين اشتركوا في تأسيسه يتوقعون افضل منها . فقد دعت الحكومة بعض ذوي المال للاكتتاب بمبلغ عشرة ملايين فرنك . ثم سألتهم رفع هذا المبلغ الى عشرين مليوناً . وعلى هذه الصورة البسيطة تم انشاء البنك السوري الذي يقوم الآن باعماله تحت حماية ممثلي فرنسا في سورية ثم اعطوا

لهذا البنك امتيازاً باصدار الورق النقدي ، وقالوا له أن يصدر المبالغ التي يريدها ، بشرط أن يدفع ضمانها للخزانة الفرنسية من سندات الدفاع الوطني . فقدم البنك للخزانة من هذه السندات ماتوازي قيمة ٢١٥ مليون فرنك قبض عنها ٦ بالمائة وهي الفائدة التي تهبها الحكومة لمن يشتري هذه السندات ، ثم اصدر أوراقاً نقدية بقيمة هذه الملايين ووزعها في سورية بامر الجنرال غورو وقدم لنا ميزانية هذا البنك على ان معدل ربحه الصافي في السنة يبلغ ٢٨مليون فرنك. هنيئاً لهذا البنك السعيد الذي يقبض ٦ بالمائة من جهة ثم يربح ٢٨ مليوناً من جهة أخرى :

حاشية المؤلف: ان الضمان الذي ذكره الخطيب وهو٢١٥مليون فرنك = بالعملة الذهب ٣٤٠٨٠٠ جنيه مصري وقد أصدروا ٢٥٠٠٠٠٠ مليون جنيه (سوري) مضمونة به . والراسخ عندي أن الضمان الحقيقي أقل من ذلك كثيراً أي ٨٣٠٠٠ جنيه فقط على معدل جنيه واحد لكل ٣٠٠ ليرا سورية . ولكن هذا ليس موضوع البحث هنا ، فندعه جانباً ، ونحول النظر الى تتمة خطاب مسيو بيرار ، قال :

« وقد تسألوني اذا كان للحكومة فائدة ما من هذه الأرباح . فأجيبكم حالاً أن لا فائدة للحكومة سوى أنها وضعت فرنسا تحت مسؤولية مالية عظمى في سورية . وأما مسألة ميناء الاسكندرونة فحكايتها أنهم أرادوا انشاء ميناء في ذلك الخليج المشهور ، وهومشروع درسه الألمان قبل الحرب . وقالوا انه يكلف ١٢٥ مليون فرنك . فاذا اعتبرنا الفرق بين قيمة الفرنك قبل الحرب ، وقيمته الآن فانا نجد أن مشروع ميناء الاسكندرونة سيكلفنا ستمائة مليون فرنك

وقد انتهى بي البحث الآن الى شركة يسوع ، أي الى الجزويت. ان هذه الشركة الدينية هي من أدق الشركات تنظيماً ، وأقدرها ، لا على نشر التعاليم المسيحية فقط ، بل على تأييد النفوذ الفرنسي في الشرق أيضاً . وهي من الشركات المالية في العالم ، ولا أظن أن هنالك شركة تفوقها معرفة وخبرة ، في الدفاع عن مصالحها الاقتصادية

للسلطة العسكرية (الفرنسية) بسورية في ذمة هذه الشركة (شركة يسوع) ثمانية ملايين فرنك . ويقول بعضهم ١٢ مليوناً . وقد مضى على السلطة سنتان وهي تطالبها بدفع هذا المبلغ بدون طائل ولا جدوى (ولماذا وشركة يسوع غنية جداً ؟) « وخلاصة القول : انا فتحنا لجيش الشرق اعتمادات مالية فاستعملها في بناء القصور ، وانشاء المواني ، بقطع النظر عن مد أسلاك التلفون . فانهم كانوا عازمين أن يمدوا في هذا العام ٦١٠ كيلو مترات من هذه الأسلاك . في حين أننا هنا في فرنسا أحوج الناس الى هذا الكرم (حسن جداً)

« ويقول المفتش في صفحة ٤٨٤ من تقريره ان على السلطة العسكرية بسورية أن تدفع تعويضات من كل جانب . ويبلغ مجموع هذه التعويضات التي يجب أن تدفعها ٤٠ مليوناً . وتقسم هذه التعويضات الى ثلاثة أقسام :

الأول : الاضرار التي أحدثها الجيش في مرابطه

الثاني : الاضرار التي سببتها الجنود الفرنسية لبعض السوريين

وبهذه المناسبة دعوني أقول لكم انه يقع غالباً في شوارع المدن السورية بأمر السلطة السكرية حوادث من أغرب ما يروى ، تلحق أضراراً كبيرة بالسوريين وبأموالهم

الثالث : الحرائق التي أشعلتها الجنود الفرنسية

« هذا القسم الثالث كما ترون أهم ما تقع عليه العين في باب التعويضات ولا أظن أن بينكم اثنين يختلفان في فهم هذه العبارة « الحرائق التي أشعلتها الجنود الفرنسية »

لما قمنا في العام الماضي نناقش الحكومة الحساب على أعمال التأديب الجائرة التي قام بها الجيش في سورية وقلنا أن الجنود أحرقوا هنالك القرى والمزارع ، وأشعلوا النار في البنادر ، وأتلفوا المزروعات ، وأنهم عاملوا المسلمين والمسيحيين في سورية معاملة أفقدتنا عطفهم الى الابد.

لما قلنا ذلك قام من يتهمنا بأننا نلصق بالسلطة العسكرية تهمة هي براء منها . فما قولكم الآن بتقرير مفتش الجيش القائل بأن الجنود الفرنسية أشعلت الحرائق في سورية ؟

مسيو ليبارياييه : ـ انها حرائق وقعت قضاء وقدراً

الخطيب : ـ والغريب أننا نجد في التقرير تفصيلاً للأضرار التي سببتها الجنود للأفراد السوريين . وأما الحرائق فاننا لا نجد تفصيلاتها ولا شك في أن هذه التفصيلات موجودة في التقرير الأصلي . ولكنهم حذفوها من الصورة التي قدموها لنا

مسيو هرفي : ـ ما هي قيمة القرى والمزارع التي أحرقت ؟

الخطيب : ـ لم أجد لها ذكراً في التقرير . وتلك عادة الحكومة ان تقدم لنا اوراقاً ومستندات ناقصة لا تصلح اساساً للبحث والمناقشة ولكن الأمر الذي يهمنا فوق كل شيء وهو ان الجنود الفرنسية اشعلت النار في القرى ، واحرقت المزارع انتقاماً من فريق من السوريين ، اذا صح ان بعضهم كان مذنباً ، فلا شك ان سوادهم الأعظم

كان بريئاً مظلوماً
فقد أضرموا النار ، فأحرقوا وأتلفوا ، ثم اتضح للسلطة العسكرية انها كانت على ضلال في ما فعلته ، فقالت انها مستعدة للتعويض . ولكن أين هي الارقام ؟. ولماذا أغفلوا ذكرها ؟ . هذا ما لا قدرة لي على كشف سره

ويقول تقرير المفتش العام أيضاً ان السلطة العسكرية في سورية أنفقت مبالغ كبيرة من المال على اللاجئين من الارمن ، وعلى فروع الادارة السورية الوطنية ، بما سدّت به عجز ميزانيتها ، وعلى معرض بيروت

أما في ما يختص بالارمن ، وبميزانيات الادارة السورية ، فقد تمكن واضع التقرير من الحصول على ما يثبت صحة الانفاق . وأما مسألة معرض بيروت فلم أرَ منها في التقرير إلا العنوان فقط. ويسوءني ان أقول لكم ان يد الحكومة حذفت ما كتبته يد المفتش العام. وعلى كل حال فاني استنتج ان خزانة الجيش هي التي قامت بنفقات المعرض. ذلك المعرض الذي لا أزال أتألم كلما جاء ذكره . والذي قيل في معرض الكلام عنه ان بعض نواب الامة الفرنسية قبلوا الدعوة لحضور افتتاحه، وتركوا القائمين بأمره يستفيدون من تأثير صفتهم النيابية (هذا هو المعرض الذي رافق الجنرال غورو اليه مائة بنت) كلما أراد ممثلو الحكومة الفرنسية في سورية ان يسيروا في أعمالهم وسياستهم على خطة مخالفة لرأي الحكومة ، وارادة البرلمان ، فانهم يمدون أيديهم الى الخزانة العسكرية ليستعينوا بأموالها على تنفيذ سياستهم الخاصة. واذا لم يجدوا بين الموظفين الملكيين من يحسن ان يكون آلة لتنفيذها فانهم

يعتمدون في ذلك على العسكريين

ان التقرير الذي بين ايدينا هو تقرير مبتور الذراع والساق . فنحن نريد تقريراً كاملاً وصريحاً . تقريراً يقول لنا الحقيقة بتمامها ، عن الحرائق التي اشعلت نارها الجنود الفرنسية ، وعن معرض بيروت

وزير الحربية — لقد سلمناكم التقرير كما قدم لنا

الخطيب — اليكم ما جاء في هذا التقرير عن معرض بيروت وليحكم هذا المجلس في ما اذا كانت هذه الكلمات القليلة تشفي غلة او تظهر حقيقة

مسيو بوانكاره — ان ما جاء في هذا التقرير هو كل ما نعرفه عن معرض بيروت .

الخطيب — ان الكلمات الواردة فيه عن هذا المعرض لها من الاهمية والخطورة ما لا اظنه يخفى على حضراتكم . فالمفتش يقول ما نصه حرفياً : « لقد شكل المفوض السامي لجنة خاصة للبحث والتدقيق في حسابات معرض بيروت . فظهر في الصندوق عجز مبلغ قدره ٤٠ الف فرنك . وقد قدم مديرو المعرض اوراقاً تثبت صدق العجز ، لا في المبلغ كله ، بل في مبلغ ٣٢ الف فرنك فقط . ولكنهم عجزوا عن تقديم البرهان والدليل على صرف الثمانية آلاف فرنك الباقية (حركات مختلفة) (فثبت عليهم الاختلاس بأموال الدولة)

مسيو بوانكاره — كان يجب الا تقول ايها الزميل الصديق ان ليس في التقرير شيء ما عن معرض بيروت . فالذي قلته الآن شيء ، بل شيء خطير ومزعج . ويسوؤني ان اقول لك ان ما قلته الآن هو كل ما اتصل بعلمنا بهذا الخصوص

وزير الحربية — اما الحرائق التي اوقدت الجنود نارها فلم تكن مقصودة ولكنها حرائق شبت في مضارب الجيش

الخطيب — عفواً يا سيدي الوزير : انها حرائق اشعلتها الجنود بأيديهم . . .

وزير الحربية — كأني بك تريد ان تحمل هذا المجلس على الظن بأن جنودنا اوقدوا النار عن قصد وتعمد . فاني اعيد القول بأن تلك الحرائق حصلت في مرابط الجنود .

الخطيب — وأنا بدوري اعيد ما قلته قبل حين . لقد تكلم تقرير المفتش العام عن الاضرار التي وقعت في مضارب الجنود ، وحرائق المضارب تدخل في هذا الباب .

وزير الحربية - كلا ، يجب ان لا تجمع بين الحرائق والاضرار

الخطيب — ثم تكلم التقرير في فصل ثان عن الاضرار التي سببها رجال الجيش لافراد من السوريين . وتكلم في فصل ثالث خاص عن الحرائق التي اشعلتها الجنود . فكيف تريد ان تدخل هذه الحرائق ، التي وضع لها المفتش العام فصلاً خاصاً ليميزها عن سواها من الاضرار المذكورة في الفصل الاول الخاص بمضارب الجيش . وهب اني قبلت رأيك وقلت معك ان هذه الحرائق وقعت في مرابط الجنود فلماذا لم تقدر قيمة هذه الخسائر التي سببتها في حين ان التقرير يقدر الخسائر الناتجة عن سواها ؟ .

مسيو هرفي — اذا كانت قيمة هذه الخسائر لا تتجاوز الثمانية آلاف فرنك فالمسألة بسيطة (حركات مختلفة)

الخطيب — اذا نحن اختلفنا في تقرير الاسباب والوسائل فما نحن

مختلفون في تقدير النتائج وفهمها. لقد قال المقرر العام الميزانية في مجلس النواب انه لا ينصرم هذا العام قبل أن يبلغ مجموع ما أنفقته فرنسا في سورية مليارين وأربعمائة مليون فرنك. وذلك في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات لانّنا لم نحتل سورية الاّ بعد جلاء الانكليز عنها سنة ١٩١٩

وقد أسفت كل الاسف لاني لما قلت لمقرر الميزانيـة العام لما استشارني في الامر: ان الاموال التي أنفقت في سورية تبلغ مليارين وأربعمائة مليون فقط: فقد علمت بعد ذلك من أحـد وزراء البحرية السابقين ان الحـكومة أنفقت، وستنفق في القسم الاخير من هـذا العام أربعمائة مليون على ما لنا من السفن والانشاءات البحرية في سورية. فوالحالة هذه يكون مجموع ما أنفقناه في سورية ثلاثة مليارات فرنك أعني ملياراً في السنة (وقد بلغ الآن ثلاثة عشر ملياراً)

فهل لـكم أن تقولوا لي لماذا أسرفنا كل هذا الاسراف. وأن تبينوا لي الثمرة التي جنيناها من سياسة التبديد (حسن جداً. حسن جداً. تصفيق)

لقد كان لحمـلة سورية بعض المجندين والانصار، واني لا أجد بداً من التصريح بأن الغرفة التجارية في ليون، وشقيقتها المرسيلية، كان لهما التأثير الاكبر في حملنا على ركوب هـذا المركب. كانت هاتان الغرفتان التجاريتان تعتقدان ان سورية مرعى خصيب، وأنهما ستجنيان منها أرباحاً لا يستهان بها. وقد أرسلت غرفة ليون لجنة لدرس الحالة الاقتصادية في سورية. فعادت هذه اللجنة بعد ان قامت بمهمتها، وأخذت تنشر تقاريرها. ويؤخذ من هـذه التقارير ان في استطاعة سورية متى استقامت أمورها وتنظمت شؤونها أن تستورد من الخارج

ما نقدر قيمته بمائة وخمسين مليون فرنك . فاذا اعتبرنا ان نصيبنا من هذا المبلغ يكون مائة مليون ، وأن أرباحنا الصافية ٢٥ بالمائة ، فيكون مجموع ما تربحه تجارتنا من سورية — بعد انتظام أمورها — خمسة وعشرين مليون فرنك في السنة . وعلى هـذا نكون قد أنفقنا ثلاثة آلاف مليون فرنك لنربح ٢٥ مليوناً . معـدل فائدة الثلاثة آلاف مليون فرنك باعتبار سعر القطع الحالي هو ١٨٠ مليون فرنك لنربح ٢٥ مليون فقط .

أيها السادة

ان السياسة المتبعة في سورية لسياسة ملؤها الخطر على نفوذنا . ولا يأخذكم العجب اذا قلت لـكم ان هذه السياسة قد أورثتكم عداء المسلمين ، وأفقدتـكم عطف الشعوب المسيحية ، بمـا فيهم الموارنة واكليروسهم » . اهـ .

تعليق على خطبة بيرار

هنا أقف بالقارىء ، وبمسيو بونسو ، برهة للاستراحة ، ولاعادة النظر في خطبة مسيو فـكتور بيرار . فانها من نفائس الأعلاق ، فلا يجوز أن نمرَّ بها دون أن نقف ونفيها حقها من النقد والدرس ، فأقول :

أولاً : ليس بيرار رجلاً سورياً ، فلا ترد فيه الشبهة بأنه خصم فرنسا . ولا هو شيوعي ، فيقال انه عدو النظام ، ولا هو من صغار المأمورين قصيري النظر ، قليلي الاختبار . فليس من السهل الاستخفاف بشهادته وضرب عرض الحائط بها

ثانياً : مكان الخطاب . أين فاه مسيو بيرار بهذا الخطاب ؟

لم يفه به بيرار تحت سماء الأزرق ، أو في دمشق الشام ، ولا

ضمن فراديس الغوطة ، حيث قصف المدافع الفرنسية ومتفجرات طياراتها تخطف الأرواح من الصدور ، فلا يمكن ان ينسب لقائله الذهول الناشىء عن الذعر بتأثيرات العوامل ، لا هذا ولا ذاك ، فلا يهون على الخصم القدح بشهادة مسيو برار. فهو فرنسي، تكلم في جو هادىء ، في مجلس أعيان الأمةالفرنسيّة،وبحضور وزرائها وكبار دولتها

ثالثاً: انه لم يفه بما فاه به عفواً. بل غب اختبارات وبحث وتحقيق. وبناء على تقرير مفتش جيش الشرق ، الذي استلمه من يد حكومة فرنسا. أي من ناظر حربيتها . فلا يمكن ان ينسب لمسيو بيرار الجهل ولا الغرض ولا التحريف ، كذلك مفتش الجيش لم يكن مأجوراً من أعداء فرنسا . وليس له غرض يعمي بصيرته عن الحقيقة، ولا رفضت فرنسا تقريره ، بل قبلته كشيء يعوّل عليه. وقدمته لمجلس الأعيان ليكون أساس مناقشة بخصوص الميزانية والاضافةالمطلوبةلجيش الشرق

رابعاً : لو فرضنا ما يقرب من المستحيل ، فقلنا ان في خطبة بيرار هذه شيئاً من الخطأ ، فالمحيط حوله مؤلف من نخبة رجالات فرنسا،زعماء الاحزاب ، ورؤساء اللجان ، والوزراء، وناظر الحربية. فلا يدعونه يوغل في القول الهراء . بل كانوا يناقشونه في ما يقول كلمة فكلمة. فخطبة بيرار،اذن، يستند اليها كأساس للحكم في صفة رجال الانتداب الفرنسي بسورية ، والحكم على تصرفاتهم حكماً صحيحاً . فماذا نرى أمامنا ؟ .

٦ : ان الاموال المخصصة لجيش الشرق انفقت بطريقة غير قويمة، وقد بلغ منها التعوج والفوضى حداً بعيداً حتى انه لا يجد في قواميس اللغة كلمة تقوم بوصفها

٢َ : ان المراقبة كانت مفقودة في الجيش، يعني على انفاق الاموال والاجراءات المتنوعة

٣َ : ان الفوضى وقلة الامانة وقلة النزاهة ظاهرة في حسابات الدوائر العسكرية . وقد برهن كلاً من هذه النقاط بأدلة محسوسة مأخوذة من تقرير مفتش الجيش . أُلوف من الفرنكات تتسرّب الى الجيوب، ملايين من الفرنكات ترقص رقصاً، وتطير من عالم الوجود. ثمانية ملايين تدفع شركة يسوع - الجزويت - التي هي من أغنى الشركات في الدنيا ، وغير محتاجة الى عضد أو اسعاف . مزارع تحرق، وحياة تزهق ، ودماء تهرق ظلماً وعدواناً ، في بلدٍ دخلته فرنسا لتذود عن حرية قومه وأموالهم ودمائهم . فماذا عسى المؤلف السوري ان يقول اكثر من ذلك ؟ . وماذا يقول مسيو بونسو بعد ؟ أفمن اساس منطقي تتعجب بانخامة المفوض السامي من ان السوريين حاربوكم، أم ترى ان الاعجب من ذلك أنكم أنتم قد سببتم هذه الحرب ؟ . وهل تتوقع غير الحرب من امة القت اليكم مقاليد امورها ، لتكونوا لها حماة ومنصفين فكنتم شركاء اللصوص الذين يبتزون اموالها ويريقون دماء رجالها ، وذلك بشهادة تقاريركم ؟ . هـذا حمدي بك الجلاد ، الذي ثبت انه شريك اللصوص ، بحكم ابرمتموه عليـه ، فمن هم شركاؤه المساهمون الذين كانوا يقضون كل ليلة ساهرة الى منتصف الليل في بيته ؟ . من هم ؟. احنا خباز ام موظفو فرنسا ؟ . اجب واحكم حكماً عادلاً ، وسائل وجدانك اين هو الحق!.

ولا يخلو الامر ان يكون خطاب مسيو بيرار افتراء او صدقاً. فان كان الاول ، اعني اذا كان كلام مسيو بيرار افتراء فكيف سكت عن تفنيده

اقطاب الدولة ! . واذا كان كلامه صدقاً ، أي اذا كانت رجالات المفوضية «لصوصاً ومختلسين» فعلى م تنكرون علينا دعوانا ؟ . اذا كان مال الدولة القابضة على ازمة الامور، ويجب تقديم الحساب عنه بكل دقة، مع ذلك فقد سرقه حفظته المؤتمنون عليه ، افكثير اذا هم سرقوا واختلسوا ونهبوا اموال السوريين القاصرين الذين ليس من يسمع لهم شكوى ويجود عليهم بالانصاف ؟ . واذا كان رجال فرنسا المرسلون الى سورية ليعلمونا الاستقامة والادب قد انفقوا اموال دولتهم بدون مراقبة ولا قيود لاحساب افغريب ان يبددوا مقدرات البلاد السورية؟. واذا سمعنا كلمة لصوص وسراقين في دوائر السلطة العسكرية الفرنسية باعتبار اموال الدولة افغريب ان يقال ذلك فيهم باعتبار اموال الذين يحسبونهم قاصرين وتحت وصايتهم فعاملوهم معاملة الوصي الخائن القاصرين الذين تحت وصايته . فلمن المشتكى ؟ .

الا يجوز لكاتب يغار على سمعة عصره لدى احفاده ان يقول صراحة ان دولة هذه رجالها ، وهذه اعمالها ، كان الاشرف لها ان تظل في بردها مستورة على اعين الناس ، ولا تتعرض لانتداب ، ومشارفة ، وتتجاسر على التفوه بكلمات هي ابعد الناس عن الاهلية للتفوه بها كان تقول : اننا اتينا لندرب السوريين ونعودهم على حكم انفسهم بأنفسهم ، وتمكنهم من استقلالهم : فإننا نحسب ان التفوه بمثل هذه الكلمات من مثل هذه الافواه كادعاء الشياطين انهم اتوا الى الدنيا ليخلصوا الخطاة من غضب الله . فأي تدريب وأي تعليم يهبنا اولئك اللصوص ؟ . وألطف ما يقال لكم يا مسيو بونسو انكم ظلمتم انفسكم ظلماً كبيراً في عين التاريخ ، لانكم انكشفتم انكشافاً تاماً . اذ ثبت

لكم ان اموالكم انفقت بدون مراقبة ولا وزن ، يعني بدون امانة ولا نزاهة ، ولم تحاكموا الذين قيلت فيهم هذه الاقوال . فأي خير يرجى منكم؟ . وأي عدالة او اصلاح ترومون ان تنشئوا في بلدنا التاعس ؟ . لا وأبيك . لا لا . لسنا نسقطكم من كل أهلية واعتبار . حاشا وكلا . فقف لاسمعك كلام الله : ان أمة في رجالها شجاعة بيرار وصراحة فندنبرغ ، فيشهدون على دولتهم بالعوج والافساد ، لهي امة لم تفقد آخر زمق من الحياة . ولكن الامة التي تخضع لانتداب دولة هذه كرامتها في عيون رجالها ، امة كهذه تستحق الدعس بالاقدام اذا لم تشهر السيف والمدفع في وجه تلك الدولة . اعني ان ليس العجب من قيام سورية على فرنسا ، بل العجب اذا كانت لا تقوم . بعبارة الطف وأكثر لياقة اقول ، اذا وجد في مجلس اعيان فرنسا رجال يكشفون عن خيانة رجال الانتداب ، وعدم امانتهم ، افلا يجوز ان يوجد في الامة السورية الواقع عليها الجور والظلم ان تبرز رجالاً يجهرون بمثل هذا القول ؟ ......

فاسمع ماذا قال احد السوريين من مقالة ادرجت في جريدة عربية هي جريدة المقطم في شهر نيسان سنة ١٩٢٤ ، قال : —

ان الفرنسيين صادروا الناس (في سورية) في كل شيء . صادروهم

١ : في عقائدهم الدينية ، بتدخلهم في مسألة الخلافة .

٢ : في اموالهم بانشاء البنك السوري ، وارغامهم اياهم على التعامل بورقه النقدي ، الذي كان علة مصاب سورية وخرابها الاقتصادي

٣ : في قضائهم ، بانشائهم القضاء الاجنبي ، الذي يعتبر مقدمة للقضاء على القضاء الوطني

٤ً : في تجارتهم ، بأن أقاموا الحواجز الجمركية حول سورية ، وجعلوها شبه جزيرة ، أو جزيرة بالمعنى الحقيقي ، لا رابط ولا اتصال بينها وبين البلاد المجاورة لها .

٥ً : في حريتهم . فقيدوا الصحف في داخل البلاد ، وضربوا عليها مراقبة ، وأطلقوا يدهم في تعطيلها والغائها ، فلا يمر أسبوع حتى تعطل عدة صحف . ومنعوا نحو ستين جريدة من دخول سورية

٦ً : في معارفهم . فوضعوا برنامج للتعليم يكاد يخلو من تدريس اللغة العربية

٧ً : في وظائفهم ، فأسندوا الوظائف الكبرى للفرنسيين وجعلوا الصغرى وقفاً على مريديهم المخلصين (فحاكم جبل الدروز فرنسي ، وحاكم جبل العلويين فرنسي ، كما كان حاكم لبنان يوم كتابة هذه المقالة ـ سنة ١٩٢٤ ـ فرنسياً . وفي بقية الأماكن ـ كحلب والشام وتوابعهما ، كان الحكام الوطنيون آلات تحركها أصابع مندوبي المفوض السامي ، الذين كانوا هم الحكام الحقيقيين)

٨ً : في أوقافهم ، فأنشأوا ادارة للاوقاف الاسلامية ، وعينوا بها مستشاراً اسمه الكابيتان جيناردي ، له حق التصرف المطلق في شؤونها .

٩ً : في أخلاقهم ، فنفثوا فيهم روح الشقاق والبغضاء بين الطوائف . (قال مسيو فكتور بيرار في مجلس الشيوخ الفرنسي ما نصه : ـ ان الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن عمالنا في سورية قد تمكنوا من تطبيق سياسة فرق تسد ، من الوجهتين العملية والنظرية . فقسموا سورية الى دويلات لا مبرر لوجودها ، ونفثوا العداوة بين

شعوبها ، وجددوا فيها المنازعات الدينية الى درجة لم تكن تعرفها من قبل اسألوا أياً كان من السوريين ، وكم كنت أود أن أجيء اليكم بمسيحيين ومسلمين وماسونيين ويهود وجزويت — حتى الجزويت أنفسهم — فالكل مجمعون على رأيي هذا ما أقوله في الرأس الرابع من تأليفي . وأنت ترى ان أوجزت القول فيه جداً . وكان يمكن ، بكل سهولة ، تأليف مجلد برمته في موضوع هذا الرأس. لان الشواهد على النهب والاختلاس والتبذير والتعدي ومشاركة اللصوص ، من جانب الموظفين الفرنسيين اكثر من الهم على قلوب الواقعين تحت انتداب أمة ، هؤلاء موظفوها . وليس على القارىء الا ان يطالع مباحثات البرلمان الفرنسي ، وخطب اساطين السياسة فيها أمثال بيرار وجونار ، ومطالعة المقالات الضافية في مجلات فرنسا وصحفها ، كالايكوديباري ، لسال حال الحكومة الفرنسية ، فانه يجد في كل هذه من الشواهد لاقناع كل من أراد الوقوف على الحقيقة ان الموظفين الفرنسيين كانوا الا القليل منهم لصوصاً مختلسين في زي موظفين وحكام . وعند ذلك يفهم بونسو وأمثال بونسو ان السوريين ليس بدون سبب حاربوا فرنسا وسيحاربونهم كما حارب الاحباش ايطاليا في عهد كريسبي



الرأس الخامس

الأكاذيب — وأحياناً بصورة رسمية —

الصدق في أقوالنا أقوى لنا والكذب في أفعالنا أفعى لنا

لو فطنت المفوضية الفرنسية بسورية ، لهذا القول الحكيم لوفرت كثيراً من النفقات والمتاعب ، كانت في غنى عنها ، واصانت كرامة دولتها الفرنسية ، ولربحت ثقة السوريين المسالمين الراغبين في صدق دولة تتولاهم .

أسوق هذا الكلام على المقدمة لرأس ، كنت أود من كل قلبي أن لا أخط منه سطراً واحداً ، ولا أضع أسود على أبيض ، ولكن لمزيد أسفي أراني غير مخلص ولا أمين اذا أنا أعرضت عنه . فان الأكاذيب الدنية التي نشرت باسم فرنسا . حطت من كرامتها وكرامة رجالاتها في عيون أبناء الشرق . وأثارت عليها حفيظة الرجال . فكانت من جملة أسباب قيام السوريين عليها .

لست أتهم السياسة الفرنسية بالكذب . ولذلك لما ذكرت في الجزء الأول من تأليفي «الاسباب المتعاقه بسياسة فرنسا في الشرق» لم أدرج الكذب في عدادها . ولكني أدرجه في هذا الجزء ، وهو «خطيئات الموظفين الفرنسيين» لأني أعتقد أن الأكاذيب التي دنست اسم فرنسا ليست من أصول السياسة الفرنسية ، بل هي خطيئات قبيحة ارتكبها بعض الموظفين ، فهي في حسباني خطيئات شخصية لا فرنسية . هل أصبت في ظن أو أنه من باب بعض الظن اثم ؟ . القارىء حر في رأيه . لكنه يعذرني في رأيي . واني أروم أن

أضع أمام مسيو بونسو شواهد لا يقدر على انكار واحد منها . وكلها تثبت الكذب الشائن على رجال تستروا بالدولة الفرنسية ، وعملوا باسمها ، فجنوا عليها وعلى الانسانية . أما عليها فلأنهم وصموها وصمة عار ، وأما على الانسانية فلأنهم شوهوا محاسنها . وها أنا مورد بعض تلك الأكاذيب .

الكذبة الأولى :

نشرت المفوضية الفرنسية في سورية بلاغاً سنة ١٩١٩ قالت فيه :
أجرينا الاستفتاء في سورية فكانت الاكثرية تريد الانتداب الفرنسي :

وقد أبنت ما في هذه العبارة من عدم الصدق . وذلك في الجزء الأول من هذا التأليف صفحة ٢٣ فما بعدها ، وأوردت شاهداً على تكذيب ذلك تقرير مستر كرين . وهو مشهور . ومن اراد الاطلاع عليه فليراجعه في الجزء الأول المشار اليه ، يتبين صحة كلامي ، وصدق كراين وكذب ذلك البلاغ .

الكذبة الثانية :

باريس في ١١ ك ١ سنة ١٩٢٠

قال الجنرال غورو في مجلس النواب : —

« ان تعلق السوريين بفرنسا شديد ، وأنهم سيساعدونها في عملها المجيد » :

فليأذن لي فخامة المفوض بتقديم ثلاثة سؤالات .

الأول : أي عمل مجيد عملت فرنسا في سورية وبماذا قام ذلك المجد ؟ . ومن يصدق حرفاً واحداً من هذا الكلام ؟ .

ثانياً : من من السوريين متعلق هذا التعلق بفرنسا ؟ .

ثالثاً : لو كان كلام الجنرال غورو صحيحاً ، والسوريون شديدو التعلق بفرنسا فلماذا حاربوها ؟ . او لماذا انقلبوا عليها ؟ . ولماذا المدافع والجنود ؟ .

الـكذبة الثالثة .

تنص مادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ان الانتداب وقتي ، وأنه مهمة الدولة المنتدبة مقتصرة على بذل الارشاد والنصائح للبلاد التي تنتدب عليها ، ريثما تتمكن من الوقوف على رجاها

هذا نص مادة الانتداب، وهي وعد فرنسا بطريقة غير مباشرة، أنها في سورية وقتياً . فاسمع ماذا جاء في جريدة الماتان بتاريخ ١١ ك سنة ١٩٢٠ « سمعت لجنة الامور الخارجية ، في مجلس الشيوخ ، ولجنة المالية في مجلس النواب اقوال مسيو لايج (رئيس وزارة فرنسا) امس بعد الظهر ان الجدال قد احتدم في اللجنة ، قبل ذلك ، على الامر العالي الصادر في ١١ ديسمبر الخاص بنظام السيطرة على سورية وعهود فرنسا .

وأمس شدد مسيو عبار ، سفير فرنسا الاسبق في الاستانة ، الحملة . وهو واسع الاطلاع على شؤون الشرق ، واحتدم الجدال بينه ، وبين مسيو لايج . وقال ان قرارات الحكومة تؤول الى جعل عمل فرنسا في سورية حكماً مباشراً (خلاف تعهدها لجمعية الأمم في مادة ٢٢ المار ذكرها) بدلاً من ان يكون حماية ، فأكد له مسيو لايج ان الحكومة الفرنسية لا تفكر ابداً في ذلك . وقال ان ديكريتو « ديسمبر يضمن ما لا يفيد هذا على الاطلاق ، وبرهن على ذلك بقبول اهالي سورية الانتداب قبولاً مشبعاً بالولاء» (كذا)

فرد مسيو بوانكاره رئيس الجمهورية السابق وقال انه يوم السبت قابل وفداً من السوريين زاروه ليحتجوا على هذا الديكريتو الذي لا ينيلهم كل حريتهم الموعود بها . فتعهد مسيو لايج للجنة انه يعدل نص الديكريتو الذي يعترف بوجوبه (والحر من انجز وعداً). فسأل مسيو بمبار : اية سورية تحتلون ، والى متى هذا الاحتلال ؟ . فرد مسيو لايج : « كل سورية والى الابد ».

وفي هذه العبارات عدة امور تستلفت النظر

الاول : ان مسيو لايج الوزير الاسبق يقول ان اهالي سورية قبلوا انتداب فرنسا قبولاً مشبعاً بالولاء. فكذبه مسيو بوانكاره حالاً قائلاً انهم غير قابلين ولا ممنونين . فبالطبع ان هنالك كذباً في احد القولين . والذي اعلمه ان قول لايج هو الكاذب، وبوانكاره هو الصادق ولكن لا تنس ان لايج كان يومئذ وزيراً

الثاني : قال مسيو لايج ان احتلال فرنسا سورية « الى الابد » لكن فرنسا تعهدت بأن احتلالها سورية الى وقت قصير .. فأحد القولين كاذب اما قول رئيس الوزارة ، او تعهد الدولة الفرنسية للجنة الانتداب في جمعية الامم ، فتأمل

الثالث : قال مسيو لايج انهم يحتلون كل سورية .

فنسأله اين فلسطين ، وأين مرعش وعينتاب وأورفه وبيره جيك ومرسين ونواحيها ؟ .

وأريد ان اثبت هنا ان ليس كل رجالات فرنسا من رأي مسيو لايج فان مسيو مونه، ومسيو كمشان، ومسيو بيانا، ومسيو شارل صيد يؤثرون تحويل النظر عن سورية . وقال مسيو دوبو عضو مجلس النواب الفرنسي :—

« اني اشعر بقشعريرة في جسمي كل ما سمعت رجالنا يذكرون سورية » . فليس كل رجالات فرنسا من رأيه. فكلامه لا يسجل على الامة الفرنسية، بل على فئة قليلة منها شط بها المزار عن موطن الحق.

الكذبة الرابعة :

باريس في ١٨ شباط سنة ١٩٢٢ استقبل اتحاد الجمعيات الكبرى لخير الوطن ، في السهرة ، الجنرال غورو . وكان الاجتماع برئاسة مسيو بوانكاره ، وحضور الكردينال ديبوا رئيس أساقفة باريس ، ومساعده ورئيس الكنيسة الانجيلية ، والحاخام الاكبر وغيرهم . فخطب الجنرال غورو خطبة ذكر فيها حقوق فرنسا على البلاد التي انتدبت لها . وهي حقوق قال انها ترجع الى عهد الحروب الصليبية

وقال انه منذ سقوط فيصل استتبت السكينة في كيليكيا . وأن الاستيلاء على عينتاب وطّد النفوذ الفرنسي .

هذا ما قال الجنرال غورو في جمعية فرنسيّة عرفت اقدار رجالها . وفيها كذبتان . أو كذبة مزدوجة . الاولى ان نفوذ فرنسا توطد في عينتاب . الثانية ان السكينة استتبت في كيليكيا فمتى وأين ذلك ؟ .

جاء في المورن بوست الانكليزية بازاء خطبة غورو ، ما نصه بالتقريب

« ينتظر أن يكون لنشر شروط الاتفاق بين فرنسا والترك وقع سيء جداً في نفوس العرب . فقد روعي في معاهدة سيفر أن تكون الحدود بحسب العهود التي قطعتها الحكومة البريطانية للملك حسين سنة ١٩١٥ . وقد اتفق على تعيين هذه الحدود لاعتبارات جنسية ، بحيث يكون فاصلاً بين البلاد التي يتكلم أهلها العربية والبلاد التي يتكلم أهلها التركية . أما الاتفاق التركي الفرنسي الاخير فينص على ان تعيد

فرنسا الى تركيا بلاداً مساحتها ٣٠٠×٣٠ كيلو متراً . تدخل فيها « عينتاب » (هذه التي تبجح الجنرال غورو بذكر امتلاكهم اياها وتوطيد النفوذ الفرنسي بناءً على ذلك وبيره جيك وأورفه ومرعش وطرسوس ومرسين وغيرها) مع انها تحررت من يد الترك سنة ١٩١٨ فصارت الآن في حكم الاراضي غير المحرّرة في عيون العرب ، والمفقودة منهم والمسألة التي يدور عليها البحث الآن هي : يحق لفرنسا بصفة كونها منتدبة لسورية المستقلة ان تتنازل عن مقاطعة من بلاد الدولة التي انتدبت لها ؟

فلنا هنا قولان ، قول الجنرال غورو ، وقول الجريدة الانكليزية « مورن بوست » والقولان ضدان . غورو يقول ان السكينة استتبت في كيليكيا وأن نفوذ فرنسا توطد في عينتاب وجهاتها . والجريدة الانكليزية تقول ان الفرنسيين خرجوا من كيليكيا وعينتاب . فأي الاثنين هو الصادق ، الجنرال غورو أم الجريدة الانكليزية ؟ ومن منهما الكاذب ؟

بيد من عينتاب وكل كيليكيا اليوم ؟ وعلى القارىء ان يذكر امام من كانت تقريرات الجنرال غورو . ومع ذلك فهي كاذبة . فماذا نظن تكون نتيجة تلك الاكاذيب في نفوس السوريين ؟

الكذبة الخامسة : تقارير المفوضية

بيروت في ١٨ ك ١٩٢٢

قدم حضرة عمر بك الداعوق الذي تولى حكم ولاية بيروت لما جلا عنها الاتراك ، وهو أحد أعضاء اللجنة الادارية (التي الفها الجنرال غورو بدلاً من مجلس ادارة لبنان الذي حله) قدم ـ عمر بك الداعوق ـ اقتراحاً قال فيه : —

« ذكرت جريدة الطان في أعدادها السابقة ان سيكون لسورية ولبنان مجالس نيابية بصفة استشارية . ولما كان ذلك لا ينطبق على العهود والوعود ، وتقاليد فرنسا . والقرارات التي تقضي بأن يكون الانتداب ضعيفاً جداً بموجب نوع الوساطة من الحرف (A) وبمناسبة سفر الجنرال غورو الى باريس .... نرجو منه أن يكون الواسطة بيننا وبين الحكومة الفرنسية لابلاغ صوت المطالبة بهذه العهود التي قطعت جهاراً بحقنا »

وخلاصة الاقتراح . ان عمر بك الداعوق يرجو ان تكون فرنسا صادقة في وعدها

ولا ريب في ان كل من يغار على شرف الدولة يرغب في أن تكون صادقة . لان الصدق شرط لازم للشرف . ولا شرف مع الكذب . فالمنتظر من كل موظف فرنسي أمين وغيور أن يسعى السعي الجد لايقاف دولتـه موقف الصادقين . فاسمع ما جرى على أثر الاقتراح الحق الذي قدمه الداعوق .

نهض مسيو بيتي ، مندوب السلطة الفرنسية في اللجنة ، وضجّ واحتدّ احتداداً عظيماً ، معترضاً على اللجنة في المناقشة بهذا الموضوع ، الذي عدّه سياسياً ، ولا حق للجنة في فتح بابه . وأنذر بالخروج من الجلسة اذا لم يكف الاعضاء عن المناقشة في الموضوع . فقام على الاثر حضرة الاستاذ بيترو افندي طراد سكرتير اللجنة ، وأنكر على مسيو بيتي الاعتراض على حق اللجنة ، اذ لا مانع يمنعها من المناقشة وأن للحكومة (الفرنسية) الحق في قبول ما تقترحه اللجنة أو رفضه . ولما وصلت المناقشة الى هذا الحد خرج مسيو بيتي من الجمعية . وفاوض القومندان ترابو ، الحاكم العام ، في الامر . وطلب اليه اصدار الامر

بتعطيل الجلسة . فأجابه القومندان الى ذلك . وعاد مسيو بيتي معلناً تعطيل الجلسة بأمر الحاكم العام

وقد فطنت الحكومة لما ستحدثه هذه الحادثة من التأثير السيء في البلاد ، فأوعزت الى قلم الصحافة أن يجتمع بالصحافيين ، ونبههم عن نشر شيء في جرائدهم من هذا القبيل ، وهددهم بتعطيلها . فسكتت الصحف عن ذلك ، الا الارز لصاحبها الشيخ يوسف الخازن . فانها أشارت الى الحادث . فصدر أمر السلطة بتعطيلها .

وهذه القطعة تحتاج الى ايضاح قليل ، ليفهم القارىء كنهها ، فأقول :—
كان جبل لبنان مستقلا منذ سنة ١٨٦٠ ، وله مجلس اداري ينوب عنه في ادارة البلاد ، والبت في كل امورها . اعضاء هذا المجلس لبنانيون ، يمثلون طوائفه المتنوعة ، وهم وجهاء رافون يشعرون بمسؤوليتهم ويقدرونها ، وهم مسؤولون للبنان لا لغيره . وقد اجتمع الاعضاء وقرروا بالاتفاق بينهم في ١٠ تموز سنة ١٩٢٠ الصداقة والاتحاد مع اخوانه السوريين ، والحادثة مشروحة في الجزء الاول من هذا التأليف صفحة ١٨١ — ١٩١ فقبضت عليهم السلطة الفرنسية بتهمة الخيانة ، وسجنتهم ، وحاكمتهم ، ونفتهم ، وقام أعضاء المجالس الفرنسية بزعامة مسيو بيرار ، الذي يغار على شرف فرنسا ومصلحتها . هذا ندَّد كثيراً بتعدي السلطة على اعضاء المجلس اللبناني ، مراراً وتكراراً وقال في تصرف المفوضية بهذه المسألة انها : « حالة لا يجيزها شرع ولا قانون ، وسوف تسمحون لي أن أقول رأيي في الجرم القضائي الذي اقترفناه مع أعضاء مجلس ادارة لبنان » : ...... الى ان قال : « ولكن مضى الآن أربعة عشر شهراً ودوائرنا ببيروت تمنع وزارة

الخارجية من احترام العدل ، وخـدمة مصالح فرنسا الحقيقية . فهذه الحالة لا يمكن أن تدوم (صراخ من مجالس الاعضاء حسن. حسن جداً)

هذا بعض ما قاله بيرار في مجلس الشيوخ . واستحسنه الاعضاء الفرنسيون ، ومعهم نظارة الخارجية الفرنسية والمعاكس الوحيد لهؤلاء هو « دوائرنا في بيروت » هكذا قال مسيو بيرار . ومن رام أن يكون فرنسياً أكثر من اللازم ، فأصرَّ على ان في أولئك الاعضاء شيئاً من العيب ، فعليه أولاً أن يعرف من هو بيرار ، ومن هم الاعضاء الذين استحسنوا كلامه ، ومن كان في نظارة الخارجية في ذلك الحين . فان الحقيقة أصلح للبقاء من كلا الرذيلتين ، البطل والوهم . ليفتكر القارىء قليلا في ذلك . دعنا من هذا البحث ولنعد الى سياق البحث الخاص ، فأقول : ـ ان الجنرال غورو أصـدر أمراً بالغاء المجلس الاداري ، وتمزيق الديكريتو القاضي باستقلال لبنان . وعين حاكماً فرنسياً للبنان ، وعين أعضاء لجنة بدل مجلس الادارة . وكان من أعضائها الداعوق وطراد الوارد ذكرهما في هـذه الحادثة وهـذه هي الجلسة التي الغاها بيتي بأمر ترابو . فاذا سلمنا مع الدوائر الفرنسية في بيروت ، وحسبنا أعضاء مجلس ادارة لبنان ـ خائنين ـ أستغفر الله . وأن الكولونيل نيجر هو الامين لمصلحة لبنان ، دعنا نسلم بذلك جدلاً . فهل كان عمر الداعوق وبيترو طراد ـ وكل أعضاء اللجنة معهما ـ خائنين ؟ . الجواب طبعاً بالنفي . لا الداعوق ولا طراد ولا بقية أعضاء اللجنة خائنون . فلماذا اذاً أقفلها ترابو ؟ .

الجواب ان ترابو الذي تحكم في لبنان بغير حق ، تصرف في الامور ظلماً وعدواناً. فماذا يقول مسيو بونسو في اعتقاد السواد الاعظم

من أهالي سورية ان اعضاء المجلس ليسوا بخائنين ، وأن اللجنة لم تخرج عن حدود صلاحيتها ، وأن قرارات المفوضية في حقهم «كاذبة» بل ومعيبة ؟ . وكما قال بيرار « تنافي مصلحة فرنسا الحقيقية » . اذا كان ذلك ما يعتقده اهالي حوران والشام ولبنان

فما هو رأيكم ؟ . أيحاربون أم لا ؟ .

اسمع ما تلا ذلك بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٢

« ان اعضاء اللجنة الادارية سيعترضون على حل مجلسهم الحالي ولكنهم أجّلوا هذا الاعتراض الى أن يعود الجنرال غورو الذي اختارهم وعينهم » .

نرى هنا يا سيدي بونسو القضايا الآتية

أولاً : ان رجالاتكم ببيروت اتهموا اعضاء المجلس الاداري اللبناني بالخيانة ، تهمة كاذبة

ثانياً : ان الجنرال غورو حلّ المجلس الاداري ، والغاء نظام الجبل ، على غير اساس مشروع . لانه لا يملك هذه الصلاحية . وليس من اعماله حل المجلس والغاء الدستور

ثالثاً : اختار هو نفسه أشخاصاً عينهم لجنة موقتة وبالاسف انه وجد في لبنان من قبل هذا التعيين

رابعاً : ان أعضاء هذه اللجنة رغبوا الى فرنسا ان تصدق في وعودها . وتسلك في انتدابها كما تعهدت ، لا كما نشرت الطان

فماذا كان وراء كل هذه الاعمال ؟ . الجواب: قام بيتي وترابو على اللجنة وخنقوها . وما هو ذنبها؟.هو رغبتها في ان تكون فرنسا صادقة . هذا هو كل الذنب

فترى ان الكذب الدّني الذي اعتمده رجال المفوضية في ادارة البلاد أسقط هيبة فرنسا في عيون الشرق اجمع . ولكي تكون على بينة من الامور أورد لك الشواهد الآتية

الاول : احتجاج الامير فؤاد أرسلان

جاء في الارز اللبنانية . بتاريخ شباط سنة ١٩٢٤ قال في المجلس اللبناني : —

« كنت قد سألت الحكومة عن المصدر الذي استقى منه مسيو بوانكاره تصريحه في ١٥ ت سنة ١٩٢٣ في مجلس النواب الفرنسي « ان الأمور تجري في البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي طبقاً لروح صك الانتداب » مع اننا نعلم ان لا شيء عندنا يطابق روح الانتداب المعروف عندهُ في مادة ٢٢ من صك جمعية الامم . (ليتأمل القارىء بقوة هذا الكلام) فانه تكذيب صريح لبوانكاره

واتفق اني قرأت في الجرائد ان لجنة الانتدابات في جمعية الامم قدمت تقريرها السنوي ، وفيه ان الامور جارية في البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي حسب المرام . فاستغربت جداً هذا الحكم ، وتساءلت عن المصدر الذي أوحى الى هذه اللجنة . وقلت كيف لا تسمع لنا شكوى ، ولا يلى علينا سؤال وتعطى التقارير بحق بلادنا وتقريباً بلساننا على غير علم منا ؟. وعلى أثر ذلك جاءنا ان مسيو روبير دي كه عين مندوباً لدى جمعية الامم ، على البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي . فتبادر الى ذهني انه هو الموحي بهذه الاقوال . لانه لا يمكن ان يصدر مثلها من جانب المفوّضية . ولانه من المعقول ان يحاول مسيو دي كه بمثل هذه الاقوال تصويب التدابير التي اتخذها في هذه البلاد

وقلت لمسيو ديكه الحق أن يدافع عن سياسته بالطرق التي يستصوبها ، ولكن لما كانت الأقوال التي أشرت اليها موضوعة في شكل يفهم منه ضمناً أننا راضون بما هو عندنا ، وكان يخشى ان تعتقد جمعية الأمم بناء على ذلك ان الأنظمة التي تسير عليها موافقة لنا ، وكنت أعلم ان جميع اللبنانيين ناقمون على هذا الشكل الموضوع لحكومتنا ، وهم ينتظرون بفارغ الصبر ان يغير الجنرال ويغان الحال على وجه يلائم مصلحتنا ومصلحة الانتداب ، رأيت اعلن احتجاجي رسمياً في المجلس . وأنا على يقين انه ليس بين الزملاء الكرام ، وأفراد الشعب اللبناني من يرى غير ما أرى . ولكي تعلم حكومة فرنسا اننا لا ننفك عن المطالبة بحقوقنا ، وأن املنا وطيد بعطفها علينا ، وبمحافظتها على وعودها المتكررة (يعني ان تكون فرنسا صادقه) ارجو من جريدة الارز، ومن جميع الصحافة اللبنانية ان تؤيد هذه الشكوى التي اعلنتها ، ليعلم انها ليست شكوى فرد ، بل هي شكوى البلاد »

هذا ما قاله نائب لبناني وأرجو القارىء ان يراجعه مثنى وثلاث ورباع لأن فيه شهامة وشجاعة ادبية ومنطق. وهو اعلان نفس مستنيرة

الشاهد الثاني : — مكاتب المقطم بحيفا

جاء في مقطم ٢٧ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٢ ما نصه :

اطلعت على البلاغ الفرنسي الرسمي الذي صدر في القاهرة ، فاستغربت ما جاء فيه عن نفي حادث دمشق في ١١ ابريل وقوله (اي قول البلاغ الفرنسي الرسمي) : « ان الحالة فيها (في دمشق) هادئة والأمور جارية مجراها الطبيعي »

(هذا هو نص البلاغ الفرنسي . والمسؤول به ليس المفوضيّة

الفرنسية بمصر ، بل المفوضية الفرنسية بسورية ، لأنها هي مصدر البلاغ الحقيقي)

« فرأيت (هذا قول مكاتب المقطم) ان اوافي قراء المقطم بخلاصة تاريخية وجيزة بما حدث في دمشق بعد ١١ ابريل (تكذيباً للبلاغ)

في ١٢ ابريل : اقفلت المدينة ، وقام الأهلون بمظاهرة ، طالبين تسليم المرحوم صالح شموط الذي قتل في حادثة ١١ منه

في ١٣ ابريل : قامت فتيات المدارس ، وبنات دمشق بمظاهرة ففرقتهن الجنود امام دار البلدية

في ١٤ منه : اراد الأهلون القيام بمظاهرة ، عقب صلاة الجمعة ، فأرسلت السلطة المدافع الى سوق الحميدية ، فطوقت الجامع الأموي من جوانبه الأربعة ، ومنعت الدخول اليه ، الا للشيوخ والعجزة

في ١٥ منه : بينما كان احد الضباط الفرنسيين ماراً ليلاً في محلة الجواني بالسنانية ، اطلق عليه احدهم الرصاص . فحضرت القوة الفرنسية ، وأرادت تفتيش البيوت في ذلك الحي. فأطلق بعض الأهالي الرصاص مرة أخرى . وأخذت النساء تصرخ مستغيثات ، فتألب رجال الحي ، ولولا تدخل رجال الشرطة والدرك وملاطفتهم الأهالي لساءت العاقبة

في ١٧ منه : اشتد الاضطراب ، وخشيت السلطة هجوم الأهلين على السجن ، وخطف المعتقلين. فأحضرتهم في منتصف الليل من القلعة ووضعتهم في نظارة الشرطة يحيط بهم الجند من كل جانب . ونصبت المدافع والرشاشات في الطرق

في ١٨ ابريل : حوكم المسجونون . فبثت السلطة كل جنودها

وضباطها في الطرقات والمنعطفات ، ووضعت الدبابات والسيارات في الميادين والشوارع. وأخرج الفرسان للطواف. وكذلك رجال الشرطة والدرك، وأخذوا عدتهم ووزعوا في الأحياء . وغادر حضرة حقي بك العظم حاكم دمشق المدينة الى بيروت صباحاً، قبل المحاكمة ، ولم يدر بسفره سوى نفر قليل

في ٢٠ منه : اقفلت المدينة

في ٢١ ابريل : اقفلت المدينة

في ٢٢ ابريل : لا تزال دمشق مقفلة . وقد جرت امس مظاهرة عظيمة ففرقتها السلطة العسكرية بالقوة المسلحة . وقبض على جمهور من المتظاهرين وأودعوا السجن

في ٢٣ ابريل صباحاً :

رغماً عن انذار السلطة العسكرية الفرنسية وتهديدها لا تزال دمشق مقفلة محتجة . وقد هجم الجنود على بعض المخازن المقفلة ، التي رفض اصحابها فتحها ، وكسروا ابوابها .

بعد كل ذلك جاء بلاغ المفوضية الرسمي يقول : الحالة هادئة والامور جارية مجراها الطبيعي :

العفو ايها السادة . اني لا اعرف لهذا المعنى غير كلمة « كاذب » فعفواً عن فظاظة التعبير. اضيف الى ذلك ان الكذب ليس في مصلحة فرنسا ، لانه يسقطها ادبياً ، وينزع كل احترام لها من القلوب ، ويخسرها قلوب احبائها المخلصين

ولئلا يتوهم مسيو بونسو ان تكذيب السوريين بلاغات فرنسا ينحصر في المدة السالفة . وأن قراراته اليوم ، وقرارات اعوانه

الفرنسيين مصدقة ومعتبرة اورد له الرسالة الآتية التي نشرها المقطم حديثاً بتاريخ ٢ مايو سنة ١٩٢٩ صفحة ٨، عن مكاتبه في لبنان قال : —

حقيقة الحالة في سورية

نشر المقطم فصلاً اقتطفه عن مقالة لمسيو روبير دي كه ، نشرته مجلة « اوربا الجديدة » (وقد ارسلته له المفوضية الفرنسية ، فنشره على مسؤوليتها ، دون تعليق) وتضمن بياناً لما تم في سوريا في السنوات القليلة بعد الحرب . ولما كان روبير دي كه من سكرتيرية المفوضية السابقين ، ومندوب فرنسا في لجنة الانتدابات ، وهو يعلم يقيناً حالة هذه البلاد ، استغربنا بعض ما جاء في مقاله هذا من الاقوال .

قال مسيو روبير دي كه في معرض كلامه عن الصناعة : —

« ان نطاق الدباغة اتسع ، وكذلك نطاق الطحانة والنسيج »

ومن الغريب ان يصدر مثل هذا الكلام من حضرته وهو يعلم ان الدباغة ، التي كانت قد نشطت نشاطاً عظيماً في زمن الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨) حتى استغنت بها البلاد عما سواها ، عادت الى خمولها عقيب الاحتلال . وما زالت اليوم في مرتبة هي ادنى كثيراً مما كانت عليه في ذلك الزمن. كذلك الطحانة، فان حقول سورية وحوران، التي كانت تنتج الوف القناطير من الحبوب ، عقمت بعيد الاحتلال حتى كادت لا تعوض زراعها من بذارها (بعد ان كانت تشحن الى البحر سنوياً مئات الالوف من القناطير) فبات هؤلاء الزراع عالة على الغير، يستوردون حنطتهم ودقيقهم من حقول الارجنتين وأوستراليا وكندا والبرازيل. ففقدت الطحانة المنزلة التي كانت لها قبل الحرب في دمشق، وأصبح اكثر الطحانين يبحثون عن اعمال اخرى يرتزقون منها ، بعد

ما زاحمتهم مطاحن البلدان الاجنبية المتقدم ذكرها .

وتكلم مسيو روبير دي كه عن مسح الاراضي ، وهو المشروع الخطير الذي ننتظر تحقيقه بفارغ الصبر ، فقال : —

« انه لم ينته »

وأظن ان مسيو دي كه لا يجهل ان هذا المسح شرع فيه منذ اربع سنوات تقريباً ، ولم يتمكن المساحون ، سواء في لبنان او في سورية من ان يمسحوا اكثر من ربع مساحة كل منها ، ان لم يكن اقل . ومع ان الادارة العليا تسيطر على هذا المشروع ، وتدرك حق الادراك خطورة هذا العمل ، الذي يؤثر جداً في طرق الفراغ والانتقال، ويسهل معاملات التسليف للمعارف والزراع ، فانها لا تستدرك هذا البطء في هذا المشروع ، بل تراه بكل طمأنينة يسير سير السلحفاة ، والبلاد تشقى وتتعذب ، وزراعها يطلبون من بعض المصارف السلف الزراعية فلا يسلمونها شيئاً لعدم انتظام معاملات الطابو (التسجيل) في بعضها ·

ومن اغرب ما رواه مسيو روبير دي كه في مقاله هذا كلامه عن تنظيم خطوط السكك الحديدية ، وانشاء شبكة طرق . فأي خطوط يعني مسيو روبير دي كه ، في كلامه هذا ؟ . اخط دمشق بيروت ، الذي حالت الثلوج في هذا العام دون متابعة السير عليه ٥٥ يوماً كاملة؟. فقطعت المواصلات تماماً بهذا السبب، بين الساحل والداخلية ، وعانى الداخل ضائقة شديدة بسبب هذا الانقطاع ، حتى بلغ ثمن رطل السكر خمسين غرشاً ، بعد ان كان خمسة وعشرين ؟ . ام خط رياق حلب ، ام خط دمشق درعا ؟ . ان الحالة على جميع هذه الخطوط ما زالت كما كانت عليه من ايام الترك ، مع زيادة قطار اضافي واحد

للركاب بين بيروت ودمشق فقط اضطرت سكة الحديد الى اضافته لاتقاء منافسة السيارات .

افهذا هو التنظيم الذي يراه روبير دي كه ؟ . ان حالة هذه الخطوط ما زالت هي هي كما كانت قبل الحرب ، لا بل ربما كانت اكثر انتظاماً في ذلك الزمن ، لان الرقابة عليها كانت رقابة اجنبية بعكس الرقابة الحالية عليها اليوم . التي لا تشعر الا انها رقابة الأخ القوي المخلص لاخيه الضعيف . اما شبكة الطرق التي تكلم عنها روبير دي كه ، فاننا نبحث عنها فلا نجدها . نعم لنبحث عنها فنجد امامنا طرقاً قديمة ادخل التحسين على بعضها فقط ، وقطع البعض الآخر ليس الا . اي طرقٍ شقوها جديداً في لبنان وسورية — لمجرد مصلحة البلاد — ولو لم تضطرهم اليها التعليمات العسكرية ابان الثورة الدرزية ؟ .

ان في لبنان حتى اليوم طرقاً شقها الاهلون على حسابهم، ووزارة النافعة لم تعبّدها ، ولا فكرت بها ، وما زالت هذه الوزارة تقول لا مال عندي لانشاء طرق جديدة ، واني لا كاد اقول بواجب اصلاح الموجود لدي منها منذ القديم .

ومن غريب مغالطات حضرة السكرتير العام المفوضية في زمن الجنرال غورو ، وما رآه عن حسن احوال السوق المالية ، ومتوسط سعر القطع قبل الحرب وبعدها قال ، : —

«ان السوق المالية تحسنت تحسناً ظاهراً » فبماذا يستدل حضرته على هذا التحسين ؟ . ابالخمسة عشر مليون ليرا العثمانية الذهبية ، التي كانت في البلاد قبل الحرب، فأصبحت اليوم ثلاثة ملايين ليرا فقط — وعهدنا بشحن ٦٢ صندوقاً منها قريب جداً — ام بالورق السوري

الذي اصدره الجنرال ، فتدنى وتدنى حتى اصبح سعر الليرة المصرية منه اليوم ٦٣٥ غرشاً سورياً ؟ . ففقدت البلاد بواسطتها نصف ثروتها. فاذا كان هذا هو التحسن الظاهر في احوال السوق المالية فأنعم به من تحسن ! !

اما متوسط سعر القطع ، الذي يقول مسيو روبير دي كه انه كان قبل الحرب يتفاوت بين ٩ و ١٢ وأنه خفض اليوم الى ٦ و ٨ فهو ضرب من الحلم . لان الحالة بعكس ذلك تماماً . ان متوسط القطع كان قبل الحرب ٦ و ٨ وقد حاول بعض التجار مرة ان يرفعوه الى ١٠ و ١١ فأجرت الحكومة تحقيقاً في ذلك وعاقبت المحاولين بالابعاد من البلاد . اما اليوم فارتفع بتفاوت بين ٩ و١٢ و١٥ في المائة احياناً والحكومة تشهد ذلك ولا تبالي . هذا اذا ضربنا صفحاً عن التصفية القضائية التي فتح بابها في لبنان فأحدثت في اسواقه ارتجاجاً عنيفاً ، ما زالت متأثرة منه حتى اليوم ، وسيبقى مؤثراً فيها الى سنوات كثيرة

اما تمهيد السبيل في وجه التجارة الذي يتكلم عنه مسيو روبير دي كه فاننا لا نستطيع ان نرى له اثراً على الاطلاق . فهل مهد السبيل في وجه التجارة برفعهم الرسوم الجمركية دون سواهم من المندوبين في الاقطار المجاورة من ١١ في المائة قبل الحرب وبعدها الى ١٥ في المائة اليوم ؟ . اننا لا ندري اين هو هذا التمهيد الذي يعنيه

ان مغالطات مسيو روبير دي كه في مقاله هذا كثيرة اجتزأنا منها على ما مر . ولقد كان جديراً به ، وهو يبشر بحسن تقدم البلاد المشمولة بالانتداب ونموها السياسي والاقتصادي ان يذكر الحل القاسي الذي حلت به مسألة الديون العمومية ، فأوقرت عاتق البلاد ، وأنه

يبشرنا بأن شركة حصر الدخان لن يراها لبنان وسورية بعد ، بل ينسج في حالها على منوال سوانا في الاقطار الشقيقة التي انفصلت عن السلطنة العثمانية

ومما كان يجدر به وهو يتكلم عن العناية بالصناعة في سورية ولبنان ان يذكر ما لاقاه ويلاقيه الكثيرون من طلاب الامتيازات لانشاء مصانع النسيج وسواها في هذه البلاد من العقبات،فيضطرون الى نقلها الى فلسطين وسواها ، كما نقل جورج افندي طباخ معمل الجوارب الوطني من جونيه الى حيفا او عكا . وصادف هناك كل تعضيد ومعاونة من حكومتها ، التي سهلت له الطرق لانجاح مشروعه

أين المصارف الزراعية ؟ . وأين مشروعات الري ؟ . وأين التسهيل المنشود لنمو تجارة الترانزيت ؟ . وأين العناية بالاصطياف في لبنان ؟ .

وقس على ذلك عشرات المسائل التي أهملت لاشتغال ولاة الامور بالسياسة والتجارب ، وتقلبهم أساليب الادارة على أوجه شتى ، ما كانت لتعرف لها استقراراً بعد . وآخر هذه التغييرات تغيير الدستور في لبنان اليوم

ونظن أن مسيو دي كه الذي كتب سلسلة هذه المقالات في مجلة « أوربا الجديدة » قبل مجيئه الى هذه الديار سيضطر الى تغيير اعتقاده في ما كتبه ، بعد أن يدرس الأحوال عن كثب الآن ، ويشعر بمرارة الألم ، وشدة الضائقة التي تشعر بها البلاد اليوم ، سواء في السياسة أو في الاقتصاد، ويسعى الى تحسين الحالة . مع هذا فنحن لا ننكر وجود حسنات عديدة غفل عن ذكرها مسيو دي كه . وقد يتاح لنا ذكرها في فرصة آتية ان شاء الله » ا . هـ .

ليتأمل القارىء في كنه الموضوع ولبابه . لنفرض أنه لم يوجد من يكتب هذه المقالة رداً على روبير دي كه ، أفكان من الممكن أن يتغير الحال ، ويثبت غير الحق ؟ . كلا . سورية متأخرة والكلام المخالف للواقع لا يقدم في حالتها ولا يؤخر . انما له تأثير واحد فقط وهو اهانة كاتبه ، ومس كرامة دولة الانتداب ، لأنه يحمل الناس على الاعتقاد ان ليس عندها حسنة يوردها رجالها ولذلك يعولون على الكذب . ونتيجة ثانية مهمة وهو خسران رجالات الانتداب ثقة الناس في سورية وفي أوربا . لأنهم اذا قرأوا بلاغاتها المرة بعد المرة تسقط ثقتها ويعودون لا يصدقون لها بلاغاً ، ولو كان صحيحاً . فتصير منزلتها في عيونهم منزلة تركيا قبل الحرب . تلك الدولة كانت تصوغ القرارات ليس بحسب الواقع . بل بحسب الصورة التي يتراءى لها أنها توافقها . فاذا مات بالكوليرا الف انسان ، أصدرت في بلاغها أن الوفيات دون العشرة. فيتساءل الناس عن الخبر الذي يتلى على مسامعهم أحقيقي هو أم رسمي ؟ . لأن الخبر الرسمي عندهم غير موثوق به . فهو كاذب وان صدق . ذلك لأنهم الفوا الكذب في أخبارها . فانها بحسب أخبارها لم تنكسر في حرب،ولا خرجت من معركة الا وأكاليل النصر تزين هامها . فقد ظلت تفوز في ميادين القتال على الايطاليين حتى سلمتهم طرابلس الغرب. وما زالت تدحر جيوش دويلات البلقان، وتعيد عليهم الكرة المرة بعد المرة ، من شطوط ادريا حتى شتالجه في أبواب الاستانة . وما فتئت تدحر جيوش بريطانيا وتفنيها منذ عبرت جنود الترك قناة السويس،وزينت بيروت وكل سورية احتفالاً بانتزاعها وادي النيل من أيدي الانكليز ، الى أن ختمت انتصاراتها بانسحاب

جنودها من الشام وحلب والموصل .

فدولة هذه أخبارها لا تملك شيئاً من الاعتبار حتى ولا في عين نفسها . هذا الذي عرفناه ، نحن السوريين ، وحفظناه . فجاءت فرنسا تبغي غير ما اختاره الاتراك . فكتب رجالاتها ما كتبوا ومنها

١ً : أنهم استعادوا عينتاب : والحقيقة أنهم أجلوا عنها

٢ً : ان الأمن استتب في كيليكيا: والحال أنهم طردوا منها طرداً

٣ً : ان السوريين متعلقون بفرنسا : والواقع أنهم يكرهونها جداً

٤ً : وأن سورية قبلت الانتداب قبولاً مشبعاً بالولاء: وقد كذب هذا الخبر مسيو بوانكاره فأغنانا عن تسميك الوجه في تكذيبه .

٥ً : وأن فرنسا احتلت سورية موقتاً: وأحد وزرائها مسيو لايج يقول انها تحتلها الى الابد

٦ . وقد وعد الجنرال غورو السوريين بأنهم سيسنون دستورهم : لكنه بعد قليل حل مجلسهم وألغى نظامهم ونشرت جريدة الطان أن ستؤلف لهم مجالس نيابية شورية لا غير

٧ : يقول روبير دي كه ان الامور تجري في سورية طبقاً لروح الانتداب .

وأعضاء اللجنة الادارية التي عينها الجنرال غورو يقولون « اننا نعلم أن لا شيء عندنا يطابق روح الانتداب » . فعوض أن تقطع فرنسا لسان الكاذب قاصت الصادق . اعني انها حلت اللجنة لان اعضاءها اعتمدوا الصدق في اقوالهم ، وأخلصوا للحقيقة والمبدأ الانساني .

٨ً : يصدر قرار رسمي « ان الحالة في دمشق هادئة والامور

جارية مجراها الطبيعي » . والحقيقة ان دمشق تغلي كالمرجل ، وقد اقفلت ابوابها وأطلقت الرصاص على الجنود . وقام شبانها وشابّاتها بالمظاهرات ، وكادت تلتحم بالحرب مع الجنود الفرنسية

٩ً : ونشر روبير دي كه سلسلة مقالات في مجلة «اوربا الجديدة» فأثبت له كاتب المقطم من بيروت انها سلسلة اكاذيب

كل هذه الامور لا تحسب في عين التاريخ شيئاً بجانب ما عمل سيدي هنري بونسو . واليك البيان : —

نشبت الثورة ، وقام السوريون يحاربون فرنسا . وظلت الحرب بين الفريقين زهاء سنتين ، تغير فيها على عرش المفوضية ثلاثة مفوضين سامين

الاول : المرحوم ساراي

الثاني : دي جوفنيل

الثالث : هنري بونسو

وأخيراً وعد بونسو باجابة السوريين الى مطاليبهم ، وتأليف جمعية اساسية منتخبة ، بالتصويت الحر . وأن هذه الجمعية تسن دستوراً ، وتنتخب حكومة ، وينتهي الامر الى وفاق بين فرنسا وسورية . وقد صدّقت مع من صدق هذه الوعود ، وضحك علي من يعلمون الحقيقة ، كما ضحكوا في غيرها . وقد برر الواقع ضحك الضاحكين ، كما سفه تصديق المصدقين . لان هنري بونسو ، بعد ما فوض السوريين بسن دستورهم ، اراد ان يسنوه كما يريد لا كما يختارون هم . فلما كانت الثورة ناشبة حسب القائمين بها « لصوصاً وأشقياء » وأن الامة معتبرة ومحبوبة ، وهو يثق بها ، ولذلك يفوض اليها سن الدستور ، وتعيين شكل الحكومة . وقال — وأنا صدّقت — ان الانتخاب تم دون أدنى تدخل .

فاذاً الجمعية التأسيسية هي لسان حال الامة السورية. هنا لامجال لمسيو بونسو ان يتهم الاعضاء بأنهم «لصوص وأشقياء» . وقد حصلوا على تزكية المفوضية . واجتمعوا تحت علمها . وحصلوا على رعايتها. والوعد انهم أحرار في سن دستورهم . الى هنا نحن أصحاب .

ولكن في منتصف عملهم تعرّض لهم مسيو بونسو. وأمرهم ان يسنُّوا قوانينهم كما يرسم لهم . فأجابوه انهم نواب الامة . وأنهم أمناء . فليسوا هم موظفون عنده ليأمرهم ، ولا يجوز لهم ان يجتمعوا باسم الامة ويخدموا فكرته ، فيخونون أمة انتخبتهم

فماذا عمل ؟

أمر بحل الجمعية . ولم يؤلفها بعد. فماذا نحسب ذلك منه ؟ .

أرجو هنري بونسو نفسه ان يجيب . او يسأل من يثق بهم بفرنسا ان يجيبوه . والقارىء حر ان يقتنع ان بونسو غيَّر مسلكه ، وأخلف وعده للسوريين ، او اني اقول غير الحق فيه . وأنه صادق وأمين ، ولكن اعضاء الجمعية خونة مرتشون

اهكذا تريد ان تصدق يا عزيزي الحصيف ؟ .

اذا كانت الجمعية التأسيسية مقيدة بارادة بونسو فلماذا الانفاق على اعضائها ؟ . ان ارادة بونسو مسجلة ، فاذا كانت البلاد ترضاها فلا لزوم لجمعية تأسيسية. واذا كانت الجمعية حرة، وعليها ان ترسم على القرطاس صورة وجدانها فلا يجوز لبونسو ان يتعرّض لها

نعم اذا سنت الجمعية قانوناً لا ترضاه الامة فالامة حرة ان ترفض ذلك القانون . ولكن بونسو والمفوضية ليسوا نواب الامة . وأعضاء الجمعية هم نواب الامة. فاذا تعرض رجال المفوضية لنواب الامة

حسبوا اعداء . فهل يملي الاعداء علي نواب امة نص دستورها ؟ واذا كان مسيو بونسو، ودولة بونسو، لا ترضى وجدان نواب الامة فلماذا دعوهم للاجتماع ؟ . ألا يعلم فخامته ماهي عواطفهم واقتناعاتهم ورغائبهم؟ بلى انه يعلم انهم وطنيون. ويعلم انهم حين يسنون دستورهم لا يتقيدون بارادة أجنبي يحسبونه عادلاً او ظالماً . بل يتقيدون بوجدانهم وحده

فهل كان بونسو صادقاً لما دعاهم ليمثلوا الامة السورية ويسنوا دستورها؟

اريد ان اقول نعم . انه كان صادقاً . فبناء عليه ما كان يجوز له ان يحل الجمعية ، بل يتركها تكمل سن دستورها . وبعدها اذا كان لفرنسا تحفظات تتعارض مع نصوص الدستور تفوض طائفة من ارباب الخبرة في تسوية الامر مع السوريين . اما دستورهم فلا يجوز ان يمس. وبما ان بونسو جمع الجمعية ثم حلها لا لاثم ولا لخيانة ، بل لانها أمنية للامة ، فقد فهمنا وفهم كل عاقل ، ان لا امل في بلوغ امانينا الا بالقوة — بالحرب —

افيتعجب مسيو بونسو اننا نحارب دولته ؟

ام نحن نتعجب من تعجبه ؟

ليحكم القارىء النزيه بيني وبينه . وهنا أيضاً كما في كل مواقف هذا التأليف أقول . ان ليس مقصدي ايراد كل الشواهد . لأنها كثيرة جداً . فلو رمت سرد كل الاكاذيب الفرنسية ، في سورية ، للزمني مجلدات ضخمة . فاكتفيت ببعضها ، فقط ، لاثبات الدعوى . ولو رمت ايراد الكثير منها لكان عليّ سهلاً . وسهلاً جداً . فلا تنسَ يا قارئي المعتبر .

الرأس السادس
افساد الآداب الى درجة لا تحتمل

يا مسيو بونسو

لا يمكن التفاهم بين قومين ، ولا بين شخصين ، ما لم يكن هنالك قانون ، ذو مواد ، يتفق الفريقان على صحتها . أفيجوز لي أن ألفت نظرك الى القانون الادبي العام ، المتفق عليه الى اليوم في كل أمم الارض؟ اذا قلت نعم فاني أشكرك وأذكرك (بتشديد الكاف) انه يوجد في الدنيا شيء نسميه عيباً . واذا فعل امرء ذلك الشيء قيل له « عيب » . وأمة تتحمل العيب ، ولا تقوم لنفضه عنها هي أمة التحفت بالعار فسقطت من عداد البشريين ، والتحقت بالبهائم . ولا أراك ترضى لأمتك ولا للسوريين بلوغ هذه الدرجة . وعليه أقول واثقاً ان بيننا تفاهماً في النظريات . وكلانا يعتقد بوجود ما نسميه « عيباً » . ولكني انشد الاتفاق في ماهو أعمق من ذلك ، وألصق بمصير الامور في الدنيا . وهو ان لذلك العيب علاقة مباشرة ، او غير مباشرة بحظ الدول ، ولا بد من بروز آثار تلك العلاقة في تصريف امور الدولة عاجلاً او آجلاً . افلا تسلم بذلك يامسيو بونسو ؟ . ارجو ان تقول « بلى » .

صح . فليضع القارىء في ذهنه : ان في التحاق رجال الدولة المستعمرة ، او المنتدبة ، بالعيب له تأثير كبير في مصير استعمار تلك الدولة او انتدابها .

هذه هي القضية التي امامنا . وسنرجع اليها غب التجوال في شعاب البحث في هذا الموضوع الشديد الخطورة والمؤدى . فأقول : ـ

سادت رومية ، في القرون التي قبيل التاريخ المسيحي ، ما كانت

تدعوه « المسكونة » . فقـد أخضعت عاصمتي الاغريق الـكبيرتين ، اثينا وسبرطا. ودمرت قرطجنة عقدة فخار السوريين، وعروس القارة الافريقية . فلم يبق لها في محيطها منازع . فبعثت بجيوشها الى فرنسا واسبانيا وبرتوغال وانكلترا، وأخضعتها لشوكتها. وتبسّط قوادها في اودية المانش والرين ، ومدت رواقها على انكلترا وألمانيا .

وبدأ العصر المسيحي ورومية منفردة في سماء الشهرة والسؤدد والرخاء ، اعني أكثر كثيراً مما لفرنسا اليوم او لأي دولة استعمارية اخرى. هذا كان حال رومية في صدر النصرانية . وقد مد كونيليوس فاروس،جد يوليوس قيصر الروماني ، اول جسر على نهر الرين العظيم سنة ٥٥ ق . م .

وأخضع بعض القبائل الجرمانية لرومية ، وضم الى التيبر السين والتاغوس والرين . وضمّت بعض اقسام غربي المانيا لرومية . وهو آخر امتداد الفتوحات الرومانية في اوربا .

وأرسل اوغسطس قيصر كونيليوس فاروس قائداً عاماً للجنونات الرومانية في اوربا . وكان كونيليوس رومانياً حقاً لا غش فيه ، فاتصف بالادب والشرع والخطابة .وكان علاوة على ما ذكر إباحياً ، وانغمس في ما نسميه « الرذائل والموبقات »، ووسع نطاق التهتك في جرمانيا، وقاد شبيبتها الى مالم يعرفه آباؤهم. ونسج القواد الرومانيون على منوال كونيليوس، فأباحوا واستباحوا ، مطبقين اعمالهم على طقوس عباداتهم الدنسة ، التي اخـذوها عن اليونانيين عباد ارطاميس . اما جرمانيا فلم تكن قد افترعت عذراويتهـا بعد بملابسات التمدين الروماني الجديد . بل كانت لا تزال على حال البـداوة والشمم . فلم يقبل الجرمانيون

ذلك من كونيليوس ومن زملائه ، بل نبذوه نبذ الحذاء المرقع ، وحسبوا ارتكابه ظاهرة سفالة ، وداعية احتقار وازدراء . فتهيأ الجرمانيون بهذا العامل للقيام على رومية ، مع عظيم الفرق بين الفريقين ، من حيث التمدين والاستعدادات الحربية .

رومية ربة البحار وسيدة الامصار ، وأم الاجناد ، ومنشئة القواد ، والمسيطرة على العالم المعمور . وجرمانيا بلاد بدوية خالية من آثار المدنية والارتقاء ، تقطنها عشائر همجية ، تلوذ بالادغال ، ولا تعرف للعمران معنى ، ولا تفهم للنظامات المدنية مبنى . على ان تلك العشائر البدوية الهمجية ، حل في قلبها كراهية رومية ، وهبت لمناوأتها . ولم يعوزها الا زعيم يقود محاربيها ويكيد عدوتها . والسقوط درجات بعضها فوق بعض ، ينحدر عليها المرء على التوالي الواحدة تلو الاخرى . فلم يقف فاروس عند حد اثارة عواطف الجرمانيين عليه بل اوجد لهم ايضاً قائداً عنيداً لا يشق له غبار ، هو

ارمينيوس محرر أوربا من نير رومية

وحكاية حاله انه احب فتاة تدعى تسيلدا وهي ابنة وجيه ينتمي لرومية . فتزوجها وولدت له ولداً ذكراً . فساء والدها ذلك . فشكا امره لفاروس ، وحسب عوائد المحتلين المستبيحين تدخل هذا في الأمر وان كان مما لا يعنيه. فاعتقل تسيلدا امرأة ارمينيوس ، وولدها الطفل الصغير ، وساقوه في موكب النصر وعمره اربع سنين . فثارت المروءة في نفس ارمينيوس ، وهب لقتال الرومانيين. وشرع يثير عليهم العشائر الجرمانية ، مسلحاً بما شاع عنهم من التهتك الذي لم تكن البداوة الجرمانية تجيزه . وخاض ارمينيوس معارك حامية ضد رومية . وجندل

المئات والالوف في غابات ثورنجيا وأدغال وستفالي. وطرد الحاكم الغاشم من تلك الأصقاع ، بعد معارك تشيب لها الولدان . ومن ثمّ شرعت اظلال رومية تتقلص تحت سماء جرمانيا، ودخلت في دور التقهقر والهرم . وأخيراً انسحبت من كل اوربا، وحل بها النكال، على ماهو مثبت في تواريخكم

أقول : وقد حدث مثل ذلك للأسبانيين في بقاع العالم الجديد ، وفي جزر فيلبين . لأنهم تجاوزوا حدود التعقل والاعتدال ، وجاروا على الأمم التي حلوا بلادها . ولا يليق بكرامة هذا القلم الخوض في تفاصيل ما أبداه اولئك الطغاة في بلاد رفعوا في جوها اعلامهم ، ودنسوا غبراءها بفجورهم ورذائلهم، فسطوا على الأعراض، واقترفوا كبائر المنكرات، فأثاروا عليهم القبائل الهندية التي كانت تخضع لهم وتهابهم، فحاربتهم حرباً ضروساً . وما زالت تعمل في أقفيتهم الأسنة والنصال حتى قذفت بهم الى ما وراء الاتلانتيك. وخرجت اسبانيا أخيراً من كوبا وفيلبين معفرة الجبين ، وزال استعمارها وأساطيلها من عالم الوجود . وصارت من دول المرتبة الرابعة في اوربا ، بعد ما كانت من دول المرتبة الأولى

وقد جرى مثل ذلك لفرنسا في هايتي ومكسكو وغيرها . ومثل ذلك يجري لكل دولة مستعمرة لا تحكم العقل في الشهوة، والقانون في الارادة . واذا تحكمت الشهوة والارادة في الفعل قادت الأمم الى دركات البوار . والراهن عندنا نحن الشرقيين ما يندرج في هذا البيت

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

عزيزي مسيو بونسو

ان دخولكم سورية يحكي دخول الرومان أقاليم ثورنجيا ووستفالي

والأسبان جزر فيلبين وجزر بحر كريب وأقسام امريكا. ولا أراك تتوهم ان نواميس العمران تتخلف ، فيكون حكمها عليكم غير ما كان على اخوانكم الايطاليين والاسبانيين، فللأعمال الواحدة نتائج واحدة في احوال واحدة ، او كالواحدة

فماذا كان منكم تحت سماء سورية ؟ هل كنتم تلك الأمة الأدبية المحتشمة ، التي تنزهت عن مكاره الأمم الزميلة ، فعرجت عن مصيرها، والتفت حولها القلوب،وعقدت الأمم السورية الخناصر على مودتها وولائها ؟. أم كنتم تلك الأمم المستبيحة المبيحة التي يصح فيها قول الشاعر

بلاء ليس يحكيه بلاء عداوة غير ذي أدب ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون

ماذا أقول فيكم ؟. هذا هو أكثر مواقفي اشكالاً . فاني أتيقن ان عذارى سورية ولبنان سيقرأن كتابي هذا، فيرسلن على ضريحي لعنات جمة ان انا خدشت مسامعهن باملائي ما شاع عن رجالكم في سورية. فأوقر نفوس السوريين ، وأحرجهم فأخرجهم عن حدود التعقل والحساب فنفروا لقتالكم خفافاً،وهم يحسبون أنهم يحسنون لا نكم نجستم ما تحت سمائهم. واليك البيان

١ : ما شاع عن مسيو ديتوا

مسيو ديتوا مستشار معارف فرنسا في سورية ولبنان. وكان مقره في المفوضية العليا ببيروت . ولو رمنا التعبير عن ماهية وظيفته لسميناه «وزير المعارف». والآداب في كل امة ، وفي كل عصر وفي كل مصر، قرينة المعارف وربيبتها . فكان ينتظر ان يكون مسيو ديتوا اديباً شريف النفس حسن السمعة . ولاسيا لانه يحمل على منكبيه شرف دولة معروفة

بعثت به الى سورية ليرفع مستوى الثقافة والادب ـ استغفر الله العظيم، وأستغفر الوجدان السوري ـ ولا غرابة في انتظارنا ذلك منه لانه ليس في سن الجهل والبطر ، بل هو رجل كامل السن ، يعيبه ، لو كان ممن يعاب، استسلامه للشهوات الاثيمة، ووصمهُ دولته بوصمة عار لا يمكن غسلها . فسنه، وشرف وظيفته ، وكرامة دولته ، اذا لم اقل المبدأ الانساني ، توجب عليه الاحتشام والعفاف ، او على الاقل التستر . ولست اريد ان اقول انه كان عكس ما ينتظر منه ، لان ذلك الكلام بمثابة الشتيمة ، وقلمي لا يجري بها . وربما اذا طعنت فيه لا يعابٍ هو بل أعاب انا . فلذلك اقتصر على ايراد بعض ما يتعلق به نقلا عن الصحف وألسنة القوم .

كنت ذات ليلة بزيارة مغنى علم وادب، وكان في ذلك المغنى عصابة من خدام الانسانية . وكان بيدي صحيفة اظنها لسان الحال . ولا يمكنني ان اذكر بلاغ المفوضية الذي اصدرته في ذلك اليوم بحروفه . لكنني اؤكد انه بهذا المعنى .

« لم ينقل مسيو ديتوا — مستشار المعارف — من مركزه لنكر أتاه ، بل لانه لازم لمنصب آخر »

فقهقه احد الحضور لدى القراءة،وخاطب سيدة خبيرة في شؤون المفوضية قائلاً « اسمعي يا اختاه اسمعي، اهكذا تصدر القرارات المتعلقة برجال المناصب . ؟ . وما الداعي لهذا الدفاع ؟ . الا يكفي ان يقال ان مسيو ديتوا نقل الى مركز آخر ! . فما الحكمة في الدفاع عنه كأنه متهم ؟ . فقالت السيدة « معلوم ان هنالك حاجة الى هذا الدفاع. لان القومسارية لا يمكنها ان تحتمل ما احل بها ديتوا من النجاسات ».

فجمدقلبي لما سمعت هذا الكلام ، وقلت او حق ياسيدتي ما تقولين ؟.
قالت بل اقل من الحق . وان فلانة الاديبة الفاضلة قد استقالت من خدمة المعارف ، على فقرها ، فقط ، لاجل صيانة شرفها . فانها آثرت الموت جوعاً على اباحة عرضها . والى القارىء حادثة سرية تقدمت نقل ديتوا من بيروت وهي ان السيدة « ش »، الكاتبة المعروفة ببيروت ، زارت مدام سراي زيارة خاصة بهذا الشأن ، وغب مبادلة التحيات بسطت لها امر مسيو ديتوا ، قالت : ليس لي دعوى شخصية على مسيو ديتوا، ولا دعوى مالية، او ادبية . فانه لم يسىء الي شخصياً ، اذ لا علاقة بيني وبينه . ولكن سوء سمعته ، وسوء تصرفه ، هو الدافع لي الى زيارتك علك تكونين واسطة خير ، لغسل هذه الوصمة عن المفوضية وانقاذ البلاد من شره . أما مقاومته للمدارس واضطهاده القائمين بأمرها فنضرب عنه صفحاً. لان هنالك ما هو اهم منه في نظرنا.
قالت وما هو ؟ . قالت ان الرجل مكشوف . وقد ساءني جداً ان وصيفته معه في الادارة . وفي غرفته فيلاعبها ويداعبها في غرفة ثاني الجنرال — تعني الجنرال ساراي زوج المخاطبة — ربما يامدام ان ذلك لا يهم الناس في بلادكم ، فرنسا ، اما هنا في سورية فانه عيب على الحكومة. فأجابتها مدام ساراي قائلة: ان الناس بفرنسا لا يهمهم امر كهذا. بل هم يظنون ان كل انسان حر يعمل ما يشاء ، بحيث لا يتعدى على الناس . وقلما يحاسبون بعضهم بعضاً على تصرفاتهم الشخصية . ولا بد انك سمعت بحديث مدام كايو الوزير الكبير ، وأمثال مدام كايو كثيرات في فرنسا :

قالت لها مدام «ش» : ـ ولكن الامر في سورية ليس كذلك .

فان الموظف الكبير محسوب عندنا كالبطريرك، واذا زل زالت هيبته . فيجوز لكم استبدال ديتوا بمستشار يليق بكرامة المفوضية . وبما ان الناس في فرنسا لا تهمهم مسألة آداب الموظفين فهو يصلح لبلدكم ، ولكنه لا يصلح لبلد كسوريا ، يقدر الناس فيها بمقياس ادبهم وخلقهم

اجابتها مدام ساراي كوني واثقة انه عن قريب سينقل من بيروت ... وهكذا حدث. ولا ادري هل لهذا السبب نشرت المفوضية البلاغ الذي اشرت اليه آنفاً، او ان هنالك اسباباً اخرى حملت المفوضية على دفاع فتح عيون الناس على ديتوا بزيادة. وسواء اكانت اقالة ديتوا من طرف الجنرال ساراي بايعاز من قرينته أم ان التنسيقات الفرنسية اقتضت ذلك، فعلى الحالين تنفس السوريون الصعداء بنجاتهم من هذا الكابوس ، ولا اعرف له صديقاً فيهم ، وكانت المفوَّضية ملزمة يوم ذهابه ان تكتب ما مرَّ بك بيانه من الدفاع عنه ، لانها عرفت ان سمعة الرجل سيئة جداً في البلاد ، فتحتاج الى مثل هذا الترقيع

٦ : موظفي الشام الفرنسيين

حدثني خبير قطن الشام ، وعرف شؤون الموظفين الفرنسيين وعلاقاتهم الوطنية قال : —

ان فلاناً — موظفاً لا اريد ذكر اسمه حفظاً لمبدئي « تجنُّب التعرض للشخصيات» وهو معروف بفساد أخلاقه عند العموم ، ولاّه الفرنسيون منصباً كبيراً لأمرين، احدهما ان الموظفين الفرنسيين كانوا شركاءه في السلب والنهب والاختلاس والتعدي على الناس . والثاني أنه كان سمسارهم في امر العواهر . فوظف هذا الرجل تحت يدهِ كل من يحسن صفة « القوادة » الدنية . وكان بيته بؤرة فساد الموظفين

الفرنسيين . فمتى غربت شمس النهار اشرقت شموس صفائهم . فيدور الكاس والطاس على نغمة المزمار والقيثارة . ويدور الرقص الخلاعي بين الموظفين وبين البغايا. وقد اعد الرجل نحو ٢٠ بدلة نسائية فاخرة. فكان يأتي بالبنات من الطرقات او من المحلات العاطلة . وبعد الحمام يلبسهن ثوباً قشيباً مزركشاً ، ويقول لاخوانه الفرنسيين ان حضرة البرنسس هي كريمة فلان باشا ، او شقيقة الامير فلان ،او قرينة فلان باشا. وكلامه كذب بكذب. فقط ليزيدهم رغبة فيهن فكان يحليهن بما عنده من اثواب وحلي ويدعي شرف انسابهن. فكان بيته عش دعارة وفحش ليلاً فليلاً ، يؤمه كبار الموظفين الفرنسيين وصغارهم . ولذلك لم يكونوا يقبلون عليه شكاية . فكأنهم نصبوه في ذلك المنصب الخطير ليخدم شهواتهم الدنية

ومما يحكى عن هذا الرجل ، وهو موظف كبير ، انه فيما كان ذات يوم يسكر ، مع احد ضباط فرنسا في دمّر ، مرَّ بهما قروي وزوجه وهي من البارعات في الجمال. فدعاها الموظف اليه والى رفيقه الفرنسي، وطلب من زوجها ان يذهب في طريقه ويتركها لهما . فأنكرت المرأة عليه ذلك ، وقالت انها من الحرائر ، وعندها النار خير من العار ، ولما هددها صاحبنا ، صاحت « العرض لله وللسلطان » فما كان منه الا ان رماها بطلق ناري من مسدسه، فأرداها قتيلة تتخبط بدمها. ولدى التحقيقات في محكمة الشام اقسم الضابط بشرفه العسكري والفرنسي ان النار أصابتها خطأً فحكمت المحكمة بأن الموت كان قضاء وبرأت الرجل . .

زوج المهندس

ومما يحكى عنه أن امرأة « حرة » اسبانية الجنس تركية الزوج

كان زوجها مهندساً ، وهي على جانب عظيم من الجمال والصون . وكان لها جارة رفت زوجها من الخـدمة . وقد علمت زوجته أن وساطة الحسان لا ترد لدى ذلك الموظف . فتوسلت الى جارتها الاسبانية أن تتوسط لها لديه وهي معروفة بأدابها وصونها . فأتته هذه ذات يوم ترجوه في أمر جارها الفقير اشفاقاً على امرأته وأولاده ، وهو يطلب عملا يعولهم به . وقالت ان الرجل وزوجه الحا عليها كثيراً أن تأتي وترجو سعادتكم لتوظيفه بالوظيفة الفلانية خدمة للانسانية . فأجابها الرجل انه لا يليق بكرامتها أن تأتي الى دائرة الحكومة بين كل هؤلاء الاقوام ، بل حفظاً لمقامها ، ورغبة في اكرامها الاكرام اللائق يجب أن تشرف بيته ، وهو يقدر لها هذه الرغبة الانسانية في خدمة عائلة فقيرة . وقال لها ان حرمنا هنالك يقومون بواجبك . فتشرفت حضرتها في بيته وقابلها حرمه وأكرمها كما وعدها ، فاستأنست وظنت في الرجل خيراً . وفي عرض الحديث أبان لها أنه مهتم بالأمر الذي شرفت لأجله ، ولكنه يتوقع ازالة بعض الصعوبات التي تعترض سبيله . وسألها أن تشرف بعد غد . وفي الوقت المعين شرفت وهي تأمل النجاح ، في خدمة عائلة محتاجة . فبالغ في اكرامها وتبجيلها واستمالتها ، وكان لها أمامه موقف ازابال أمام انجلو في رواية « واحدة بواحدة » وعنده من يغريها في زيادة القربى اليه .

قال الراوي وما زال ذلك الزنيم الفدم يتلاعب بعواطفها ورقة شعورها ، ويهاجم نفسها ويغريها بالوعود والاكرام حتى تمكن منها ، وهي تظن أنها جادت بأعز ما عندها له ، ولا أقدر أن أبين كيف تم الأمر ، ولكن الذي أعرفه أنه أوجب عليها ان تندرج في عداد

حظاياه، اللاتي كان يقدمهن ليلاً لعشرات الموظفين الفرنسيين ، الذين كانوا يؤمون بيته ليلياً لهذا الغرض . وأخيراً استخدم الوسيلة المعروفة عنده ، وهي التهديد والارجاف . فهددها بافتضاح أمرها اذا هي أبت ، ورأت نفسها بين الموت والافتضاح ، فآثرت الاول وانتحرت ستراً لعرضها ، وأعراض ذويها .

قال راويها ، وليست هي الحادثة الوحيدة من نوعها فقد أردى الرجل كثيرات منهن على هذه الصورة . وكان حصن الدفاع المنيع عنده الفرنسيين . فكانوا يدافعون عنه لانه الآلة التي بها يصطادون بنات البلاد ونساءها .

قد يحتج عليَّ مسيو بونسو ، أو أحد قراء هذا الكتاب قائلاً :ـ ان ما أوردته من الشواهد على فساد اخلاق رجالنا ، غير واضح ، ولا مثبت . فأجيب اني ولا ريب اعترف بصعوبة الاثبات . لا لتعذره عليَّ ، بل لأن أدبي يحول دون ذلك ، على أني احتراماً لفخامة المفوض السامي ، ونزولاً عند رغبة القراء أورد بعض الشواهد المسندة ومنها

٣ : رواية الترزي

حدثنا السيد صادق الترزي ، قال : روى ابو عبده البلوداني قال : —

ان سيدة نصرانية مستورة ، ومعها ابنتها ، وهي في شرخ الصبا . وعليها مسحة غير قليلة من الجمال . كانت راكبة في قطار درعا — الشام . وصادف وصولها الشام ، على أثر هجوم الثوار عليها في ت ١ سنة ١٩٢٥ ، فنزلتا في محطة القدم ، وسارتا في طريقهما مارتين

بالثكنة العسكرية مستأنستين بمن فيها من الجنود . وكان هنالك بعض الاكواخ والبيوت التي هجرها الارمن، خوفاً من حملات الثوار. وقد حل تلك المحلات بعض الجنود الفرنسية . فهجم على المرأتين أربعة من أولئك الجنود — حماة الاعراض — فصاحتا تستغيثان . ولا تسل عن درجة الذعر والخوف التي بلغتاها . فكان صراخهما مما يذيب مهجة الجلمود . ولكن أولئك اللئام لم يكونوا ليرعوا حرمة ولا واجباً. فحملوا الفتاة ودخلوا بها عشهم الجهنمي لافتراسها، على جاري عادتهم ، فهرعت الوالدة الى بوابة الميدان بالصياح والعويل وهي تنادي : — « الاعراض يا بني الاعراب ، يا آباء العذارى ، يا اخوة المصونات ، العرض لله وللسلطان ـ دخيلتكم ، بجيرتكم ـ النجدة النجدة والوحى والوحى » . فاستفزت المروءة أبا عبده البلوداني ، ورفيقاً له . تلاهما أربعة رجال من الشرطة بأسلحتهم . وهجموا على الاكواخ لانقاذ الفريسة البريئة من ايدي الضواري . فاهتدوا الى مقرها من صرخاتها، الصادرة منها بصورة لا يمكن وصفها . فكانت تصيح كأنها تحت سكين الجزار، وهي مستلقية الارض ببطنها حرصاً على أثمن ما تملك العذارى. فهجم الستة على الفرقة وكانت ساعة تقشعر لهولها الابدان . والتحم الصراع بينهم وبين الفرنسيين ردحاً من الزمن ، كان الفوز فيها حليف المنقذين . فاستردوا الفتاة من بين ايديهم ، وهي في حالة الاغماء ، والدماء تسيل منها ، لانها مع حرصها على عفافها ، لم يمكنها ان تمنعهم من عمل سدومي ، فسارت امام الستة مسلمين، حماة الاعراض، ودماؤها تسيل على الكعبين .

فماذا يظن المسيو بونسو ان سيكون تأثير ذلك في نفوس الشرقيين؟.

ايظن انهم يحترمون فرنسا ويحبونها ، ويتعلقون بأهدابها ؟. اني اترك الجواب لفطنته .

واليك مثلاً آخر وهو : —

(٤) زوج الجندي

حدثنا السيد صادق الترزي ايضاً عن ابي احمد الشعار قال :ــ ان جندياً سنغالياً مسلماً ، في الجيش الفرنسي ، تزوج من امرأة دمشقية . وكان ساكناً خان دنون لحراسة السجناء ، الذين نقلوا من القلعة الى ذلك الخان ، لانفاذ الاحكام المبرمة عليهم ، بالاشغال الشاقة

وفي ذات عشية تأخر الجندي عن ميعاده، فقلقت امرأته . ولما لم تطق صبراً خرجت تطلبه ، بصحبة امرأة من عجائز الحي . فلما وصلت معسكر خان دنون وجدت ان الجنود قد برحوه الى نقطة أخرى. فقفلت راجعة الى البيت،لان زوجها غير موجود. ولكن الجنود الفرنسيين هجموا عليها واغتصبوها، وعددهم يربو على المائه . وما زالوا بها واحداً فواحداً ، حتى فاضت روحها بين أيديهم . فدفنوها بالقرب من القدم . وقال أبو احمد الشعار المذكور :ــ اني عرفت هذه الحادثة ، التي حدثت قبيل الثورة السورية،من العجوز التي صحبت تلك المنكودة الحظ . التي ماتت مظلومة مسحوقة الروح . وكانت العجوز رفيقتها قد هرعت الى الكسوة تستفز ذوي المروءة والحمية لنجدة المرأة .

هنا اقف وأقول. لست ادعي ان هذه الفظاعة محصورة بالفرنسيين. حاشا. فكل البشر بالويل . ولكني اسأل هنري بونسو ، وأسأل كل فرنسي وكل فرنسية معه هذا السؤال : اعجيب ان يثور من صدق هذه القصة على الفرنسيين ؟ :

وهنالك نقطة هي غاية في الاهمية، لا ادري اذا كان فخامة المفوض قد انتبه اليها ، وهي سمع ان بعض الجنود المغاربة والسنغاليين انسحبوا من صفوفهم في أثناء المعارك وانضموا الى الثوار . فيجوز لك أن تفهم ان زوج هذه المرأة يمثل قسماً منهم ، انتقاماً لعرضه المستباح .

(٥) البدوية

حدث عبد الكريم رعد ، من أهالي السويداء ، في ٢٨ ك ١ سنة ١٩٢٥ قال : —

كان المرحوم سليم اللحام ذاهباً في طريق « مسالة » ، فصادف ثلاثة جنود فرنسيين يركبون بغالاً . وبعد بضع دقائق سمع صوت امرأة تستغيث بأهل المروءة . فالتفت فرأى جندياً رابعاً، غير الثلاثة الاولين ، يعارك فتاة بدوية من عربان المساعيد ، قصد اغتصابها . فأخذته الحمية ، فهجم على الجندي اللئيم يصارعه ، حتى تمكن من انقاذها من بين يديه . ولما فاز بانقاذها سار في طريقه . فما كان من الجندي الفرنسي الا ان صوب بندقيته نحوه . وأطلق عليه النار مرتين ، فأصابه الطلق الاول في رأسه والثاني في خاصرته ، فأرداه قتيلاً . فشكا أخوه الامر لحكومة السويداء ، وطلب معاقبة الجاني فاستحضرت الحكومة البنت البدوية ، وشهدت بواقعة الحال تماماً ، وهي لا تعرف التصنع والاغراض . وأبانت علائم المشادة على جسمها وملابسها . فحكمت المحكمة باعطاء السيد حسن اللحام ثمن دم أخيه خمسين ورقة سورية ، أو عشرة جنيهات مصرية ، وهي أقل من ثمن بغل . فأرسلوا الجاني منفياً الى باريس . وبعد ذلك عادت اوراقه الى دمشق الشام تفيد براءته . جرت هذه الحادثة سنة ١٩٢٢ .

هل يستغرب فخامة مسيو بونسو ان تكون امثال هذه الحادثة من مضرمات الثورة . سنة ١٩٢٥ . والا فماذا يعمل قوم ابيحت اعراضهم ، وهدرت دماؤهم ، لدى حكومة الانتداب ؟

روت صحف كثيرة في الوطن والمهجر ،حادثة كهذه تماماً ،حدثت في بيروت . اذ اختطف الجند امرأة الدكتور (. . . .) وساروا بها الى الحرج . وما زالوا بها حتى فارقت الحياة. اضرب عن ذكر اسمها احتراماً للموتى . والقارىء يرى دون ادنى تكلف ماذا ستكون نتيجة هذه الحوادث .

والقصص من هذا النوع تحصى بالمئات وليس بالعشرات . وكلها تدل على استهتار حكومةالانتداب بالشرف القضائي ،وبحقوق الاهلين. ان حادثة واحدة من هذا النوع كافية لاضرام نار الحرب .

(٦) يوسف بن عبد الغفار

قال الدكتور امين بك رويحة :— كنت انا ،والدكتور علي بك الشواف ، ونصري بك سليم ، وشقيقه المرحوم فؤاد بك سليم ، مع يوسف بك عبد الغفار باشا الاطرش ، وهو فتى يافع . فقص علينا القصة الآتية ، دون ادنى تصنع ، قال : — كان الكبيتان كاربييه ، حاكم جبل الدروز ، خارجاً الى شارع السويداء في احدى الليالي ، فرآني في الطريق . فقبض عليّ ، وقال بلهجة الحدة « اين كنت »؟. قلت اني اقضي السهرة في بيت فلان الفلاني . فقال سر امامي اودعك السجن لانك مشتغل بالسياسة.فأكدت له ان ليس هنالك من سياسة، ولم اكن الا ساهراً بسيطاً عند صديق لا يعبأ بالسياسة . فأمر من حوله من الجند ان يسوقوني الى بيته . ولما وصلنا امر باعداد سرير

لي في نفس غرفة نومه . وأنا اجهل ما وراء ذلك من المقاصد . فخشيت كثيراً حتى كادت تخونني القوى . ثم امرني كاربييه ان انزع ثيابي ، فنزعتها وأنا ارتجف . وشد ما كانت دهشتي لما طلب مني الكابيتان ما تطلبه الفواحش من الرجال . وشرع يداعبني مداعبة (يوجب الادب اغفال تفصيلها) وأنا أؤكد له أني لست من ارباب تلك الفعال ، لست من الفساق الفجار . (يقول مؤلف هذا الكتاب ان تتمة القصة عيب ولذلك اضرب عنها صفحاً) . ثم نصح لي بأخذ المقويات وشرب الخمور للتمكن من اجابة رغبته . وأعاد على الكرة ، المره بعد المرة . وأخيراً وافيته بأحد فحول الجبل القادرين علي سد مطلبه . ومرّ على ذلك مدة ، والرجل عنده يقوم بواجبه . على انه خانه الحظ ذات يوم ، فعرَّج عمّا كان بينه وبين كاربييه . فأُتي به هذا ونزع عنه ثيابه ، وربطه بشجرة ، وما زال يضربه بالكرباج حتى اعدمه الحياة .

هنا وصلت بالكتابة ، في سوء آداب كاربييه ، موقفاً لا اجرأ فيه على تحريك قلمي ، اشفاقاً على الاحفاد ان اكون قائدهم الى الفساد ، والعياذ بالله . . . . . .

اجتمعت بالسيد يوسف افندي العيسمي ، مفوض سلطان باشا الاطرش في قهوة الشانزليزه بمصر . وقصصت عليه حكاية يوسف بك عبد الغفار ، لا تثبت من صحتها . مع اني استقيتها عن مصدر ثقة . لكني كنت حريصاً ان لا اكتب شيئاً غير معقول في القوم ، مخافة اضاعة الثقة . ثم سألته : — ماذا تظن يا يوسف افندي ، اصحيح ما يروى عن كاربييه من امثال هذه القصص . فنظر الي نظرة جد وقال : — أتظن ان كاربييه كان يتستر في فعال كهذه ؟ . قلت فماذا اذاً ؟ . قال .

لا . بل كان يفعل ذلك جهاراً على مرأى ومسمع كل واحد . فكان ينتقي من الجند من يظنه صالحاً لخدمة شهواته الدنية ويذهب في ضوء النهار، امام عيون جميع الناس، كأنه ذاهب لشرب فنجان قهوة دون ادنى تستر. وجميع اهالي السويداء يعرفون ذلك. فاكتب ما على عليك دون ادنى ريب . فانك مهما تكتب لا تظلم هذا الانسان. لان فواحشه معلومة عندنا . وهي احدى اسباب القيام على الفرنسيين »

قد لا تكون كل هذه القصص صحيحة، ولست ادعي صحتها. ولكن نقطة النظر هي هذه :ـ ما هو تأثير حكايات كهذه في الذين يصدقونها، وهي تملى على مسامعهم عن دولة اجنبية اوربية لا يحبونها ؟. أفعجيب ان تقوم امة كهذه ثائرة على دولة كهذه ؟ .

هذا هو كل البحث. فليس الموقف قضائياً ، لاستحضر شهود عين عدولاً ، وأثبت على كاربييه وعسكره ما رويت منه نماذج . ولو رمت ذلك لكان ميسوراً . ولكن ليس هذا هو المقصود . ليس المقصود الصاق تهمة برجل. لا . بل تبيان العلاقة بين ما شاع عنه وعن امثاله، وبين الثورة . اعني ان هذه المرويات، طبعاً ، تصغر الموظفين الفرنسيين في عيون الدروز والمسلمين ، الذين يحسبون الفحشاء عاراً . واذ يسمعون اخبار التعدي على المحصنات بصورة تقشعر منها الابدان تثور نفوسهم للانتقام . فاعتقاد القوم في كاربييه وجنوده ، وضباطه مارويته هنا ، ينتهي ولا شك بالقيام على دولة الانتداب . فيجوز للمؤلف ان يقول : — رسخ في أذهان القوم من قديم أن فرنسا معهد الفسوق في الدنيا . ثم رأوا وسمعوا ما أثبت لهم ذلك . فثاروا على حكومتها ليقلصوا أظلال السيادة الفرنسية في بلدهم انقاذاً لها من الانغماس في

حماة هذا الفساد . وبعبارة أخرى قد تكون أضبط . ان السوريين ثاروا — لا على فرنسا — بل على موظفين اعتقدوا فيهم فساد الاخلاق . وقد يقول قارىء :— وماذا يهم السوريين مسالك كاربييه ورفقائه الادبية، ماداموا قائمين بواجباتهم الحكومية ؟.

الجواب على ذلك يحتمل كثيراً من الاسهاب . ولكني أتحرى فيه الايجاز . فان رجلاً كمسيو بونسو ، وقد عاش في وسط اسلامي ، وخبر عواطف القوم وتقاليدهم ، لا يمكنه ان يسأل هذا السؤال . بل هو يعلم جيداً ان دولة هؤلاء رجالها لا يمكن ان تستقر سيادتها على أمة هذه تقاليدها

ثم لو ان تصرفات الفرنسيين المشار اليها محصورة مع نسائهم وأولادهم لهان الخطب . ولكن تجاوز هذه التصرفات الى محصنات، يغتصبهن اللئام ، بالقوة ، عن قارعة الطريق ، ويعتدى على عفافهن ، وينتهي الامر بالموت ، ثم تصدر المحاكم براءة الجاني ، بدم بارد ، ويكون مستند الجناة في كل ذلك قوة فرنسا ، أقول ان مقدمات كهذه لا تترك مجالاً للريبة في نتائجها. والراهن عند السوريين ان أمة هذه أخلاقها لا يمكن ان تعيش . وأن ما يشاع عن موظفي الفرنسيين ، من هذا النوع ، يكاد لا يصدق . حتى ولا تحسن كتابته . مثلا أخبرني رجل عاشرهم وباتوا عنده ليالي وهو فوق الاربعين من العمر قال : — ان موظفي المفوضية من درجة مستشار يتبادلون النساء : فتنام احداهن مع زوج رفيقتها وتحل تلك محلها: فأنكرت عليه ما قال كل الانكار. وقلت اني لا أصدقه ولو رأيته رأي العين . فأقسم الرجل أغلظ الاقسام ، وأكد لي بكل ما فيه من يقين انه يروي لي ماعرفه .

شخصياً . وأني لا أزال في موقفي وهو انكار ذلك وعدم تصديقه . ولكن ماذا يظن القارىء انه يكون تأثير هذه الرواية في نفوس سامعيها؟. وأمثال هذه الرواية تتسلسل نظراً لغرابتها ، وتتناقلها الالسن .وربما زادوا عليها ما لا تليق بي كتابته . افيجهل عاقل ماذا تكون نتيجته في منزلة فرنسا في عيون الناس ؟ . هذا والادلة قائمة على تساهل الفرنسيين في أمر الفسق . سواء في ذلك الاخبار المنقولة عمن زار فرنسا او الظاهر من تصرفات ابنائها وبناتها في سورية

ولكي لا ابعد بالقارىء في مظان الحقيقة اضرب له مثلاً بسيطاً وهو

٨ — الجنرال غورو والآنسات

حملت الينا برقيات أوربا، بتاريخ ٢٤ اذار سنة ١٩٢١ هذه البرقية:—

وصل نحو مائة من الاوانس الفرنسيات صحبة الجنرال غورو، الى بيروت — ليخدمن في المعرض التجاري الذي سيقام فيها

أقول الصدق اني غضبت غضبة شديدة على صحف المعارضين بأمريكا، لما قالوا ان هؤلاء المائة آنسة هنّ بغايا صحبهنّ الجنرال غورو لابتزاز اموال السوريين وهدّ بنيتهم الجسدية والعقلية . وقد نفرت كثيراً من أقوال سفيهة بهذا المعنى . ولكن مراعاة العواطف والتقاليد القومية ، هي من لوازم السياسة . فلنقف عند هذه البرقية ، وندور حولها ، وننصف السوريين ولو قليلاً . فانهم يقولون : —

أولاً : ما مدخل الجنرال غورو في المعرض والاوانس ؟ . ذلك المعرض الذي كان مسيو بيرار يتألم لذكره . . . . . .فالجنرال غورو مفوّض سامٍ يمثل الدولة الفرنسية في سورية .فكان يجب ان تنحصر مساعيه في جسام الامور ، في ادارة البلاد ، وتنظيمها ، ويترك امر

المعارض والأوانس للذين هم دونه في الوظيفة

ثانياً : اذا كانت أولئك الأوانس قد أتين للخدمة في المعرض، فماذا كان منهنّ بعد المعرض ؟ . أين ذهبن وماذا تمتهن كلٌّ منهن ؟ . هل عدن الى باريس؟. وصحبة من؟.أوتغلغلنَ في انديةسورية وفنادقها وخماراتها ؟. نحب ان نعرف.فهل لدى المفوضيات احصاء في امرهنّ؟.

ثالثاً : ما دام السوريون يعتقدون التساهل في الامة الفرنسية ، في امر يحسب في سوريةفي رأس قائمـة الرذائل والمعايب ، وجب ، احتفاظاً بكرامة فرنسا ، نزع هذا الاعتقاد من رؤوس السواد الاعظم من السوريين . واللبيب يفهم ان ذلك الاعتقاد لا ينزع من الرؤوس بقطعها . كلا . بل بالتصرف المنافي الاعتقاد . وأضرب لذلك مثلا . وهو انجلترا في مصر.مر على انجلترا في القطر المصري سبع وأربعون سنة ، ولم يوجد في سجلات الدولة المصرية ، في كل هذه المـدة ان سيدة انجليزية كانت تتجر بعرضها في وادي النيل . فهل سيدات بريطانيا وبناتها من غير الجبلة البشرية ؟. وهل البلاد الانجليزية بريئة من الفحشاء؟.القارىء حر في رأيه،ولـكني لا أعتقد كذلك. بل أرى أن يد السياسة وراء هذا المظهر.أعني ان الدولة الانجليزية، وهي عليمة بتقاليد الشرقيين،أوعزت الى نوابها في الشرق،احتفاظاً بكرامتها،ان لا يأذنوا البغي انجليزية أن تعيش تحت سماء النيل . ودليلي على ذلك أن اللورد كرومر ، المفوض الانجليزي في مصر ، في مدة ربع قرن ، لم يأذن لاحداهن أن تفسق في القطر المصري. أخبرني صديق لي قال:

بلغ اللورد كرومر ذات يوم ان سيدة انجليزية، او ارلندية، تتجر بعرضها. فأرسل وألقى القبض عليها ، وأرسلها ليلاً الى الاسكندرية،

ومنها الى بريطانيا

يقول المعترض، واني اوافقه فيما يقول. انه لو أمر الجنرال غورو باجراء احصاء البغايا في بر الشام. وعرف كم فيهن من الفرنسيات، وأمر بجمعهن، وشحنهن الى اوربا، وسعى لدى حكومة الجمهورية الفرنسية ان لا تدع آنسة تأتي سورية الا محصنة، ولو ان الجنرال غورو، اشفاقاً منه ان لا ينفذ أمره، بارسال البغايا من سورية، أمر باعداد باخرة، وصحبهن بها رجوعاً الى دار شارلمان. فنشرت الصحف البرقية الآتية:—

« جمع الجنرال غورو جميع البغايا الفرنسيات في سورية، من حلب والشام ولبنان، رفقاً بالشعب السوري الضعيف، وحرصاً على كرامة الأمة الفرنسية المنتدبة على سورية، وركب معهن الباخرة شمبليون، والتمس من حكومة فرنسا ان لا تأذن لبغي بالنزوح الى سورية». لو أن هذه البرقية نشرت في الصحف لأعلت، دون شك، منزلة فرنسا في عيون الشرقيين. فهل في هذا الاقتراح شيء من الاجحاف بكرمة الامة الفرنسية؟!

ولكن مادامت الفرنسيات في رأس قائمة البغايا في مصر وفي بر الشام، مع اخواتهن اللاتينيات والاوربيات، والقطران خلو من الانجليزية واحدة من هذا النوع خلو راحة الكف من الشعر، فالنتيجة التي لا بد منها هي: أن الشرقيين يحلون الانجليز في غير محل اخوانهم اللاتينيين من فرنسيين وأوربيين، ولو أن هؤلاء أفضل من اولئك: أليس كذلك ياقارئي العزيز ؟. ألا يؤثر الشرقيون أم الصون على أم الاباحة ؟. بلى

فاذاً اشاعة مائة آنسة صحبة الجنرال غورو، بازاء نفي اللورد كرومر بغي واحدة انجليزية في مصر، تضع فرنسا في غير منزلة انجلترا في نظر الشرقيين، ولو ان الفرنسيات أشرف من الانجليزيات

وأظنُّ اني قد وفيت الموضوع حقه مع التزام النزاهة

الرأس السابع

تبجح الفرنسيين واحتقارهم السوريين

أراني صغيراً بازاء هذا القسم من التأليف . لأن الداء الذي أعالجه صبياني . وقد قيل « ان قاضي الاولاد شنق نفسه » فمنبت هذا الداء الصغارة الروحية . وقلما عالجته اقلام الكتاب . على أني كمؤلف ملزم بتبيان العوامل — كبيرة أو صغيرة — التي خفضت منزلة الفرنسيين في عيون السوريين ، فنفروا منهم ، وأبغضوهم ، وقاتلوهم ، وسيقاتلونهم دون ريب

الذاتية أساس منزلة الانسان الاجتماعية والتاريخية . ومهما يكن من أمر السؤدد والقوة فلن تعليا منزلة شخصية صغيرة . كم أطنبت الصحف في تجلة عبد الحميد خان ، وتبجيل اطرافه ؟. ولكن صغارة روحه وفساد اخلاقه هي التي خلدها التاريخ .وقد صالت أقلام المؤلفين في نظم الروايات الكاشفة عما انطوت عليه نفس رجل كانت الانام تتعبد له ، واليوم ليس من يحترمه او ينسب له شيئاً من العظمة

فكون الفرنسيين أقوياء ، ومتسلطين على السوريين ، هو شيء ، وكونهم معتبرين ومحترمين شيء آخر .والفرق كبير بين الامرين .وذلك واضح كل الوضوح . وهو محور ادارة الفرنسيين الحكيمة ، ومحط أنظار أساطينهم

ولا شك في ان الاحترام والاعتبار هو صدى الشخصية . كما ان الاحتقار والاستصغار هو نتيجة اعلان تلك الشخصية . وللدول وللامم كما للأفراد شخصيات بارزة. ومنزلة كل أمة في الدنيا مبنية على شخصيتها.

فللنفس الكبيرة منزلة كبيرة . وللهمم العالية احترام وافر . وللنفوس الصغيرة منزلة منخفضة، هي مقدمات أسوقها لالفات نظر القراء – ولا سيما الفرنسيين — الى نقطة من أهم النقط في ميدان تأليفي في «فرنسا وسورية »

ولما كانت المقاييس، والأحكام كلها، نسبية، رحم الله البرت انشطين، كان لا بد من المقارنة بين الانجليز وبين الفرنسيين ، لتتعين منزلة هذه بالنسبة الى منزلة تلك ، ولكي يبتدىء التفاهم بين هذا القلم وبين الذهن الفرنسي النبيه ، فأقول : —

جئت مصر في صيف سنة ١٩١٤ وتركيا تغلي كالمرجل ، استعداداً للحرب الكبرى . وكانت التجهيزات الحربية التركية على ساق وقدم ، ومصادرة الأرزاق والأملاك قد بلغت عنان الجو من القرن الذهبي في الاستانة الى خليج العجم

والذين عاشوا في تلك الأزمنة لاينسون مظهر الحركة الحربية التي لم يعرفها الشرق في كل عصوره . فقد اهتزت الأمة الى الأعماق والكل موجفون خوفاً مما سيلده الغد . والأتراك ومحازبيهم من السوريين ، كانوا يشجعون أنفسهم ، ويحاربون مخاوفهم بألفاظ مشجعة، يلفظونها بأفواههم، ولها رنة في المسامع، ولا يعلم الا الله كم كان لها من حظ التصديق في قلوبهم

أمام هذه الحركة ، وهذا الهياج ، لم يكن من جانب الانجليز أقل لفظة يشتم منها رائحة العداء للأتراك . بل بالعكس كانوا يخطبون ودهم، ويحاولون اجتذابهم اليهم ، واعدين اياهم بالغنائم، اذا هم لاذوا بالحلفاء، أو على الأقل اذا لزموا الحياد . ولولا ارتباط أنور باشا وزملائه

طلعت باشا وخليل باشا وجمال باشا ، واخوانهم من زعماء الأتراك — لولا ارتباط هؤلاء — ببرلين ، ارتباطاً محكماً ، فلا يبعد أن انجلترا كانت تفوز باستمالة تركيا الى جانبها . ولكانت الحرب التي وجفت لها القلوب ، وقلبت وجه الأرض مدة أربع سنين ومائة يوم ، كانت ألقت أوزارها في أقل من سنة . ولكن قدر فكان

ليست الحرب وأهوالها موضوع كلامي ، انما أوردت ما أوردته في شأنها توصلاً منها لفكرة أود أن أرسمها في ذهن القارىء ، وهي تكتم الانجليز بازاء تبجح الفرنسيين . وأود استئناف الكلام في مسير الحرب لأبلغ النقطة التي أرمي اليها ، فأقول:—

انه بالرغم من مساعي بريطانيا في القسطنطينية ، وبالرغم مما بذلت للاتراك من الجهود والوعود ، لم تفلح باستمالتهم الى جانب الحلفاء . فألقت تركيا نفسها في احضان برلين ، ودخلت الحرب في جانب دول الوسط . فعلت صيحات الأتراك خمسمائة ضعف ، بأنهم ذاهبون الى مصر . وصارت فكرة احتلال مصر ، وضمها الى الأملاك العثمانية ، محور الأحاديث في الليل والنهار . هذا كان حال الأتراك ، فماذا كان من الانجليز ؟

انهم لم يقولوا : ان الترك أعداؤنا ، وانا نود أن نحاربهم : كلا . بل قالوا ان بعض الأتراك خدعوا ، وبانخداعهم خدعت الدولة بحيل المانيا . قالوا ، ونحن ملزمون بالدفاع عن حدود مصر ، حرصاً على حقوق أهلها وحريتهم . فنروم أن نحميهم من الاستعباد للألمان بيد تركية . هذا كان كلام الانجليز . هل صدقوا بذلك أولم يصدقوا ؟ تلك مسألة أخرى ، لا شأن لي فيها . ولكن المسألة التي أتوخاها أنهم ، صدقوا

أو كذبوا ، كانوا مترصنين . غير متبجحين ، ولم يكثروا من الادعاءات ولا أبدوا صغارة نفس . ولم تقف المسألة عند هذا الحد ، بل تقدمت خطوة الى الأمام ، بل خطوات ، بل أبعاداً شاسعة ، فقد حمل الأتراك على ترعة السويس بقيادة الألمان والنمسويين ، وارتدوا عنها بخسارة كبيرة قررها التاريخ . ونشبت بينهم وبين الانجليز معارك في غاليبولي ، رأى الانجليز بعدها أن الوقت حان للزحف على عربستان ، وكل الأمبراطورية التركية ، وفصل العناصر العربية عنها ، وحصرها في بقعة صغيرة من الدنيا تدعى « الأناضول »

كان ابني ترجمان الجيش الانجليزي على قناة السويس . فكنت أسأله أذاهبون أنتم الى سورية؟ فكان يقول . كلا . بل كل الأوامر والمعدات عندنا هي التزام خطة الدفاع . فمرت سنة ١٩١٤و١٩١٥ وأتت سنة ١٩١٦ وجواب ابني لم يتغير . ودخلت الجيش سنة ١٩١٦ تاجراً ، وكان شغلي شرقي القناة في برية سيناء . فرأيت استعدادات الانجليز دالة صريح الدلالة على نية الزحف على سورية واليك ماورد في يوميتي :—

« برية سيناء في ٢١ نيسان سنة ١٩١٦ . في عربة الشحن شرقي قناة السويس . الجيوش الجرارة زاحفة ، ووراءها صفوف العمال الوطنيين ، وعربات النقل ، والقطار الحديدي ، والسيارات ، والخيول . حركة كبيرة ، لا يفهم حقيقتها الا كبار القواد »

وهذه العبارة الاخيرة «لا يفهم حقيقتها الا كبار القواد» ، نتيجة مباحثة بيني وبين ولدي . فانه كان ينكر أشد الانكار ان الانجليز ينوون الزحف على فلسطين ، أما أنا فكنت عكس رأيه . أرى تلك المهمات والحركات ، لم تكن الا تحفزاً للهجوم الانجليزي على فلسطين ،

وما وراء فلسطين . مع كل ذلك فكلام الانجليز لم يتغير وهو انهم انما « يؤمنون حدود مصر »

سلمنا بذلك معهم مع انه غير معقول ، ان كل هذه التجهيزات ، وفي جملتها مد السكك الحديدية في عرض الصحراء ، وجر مياه النيل بالانابيب ، — كل ذلك — لمجرد الدفاع عن حدود مصر . فلا بد انهم زاحفون الى فلسطين . هذا ما يتراءى لي

بعده كشف الستار ، وبرز ما كان مستتراً ، وزحف الانجليز على فلسطين بخيلهم ورجلهم ، وخاضوا مع الاتراك معارك حامية في رفح والعريش وغزة وغيرها . وحلوا فلسطين . فماذا قالوا ؟. هل قالوا اننا ملكنا فلسطين ؟ . معاذ الله . قالوا اننا نعزز خط الدفاع عن مصر. هذا كل كلامهم

بعد ذلك زحف الانجليز الى سورية . وخاضوا معارك طاحنة مع الاتراك وأجلوهم عن كل عربستان ، وحلوا عواصمها . بغداد والشام والقدس وبيروت وحلب . وحمص وحماه وعينتاب واطنة ومرعش وبلغوا حدود ارمينيا. ولهجتهم لم تتغير « اننا نعزز خط الدفاع عن مصر »

ولما وصلت شنغهاي في ت١ سنة ١٩١٨ كنت أتردد على جاك ازاديان في البوند الفرنسي نمرة ٤ . وهو صديق قنصل فرنسا . ولا أريد أن أثبت هنا شيئاً ضد سعادة القنصل وأهليته ، لان ذلك غير مراد هنا . انما أروي عبارة واحدة عن لسانه وفيها يعلن الفرق بين فرنسا وبين انجلترا. فانه لما أخذ بلاغاً ان ستة آلاف جندي فرنسيين حلوا بيروت — بعد ما طردت الجيوش الانجليزية الاتراك من كل سورية — قال القنصل مغتبطاً « يا خواجه ازاديان ها قد امتلكنا سورية »

قابل هذا الكلام بلهجة الانجليز تتبين الفرق بين الفريقين. لاشك في ان غيري من اخواني السوريين شعر شعوري. فصارت للانجليز عنده غير منزلة الفرنسيين ، لانهم يفعلون ولا يقولون . اجل ان المصريين يذمون الانجليز كثيراً ، وكذلك الفلسطينيون والعراقيون والهنود — كلهم يذمون مطامع الانجليز الاشعبية — ويكرهونهم كمستعمرين وكسادة — هذا صحيح . ولكني اعلم عن ثقة انهم يحترمون صفاتهم كرجال ، أرباب شخصية كبيرة . قال فلسطيني مسلم من الدخصومهم: « انا نكره الانجليز كمحتلي بلدنا ، لكننا لا نجهل الفرق العظيم بينهم وبين الفرنسيين »

ان الموضوع هو : « لماذا حاربت سورية فرنسا » ؟ : وبياني هو ان تصرف رجالات فرنسا في سورية هو العامل في ايغار صدور السوريين عليهم. فاستصغروهم ونفروا لقتالهم. فما هي علاقة ذلك بسياق الكلام هنا ؟ .

الجواب هو

لما عدت من امريكا سنة ١٩٢٢ جلت في شمالي سورية، وأنا صديق حميم للفرنسيين . فجئت برج صفيتا ، وكنت في البرج نزيل جبرائيل افندي بشور. ولا اقدر أن أصف شدة ثنائه على همة المستشار الفرنسي عندهم . وقد أخذني الى بيته ليريني ذلك الرجل المحبوب . ولما القيت محاضرة في البرج على نحو ١٤٠٠ نفس في ساحة البلد — على سطح الكراج — رجاني جبرائيل افندي مرتين ان اثني على فرنسا، ولا سيما على ممثلها عندهم « المستشار فلان »

اقول الحقيقة اني كصديق حميم للفرنسيين كنت أشرفهم عن هذه

الصغارة ، حب المدح في الوجه. لان المدح في الوجه ذم. وبعد المحاضرة عاتبني جبرائيل افندي لماذا لم افه بمدح المستشار ودولة المستشار ، ولا سيما وأنه كان حاضراً . وكان يتوقع أن يسمع ذلك بأذنه ! ! . فأجبته : حقاً اني انتدابي ، واني أحب فرنسا، ولكن مدح الحاكمين في حضرتهم ليس من أوضاعي . فلست مأجور فرنسا ولا اريد ان انادي بمدحها. واذا كان مستشاركم قد فعل حسناً فذلك من واجبه، ولا مدح على الواجب . والذي يعرف جبرائيل افندي بشور وعظمة نفسه يدرك حالاً انه تأدباً سكت عني ـ لاني ضيفه ـ لكنهُ لم يكن راضياً عن عدم مدح المستشار

وفي حمص حضر المستشار الفرنسي حفلة الكلية التي كنت رئيسها. اعني حفلة توزيع الشهادات السنوية . وقال لي انه يزور غير مدارس مدفوعاً بالواجب ، ولكنه عن رغبة يزور مدرستي . فأثنيت على تلطفه . وفكرت في نفسي لماذا ؟ . لماذا يرغب في زيارة مدرستي دون غيرها ؟ . اليست كل المدارس واحدة في نظر فرنسا ؟ . فما الذي يميز كليتي عن غيرها ؟ . بعده دخلنا قاعة الاحتفال ، وأتممنا الواجب المألوف . ولم يخطر لي على بال ان بيننا وبين احبابنا الفرنسيين ادنى بين. ولكنه في اليوم التالي ورد الي بيان من المتصرف انه مستاء جداً، ولن يحضر لنا حفلة فيما بعد . ولماذا ؟ . قال لانكم

١ : رنمتم بالانجليزية بدل الفرنسيَّة

٢: لم تخصوا سعادة المستشار بكلمة مدح. فأجبت على ذلك ان احترام المستشار منعني من مدحه في وجهه . اما الترنيم بالانجليزية فلان الطلاب متهون بها. وقد صار عندنا صف فرنسي ومتى انتهى فانهم ولا شك يرنمون

بالفرنسية . وكنت اظن ان كلام المتصرف ، وأمثال كلامه ، انما هو من اخواني السوريين . ولم يخطر لي على بال انه من الفرنسيين ، لاني كنت انزههم عن طلب صبياني كهذا .

بعد ذلك برزت مسألة مبايعة الحسين بن علي ملك الحجاز، خليفة للمسلمين. والقارىء المتصل بسورية ومحيطها ،والواقف على الماجريات، يمكنه ان يتصور اندفاع الناس لمبايعته، في بلاد يملك فيها اولاده. اعني بها الحجاز والعراق وفلسطين وشرقي الاردن

فهب السوريون مع اخوانهم المسلمين في المحيط العربي لمبايعته خليفة عربياً ، بعد ان خسروا الخلافة بنحو ٦٠٠ سنة .

وأنا كمسيحي لا شأن لي في الامر . وحكمي في اصابة اخواني ، اذا كان هنالك اصابة ، او في خطئهم اذا كان هنالك خطأ ، هو حكمي لنفسي . واعلان هذا الحكم للآخرين هو فضول مني : لان الادب لا يأذن لي ان المس موضوعاً يختص بديانة لست من اتباعها :

فهبت فرنسا لاضطهاد المسلمين الذين يبايعون الحسين .ومن جملتهم صديقي شكري بك الجندي . فأجلته عن وطنه مائة يوم ، وأوصوه ان لا يتشيع للحسين. وكان يوم عيد الجمهورية الفرنسية . واتفق اننا التقينا في حفلة التشريفات . وكان صديقنا المستشار ميترو يمثل فرنسا المحبوبة . وكان سر تشريفاتي عنده معلمنا الجاسوس بيلان . فكنت مرفوع الرأس بهذا الموقف . وشعرت اني ابن عم فرنسا ، او جزء لا يتجزأ من نابليون الاول . ولم تكن الحجب قد انزاحت عن عيني فأرى في المعلم الجاسوس اي عدو ، بل اي عفريت ، يهددني وكليتي بالهلاك . ولست اريد ان آتي هنا على الدور الدني الذي مثله هذا

الجاسوس في صورة معلم . ذلك اتركه لموضعه ، والذي اريد ان اقوله هنا اني وجدتني في موقف يأذن لي بالفخر بكرم فرنسا ، والتفادي والتفاني في حبها وتعظيمها . لاني كنت بين فرنسا وبين ابناء وطني كسيدنا له المجد ، ذا طبيعتين متميزتين وأقنوم واحد . هكذا انا كان لي طبيعة اوربية وطبيعة وطنية. فبالطبع انا سوري وحمصي ، وبالحب انا فرنسي قح ، او اقح من قح . والآن فرنسا تسود الشرق ، وأنا مسرور بذلك طبعاً ، فرأيت من الكياسة والادب استعطاف المستشار على شكري بك الجندي . فلما قال احد الحضور انعيدنا اليوم مضاعف بوجود شكري بك بيننا قلت لسعادة المستشار « ان اكرام شكري بك هو اكرام لنا كلنا » . اردت بذلك ان اشجع المستشار على الانسانية القاضية عليه باحترام رجل وطني كشكري بك الجندي . ولا ادري هل سجلها على المستشار فحسبني في عداد اعداء فرنسا . وبعد ذلك نهض شكري بك ليشرب نخب فرنسا . ففاه ببعض كلمات قضت بها عليه عزة نفسه العربية . حقاً اني لا اتذكر كلماته بحروفها . ولكن العالق في ذهني انها تعرب عن شمم ووطنية . واننا نخضع لفرنسا عن مبدأ لا عن ذل وخنوع . كأنه يريد أن يقول لسنا أذلاء ولكننا أصحاب مخلصون . وكنت أنتظر أن يقول له المستشار ، كما تقضي بذلك آداب الاجتماع ، وكما يليق بممثل فرنسا : ــ يا شكري بك أنا مسرور من حميتك ووطنيتك ، وأؤكد لك اننا اخوان ،وان فرنسا تقدر منك هذا الشمم لانها تقدر الرجال الخ » هكذا كنت اتصور ان المستشار يقول ، ولا سيما اذا ذكر ان شكري بك سليل اقوام كانوا حاكمين في حمص .

ولكن المستشار ميترو كان بعيداً عن كل هذا الشعور . فوقف وبطنه الضخم امامه كنصف كرة يكاد يمس ذقنه . وقال بنشوفة وخساسة للقوم الذين يشربون على مائدته ويأكلون الكعك ما نصه :ـ ان نحن لاطفناكم فما ذلك الا كرم اخلاق منا . فاننا قادرون بخمس دقائق ان ندوس بلادكم من البحر الى الصحراء سهلاً وجبلاً .

قد لطف الترجمان ، رهو حمصي من آل كرامة عبارة المستشار ، فأبدل قوله « خمس دقائق » بقوله بسهولة. ولكن كلام المستشار كان من الخشونة والعجرفة بحيث لا ترجمان صاحب ذوق يقوى على ترجمته . «يمكننا ان ندوس بلدكم بخمس دقائق من البحر الى الصحراء». ان مسيو ميترو لا يؤاخذ اذا فاه بكلام كهذا ، لأنه هكذا ربي ، وهو لا يفرق بين ابن الجندي وبين ابن صعلوك ، لأنه لم يألف في حياته معاشرة الكبراء . ولكن أين تلك الهمة العلياء التي تبجح بها ميترو أنهم يدوسون البلاد ويدوخونها سهلاً وجبلاً بخمس دقائق . فقد مر على الفرنسيين سنتين تعذر عليهم فيهما اخضاع حفنة صغيرة من السوريين . ولولا تنازلهم عن شقة ارض للانجليز طولها ثلاثمائة كيلومتر لكانت سيوف الثوار في رؤوسهم الى اليوم . فكلام المستشار لم يكن الا نزقاً. وما هو محل هذا النزق من الاعراب في موقف كهذا ؟. فلو أن الارمن والموارنة والجراكس ، مع المسلمين والدروز ، ضد فرنسا ، لما استحال على السوريين طرح ميترو وجنوده حيث طرح فرعون وجنوده في القديم .

فكلام ميترو هـذا يشف عن جهل وعن استهتار بالسوريين . ولكن ماذا أقول في الكولونيل نيجر؟. قال هذا في اللاذقية(عن

مقطم ٢٩ اذار سنة ١٩٢١) : نحن هنا في سورية وسنبقى الى الابد لا نحذف من لأحتنا الاحتلالية شبراً : لقد صدق في مقاله ، فانهم لم يحذفوا منها شبراً ولا شبرين. بل حذفوا منها ٩٠٠٠ كيلومتر مربع، أو أكثر وتخلوا عن ولاية اطنة وشمالي ولاية حلب ، مع سناجق لا ثمن لها هي ثغور سورية من نحو الاناضول ، أو ثغور الاناضول من نحو سورية .

قال نيجر ذلك بمناسبة قيام الاتراك وتهديدهم فرنسا باجلائها عن تلك الاصقاع . قد فهم القارىء أن تلك الكلمات ذهبت في الهواء .

فاسمع ماذا كان من نيجر في بيروت:

دعا نجيب بك ابوصوان،متصرف بيروت،بأمرالعسكرية (الفرنسية)، المنتخبين الثانين سنة ١٩١٣ للاجتماع في قاعة السراي القديمة الساعة ١٠ صباحاً . ولما اكتمل عقدهم دخل عليهم الكولونيل نيجر ، المندوب الاداري العام ، يصحبه نجيب بك ابو صوان ومسيو ترابو مستشار الولاية،ومسيو دوازليه ، مستشار المتصرفية . وطلب الكولونيل ان تقرأ أسماء المنتخبين الثانين ، فاذا جميعهم حضور الا اثنين تخلفا عن تلبية الطلب . فطلب الكولونيل من المتصرف (أي أمره) توقيفهما . ثم التفت الى الحضور وخاطبهم بما يلي : —

بلغنا عن ثقة أنكم تسعون في انتخاب ممثلين لكم في المؤتمر المنعقد في الشام . وقد كلفني الجنرال غورو المندوب العالي للجمهورية الفرنسية في هذه البلاد ان أبلغكم ان مؤتمر الصلح قد قرر انتداب فرنسا لسورية كلها . وأنه تلقى الأمر من حكومته بابقاء القديم على قدمه ، ريثما يتقرر شكل الانتداب ، فكل حركة تتعلق بالانتخابات

التي أشرت اليهما تعد مخالفة للحقوق الدولية. وتلقي تبعتها على القائمين بها . وتعرضهم للمحاكم العسكرية . وأنا أنصح لكم (أي آمركم) ان لا تعرضوا انفسكم لسخط السلطة العسكرية »

ولما انهى كلامه نهض انطون بك شحيبر رئيس محكمة التجارة ، وحاول التكلم ، فمنعه الكولونيل نيجر بلهجة شديدة بقوله : — ان الموقف ليس موقف مناقشة او اظهار عواطف ، وابداء آراء . وانما هي أوامر عسكرية كلفت بابلاغكم اياها » .

بمثل هذه اللهجة، وبمثل هذا التبجح يعامل موظفو فرنسا أحبابهم اللبنانيين ، الذين تنازلوا عن حريتهم واستقلالهم ، فمكنوا فرنسا منهم لتوثيق عرى الصداقة والحب . فأنزلهم هؤلاء منزلة العبيد ، الذين يؤمرون ولا يسمع لهم كلام ، بل لا يؤذن لهم بشيء من الحرية أو الاستقلال . حتى استغنى الموظفون اللبنانيون عن موارد حياتهم اباءة ونفوراً ، بدليل ما يأتي : —

«استقال صاحب العزة سعيد بك البستاني أمير الاي الجند اللبناني، لأن الضباط الفرنسيين في لبنان يتعدون على قائد الجند اللبناني » :

أضف الى ذلك ما حدث لسامي بك الصلح مفتش عدلية لبنان مع الموظف الفرنسي «دبس» . فقد اختلف هذان في أمر كان الحق في جانب سامي بك ، والخطأ في جانب « دبس » ولكن الموظف الفرنسي تطاول على سامي بك تطاولاً لا تأذن به آداب الحكومة . فرفع سامي بك أمره لمسيو كايلا حاكم لبنان . وأبان له تطاول دبس . فليسمع القارىء ويتعجب مما قال كايلا حاكم لبنان، قال هذا للشاكي : —

« لو كنت موضع دبس لصفعتك صفعتين »

فخرج سامي بك من حضرته ورفع استقالته من الوظيفة . ومعنى الاستقالة أنه يترفع عن العمل تحت يد حاكم غاشم كهذا . فتناولت الموضوع جمعية لبنان الفتى فقالت ما نصه : ـ

ان جمعية لبنان الفتى لا تعرف سامي بك الصلح مفتش العدلية الذي أهين ، وليس لها علاقة بحضرته . ولكنه يؤلم أعضاءها ان تبلغ الجرأة بالمسيو كايلا الى اهانة أحد مواطنيهم على هذا المنوال الذي يستهجنه الادب الصحيح ، وينفر منه الذوق السليم ويستنكره محبو الوئام . ليقينهم ان مثل هذه الصفات التي يهول بها كايلا لم ينجم عنها في سورية ، وفي المغرب ، سوى ما هو باد الآن للعيان — يعني الثورات الحامية — وحسب البلاد الخاضعة للانتداب ، رغم ارادتها كاربيه واحد .

هذا وليعلم اللبنانيون ان محتلي ديارهم لن يرجعوا عن صلفهم وكبريائهم مالم يلم ابناء لبنان شعثهم ، ويوحدوا مساعيهم وجهودهم لصون كرامتهم ، والذود عن استقلالهم وحريتهم

عن الرئيس
حبيب الياس الزحلاوي

هل يمكني ان اناقش مسيو كايلا عن تصرفه مع سامي بك الصلح ؟. من هو سامي بك ؟. هو موظف كبير من موظفي العادلية — مفتش قضائي — وقد جاء يشكو تطاول موظف آخر عليه لمسيو كايلا ، وهو ينتظر منه عدالة ودماثة اخلاق توجبان على الموظف الفرنسي التزام حده ، ومعاملة أخيه السوري بالتأدب واللياقة . فعلى اي اساس يسمعه كايلا هذه العبارة « السكايلاوية » وهي قوله « لو كنت موضعه

لصفعتك صفعتين » ؟ . هل جرت العادة ان يصفع الحاكم موظفيه في فرنسا ؟ . او هي نعمة خص بها سامي بك لأنه سوري ؟ . انها عبارة كبيرة ، لو حسبنا كايلا شريفاً ، ولا سيما انه قالها في احرج مواقف الثورة ، ولأنه قالها لموظف كريم من اسرة شريفة ، يوجب الادب والنظام رعايته . ولكن هل ذلك أول عهد كايلا بالاحتقار ؟ . فاسمع ما جاء في خطابه في زحلة في فبراير سنة ١٩٢٢ ورد في خطاب مسيو كايلا حاكم لبنان الكبير ، نهار الاحد في مدينة زحلة عند اشارته الى افراد قلائل — سوريين — طعنوا في الحكومة بمناسبة مشروعاتها الاصلاحية ، قال : —

ان مثل هذه الاساليب في المناقشة يجب ان تقابل بالاحتقار ، وذكرت بهذه المناسبة المثل البري القائل « الكلاب تنبح ، والقافلة تسير » .

فعلقت على هذه الحادثة جريدة الاحوال بعنوان « نحن كلاب ولا خجل » ، واليك ما قالته : —

قد استكبرت جريدة الارز كلمة فاه بها كايلا ، وتوعدته ان تسمعه زئيراً لا نباحاً — وقد تم هذا الوعيد في معارك ميشو والسويداء — قالت جريدة الارز ذلك وما علمت انها جاءت بمغالطة لا يقرها عليها الواقع . لان دولته وهو حاكم البلاد ، ومن اعلم بالرعية من حاكمها ؟ . فلو درى ان في البلاد زأرة واحدة لا زئيراً . لما تجاسر ان يلفظ هذه الكلمة ، ولو كان تحت السوابغ في حمير . فالمسيو كايلا اصاب من حيث ارادت الارز ان تجد ممسكاً عليه . وأن هذه الفراسة في علم اخلاق الشعوب هي التي مكنته ان يكون حاكماً للمستعمرات . فانحن الرؤوس لمثل هؤلاء الحكام — الذين جاءتنا بهم الديمقراطية . ليهنىء بعضنا

بعضاً بهذه « المعمودية » الجديدة التي جعلتنا كلاباً . هذا بعض ماجاء في الصحف السورية . وهي ظاهرة واضحة الدلالة على ان احتقار الفرنسيين السوريين من جملة العوامل التي أثارتهم على فرنسا

حادثة صاحب البريد السوري

كتب صاحب البريد السوري بحلب مقالاً ينتقد فيه بعض أعمال صبحي بركات بك ، رئيس الاتحاد السوري ـ حلب والشام ـ وقد يكون الكاتب محقاً في كتابته ، وقد يكون مخطئاً ، فلسنا لنحكم بين البريد السوري وبين صبحي بركات بك . والذي يتبادر الى الذهن ان هنالك قانوناً يوجب على الصحافة الصدق في المقال ، ولا سيما في نقد كبار الموظفين . وأن هنالك عقوبة لمن يخالف نص القانون ، وتحل تلك العقوبة بمستحقها عن يد رجال مخصوصين عينتهم الحكومة للقضاء والجزاء . فالمسألة اذن بين رئيس الاتحاد السوري و بين صاحب جريدة . فهل لك أن تقول لي ما هو دخل الضابط الفرنسي فنك في الامر ؟ . وبأي حق ، وأية صلاحية ، يستدعي الصحافي الاعزال الى « فندق بارون » ويوسعه ضرباً بالعصا ؟ . قال انه أراد ان يعلمه كيف يجب احترام أولياء الامر ، وعدم التعرض لذكرهم ،ظالمين كانوا أو عادلين . ذكرت جريدة النهضة بحلب هذه الحادثة وعدتها مزرية بكرامة الصحافة . ونحن نعدها مزرية بكرامة الامة السورية ، ومزرية بأكثر من ذلك . ولكن الضابط فنك لم يكتف بالعقوبة الهمجية ، التي أحلها بكاتب صحفي . بل أرسل من عنده شاهدين ، يدعو صاحب الجريدة للمبارزة . قال الكاتب «اذا كنت أفردت مقالاً لهذا الحادث الشائن فلكي اذكر واحداً من الاسباب التي جعلت الضعيف يحمل

حقداً على ظالمه القوي ويورث ذلك الحقد لاولاده وأحفاده »

وأرجو القارىء أن يذكر مع هـذه الامثلة التي أوردتها هنا بالضبط ان احتقار الموظفين الفرنسيين لاخوانهم السوريين ، ليس كل ما في الامر من الخطل والعيب . بل هنالك ما هو أكثر خطلاً ، وأوفر فظاعة ، وأبلغ ضرراً وهو أنهـا تعرب عن احتقار الموظفين الفرنسيين للقانون ـ ولا سيما القانون العسكري ـ الذي يوجب عليهم احترام الحقوق ، وامتثال النظام . وأن تصرف الفرنسيين على هذه الصورة يظهر أنهم غير مقيدين بسوى القوة . وبهذه الوسيلة الوحيدة يرومون أن يربحوا امتثال السوريين ورضوخهم ، كما يرى أسلافهم الاتراك . فهل درى مسيو بونسو رصاص من اخترق جسوم الاتراك؟ . هو رصاص اخوانهم المسلمين الذين كانوا يفتخرون بتعلقهم « بمسند الخلافة الانور » هؤلاء المسلمون ، مع كل الربط التي تربطهم بخليفة رسول رب العالمين ، مع كل ذلك ، شرعوا الاسنة والنصال وأغمدوها في جسوم اخوانهم الاتراك . ولماذا ؟ . لأن حكومـة الاتراك كانت باغية . أفنظن أنها أكثر بغياً من حكمكم ؟ . فأي ربط بينكم وبين المسلمين والدروز تشفع بكم عندهم ، وقد ثارت حفيظتهم على مظالمكم ؟ . واذا كانوا قد فتكوا باخوانهم الاتراك ، وهم مسلمون ، لانهم ظلموهم ، فماذا يفعلون وأنتم في حسبانهم كافرون ؟ . أفلا ارعواء . أولا اعتبار ؟ .

مترو وخليل بك الاتاسي

لكل من موظفي المفوضية الفرنسية سقطات ومزايا . أما ميترو هذا فشذ عنهم جميعاً ، بأنه لم يرد أن تفوته احدى المزايا . أعني أنه ينكر على كائن من الناس أن يسبقه الى مغايرة من المغايرات . لذلك

ْراه لم تفته واحدة،في كل فروع القانون، فلم تكفه عدالته في فيروزه ، ولا لياقته في معايدة شكري بك الجندي ، ولا سماجته في كلية حمص الوطنية. فأراد ان يكمل فضائله في معاملة خليل بك الاتاسي من حمص وهو أخو هاشم بك رئيس الجمعية التأسيسية اليوم ، ورئيس وزارة فيصل من قبل. وهو ابن خالد افندي الاتاسي،الذي يدلك على وجاهته ان السلطان عبد الحميد الثاني،سلطان تركيا،أرسل اليه طبيبه الخاص من القسطنطينية الى حمص،لمعالجته يوم مرض . فخليل بك ابن هذا الرجل العظيم ، وأخو ذلك الرجل الكبير ، وسليل أسرة أتاسي الشهيرة ، وأؤكد أن في بيت والده خدماً وعبيداً اكثر أدباً واحتشاماً بألف دور من مسيو ميترو . هذا الوجيه خليل بك الاتاسي مثل أمام هذا المخلوق الغريب الاطوار المسمى «ميترو». وكان ميترو يوجب على خليل بك ان يخضع لارادته في امر مبايعة الحسين . فأجابه خليل بك الجواب الطبيعي الذي يجب أن يقوله كل مسلم «نحن احرار في ديننا، وليس لك من صلاحية للتدخل في الامر »

أفيعلم ابناء السين ماذا فعل ميترو مع خليل بك ؟ . انه هجم عليه وصفعه صفعة السفهاء . ثم هدده بالسجن . وجعل يطارده تحت اسم مشوش الامن العام . واذا كان هنالك مشوش للامن العام فليس هو الا ميترو ، الذي لا يعرف حداً ولا نظاماً ، فقائده نزقه ، ورائده خلقه . على انه ظل مدة يحمل على خليل بك - يروم اذلاله. وأخيراً قابله بعض العقلاء وقالوا له : يكفي انك تعديت على الرجل وصفعته . فاسترح ودع عنك تعقبه ان يوم مناقشتكم الحساب لم يحن بعد

ولا أظن ان القارىء يتوقع أن أورد له كل شاهد على تجاوز

الموظفين حدود صلاحيتهم ، وحدود القانون ، فيمكنه أن يضيف عليه ما يسمعه كل يوم في كل مكان عن استهتار الموظفين الفرنسيين باخوانهم السوريين وتعديهم عليهم

الجنرال دسبري

وهنالك شاهد آخر على تبجح الموظفين الفرنسيين ، وتشبثهم بالظواهر ، وتبيان علاقة ذلك بقيام امم الشرق عليهم . والشاهد المشار اليه هو حادثة دخول الجنرال داسبري القسطنطينية . واليك البيان :

خاض الترك الحرب الى جانب الالمان . فلما طلب الاتراك الهدنة من الحلفاء في ت١ سنة ١٩١٨ عقدها معهم الاميرال كارلتوب البريطاني في مودروس . ولكن ذلك لم يرق الفرنسيين الذين كانوا يعتقدون ان لهم القيادة العامة لجيوش الحلفاء في الشرق . وأنهم هم الذين يجب أن يوقعوا الهدنة مع الترك . فحقدوا على حلفائهم البريطانيين ، ووصفوهم بأنهم هادنوا الترك على شروط غير ملائمة للحلفاء، ليحولوا دون دخول جيش الشرق الفرنسي القسطنطينية دخول الظافر

وبعد مقاومات طويلة تقرر أن يدخل الجنرال فرنشه داسبري القسطنطينية باحتفال مهيب . وقد تم ذلك فعلاً . فاصطفت أساطيل الحلفاء وجيوشهم ، ورفعت الاعلام والزينات . ونزل الجنرال الى البر فحيته البوارج بمدافعها ، وقرعت الطبول ، وعزفت الموسيقى ، ومشى بموكب عظيم قلما شهدت القسطنطينية مثله . هذا ما عمله الفرنسيون . فانظروا ماذا كانت النتيجة . النتيجة هي ان الاتراك تأثروا جداً مما حدث، وكتب سليمان بك نظيف، احد مشاهير كتابهم، في اليوم التالي مقالاً في جريدة « أيلري » بعنوان « يوم اسود » . وصف فيه

ذلك الاحتفال وصفاً مؤلماً مبكياً . فلما اطلع عليه الجنرال داسبري دعا اليه سليمان بك نظيف ووبخه ، وأمر باعتقاله . ويقال انه همّ باعدامه، لولا توسط المتوسطين

ويميل بعض الكتاب ، الذين دونوا تاريخ الحركة الوطنية التركية الحاضرة ، الى اتخاذ يوم الجنرال دسبري هذا مستهلاً لتاريخ الحركة الوطنية . فقد أذكى موكبه روح الشجاعة والاقدام في نفوس الترك . فنفروا الى الاناضول خفافاً وثقالاً لمناقشة الفرنسيين الحساب. فكانت تلك الحركة التي عرفها العالم. وكان خروج الفرنسيين من اطنه وسناجق حلب بدون سلاح نتيجة دخول الجنرال دسبري الاستانة بالابهة والاجلال . . .

حادثة الدكتور شهبندر

واجعل مسك الختام في هذا الباب حادثة حسبها السوريون أفظع ما ارتكبه الفرنسيون تحت سماء سورية . واليك بيانها . جاء سورية زائراً سنة ١٩٢٢ مستر شارلس كراين الاميركي ،الذي كان سنة ١٩١٩ رئيس لجنة الاستفتاء التي أرسلها ولصن الى سورية . وقد مرَّ بك تقريره في الجزء الاول من هذا التأليف . فلما عاد الى سورية زائراً هب الدمشقيون لاكرامه والهتاف له وللحرية . وكان الدكتور عبد الرحمن شهبندر ترجمانه وسميره مدة اقامته في الشام. وفي يوم سفره حدثت في دمشق مظاهرة سلمية ، لم ينشأ عنها أقل ضرر .

وفي اليوم التالي ألقت السلطة العسكرية القبض على الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، وعلى عشرين من وجهاء الامة السورية بين وزير ودكتور ومحام وبك أذكر منهم — مع حفظ الالقاب — حسن الحكيم : خالد

الخطيب : الاستاذ عفيفي : توفيق الحلبي : ثروت الجعفري : نجيب الريس: سعيدحيدر :نديمظبيان : فهمي المحايري:مصطفى المحايري وغيرهم

فسجنتهم في قلعة الشام ١٥ يوماً . وحاكمتهم في محكمة عسكرية فرنسية فحكمت عليهم بالسجن مدداً تتفاوت بتفاوت مراتبهم من عشرين سنة على الشهبندر و١٠ على حسن الحكيم فنازلاً . ثم ساقتهم مكبّلين بالسلاسل والاغلال كمجرمين الى بيت الدين بلبنان وطرحتهم على بلاط الغرفة تسعة أشهر ، وشغلتهم بأحقر أنواع الخدم . فأصاب الدكتور شهبندر من جراء ذلك مرض كاد يقضي على حياته .

ثمَّ ساقتهم السلطة الى جزيرة ارواد وحشرتهم في غرفة واحدة ١٥ يوماً لم يروا فيها الشمس . وظلوا مسجونين حتى قضت معاهدة لوزان بالعفو عنهم . فأخرجوا من السجن دون ، كلام ـ وأكثرهم يظن انهم يساقون الى الاعدام ـ

كل ذلك ولم يجرم أحدهم باراقة نقطة دم . ولا يجهل فخامة مسيو بونسو ان الدكتور شهبندر وزير خارجية سابقاً . أفهكذا تعامل أوربا الوزراء ؟ . ان فخامته دون منصب الوزارة ، فهل يرضى لنفسه أن يعامل معاملة الدكتور شهبندر ؟ . وماذا يتوقع من أهالي هؤلاء الرجال ـ الذين ظلمهم الفرنسيون ظلماً فاحشاً الا ما بدا منهم في الثورة؟.

ان المرارة والحقد الذي تغلي المظالم مراجله في صدور الرجال ، لا تقوي مياه الخديعة والكذب على اخماد ضرامه . فعلى مسيو بونسو ان أراد أن يكون خير ناصح أن يخطر أمته بأن تهيء الاكفان لاولادها في مراكش وسورية لأن النتيجة من جنس العمل . والمستقبل كشّاف .

الرأس الثامن

سقط الزند

قارئي العزيز

انتهيت بك الى موقف الثورة . فما الذي أورى زنادها ؟ .

مهلا . اورسل نظرك الى أوَّل الميدان ، الذي بدأنا منه السير . وقد سرنا ١٦ مرحلة ، أتيت على شرحها بمجلدين . ففي المجلد الاوَّل تسع مراحل ، تحت عنوان الاسباب المعدَّة . وفي المجلد الثاني سبع مراحل تحت عنوان الاسباب المتمِّمة . فالمعدَّة هي عبارة عن مبادىء السياسة الفرنسية الاستعمارية في الشرق . والمتممة عبارة عن خطيئات الموظفين الفرنسيين في سورية . واليك خلاصتها . فامعن فيها النظر

المجلد الاول : وفيه الاسباب المعدة

١ : دخول فرنسا سورية بدون رضا أهلها

٢ : دخول فرنسا سورية راشية

٣ . انسحابها من كيليكيا وشمالي سورية مقهورة

٤ : تقلب سياستها في سورية برياح حزبية برلمانية

٥ : الجاسوسية الدنيئة . وتعرضها للاسرار العائلية

٦ : دمار سورية اقتصادياً

٧ : مزاحمة أبناء فرنسا السوريين في مناصب القضاء

٨ : تعرض فرنسا المسلمين في شؤونهم الدينية

٩ : تعدي فرنسا على لبنان

المجلد الثاني : وفيه الاسباب المتمة وهي : —

١َ : تعرُّض الموظفين الفرنسيين لما هو خارج حدود صلاحيتهم

٢َ : دوس الموظفين الفرنسيين الحق لاجل الرشوة

٣َ : تحاملهم على معاهد العلم الوطنية

٤َ : مشاركتهم اللصوص وسلبهم أموال العباد

٥َ : أكاذيبهم — حتى في بلاغاتهم الرسمية

٦َ : فساد آدابهم الى درجة لا تحتمل

٧َ : استهتارهم بالسوريين . وتبجحهم الصبياني

هذه هي الاسباب ، وقد عززت كلاً منها بأقطع الادلة وأوضح البراهين .وكل ذلك مبسوط في مواضعه. والحكم فيه متروك لوجدان القارىء . بقي أن نعرف كيف أوري زناد الثورة . مَن ، وكيف ، ومتى ، اشتعلت النار؟. وهذا الذي سميته سقط الزند — اوالقدحة — وفي هذه نقط لامعة أمرّ بها سريعاً

(١) موقف الدروز

التزم دروز جبل الدروز الحياد في الحرب العالمية ، مع انهم جزء من الامبراطورية العثمانية . فلم يمدوا الدولة بالمال ولا بالرجال . ومع حلول النائبات بالسوريين واللبنانيين لم يجرؤ جمال باشا على مس الدروز بسوء . فكانوا موئلاً للشاردين ، وغوثاً للملتجئين . وأمدوا اخوانهم في لبنان بالاقوات ، فأنقذوا حياة عشرات الالوف منهم

ولما تقدَّم فيصل بجيشه العربي . وحل مدينة العقبة ، كانوا له اعواناً . ويقال ان رجال سلطان باشا الاطرش كانوا أول من دخل الشام من الجيوش العربية . وظلوا اصدقاء له كل الزمان.وكان الجنرال

غورو صديقاً لهم ، واتخذ منهم حرساً خاصاً ،وأبرم معهم معاهدة رسمية

(٢) المعاهدة بين فرنسا والدروز

١َ : تتشكل في جبل الدروز وحوران حكومة وطنية مستقلة استقلالاً ادارياً واسعاً ، تحت الانتداب الفرنسي

٢َ : تكون هيئة هذه الحكومة وطنية ، يعين موظفوها من ابناء البلاد ، ويكون طراز ادارتها منطبقاً على العادات المحلية وتقدّم الحكومة الفرنسية مستشارين فرنسيين يدربون الحكومة الوطنية على الامور القانونية والادارية ، ويكون مرجعهم رئيس البعثة الفرنسية بالشام

٣َ : يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي ينتخبه الشعب لمدة ٤ سنين

٤َ : يساعد الحاكم في مهامه مجلسان . الاول مجلس الحكومة والثاني اللجنة الادارية لثلاث سنوات

٥َ : ينظم قانون خاص تحدد فيه صلاحية الحاكم ووظائفه ، وصلاحية مجلسيه ، وكيفية تأليفهما

٦َ : الحكومة المنتدبة وحدها تقدّم لجبل الدروز كل مساعدة فنية ، او مالية ، او اقتصادية ، او عسكرية

٧َ : تستثني الحكومة المنتدبة جبل الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية

٨َ : تتولى السلطة المنتدبة وحدها تمثيل الدروز في الممالك الاجنبية

٩َ : وتتعهد بأن لا تجبرهم على الانتظام في الوحدة السورية

١٠َ : مصادر المالية الضرائب والرسوم ، ورسوم المناجم ، ودخل الجفتليك

١١َ : لا تصير ميزانية نافذة الا بمصادقة المفوّض السامي (الفرنسي)
١٢َ : لا تقام حواجز جمركية بين هذا الجبل وبين حكومة الشام
١٣َ : يحق للمجلس ان يطلب من السلطة اسقاط الحاكم
١٤َ : لا تتدخل السلطة المنتدبة ، ولا مجلس الحكومة ، ولا لجنة الادارة، في الامور الدينية، ولا تعزل الشيوخ او تتعرض لتوظيفهم
١٥َ : ويتعهد الفريقان على صون الاقليات

(٣) غدر الفرنسيين بالمعاهدة وبالدروز

اقيم سليم باشا ، بن شبلي الاطرش ، حاكماً على جبل الدروز ، حسب نص المعاهدة مادة (٣)

وحسب مادة (٤) كان له مجلس مؤلف من ٤٢ عضواً فأمر الفرنسيون سليم باشا — لغير علة فيه — ان يستقيل — وهذا غير وارد في المعاهدة — وعينوا موضعه — موقتاً على قولهم — الكابيتان ترانكا. وأمروا سليم باشا أن يبرح الى الشام ، وهناك أمروه أن يقيم فيها ولا يعود الى جبل الدروز . وبعدها مات سليم باشا ، وفي موته أقاويل ، منها أن الفرنسيين أماتوه . ولا أعلق على ذلك أهمية لأنه غير مراد . فاختار الدروز حاكماً عليهم حمد بك الأطرش

أما الفرنسيون فلم يرقهم ذلك . فسحبوا ترانكا وأرسلوا موضعه كاربييه . وجعل كاربييه هذا يفرق بين الدروز . فكان يرسل وراء أعضاء المجلس واحداً فواحداً . ويطلب منه توقيع لائحة بها يطلب ابقاء الحاكم الفرنسي . فاذا أبى العضو توقيع تلك اللائحة كان كاربييه يهينه ويعزله. أفادني ذلك يوسف افندي العيسمي قال :— فعزل على هذه الصورة ١٩ عضواً من ٤٢ ، وأنا من جملة المعزولين . لا جرم ،

وبدون صلاحية ، فقط لأنا أبينا أن نخون بلدنا ونوقع طلب منكر به يطلب ابقاء الحاكم الفرنسي علينا

ثم توسل كاربييه لالقاء الشقاق بين الدروز بأن رفع شأن عبد الغفار باشا . ليوقع بينه وبين حمد بك الذي ولاه الدروز مكان سليم باشا وبأي حق يفعل الفرنسيون ذلك ؟ .

بعده نفى الفرنسيون حمد بك الى حسجه . وكان ترانكا يحلف الدروز ، ويستكتبهم عرائض بطلب ابقاء حاكم فرنسي عليهم . وبهذه الصورة الدنية حولوا الحاكمية من وطني الى فرنسي . فثبت كاربييه حاكماً على جبل الدروز

(٤) كاربييه

تلزمني مجلدات ضخمة لوصف كاربييه ، والفضائح والخساسة التي رووها عنه ، أما الرذائل المنسوبة اليه فلا أدنس قلمي بها،ولا أخدش سمع القارىء. فأتركها جانباً. لكنه كان يتعدى على كبراء الدروز واليك الرواية التالية بقلم فرنسي ، كتبت في جريدة فرنسية معتبرة .

فالكاتب هنري دي كير يليس . والجريدة هي « ايكو دي باري »

قال : « ليس لهذا الاضطراب من سبب سوى الخطيئات الفظيعة التي ارتكبها الجنرال ساراي والكابيتان كاربييه حاكم جبل الدروز »

إسمعوا ياقوم

ليس حنا خباز يتكلم هنا بل أهم صحف فرنسا وأشهرها . قالت بقلم كاتبها النحرير «أن ليس للاضطراب الحاصل في سورية ـ أي الثورة ـ من سبب سوى الخطيئات الفظيعة — تأملوا بهذه الكلمة « فظيعة » — التي ارتكبها المفوض السامي — ساراي — وحاكم جبل الدروز كاربييه»

وأرجو القارىء أن يلاحظ أن فرنسا نفسها صادقت على هذا الكلام . لأنها عزلت الاثنين ساراي وكاربييه . فهل بقي هنالك مجال للريبة، أو المراء، في أن أعظم موظفي فرنسا في سورية هم الذين أضرموا نار الثورة ؟ . لا ريبة ولا مراء

ولكن لئلا يتوهم أحد القراء أني أتسلح بتصريحات جريدة فرنسية بدون مستندات أورد له بعض ما قالت « ايكودي باري » قالت : —

«ظل كاربييه يتكبر على الدروز، ويتحكم فيهم، ويفرط في اجحافهم، والتوسل معهم بوسائل الشدة والاستبداد حتى أثارهم » . فماذا يريد سيدي بونسو اكثر من ذلك ؟. وقد ذكرت الجريدة الفرنسية كثيراً مما فعل كاربييه من الخطيئات . أضرب صفحاً عنها

(ء) الوفد الدرزي

وعد نسيب بك الأطرش الدروز أنه يقنع المفوض السامي بأن يغير الحاكم كاربييه ، ويستبدله بحاكم فرنسي . مع أن المعاهدة تنطق بأن الحاكم يجب أن يكون وطنياً . فلما سافر كاربييه بالاجازة الى فرنسا، عينت المفوضية الكابيتان « رينو » وكيلاً عنه حاكماً على جبل الدروز . فألف الدروز وفداً من أمرائهم ومشايخهم وأعيانهم ، برئاسة الأمير حسن يحيي الأطرش ، وغرض الوفد أن يطلب من الجنرال ساراي استبدال كاربييه « رينو » حاكماً على جبل الدروز . واليك بعض أسماء الوفد : —

١َ : الأمير حسن بن يحيي الاطرش ـ زعيما

٢َ : متعب الاطرش من رساس

٣َ : عبد الكريم أخو عبد الغفار باشا الاطرش من فوشه

٤ : نسيب نصار بك شيخ سالي
٥ : أسعد ابو مرشد شيخ الكفر
٦ : جاد الله بك الاطرش شيخ سلخد
٧ : محمد شرف من تيما
٨ : أبو سلام شيخ طوبا
٩ : فضل الله باشا هنيدي شيخ سجن
١٠ : يوسف الشاعر شيخ أرسان
١١ : محمد ابو علي شيخ السويداء
١٢ : هايل بك العامر شيخ مردك
١٣ : فرحان أبو راس شيخ الرحا

وغير هؤلاء الأماجد . الجميع ٣٦
فرفض ساراي مقابلتهم باحتقار عظيم .

ذهب نسيب بك صديق الفرنسيين الى بيروت في ٧ حزيران سنة ١٩٢٥ مارًّا بزحلة . واتصل خبره بالجنرال في ٨ منه وهو في حفلة راقصة ، حضرها مسيو شفلر ، مندوب المفوَّضية بالشام . فدنا هذا من الجنرال ساراي في أثناء الحفلة وأبلغه حكاية الوفد الدرزي فأجابه المندوب السامي بخشونة

« قل لهم أن يرجعوا من حيث أتوا » .

وعاد نسيب بك الاطرش الى بيروت في ١٨ حزيران مرة أخرى ، وزار زعيمين من زعماء الدروز ، هما علي بك جنبلاط ، والامير امين ارسلان . فأفضى اليهما بحديث خطير . ومما قاله لهما : — أني لا أضمر للفرنسيين شراً . ولكنني لا أريد الكابيتان كاربييه بعد الآن .

وعندي أمور هامة أريد أن أمرّها الى الجنرال ساراي .... »

فرفض الجنرال ساراي أن يقابله مرة أخرى .

فأرسل نسيب بك يقول له « حسناً . فليكن. فالبنادق تتكلم »

وفي عشرين حزيران بلغ الجنرال ساراي ان الدروز يرسلون نساءهم وأولادهم خارجاً استعداداً للثورة .

فقال : ـ « لا أبالي »

(٦) سلطان باشا الاطرش

هو ابن ذوقان باشا. اغتال الاتراك والده . فثأر لأبيه بزحفه على الشام صحبة الامير فيصل ، ملك العراق اليوم . كان سلطان باشا مكرماً لدى الملك فيصل ، وبعد سقوط مملكة فيصل ، جرى لسلطان باشا مع المفوّضية ما أثارهم عليه . ثم حصل التراضي بينه وبينهم . وعاد الى جبل الدروز . ومحل اقامته « القريّة » .

فلما عاد الوفد من بيروت وقد أبى ساراي مقابلتهم اجتمع الدروز، وقطعوا عهداً درزياً . وكتبوا لسلطان باشا يقولون له : —

نحن لا نرى أحداً أهلاً للزعامة سواك . لانك عرفت حقيقة الفرنسيين :

وأخبروه بواقعة حالهم مع الفرنسيين .

وكان عند سلطان باشا نقابة يعتمد على مشورتها ونجدتها واليك أسماء أعضائها

١ : حمد البربور من أم الرمان
٢ : يوسف العيسمي « متان
٣ : علي عبيد « السويداء

٤ : قاسم أبو خير من أورمان
٥ : سليمان الحلبي « عرمان
٦ : علي الملحم « ملح
٧ : فضل الله الأطرش
٨ : صباح الاطرش
٩ : حامد قرقوط
١٠: عبد الله الاحوط

وركب سلطان باشا ليعايد تومي «رتان» وبعض الموظفين الفرنسيين في السويداء . فلما كان على بعد عشرة كيلو مترات من رساس جاءه انذار انه اذا وصل السويداء فلن يعود (لان الفرنسيين مستعدون للقبض عليه غدراً)

فعاد سلطان من ثم الى بيته في القرية. وكتب للفرنسيين يقول:— كنت قادماً لمعايدتكم. لكنني وجدت الحكومة مرتبكة ، مما دل على ان عندها سوء نية . فرجعنا لخدمة السلام في بيوتنا .

فأرسلت اليه الحكومة توفيق بن فارس الاطرش ، مع ضابطين فرنسيين، قالا له:— ان الحكومة آسفة لرجوعك عن زيارة السويداء ، ويمكنك الآن استئناف الزيارة . فأبى سلطان باشا أن يسمع لهما .

وجعل القائد الفرنسي نورمان يطوف الجبل صحبة ثلاثة آلاف عسكري ليري أهالي الجبل ان عنده قوة عسكرية يرهب جانبها . وأمامهم أدلاء وطنيون عددهم ٢٠ نفراً . كان هؤلاء يأمرون القرى أن تهيء ما يلزم للحملة الفرنسية من علف وضيافة

وبعد تجوال الحملة في الجبل ـ ارهاباً للدروز ـ عادت الى قرية

العفيفة قرب السويداء .

فورد اليهم أمر سري بالهجوم على القرية ، والقبض على سلطان باشا بدون شغب . ولـكنهم لم يوفقوا لان سلطان باشا لم يكن هناك . وأنذر أخوه الحملة انها . « ان تقدَّمت حاربناها » : فارتدَّت .

(٧) وثائق رسمية

تبين اجراءات المفوضية الفرنسية وراء الستار

بيروت ١١ تموز سنة ١٩٢٥

من الجنرال ساراي المفوض السامي الفرنسي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان ، الى حضرة مندوب المفوضية لدى الدولة السورية — مسيو شفلر

«ارجوكم ان تدعوا الى دمشق المحرضين (الدروز) وبينهم حمدي بك ونسيب بك، ومتعب بك ، وعبد الغفار بك ، وسلطان باشا الاطرش، بحجة انكم تريدون ان تسمعوا شكواهم ومطالبهم . حتى اذا حضروا ابلغوهم اني اعدهم مسؤولين عن كل اضطراب يقع في الجبل . وأني ابقيهم رهائن عندي ، في مكان تحتم عليهم الاقامة فيه . وستعنون بابلاغهم المكان الذي سيختار لهذا الغرض.»

(ساراي)

ارأيت يا مسيو بونسو كيف تضرم نيران الثورة ؟ .

ارأيت اصابع من اضرمتها . مهلا . ليس هذا الكل . فاسمع . وليسمع من يحب الحق اني اخوه وصديقه اياً كان .

في ١٣ تموز حضر ثلاثة من آل اطرش آمنين — لثقتهم بفرنسا — فقبض عليهم في الحال وأرسلوا الى تدمر. ولا ذنب لهم الا الثقة بفرنسا

قال هنري دي كيريليس في ايكودي باري : —

تأكد القومندان تومي مارتان (الفرنسي) ان الكابيتان كاربييه قد ارتكب غلطات شتى (في حكمه الجبل) وأدرك خطورة الحال . فكتب في ٨ تموز سنة ١٩٢٧ كتاباً خصوصياً الى ضابط من كبار الضباط المحيطين بالجنرال ساراي ، يبسط له فيه ضرورة السعي لحمل الجنرال على الرجوع عن خطته ، ووجوب اذاعة الحقيقة بين اركان حربه ورجال حاشيته ، قال : —

« اكتب اليك هذه الكلمات القليلة ، على ان تبلغك صباحاً . فأخبرك . ان السكينة مستتبة في السويداء منذ ٢٤ ساعة . وقد ضاعفت التدابير والاحتياطات التي كان يجب اتخاذها من هذا القبيل . وسيتضح في هذا المساء اذا كان كل شيء سائراً على ما يرام . ولكن مما لا ريب فيه انه اذا عاد الكابيتان كاربييه الى السويداء واجهنا الحالة التالية .

١ً : الاعتداء على سيارته

٢ : التمرد في السويداء .

٣ً · الفتنة في الجبل

تلك هي حقيقة لا شك فيها . وسأبسطها بسطاً ضافياً في تقرير ارفعه الى المندوب السامي . ولكن في استطاعتي ان اقول منذ الآن : ان رأيي هو ان يشاطرني ولاة الامور في دمشق . ولا سيا في بيروت رأيي هذا واعتقادي . ويرجح ان يكون قد تم الآن الاتفاق بين آل الاطرش والدكتور شهبندر (المؤلف — قد علمت ان ذلك الاتفاق قد تم ، وأقسموا على السيف والقرآن بالجهاد الى ، اما الفوز او الموت)

وعندي ان ذلك التفاهم لم يقع الا على اثر رجوع الوفد الدرزي

الى دمشق . (وهو الوفد الذي رفض الجنرال ساراي ان يقابله في بيروت) وسأبذل جهدي لاحقق هذه المسألة (مسألة اتفاق الدروز مع الدكتور شهبندر) . . . .

صديقك المخلص

تومي مرتان

قلم المخابرات في السويداء

٧ تموز سنة ١٩٢٧ . نمرة ٦٩

في صباح ٦ تموز زار فريق من نساء السويداء الدرزيات مدام موريل ، قرينة ضابط قلم المخابرات في السويداء ، وقلن لها : « عليك ان تغادري البلدة مع زوجك قبل قدوم الكابيتان كاربييه . لأنه في تلك الساعة ستراق دماء غزيرة»

وأبلغ زعيم من زعماء الدروز ينتمي الى اسرة آل اطرش ، ويعد من اكبر وجهاء السويداء — اللفتنان موريل ، وكان صديقاً له ، ما يلي : —

حيث انك صديقي اردت ان احذرك من البقاء هنا واذا كنت لا تستطيع مغادرة السويداء فالجأ الى القلعة ساعة وصول الكابيتان كاربييه ، لان الدم سيراق ساعتئذ . وقد تقتل في المعمعة ، ولو انهم لا يقصدون قتلك » :

وكان هذا الزعيم حاضراً الاجتماع الذي عقد سراً»

تناول الجنرال ساراي هذا التقرير صباح ١٠ تموز سنة ١٩٢٥ . وفي نفس الوقت اخذ الكتاب التالي عن درعا

قلم المخابرات — درعا — ٨ تموز سنة ١٩٢٥ نمرة ٧٠

الموضوع حوادث جبل الدروز

قرر زعماء الدروز في عكا ، ان لا يقبلوا عودة الكابيتان كاربييه مهما يكلفهم الامر ، وقد أقسموا وأنذروا من يخون

(هو جونيه)

فكان جواب ساراي ما يأتي

بيروت ١١ تموز سنة ١٩٢٥

المكتب المدني نمرة ٦٧٧٣ كتاب ٤

من الجنرال ساراي المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان ، الى حضرة مندوب المفوضية لدى الدولة السورية

لقد قررت أن يعود الكابيتان كاربييه الى منصبه . فاطلبوا من القومندان تومي مرتان أن يتخذ منذ الآن جميع التدابير الضرورية . واذا شاء فليطلب المدد الذي يرى ان الحالة تقتضي ارساله اليه

(ساراي)

دمشق ١١ تموز سنة ١٩٢٥

من مندوب المفوّضية لدى الدولة السورية الى حاكم جبل الدروز

أبلغني المفوّض السامي انه يصرُّ إصراراً قاطعاً على ابقاء الكابيتان كاربييه في منصبه ، وأنه يجب عليكم أن تتخذوا جميع التدابير اللازمة في هذا الشأن . فبلغوا الموظفين سراً ، ولكن بحزم ، انكم تطلبون منهم أن يلزموا الحياد التام . واذا لزم الامر فانزلوا بهم عقوبات ادارية شديدة . واخبرونا بأقرب وقت مستطاع عدد الجنود الذين ترونهم يكفون لحفظ الامن العام في وقت الشدة ، لارفع اقتراحاتكم الى المندوب السامي . وهو مستعد لأن يعضدكم عسكرياً بكل ما في استطاعته

أن يفعل في هذا الصدد

(دليلي دبلوج)

جاوب القومندان تومي مرتان بتقرير مسهب ، ضمنه التحقيقات التي أجراها في الشكاوي المقدمة على الكابيتان كاربييه ، وهو في غير مصلحة المذكور .

وكتب في ١٥ تموز الى دليلي دبلوج يقول : —

أخبرني متعب بك الاطرش انهُ موافق على تعيين حاكم فرنسي . ولكنه أردف ما تقدَّم بقوله ان الكابيتان كاربييه ، لا يدخل الجبل الاَّ اذا ملأت الطيارات الفضاء والجيوش الصحراء . . . . .

(تومي مرتان)

المؤلف : ولكن الطيارات ملأت الفضاء ، والجنود الصحراء ، والسهول والجبال الاشلاء ، وكاربييه لم يدخل السويداء . بل بالعكس تبعه ساراي في الخروج من سورية

وفي ١٨ تموز تلقى مسيو دليلي دبلوج من تومي مرتان ما يلي :—

توجه نسيب بك الاطرش (الذي كان يثق بالفرنسيين وهو الذي كفل غاية ساراي وجاء بيروت يخاطبه كصديق مخلص . فلم يشأ ساراي أن يقابله. وأخجله مرتين. حتى قال — آخر كلام — ان البنادق تتكلم — يقول تقرير مرتان) : — توجه نسيب بك الى عكا . على أثر رجوعه دمشق . وخطب على الدروز الخطبة التالية : —

« تناشدكم أيها الدروز أن تثوروا كلكم عند ما يجيء الكابيتان كاربييه الى السويداء . ولنخل الجبل من كل درزي اذا كان هذا الحاكم سيحكمنا . فالموت خير من الحياة . وحسبنا أن نكون موضع

امتهان واحتقار عند الغير . فأين هي الاحزاب الدرزية .

فقابل المجتمعون هذه الاقوال بأن ألقوا عممهم على الارض ، وأقسموا على الاتحاد (تومي مرتان)

هنا أقف بالقارىء قليلا . وأرجوه أن يفكر قليلا لماذا تشدّد الدروز بهذا المقدار ضد كاربييه ؟ وليذكر القارىء ان الدروز لم يكونوا ضد فرنسا ، ولا ضد الانتداب . بل كانوا مستائين من كاربييه ومنه وحده . وطلبوا ابداله بحاكم فرنسي ، مع ان المعاهدة تخوّلهم حق انتخاب حاكم وطني . فلا بد من أسباب في كاربييه ، وفي من نسج على منوال كاربييه . وهذا يرجع بنا الى أدبيات الموظفين كما ابنت ذلك في الرأس السادس من هذا الكتاب . ولذا أراني ملزماً بالاشارة الى آداب موظفي فرنسا وعلاقتها المباشرة بالثورة

(٨) أدبيات موظفي فرنسا في جبل الدروز

أشرت في مواضع من كتابي هذا الى الرذائل الكثيرة التي أجراها الفرنسيون في الشام وفي ارباضها ، وفي جبل الدروز ، وقد طويت كشحاً عن أكثرها « لان الامور الحادثة منهم سرًّا ذكرها أيضاً قبيح » مثلا : روى لي راوٍ منهم والعهدة عليه انه كان عند كاربييه ١٥ من فحول الرجال يؤلفون فئة مخصصة لخدمة له لا تذكر....وأن أحدهم وهو ابراهيم بن حمود الاطرش كان متزوجاً كاربييه كالنساء . وكان يصحبه أنّى ذهب . ولما تمنع عن مصاحبته أرسل فحبسه . ولم يطلقه حتى رضخ لمطالب كاربييه . والروايات من هذا النوع كثيرة وسفيلة . لا أقدر أن أوردها . ولكني أقدر أن أقول ان الدروز كانوا يتداولون هذه الحكايات وكان لها تأثير شديد في نفوسهم . فاحتقروا كاربييه

ومن شدّ أزر كاربيه . واليك مثلاً من حوادث تلك الأيام أخبرنيها شاهد عين ، ثم سألت عنها خبيراً من أعيان الدروز فقال انهم أهل صون ، فهم لا يأذنون بقص ما يحدث من التعديات على أعراضهم . ولكني أروي لك هذه الحكاية مع شديد التحفظ وهي : —

حكاية حسن المرشد

حسن المرشد رجل وقور ، من أهالي السويداء . كان له نسيبة — ليست امرأته ولا ابنته — ولكنها ذات قرابة له ، وله عليها حق الأمر .

هذه الفتاة كانت تتردَّد على اللفتنان « موريل » الفرنسي . فتقوم له ببعض الخدمات البيتية . فتعرَّض لها الكابيتان موريل ، ورفيق له لا أذكر اسمه ، لكنه طبيب عسكري . فأبت الفتاة ، وأخبرت نسيبها حسن المرشد بالأمر . فقال لها ان لا تذهب الى بيت موريل فيما بعد . وكان لا يسعها إلا الطاعة . فلزمت بيتها ، ولم تزر موريل . وأرسل يستدعيها فأبت أن تذهب اليه .

فأرسل موريل ورفيقه يهددانها بالقتل اذا هي تمنّعت عن زيارتهم فأخبرتهما انها على كل حال مهدَّدة . لأنها اذا هي ذهبت اليهما قتلها حسن مرشد . ولذلك لا يمكنها أن تزورهما . فنقم موريل ورفيقه الدكتور على حسن مرشد لأنه حال دون تعديهما على عرض فتاة ذات نسابة له

فأضمر موريل العداء لحسن المرشد ، وكان من وقت الى آخر يتحكك به رامياً الى اهانته انتقاماً .

وفي ذات يوم كان في السويداء احتفال بقدوم زائرين فرنسيين . واجتمعت جموع غفيرة في السوق . فجاء العرقدان الذي كانت وظيفته

الجلد والتعذيب ، لمن أراد الفرنسيون تعذيبه ، هذا جمل يضرب الناس بالكرباج ، ليصرفهم من السوق .

فالتقى بحسن مرشد ، وصاح به : أنا من زمان أريد أن أشرب دمك : والمفهوم ان ذلك كان بايعاز من موريل ، لأن حسن المرشد صان عرضه فلم يأذن لموريل أن يدنسه . فأوعز موريل الى هذا الجلاد ان يهين حسن مرشد

فضربه العرقدان بالكرباج على رأسه ضرباً أليما جداً

المؤلف — اين شرف فرنسا ؟ . فان الرجال تهان تحت علمها ، فقط لمحافظتهم على كرامتهم . والذين يهينونهم امامهم موظفون فرنسيون أفيمكن دولة ان تثبت وهذا حال رجالها ؟ .

أعود الآن الى الكلام فأقول

تأثر حسين المرشد كثيراً من هذا التعدي وهب للدفاع عن نفسه . فماذا كان من ضاربه ؟

ما كان منه الا أنه رماه بنار مسدسه .

أطلق عليه خمس رصاصات ، فأصابه اصابة خفيفة اخترقت ثيابه ، ولمس الرصاص لحمه . ماذا يظن مسيو بونسو ان تأثير ذلك في الحضور ؟ انهم علموا ان هذا الرصاص اطلق على رجل تحت سماء وطنه لانه احتفظ بعرضه ولم يبحه للموظفين الفرنسيين . فالموظفون الفرنسيون انتزعوا من قلوب الناس محبة فرنسا واحترامها . بل ان موظفي فرنسا داسوا شرف دولتهم بأقدامهم ، لانهم ضحوا بكرامتها وقوانينها الحرة لاجل شهواتهم

ولنحول انظارنا الآن الى جموع الدروز ، الذين كانوا في السوق

ورأوا العرقدان يطلق النار على حسن مرشد . انهم ثاروا عليه ، وعلى رفيقه . فلكموها وساقوهما امامهم الى السراي . أرأيت ياسيدي لماذا استطال الشبان على ضباطكم ولكموهم ؟ . لانهم تعدوا على حقوق الناس وهم في مناصب الحكم

صبراً فلست الا في بدء الاضطراب

أخذت السلطة للامر اهميته . وطلبت تأديب شبّان الدروز . أما موريل والعرقدان فلم تلتفت اليهما . فرسخ في افكار الامة الدرزية ان فرنسا ليست في البلاد لنصرة الحق بل لدوس الحق . ولكن ماذا يعملون امام القوة ؟ . قام عبد الغفار باشا ، وجمع ثلاثة عشر من الشبان . وابنه معهم . وسلمهم للسلطة حسب اوامرها ، قائلاً : — هؤلاء هم الثائرون فاستلمتهم السلطة وأرسلتهم الى الشام وسجنتهم حتى استفحل أمر الثورة، وافتداهم الدروز بالضباط الذين أسروهم في المعارك

أرسلت السلطة الشبان الدروز الى الشام ، لانهم أنجدوا الشهامة والمروءة . أما موريل ورفيقه ، اللذان تهجما على أعراض الناس ، وعكرا صفاء الأمن فكانا حرين . وليس ذلك فقط بل فرضا على السويداء غرامة مئتي جنيه . وتسليم حسن المرشد ، وهدم داره من الأساس ، أو الى الأساس

فاجتمع الدروز ، وتداولوا في الأمر . فرأوا أن يجيبوا طلب السلطة . ففرضوا المبلغ وجمعوه ودفعوه للسلطة . أما حسن المرشد فأجابوه أنه غير موجود . أما بيته فحسب أوامر السلطة صار تفريغه من النساء والأثاث وهدموا بعض حجارة من أعلاه لانفاذ أوامر السلطة

ولكن موريل لم يبرد غليله . بل أزبد وأرغى . فقال لا نقبل الا

بهدم بيت حسن مرشد الى الأرض . ولماذا ؟ ليس الرجل خائناً،ولا لصاً،ولم يتعد على أحد. انما هو شهم،وقد حملته شهامته على صون عرضه

هذا كل جرمه

فهل أرسلت فرنسا رجالاتها الى الشرق لتميت الشهامة من رؤوس الرجال ؟!

والا فما هو جرم حسن مرشد ؟

لما بلغ الشبان اصرار موريل على هدم دار حسن مرشد ، وهم يعلمون أن موريل هو المتعدي ، قاموا وقعدوا . وصاحوا : لا تهدم دار حسن المرشد وفينا رأس على بدن :

وكان سلطان باشا في زيارة قريبة من السويداء . فبعثوا اليه خبراً. وحمسوهُ واستنجدوه. فأراد أن يتوسط بين السلطة والأهالي. فأوعز الى السلطة قائلا : — « اذا لم تعفوا عن دار حسن مرشد فانكم تكونون قد أضرمتم الثورة بأيديكم » :

في ذلك الحين كانت الحملة التي أشرت اليها آنفاً قدعادت من تجوالها، وألقت الرهبة في قلوب الدروز . ولكن موريل وكاربييه وديتوا وميترو وساراي وكايلا ونيجر ودبس ، وكثيرون من الموظفين ، نزعوا تلك الرهبة من القلوب ، وحملوا الناس على الثورة .

فاجتمع الدروز ، وتداولوا الامر ، فرأوا ان كأس مظالم فرنسا قد طفح ، فقرروا الثورة

فكتب تومي مرتان لسلطان باشا يطلب منه أن يأتي الى السويداء . فأرسل سلطان باشا يعتذر فكرر تومي الطلب وكرر سلطان باشا الاعتذار . وأخيراً أرسل تومي مرتان أربعة ضباط ليجلبوا سلطان باشا

بالقوة . فقبض سلطان باشا عليهم ، واعتقلهم . وبدأت الثورة في ٢١ تموز سنة ١٩٢٥ وظلت اكثر من سنتين . كلفت فرنسا ١٠٠٠٠ مليون فرنك وحياة عشرين الفاً من الجنود . وكان يمكن اتقاءها لو كفت فرنسا أيدي موظفيها الذين ليسوا أكفاء . أو على الأقل لو أنها سمعت للدروز وأبدلت كاربييه بخلفه رينو

مناقشة الحساب

هنا اقف . وأحول نظري الى فخامة مسيو بونسو ، لا بين ـ ولكن بتأدب ـ ماكان منه ، او من رجاله من العدالة . ولا اعتمد هذه المرة الا تقاريره الرسمية . فقد نشر في اوائل نيسان سنة ١٩٢٩ بلاغاً رسمياً عن حوادث حمص هذا نصه :

«خدع بعض اصحاب الجرائد مخبرون متحيزون تحيزاً يؤسف له في اخبارهم عن الحالة في حمص ولذلك وجد من اللازم نشر هذا التصحيح .

منذ ثلاث سنوات يحتكم في هذه المدينة رجلان يمتهنان الشقاوة احدهما نظير النشيواتي وهو اشهرهما حكم عليه بالسجن عشر سنوات عادة نهب مع استعماله السلاح قبل وصول الفرنسويين الى سوريا وقد فر من السجن في سنة ١٩٢٢ وأما خيرو شهلا فقد قتل في سنة ١٩٢٦ متصرف حمص . وهناك شقي ثالث اسمه عمر المجرص الذي بعد ان استفاد من العفو الاخير انضم اليهما بعد ان قتل في ٩ اذار (مارس) سنة ١٩٢٩ راغب النشواتي ابن عم الشقي الأول وكانت قوى الشرطة العادية غير كافية ولم تكن تلاقي ادنى مساعدة من الاهالي بل كان هؤلاء الأهالي يكنون الأشقياء اما خوفاً او عطفاً من وجود جميع المآوي المتوالية التي كانوا يحتاجون اليها للاختباء فوجد اذن من اللازم

اتخاذ تدابير استثنائية على اثر الجنايات التي اقترفت في ١٨ شباط (فبراير) و٩ اذار (مارس)

اما هذه التدابير فأهمها منع التجول وقفل المحلات العمومية الى الساعة ٩ وكان قد اجل تنفيذ هذه التدابير الى آخر رمضان ليتمكن المؤمنون من حضور صلاة المساء وما كانت الجناية الاخيرة التي وقعت عند الساعة ٩ ونصف في اهم ساحة من المدينة فلم يعد من مجال للعواطف . وحيث انه اصبح من الراهن ان الاشقياء يلاقون مساعدة من الاهالي فقد فرض عليهم غرامتان متواليتان الأولى على محلة باب الدريب حيث وقعت جناية في ١٨ شباط والأخرى على سائر المدينة بعد جناية ٩ اذار .

ان اصحاب الشكاوى التي ارسلت الى الجرائد لا يذكرون ان الأهالي قبلوا بدون ادنى تذمر غرامات فرضها عليهم الاشقياء يفوق مجموعها قيمة غرامات الحكومة .

هذا ولما كانت قوى الشرطة غير كافية ارسلت فرق الخيالة التي نظفت الغوطة من اولاد قطاط الى حمص واضطرت الخيالة الى الاستيلاء موقتاً على بعض اماكن لايواء الجنود ايواء موافقاً .

واذا لم يكن لدى السلطة تعليمات دقيقة كافية اضطرت لمدة من الزمن ان تقوم بتنقيبات في الأحياء المختلفة من المدينة لبداية التفتيش .

وقد قام بعض المخبرين السيئي النية بضجة عظيمة بهذا الصدد غير انه يجب ان لا يغرب عن البال انه عندما كان الأشقياء ينزلون بالرضى او عنوة في بيت ما ما كان احد ينطق ببنت شفه او ليخبر عنهم السلطة .

لم يجر قط سوء معاملة على امرأة ما وعلاوة على ذلك فانه بعد الانتهاء من التفتيش وفي اثناء اجتماع العسكر كانت القيادة مستعدة لاستماع شكاوى الأهالي فلم يقدم لها الا عدد قليل منها وكانت تستجاب عند ما تكون محقة .

الى الآن لم يذهب ضحية التفتيش الا شخصان كانا منذ زمن بعيد يأويان الاشقياء ويعطيانهم التعليمات اللازمة لهم فانه في اثناء التفتيش الذي جرى في فجر ٣٠ اذار في طاحون مزراح حيث كان الأشقياء قد قضوا الليل وكان من المرجح انهم لا يزالون هناك حاول احدهما الفرار بالقائه بنفسه في العاصي ويظهر انه اصيب برصاصة ولكنه لم يعثر على جثته فليس من المؤكد انه مات وهذان الشخصان ما كانا يجهلان الخطر الذي يتعرضان له بايوائهما مرتكبي جنايات مشهورة واسعة لا يمكنهم جهلها

وقد اضيف الى التدابير السابقة منع الدخول الى البساتين التي التجأ اليها الاشقياء حيث قتل عمر المجرص يوم ٤ نيسان (ابريل) اذ كان حاملاً اربع قذائف يدوية ومسدساً وبندقية وقد استعملها طويلا قبل ان يقضى عليه .

اما باقي الاخبار المنشورة فهي كاذبة . ومما تظهر التدابير المتخذة تجاه اهالي حمص مضرة بهم فلا يمكن تخفيفها ما لم يلق القبض على الأشقياء . فعلى الأهالي ان يضعوا حداً لهذه الحالة التي هم مسؤولون عنها بسبب موقفهم السلبي الذي بلغ من التطرف حداً يقارب ان يكون تواطؤ » م

هل يمكن القارىء ان يرتاب في صحة نسبة هذا البلاغ الى السلطة

الفرنسية ؟ . كلا . فمسيو بونسو نفسه يتكلم رسمياً : فنناقشه اذاً الحساب. فنبين ما في عمله من العدالة ، وما في كلامه من القيمة .

١ً : يعترف البلاغ ان نظير النشيواني ورفيقه خيرو الشهلا تحكموا في اهالي حمص ثلاث سنين . وذلك من سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٢٩

فأين شهامة السلطة الفرنسية ؟ . وأين عدالة مسيو بونسو ؟ . وكيف صح في حكمته ان تطاق ايدي شقيين بأهالي حمص ثلاث سنوات . ويجب ان يعلم القارىء ان نظيراً وقع في ايدي رجال السلطة الفرنسية هو وعصابته فرموهم بالرصاص ، فاخترق صدورهم وجماجمهم، وأولهم نظير رئيس العصابة . وكان ذلك سنة ١٩٢٧ . ولكن رصاص فرنسا كان غير قتال ... فكيف عاش الرجل ؟.

هنا عجيبة مدهشة . وتعليلها هو ان العدالة دفعت عنه لأنه دفع الى ضباط السلطة مبلغ مائتين وثمانين ليرا عثمانية ذهباً . سلمها نظير للضابط قائلين اعط هذا المبلغ لأخي بعد موتي . فكان ذلك الضابط الفرنسي اخاه ، وقبض المبلغ . وبهذه الحسنة الروحية اخترق رصاص الضباط صدر نظير وجمجمته . ولكنه لم يمت وظل حياً .

فأين شرف فرنسا ؟ . وأين الشهامة العسكرية ؟ .

٢ : يعترف البلاغ ان خيرو الشهلا قتل متصرف حمص ـ فوزي بك الملكي ـ سنة ١٩٢٦ . ويعترف ان هذا الشقي « خيرو » يحتكم في مدينة حمص ثلاث سنين بعد قتل المتصرف . فهل ولاه الفرنسيون موضع متصرف حمص القتيل ؟ . وإلا ، فكيف يقتل شقي متصرف حمص ، والجيوش الفرنسية تملأ السهل والجبل ، ويظل يحتكم في حمص مدة ثلاث سنوات ؟ فاذا كانت يد السلطة بيده فليست بالسلطة الشريفة

ـ لانها شريكة اللصوص ـ واذا كانت نزيهة ، ولكنها عجزت عن القبض عن قاتل اكبر موظفيها ، بل ظل ، ذلك القاتل ، ثلاث سنين يحتكم بحمص ، فتلك السلطة لا يشد بها ازر ، لانها عاجزة . وعجزها معيب . فكيف تضبط البلاد اذا عجزت عن ضبط شخص واحد ؟ . هذا موقف نناقش فيه فخامة مسيو بونسو الحساب . فهل كان عدم قبضكم على خيرو الشهلا عجزاً منكم اوجناية ؟ . اجب ياصاحب الفخامة. وبين لماذا تأخرتم عن ايداء هذا الواجب ؟ .

الا يحق لنا ان نناقش السلطة الفرنسية على هذه الصورة ؟ .

٣ً : يصرح البلاغ ان الاهالي لم يساعدوا السلطة في امر القبض على نظير . ولذلك « فقد فرض عليهم غرامتان » . اي ان السلطة فرضت على الحمصيين غرامتين ماليتين مع فقر الاهالي ووقوف دولاب الاعمال . فكيف ولماذا ؟ .

عجزت السلطة عن القبض على « نظيراً وخيرو » . او انها قبضت منهم دراهم بدل قبضها عليهم.فقامت تكمل مانقصها من العدالة والشرف بتغريمها الحمصيين ـ المسالمين !!...

وهي تعترف ان نظير سبق وغرم الحمصيين . فالسلطة حملتها الغيرة ـ كما تحمل المرأة الغيرة على زوجها اذا هو احب غيرها ـ فأرادت أي السلطة — ان تنتقم من الحمصيين لأنهم دفعوا دراهم لنظير ، افتداء لحياتهم ، فغرمتهم غرامتين . وبذلك ذبح الحمصيون من ثلاث جهات

اولاً : بدفعهم الضرائب التي فرضتها السلطة على عموم السوريين . والجميع يئنون منها .

ثانياً : بدفعهم غرامات فرضها نظير وأرغمهم على دفعها والسيف

على رقابهم .

وثالثاً : غرامة فرضها عليهم رجال السلطة انتقاماً منهم لعجز الجند الفرنسي عن القبض على نظير .

فاذا كانت السلطة المسلحة عجزت عن القبض على شقي ، فكيف تنتقم السلطة من الاهالي ، وهم عزل من السلاح ؟ . افمن واجب الاهالي ، وفي امكانهم ان يقبضوا على شقي عجزت السلطة عن القبض عليه مدة ٧ سنين ؟ واذا كان ذلك الواجب على الاهالي فما هو شغل السلطة ؟ . ولماذا هي في البلاد ؟ . ثم ان السلطة استخدمت راغب النشيواتي ليدل على نظير . وهو ابن عمه . وكانت النتيجة ان راغب قتل في ضوء النهار . فما هو ذنب الاهالي اذا لم يريدوا ان يقتلوا كما قتل راغب ؟ . واية سطوة للسلطة الفرنسية اذا كان من ينتمي اليها يقتل في ضوء النهار وتعجز عن تأديب قاتله ؟ .

ليس هذا كل ما في البلاغ . فاسمع وتعجب ولا تعجب مسيو بونسو الذي هو موضوع هذا التأليف .

٤ً : ان البلاغ يعترف بأنه قد ذهب ضحية التفتيش « شخصان » والحقيقة انهم ثلاثة . فنكتفي بما قال البلاغ . ولكنه لم يذكر من هما . ولا قال كيف ولماذا قتلا . فحكايتهما واردة في مقدمة هذا الكتاب . فارجع اليها . وتأملها . وهنا التفت الى مسيو بونسو فأقول

مسيو بونسو

تعترف ببلاغك انه قتل في حمص شخصان بأيدي رجالك . فبأمر من كان القتل ؟ . ابحكم محكمة قانونية ؟ . ومن هي تلك المحكمة ؟ . ومتى عقدت جلستها ؟ . وما هو قرارها ؟ .

الا جواب ؟

ان اديب مندو وشريف الحلبية غير محكومين . وليس عليهما دعوى. ولا مطلوبان ، وليس بيد رجال السلطة تفويض بجلبهما ، او سؤالهما انما هاجمهما رجال السلطة وهما في دائرة عملهما ، ظناً منهما ان نظير عندهما في المطحنة . فأتوا ليقبضوا عليه ، لا اكثر . واذا لم يجدوه جعلوا يعذبون صاحب المطحنة اديب ليدلهما عليه . وعذبوه . وعذبوه. وعذبوه . وما زالوا به حتى مات . مات بأيدي رجال فرنسا . فهذا التعذيب غير مشروع . وليس بأمر ، او اباحة من سلطة قانونية . ثم رموا شريكه بالنار فقتلوه . وكل ذلك وليس هناك ثورة . ولا قيام على الحكومة ، ولا ضرورة حربية . لان السلطة قابضة على زمام الامور.

فيا مسيو بونسو .

أبأمر منك قتل اديب مندو وشريف الحلبية بحمص ؟ فاذا كان بأمر منك فلماذا ؟ . وما هي صورة الامر ؟ . وما هي حيثياته ؟. ومتى كتبته ؟ .

الحقيقة يا سيدي انك لم تأمر بقتل القتيلين . والثابت عندي وعندك ان لا محكمة ولا قرارات اجرائية طلبتهما .

فاذاً هما بريئان في عين العدالة . ولكنهما قتلا. فكيف قتلا ؟. اسمح بأن اسألك هل قتلا خطأ ؟ .

اي هل كانت السلطة تطارد الاشقياء فأصاب رصاصها هذين الرجلين ، فماتا قضاء ؟ . كلا ثم كلا . ليس هذا الواقع .

فاذاً لم يقتلا بحكم محكمة ولا بأمر فخامتك ولا خطأ : ولكنهما قتلا . وقاتلهما ضابط يحمل شرف فرنسا واني اطلب منك ان تقوم

بحق هذا الشرف . فقل على من تعود مسؤولية قتلهما ؟ . هل ناقشت القاتل الحساب ؟ . او هل انهيت له بنيشان « لجيون دونور » الا هذا ولا ذاك ؟ . لا هذا ولا ذاك . فلا يستحق الشرف لانه قاتل عمداً . ولا نوقش الحساب ، لان السلطة تحميه . فعلى من توقع تبعة القتل ؟ . وما هو حظ السلطة الفرنسية في هذا الموقف ؟ .

اجب يا فخامة المفوض .

ان بلاغك كسياستكم في سورية كلاهما ناقص . كذلك تقاريركم في لجنة الانتداب في جمعية الامم ناقصة . وقد راجعتكم اللجنة قراراً تطلب منكم « بيانات » . فأين ان كان عندك من بيان ،

اذا قامت عدالة في الارض تطالب حقوق قتيلين قتلا في حمص « اديب وشريف » فمن يد من تطلبهما او تطلب حقوقهما ؟ . انك تتعجب من ان السوريين حاربوكم . لا بأس . اني اقف امامك كرجل لاريك الحقيقة . فها انا امامك لا ثائراً . ولا عدواً . ولا متستراً بل رجلاً يريد ان يصدقكم . فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فقد قلتم بريئين فلماذا ؟ . وأين صار دم القتيلين ؟ .

يحزنني ياسيدي ان ليس عندك جواب . فعلام اذاً تلوم الثوار . هل عندك من علاج لاجراءاتكم في سورية غير ثورة دموية ؟ .

انتهى الكتاب الثاني وسيليه الثالث فالرابع وفيهما فضائح السياسة الفرنسية ورجالها في سورية

فهرس

صفحة

في طريق الحرية

من اعتقال البارودي الى سفر الوفد الي باريس

جمع وتنظيم

انور العش

١٩٣٦

دمشق * مطبعة الاعتدال

الاهداء

الى الذين ضحوا براحتهم في سبيل امتهم ! . .

الى الذين جاهدوا ستة عشر عاما

الى الذين صبروا بقوة جبارة وايمان ثابت

الى الذين كتب لهم النصر في سبيل القضية السورية

الى المجاهدين بأموالهم وأرواحهم

الى أولي البأس الذين يهزءون بالعقبات

الى الذين وضعوا خدمة امتهم نصب اعينهم

الى الرجال اليقظين الذين لا ينامون عن خدمة وطنهم

الى الرئيس الجليل وأعضاء الكتلة الوطنية الأكرمين

نهدي هذا الكتاب الذي هو باكورة اعمالنا

والهدية على قدر مهديها

انور العش و فريد شورى



دولة الرئيس الجليل هاشم بك الاتاسي

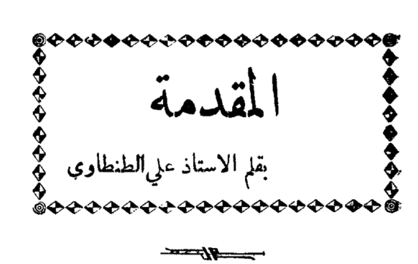


جميل مردم
لطفي الحفار
سعد الله الجابري
نسيب البكري
فارس الخوري
فخري البارودي
فايز الخوري
احسان الشريف
شكري القوتلي
عبد الرحمن الكيالي



صورة جامع الكتاب ، الكشاف انور العش





المقدمة

بقلم الاستاذ علي الطنطاوي

لما سألني الشاب الاديب السيد انور العش تقديم هذا الكتاب للناس،وأخبرني بانه سيسجل فيه حوادث دمشق تسجيلاوسيصفهافيه وصفا دقيقا ، ويؤرخها تأريخا صادقا ، عرتني الوان من العواطف ، فأحسست بالسرور والابتهاج ، والخوف والاشفاق ، سررت وابتهجت حين وجدت في شبابنا من تدفعه همته ، ويحفزه وفاؤه لوطنه ، واخلاصه في خدمته ، الى اقتحام هذا السبيل الشاق ، والاقدام على هذا العمل الكبير ، وخفت واشفقت ان تقوم العثرات في طريق هؤلاء الشبان ، فيقعدوا عن اتمام هذا العمل ، او يخرجوه على غير الوجه المطلوب ، وترددت في كتابة هذه المقدمة ، برغم اني اعدها شرفا لي عظيما ، وكدت اتملص منها ، لا لاني موظف يفر من التبعات ، ويهرب من المعركة ، فاني من غير هذا الطراز من الموظفين ، واني أقدم ابدا الواجب الوطني على كل شيء بل كدت اتملص وأعتذر ، لاني تهيبت هذا العمل ، وخشيت ان اكون غير موفق فيه ، وكيف استطيع ان اقدم للناس كتابا لم اره ، وكيف الخص في صفحات قليلة حديث هذا الجهاد العظيم ، جهاد خمسين يوما ، ابدت فيها دمشق من ضروب البطولة والتضحية والاتحاد والثبات ما تؤلف فيه الاسفار الضخام ، ويذهب احاديث في الناس...

خمسون يوما ليست عظمتها في هذا الاضراب الشامل،ولا في هذه المظاهرات الدامية ، ولا في القتال والنضال، بل العظمة والعبرة في هذه الترتبة الوطنية العجيبة التي اثبت الشعب السوري انه بلغ فيها غاية الغايات ،فكان في اتحاده واجتماعه على فكرة واحدة ، وتحمله الجوع والالم في سبيلها ، واقدامه على الموت من اجلها ، مثلا أعلى للشعوب القوية الحرة . وما ظنك بشعب فقير ، ينقطع فيه التاجر عن تجارته ، والصانع عن صناعته ، والاجير عن عمله ، والطفل عن مدرسته ، ثم يؤلفون جميعا صفا واحدا ينتزع حقه من افواه البنادق ، ونوافذ الدبابات ، ويسجل تضحيته بالدم ثم لا يشكو احد ولا يتبرم ، فالعالم فيه وطني ، والجاهل وطني ،والمرأة العجوز ، والطفل الصغير ، كل اولئك وطني ، قائم بواجب الوطن . . . كأنه قد درس الوطنية عشرة اعوام في اكبر الجامعات .

وما ظنك بشعب تودع فيه المرأة ولدها وتدفعه الى الشوارع ليجاهد ويناضل، ثم ينعى اليها ،ويحمل اليها ميتا، فتسير في جنازته ضاحكة مسرورة تهتف و(تزغرت)؟

وتدع المرأة اولادها بغير عشاء لتدفع ما معها من المال للفقراء من ابناء الوطن؟

لقد وقع هذا ، واخبرني به احد الثقات ،قال : كنت ادور مع من يدور لجمع التبرعات ، فمررنا على دار قوم اغنياء فاعطونا ربع ورقة سورية ، فعجبنا وغضبنا وعتبنا ، ثم عرض لي امر فعدت لبعض شأني فسمعت المرأة تقول لاولادها:

ـ ربع الورقة التي استقرضناها ، قد ذهبت ، ولم يبق معنا شيء ، فلا تقولوا امام ابيكم انكم جائعون . . . . .

فعلمت لماذا دفعت ربع الورقة ، انها لم تكن تملك غيرها ، وان امامها لأطفالا جياعا ، ولكنها آثرت حبها وطنها على حبها اولادها . هذه هي عظمة جهادنا الوطني ، وهذه هي عظمة الشعب السوري الذي عمت فيه العقيدة الوطنية الناس

كلهم ، وامتدت من الزعيم الاكبر . الى آخر عجوز في البلد . ان لي عمة عجوزا لما سمعت انهم اعتقلوا فخري البارودي اصبحت مريضة ، وان لي اخا طفلا صغيرا كان يبكي لاني منعته ان يذهب الى ساحة القتال ، ومثل عمتي كل امرأة في البلد ، ومثل اخي كل طفل في المدينة ...

لم يعد هذا الشعب غافلا فقد انتبه ، ولم يبق نائما فقد استيقظ ، ولم يعد جبانا فقد تشجع حتى غدا لا يهاب شيئا ، يعترض طريقه الى المجد والحياة ...

ان هذا الشعب الذي خرج من المجد ، قد سعى بطلب المجد .

ان حفيد الفاتحين الذين ملكوا الدنيا ، لا يكون مملوكا في داره .

ان الدم العربي قد غلى في عروق العرب وتحرك ، وان التاريخ العربي قد دوّى في الاسماع ، وقد هب العرب ليكتبوا التاريخ العربي مرة ثانية .

ان اجدادنا ما خرجوا من الجزيرة العربية بالمدافع ولا بالطيارات ولا بالغواصات ولكن خرجوا بقلوب استنارت بنور القرآن ، واهتدت بهدي الاسلام ، وتسلحت بقوة العقيدة ، واننا سائرون على السنن ، لن ننهزم ولن ننخذل ، مادامت العقيدة باقية ، والاسلام موجوداً ...

انه لا قوة الا قوة الحق ، ولا مجد الا مجد التضحية ...

***

ان المستقبل لنا ، فقد نشأ اطفالنا في (مدرسة الخمسين يوما) نشأة وطنية ، لا تدع مجالا للريب في ذلك ، وان هذه الحوادث ستختمر في رؤوسهم وتنضج حتى اذا صاروا رجالا ، دفعتهم دفعاً الى حياة كلها عزة وجد وكمال ، وجعلت منهم شعباً ممتازاً ، لا يستطيع الخونة والمنافقون ان يندمجوا في صفوفه ، ويعيشوا بين ظهرانيه ، فلو لم نربح من هذا الجهاد الا هذا ، لكان كثيرا ، فكيف وقد ربحنا

غير هذا شيئاً كثيراً . .

واني لا أجد حرجاً في ان اعدّ هذا الكتاب الذي حدثني عنه السيد انور العش وسألني تقديمه للناس من هذه الارباح ، ذلك ان ايامنا الماضية قد مرت كلها دون ان يكتب فيها تاريخ جامع ، ووصف دقيق ، ولم يبق منها الا بقايا في الاذهان فاذا نحن لم نتفرغ لدرس هذه الحوادث وتسجيلها ، مرت كما مر سواها ، ثم نسيت كما نسيت ، وخسرنا بنسيانها سفراً كبيراً من تاريخنا . . .

ثم ان هذا الكتاب اذا كتب له ان يبلغ الغاية التي نريدها له سيكون حلقة من سلسلة طويلة تمتد حلقاتها وتتتابع ، وستخرج من بعده كتب كثيرة في مصر وسورية والعراق ، تصور مظاهر هذه النهضة الجديدة ، المتشابهة المتماثلة ؛ التي عمت الاقطار العربية ، ويكون من مجموعها تاريخ العرب الحديث ؛ الذي ينطوي ان شاء الله على تحقيق الاماني وبلوغ الآمال . . .

* * *

من أجل هذا أتشرف فأقدم للناس هذا الكتاب ، مثنياً على همة السيد انور العش واخوانه ، شاكراً لهم اقدامهم على القيام بهذا الواجب الذي تقاعس عنه كتّاب دمشق وشعراؤها ، داعيا لهم بالتوفيق متمنياً لهم النجاح

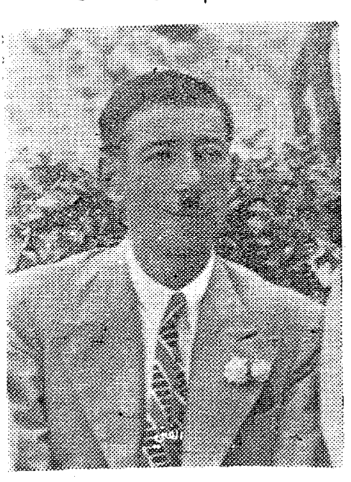
علي الطنطاوي

ليسانسيه في الحقوق

مبدأ جهاد سوريا

اعتقال البارودي

في الساعة الثامنة من مساء اليوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ سجل التاريخ جهاد سوريا العظيم الذي ترك صحيفة ناصعة لا تمحوها يد الدهر ففي ذلك اليوم دخل مدير الامن العام المسيو فردون الى فندق اوريان بالاس وطلب الى السيد البارودي مرافقته الى دائرة الشرطة لاستجوابه من قبل المستنطق للمحاكم الاجنبية ثم رافقه الى حيث طلب اليه ولم يعد فسرت اشاعة اعتقاله بين الناس فثارت ثائرتهم واضطربت احوالهم واخذوا يتساءلون بدهشة واستغراب عن سبب اعتقاله واخيرا ارسل



فخري البارودي اول المبعدين

بسيارة الى الحسجة فأرسلت والدته هذا الكتاب الى صاحب الايام جاء فيه :

ان وحيدي فخري اعتقل ليلة امس ونفي الى جهة مجهولة لا لسبب بل

لأنه يدافع ويناضل منذ طفولته عن وطنه واريد ان يعلم الملأ اجمع ان ليس ما يحزنني أو يزعجني على ابعاده مادام هذا الابعاد في سبيل قضية هذه البلاد التي نفديها نحن ـ آل البارودي ـ برجالنا، ونسائنا، وارواحنا، واموالنا، الى ان يحق الحق وينال هذا الوطن حريته واستقلاله وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون .

والدة

فخري البارودي

اعتقال الأستاذ المأمون



الدكتور سيف الدين المأمون الذي ابعد الي القامشلي

وفي الساعة التاسعة ليلا من اليوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني بينما كان الدكتور سيف الدين المأمون خارجا من منزل السيد جميل مردم بك بالقرب من الجسر الابيض يرافقه الدكتور السيد منير العجلاني اذ برجال شرطة التحري يباغتونه ويقبضون عليه ويذهبون به الى دائرة الشرطة في سيارة خاصة ، ومن ثم ساقوه ليلا الى القامشلي .

اجتماع الاهلين في المسجد الاموي

في اليوم الاول من ايام الجهاد الاحد في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ ذلك اليوم الذي اضربت به دمشق كافة اخذ الناس يتوافدون الى المسجد الاموي .

ولما حانت صلاة الظهر هرع الاهلون والطلاب والشباب الى المسجد الاموي وبعد اداء الصلاة وقف الاستاذ رشيد الملوحي وارتجل خطبة اشار فيها الى اعتقال فخري البارودي واغلاق مكتبي الكتلة الوطنية ، ثم وقف بعده السيد مدحة البيطار وارتجل خطابا ايضافي الموضوع نفسه

المظاهرة الاولى للاهلين

وبعد انتهاء الخطب خرج الاهلون من باب القوافين في المسجد الاموي الى البزورية يهتفون بحياة النائب السيد فخري البارودي وحياة الوطنيين وقداخترقت المظاهرة شارع البزورية فمدحت باشا فباب الجابية

تحطيم حافلة ترام الميدان

وعند وصول المتظاهرين الى باب الجابية شاهدواحافلة ترام قادمة من الميدان فهجموا عليها وحطموا زجاجها بالاحجار ، وقد جرح على ما قيل سائق الحافلة ثم انشطروا الى قسمين وتابعوا سيرهم الى منزل النائب البارودي وتجمهروا امامه يهتفون بحياة النائب المعتقل .

خطاب سنيه البارودى

فاطلت عليهم شقيقتها الآنسة سنية البارودي وخطبت فيهم قائلة :

« ان شقيقي فخري هو ابن الشعب وهو لن يتأخر عن اراقة آخر قطرة من دمه في سبيل وطنه . فليقاس اخي ضروب الشقاء وانواع العذاب فهي كلها هينة ما دامت من اجل الوطن وفي سبيله . واني احمد الله على ان اخي فخري لم يبع بلاده ولم يخن ضميره بل كرس نفسه وماله تلبية لنداء الواجب الوطني المقدس »

فزادت حماسة المتظاهرين وعلت اصواتهم بتحية النائب الوطني المفدى فخري البارودي

الهجوم على مكتب الكتلة

وتدفقت الجماهير نحو مكتب الكتلة الوطنية المغلق والمحتل من قبل رجال الشرطة فحطمت بابه الخارجي ودخلوا الدار .

وقد اطلق رجال الشرطة المرابطون في الدار الرصاص على المتظاهرين الذين هاجموا الدار فلم يصب احد بأذى .

وعلى الاثر اقبل رجال الشرطة فسدوا منافذ الطريق ومنعوا الاهلين من اجتياز شارع الشابكلية واتخذوا الاحتياطات اللازمة امام سوق الحميدية ،ولكن، المتظاهرين كانوا عادوا ادراجهم وتفرقوا من انفسهم .

جرحى الشرطة فى المظاهرة

وبعد ان عادت المياه الى مجاريها وشمل الهدوء المدينة تبين ان عدد الذين

اصيبوا بجراح مختلفة من رجال الشرطة اربعة أحيلوا الى الطبيب الشرعي لمعاينتهم

المظاهرة الاولى للطلاب

يوم الاثنين في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٣٦

اجتماع طلاب الجامعة السورية

عقد الطلاب اجتماعا هاما في تكية السلطان سليم طلبوا فيه من اللجنة السابقة ان تنسحب وألفوا لجنة جديدة لتنظيم حركة الاضراب ، وقد انضم اليها من كل مدرسة طالبان .

وقد عقدت اللجنة المذكورة اجتماعا مستعجلا قررت فيه القيام بمظاهرة كبرى يسير على رأسها الزعماء الوطنيون احتجاجا على اعتقال النائب السيد فخري البارودي ورفع احتجاج الى المسيو روبير دوكه بهذا الصدد .

الزعماء الوطنيون امام الطلاب

وعلى الاثر تقدمت اللجنة موكب المظاهرة التي تألفت من الطلاب فقط وسارت توا الى دار السيد نسيب البكري حيث كان الوطنيون مجتمعين فكلفهم بعض اعضاء اللجنة ان يسيروا على رأس المظاهرة فوافقوا على ذلك وسار السادة :

جميل مردم بك ولطفي الحفار ونسيب البكري وشكري القوتلي في طليعة المظاهرة التي اتجهت نحو محطة الحجاز وهناك قابلهم رجال الشرطة المرابطون تجاه فندق اوريان بالاس ويبلغ عددهم زهاء مائتي شرطي بخوذهم الفولاذية وتروسهم الحديدية وعصيهم الغليظة فوقعت معركة بين الطرفين دامت ربع ساعة



معالي شكري بك القوتلي



معالي جميل مردم بك



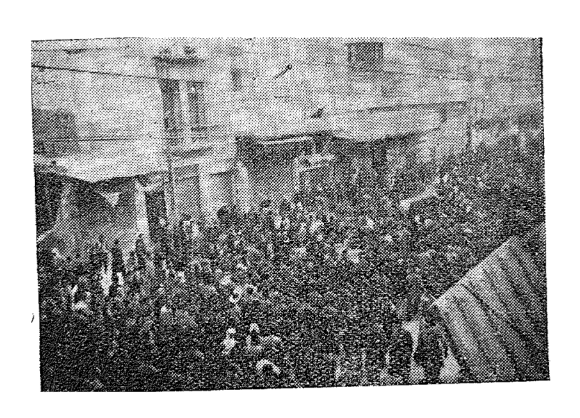
معالي لطفي بك الحفار



معالي نسيب بك البكري

معركة بين الشرطة والمتظاهرين

وقد انفصل الزعماء الوطنيون عن المظاهرة وقابلوا المسيو كران وأعلموه بان مظاهرتهم هذه ستكون سلمية ولكنه منعهم عن متابعة السير وعندئذ اشتبك المتظاهرون مرة ثانية مع رجال الشرطة فانقسموا الى قسمين فاتجه قسم نحو الجامعة السورية وظلوا يتابعون سيرهم حتى وصلوا الي امام دار التجهيز الجديدة فاشتبكوا مع رجال الشرطة والدرك فاستعمل المتظاهرون الحجارة وكانت معركة حامية دامت نصف ساعة



مشهد من مناظر مظاهرات الطلاب

الى جهة الجامع الاموي

وتابع القسم الاخر من المتظاهرين الذي يتقدمه الزعماء طريقه نحو شارع النصر فسوق الحميدية فالجامع الاموي وقد اشتبكوا امام سوق الحميدية بمعركة حامية اسفرت عن تقدم المظاهرة الى جهة الجامع الاموي

اعتقال اكثر من مائة طالب

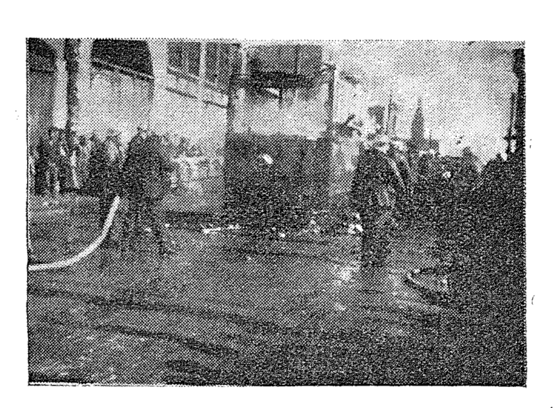
وكان من نتائج المظاهرة التي وقعت بالقرب من الجامعة السورية ان قبض رجال الشرطة على اكثر من مائة طالب لا يزيد عمر اكبرهم عن الثمانية عشر عاما وقد اصطفت فرقة من رجال الشرطة وسارت بالمعتقلين الى نظارة الشرطة ، وبعد مضي خمس دقائق اقبلت عدة سيارات كبيرة حملت المعتقلين الى سجن القلعة ، وقد كانت فصائل الشرطة والدرك تحيط بالسيارات .

اصابة الزعماء الوطنيين بعصي الشرطة

وقد اسفرت المظاهرة التي تقدمها الزعماء الوطنيون في شارع محطة الحجاز عن اصابة السادة : جميل مردم وشكري القوتلي ولطفي الحفار بضروب شديدة من عصي الذين انهالوا على المتظاهرين بعصيهم ، ولقد اصيب النائب لطفي الحفار بضربة شديدة من قبل احد مفوضي الشرطة على يده ، فحمل الى منزله في حالة شديدة من الالم فاستدعى على الفور الدكتور منذر المؤيد لمعالجة هذه الاصابة

المتظاهرون في باب الجابية يحرقون قاطرة الترام

وقد توجه عدد من المتظاهرين الذين فرقهم رجال الشرطة والدرك قبل الظهر الى شارع الدرويشية فباب الجابية فصادفوا حافلة الترام رقم ٤١ في طريقها الى الميدان فانهالوا عليها بالحجارة ففر الركاب وسائق الحافلة وموظفوها وبعد ان تحطمت الحافلة ألقى عليها المتظاهرون قشاً وبترولا وأشعلوا فيها النار فاندلعت



منظر حريق الترامواي من قبل الاهلين وقد وقفت امامه
رجال الاطفاء ليسعفوه بمضخاتهم

ألسنة اللهيب منها ، وبعد نصف ساعة بلغت سيارات الاطفائية الى مكان الحادث وعملت على اطفاء النار التي التهمت الحافلة ولم يبق الا هيكلها الحديدي

على هامش حوادث دمشق

اطفـــــال دمشق

لمن هذه الرشاشات منصوبة في الميادين والطرقات، لمن هذه المصفحات وهـذه الدبابات ، تروح وتغدو في الشوارع والساحات ، لم تحوم في الجو هذه الطيارات ؟

لماذا يساق هؤلاء الجنود من كل جنس ولون فمن الشقر الفرنسيين الذين علموا امم الارض كيف تكون الثورة على الظـالمين ، وكيف تنتزع الحرية من بـين انياب الاقوياء المستبدين الى السمر المغاربة المسلمين الذين جاءوا راغبين اوراهبين ليحاربوا اخوانهم المسلمين الى السود السنيغاليين :

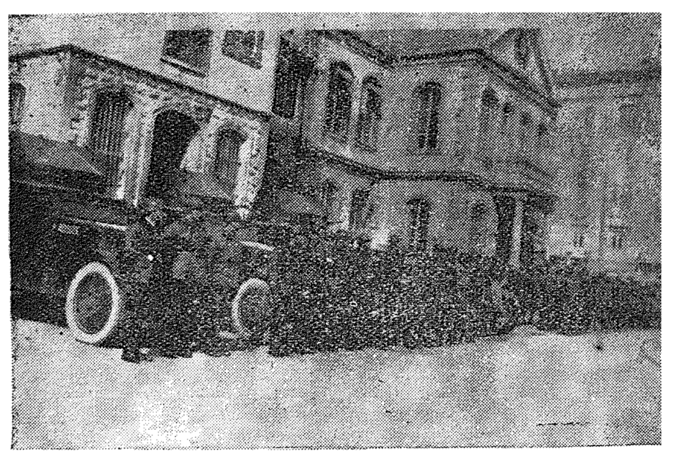
من كل اشمط تدني الموت طلعته   ينساب في لهوات الليل ثعبـانا
زعـانف وعبـاديد برابرة   لا يعرفون لهذا الكون ديانا

الى الصفر الهنديين الصينيين الى هؤلاء « المتطوعة » انصار الباطل ، جزاة الخير بالشر ، الذين اكلوا خبزنا وحاربونا أ كل ذلك لان هذا الشعب الاعزل تحرك ، اكل ذلك لان دمشق غضبت ؟

تيهي اذن يا دمشق واعتزي فما انت بالضعيفة ولا الهينة ، وقد حشدوا لك ما لا يحشدون اكثر منه لقوم هتلر وشيعة ستالين .

كانت دمشق يوم الجمعة صابرة تتجرع حزنها على « ابراهيم » في صمت رهيب، وسكون هائل ، فلم تحرك ساكـنا ، ومـا دمشق بالتي تعرف انة المكلوم ، او استغاثة العاجز ، ولكنها تعرف الصبر الذي لا يصبر عليه الدهر ، او الصرخة التي

يصدع الصخر و يخرج الميت من القبر ، وما دمشق بالتي تعرف هذا الاحتجاج الضعيف ، احتجاج : « اوسعه شتما واودي بالابل » . . . ولكنها تستلقي الضربات بصدر كالجلمود لا يشقق ولا يرفض ولا يأين ..



منظر المصفحات وامامها الجنود المرابطون امام البلدية

وباتت دمشق على هذا الصمت، فلم يمض هزيع من الليل حتي سمعت الصريخ، فأفاقت فزعة ، تسائل : — ما الخبر ؟ — قيل : اختطفوا (فخري البارودي) ابن دمشق يختطف من حضن امه وهي نائمة ؟ .. يا للهول الاكبر ! يا لهفة دمشق ! يا لغضبة البطل الغشمشم !

اقبل ابناء دمشق بايديهم واقبلت هذه الجيوش بحديدها ونارها، وكانت المعارك..

التي يصطرع فيها الحق والقوة ، والدم والنار ، والصذور والحديد ، فبينما معركة من هذه المعارك على اشد ما تكون عليه واذا ...

واذا ماذا ؟ ليس على وجه الارض من يستطيع ان يقدر ماذا كان . . . الا هؤلاء الشاميون وهؤلاء الفرنسيون الذين اكبروا جميعا هذه البطولة التي لم يروا مثلها في التاريخ . . .

واذا خمسون من الاطفال الذين لا تتجاوز سن اكبرهم التاسعة ينبعون من بين الناس ، ويخرجون من بين الارجل ، منهم التلميذ ذو الصدرية السوداء والازرار اللامعة ، قد فر من مدرسته وقمطره لا يزال معلقا في عنقه ، وحمل مسطرته بيده ... ومنهم صبي اللحام ، واجير الخباز ، قد اتحدوا جميعا ، واقبلوا يهجمون بالمساطر على الدبابة وهي تطلق النار ، وهم يطلقون من حناجرهم الرقيقة وباصواتهم الناعمة ، التي تشبه الآلة السحرية التي غنى عليها الفارابي ، فاضحك وابكى ... هذه الانشودة البلدية المعروفة :

وصغارنا تحمل خناجر وكبارنا للحرب واصل
يا اهل الوطن شيلوا الوطن يا بالوطن يا بالكفن

فوقف الناس ينظرون اليهم وقد عراهم ذهول عجيب فارتخت ايديهم بالحجارة التي كانوا يقاومون بها الرصاص ... حتى رأوا الاطفال قد تسلقوا الدبابة وركبوها فاشتعل الدم في عروقهم ، وفي اقحاف رؤوسهم ، فانشدوا انشودة الموت :

« يا سباع البر حومي . . . . . . »

وهم يرعدون بها فتهتز من جهجهتها الغوطة ، ويرتجف قاسيون ، واقبلوا كالسيف الدفاع ...

ولكنهم رأوا الدبابة قد كفت عن الضرب ، ثم انفتح برجها ، وخرج منه

شاب فرنسي يبسم للاطفال ، وان في عينيه لأثر الدمع من التأثر، ويداعبهم ،ويقدم لهم كفا من الشوكالاته و ثم يعود الى مخبئه ! انسانية قد توجد حتى في الدبابات

ورأيت في هؤلاء الصبية تلميذا في شعبة الاطفال من مدرستنا ، وكان صغيرا جدا ما اظنه قد اكمل عامه السابع فدعوته فاقبل حتى اخذ بيدي ، وجعل يرفع رأسه الي يحاول ان يتثبت من وجهي فقلت : — لماذا عملتم هذا العمل يا بابا؟

— فقال : اخذوا فخفي الباغودي « يريد فخري البارودي »

— فقلت ومن قال لك ذلك ؟

— قال : امي ، وقالت لي هلي يموت بالغصاص بغوح عالجنة « يريد من يموت بالرصاص يذهب الى الجنة » — قلت واذا ارجعوا فخري البارودي هل ترضى ؟

— قال : لا ، خلي يغوحوا هدول كان ما بدنا يام « يريد : فليذهب هؤلاء ايضا لا نريدهم » فسكت فقال :

— استاذ ، ليش الاسلام مالهم عسكغ « عسكر »؟

فاصابتني كلمته في القلب ، ووجدت كأن شيئا جاشت به نفسي ثم صعد الي رأسي ، ثم وجدته في قصبة انفي وآماق عيني ، ودق قلبي دقا شديدا ، فتجلدت ومسحت عيني وحككت انفي ، وقلت له :

— انتم يا بابا عسكر الاسلام — قال : نحن صغار

— قلت ، ستكبرون يا بابا ، انتم احسن منا ، نحن لما كنا صغار كنا نخاف من البعبع ، ونخشى القط الاسود وانتم تهجمون على الدبابة فالمستقبل لكم لا «لهم» ..

وبعد فلمن هذه الرشاشات ؟ ولمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ؟ ، ولمن هذه الجنود وهذه الطيارات ؟ انها لم تصنع شيئا،ففتشوا عن شيء اكبر من الموت لتفزعوا : « أطفال دمشق » «علي الطنطاوي»

مظاهرة الاهلين

النار والدماء والشهداء

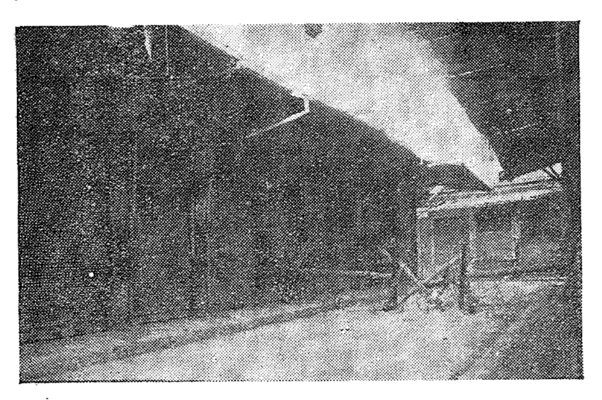
لقد كانت دمشق ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ في وجوم وحيرة وكان الاغلاق عاما وشاملا وقد زحفت دمشق الى مسجد بني امية



((منظر من مظاهرات الاهلين))

بزعمائها ووجهائها واعيانها وشبابها وطلابها واحداثها حتى غص المسجد الاموي الكبير باكثر من عشرة آلاف من المصلين وانتهت الصلاة فوقف احد المشايخ وارتجل خطابا حماسيا وخطب بعده نائب دمشق السيد نسيب البكري فالسيد هاني الجلاد فالدكتور منير العجلاني ، وقد كانت الاستعدادات التي اعدتها السلطة في صباح الجمعة الباكر عظيمة كالدبابات والمصفحات والجنود .

ولما غادرت الجماهير المسجد الاموي بعد انتهاء الصلاة سارت متدفقة الى سوق الحميدية فهجمت على المخفر وحطمت كل ما هو موجود فيه من مقاعد ومناضد واسرة وحطمت زجاج النوافذ وعطلت آلة الهاتف وحاولت التقدم في سيرها فاعترضتها قوى الشركس والشرطة التي اقبلت لتفريقها وكانت ساعتئذ مصادمة عنيفة رشق فيها الاهلون القوي بالاحجار فاطلقت القوى بعض طاقات نارية .



يرى القارىء في الرسم الاسلاك الشائكة في سوق الحميدية اثناء الاضراب

وقد اسفرت هذه المصادمة العنيفة عن قتيل وبضعة جرحى وحمل القتيل سليم بن بكري الحمصاني الحفار الى عيادة الدكتور اديب الجعفري ومن ثم الى داره في حي القزازين . وعاد الاهلون ادراجهم الى الجامع الاموي . اما القوى فقد غادرت سوق الحميدية الذي احتلته بعد ذلك السيارات المصفحة .

وقامت في تلك الآونة مظاهرات اسفرت عن سقوط عدة جرحى حملوا الى عيادة الدكتور كامل الجاجة وكان يعاونه في تضميد جراح المتظاهرين واسعافهم الاطباء

السادة حسيب بيازيد ، توفيق سلوم ، سعيد السيوطي . وكان الاهلون يذهبون بالجرحى بعد اسعافهم الى المستشفى العام . وقد عدت الشرطة هؤلاء الجرحى معتقلين ونظمت بحقهم الضبوط .

وفي اليوم الثاني ـ السبت تأهبت دمشق لتشييع جثمان الشهيد السيد سليم الحفار وفي الساعة الثانيه عشرة غص شارع القزازين بالوف الناس الذين ذهبوا للقدوم بجثمان الشهيد الى المسجد الاموي للصلاة على روحه الطاهرة وكان المسجد مزدحما برجالات دمشق واعيانها شيبا وشبانا ، طلابا ونساء . وبلغ موكب الشهيد المسجد وبعد الصلاة سار المشيعون الى مقبرة الدحداح وقد وقف السيد جميل مردم فالقى خطابا ابن فيه الشهيد الشاب وتلا النائب السيد نسيب البكري بخطاب تابين والقى بعده الاستاذ سعيد البحرة خطابا تابينيا .

مظاهرة السيدات

اما السيدات اللائي اشتركن في تشييع جثمان الشهيد الحفار فقد غادرن المقبرة بمظاهرة الى ساحة المرجة وحاولن اجتيازها ولما منعن اتجهن الى شارع الملك فيصل فالمناخلية فزقاق بحرة الدفاقة فشارع سيدي عامود فزقاق البنا وهكذا حتى بلغن محلة الشابكلية فوقفن امام دار نائب دمشق المعتقل السيد فخري البارودي وتعالت اصواتهن بتحيته في جمل مؤثرة ووقفت احدى المتظاهرات فالقت خطابا حماسيا دعت فيه الى الاتحاد وسارت المتظاهرات في طريقهن الى شارع ابن الوليد فزقاق الحلبوني وهناك وقفن عند باب رئيس الوزارة واسقطنه ومن ثم عدن الى القنوات فالبلطجية فباب الجابية حتى وصلن الى شارع مدحت باشا .

وتألفت في تلك الآونة مظاهرة اخرى من الشباب والطلاب والاحداث تبادلت

والقوى المرابطة امام مدخل سوق الحميدية رشق الاحجار . وسمعت ساعتئذ بعض طلقات نارية . ولجأت القوى بعد ذلك الى الاعتقالات فاعتقلت ثمانية نساء وا كثر من خمسة وعشرين متظاهرا سيقوا رأساً الى سجن القلعة . وظلت القوى مرابطة في باب الجابية والدرويشية وسيدي عامود وفي مدخل سوق الحميدية ترافقها السيارات المصفحة .

الوفد الاول يقابل العميد

وفي الساعة العاشرة قبل ظهر الاحد دعا السيد جميل مردم الى منزله فريقا كبيرا من وجوه المدينة ورجالاتها للبحث معهم فيما يجب عمله لانهاء الحالة الحاضرة وبعد ان بحث المجتمعون هذا الموضوع قرروا ان يذهب وفد منهم لمقابلة فخامة المفوض السامي وان يقدم اليه لائحة تنطوي على مطالب الاهلين .

وقد تقرر ان يكون الوفد مؤلفا من السادة : سامي مردم بك ، بديع المؤيد نصوح البخاري ، فوزي البكري ، عارف الحلبوني ، فائز الخوري ، عبدالوهاب المالكي ، عبد القادر الزهرا ، سعيد البحرة ، خير دياب ، صادق الغراوي ، صبري العسلي ، شريف الحجار ، تاج الدين التاجي ، حبيب كحالة .

وفي الساعة الحادية عشر ارسل هذا الوفد الى فخامة المفوض يطلب مقابلته فاجاب فخامته فورا مظهرا استعداده لاستقبال الوفد .

ولما دخل الوفد استقبلهم وصافحهم واحدا بعد آخر ، وتكلم باسم الوفد الاستاذ فائز الخوري ، فهذه المقابلة لم تسفر عن نتيجة حسنة لذلك فقد غادر الوفد دار المفوضية بعد ان سلم المفوض السامي اللائحة التي تقرر تقديمها وهذا نصها :

بما ان الحالة في البلاد قد وصلت الى درجة لا يصح السكوت عنها ، وقد تؤدي الى نتائج غير محمودة ، فقد راينا من الواجب علينا ان نحتج ونقرر ماياتي:



(احد اعضاء الوفد الاول الاستاذ فائز الخوري)

١ — الاحتجاج على اقفال مكتبي الكتلة الوطنية وانتهاك حرمة المنازل

٢ — الاحتجاج على ابعاد النائب فخري البارودي والدكتور سيف الدين المأمون واعتقال المئات من مختلف الشباب

٣ — الاحتجاج على الاستمرار على سياسة العنف والشدة التي تقوم بها السلطات ونشر القوى المسلحة في جميع الميادين والشوارع للارهاب واستفزاز الاهلين .

٤ — الاحتجاج على السياسة الكيفية التي ادت الى اسوأ الحالات من جميع النواحي السياسية والاقتصادية ، ومنع حرية النشر والاجتماع والتضييق على الصحافة ، وتهديد الصحف بالاغلاق والتغريم وتشويه الوقائع مما ادى الى تعريض الامن للخلل وسحب القوى المحافظة على الاسواق التجارية في الليل ، وها نحن نعلن بان اضراب المدن السورية عامة منذ اسبوع من اقصاها الى اقصاها وقيام المظاهرات فيها ووقوع عشرات القتلى والجرحى لم تكن الا لاجل ان تنال البلاد حقوقها المعترف لها بها والملخصة بما ياتي:

١ ــ اعادة دستور الجمعية التاسيسية طليقا من كل قيد يقيده

٢ ــ الغاء نظام الانتداب بعد ثبوت فشله بالتجارب المكررة واعلان استقلال سورية

٣ ــ اعلان وحدة الوطن المجزأ حتى تتمكن الامة من جمع قواها وتوجيهها في سبيل الانعاش العام وتخفيف النفقات الباهظة التي اوجدتها التجزئة والتي كادت تقضي على البقية الباقية من ثروة البلاد .

٤ ــ اعادة المبعدين السياسيين حتى يشاركوا امتهم بجهودها نحو الاستقلال ومعاقبة المسؤولين الحقيقيين عن الحوادث الاخيرة الدامية واطلاق سراح المسجونين والمعتقلين بسببها .

فقرأ الكونت ده مارتل هذا الطلب وتكلم فائز بك الخوري باسم الوفد وشكا من المعاملات القاسية التي عومل بها الاولاد اثناء المظاهرات ، فرفض المفوض سماع هذا الادعاء واستنكر موقف المتزعمين الذين يختبئون وراء صفوف الاولاد غير المسؤولين .

ولما سئل الوفد عن الغاية من هذه المقابلة قدم لائحة تنطوي على مطالب الأمة وضعت نصوصها قبل مجيء الوفد في منزل جميل مردم بك فاجاب المفوض السامي انه يرفض البحث في اية مسألة سياسية تحت تأثير عناصر الشغب وأوعز الى اعضاء هذا الوفد بان يعملوا في الاوساط التي يدعون تمثيلها ليفهموا من حولهم ضرورة الاقلاع عن اثارة الاضطرابات وزيادتها والكف عن كل حملة تقوم على الزعم بان السلطات كانت قاسية في معاملة الشباب ، وعدم الاصغاء الى ما ينسب الى هذه السلطات من انها ترمي من وراء قرار التنظيمات الجديدة الى مقاصد غير التي نص عليها القرار نفسه . ثم أخذ يناقشهم عن مطاليب البلاد فقال:

اما المعاهدة فقد عرضت عليكم معاهدة أفضل من معاهدة العراق

فكان نصيبها الرفض . واما الوحدة السورية فليس في الامكان الوعد بتحقيقها . واما الغاء جميع التدابير الاخيرة ، فيمكن العفو عن غير المسؤولين . اما المسؤولون عن الضحايا والحوادث فلا يمكن العفو عنهم الان .

فقال اعضاء الوفد للعميد : اذا كانت معاهدة العراق دون المعاهدة التي عرضت على سورية ، فالامة تقبل بمعاهدة كمعاهدة العراق .

وهنا دار البحث بين الفريقين حول اصدار بيان من قبل العميد ينطوي على وعد بعقد معاهدة كمعاهدة العراق وبأن فرانسة لا تعارض في قضية الوحدة ــ على الأقل ــ وكانت نتيجة البحث ان وضع العميد بياناً جاء فيه : ان المفوض السامي مفوض بتحقيق اماني سورية المشروعة .

فقال الوفد ان هذه الكلمة مطاطة وغامضة وقد لا تقنع الامة ولا تعتبرها وعداً صريحا فاجاب ان ليس بمقدوره ان يقول غير هذا القول . فقالوا له : اذن لا بد لنا من ان نتصل بمختلف طبقات الامة وهيأتها لنطلعها على هذه النتيجة على ان نحمل اليكم في مقابلة ثانية رأي الامة فيها .

الشرطيون بخوذهم الفولاذية يقودون امامهم بعض المتظاهرين

فأجاب العميد بقوله لا بأس وانا بانتظاركم .

ليس عاراً مبيتنا في سجون

انما العار ان نبيت عبيدا ! . .

ايها السجن ما ضممت جناة بين جنبيك بل ضممت جنودا
جرمهم أنهم أرادوا خلاصا من قيود فحملوهم قيودا ! . .
جرمهم أنهم أفاقوا فهبوا لا يطيقون في الحياة جمودا
لم يروا خلة أحط من الذل فهبوا الى المعالي صعودا
أهملوا منطق الشيوخ وأزروا بالذي علم الشباب القعودا
أرسلوا صيحة الشباب زئيراً فاغتدت عصبة الشباب اسودا
أرسلوا صيحة فراح صداها يملأ الارض والسماء رعودا
ايها السجن ان قيدك أحلى من قيود أسيرها لن يسودا
ايها السجن مرحبا بالليالي فيك تمضي وحبذا ان تعودا
ان رضينا بما لقينا فانا قد نهضنا لكي نهد السدودا
هل تدوم الحياة في قفص الاسر وسيف النضال يفري الحديدا؟
والذي ينشد الكفاح أيخشى في طريق الكفاح شوكا جديدا؟
علمتنا السجون ان المعالي تكره الضعف والونى والركودا
تكره الجامد المزيل وتهوي ثائرا ينشد الصعاب عنيدا ...
يا رفاقي الشباب في السجن صبراً اضحكوا للصعاب ضحكا شديدا
اضحكوا وازدروا القيود فهذي يا رفاقي الشباب أمست عقودا
ليس عاراً مبيتنا في سجون انما العار ان نبيت عبيدا . . .

دمشق : وصفي البني

الدعوة الى فتح المدينة

اجتماع كبير في دار لطفي بك الحفار

عقد تجار دمشق اجتماعا كبيرا في منزل معالي لطفي بك الحفار حضره نحو ٤٠٠ تاجر دام من الساعة السابعة من يوم الاثنين ٣ شباط حتى الساعة العاشرة فافتتح معاليه الاجتماع بكلمة موجزة أبان فيها الخسائر الفادحة والاضرار الكبرى التي تنزل بالمدينة من جراء اقفالها المتوالي ومما قاله :

انا تاجر ووالدي تاجر ايضا ولذلك فانني اعرف من الكثيرين بما تجره هذه الحالة من الخسائر ولذلك اطلب اليكم ان تبحثوا عن الحالة بما يتفق مع مصالحكم الحاضرة والمصلحة العامة .



((معالي لطفي بك الحفار))

ثم اخذ المجتمعون يتداولون في الامر وقرروا بعد البحث فتح المدينة اعتباراً من صباح الثلاثاء الواقع في ٤ شباط سنة ١٩٣٦ الا انهم لم يوفقوا الى فتح المدينة لان الشعب كان ثائرا وساخطا على

الحكومة من جراء اعمالها فلم يع احد ولم يسمع بل اشتـدت المظاهرات اكثر من ذي قبل .

الوفد الثاني : وفد التجار

عقد تجار دمشق اجتماعا في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ الساعة التاسعة في جامع سيـدي هشام حضره التجار فدار البحث حول مطاليب البلاد فتألف وفد بعـد ان امضى الحاضرون عريضة الى مندوب المفوض السامي البارون « فان » لا يخرج مضمونها عما طلبه الوفد الاول وقد تألف الوفد من السادة : نسيب الحمصي نظمي الغراوي ، المحامي عادل بدير، مدني الحفـار ، حسني الهبل ، توفيق القبـاني ، امين عرابي، عارف الحلاق، علي السروجي علي نظام ، سليمان القصار . ثم توجهوا الى دار المندوبية فاستقبلهم بكل ترحاب



المتكلم باسم وفد التجار السيد حسني الهبل

ووعدهم بدرس القضية الا ان السيد البدير عندما اراد الكلام منعه بقوله انت لست من التجار فتأسف لحرمان المحامي من الكلام . واخـيرا كانت نتيجة هـذا الوفد كالوفد السابق اذ انه وعدهم بالنظر في مطاليبهم بعد فتح المدينة فدعوا الناس الى افتتاح محلاتهم فثارت ثائرة الاهلين ولم يعيروا الوفد أذناً صاغية

الوفد الثالث : وفد الطلاب

في اليوم الثالث من شهر شباط ٩٣٦ عقد طلاب دمشق اجتماعا في مسجد بني امية للبحث في الحالة الحاضرة وفي الساعة التاسعة اقبلوا على المسجد من كل ناحية واسفرت ابحاثهم عن تاليف وفد عهدوا اليه بالتوجه الى دار المندوبية لطلب موعد من سعادة مندوب المفوض السامي لمقابلته والبحث معه في حالة المدينة وبعد الموافقة على هذه الفكرة وتقريرها . تالف الوفد من السادة الاتية اسماؤهم :

ادهم حورية ، حمدي حمودة ، روحي خياط ، نعيم حكيم ، رشيد ادم ، حسني عبد الهادي ، عمر خياطة ، امين نوتي ، محمد قرعان ، عبد الوهاب ازرق ، عبد الوهاب خربوطلي ، متري شريحة ، فائز اسود ، هاني حمصي ، نعيم نصار ، محمد زهرا .

وعند ذهابهم لدى البارون فان كان نصيبهم الرفض بدعوى انه لا يقابل طلابا بعيدون عن مقاعد التدريس .

بمناسبة جهاد سوريا الاخير

الى شهداء سوريــــــــا

حياكم من دموع الثكل هتان ... وخافق في حنايا الصدر اسوان

لم يحتبس يوم زار الموت ساحتكم ... دمعاً ولا خانه نوح وارنـان

تنبه الوطن الغالي لنومكم ... يافتية في اسار اللحد ما هانوا

ان فاتكم من شباب العمر ريقه | وزفكم لجنان الخلد رضوان
او غالكم من ظروف الدهر ذو غير | فذكركم في مجال الفكر يقظان
هذي الاكاليل شكر خالص لكم | مطوق بسخين الدمع ريان
والدمع ابلغ منا حين نذكركم | مضوة ما جفاه قط تبيان
يا عصبة الواد ما خارت عزائمكم | وانتم في سماء المجد عقبان
بلاؤكم في طلاب الحق نعرفه | وصوتكم ان الاح الظلم رنان
لما دعا الوطن المسلوب دعوته | لم يحبس النفس يوم الروع كسلان
وجلجل الموت في الآفاق فابتدرت | موارد الصاعق المحتوم شبان
قضوا وفي ذمة التاريخ ما فعلوا | وعلموا الناس ان الذل خسران
هذي المراقد للاجيال تذكرة | وللبصائر بعد الوحي قرآن
فليقرأ القوم من آفاقها عجبا | وليشهدوا انها حق وايمان

« رفيق فاخوري »



الشهيد عبد الرزاق البرزاوي الذي قتل في ٢٨ شباط برصاص الجند

الشهيد توفيق الجليلاني الذي قتل برصاص انصار الشيخ تاج

صورة الشهيد سليم الحفار



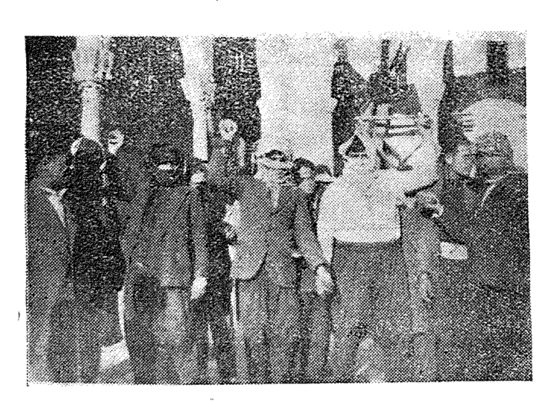
استشهد امام حمام ملك الظاهر برصاص الشركس في جبينه

الشهيد خليل الفوال

مظاهرات ٢٢ كانون الثاني الكبرى

يشترك فيها شباب الاحياء

ذكرنا فيما سبق ان المظاهرة التي خرجت من باب الجابية اصطدمت بقوى الشرطة والدرك المرابطة امام شارع النصر فتفرقت هناك ولكنها عادت بعد ساعة فتجددت مرة اخرى وتألفت من الشباب الاحداث والاولاد واتجهت نحو شارع الدرويشية ثم تغلغلت في حرائق « سيدي عامود » والحصرية وهناك اشتبكت مع الشرطة والدرك في معركة لعبت فيها الحجارة دورا هاما بواسطة المقاليع التي كان يستعملها المتظاهرون ، وقد تمكنـوا من التقدم الى جهة سوق الحميدية ودوت



بعض الشباب يهمون بالقاء المفرقعات وبينهم الحشاش ابو المفرقعات

اصوات الرصاص من قبل قوى الامن بقصد الارهاب ، واضطرت عندئذ القوات المرابطة ان تستنجد بقوات الجند الافرنسي .

الجيش يأتي للنجدة

فاقبلت على الاثر شرذمة من الجند السباهي الخيالة وشرذمة من السنغال ومفرزة من الجند الافرنسي والمتطوعة كما اقبلت ثلاث مصفحات وخمس دبابات وبذلك قمعت المظاهرة .



« القومندان كوله امام المصفحة في شارع الدرويشيه والجنود بخوذهم الفولاذية »

وقد احتلت هذه القوى خرائب وساحات الدرويشية وسيدي عامود والحصرية ورابطت في منافذ الشوارع والطرق المؤدية الى حي باب الجابية وشارع مدحت باشا

مظاهرة كبرى تسفر عن قتلى

وقد خرج رجال الاحياء والشباب بمظاهرة كبرى من سوق الحميدية اخترقت مأذنة الشحم فالشاغور وهنـاك اصطدمت بقوى الامن فدوى اطـلاق الرصاص

وصارت الاحجار تتطاير في الفضاء واسفرت هذه المعركة عن اصابة ياسين الداية برصاصة في بطنه نقل على اثرها الى المستشفى الوطني وحالته خطيرة واصيب ايضا ثلاثه من رجال الدرك بالاحجار وبعض الاهلين بجراح طفيفه .

وقد قتل في هذه المظاهرة الشهيد محي الدين عربي كاتبي البالغ من العمر ١٥ سنة بينما كان يرمي الاحجار من نافذة داره . وقتل الشهيد علي الزيار من اهالي الصالحية ولم نستطع الاستحصال على صورة الشهيدين لنشرها .

الاستعداد للاحتفال بجثمان الشهيدين

استعدت جماهير الشعب للاحتفال بالشهيدين ولما احست السلطات بهذا الامر بادرت مديرية الامن العام للحيلولة دون القيام بهذا الاحتفال لئلا يؤدي ذلك الى اثارة الرأي العام واتصلت باهل الشهيدين فتم الاتفاق على ان يشيع الاول من منزله في زقاق معاوية والآخر من جي الصالحية .

ففي اليوم الثاني الاربعاء اجتمع الاهلون في المسجد الاموي وخرجوا منه الى سوق الحميدية فالدرويشية فمقبرة باب الصغير مهللين مكبرين وهناك وقف النائب زكي الخطيب والقى كلمة ابن فيها الشهيد والقى السادة : مظهر البكري هاني الجلاد كلمات تأبينية

تعليقات : على حوادث دمشق

بقلم : الاستاذ علي الطنطاوي

أحلف لو ان ما جرى في دمشق ، في هذه الايام ، جرى في فرنسا ، او المانيا ، او انكلترا او في اى بلد من بلاد الله العامرة ، لكتب فيه عشرات من الكتب والروايات ، ومئات من القصائد والمقالات ، ولخلدت حوادثه تخليدا ،

وصورت مشاهده تصويرا ، وصارت حديثا يسري في الأجيال الآتية فينفخ فيها روح البطولة والتضحية ، ويبث فيها حقيقة العزة القومية ، ويفهمها معنى الكرامة الوطنية ، وبمثل هذا تتربى الشعوب وتقوى ، وتسمو هـذا السمو الذي نراه في شعوب اوربا الراقيه ، ونعجب به ونعده شيئا بعيد المنال ، وبمثل هذا يخدم الادباء قضية بلادهم ، ويساهمون في العمل على رفعة أوطانهم ، ويثبتون للناس انهم احياء لا أموات وانهم أوفياء لأمتهم وان فيهم شعورا بالغضب والفخر والتقدير والسرور والالم ، وان لهم عيونا تبصر وآذانا تسمع ، وقلوبا تحس . . .

ولكن هذه الحوادث قد جرت في دمشق . . . وأدباء دمشق بـين موظف يظن ان حياته معلقة بهذا الراتب ، وان عليه ان يثبت دائماً انه بعيـد عن الروح الوطنية ، غريب عن كل مشروع وطني موال للحكومة ، مقيم على ولائها ، يحافظ على رضاها . . . ومثل هذا الرجل لا يؤمل منه خير . وبـين شاعر يحسب ان الشعر مقصور على الازهار والاطيار ، والحب والغرام ، وانه ليس من الشعر ولا الادب ، ان يصف الشاعر مآسي الوطن وآلامه ، ولا ان يشدو بمفاخره ، ومثل هـذا الرجل مخطيء يجب ان ينبه الى خطئه ، ويـدعى باسم الواجب الوطني الى تسخير قوته الأدبية لخدمة الوطن او يكون حاله كحال قائد يقود فرقة من الجيش يأخـذ فرقته وينسحب بها من جبهة الحرب ، وميـدان المعركة ، ليسمع محاضرة عن الفن والجمال . . .

وبين اديب له اسم كبير وشهرة واسعة ، ولكنك اذا حققت وجـدت هـذه الشهرة تزويراً ، وهذا الاسم اختلاسا ، ولم تجد له من الآثار الادبية ما يستحق ان يدعى به اديبا او شبه اديب . . . ومثل هذا الرجل عاجز ضعيف ليس بشيء ولا ينتظر منه شيء .

فمن اي صنف من هذه الاصناف نطلب الادب القومي ؟ وكيف نرجو الفلاح لامة ادباؤها اموات او جبناء او ضالون او عاجزون ؟ أوليس من العار على دمشق ان تجري فيها هذه الحوادث التي عجب منها الشرق والغرب وعدها آية من آيات البطولة والتضحية ، ثم لا يسجل الادباء منها شيئا ؟ . .

ألم يحرك هؤلاء الادباء ، ان دمشق تلبث خمسين يوما مضربة لا تجد فيها حانوتا واحدا ، مقفرة اسواقها كأنها موسكو حين دخلها نابليون ، فتعطلت تجارة التاجر وصناعة الصانع ، وعاش هـذا الشعب الفقير على الخبز ، وطوى ليله من لم يجـد الخبز ، ثم لم يرتفع صوت واحـد بالشكوى ، ولم يفكر رجل او امرأة او طفل بالتذمر والضجر ، بل كانوا جميعا من العالم الى الجاهل ، ومن الكبير الى الصغير ، ومن الرجل الى المرأة ، ومن الشيوخ الى الاطفال ، راضين مبتهجين ، يمشون ورؤوسهم مرفوعة وجباههم عالية اعتزازا وفخرا . . . ولم يسمع أن دكانا من هذه الدكاكين قد مست او تعدى عليها احد ولم يسمع ان لصا قد مد يده الى مال ، برغم ان اغنى الاسواق واعظمها في دمشق قد بقيت اياما وليالي مطفأة الانوار ، ليس عليها حارس ولا خفير ، فهل قرأ احد او علم احد ان بلدا في اوربا او امريكا او المريخ . يسير فيه اللصوص جياعا ولا يمدون ايديهم الى المال المعروض ، حرمة للواجب الوطـني ؟ وقد بقي الاولاد في المعسكر العام (في الاموي) أياما طويلة يراقبون حالة البلد وينظرون من يفتـح محله ، فاذا فتح اغلقوه ، وقد اتفق أن بائع حلويات مشهورا قد فتح محله فجاء بعض الاولاد بصدور البقلاوة والكنافة . . . من مخزنه الى المسجد ، وتشاوروا ماذا يفعلون بها فقال احدهم : نأكلها عقابا له ، فصاحوا به : اخرس . اننـا لسنا بلصوص ، ثم أرجعوها اليه بعد دقائق وما فيهم الا جائع . . .

أفلم يحرككم هذا يا ايها الادباء ؟ وهل قرأتم ان صبيان باريز وبرلين ولندن

فعلوا مثله ؟ ... وقد عمدت القوى آخر ايام الاضراب الى فتح المخازن بالقوة فكان اصحابها يدعونها مفتوحة ، ولا يقتربون منها ، حتى تكون القوى هي التي تغلقها من تلقاء نفسها ، افليست هذه تضحية ؟ .

وقد حدثني بعضهم انه اشترى ثلاثين قفلا كلما كسروا قفلا جاء فوضع مكانه آخر ، ولقد حدثني من اثق به ان محلات العهر والفواحش قد اضرب صاحباتها مع من اضرب ، افرأيت امة كل من فيها وطني حتى المومسات ...

والتبرعات ؟ألم يكن الناس يدفعونها من غير ان يطلبها منهم احد، ألم يكونوا يتسابقون الى دفعها ، الم يرفض كثيرون من الناس ان يأخذوا اعانة ويقولوا : اعطوها لغيرنا ممن هو احوج اليها ، نحن نجد طعاما هذا اليوم ؟ .

لقد وقع هذا ورأيته مرات ، وسمعت به ، فأي وطنية اعظم من هذه الوطنية وأي اتحاد اوثق من هذا الاتحاد ، الذي تصبح فيه المدينة كلها اسرة واحدة .

والبطولة والجهاد ؟ألم يفعل الناس الافاعيل ؟ الم يهجموا على النار والحديد، ويقاوموا بالحجارة أروع وابشع ما وصلت اليه الحضارة من ضروب التقتيل والتدمير والاهلاك ، ألم يدوسوا على جثة القتيل — ثم يمشوا قدما الى الامام ؟ الم يضعوا ارواحهم في اكفهم ؟ ويبيعوها في سبيل الله ، ومن اجل حياة الوطن ؟

واطفال دمشق ؟ من رأى كالاطفال ؟ من فعل فعل الاطفال ؟ من ذا الذي لم يسمع باعمال الاطفال ، ويرى مظاهرات الاطفال ، وحروب الاطفال ؟

لقد رأينا طفلا يسيل الدم من رأسه ، وقد وضع يسراه على رأسه يمنع بها الدم واخذ الحجر بيمينه يضرب به وعمره اقل من عشرة ...

لقد حدثني احد الاصدقاء انه كان مارا في سوق مدحت باشا فسأل الاطفال — وكانوا مرابطين فيه — هل تسمحون لي يا اولادي ان امر ؟ قالوا اذا كنت

تستطيع ان تمشي بين العسكر مرفوع الرأس ، وتحملق فيهم فمر والا فعد...



المتظاهرون يحملون الاحجار ويملئون سلالهم استعدادا لمقاومة الجنود

وغير ذلك ... وغير ذلك ... ولكن ذلك كله لم يحرك « ادباء دمشق »

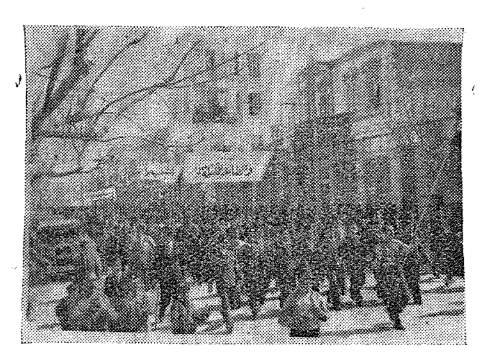
فيا ايها الادباء لقد قام الناس كلهم بالواجب عليهم ما عدا الادباء والموظفين ، في حين ان المفروض في الاديب ، انه ارق الناس شعورا ، واشدهم احساسا فهل انتم بدع في ادباء العالم ، ام انتم ترتضون هذه المنزلة لانفسكم .

ان الموظفين ميؤوس منهم اليوم ، واننا نحتاج الي زمن طويل حتي يفهم الناس ان الموظف خادم لهذه الامة ، أجير عندها يأخذ راتبه من مالها ليخدمها ويقوم بحقها ، ولا يزال في الموظفين من يظن انه يأخذ الراتب ليسحب على الامة مسدسين يضرب بهما في وجوهها (كما فعل احدهم يوم ٢٠ كانون) وفيهم من يحسب انه يأخذ الراتب (ليخوزق) . . . اطفال الامة ورجالها (كما فعل بعض

رجال الشرطة في هذه الايام حين استعملوا الخازوق ! ! !

وفيهم من يرى الوظيفة سببا لملء جيوبه ؛ واشباع شهواته ، واطاعة هواه ، وعلى المصلحة لعنة الله !

ان الموظفين ـ ما عدا طائفة منهم ـ لا يزالون بعيدين عن الاندماج في صفوف الامة . . ولكن انتم . . . انتم ايها الادباء ؟ مابالكم تهربون من المعركة ، وتتبرأون من هذه الامة المسكينة ، وتغمضون عيونكم عنها ، وتسدون آذانكم دونها



« موكب الشباب المنظم الذي زحف لتقديم الطاعة للزعماء »

واذا كنتم لا تصفون ايام الجهاد ، أفلا تصفون ايام الظفر ، ايام العيد ، يوم جاء مائتان وخمسون الفا يقدمون الطاعة لزعماء الامة ، ويبايعونهم على الموت . . . يوم برهن هذا الشعب على انه قد بدأ حياة العمل المنظم ، بموكب الشباب الذي سار فيه تسعة آلاف وخمسماية وستة وثلاثون شابا بالضبط ، في صفوف منظمة ، بخطى موزونة ، يقودهم قائد واحد نحو غاية واحدة

يوم جاءت الوفود من كل بلد وقرية ودسكرة ، تقدم الطاعة للزعماء وتبايعهم على الموت ؟ ألم يحرككم هذا كله ايضا ؟

اما ان الامة قد خرجت من هذا الجهاد باجل النتائج ، لا أقول المفاوضة ولا الوعود ، ولكن النتائج العظيمة في التربية وفي الروح القومية ، اننا قد كسبنا المستقبل ؟ واطمأننا الى النجاح ، لان هؤلاء الاطفال الذين هاجموا الدبابة بالمساطر ، ورأوا هذه المظاهر الفخمة ، سيكونون اذا كبروا رجالا لا كما نعرف من رجال وسوف لا يعيش فيهم خائن ولا كسول !

فلله الحمد ، وعلى الشهداء الرحمة ؛ ولهذه الامة الحياة . «علي الطنطاوي»

كتاب فخامة رئيس المجلس النيابي السوري

الذي ارسله الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية الكونت ده مارتل

دمشق في ٢٢ - ١ — ١٩٣٦

فخامة المفوض السامي للجمهورية الافرنسية الكونت ده مارتيل المعظم

يا صاحب الفخامة .

بمناسبة هذه الحوادث الدامية المؤلمة التي عمت البلاد والتي تنبأت بها قبل اي شخص آخر واعلمت فخامتكم بعواقبها ولم أدخر وسعا في اطلاع المراجع المسؤولة في وزارة الخارجية الافرنسيه وفي لجنة الشؤون الخارجية للمجلس النيابي الافرنسي ايضا على ما ستؤدي اليه مثل هذه السياسة المتبعة في هذه البلاد والتي لم تحيدوا عنها فخامتكم قيد شبر منذ ان وطئتها اقدامكم حتى هذه الساعة رغم الفشل المتوالي الذي منيت به ورغم اساءتها لسمعة فرنسا في هذه البلاد وما جاورها من البلدان العربية وكبدت هذا الشعب المسالم كل هذه المتاعب والآلام التي كان بامكان

فخامتكم اجتنابها لو اصغيتم الى نصائح المخلصين للبلدين .

فبصفتي رئيسا للمجلس النيابي الحالي ورئيسا شرعيا لدول الاتحاد السوري سابقا ورئيسالدولة سوريا وممثلا للشعبالسوري كافة تمثيلا شرعيا أرىان اخلاصي لوطني العزيز وحرصي على سمعة فرنسا يدعواني بهذه المناسبة ان اصارح فخامتكم بما لا يصارحكم به غيري .

قدمتم سورية واحتقار الشعب السوري ديدنكم والتنكيل به خطتكم فسرت هذه العدوى بسرعة الى معاونيكم وموظفيكم من رجال الانتداب وعاملتم هذا الشعب المسكين معاملة السيد للرقيق معتبرين هذه البلاد كأحط المستعمرات دون ان يخطر ببال فخامتكم ان هذا الشعب له من المكانة العالمية وماضيه المجيد ما يجعله يأبى الضيم ويحتمل هذا الذل والاحتقار ويسكت عن اجراآت وتدابير كيفية لم يعتد عليها فضلا عن انه ساهم في النصر الذياحرزته الجمهورية الافرنسية مع بقية الحلفاء في الحرب العالمية .

ودشنتم عهد قدومكم باعتقال رجالات البلاد دون مسوغ قانوني او اداري او سياسي يوم ارادت سورية في خريف عام ١٩٣٣ مشاركة فلسطين فيعواطفها وقامت بمظاهرة سلمية بحته سفك فيها رجالكم دما بريئا لتحويلها منشكلها الحقيقي الي شكل آخر تريدونه في الوقت الذيكانت فخامتكم في اشد الحاجة الى اكتساب القلوب من تنفيرها سيما وان فخامتكم كنتم قادمين على عقد معاهدة مع هذهالبلاد وكانت السياسة الرشيدة تتطلباعمالا من شأنها زيادة تبادل الثقة بين الطرفين لا توسيع شقة الخلاف . فهل هذه الاعمال والتمهيدات هي السياسة التي كان يجب ان يسلكها من كان يود الوصول الى الغاية التي من شأنها ان هذه البلاد الا وهي عقدمعاهدة ولاء وصداقة تساعدعلى توثيقاواصر المحبةوالاخاء بين للطرفين



رئيس المجلس النيابى السورى
فخامة صبحى بك بركات الخالدى

والوصول الى استقرار ترى فرنسا وسورية في اشد الحاجة اليه ؟

ولا يغرب عن بال فخامتكم ان اسلافكم سعوا بدقة زائدة لتمهيد السبل لبلوغ هذه النتيجة كي لا يصطدموا فيما اصطدمتم به فخامتكم غير ان هذه الصدمة وما تبعها من صدمات اخرى لم تحول ويا للاسف فخامتكم عن نهجها ولم تلطف شيئا من حدة خطتها التي اختطموها لانفسكم في هذه البلاد وعرضتم مشروعا كمشروع المعاهدة للفشل ثم البستم غيركم لباس الفشل هربا من المسؤولية وحملتموني انا شخصيا تبعتها رغم انني صارحتكم بفشل هذه السياسة من قبل واثبت لفخامتكم مضار اتباعها وما تجره ورائها من ويلات واحن ها نحن واياكم نعاني الان مصائبها .

وقد دام سوء التفاهم والتمهيد للتباعد بين وجهتي النظر سلسلة متصلة الحلقات آخذ بعضها برقاب البعض الاخر اذ دعوتم الحكومة السورية اذ ذاك لقبول معاهدة كنتم تحملونها هي في الحقيقة طعنة في وحدة البلاد وسيادتها فخضعت تلك الحكومة لمشيئة فخامتكم رغم انها لم تكن تحقق شيئا من الوحدة والاستقلال مع ان تلك الحكومة لم تنل ثقة المجلس الا على اساس عقد معاهدة تتضمن الوحدة والاستقلال هذا وقد ارسلتم صورة تلك المعاهدة الى الصحف قبل ان ترسل الى المجلس النيابي ليدرسها وارفقتموها ببيانكم المشهور الذي جاء فيه (انه لقاء التصريحات والحملات الموجهة الى المعاهدة من قبل ان يذاع امر توقيعها او يعرف نصها رؤي من اللازم نشر هذه الوثائق لا ليتسنى لنواب الامة فقط بل للشعب السوري ان يرى رأيه في قيمة ومدى هذه الوثائق الحالة على البرلمان السوري) وجاء ايضا في فقرة اخرى (لذلك فان المجلس النيابي مدعو اليوم ليقول كلمته في الصكوك المعروضة عليه مجردا عن كل نزعة حزبية) وقد عرضت فعلا هذه المعاهدة على المجلس ونظر فيها بناء على امركم الصريح وكان نصيبها الرد باقتراح وقعه خمسة واربعون نائبا من

تسع وسين وعلى اثر هذا الرفض عطلتم الحياة النيـابية واتهمتم فخـامتكم المجلس بتهم هو بريء منها ولكي تبرروا عملكم هذا اتخذتم له حجة اضطراب حبل الامن العام

أو ليس من المستغرب ان تدعو فخامتكم الامة اذ ذاك ببلاغ لتعرب عن رأيها في هذه الصكوك فتقوم بمظاهرة سلمية تظهر فيها عدم ارتياحها اليهـا ثم تقومون باتهام الامة بالشغب والاخلال بالامن ؟ فهل كان باستطاعة الامة ان تعرب لكم عن رأيها الذي طلبتموه اليها وهي في عقر دارها ؟ وهل ترى لو اظهرت لكم ارتياحها لهذه الصكوك بنفس المظاهرة وعين الوضع كنتم تعتبرون عملها اخـلالا بالامن ؟ او لو صدق المجلس النيـابي ايضا هذه الصكوك وارتكب جميـع الخطيئـات التي اتهمتموه فخامتكم بها فهل كان يخطر ببال فخامتكم ان تغلقوه وتسرحوا اعضاءه ثم تنعتوا الامة السورية بعدم النضوج السياسي ؟

قلتم فخامتكم اننا لم نحترم مادة من مواد الدستور واردتم بذلك اظهارنا امام جمعية الامم وامام الوزارة الافرنسيه بغير مظهرنا الحقيقي وألبستمونا غير لباسنا الاصلي وقلتم اننـا لم نعتمد على احـترام الاساليب الدستوريـة ولسنا باهل للحياة النيابية . ولو سلمنا مع فخامتكم جدلا باننا سهونا عن احترام مادة من مواد الدستور ونحن امة حديثة العهد بالسياسة — على رأي فخامتكم — فـما بالكم بمن يخـترق احكام الدستور بكاملها ويضرب بها عرض الحائط وهو عالم بما يعمل ؟ لا سيما وهو يمثل امة ديموقراطية حية لم تأت لهـذه البـلاد الا لتعلمنا كيف تحـترم النصوص الدستورية والقوانين . فهل هذا يا فخامة العميد مثال حسن يعطى لامة تعهدتم امام العالم انكم ستقومون بارشادها ؟

منذ قدمتم يا صاحب الفخامة هذه البلاد حتى هذا التـاريخ لم يمض يوم الا وفاجأتم الامة السورية بقرارات وتدابير واجراءات كيفية لا تستند الى سياسة

رشيدة ولا الي قانون عادل ولا الى منطق معقول ولا تتقيد فخامتكم في يوم من الايام بصك الانتداب الذي تفردت حكومة فخامتكم بوضعها وامنتم بموجبه كل مـا هو من شـأنه ان يضمن مصـالح بلادكم حتى ولا التفتم ايضا قط الي نصائح وارشادات ورغبات لجنة الانتدابات في جمعية الامم ولا الى مصالح فرنساالاساسية وسمعتها الادبية في الشرق الادنى ولم تحـترموا دستوراً انتم وضعتموه وصدقتموه من جمعية الامم وفاخرتم امام الراي العام الدولي بانكم عملا بمبدأ فرنسا في صيانة الشعوب الضعيفة منحتم سورية حياة حرة ومتعتموها بدستور اساسي وانها بعـد اليوم ستسير بخطى واسعة نحو الاستقلال والازدهـار الذي اخـذتم على عاتقكم ايصالها اليه بعد ان تم استقرارها السياسي . فهل هذه الاعمال وهـذه السياسـة امنت لفخامتكم نجاح خطتكم في هذه البلاد ؟ وهل استطعتم بذلك صيانة سمعـة فرنسا ومصالحها في هذه البلاد خاصة والبلاد العربية عامة ؟

انني لم ادع ياصاحب الفخامـة فرصة تمر الا واحتججت على هـذه الاساليب الضارة بمصالح الشعبين السوري والافرنسي ونبهت فخامتكم ايضا الى سوءالعاقبة التي تجر اليها كل خطة كهذه لا ادري ما هو الداعي للتمادي فيهـا فلقد كنتم ويا للاسف تحاولون تلافي الاخطاء التي كنتم تقعون فيها باخطاء ابعـد عمقا واوسع مدى عملا بمشورة نصحاء السوء الذين احاطوا بفخامتكم ممن لا يهمهم في هذه البلاد سوى اشباع بطونهم وملء جيوبهم على حساب فرنسا وبلادهم

اعلنتم الحرب على كل من لم يماشيكم في هذه السياسة التي قدر لهـا الفشل منذ اليوم الاول الذي قلت لكم فيه بان معاهدة كهذه سيكون نصيبها الخيبةوان كل من يقول لفخـامتكم خـلاف ذلك فهو كاذب . فـكان جواب فخامتكم اذ ذاك (كلفت بتصديق هذه المعاهـدة فان رفضت فسأضعها في جـارور طاولتي)

وباشرتم بي شخصيا واتخذتموني عدوا وهاجمتم النواب واحتقرتموهم واسأتم معاملتهم مع انهم لو تجردوا عن صفة النيابة لا يمكن لاحد ان يجردهم عن صفة الوجاهة في هذه البلاد ثم اقمتم حكومة تعلم الامة مدى نفوذها وقيمتها كما انه لا اظن فخامتكم او من يلوذ بكم تجهلون ذلك

ألم يتعهد لكم الشيخ تاج الدين عام ١٩٢٨ بانه سيتوفق لحمل المجلس التأسيسي على قبول الدستور محذوفا من صلبه مواده الست واصطدم في اول جلسة طرح فيها الدستور برفض المجلس لها وولى هاربا من القاعة؟ ثم ألم يبق مدة اربع سنوات يبدر خلالها اموالا طائلة في تهيئة جو يساعده على البقاء في الحكم للقيام بانتخابات تؤمن تنفيذ خطة تعهد امر تنفيذها لسلفكم ؟ فماذا كانت النتيجة ياترى؟ ألم يفشل فشلا مريعا في الانتخابات رغم اراقة الدماء وجعل البلاد في حالة تقاسي اليوم مضضها ؟

ثم ألم يضطر للتواري عن دمشق وتركها خوفا من نقمة الشعب عليه ولم يظهر للوجود فيها الا محميا بحراب جيشكم يوم اسندتم اليه الحكم في ادق الاوقات وأحرج الظروف منخدعين مرة ثانية باكاذيبه واضاليله وما زال يتمادى في خداعه واكاذيبه حتى اوقعكم هذه المرة في نفس الحفرة التي اوقعكم فيها عام ١٩٣١ ؟

ثم ألم تبلغ الشكايات مسامع فخامتكم من سوء تصرفاته وان هناك تلاعبا في اموال البلاد ، فهل ارسلتم من يحقق في هذه الشكاوي صحيحة كانت ام كاذبه؟ افلا يحمل هذا التغاضي والسكوت الرأي العام على الشك بأمور لا اريد الافصاح عنها ولكنها ظاهرة جلية ؟

نعم يقول هؤلاء ومن على شاكلتهم انهم لم يقوموا بهذه الاعمال الا خدمة لفرنسا أليست الاعمال بخواتمها ؟ افلا يجدر بمن فشل بسياسة تعهد القيام بها ان

يضرب ضربة قاضية على رأسه لتضليله ويحمل مسؤولية اعمـاله كي لا يتمادى في غيه ويخلفه من بعده خلف مثله يمثل نفس الدور الذي مثله سلفه ويستفيد في ابان حكمه من الفرص السانحة لملء جيوبه واشباع نهمه ؟

لقد عمدتم يا فخامة العميد الى تنفيذ برنامج اقتصادي لتخفيف وطأة الازمة الخانقة التي لحقت بالبلاد والعباد وجعلتموه بعيداً عن اشراف ممثلي الامة واكتفيتم في امر تنفيذه باشراك حكومة كانت سبباً لهذا التقهقر المادي والافلاس الاقتصادي الذي تئن منه البلاد وتشكو .

فهل من الحكمة القضاء على الاستقرار السياسي لاجل القيام بمشاريع اقتصادية؟ او لم ينص صك الانتداب على اعطاء البلاد الواقعة تحت الانتداب الافرنسي نظاما سياسياً قبل كل شيء ؟

لا بد وان فخامتكم تذكرون ما جاء في كتابي الذي قدمته اليكم في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٤ ان الاصلح في انهاض البلاد من الوجهة الاقتصـادية هو السير ضمن نطاق الدستور الذى كفل لسوريا في مواده (١٠٤—١٠٥ -١٠٦—١٠٧) بيان الطريق الواجب اتباعها . واعربت اذ ذاك عن رأيي ورأي زملائي النواب بـكل صراحة بانه لا يمكن لهيأة من الهيئات مهما عظم شأنها ان تنفرد بالاتفاق على هـذه المشاريع دون موافقة الامة التي تتمثل في مجلسها النيابي وان عملكم مخـالف ليس لاحكام الدستور فقط بل لصك الانتداب نفسه وختمت كتـابي قائلا بان البلاد لا تعترف على اي امتياز يمنح فيها او عقد يبرم باسمها من غير رضاء ممثليها الشرعيين.

ولكن ويا للاسف ضربتم بـكل ذلك عرض الحائط ومضيتم في سياسة تقاسي البلاد الامرين من عواقبها فمنحتم الامتيازات جزافا لشركات اجنبيـة وكبلتم مرافق البلاد تكبيلا اقتصاديا بامتيازات مجحفة بحقوق البلاد مثـل (امتيـاز حصر

التبغ — توسيع المرفأ — تمديد خط تل كوجك وتل زيوان — وسد بحيرة حمص — وحصر طريق الحج في البحر وغيرذلك) بالرغم على احتجاجات البلاد المتتالية واستنكارها المتكرر .

وكلما قامت البلاد تدافع عن حقوقها بالطرق السلمية واحتجت واظهرت استياءها من هذه الاعمال غير المشروعة تتخذ فخامتكم عملها حجة لنعتها بعدم النضوج السياسي بينما كان سلفكم المسيو بونسو اعترف لها لدى لجنة الانتدابات في جنيف بنضوجها السياسي وقال انها اهلا للحكم الذاتي وصرح انها اصبحت بحالة تمكنها من التعاقد مع الحكومة الافرنسية وان حكومة فخامتكم قادمة على عقد معاهدة مع سورية تحدد فيها حقوق وواجبات الطرفين كمعاهدة العراق ولكنه ويا للاسف لم يمض الا مدة قصيرة على هذا التصريح والاعتراف بالنضوج حتى اتيتم فخامتكم وانكرتم علينا ذلك بعد ان مكثتم في سورية عدة اسابيع فقط رغم ان تصريح سلف فخامتكم كان مبنيا على دراسة سنوات طويلة فاي الرأيين احق بالاخذ به والاعتماد عليه ؟

حادثة بسيطة نشأت من اختلاف وقع بين شركة الجر والتنوير وبين الاهلين على تعرفة النور فبدلا من ان تقوم السلطة بصفة الوسيط العادل النزيه بين الطرفين اذا بنا نراها تتخذ لنفسها صفة الوكيل المدافع عن مصالح الشركة للكيد للاهلين ويقوم رجال السلطة باعمال الارهاب والاعتقال الذي لامبرر له ظنا منهم انهم بعملهم هذا يؤدون خدمة عظيمة لفرنسا فهل فخامتكم راضية عن هذا العمل ؟ وهل جعل الانتداب لحماية الشركات الاجنبية والكيد لاهل البلاد ؟

افلا يحق لاصدقاء فرنسا بالشرق الادنى ان ينظروا بعين القلق والهلع الى مصير سورية المشؤوم والى ضياع سمعة فرنسا في هذه البلاد من جراء معاملتها هذه

في هذا الوقت العصيب الذي اضطربت فيه الحالة الدوليــة واصبحت اوربا تخشى وقوع كارثة عالمية تأكل الاخضر واليابس لا بل وفي هذا الوقت الذي تقوم فيه بريطانيا فتسرع لحل مشاكلها الشرقية وارضاء الشعوب التي تحكمها ومنحها حكمها الذاتي ويقوم ايضا العالم باسره للدفاع عن استقلال الحبشة ؟

الم تكن الحكمة تقضي على الحكومة الافرنسية ان تغتنم هذه الفرصة للتقرب بخطى واسعة نحو الشعب السوري وتمنحه حقه وتنيله امنيتــه وتتســاعد واياه على اجتياز هذا المأزق الحرج بدل ان تفجعه بحريتــه ودستوره وعشرات ارواح ابنائه ودماء اطفاله البررة التي تسفك في الازقة والشوارع ؟

ان الاعمال التي كانت فخامتكم بها تمثل لناصورة اعمال يقوم بها قائد عسكري محتل جديد لا هم له الا التنكيل بالثوار والعصاة ومن قاومه او قاوم جيشه . وقد فات فخامتكم ان الحرب قد انتهت منذ مدة طويلة وانكم لم تدخلوا هــذه البلاد فاتحين حتي تستبيحوا حماها وتقتلوا نساءها واطفالها ورجالها لا لذنب اقترفوه بل لانهم يطالبون بحقوقهم التي اعترف بها اسلاف فخامتكم ورجال الحكومة الافرنسية والعالم كله واغرب ما شهدته هذه البلاد ان يقوم رجال القوى المسلحه بامر ممن منحتموهم ثقتكم بالاعتداء الفظيع على حرية الشخصيات وضرب نواب هذه البلاد ضربا مؤلما وقد كانوا وزراء يتعاونون مع حكومة فخامتكم ويساعدونها ويمدونها بنصائحهم الخالصة وآرائهم الصائبة كي يجدوا لهذه البلاد استقرارا ولفرنسا راحة واطمئنانا

فالاعتداء على النســاء وقتل البعض منهن وحبس قسم آخر وزج الاطفــال في اعماق السجون عمل لم تره سورية الا في عهد فخامتكم . فاني لا ارى مــبرراً لهذا الحقد والضغينة التي تدفع فخامتكم ورجال الحكومة لارتكاب اعمال كهذه لا لشيء آخر الا الانتقام من شعب انتم ورجالكم دفعتموه لهذا العمل فانتم وحدكم

مسؤولون عن كل ذلك وبوجه خاص عن سمعة فرنسا في الشرق الادنى .

واني لاعلم علم اليقين بان رجال السلطتين تبريراً لخطتهم التي قادت وتقود البلاد الى الخراب والى هذه الفتنة المدمرة يلجأون الى تلفيق تقارير كاذبة من شأنها ان تحول الغاية الاساسية التي ثارت من اجلها نفوس هذا الشعب الذي لم يعد يحتمل اكثر مما احتمل ويوهمون فرنسا والعالم المتمدن ان حياة الجيش وحياة الاجانب اجمع ونساءهم واطفالهم في خطر كيما يبرروا موقفهم هذا الذي وقفوه في وجه الشعب السوري المسالم . ولكن ثقوا يا فخامة العميد بان في سورية رجالا من الاجانب يحملون في صدورهم اخلاصا وفي نفوسهم شرفا ووجدانا طاهرا سيشاركوننا في اظهار الحقائق امام رجال فرنسا الاحرار وامام العالم المتمدن .

أو ليس من المؤسف بعد كل هذه التجارب التي منيت بالفشل وفي هذا الموقف الحرج ان نرى الحكومة تلجأ الى سياسة الارهاب والارهاق والابعاد والنكايات والتنكيل ؟ أليست المادة الجديدة التي سننمنحوها واعطيتم بموجبها السلطات الادارية حق الابعاد من غير محاكمة او استجواب هي خرق لحرمة الدستور وتعدي على الحرية الشخصية التي يقدسها حتى سكان القفار والصحاري تلك المادة التي كان اول ضحاياها نائب دمشق فخري بك البارودي وغيره من الشبان وكان ذلك مبدأ هياج تثور فيه النفوس وتهرق في هذا البلد وفي هذه الساعة التي اكتب لفخامتكم فيها كتابي هذا دماء عشرات القتلى ومئات الجرحى في جميع البلاد السورية بين رجال واطفال ظلما وعدوانا ويعتقل مئات من الناس بلا سبب ولا جرم ولا تزال الحالة مستمرة على هذا الاضراب في جميع الانحاء والاضراب عام شامل والمظاهرات قائمة على قدم وساق منذ ايام وحتى الساعة

وذلك كله احتجاجا على سياسة لم يكتب لها منذ يومها الاول الا الفشل

سعيتم ومن حولكم ولا شك باتهامي واتهام كل من قدم نصائحه الخالصة اليكم بعداوة فرنسا ، فان وجدتم ما يبرر ويدعم اتهامكم في فما قول فخامتكم كلي الاحترام البطريرك الماروني لفرنسا ، تلك الصداقة التقليدية التي لا يمكن انكارها ابدا ومع ذلك فقد قام يعلن للملأ اجمع فساد هذه الخطة التي سرتم فخامتكم عليها ومشى الشعب الماروني النبيل من ورائه يشد ازره باحتجاجه واستنكاره هذه السياسة التي اختطتموها

فهل دفعه الى عمله هذا كرهه لفرنسا ؟ ام حب المصلحة ؟ وهل يمكن ان يقال ان عمله هذا كان لغايات شخصية قضيتم عليها اوانكم لم تساعدوه على قضاءها؟ حتى وقف هذا الموقف المناوي الذي قدرته له البلاد من اقصاها الى اقصاها.

ولا نكران انه هو الشيخ الجليل الذي لا هم له ولا غاية الا ان يرى بعينه شعبه يتمتع بحياة حرة مشرفا على جميع مرافقه السياسية والادارية والعدلية والاقتصادية يستند في سيره هذا الى صداقة فرنسا وارشاد رجالها النزيهين

ان الاعتداء على مكتب الكتلة الوطنية واغلاقه والاعتداء على اعضائه ايضا بعد ان اعترفتم بوجوده بصورة جلية لا تقبل الشك وبعد ان مددتم ايديكم اليهم للتفاهم معهم عمل لا مبرر له وتعدصريح للرجال العاملين وتناقش بين الامس واليوم

وانه ليؤلمني كما يؤلم كل وجدان ان ارى بلادي تتخبط في عهد مظلم لا اثر فيه لمراقبة شرعية ولا لكرامة شخصية حتى اصبحت تتذكر البلاد عهد الاستبداد الحميدي وتستمطر عليه الرحمات .

وانه لمن المستغرب انكم لم تتركوا يا فخامة العميد ناحية من النواحي قضائية كانت ام ادارية الا وقضيتم على حسن سيرها بمداخلاتكم ومداخلات رجالكم

الكثيرة تنفيذا لخطتكم التي رسمتموها في هذه البلاد فاي قاض يجسر على مخالفتكم او مخالفة من يلوذ بفخامتكم في اصدار حكمه على من تريدون وان فعل عكس ما يوعز به اليه وكان من اهل البلاد كان نصيبه التنسيق وان كان افرنسيا كان نصيبه العودة الى بلاده في اول باخرة . هذا ما تفعلونه في الوقت الذي كان الاجدر بفخامتكم ان تصونوا على الاقل سمعة القضاء والعدل الافرنسي الذي يترنم به كل منصف في العالم باسره وان لا تشوهوا شكله الاصلي في الشرق الادنى

وهنا لا بد لي قبل ان اختم كتابي هذا ان اصارحكم بان القرارات التي صدرت والقوانين التي سنتها حكومة لم تعترف البلاد بمشروعيتها ولا بحسن نيتها هي مخالفة لصك الانتداب والدستور معا وانه منذ التاريخ الذي وضع فيه الدستور موضع الاجراء لم يعد لفخامتكم الحق باصدار قرارات لم يحتفظ بامرها في صلب المادة ١١٦ الموقتة التي احتفظت فيها فرنسا ببعض امور رأتها ضرورية لها لتقوم بتعهداتها المنصوص عليها في صك الانتداب.

افلا يعد انتهاكا لحرمة الدستور هذه القرارات التي اصدرتموها وهذا الحق الذي منحتموه حكومات غير مشروعة خلال تعطيل المجلس النيابي بصورة غير مشروعة بسن قوانين كيفية يعمل بها في بلاد سورية .

وصفوة القول ان جميع هذه الاعمال وتلك القرارات التي صدرت عن المفوضية والقوانين الاشتراعية التي صدرت عن حكومة غير مشروعة منذ تعطيل الحياة النيابية ليست بشرعية ابدا ولا تستند الى اساس حقوقي .فاذا كان الغرض التصرف بمقدرات البلاد كما تريدون كان الاحرى بفخامتكم ان تلغوا الدستور بكامله وتعلنوا الاحكام العرفية كي لا تفسحوا مجالا لهذا التناقض الذي وقعتم فيه .

واما اذا كنتم فخامتكم تعتبرون الدستور موجودا فالواجب احترامه واذا

كنتم تعتبرونه غير موجود فلماذا تلغوه وتعلنوا ذلك ؟

وقد رأيت من الضروري ان اعيد على مسامعكم كامل نص المادة ١١٦ الموقتة لتراجعها فخامتكم مرة ثانية ويطلع عليها رجال فرنسا وجمعية الامم ليروا فيما اذا كان ما جاء فيها يسوغ هذه الاعمال والتدابير التي اتخذتموها .

المادة (١١٦) — « ما من حكم من احكام الدستور يعارض ولا يجوز ان يعارض التعهدات التي قطعتها فرانسة على نفسها فيما يختص بسورية لا سيما ما كان منها متعلقا بجمعية الامم .

يطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد التى تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الامن وبالدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شأن بالعلائق الخارجية .

لا تطبق احكام هذا الدستور التي من شأنها ان تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية اثناء مدة هذه التعهدات الاضمن الشروط التي تحدد في الاتفاق يعقد بين الحكومتين الافرنسية والسورية .

وعليه ان القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يناقش فيها ولا تنشر وفقا لهذا الدستور الا تنفيذا لهذا الاتفاق .

ان القرارات ذات الصفة التشريعية او التنظيمية التي اتخذها ممثلو حكومة فرنسا لا يجوز تعديلها الا بعد الاتفاق بين الحكومتين » .

فأحتج بشدة على هذه السياسة التي فخامتكم مسؤولون عنها والتي اوصلت البلاد الى هذه الحالة المضطربة المؤلمة وأحتج ايضا بصورة خاصة على ابعاد نائب دمشق فخري بك البارودي دون محاكمة وعلى ضرب نواب الامة الوزراء السابقين كما انني احتج على هذه الشدة والتمادي في سفك الدماء في الشوارع والازقة

وقتل العشرات واعتقال المئآت وسياسة الارهاب والارهاق وعلى ابعاد الدكتور سيف الدين المأمون واعتقال طلاب المدارس والشبان وضربهم وارهاقهم لمجرد اظهار شعورهم بمظاهرات سلمية وأطلب باصرار والحاح ارجاع المبعدين واطلاق سراح المسجونين ووضع حد لهذه المعاملة الشاذة التي يعامل بها الطلاب وهم نخبة البلاد ونواته الصالحة لا سيما وانهم ليسوا بمسؤولين عن هذه الحالة بل المسؤول عنها هم هؤلاء الذين يتربعون على كراسي الحكم ويستمدون سلطانهم من فخامتكم ولو أنصف الدهر لكان يجب ان يحاكموا ويعاقبوا اشد العقاب على ما اقترفوه من ويلات كان ضحاياها هؤلاء المظلومين .

وختاماً ارجو ابلاغ صورة عن احتجاجي هذا الى وزارة الخارجية والى جمعية الامم وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول تحياتي رئيس المجلس النيابي السوري

صبحي بركات الخالدي

اعتقال الشيشكلي



اعتقلت السلطة العسكرية في حماه في ٨ شباط سنة ١٩٣٦ نائب وزعيم حماه الدكتور توفيق الشيشكلي وكان مريضا بدعوى انه من دعاة التحريض على الاضراب فاعتقلوه وابعدوه الى بيروت فارسل والده الى العميد كتابا يطلب فيه الرفق بصحته فاجابه العميد بكتاب هذا نصه :

سيدي : — من حين وصول تحريركم المؤرخ في ٢٥ شبـاط لم اتأخر في ان اهتم للحوادث التي تفضلتم باخباري عنها في كتابكم الذي سلمني اياه الامير امين ارسلان

الدكتور توفيق الشيشكلي ولدكم نقل باعتناء السلطات العسكرية للمستشفى في حلب وبما ان الحوادث التي اوجبت القرارات المتخذة تجاه الدكتور توفيق الشيشكلي قد انتهت وارتفعت لهذا افتكر ان رجوعه لحماه ليس يتأخر منذ الان

وتفضلوا سيدي بتأكيد اعتباري الخاص «ده مارتل»

توقيف واعتقال وابعاد مردم والبكري



جميل بك مردم بك الذي ابعد الى القامشلي



نسيب بك البكري الذي ابعد الى قره خان

في الساعة العاشرة والدقيقة ٢٥ من قبل ظهر الاربعاء الواقع في ١٢ شباط سنة ١٩٣٦ جاء مفتش الشرطة الفرنسي المسيو غران والمفتش المسيو دلماس ورئيس شرطة التحري السيد صبري الحلواني وبعض رجاله الى منزل النائب السيد نسيب البكري وكان فيه ساعتئذ الرئيس السيد هاشم الاتاسي والنائب السيد جميل مردم بك فطلب المسيو غران الى السيدين جميل مردم ونسيب البكري ان يرافقاه الى دائرة الشرطة ثم انتظر حتى ارتدي السيد نسيب ثيابه ، وبعد ذلك اركب كلا منهما بسيارة مع بعض افراد شرطة التحري واحضرا الى غرفة مفوض المركز التي يشغلها اليوم جناب مدير الامن العام ثم احيلا بعد ذلك الى نظارة الشرطة ومنها الى القلعة ثم ابعد البكري الى قرهخان ومردم إلى القامشلي

بلاغ العميد عن اعتقالهما

وعلى اثر ذلك اذاع قلم المطبوعات البلاغ التالي :

ان المفوض السامي قد وجد نفسه مضطرا لاتخاذ تدابير صارمة ازاء الزعماء الوطنيين الذين بخبثهم المعتاد قد حاولوا استغلال جرم عادي لمآرب سياسية واثارة اضطراب بمناسبة جنازة ضحية هذا الجرم وهو في الوقت الذي تأخذ فيه السلطة العسكرية على نفسها مسؤولية توطيد النظام في المدينة لا يتسامح مع المشاغبين السيئي النية الذين لا يترددون عن تعريض الدماء للسفك والتضحية في سبيل مطامعهم بمتظاهرين خدعوا بدسائسهم .

وبناء عليه فان المحرضين الرئيسيين المسؤولين عن هذه المناورة هما السيدان نسيب البكري وجميل مردم قد اوقفا .

طلاب التجهيز يقررون دوام الاضراب

عقد فريق كبير من طلاب التجهيز وغيرهم من المدارس الثانوية بعد عصر الثلاثاء ٥ — ٢ — ١٩٣٦ في مسجد بني امية اجتماعا في المشهد الشرقي واخذوا يستعرضون حال الطلاب وما اصيبوا به من طرد اخوانهم الذين قوصصوا لمشاركتهم عواطف امتهم ورفع وطنهم وقد تولي ادارة هذا الاجتماع الطالب السيد محمود الرفاعي والقى خطابا مسهبا استفز به حمية اخوانه ثم تلاه الطالب السيد خالد عسلي والقى خطابا ارتجاليا كان له الاثر الحسن واستشهد بابيات عربية وآيات قرآنية ثم دار الكلام حول الاضراب فقرر الطلاب بالاكثرية المثابرة على الاضراب ثم اقسموا جميعا القسم الآتي : « اقسم بالله وبشرفي انني لا اعود الى مدرستي حتى يعاد اخواني المطرودون » ثم انقضي الاجتماع الساعة الخامسة وتفرقوا على ان يجتمعوا في اليوم الثاني ـ الاربعاء ـ في التكية الا ان السلطة منعتهم فعادوا الى المسجد الاموى وقاموا بمظاهرة عظيمة كان لها اثر عظيم .

الوفد الرابع : وفد العلماء

عقد طلاب دمشق اجتماعا عاما في المسجد الاموى الجمعة — ٦ — ٢ — ٣٦ واخذوا يتباحثون فيما بينهم عن موقف الطلاب فاذا بالسيد الجلاد استاذ في المدرسة التجارية يطلب السيد انور العش ويتحدث اليه عن وفد العلماء ويذكر له المهمة التي جاءوا من اجلها وهي انهم يطلبون مطاليبا منها معجلة ومنها مؤجلة فالمعجلة

الغاء جميع التدابير التي احدثت الاضراب والمؤجلة اعادة الحيـاة النيابية وما الى ذلك من وحدة واستقلال ومعاهدة فعرض السيد العش هذه الفكرة على اخوانه فوجدوا فيها ارتياحاوالفوا وفدامنهم ليقـابل السادة العلماء وليعرض عليهم مطالب الطلاب ليضموها الى مطاليبهم وكانت مطـالب الطـلاب هي : ١ — العفو عن المسجونين ٢ — الغاء قرارات الطرد — فتـح مكاتب الكتلة ٣ — ارجاع المبعدين — وقف قرارات المحافظات . وكان وفد الطلاب مؤلفا من السادة : احمـد عسه انيس الايراني انور العش ومن ثم قابلوا وفد العلماء وتعهدوا لديهم بعدم القيـام بمظاهرة خيفة تعكير صفو المفاوضة ومن ثم انتدبوا الخطيب السيد العش فقام بعد أنتهاءصلاةالجمعةوالقىخطابا بليغا وطلبالىالناسالهدوء والسكينةريثما تتم مفاوضة وفد العلماء حتى الساعة الرابعة وبعد الساعة الرابعة عاد الوفد بخفي حنين واذاع البيان الآتي : توجهت الانظار في الآونة الاخيرة الى العلماء ورجـال الدين لحل القضية على الوجه الذي يحقق مطالب الشعب العادلة ورأي العلماء ان واجبهم الديني الوطني يوجب عليهم التدخل لحل القضيه بالاساليب المشروعة لانهم السنة الشعب وأئمته وهداته الى كل مافيه الفلاح والنجاح ،فعقدوا اجتماعا كبيرا يوم الخميس في ١٤ ذو القعدة سنـة ١٣٥٤ حضره طـائفة كبيرة من علمـاء دمشق وممثـلي الجمعيات والهيئـات الاسلاميـة وقرروا تأليف وفد منهم لمقـابلة سعادة المندوب وعرض مطالب الشعب عليهوا نتخبوا هيئة تحضيرية مؤلفة من الاساتذة والساده الشيخ ابو اليسر عابدين والشيخ ياسين الجويجاني والشيخ مأمون الارزنجاني فذهبت الهيئةووسطت سعادة المستشار التشريعي لاستطلاع رأي المندوبية في هذه المهمة فطلب المستشار من الهيئة ان تكون المقابلة في جو ساكن هاديء فوعدوه بالسعي في ذلك وقد عرض ذلك على المجتمعين في مسجد بني اميـة لصلاة الجمعـة

وكانوا في اشد حالات الهياج وتوتر الاعصاب فارتضوا الانتظار الى صلاة العصر لاخذ جواب المقابلة فانصرف الشعب على هدوء وسكينة واثقا بعلمائه راضيا بوساطتهم مطمئنا الى سعيهم وبعد اجتماع الهيئة التحضيرية بالمستشار التشريعي ثلاث مرات املا بلقاء المندوب وبعد ان بينوا له مطالبهم جمعهم بسعادة القومندان كولة فسألهم عن مطالبهم فاخبروه انهم يطلبون تحقيق رغائب الشعب السياسية ويدعون المفاوضة فيها لرجال السياسية ويطلبون اطلاق سراح المسجونين والموقوفين وارجاع المبعدين وفتح المدارس واعادة الطلاب المطرودين والعفو حالا عن كل من ناله حكم من الاحكام بسبب الاحوال الحاضرة فخاض معهم في حديث طويل لم يعط فيه جوابا شافيا في هذه المطاليب ولم يظهر استعداده لاعطاء الوعد القاطع في هذه المسألة فبينت له الهيئة ان مهمتها تقتصر على اخذ موعد من سعادة المندوب لمقابلة الوفد اياه فاذا كانت السلطة تقبل وساطة العلماء اعطت الوعد بالمقابلة وان لم تكن ترغب في هذه المقابلة اعتبرت الهيأة مهمتها قد انتهت .

فخرج سعادته قبل ان يجيب بشيء ، وانصرفت الهيئة معتبرة مهمتها قد انتهت.

سعادة نقيب المحامين بدمشق

« ليرفع الى جمعيه الامم ووزارة الخارجية الافرنسيه

عن طريق فخامة المفوض السامي للجمهورية الافرنسية

المحامون السوريون في دمشق وحوران وحمص وحماه ودير الزور والجزيرة العليا وما يتبع هذه المراكز من المناطق القضائية يؤلفون طبقة متفقة ثقافة عالية في الامة السورية وهم بحكم المحاماة التي يفاخرون بالانضواء تحت لوائها اعلق

الناس بالتشريع والحكم والادارة واشدالطبقات شعورا بسياسة الحكومةوادارتها واعلم الشعب برغائب الامه وحاجاتها وآلامها وآمالها .

هؤلاء المحامون قد درسوا علم الحقوق في فرنسا او في معاهد الحقوق التى اقتبست البرامج الافرنسية يعيشون في سوريةعيشه كلها قلق وتذمر وألم فدمشق وسائر المدن السورية وهي ساحات المحامين في مزاولة اعمالهم ما زالت مضربةعن اعمالها ومقفلة متاجرها منذ شهر تقريبا يسودها الاضطراب ويكتنفها الترويع وقد انسدت ابواب الرزق في وجوه الناس على اختلاف الطبقات والمحاكم الاجنبية في دمشق وهي تقبض على خناق التجارة السورية وا كثر القضايا فيها مشغولة منذ هذا الشهر بقضايا الامن العام المحوله اليها من دوائر الشرطة والدرك بحيث اصبح عندها نحو خمسمائة منهم موقوف تحت المحاكمة ولا يزال الوارد اليها في تزايد وتفاقم فهي منصرفة الي محاكمة هؤلاء البائسين المظلومين باسرع ما تستطيع عملا بقوانين المفوض السامي ، كل هذا واصحاب القضايا ينتظرون انجاز قضاياهم وهي تؤجل من يوم الى يوم ومن اسبوع الى اسبوع

ونحن نذكر ان هذه المحاكم انما اسست في سورية لصيانة الحقوق الاجنبيةولم يخطر في بال احد انهم سوف يقلبونها الى محاكم عسكرية ويكلفونها بالقضاء في دعاوي الامن العام لتأييد سياسة انكرها الناس في الشرق والغرب

الحالة في سورية بلغت من السوء مبلغا لم تعرفه البلاد حتى في عهد استبداد الاتراك العثمانيين . والامر في يد نفر من السوريين ليس لهم منه الا التوقيع على ما يراد منه توقيعه وهم في الحقيقة والواقع موظفون صغار وكتبةعاديون لم يكن للبلاد رأي في توليهم هذه الاعمال يستخدمهم المفوض السامي الافرنسي ومندوبوه في المراكز الرئيسية ويخضعون في الاقضيةوالنواحي لمشيئة ضباط عسكريين برتب

صغيرة اختارهم المفوض السامي ووزعهم في طول البلاد وعرضها يحكمون الناس مباشرة وان كانوا يستترون في بعض الاعمال بهؤلاء الموظفين السوريين المساكين

هل سمع احد في البلاد الديموقراطية الحرة ان التشريع يجري في الخفاء . ام هل خطر في بال احد ان يفاجأ الشعب بالقوانين مفاجأة فلا يشعر الا وسيفها مشهور فوق رأسه .

اننا في سورية لا نعرف عن تشريعنا شيئا الا بعد صدوره . وفخامة المفوض السامي الافرنسي يتكتم في القوانين التي يضعها ولا يطلع عليها احدا من السوريين قبل نشرها ووضعها موضع التنفيذ .

الميزانية وهي قانون جباية الاموال وانفاقها توضع في الزوايا والخفاء فتجبى من الشعب الضرائب وتنفق بمعرفة المفوض السامي وعماله من الافرنسيين والسوريين وليس للشعب المكلف اي رأي او علم في كل ذلك . فخامة المفوض السامي الافرنسي يتولى وحده السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية فهو يضع القانون وهو ينفذه

يوضع القانون باللغه الافرنسيه ثم يأمر التراجمه بنقله للعربيه وكثيرا ما يخطيء التراجمة في النقل فيرجعون الى الاصل الفرنسي وعليه المعول وهو النافذ . وقد وقع هذا الخطأ في الماده الخامسة والاربعين من الدستور فأدى الاختلاف بين النص الفرنسي والنص العربي الى مناقشة حادة بين مندوب المفوض السامي وبين احد النواب في المجلس النيابي السورى (راجع ضبط هذا المجلس بتاريخ ٧ حزيران سنة ١٩٣٢) كما ان اخطاء كثيرة من هذا القبيل تقع كل يوم في كل قانون صدر او يصدر على عهد الانتداب الافرنسي .

وهذا موجز عن الحالة في سورية ليعلم الناس كافة اسلوب السياسة الانتدابية فيها .

الحرية الشخصية

الحرية الشخصية مصونة ولا يجوز توقيف احد او حبسه الا في الاحوال المحدودة في القانون ووفاقا للشكل الذي نص عليه : هذه هي المادة السابعة من الدستور السوري وهي تؤيد حقا مقدسا من حقوق الانسان ولكن المفوض السامي في سورية لا يقر هذا الحق ولا يحترمه فقد اصدر قرارا بتاريخ ١ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ اجاز به لنفسه حق اعتقال الناس وتوقيفهم وابعادهم عن مواطنهم والزامهم بالاقامة في اماكن يعينها هو مخالفا بذلك المادة السابعة والمادة الحادية عشرة من الدستور ومباديء الحرية في العالم اجمع وهو لا يفرق في ذلك بين النائب والمحامي والتاجر او غيرهم فهذا نائب دمشق السيد فخري البارودي اعتقل في ليلة ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ وحمل الى الحسجة ولا يزال مجبرا على الاقامة فيها ومثله المحامي سيف الدين المأمون الذي اعتقل في ليلة ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ وسيق الى القامشلي ولا يزال فيها ومثله المحامي حسني باقي الذي اعتقل ثلاثة ايام افرج القضاء عنه في آخرها ثم اعتقل وأجبر على الاقامة في الاسكندرونه ومثلة التاجر السيد محمود البيروتي المعتقل في بكفيا لبنان . واخيرا اعتقل بتاريخ ٦ شباط سنة ١٩٣٦ النائب الدكتور توفيق الشيشكلي واجبر على الاقامة في مكان مجهول مع عدد من شبان حماه واخيرا اعتقل رئيس هيئة المحامين في حماه وسيق الى دمشق . هذا علاوة على عشرات الاشخاص المعتقلين في دوائر الشرطة بحلب وحماه وحمص ودمشق ودير الزور ولا يعلم الا المفوض السامي وعماله اسباب اعتقالهم وحجز حريتهم الشخصية

التعذيب الجسدى

التعذيب الجسدي ممنوع بحكم المادة الحادية عشرة من الدستور السوري ولكنه مباح في دائرة الامن العام المرتبطة رأسا بالمفوض السامي ويكاد لا يمثل متهم امام المحاكم قبل ان يمثل به ويعذب افظع التفظيع ولكن اثبات هذا متعذر قانونا بسبب وقوعه سرا في سراديب دوائر الامن العام . واذا ادعى المصابون به قيل لهم انهم قاوموا هذه القوى المسلحة فدافعت عن نفسها . وقد سبق لاحد المعذبين السيد فريز الملك ان اراد اقامة الدعوى فأجيب ان المفوضية العليا لاترى مجالا لسماع هذه الدعوى على الرغم من وجود تقرير طبي يثبت التعذيب .

حرية المساكن ؟

للمنازل حرمة مصونة فلا يجوز دخولها الا في الاحوال المبينة في القانون وبالشرائط المذكورة فيه (المادة ١٢ من الدستور السوري) ولكن فخامة المفوض السامي ينتهك حرمة هذه المنازل ويدخلها عماله متى شاؤا وكيف شاؤا ويقبضون على الناس في بيوتهم ويسوقونهم امام القضاء الاجنبي ، وهذه ضبوط رجال الأمن العام التي يساق الناس بموجبها امام هذا القضاء محفوظة في دواوين المحاكم تثبت ما قلنا . ولا يقتصر الامر على ذلك بل ان المفوض السامي اصدر بتاريخ ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ رقم ٢٠ قرارا انتهك به حرمة المنازل بصورة صارخة .

حرية الفكر

حريـــة الفكر مكفـولة فلكل شخص حق الاعراب عن فـكره بالقول والكتابة والتصوير ضمن حدود القانون (المادة ١٦ من الدستور السوري) اما فخامة المفوض السامي فقد سلب هذه الحرية وخالف هذه المادة بقرار اصدره تحت رقم ٤ تاريـخ ١٢ شباط سنة ١٩٣٢ والبلاد تعيش في ظل هذا القرار منذ اربع سنين وهو قرار فيه الادارة العرفية على اشد اوصافها فاذا قال قائل ليحيى الاستقلال او لتحيى الحرية اعتبروه مخلا بالامن العام وحكموا عليه بالسجن من ستة اشهر الى ثلاث سنين واذا قال احدهم ليسقط فلان وكان هذا الساقط مرضيا عنه لدى المفوض السامي عوقب بنفس العقوبة . ونظرة سريعة على هذا القـانون وذيوله الصادرة في شهر ك ٢ — ٣٦ تكفي لتكوين فكرة عن سورية في عهد الانتداب.

وكيف يكون في البلاد حرية فكر وقد اغلق المجلس النيابي بقرار المفوض السامي ليس الا لانه رد معاهدة اعتبرها غير كافية لضمان حقوق سورية . واغلقت مكاتب الكتلة الوطنية بقرار اداري بعد ان اجاز القضاء الافرنسي نفسه فتح هذا المكتب وقد سبق للمفوض السامي ان فاوضها واجتمع برجالها مرات عديدة منذ سنين ، وكيف يكون في البلاد حرية فكر وقد منع تشكيل الجمعيات السياسية في انحاء الدولة السورية بقرار صدر في ١٠ ت ١ — ١٩٢٥ تحت رقم ٤٢٣ .

حرية الصحافة

الصحافة والطباعة فهي مضمونة في المادة ١٧ من الدستور السوري ولـكن

فخامة المفوض السامي وعماله اصدروا قانونا رقم ٦٩ بتاريخ ١٥ نيسان ٩٣١ وخنقوا فيه الصحافة واخفتوا صوتها وهم يطبقون اقصى العقوبات على الصحافيين فيعطلون صحفهم الى آجال طويلة ويهددونهم بانواع التهديد .

حرية الاجتماع والتجمع

في المادة ٢٥ صيانة لهذه الحرية ولكن القرار ٤ تاريخ ١٢ شباط ١٩٣٢ هدم هذه الحرية وقوض اركانها .

حرية الشكوى

يحق للسوريين مجتمعين او منفردين ان يقدموا للسلطات والمجلس النيابي العرائض والاستدعاآت في الامور المتعلقة باشخاصهم او بالشئون العامة وفقا للقانون (المادة ٢٧ من الدستور السوري)

لقد بلغت الحالة في سورية بعد هذه القوانين الدكتاتورية مبلغا لم يطق الناس احتماله فاضرب الشعب استنكارا لهذه الاساليب الادارية العجيبة على اثر اغلاق مكاتب الكتلة الوطنية واعتقال احد النواب وابعاده وكان ذلك في ٢٠ - ١ - ٣٦ وفي يوم الاحد ٢٦ - ١ - ١٩٣٦ زار المفوض السامي دمشق وهي مضربة عن اعمالها ومقفلة متاجرها وقائمة بمظاهراتها السلمية ماشية وراء جنائز شهدائها وقتلاها برصاص عمال الانتداب من اجانب وسوريين . في ذلك اليوم التاريخي الاسود اجتمع نخبة من رجال دمشق بلغوا نحو الستين وقرروا ايفاد وفد يقابل فخامة المفوض ويدرس معه موقف البلاد الرهيب ويتعاون واياه على ايجاد مخرج

لما من هذا المأذق . فاستقبلهم استقبالا اقل ما يقال فيه انه لم ينتظر من ممثل فرنسا بل ممثل انتداب جمعية الامم المتمدنة . واهانهم اهانة قبيحة وردهم على اعقابهم كأنه لا يزال في القرون الوسطى يستقبل عبيده الذين يملك ارواحهم واموالهم . وقد كان الاستاذ نقيب المحامين من اعضاء هذا الوفد والمتكلم باسمه . فاستنكر الناس قاطبة هذا العمل لا سيما المحامون الذين اعتبروا هذه الاهانة الموجهة الى الاستاذ النقيب اهانة للمحاماة فهم يحتجون عليها اشد الاحتجاج وسوف يطول احتجاج الامة على هذه السياسة المتبعة في سورية .

ونحن نعتقد ان العالم الاوربي كله يشاطرنا هذا الاستنكار فالمفوض السامي الافرنسي في سورية لا يمثل فرنسة وانما يمثل جمعية الامم واعماله هذه تسيء الى هذه الجمعية اعظم الاساءة وتشوه سمعة المدنية الاوربية في نظر الشرقيين. ان سورية هذه المرة مصممة على متابعة الجهاد حتى تنال حقها في الحرية والاستقلال اسوة بالاقطار العربية المجاورة ولعلها تلقى في اوربا عطفا قريبا من العطف الظاهر في العالم الغربي على الحبشة .

ان العالم الديموقراطي في الغرب يشكو من ديكتاتورية هتلر في المانيا وموسوليني في ايطاليا ولو علم ان في سورية الموضوعة في ذمة جمعية الامم دكتاتورا اعرق في الدكتاتورية من هؤلاء جميعا وابعد نفوذا واوسع سلطانا لعذروا اولئك او لنظروا في امر سورية نظرة عدل وانصاف وانقذوها من هذه الالام قبل ان يدفعها الانتداب الى اليأس .

من اجل هذا كله يرى المحامون السوريون من واجبهم نحو انفسهم ووطنهم ان يرفعوا الى مقامكم السامي هذا البيان محتجين على السياسة المتبعة في سورية وطالبين اصلاح الادارة وارجاعها الى الاصول الديموقراطية النيابية ومؤيدين

مطاليب الامة التي قدمها الوفد الدمشقي الى فخامتكم يوم الاحد في ٢٦ك٢-١٩٣٦ وهي:

١ ــ اعادة دستور الجمعية التأسيسية طليقا من كل قيد يقيده

٢ ــ الغاء نظام الانتداب بعد ثبوت فشله بالتجارب المكررة واعلان استقلال سورية . وعقد معاهدة مع فرنسا تحدد علائق البلدين اسوة بمعاهدة العراق وبريطانيا الاخيرة .

٣ ــ اعلان وحدة الوطن المجزأ حتى تتمكن الامة من جمع قواها وتوجيهها في سبيل الانعاش العام وتخفيف النفقات الباهظة التي اوجدتها التجزئة والتي كادت تقضي على البقية الباقية من ثروة البلاد .

٤ ــ اعادة المبعدين السياسيين حتى يشاركوا امتهم جهودها نحو الاستقلال ومعاقبة المسؤولين الحقيقيين على الحوادث الاخيرة الدامية واطلاق سراح المسجونين والمعتقلين بسببها .

وراجين رفع بيانهم هذا الى وزارة الخارجية الافرنسية في باريز وجمعية الامم في جنيف وقد قررنا الاضراب عن اعمالنا يوم السبت الواقع في الخامس عشر من شهر شباط ١٩٣٦ اثباتا للاوضاع الحاضرة والسياسة المتبعة وتفضلوا بقبول احترامنا الفائق .

اغلاق الجامعة السورية والتجهيز

ارسل وزير المعارف بتاريخ ٨ شباط ١٩٣٦ الى عميد الجامعة السورية قرارا هذا نصه:

بناء على قرار مجلس الجامعة بتاريخ ٦ شباط سنة ١٩٣٦ فقد قررنا تعليق الدروس والامتحانات الى اجل غير مسمى في معهدي الحقوق والطب ما عدا

فرع القبالة اعتبارا من ٨ شباط سنة ١٩٣٦ فالرجاء اعلان وتطبيق هذا القرار وارسل كتابا آخر بنفس المعنى الى مدير التجهيز بشأن اغلاق معهد التجهيز



اعتقال

محمود البيروتي

ننشر صورة التاجر السيد محمود البيروتي بمناسبة ابعاده الى بكفيا في لبنان

وانه من خيرة الشباب العاملين لهذا الوطن المفدى

اعتقال زعماء الاحياء

في اليوم الثالث عشر من شهر شباط سنة ١٩٣٦ في الساعة الثامنة كانت فرق كبيرة من الجند يرافقها بعض رجال التحري فدارت في احياء العمارة والشاغور ومسجد الاقصاب وسوق القطن ، واخذت تطرق بيوت زعماء الاحياء وتعتقلهم رأسا دون كلام ولا حديث وقد اعتقل ما ينوف عن الاربعين شخصا واودع البعض منهم سجن النظارة وسيق البعض الى سجن القلعة والبعض الآخر الى

سجن المزة . وتحت هذا الكلام ننشر صور بعض المعتقلين من زعماء الاحياء التي استطعنا الحصول عليها :

المعتقلون من زعماء حي الشاغور



جمال الخال محمود خدام السروجي ابو فارس العرندي ابو محمد سليم سعيد الحركوش

المعتقلون والمطلوبون من زعماء مسجد الاقصاب



محمد عبد القادر العظم الملقب ابو حمزه



فارس بن حسن ابو رحيم الملقب



محمد سليم صافي الملقب ابو سليم الحلبي

المعتقلون منهم




طلب مرارا ولم يظفروا به

السيد مصطفى العش

حي سوق القطن

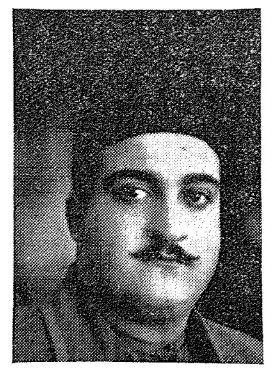
راغب الجوخدار

حكم سبعة سنوات

باب الجابية



السيد فوزي البواب



السيد عبد الغني العرجاوي

وحي العمارة



من حي العماره

مرحى دمشق !..



الاديب ناجي الطنطاوي

لمن هذي العساكر والجنود
تموج كأنها بحر مديد..
تقاطر نحونا من كل فج
زرافات يضيق بها الصعيد..
اذا ماقيل قد نفدت وما من
مزيد بعدها ظهر المزيد
تنوعت الوجوه: فتلك بيض
موردة وذي صفر وسود

ولم حملوا البنادق ثم قامت   امامهم المدافع لا تحيد
ولم صفت هناك مصفحات   تلوح كأنها البرج المشيد
ولم في الجو تعلو طائرات   تغيب وبعد غيبتها تعود ؟
أيا لله من قوم عراهم   وطار بلبهم ذعر شديد
رأوا خصما يجابههم بعزم   ولا عدد لديه ولا عديد
يقابل نارهم وجها لوجه   باحجار ! هي الذخر الوحيد
يكر عليهم اسداً هصورا   تهيب صد كرته الاسود
يقاتل طالبا موتا شريفا   ولا يثنيه زجر او وعيد
ففروا منه مذعورين لما   تجلى ان خصمهم عنيد
سلاما يا ليوث دمشق يامن   على الدنيا دمشق بكم تسود

كتبتم في جبين المجد سطرا | تبيد الراسيات ولا يبيد
ولم يكن المداد سوى دماء | بها كانت جسومكم تجود
عرفتم كيف تكتسبون عزا | و كيف يدوم لاسمكم الخلود
فلا والله ما كنتم عصاة | كازعم المنافق والحسود
ولا ناضلتم من اجل مال | ولا من اجل جاه لا يفيد
ولكن لم تطب لكم حياة | بغير الذل ليس لها وجود
رأيتم عيش الاستعباد عارا | وفيه الوهن والموت الاكيد
فما معنى السكوت على اضطهاد | وفيم الجبن دوما والجمود
أليست ميتة بالعز خيراً | وافضل من هوان لا يحيد
على الدنيا وما فيها سلام | اذا لم يبق في الدنيا سعود
وثبتم لا تريدون اتشادا | وثوب الليث اتعبه القعود
وألقيتم على الاعداء درسا | يشيب لفرط رهبته الوليد
اذا سمع الجليد به تولى | يغالب ذعره الرجل الجليد
سيذكره البنون بكل فخر | ويفخر عند ذكراه الحفيد
ألا فليعلم الاعداء انا | وقوف في الحوادث لا رقود
لقد بذلوا لخدعتنا وعودا | ولكن ليس تخدعنا الوعود
وقد وضعوا لرهبتنا قيودا | ولكن ليس ترهبنا القيود
لئن اقصوا زعيما عن حماه | وظنوا انه ناء بعيد
فقد وهموا لان له مكانا | حصينا في الاضالع لا يميد
وان الشعب اجمعه زعيم | وان الشعب اجمعه جنود
الا زجوا بنا في كل سجن | فان السجن للاحرار عيد

وان سياسـة الابعـاد ليست تضعضع عزمنــا عمـا نريد
سنطلب حقنـا من غاصبيـه ولو أودى بنـا الظلم العتيـد
فامـا ان نـنـال حيـاة عز وامـا ان تغيبنـا اللحود

(ناجي الطنطاوي)



السيد محمد جمعة احد معتقلي باب الجابية



الى اليسار السيد عزت البغجـاتي وهو من الشبان النشيطين فقـد اتلف يوم العيد لوالده بزيت الكاز صدرا من المعمول وذلك لانه ابى عليه وفاؤه لوطنه ان يتلذذ باكل الحلوى وغيره يقاسي مضض الجوع

استشهاد المرحوم الجيلاني من الشاغور

لقد استشهد المرحوم محمود الحمصي الجيلاني من حي الشـاغور في ٢٤ شباط ١٩٣٦ وخلاصة الحادث ان المتظاهرين خرجوا من المسجد الاموي وكانوا يدعون الناس الى الاغلاق فخرجوا من باب العماره وتـابعوا سـيرهم الى العمـاره ثم الى « بين الحواصل» وهناك طلبوا الي عزالدين الطيان صاحب معمل نشر الاخشاب ان يغلق محله فما كان منه الا ان اخرج مسدسا واطلق منه عيارات نارية اصابت

المرحوم الجليلاتي فاردته قتيلا فاخذ احد المتظاهرين خنجرا وضربه به فحضر رجل الشرطة على الاثر واستاقوا المعتدي الى المستشفى وهناك فر ! . . . وهو من انصار الشيخ تاج - - ولا يزال حتى الآن مجهول الاقامة .

تشييع جثمان الجليلاتي

لقد شيع جثمان الجليلاتي ما يقارب عشرين الف نسمة بينهم الطالب والتاجر والمحامي وكلهم يبكون فقيدهم الذي ذهب ضحية مؤامرات الشيخ تاج التي سجلها التاريخ بمداد من ظلام على صفحة سوداء لا تمحى ابد الدهر .



منظر تشييع جثمان الشهيد الجليلاتي ويرى في الصورة النعش محمولا على الاكف

السلطة العسكرية تستلم الامن

في اليوم الذي استشهد فيه المرحوم الجليلاتي استلمت السلطة العسكرية الامن ؛ تحت قيادة الجنرال هوتزنجر والجنرال بلان وفي اليوم الثاني استدعى الجنرال هوتزنجر وجهاء واعيان وتجار مدينة دمشق فلما مثلوا بين يديه تلى عليهم بيان المفوض السامي بشأن اعتقال السيدين مردم والبكري وافهمهم انه استلم الامن ليعيد السكون والهدوء الى البلاد .

اضراب طرابلس

اضربت طرابلس الشام مع دمشق يوم الثلاثاء في ١٥ شباط سنة ١٩٣٦ واننا نعلم تلك الرابطة بين دمشق وطرابلس من الحب والعطف نحو سوريا وهنا ننشر صورة الزعيم عبد الحميد كرامه . ولقد فاتنا نشر صورة الزعيم المحبوب الدكتور عبد اللطيف بك بيسار لعدم تمكننا من الوصول الى صورته .



زعيم طرابلس عبد الحميد بك كرامه

اعتقال الجابرى والانطاكى وفؤاد ابراهيم باشا

لقد استدعى السيد سعد الله بك الجابري في حلب والدكتور حسن فؤاد ابراهيم باشا والمحامي نعيم بك الانطاكي . ثم ابعدوهم الى قرهطاغ



معالي سعد الله بك الجابري



الدكتور المحامي نعيم بك الانطاكي

بيان الغرفة التجارية الى العميد

اجتمعت الغرفة التجارية يوم الثلاثاء الواقع في ١١ شباط ٩٣٦ للمذاكرة في حالة المدينة الاقتصادية وما بلغته من خطورة الموقف والتأثير العام على جميع

مرافقها التجارية والصناعية والزراعية .

وبعد المداولة رأت من الضرورة الفات نظركم الي وصف حقيقة الحالة التي تعانيها مدينة دمشق منذ ثلاثة اسابيع ونيف وهي ما زالت تسير من سيء الي اسوأ حتى بدأ الكثيرون في نقل بضائعهم واموالهم من مخازنهم ومتاجرهم الى حيث يكونون مطمئنين عليها وذلك بالرغم عن ان اضراب المدينة اضرابا تاما في جميع اعمالها قد مضى عليه وقت طويل لم يحدث خلاله اي حادث كان من حوادث السلب والنهب.

ولكن تمادي هذه الحالة وسحب الحكومة حراسها وشرطتها ، من معظم الاسواق التجارية وعدم استطاعتها اعادة الامن الى نصابه وتوالي هذه المظاهر المخيفة والقلق العام اضاع الثقة،وجعل الكثيرين يخشون بغية هذه الحالة ولايدرون اين تنتهي وكيف يكون مصيرها وهي ما زالت تشتد من يوم الي آخر اشتدادا ينذر باسوأ العواقب ، واوخم النتائج .

ان ما يعانيه سكان هذه المدينة من الارهاق في جميع مرافقها ومواردها وما كررت طلبه مختلف هيئاتها في تقارير متعددة فصلت فيها اضرارها ومصائبها وضرورة انصافها ورفع الحيف عنها ولم تترك فرصة سانحة الا بثت فيها شكواها فبعد هذا كله لا يستطيع احد ان يحمل بالتجار وارباب الاعمال اية مسؤولية ولقد بذلت الغرفة التجارية اقصى جهدها ومسعاها لتطمين الافكار القلقة وارجاع الثقة كي تعود الاعمال لمجراها الطبيعي بعدة الاسبوعين الاولين من الاضراب الذي كان مظهرا من مظاهر الاحتجاج الصامت السلمي على الاوضاع الشاذة التي تدار بواسطتها البلاد والتي تراها اضحت حائلا دون تقدمها وازدهارها سياسيا واقتصاديا .

وحيثما قررت العودة الى فتح محالها ومتاجرها فوجئت بقرار طرد الطلاب وتحميل مسؤولية ما جرى على ابناء البلاد المسالمين الهادئين الذين يطلبون عدلا

وانصافا . فاضطربت النفوس وتألمت ولم يعد من السهل اقناع احد بالعودة الى حياة العمل او النشاط واننا الان وقد بلغت الحالة حدا لا يمكن السكوت عليه لا نرى بدا من ان نصارحكم بالحقيقة التي نعتقد انها دواء لهذا الداء .

اننا نرى انه لا يمكن عودة الاسواق التجارية الى سيرتها الاولى واطمئنان النفوس المضطربة الا بعمل جدي تقوم به السلطة لتعيد الى البلاد الهدوء والسكينة ونحن على مثل اليقين ان الواجب يقضي على كل ذي وجدان وضمير يتأثر لما يصيب البلاد في محنتها هذه من المصائب والاوصاب ان يجابه الحقيقة ويدعو اليها لان البلاد تطلب دواء عاجلا يتعلق بمصيرها السياسي والاقتصادي ، وهذا لايكلف السلطة سوى تصريح من قبلها تطمئن له الامة على ان السلطة الافرنسية لا تقاوم تحقيق رغائب البلاد وتأييد امانيها الوطنية وان تعد وعداً قاطعا بانها تعتبر مانجم عن هذه الحوادث من اعتقالات واحكام وطرد وتوقيف وابعاد كأنها لم تكن لتعود البلاد الى حالتها الطبيعية حالا واننا نؤكد تأكيدا جازما بان عملا مثل هذا يعود على السلطة بالتأييد وتقابله البلاد بالشكر والدعاء ويعيد الهدوء والسكون في الحال ولا يوجد سبيل غير ذلك مهما اراد البعض ان يغالط في الحقيقة ويبتعد عنها . اننا نلمس بايدينا ونرى باعيننا مبلغ هذا القلق والاضطراب ومدى هذه الثورة الفكرية لا يستطيع احد الوقوف تجاهها الا بعمل جريء حازم وبعزيمة صادقة آملين من الرجال المسؤولين تقدير هذا الموقف الحرج وما ينجم عنه من اضرار ونتائج سيئة والعمل لتلافيه بالسرعة اللازمة التي تسبب للتجار والمعامل الاوربية والمصارف الاجنبية ولا شك انكم تقدرون ما سيكون من نتائج دوام هذه الحالة من عجز المكلفين عن تأدية مختلف الضرائب ولاسيما الرسوم الجمركية الذي يكون له اسوأ الاثر لخزينة الحكومة والمصالح المشتركة .

والغرفة تحرص الحرص كله ان يكون لـكلمتها وبيانها اثر حسن لدي ولاة الامور وهي تعمل بكل اخلاص ونية حسنة وهي أعرف من غيرهـا بمـا أوضحته والذي يعبر تماما عما يكنه الرأي العام وفيه المصلحة . ولـكم فائق التحية والاحترام سيدي .

دمشق في ١١ شباط سنة١٩٣٦ رئيس غرفة تجارة دمشق
عارف الحلبوني

كتاب الاستاذ الدقر

صورة الكتاب الذي ارسله الاستاذ الشيخ علي الدقر بواسطة ولده

يرفع الى فخامة المفوض السامى للجمهورية الافرنسية بواسطة سعادة مندوبه في دمشق

كنت ممن رغبوا ان يفدوا اليكم املا بالتفاهم النزيه لحل عقدة الخلاف الذي توترت علائقه بين السلطة الافرنسية والبلاد السورية ، فحال دون ذلك سدكم لابواب المفاوضات في وجوه قاصديكم من علماء واعيان وتجار وطلاب ، فاكتفيت بان ارسل لفخامتكم نصيحتي ضمن هذا الكتاب علهـا تجد الباب مفتوحا فتدخل في القلب ويحل السلام محل الظلام .

هذا واني احد ابناء دمشق اعرف حـالة بلدي مبـاشرة لا كما تعرفونهـا انتم بالوسـائط المغرضة التي لا تستهدف الا امرا خاصا ، وليس بامكانها ان تعرف حقيقة الروح السائدة في هذه البلاد لان نظرتها نظرة حزب الى حزب وشخص الى شخص لا نظرة عامة تتحقق فيها الروح السائدة .

واني على يقين من ان السلطة لو عرفت حقيقة الروح السائدة في بلادنا اليوم التي ليست كما هي بالامس لرأت واجبا انسانيا عليهـا ان تحـدد شكلا في المعـاملة غير الذي كان .

ان سوريه اليوم ليست منقادة بحركتها الى افراد ذوي مآرب شخصية كما تزعمون ولكنها مسوقة بآلام و كروب واحزان ، وايم الحق لو شققت عن قلب كل فرد من السوريين لرأيته يؤثر الموت على ما هو عليه من الآلام

وان امة هذا حالها لا يمكن ان تهدأ بوسائل العنف والشدة ، فالابعاد والاعتقال لا يكونان سبباً لتهدئة الحال الا ان يستقصى جميع افرادالامةالسورية لا ان يقتصر على افراد يظن انهم قادة هذه الحركة .

وخلاصة القول ان الحركة السورية اليوم ليست حركة كتلة ولا احزاب ولا طلاب ولكنها حركة امة تشبه شخصا ايقن انه ميت جوعا وبينه وبين ما يأكله سبع ضار فرمى بنفسه على الطعام رجاء ان يتمثل ذلك السبع بانسان رحيم او ان يموت فريسته بدلا من ان يموت جوعا وصبرا .

فالدواء الوحيد لهذا الداء ان تمنحوا هذه الامة الضعيفة مطالبها المعروفةالتي طالما رددتها الصحف وحملتها اليكم العرائض والرسائل ، فاستياؤكم من اشخاص لا ينبغي ان يكون سببا لمنع الامة من حقوقها التى ينصفها بطلبها الافرنسيون انفسهم فيما لو عرفوا حقيقتها ، هذا ما اعرفه اليوم عن دمشق مما دعاني ان اتقدم اليكم بهذه النصيحة الخالصة التى لا ابتغي من ورائها سوى مصلحة الامتين الافرنسية والسورية واقبلوا تحيتي . في ١٦ شباط سنة ١٩٣٦ الشيخ احمد الدقر

اسباب اعتقال البارودى

ربما يتساءل البعض عن السبب الذي حدا بالحكومة الى ابعاد النائب فخري البارودي فاذا فتشنا عن الاسباب نجدها عديدة منها تلك الروح المتأججة في نفسه المملوءة اخلاصا وتضحية في سبيل وطنه اذ ان اخلاصه وتفانيه في

سبيل بلاده صيره بلا مال فقد ضحى ثروته على قضية بلاده . ومنها حركته الوطنية من ضم الشباب وجمع شملهم وفتحه مكتبا خاصا له ومكاتب للكتلة الوطنيـة التي شعر بها الافرنسيون وعلموا ان هنالك نفوسا ابية تكره الضيم !. . ومنها خطابته في المسجد الاموي في ايام الجمع واطلاع الناس على خفايا لا يدركونها وفضائح لا يمكن السكوت عنها ! . . والاحتجاجات والبرقيات التي كان يطيرهـا الى عصبة



صورة طريفة لفخري بك البارودي في منفاه

الامم ووزارة الخارجية في فرنسا ضد رئاسة الوزارة .

لقد كان فخري البارودي عثرة في سبيل الشيخ وزملائه اذ انه كان لا ينفك بين كل آونة واخرى يظهر الدسائس والمكائد التي يحيكونها لهذا الشعب البائس ! . . الا نذكر يوم اخذ السيد بهيج الخطيب يجمع رؤساء الحرف ليضمهم الى جانبه ويستخدمهم في مآربه فقام السيدالبارودي وخطب بالناس وأبان لهم انه يجب عليهم الا ينتخبوا الا قائمة الكتلة الوطنية التي سيعدها لكل حرفة من الحرف في داره وان بابه مفتوح لكل من يود المراجعة والسؤال عن اي حرفة من الحرف ؟ . . ولقد اراد السيد بهيج الخطيب ابان الحوادث الاخيرة ان يستخدم ارباب الحرف فعمد الى استدعاء رؤسائهم وكان بينهم السيد خليل هدايا فلما طلب اليهم مطاليبهم قالوا اننا نؤيد وفد الامة الا وهو الوفد الاول الذي تكلم به النائب الاستاذ فائز الخوري ! . . وعندئذ فشلت مساعيه وخاب أمله ! . .

ومن الاسباب ايضا تصريحه وتصريح رجال الكتلة الوطنية في حفلة اربعين المرحوم ابراهيم بك هنانو من انهم سيبدأون بتنظيم صفوفهم والعمل في الجهاد السياسي ليبلغوا هذه البلاد امانيها وحريتها واستقلالها.

والسبب الاخير هو البيان الذي اصدره بشأن مقاطعة شركة الجر والتنوير بامضائه الصريح بلا خوف ولا وجل يوم كان نصيب من يدعو الى مقاطعة الشركة السجن من ستة اشهر الى ثلاث سنوات .

هذه الاسباب العديدة حدت بالسلطة وبالشيخ ان يعدوه . . . كيف لا وهو عثرة في سبيلهم وامامهم قانون تشكيلات المحافظات الذي تعهد تطبيقه رئيس الوزراء السابق الشيخ تاج ! . . الا يجدر به ان يبعد ذلك الرجل الذي يعترض سبيله ؟ لهذا ما زال يعمل ويسول للمفوض السامي تقابة رأيه حتى سول له اعتقال

وابعاد البارودي فوصل الي اشفاء غليله ولم يكتف بذلك بل ابعد المأمون ومردم والبكري وجميع رجالات سورية المخلصين والاعداء له . ليخلو له الجو ولكن انقلبت الآية اذ ان ابعاد البارودي انقلب الى جذوة نار اتقدت في جميع البلدان السورية فكان البارودي هو تلك البزرة التي انبتت لنا المفاوضة وازالة سوء التفاهم بين الشعب السوري والشعب الافرنسي ! . . لقد اثمرت لنا بذرة البارودي ثمرا يانعا الا وهو الوفد المفاوض الذي اخذ على عاتقه تحقيق اماني البلاد السورية وانجلت الحقيقة للافرنسيين وعلموا علم اليقين ان الشعب السوري متفق بمبادئه وآرائه يقدس المخلص ويتجنب الخائن الساقط. وان الافرنسيين انفسهم خدعوا في المرة الاولى والثانية بالشيخ تاج الذي بسلاسة لسانه وخدعه استطاع ان يتربع على كرسي رئاسة الوزارة وانطلت عليهم اكاذيبه ولكن اخيرا علموا علم اليقين



تمثال ابراهيم بك هنانو في حلب

ان الامة السورية باجمعها تقدس وتحترم وتطيع الكتلة الوطنية . فقد ثارت ثورتها ولم تنطفيء هذه الجذوة الا عندما صاح صوت الحق صوت الكتلة الوطنية .

فلبى الناس جميعهم الدعوة واتوا طائعين يقدمون الطاعة لزعمائهم المخلصين رجال الكتلة الوطنية فحيا الله الشعب الذي يناصر الحق ويجاهدبانصار الباطل.

مظاهرة المهاجرين العظيمة

حدثني احد الشباب الذين كانوا يشرفون على مظاهرة المهاجرين العظيمةقال: اجتمعنا في المسجد الاموي في المشهد وقررنا القيام بمظاهرة الى المهاجرين وقد انتخب المجتمعون خمسة لقيادة هذه المظاهرة وبعد الانتخاب اجتمع القادة وقرروا برنامجا ثم اختاروا مائه وخمسين شابا من الشباب الذين جربوهم وعركوهم وأعطوا كل واحد منهم بطاقة عليها نمرة متسلسلة ثم وقفوا واقسموا الايمان



المتظاهرون يستعدون لضرب الاحجار والى اليمين «زغيور» بطل الاحجار

المغلظة بانهم سيكونون يداً واحدة ويبذلون قصارى جهدهم في الذود عن اخوانهم ونجدتهم عند ما يلقى القبض عليهم .

الرئيس يقول كلمته

فبعد القسم وقف الرئيس وقال : ايها الشباب ! . . اننا عازمون اليوم على القيام بمظاهرة سيكون لها اثر عظيم ! . . وذكر مجيد ! . . لهذا فأطلب اليكم الطاعة الى اخوانكم الذين انتخبتموهم ووليتموهم امركم ! . . وقد عهدت الى احد اخوانكم بالقاء المفرقعات لهذا فرجائي اليكم ان يستعد كل منكم ويملىء جيوبه بالاحجار ولا يضرب حجرا الا بعد ان يسمع صوت انفجار المفرقعة ! . . وعندما تسمعون الصفير الذي هو نداؤنا وكلمة النجدة ... عليهم .. عليهم ... تعلمون ان اخاً لنا ملقى القبض عليه فيجب تخليصه من ايدي الشرطة .

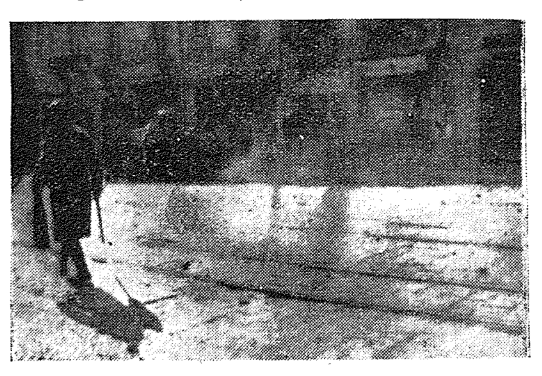
المتظاهرون فى صحن الاموى

فخرج المتظاهرون من المشهد الى صحن الاموي وهم يصيحون ويزغردون ثم خرجوا من باب العمارة ـ الكلاسة ـ وهناك بلغ عددهم (٦٠٠) متظاهر .

فى العمارة

وعندما بلغ المتظاهرون العمارة اخذوا طريقهم نحو مخفرها وكان هناك المفوض السيد « العابد » فألف الشرطيون المرابطون نصف دائرة في وجه المتظاهرين ولكن عندما وصل المتظاهرون الى قربهم القى احدهم مفرقعة وعقبها الاحجار

التي كانت تتطاير على رؤوس الشرطيين ففرقسم من الشرطيين الى المخفر والآخر الى المقهى فتمكن المتظاهرون ان يسيروا بطريقهم الى العقيبة ومنها الى سوق ساروجه فسوق الهال وهناك اتت قوة عظيمة مؤلفة من ثلاث سيارات مكشوفة وعليها الشرطيون بخوذهم الفولاذية وتروسهم الحديدية فما كان من المتظاهرين الا



شارع الدرويشية أثناء الاضراب وفيه الدبابة وامامها احد رجال الشرطة

ان قذفوهم بالمفرقعات وعقبها الاحجار فلم تتمكن القوى من ملاحقتهم فشقوا طريقهم الى حارة الورد ومنها الى شارع بغداد ثم الى عين الكرش وهناك أراحوا اصواتهم واخذوا يملئون جيوبهم باحجار الصوان ! .

المتظاهرون فى الشركسية

ثم تابعوا سيرهم الى سوق ابو جرص وهناك قامت هتافات الاكراد وعزاضاتهم ومن ثم تابع المتظاهرون سيرهم الى الشركسية فعمدوا الى اسلاك الهاتف

فقطعوها . ثم واصلوا سيرهم الى مفرق العفيف فاتت قوة من الدرك والشرطة على سياراتهم الكبيرة فحصلت معركة هائلة بين الاهلين والشرطة لعبت فيها اصوات المفرقعات والاحجار من المتظاهرين ولعب الرصاص والخردق من الدرك واخيرا عاد الشرطيون الى الجسر لاطفاء نار المظاهرة التى قام بها الاطفال الذين اخذوا يكسرون زجاج الترامواي في الجسر . لذلك فقد خلا الجو للمتظاهرين وتابعوا سيرهم الى المهاجرين .

المعركة العظيمة فى المهاجرين

وصل المتظاهرون الى المهاجرين وهناك اخذوا يرشقون دار رئيس الجمهورية بالاحجار والمفرقعات فاصيب الدرك المحافظ هناك باحجار المتظاهرين وعلى الاثر حضرت قوة عظيمة تقدر بخمسمئة جندى بينهم الدرك والشرطة والشركس والارمن والمغاربة الذين هبطوا من قلعة قبة السيار واحتاطوا بالمتظاهرين من كل جانب !

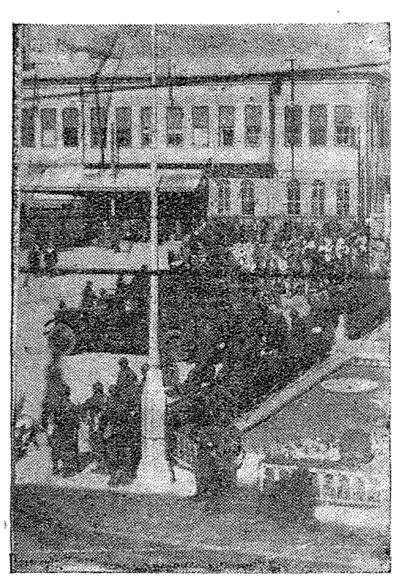
بدء المعركة بين الجند والمتظاهرين

اخذ المتظاهرون يصعدون الجبل فلحقهم الجنود بجفوت الصيد — والبنادق فدارت المعركة وبدأ المتظاهرون يصعدون الجبل ويرشقون الجنود بالحجارة والجنود تجد في أثرهم فكان المتظاهرون يدحرجون الصخور الكبيرة من اعلى الجبل فيتفرق الجنود ويضربون الجنود بالاحجار من الاعلى .

التضحية بين المتظاهرين

ولقد أخذ الاخوان المتظاهرون يؤلفون صفا واحدا في وجه الجنود ويبعدون

الصغار ويسلقونهم الجبال ولقد اصيب احدهم بخردق الجنود فوقع مغمى عليه فلما هم احد الشراكسة بالقبض عليه هجم عليه احد اخوانه وحمله على كتفه وصعد به الجبل ولقد قال لي محدثي : انه في ذلك اليوم : اعتقل اكثر من اربعين شخصا وجميعهم تخلصوا بقوة المتظاهرين لانه عندما يرى احدهم رفيقا له القي القبض عليه فيأخذ بالصفير فيجتمع المتظاهرون ويأخذون برشق الاحجار على الجنود واخوهم المقبوض عليه فيضطر الجندي لتركه وكانوا بهذه الصورة يخلصون اخوانهم ! .. ولقد كان مشرفا على هذه المظاهرات القومندان كوله ولقد اعجب كثيرا بجرأة السوريين وتفانيهم في سبيل وطنهم .



الجنود والدبابات في ساحة المرجة اثناء الاضراب

المتظاهرون في خطر

ولقد دامت هذه المعركة ساعتين كاملتين كان المتظاهرون يحتملون ألم الجوع والعطش والخوف والصعود على الجبال لهذا فقد تضايق المتظاهرون كثيرا لا سيما

والجنود جادون في اثرهم لهذا لم يبق منهم الا خمسون فقط ونظرا لما وقع من الجرحى من الجنود والشرطة والدرك فقد كان الجنود يتمنون القبض على المتظاهرين ليمثلوا بهم افظع تمثيل .

احاطة المتظاهرين

ولما تعب المتظاهرون الباقون احتاط بهم الخمسمائة جندي واخذوا يتهيئون لالقاء القبض عليهم وكانوا قد وصلوا تقريبا الى قمة الجبل من جهة حي الاكراد

النجدة والشهامة العربية !..

وهنا دبت الحماسة بقلوب شباب الاكراد فقاموا بعقاليهم واخذوا يرشقون حجارتهم على الجنود والدرك والشرطة فخر على الاثر اثنا عشر جريحا لهذا فقد كف الجنود عن التقدم ورحلوا من وجه المتظاهرين . وقد بقي اكثر المتظاهرين مشتتين في الجبال بعضهم حتى منتصف الليل والبعض الاخر الى الصباح وذلك لان الجنود رابطت في منافذ الطرق واخذت تلقي القبض على كل من تشتبه به

في اليوم الثاني : في الاموي

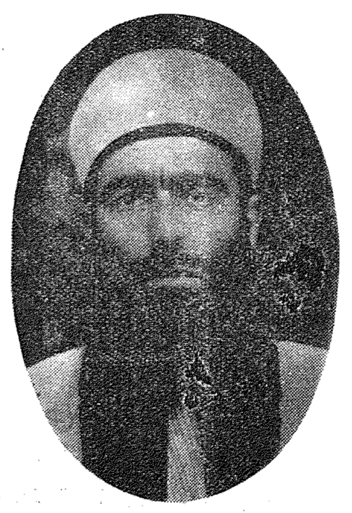
وفي اليوم الثاني حضر المتظاهرون اصحاب البطاقات فوجدوا انه فقد منهم ستة اثنان جرحى والاربعة معتقلون فحمدوا الله على هذه النتيجة وشكرهم الرئيس على تضامنهم واتحادهم وقال لهم:

لولا تضامنكم لاعتقل اكثرنا ولبتنا ليلة امس في زوايا السجون

كتاب الاستاذ الشيخ هاشم الخطيب

الى سعادة المندوب في دمشق الشام البارون فان المحترم ليرفعه بواسطة فخامة المفوض السامي الى وزارة الخارجية الافرنسية والى عصبة الامم في جنيف

لقد عجبنا من عدم مقابلة سعادتكم للهيئة العلمية التحضيرية المحترمة التي ارادت مقابلتكم باسم كبار العلماء من اعلام سوريا الابرار للبحث والتوسط في حل القضية السورية بوجه عادل وجو ساكن هادىء ولأخذ موعد منكم لزيارة باقي اخوانهم كبار العلماء الكرام لسعادتكم عند موافقتكم على حل القضية المذكورة وشكركم على ذلك فلم تصل الهيئة التحضيرية الى نتيجة حاسمة لا من سعادتكم ولا من سعادة رئيس الاستخبارات القومندان كوله المحترم



العالم العلامة المجاهد الشيخ هاشم الخطيب

فالان باسم التعاليم السماوية وقوانين جميع الدول العظيمة المرعية اقدم هذا الكتاب احتجاجاً على ذلك وعلى الامور الثلاثة الاتية :

(اولا) — نحتج على عدم اجابة مطالب الوفد الثاني التجاري الذي قابل سعادتكم منذ عشرة ايام وبحث معكم في كثير من وجوه الاحوال الحاضرة ومن

جملتها تأكيد هذا الوفد الثاني التجاري للمطالبة بمطالب البلاد السورية الان التي خلاصتها اربعة صور : (١) اعادة النائب السيد فخري بك البارودي والمحامي السيد سيف الدين المأمون . ويزاد عليها الان طلب عودة نائب حماه السيد توفيق الشيشكلي (٢) اخلاء سبيل جميع الموقوفين من طلاب المدارس وغيرهم الذين أوقفوا بسبب المظاهرات السلمية الوطنية (٣) اعلان العفو العام عن جميع ما ترتب على ذلك (٤) اعادة وحدة البلاد السورية بحدودها الطبيعية ـ فأثنيتم انتم على حسن لهجة هذا الوفد الثاني ووعدتم بانجاز ما يمكن من مطالب سوريا الان وبحسن التفاهم على بقية المطاليب . واشترطتم على الوفد التجاري المذكور ان تكون البلدة هادئة ساكنة ، وقد مضى جملة ايام عقب ذلك والبلدة بسكون تام ولكنها لم تستطع ان تفتح متاجرها لعدم اطمئنانها الى سياسة التسويف التي اضرت بمصالحها واوصلتها الى هذا الاضراب والقلق .

فلو بدأتم عقب ذلك بانجاز ما وعدتم بانجازه تدريجيا لانتهى الاضراب منذ ذلك اليوم وعاد كل شيء الى مجراه الطبيعي .

(ثانيا) — نحتج على الادارات الكيفية وعلى عدم تخفيف الضرائب الى حد يتناسب مع حالة البلاد وازمتها الخانقة الممتازة في شدتها وضيقها عن جميع ما جاورها من البلاد .

ثالثا — نحتج بصورة خاصة مؤكدة — على عدم اجابة مطالب السوريين السابقة التي لم يزالوا يطالبون بها منذ نحو ستة عشر عاما الى الآن فلم يجابوا حتى ولا في شيء من الامور الاقتصادية ولا الزراعية على وجه يؤمن لهم طرفا يسيرا من الرخاء ويدفع عنهم ضرر الاضطرار الى المهاجرة من سوريا لمكان يستطيعون الحصول فيه على تأمين القوت الضروري وحفظ آخر رمق من حياتهم مع انه

فخامة المفوض وعد بذلك منذ نحو سنة او اكثر: فسياسة التسويف والمراحل مع عدم الاصغاء الى شيء من مطالب السوريين المحقة المشروعة العادلة هي التي دفعت البلاد الى هذا التطور وهذا خلاصة ما نحتج عليه كما اننا نطالب الان ايضا بالامرين الآتيين:

الاول — عدم التعرض للحريات الشخصية وعدم مس كرامة احد من الناس بدون موجب قانوني مع العمل بالحزم والاساليب الحكيمة والسياسة الرشيدة التي تصون الامن وتضع حدا صريحا لجميع التسويفات ولسياسة العنف والشدة التي خلقت هذا الاضطراب واسالت الدماء .

الثاني — العطف بالرحمة والعدل على هذه الامة السورية العربية التي قدمت عددا وافرا من الضحايا في الحرب العامة وبعدها وهي واقفة الى جانب صف الحلفاء شوقا الى ان تظفر بانتعاشها واستقلالها وحياتها الحرة اسوة بامثالها المجاورة لها من الممالك والمدن العربية كالعراق وشرق الاردن لان الذي اوجب هذا الاضطراب والقلق هو كون سوريا بدلا من ان تنال ما نالته البلاد المجاورة لها من الاستقلال فوجئت بتقسيمها تقسيما جديدا الى محافظات وادارات تباعدها عن وحدتها التي بها حياتها ولن ترضى عنها بديلا وان البلاد السورية كلها تعتبر نفسها طائفة واحدة سورية عربية ، فكيف ترضى بهذا التقسيم الجديد الذي حدث الان اذا انضم الى الاوضاع الحاضرة التي فرضت فرضا على سورية منذ اول الانتداب بدون اختيارها ولا موافقتها وسوريا لا تستطيع ان تؤمن للاوضاع المذكورة ما تحتاجه من الاموال والنفقات الكبرى التي تصرف فيما لا ضرورة اليه من العناوين الضخمة التي تشبه عناوين كثيرة مما يوجد في حكومات الدول العظمى مع ان سوريا ولاية متواضعة تستدعي الشفقة والرحمة والعطف .

والخلاصة نطلب الغاء قرار تقسيم سوريا الى محافظات ونطلب ايضا عاجلا

انجاز نتيجة حسنة تدفع عن جميع مدن سورية هذا القلق وتكرموا بقبول فائق الاحترام دمشق : الاحد في ١٦ ذي القعدة ١٣٥٤ و ٩ شباط ١٩٣٦

وقدرفعه الى ملوك العرب ورؤسائهم والى عصبة الامم والبطريرك الماروني وملك انكلترا

محمد هاشم رشيد الخطيب

اغلال تحطم !..

للشاعر الاديب الاستاذ امجد طرابلسي

ما اغترابي عن الحمى وابتعادي كبدي في اللهيب اخت فؤادي
نبأ هزني وهاج شجوني رائح في الشجون بالدمع غاد
ما تراني اذا سجا الليل اسوا ن لهيف الفؤاد نضو سهاد
اعصفي يا ريح ما شئت هوجا كل نفسي عواصف وعواد
اللظى في الحشا وتحت جفوني وعلى مفرشي وفوق وسادي
ان انم ساعة يقلبني الحلـ م على جمره وفوق قتادي
وألد الكرى وطرفي دام وخفوقي في لهفة واتقاد
وبلادي تئن من عبث الجو ر وترغي كالليث في الاصفاد
مهر المجد اسد هاشم تجري للمعالي على رؤوس الصعاد
يا ثرى موطني تباركت تربا انت من ادمع ومن اكباد
حيثما التفت فثم ضريح لشهيد او ساحة لجلاد
كم شهيد كانه بسمة المجد (م) وريحانة العلى والجهاد
خر في حومة النضال ينادي موطني موطني ؛ بلادي بلادي
مات واسم الحمى على شفتيه كالندى فوق ذابل الاوراد

او هو اسم الحبيب طوف معسو لا يشغر المحب عند الرقاد
ايها الغرب قد انفنا من النو م وضقنا بالذل والاصفاد
فوثبنا الى النضال اسودا مثل آبائنا العلى الامجاد
وخضبنا دغالنا بالدم الحر و ضامد الفضاء بالاجناد
ارهق الشرق ذلة واذقه كل ماشئت من اذي واضطهاد
نحن نبغي الحياة والسيف لن يغ مد يا غرب قبل نيل المراد

استقالة الشيخ تاج

ذكرنا فيما مضى الاعتقالات والاصابات التي مر ذكرها فكلها كانت من جراء سياسة الشيخ تاج واعماله التي تسود لها صحائف التاريخ فقد قتل الابرياء واصيب الاطفال واعتقل الزعماء كل ذلك في صحيفة تاج الذي سجل اطفالنا اسمه بين صفحات قلوبهم والى جانبها كلمة خيانة الوطن .

ففي اليوم الثالث والعشرين من شهر شباط قدم استقالته الي رئيس الجمهورية السورية فقبلت واليك المراسيم :

المرسوم الاول — ان رئيس الجمهورية السورية ، بناء على الدستور المنشور في تاريخ ١٤ مايس سنة ١٩٣٠ سيما مادتيه ٧٥ و ٧٦ على المرسوم ١٤٠ قبلت استقالة الشيخ تاج الدين الحسني واعضاء وزارته .

المرسوم الثاني — بناء وبناءً فقد عهد الي معالي عطا بك الايوبي برئاسة مجلس الوزراء ، ووزارة الداخلية .

المراسيم الاخرى — بناء وبناء عهد الى معالي ادمون حمصي بوزارة المالية ومعالي سعيد الغزي بوزارة العدلية ومعالي الامير مصطفى الشهابي بوزارة المعارف

ومعالي مصطفى القصيري بوزارة الاقتصاد الوطني .

رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية مكلف بتنفيذ هذه المراسيم .

صدر عن رئيس الجمهورية السورية

محمد علي العابد

رئيس مجلس الوزارة ووزير الداخلية

عطا الايوبي

رئيس واعضاء الوزارة الجديدة



فخامة عطا بك الايوبي رئيس الوزارة



معالي الامير مصطفى الشهابي وزير المعارف







معالي سعيد بك الغزي رئيس العدلية

معالي ادمون بك حمصي وزير المالية

ظفر سوريا المجاهدة

قال السيد صبحي بركات : ان الشعب هو مصدر السلطات وارادته من ارادة الله وقد يزول كل شيء في العالم وسلطته لا تزول . وليس هناك اية قوة تستطيع ان تحوله عن مطالبه وامانيه .

وقال احد العلماء : اذا تنازع الشعب والحكومة فارادة الشعب هي الغالبة

بلاغ العميد عن موقف الجانب الفرنسي

« ان سياسة الحكومة التي امثلها مستلهمة من تحقيق المطالب المشروعة للامة

السورية ـ اي متابعة المباديء المنصوص عنها في صك عصبة الامم ضمن نطاق حياة برلمانية تساعد على التوفيق بين فكرة الوحدة واحترام حقوق الاقليات المعترف بها في الدستور السوري والتي تحتفظ بكل قوتها . »

وبفضل تعلقكم ونفوذكم الذي تتمتعون به ستتمكنون من رفع حواجز سوء التفاهم التي يمكن ان تكون قد تكونت بين الرأي العام والسلطة المنتدبه .

ويهون عليكم ان تهيئوا اعادة الحياة النيابية وسياسة التطور التي تتجه الى ايجاد معاهدة بين فرنسا وسوريا مستوحاة من المعاهدة العراقية مع دخول سورية في عصبة الامم . ولكي اسهل مهمتكم اريد ان أؤكد لكم ان المتظاهرين الذين لم يحالوا الى المحاكم العادية سيسرحون حالا .

واما اضبارات الذين حكموا فسينظر في كل واحدة منها افراديا بروح التسامح الواسع وتدرس لاتخاذ اجراءات مشبعة بالعطف

وكذلك حالات الطلاب والتلاميذ الذين اصابتهم العقوبات فانها تدرس ايضا بروح العطف ذاتها .

اما فيما يتعلق بالشخصيات التي ابعدت فان اسباب الابعاد ذاتها تظهر اني على استعداد تام لان اضع حداً نهائياً لها باسرع مايمكن حينما تزول الاسباب التي دعت لاتخاذ هذه التدابير . وان تعطيل النشاط الاقتصادي المستمر قد اوجد مشاكل دقيقة للتجار وهذه المشاكل سيكون على حكومتكم ان تحلها مستفيدة من مساعدة المصارف التي جرى الاتصال بها بهذا الشأن .

وبتسليمكم السلطة انتم وزملاؤكم فان رئيس الجمهورية قد اعتمد على وطنيتكم ومقدرتكم وروح الاخلاص البريئة للمصلحة العامة التي تتحلون بها ، واني لسعيد لان اشاركه بهذه الثقة معلنا انني لا أضع مساعدتي لكم لخير سوريا العام موضع المساومة

بيان الوزارة عن برنامجها السياسي

اما وقد قبلنا ان نأخذ على عاتقنا مهمة تأليف الوزارة في مثل هذه الاحوال ملبين الدعوة للقيام باعباء العمل فانه لا يسعنا الا ان نعلن للمواطنين الاعزاء اننا لم نقدم على ذلك الا بعد ان درسنا مع اعضاء هذه الوزارة اماني البلاد التي مابرحت سورية تلح بطلبها وتعمل على تحقيقها ومحصنا بصورة خاصة ماله علاقة منها بالدولة المنتدبة وصلاتها بهذا الوطن تمحيصا كانت نتيجته مباشرتنا العمل على مبدأ تلك الاسس التي شاء فخامة المفوض السامي ممثل الدولة المنتدبة ان يجعلها عهدا قطعه في كتابه الذي وجهه الينا بالامس والمنشور على صفحات الجرائد وانه ليسعدنا ان نصرح بان هذه الوزارة التي الفناها هي وزارة تحضير وانتقال تنحصر مهمتها الرئيسية في تهيئة العودة الى الحياة النيابية على ان يكون للحكومة الدستورية القادمة وحدها الحق بابرام المعاهدة المطلوبة مع حكومة الجمهورية الافرنسية وادخال سورية في عصبة الامم هذا وان اول ما ستنظر فيه وزارتنا من الاعمال هي اعادة افتتاح المدارس والمعاهد العلمية المغلقة والعطف على طلابها الذين اصابهم القصاص من جراء الحوادث الاخيرة واطلاق سراح الموقوفين واعادة الشخصيات المبعدة وتنفيذ جميع ما من شأنه تلافي الاضرار والخسائر الواقعة وتخفيف وطأتها مع العمل على اعادة الحالة الى شكلها المرغوب من الاستقرار والطمأنينة كل ذلك مع اعداد العدة لعودة الحياة النيابية في عهدنا الجديد الذي ترغب الامة فيه وما يشجعنا على تحقيق عملنا ما تعرفه امتنا السورية الكريمة من التأني والرصانة وما نعتقده من انها ستولينا ثقة تكون لنا اكبر معوان على تلك الرغائب باقرب وقت مستعينين بالله مستمدين من كرمه ليكون التوفيق وخير البلاد جزاء اعمالنا والله من وراء القصد .

في دار النائب السيد احسان الشريف

في مساء ٢٦ شباط سنة ١٩٣٦ اخذ رجال الكتلة الوطنيـة يفدون الى دار النائب احـد اعضاء الكتلة الوطنية السيد احسان الشريف للتداول بشأن بيان العميد والوزارة الجـديـدة وهناك عقد اجتمـاع تحت رئاسـة هاشم بك الاتاسي وقد حضر هـذا الاجتماع لطفي بك الحفار وعفيف بك الصلح وشكـري بك القوتلي وجيدر بك مردم بك وبعض الشبـاب المثقفين واتفقوا ان لا يأتوا بعمل او رأي الا عندمـا يقفون على نوايا الافرنسيين .



النائب السيد احسان بك الشريف

العميد يتحدث عن الاضراب والمظاهرات

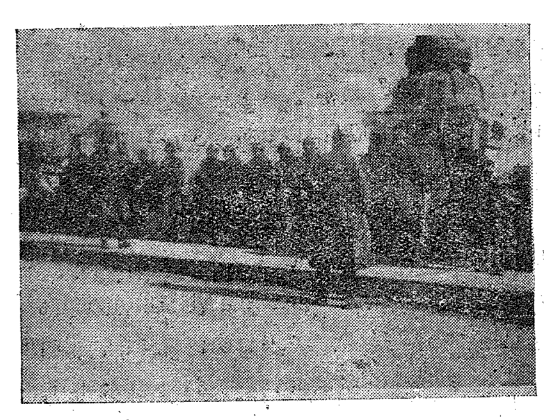
ادلى فخامة العميد بحديث الى مندوب « الانترانسجان » الفرنسية قال فيه :

« لم تصـدر الحوادث الاخيرة التي جرت في دمشق عن اقفال مكتب الكتلة الوطنية في ٢٠ كانون الثاني خلافا لما نشر واذيع . فمنذ ١٠ كانون الثاني في اثناء

الاجتماعات التي عقدت للاحتفال بذكرى الاربعين لوفاة ابراهيم هنانو ، بدأ قادة الكتلة الوطنية يلفظون كلمة اعلان الحرب .

وقد قال احد قواد الحركة في احد الاجتماعات : « قوريبا يجري الدم »

« وعلى اثر هذه الحركة الهياجية شاءت السلطة ان تستدرك خطورة الحالة فاتخذت التدابير الادارية باقفالها مكاتب الكتلة وهي اهم اوساط الحركة الهياجية



الشرطيون بخوذهم الفولاذية في ساحة الشهداء اثناء المظاهرات

أما ابعاد فخري البارودي ووضعه تحت المراقبة فللاسباب نفسها ، فقد تبين لرجال السلطة الفرنسية ان هذا الشخص يسعى لنقل حركة مقاطعة القطار الكهربائي الى الميدان السياسي لخلق الهياج والفوضى .

« ولا نزاع في ان حوادث مصر الاخيرة كان لها تأثيرها في دمشق فنحن الان تجاه يقظة جميع القوميات الشرقية ، وليست اضطرابات سوريا سوى وجه

من حركة صوفية وسياسية عربية كبرى اكثر ما تميل الى التمرد والعصيان .

وليس ادل على ذلك من مطابقة الاساليب التي جرت عليها اضطرابات القاهرة ودمشق ، فالذين تولوا هذه الحركة هم الطلاب سواء في مصر او في سورية كما ان الاصطدامات مع رجال الشرطة ورشق القطر الكهربائية والخافر والمخازن بالحجارة هي نفسها هنا وهناك .

وقد اضيف الى ذلك كله ظاهرة من ظواهر المقاومة اشد ما تكون انطباقاً على مزاج الاهالي في دمشق وهي اضراب الاسواق . على ان هناك من يستغرب استمرار هذا الاضراب اربعين يوماً ويتساءل الى متى يستطيع الاهالي ان يمضوا في مقاومتهم

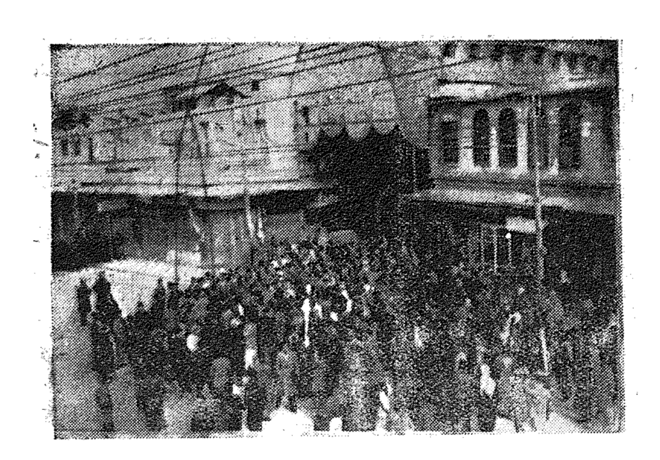
« سوى ان اقفال الاسواق في دمشق لم ينطبع بهذا الطابع للمرة الاولى » فله سوابق تاريخية نذكرها فيما يلي :

ففي عهد الترك كلما حصل خلاف بين الاهالي ورجال السلطة الذين يمثلون الباب العالي اقفلت الاسواق . ففي عام ١٨٣١ اعلن اضراب من هذا النوع استمر ثمانية اشهر احتجاجاً على فرض ضريبة جديدة قررها السلطان محمود الثاني. ولربما كان استمر اكثر من ذلك لو ان محمد علي المصري لم يحتل سوريا ويضع حداً له

وختم العميد تصريحه بقوله :

« اما فيما يتعلق بفرنسا فهي شاعرة بانها فعلت كل ما في وسعها للاسراع في حل القضية وما تزال المعارضة الوطنية تتهرب منها، واما برنامج المفاوضات الذي نشر مؤخرا فيتضمن الحد الاعلى « وحدة سوريا تدريجياً » اعادة الحياة الدستورية » الافراج عن الاشخاص المعتقلين ، والدخول الى جامعة الامم .

« ولا نستطيع ان نذهب الى ابعد من ذلك بدون ان ننتهك حرمة التقيدات الدولية التي يفرضها علينا ميثاق جنيف » .



منظر تشييع جثمان الشهيد محي الدين عربي كابي امام مدخل سوق الحميدية



المشيعون في مقبرة باب الصغير وبينهم النائب الكريم نسيب بك البكري يخطب

الوفد الخامس وبارقة النصر

على اثر تقديم بيان غرفة التجارة استدعى البارون فان كلا من السادة عارف الحلبوني ومسلم السيوفي وقد كان اعضاء الوفد على تمام الاتصال بسعادة مندوب المفوض السامي الذي كان سائدا بينهم حسن التفاهم لحل القضية السورية التي اصبحت مشكلة المشاكل وعقدة العقد لهذا فقد وجدوا حسن نية المفوض السامي لهذا فقد استطاعوا ان يأخذوا لديه وعداً قاطعا في ايقاف التعقيبات بحق الاشخاص المطلوبين وايقاف المحاكم العسكرية عن متابعة اصدار احكامها .



عارف بك الحلبوني احد اعضاء الوفد

ونزولا عند ارادة الوفد وازالة سوء التفاهم بين الطرفين قبل المفوض السامي واذاع بيانا في ذلك وكان هذا الوفد هو بارقة من بوارق ظفر السوريين وهو الذي شق طريق المفاوضة بين رجال الكتلة الوطنية وفخامة العميد .

بيان الكتلة عن بيان العميد

حوالي الساعة التاسعة ليلا من يوم ٢٧ شباط ١٩٣٦ صدر بيان الكتلة الوطنية وهذا نصه :

في تشرين الثاني ١٩٣٣ رد المجلس النيابي السوري مشروع المعاهدة بسبب نواقصه عن المعاهدة العراقية الاخيرة من جهة الوحدة وفقدان الملاحق الواجب ربطها به واحتوائه على مواد تقضي الى اشراك فرنسة في ادارة البلاد الداخلية . وعلى اثر هذا الرد اعلن فخامة المفوض السامي انه وضع المشروع في الخزانة ولم يعمل بعدها في حل القضية السياسية وعمد الى خطة اقتصادية حسبها كافية لاستمرار نظام الانتداب على شكله الحاضر وبقيت البلاد في حالة الانتظار والسير الى الدمار اكثر من سنتين حتى نشرت الكتلة الوطنية في ١٠ كانون الثاني ٩٣٦ بيانا باسم الشعب السوري ضمنته ميثاق الامة القائم على امانيها الصحيحة وحقها المشروع بالوحدة والاستقلال وسردت فيه الاطوار التي مرت على هذه البلاد وكانت سبالاعلانها اليأس من سياسة التعاون ما لم تكن هذه السياسة وسيلة لتحقيق هذا الميثاق وما مرت ثمانية ايام على نشر هذا البيان حتى اغلقت السلطة مكاتب الكتلة الوطنية في دمشق وحلب وقبضت من رجالها على السيدين فخري البارودي نائب دمشق والمحامي سيف الدين المأمون فاجاب الشعب على هذه التدابير المهيجة بالاضراب الصامت عن الاعمال والمظاهرة السلمية احتجاجا على هذا



﴿الرئيس الجليل هاشم بك الاتاسي﴾

الجنوح الى القسوه التي لا مبرر لها ولا كان من الشعب دافع لاتخاذها .

استمرت السلطة في قسوتها منذ ١٨ كانون الثاني الماضي الى اليوم والمدن السورية مضربة عن الاعمال مواصلة الاحتجاج صابرة على الضيم حتى امتلأت السجون بابنائها ورحبت القبور باشلاء شهدائها وغصت المستشفيات بجرحاها بدون ان يكون لها ذنب سوى مطالبتها بحقها المشروع لتنال ما ناله اخوانها في الاقطار العربية الشقيقة

وكانت بيانات فخامة المفوض السامي في مدة هذا الجهاد الذي صبرت فيه الامة صبرا جميلا تتوالى بالتهديد والوعيد واتهام رجال الوطنية الصادقين بتهم يترفعون عنها ويبرأون الى الله منها متخذاً من بيانهم الآنف الذكر حجة لتبرير جنوحه الى خطة العنف والتنكيل مسبغا عليه صفة اعلان الحرب على السلطة مع ان هذا البيان بريء من ذلك .

وقد قبضت السلطة على عدد كبير من احرار الامة ونوابها ووجهاء احيائها وطلابها وزجتهم في اعماق السجون والمنافي البعيدة يقاسون صنوف العذاب والحرمان مع طرد عدد غفير من الطلاب وعزل الاساتيذ الصالحين واقفال معاهد العلم بدون تحقيق ولا تجريم .

وقد جاءت هذه الافعال بعد ان مر على هذه البلاد ستة عشر عاما تحملت فيها ما لا يحتمل في كرامتها وسياستها وادارتها واقتصادها بدون ان تذوق طعم الحرية او تدنو قيد اصبع من الاستقلال الذي تقضي عنه يوما بعد يوم وتذوب ثروتها تدريجا بنقصان صادراتها وزيادة استيرادها وثقل الضرائب والتبذير بالاموال العامة وعدم حماية الافتتاح الوطني ومحاربة الكفاآت الشخصية وتنشيط الزلفى وتثبيط الاخلاص وسائر ضروب الادارة السيئة حتى هبطت قيم الاملاك الى ربعها ونضب رأس مال التاجر وكسدت سلعة الصانع وبارت محاصيل الزراع واستفحل

اليأس والقنوط في جميع النفوس وصار افراد الشعب يؤثرون الموت العاجل على هذا الفناء البطيء المتواصل .

وحيال هذا المصير المنبعث عن الياس المستولي على نفوس الامة وجد فخامة المفوض السامي انه لا بد من العودة للعمل لحل القضية السياسية وان المشاريع الاقتصادية لا تغني شيئا قبل ايجاد استقرار سياسي في البلاد فعمد في ٢٤ شباط الجاري الى اقالة وزارة الشيخ تاج الدين وتأليف وزارة اخرى برئاسة احد اعضاء الوزارة المستقيلة وارفق هذا التبديل منه بكتاب للرئيس الجديد حسبه كافيا لطمأنينة الامة على امانيها .

فصرح في الفقرة الاولى منه « ان سياسة حكومته مستلهمة من الرغبة بتحقيق الاماني المشروعة للامة السورية . اي المتابعة ضمن نطاق برلماني لانشاء نظام يؤلف بين اماني الوحدة واحترام حقوق الاقليات المعترف بها في الدستور وذلك وفاقا للصكوك التوجيهية (Directives) المصدقة في عصبة الامم والمحتفظة بكل قوتها » .

والمعروف من جملة هذه الوثائق التوجيهية المصدقة في عصبة الامم صك الانتداب والدساتير الستة التي وضعها المفوض السامي السابق في ايار سنة ١٩٣٠ لدولتي سوريا ولبنان وحكومتي اللاذقية وجبل الدروز ولواء الاسكندرونة المستقل وللمصالح المشتركة وهي تقضي باقامة الادارة في هذه المقاطعات على اساس التجزئة في شكلها الراهن . كما ان التوفيق بين اماني الوحدة وبين حقوق الاقليات الاقليمية لا يفيد اعتبار الوحدة حقا جوهريا وضرورة مبرمة لحياة البلاد السورية فقد خلت هذه الفقرة المتعلقة بالتلميح بالوحدة من المدى المقصود منها وجاءت بابهام لا يأتلف عند التطبيق مع مصلحة البلاد وامانيها .

واشار الكتاب في فقرته الثانيــة الى تفويض رئيس الوزارة « ان يهيء الاسباب لاعادة الحياة النيابية ويقوم بسياسة التطور الرامية الى اقامة معاهدة بين فرنسا وسوريا مستوحاة من السابقة العراقية والى دخول سوريا في عصبة الامم»

وهذه الفقرة تتضمن اعادة التجربة التي جرت للمرة الاولى سنة ١٩٢٦ وباءت بالفشل . ثم للمرة الثانية سنة ١٩٢٨ وقضي عليها بحل الجمعية التاسيسية ثم اعيدت مرة ثالثة سنة ١٩٣٣ وانتهت ايضا باقفال المجلس النيابي وتعطيل الحياة النيابية بسبب رفض مشروع المعاهدة كما هو معلوم .

وكان يتقدم هذه التجارب في كل مرة تصريحات لا تخرج في مضمونها عن هذا البلاغ الاخير الذي مهد به فخامة المفوض لاجراء تجربة رابعة بدون ان يغير شيئا في الاسس التي قامت عليها التجارب السابقة . فترك بذلك مجالا رحيبا للتخوف من ان يكون حظ هذه التجربة مثل سابقاتها . ولو تفضل فخامته ببيان صريح عن مدى الوحدة وعن الاسس التى تبنى عليها المعاهدة وتعيين مواعيد حاسمة للتنفيذ لكان ازال شيئا من الحذر من اصطدام الاماني القومية مرة اخرى بتشدد الجانب الافرنسي وتفسير الغموض لمصلحة القوي . فلا تنتهي بالعقم المساعي المبذولة في سبيل انشاء حالة الاستقرار التي نحن باشد الحاجة اليها ولا تخذلان الجهود المصروفة باخلاص في سبيل نجاحها

واذا راجعنا الفقرات السابقة من بلاغ المفوض السامي وقابلناها مع امثالها من تصريحات المفوضين السامين السابقين نجد الغموض ما زال مرافقا لها وباعثا على ان نتوقع لها مثل النتائج المحزنة التي اقترنت بالتجارب المتقدمة . وكما ان الكتلة الوطنية تكره الاستمرار الطويل في جدال عقيم فقد كانت وما زالت تتمنى ان يصدر من الجانب الافرنسي تصريح واضح مفصل يطمئن الامة

السورية على حقوقها وينفذ بالاخلاص والنية الحسنة وترحب بكل تدبير يفضي الى هذه الغاية .

ونود ان نعلن للعالم اجمع ان الشعب السوري شعب مسالم ذو تاريخ لامع لا يطلب الا استقراراً تصان به مصالحه وحقوقه الطبيعية في السياسة والاجتماع والاقتصاد ويرغب بعد الاعتراف باستقلاله ان يعقد مع فرنسا معاهدة تحالف لا تقل فيها حقوق السوريين عن الحقوق التي نالها اخوانهم العراقيون في معاهدتهم الاخيرة .

هاشم الاتاسي

المظاهرات تتجدد

اضطرب حبل الهدوء والسكينة يوم الخميس والجمعة في ٢٦ و ٢٧ شباط وكانت



الشاب السيد محمد مدور وقد القي القبض عليه واصيب برأسه من جراء ضربات الجنود



الطفل عدنان الصفدي وقد اصيب بالحردق بوجهه في في صحن الاموي

الحجارة فيها سلاح المتظاهرين يقابلهم رجال الامن برشاش والخردق ، فكانت النتيجة ان اصيب عدد من المتظاهرين بجراح مختلفة ولكنها سليمة اما يوم الجمعة فقد عمـد الجند الى اطلاق النار وكان من نتيجة ذلك ان قتل احد المتظاهرين المدعو عبد المجيد غبور المنشور رسمه في الصفحة(٤٤) من اهالي برزه واصيب عبده بن ديب القواص بطلق آخر فنقل الى المستشفى الانكليزي ولكنه ما لبث ان فارق الحياة واصيب خمسة ايضـا بجراح بليغة ثم عادت السكينة الى ما كانت عليه



ننشر صورة الشاب النشيط السيد فريدشورى بمناسبة سهره على راحة اخوانه اثناء الاضراب في المسجد الاموي فقد كان يضمد جراح المتظاهرين ويطعم الفقراء منهم .



ننشر صورة الشاب النشيط السيد كامل البني بمناسبة اعتقاله وزجه في سجن القلعة وهو من الشباب المخلصين الذين قاموا في اول مظـاهرة في حوادث دمشق الاخيرة

بلاغ قائد موقع دمشق

وقد كان من نتائج المظاهرة والمصادمة التي وقعت يوم الخميس ان اصدر جناب الجنرال بلان قائد موقع دمشق اذاع صباح يوم الجمعة بلاغا وزعت منه الوف النسخ في مدينه دمشق هذا نصه .

ان سعادة القائد الاعلى للجيوش كان اعلن الى سكان دمشق انه اذا وقع اعتداء على الجنود تقابل هذه الجنود الشدة بالشدة .

ومن ذلك اليوم شوهدت مظاهر الهدوء في المدينة .

على انه نهار امس اعني في ثاني يوم الذي اتخذت فيه اجراءات العفو بحق المعتقلين جرى الاعتداء مجدداً على الدوريات العسكرية المتجولة في المدينة من قبل عدد غفير من المتظاهرين الذي امطرونا وابلا من الاحجار

ان هذه الحاله لاتطاق ولا يصح الصبر عنها . ان اصدار الامر للجند باستعمال سلاحهم يعز كثيرا على الجنرال، ويؤلم نفسه لتصوره ما وراء ذلك من سفك الدماء ولكنه يجد نفسه بعد الان مضطرا لذلك اذا اوجبت الحالة ان حق الجنود بالدفاع عن انفسهم لايمكن التسويف فيه اكثر من ذلك ، فان كرامة السلاح الفرنسي اي كرامة فرنسا نفسها ؛ هي المعرضة للمساس .

فالجنرال بلان قائد موقع دمشق رغم ما اظهره من العطف نحو اهالي دمشق منذ ٤٠ يوما بينما كانت عناصر التشويش تتابع اعمال العداء طامعة بان ما تقوم به من اعمال العنف ينيلها مـا تطلب فالجنرال رغم ما اظهره من العطف يناشد لاخر مرة العقلاء والمفكرين ان يردعوا مواطنيهم الذين لا يقدرون العواقب الى الاخطار التي سيتعرضون اليها وان عليهم ان يوقفوا مهاجتهم .

ان قوى الجيش لاعلاقة لها بالسياسة ان مهمتها الوحيدة هي احلال الامن في المدينة وهذه المهمه ستنفذها بعد الان بما لديها من الوسائط الفعالة

دمشق في ٢٨ شباط ١٩٣٦ الجنرال بلان : قائد موقع دمشق

المتظاهرون في المسجد الاموى

حاصر المتظاهرون في المسجد الاموي ثلاثة ايام وكانوا يقابلون الجند بالحجارة



طفل صغير يناهز العاشرة من العمر اصيب بعينه ففقدت وذلك على اثر الحوادث الاخيرة وقد اصيب في المسجد الاموى

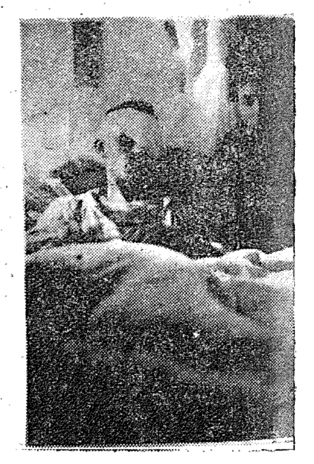


طفل صغير اصيب برشاش الخردق على وجهه وهو مسجى على السرير عند الطبيب يضمد له جراحه وترى الدم يسيل من رأسه على اثر ضربة من «دبشة الجنود»

والجنود يقابلونهم بالخردق وقد اصيب عدد كبير بالخردق وكان من جراء ذلك أن اصيب كثير بذهاب عيونهم وكسر سواعدهم واليك رسوم بعض المصابين من جراء الحوادث الاخيرة .



الى اليسار ـ صورة احد الشباب الذين اصيبوا بالخردق على فخذه وكيسه وذلك اثناء حوادث الاضراب .



السيد سعيد الطحان الذي فقدت عينه بسبب الحوادث الاخيرة والى جانبه صديقه عزة افندار يسهر على راحته



احد الشباب اصيب بخردق الطفت في رقبته ويده

على هامش « حوادث دمشق »

يا امة الحرية !

على ابواب عيد الاضحى ، عيد الدين ، ويوم ٨ آذار عيد الدنيا ، تيتم الاطفال وترمل النساء ، وتنتهك حرمة المساجد، ويراق دم المصلين الابرياء على صحن الاموي؟

افي بيت الله تزهق النفوس وفي ايام العيد تقام المآتم ، وبعد اعلان المفاوضة يطلق الرصاص ؟ ان هذا لكثير ... ان دمشق التي صبرت يوشك ان يخونها الصبر..

انها خمسة واربعون يوما ، خمسة واربعون يوما ؛ وستصبح غداً ستا واربعين ثم تصير خمسين ثم تبلغ الستين ، وقد جربتم الوسائل كلها ، وبذلتم الجهد ، فعمدتم الى الوعد ، ولجأتم الى الوعيد ، لتصدعوا صفوف هذا الشعب ، وتفلوا (اضرابه) فهل فتح في دمشق كلها ، من اقصاها الى اقصاها حانوت لحام او فحام ، بله المتجر الكبير ، والمصرف الشهير ؟ هل رأيتم في هذا الشعب الفقير من يشكو البطالة؟ او يتألم من الجوع ؟ قد عزلتم الحراس ؛ وسحبتم الخفراء ـ واطلقتم الجياع على مخازن الاموال ، وصناديق الذهب فهل رأيتم يداً تمتد الى مال باختلاس ؟ الم يضرب اللصوص عن السرقة كما اضرب التجار عن البيع ، والناس عن الشراء؟

هل رأيتم في هذا الشعب من يأكل اللحم والحلوى ، وجاره لايجد الخبز ؟ ألم يواس الغني الفقير ، الم يتساو الناس في الصبر والتقشف ؟ الم تعش دمشق خمسة واربعين يوماً على الخبز ، ثم تخرج لتقف مدافعة عن حقها في وجه الموت ؟

ألم يفتح الاطفال صدورهم للرصاص ؟ الم يصمد الفتية العزل للجيش اللجب

لايزولون حتى يزول عن مكانه هذا الجبل ، ثم يصدمونه صدمة الند للند ثم لاتنجلي المعركة الا عن حق يظفر ، ومجد يؤثل وشهيد يفوز بالجنة وقتيل يعجل به الى النار واسير ينقل الى القلعة ؟ الم تلبث دمشق خمسة واربعين يوما وكأن شوارعها وميادينها ساحة حرب ، فيها الخنادق والاستحكامات والرشاشات والمصفحات والدبابات ؟ الم تلبث دمشق خمسة واربعين يوما وهي تلتهب التهابا فلا تهدأ النار في ركن من اركانها ، حتى يندلع لسان النار في ركن آخر ودمشق ثابتة على جهادها ؟ الم يشيع الامهات ابناءهن الى المقبرة ضاحكات هاتفات ؟ الم يجاهد الطفل الصغير ، والمرأة العجوز ، والشيخ الفاني ؟ الم تمتلىء السجون بالابرياء ، الم تضق القبور بالشهداء ؟ فهل تكلم تاريخكم في آذانكم ؟ هل عرفتم لهذا الشعب حقه ؟ هل قدرتم له تضحية ، هل رفعتم قبعاتكم حينما مرت بكم مواكب شهدائه ، وخشعت قلوبكم حينما رأيتم سيل دمائه ؟ ونسيتم ان اجدادكم الذين أعلنوا حقوق الانسان وغسلوا بدمائهم صفحة الاستبداد والاستعباد ، فجئتم في القرن العشرين تهدمون ما بنى اجدادكم ، وترجعون بالعالم الى الوراء قروناً ثلاثة ؟

ام قد نسيتم ما كتب روسو وفولتير ومنتسكيو وما قال ميرابو وسييس ولافاييت وما جاهرت به فرنسا من انها نصيرة الشعوب وام الحرية ، ومعينة المظلوم ؟

أفي القرن العشرين الذي قالوا ، انه قرن النور والحضارة . . . فلم نر من نوره الا بريق البارود ، ولهيب النار ، ولم نبصر من حضارته الا البنادق والدبابات وها كم انظروا :

في كل رابية جسوم مزقت ... وبكل نادرنة وعويل

توراة موسى تشتكيك وتحتمي ... بالله والقرآن والانجيل

ليس الشعب السوري عدوا لفرنسا ، انه يحب التاريخ الفرنسي ، ويعجب بابطاله الذين رفعوا منار الحرية ويحب الادب الفرنسي ويحفظ ما فيه من الشعر

الوطني ، والخطب القومية ويحب الشعب الفرنسي الذي يعرف . كيف يثور على الظالمين ، ويقمع المستبدين ، ولكنه لايحب من ينازعه حقه في الحياة والحرية ، لايحب من يسلبه ارضه ، ويضع المسدس على صدغه ؟..

فهل هو ملوم في هذا ، هل في الدنيا امة تحب من يسطو على حريتها ، هل في الارض عاقل يحب من يغلبه على داره ، وينزع منه امواله ؟ ويتحكم في نفسه واهله؟

هل تحبون من ينازعكم ارضكم وبلادكم فعلام اذن لاتعطونا من الحق مثل ماتأخذون لانفسكم ، وتعطون الناس اجمعين .

الأننا لانستطيع ان نخاطبكم بلغة المدفع ؟ الأننا لانملك جيش فرنسا واسطول الانكليز ؟ الأن حقنا لم يؤيد بالقوة ؟ فاين اذن مبادىء الثورة الفرنسية التي علمتمونا اياها في المدارس واين حقوق الانسان؟ ان الضعف ليس عاراً ولكن الجبن هو العار ونحن ضعاف ولكننا لم نجبن ابداً ولانعرف ماهو الجبن نحن مغلوبون على امرنا ولكنا لم نذل ابداً ولا ندري ماهو الذل اننا نعرف كيف نموت كراماً اذا نحن عجزنا ان نعيش كراماً ...

اننا اليوم لكما قال مليككم فرنسوا الاول من قبل : قد خسرنا كل شيء الا الشرف ومن يملك الشرف فقد ملك شيء .

ان شرف نفوسنا وشرف ماضينا وشرف جهادنا علمنا هذا الاتحاد وهذه الشجاعة وهذه التضحية واننا ماضون في سبيلنا لانخاف شيئاً وماذا نخاف هل بعد الموت منزلة نحابيكم عليها هل عندكم اشد من الرصاص لقد فتحت له صدورنا .

هل عندنا اغلى من الارواح لقد اعددناها ثمناً للاستقلال .

هل بقي شيء نخافه . قد رأينا الموت وألفنا الفقر واعتدنا الجوع واصبحت مدينتنا بلقعا واهلها مفجوعين ونساؤها ثاكلات فماذا نخاف بعد هذا ؟

اننا لانخاف الا شيئاً واحداً . نخاف ان نخسر احترامنا للشعب الفرنسي واكبارنا للتاريخ الفرنسي وحبنا الادب الفرنسي ..

نخاف ان يفصل بيننا وبين فرنسا برزخ من الدم فلا نلتقي ابداً ..

ان الدم العربي يا امة الحرية كالدم الفرنسي فلا تحسبوه شراب الورد ... انه حار يغلي ويضطرم كما يغلي الدم الفرنسي ويضطرم ان لشهدائنا آباء وامهات يتألمون ويبكون كما ان لشهداء فرنسا آباء وامهات يتألمون ويبكون وقد ابتت دماء فرنسا ... وان العرب ينتظرون الموسم .

انهم مطمئنون فان في ميدان التضحية متسعاً للجميع ، وان ارض الوطن لاتضيق بشهيد .. وان دمشق التي نامت عصوراً قد تحركت في مضجعها قد تقلبت من جنب الى جنب فسارت بفعلها قطر البريد واسلاك البرق وذرات الاثير وامتلأت باخبارها الارض كلها .

فكيف بدمشق لو قعدت . كيف بها لو قامت . كيف بها لو ذكرت الثأر القديم فوثبت وثبة الموتور المستميت وقفزت مجنونة ثائرة تصرخ تصريخ الدم وتضرب ضربات المردة فتحتفر تحت اقدامها القبور ، وتنفتح ابواب جهنم ؟

... ويل يومئذ للظالمين ! «ع»

نجاح سوريا ودعوة رئيس الكتلة

دعى مندوب المفوض السامي البارون فان دولة رئيس الكتلة الوطنية الى المندوبية في ٢٨ شباط ١٩٣٦ ودارت الابحاث حول الموقف الحاضر ثم دعي الرئيس الاتاسي الى المفوضية العليا ودار البحث بينه وبين المفوض السامي واتفقا على انه

يتفاوضا في بيروت ويضعا حدا لهذه القضية فقبل الرئيس الاتاسي
ذهب الى بيروت مع السادة : عبد الرحمن الكيالي عفيف الصلح فائز الخوري



رئيس الوفد دولة هاشم بك الاتاسي



معالي عبد الرحمن بك الكيالي احد اعضاء الوفد

بيـــــــــان الكتلة الوطنية

عن نتائج المفاوضات في بيروت

بعد المحادثات التي دارت بين المفوض السامي ورئيس الكتلة الوطنية والنتائج التي وصلت اليها اصبحنا نعتقد ان القضية السورية دخلت في طور جديد بفضل جهود الشعب النبيل ومثابرته في سبيل حقوقه الطبيعية التي كانت منكرة عليه وقد

وافق الجانب الفرنسي بوثيقة موقعة منه على تنفيذ خمسة امـور جوهرية لم يكن ليقرها قبل هذه الحادثة وهي :

المعاهدة كمعاهدة العراق

اولا — الموافقة على ان لاتقل حقوق السوريين في المعاهدة العتيدةعن حقوق اخوانهم العراقيين في معاهدتهم الاخيرة مع بريطانيا وهذا عين ما كنا وما زلنا نطالبه بالحاح منذ سنة ١٩٣١ وكررناه في بياننا الاخير المنشورفي ٣١شباطالماضي

لا مصلحة لفرنسا في التجزئة

ثانيا — تصريح الجانب الافرنسيبانهليس له مصلحة مافي تجزئةالبلادالسورية وانما كل الذي يريده هو افراغ الوحدة المنشودة في قـالب يأتلف مع المبادىء المسلم بها في الدستور السوري ولدى جمعية الامم ، ولاجل ايجاد هذا القالبلابد من بحثه في باريس

وفد المفاوضة في باريس

ثالثا — الموافقة على نقل ساحة العمل الى العاصمة الفرنسية بواسطة وفد من الوطنيين يتولى البحث مع المراجع العليا في باريس من النواحي التي لا يمكن البت بها في سوريا وهذه الامنية هي ما كانت الكتلة الوطنية تستمد لهـا والامة السورية تنتظر تنفيذها بفارغ الصبر

الحياة النيابية والانتخابات

رابعا — اعادة الحياة النيابية الحرة باسرع ما يمكن على اساس الانتخاب الشعبي .

الغاء الاحداث الاستثنائية

خامسا — الالغاء في الحال لجميع الاحداث التي ولدتها الحالة الحاضرة في البلاد السورية كافة منذ ١٨ كانون اول الماضي الى الان من عفو عن المحكوم عليهم ، واعادة حرية المعتقلين واطلاق سراح الموقوفين والغاء التدابير الادارية المتخذة في معاهد العلم .

الكتلة لا تتهاون في حقوق البلاد

ولما كانت المشكلة السورية لايجوز تركها في المأزق الذي وصلت اليه وكان لابد لاجل حلها من اتباع اسلوب سياسي حكيم يخلص البلاد من هذا الضيق ويبلغها امانيها الحقة فان الكتلة الوطنية التي اخذت على نفسها الثبات في ساحة الجهاد المخلص واغتنام كل وسيلة سانحة تجد فيها بارقة رجاء قد وافقت على السير العاجل في هذا المنهاج على ان لاتتهاود ولا تتسامح في حقوق البلاد معلنة فخرها بالشعب السوري النجيب الذي احرز بصبره وجهاده الشريف نتيجة طيبة فتحت له نافذة من الامل نرجو ان تكون بابا رحبا يدخل منه الى وحدته واستقلاله وتعتبر ان هذا الفوز الذي يعود الفضل الاكبر فيه لصبر الامة وتجلدها جدير بان يقابل بامائر البهجة والانشراح ويزيد الشعب رسوخا في مبادئه وثقة بنفسه .

الهدوء مع اليقظة والحذر

ولكي يتمكن الوفد من القيام بالمهمة الشاقة التي تودع اليه نرجو من الامة النبيلة ان تيسر له جوا هادئا فتعود الى اعمالها بعد هذا العيد المبارك الذي نرجو ان يكون فاتحة خير على هذه البلاد وتستمر ترصد مجري الاحوال وتراقبها باليقظة والحذر وتنتظر النتائج التي نسأل الله ان يجعلها متكافئة مع جهود الامة المخلصة وضحاياها الغالية ونحن نعتمد بتلبية هذا الرجاء على نبل الشعب وثقته برجاله المخلصين ثقة تمنحهم قوة جديدة وتمهد لهم سبيل التوفيق في تحقيق رغائب الامة والوصول بها الى حقها المفقود

التضامن وتوحيد الكلمة

ونلفت نظر الشعب الى وجوب التضامن وتوحيد الكلمة فتتقدم الامة صفا واحدا للعمل الصالح في حالتي السلب والايجاب ولا تفسح مجالا للتفرق وهي تذكر بالتقدير والاكبار ارواح شهدائها الابرار ورجالها المبعدين الاحرار وجرحاها الابرار وسيداتها النبيلات وطلابها النجباء وسائر رجالها الاماثل فتجد لها من هذه الذكرى حافزا على تراص الصفوف ووحدة الجهود

دمشق في ٢ آذار ١٩٣٦ هاشم الاتاسي

وثيقة تاريخية

كتاب العميد الى رئيس الوزارة السورية

الى دولة الرئيس : ان حكومتي قد استوحت دائما سياستها من الرغبة في

تحقيق اماني الامة السورية المشروعة اعني بذلك رغبتها في متابعة تنظيم وضع يوفق بين اماني الوحدة واحترام الحقوق التي يعترف بها الدستور للأقليات وذلك ضمن نطاق اوضاع نيابية وطبقاً للخطط التي ابدتها جمعية الامم .

ان هذه الخطط لم تزل لها قيمتها المعهودة .

العودة الى الحياة النيابية

وعند ما تتوصلون بفضل حكمكم والسلطة التي منحتموها الى ازالة العقبات الناشئة عن قلة الثقة التي قد تكون حالت بين الرأي العام والدولة المنتدبة يسهل على دولتكم عندئذ تهيئة العودة الى الحياة النيابية والى سياسة الانتقال التي ترمي الى عقد معاهدة بين فرنسا وسورية تكون مستوحاة مما سبق وعقد في العراق والى دخول سورية في جامعة الامم .

العفو عن المحكومين من المتظاهرين والمبعدين

واني تسهيلا لمهمة دولتكم يهمني ان اؤكد لكم بان المتظاهرين الذين لم يحاكموا بعد لدى المحاكم النظامية سيطلق سراحهم فورا وان اضبارات الذين صدرت بحقهم الاحكام سينظر في كل منها على حدة بروح تسامح واسع وذلك بغية اصدار العفو عنهم . وكذلك ستدرس بنفس روح العطف قضايا الطلاب والتلامذة الذين اتخذت بحقهم العقوبات ، واما فيما يتعلق بالشخصيات المبعدة فان التدابير المتخذة تدل من نفسها على اني مستعد لالغائها في اقرب وقت ممكن حالما تزول الاسباب التي دعت اليها .

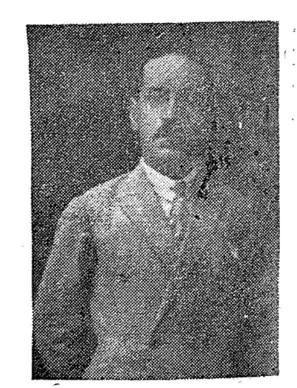
حول موقف الحكومة من الاضرار التي لحقت بالتجار

ان وقف النشاط الاقتصادي طويلا قد اوجد مشاكل دقيقة امام التجار يجدر بحكومتكم السعي لحلها معتمدة بذلك على الموآزرة التي ستقوم بها عن طيبة خاطر المصارف التي سبق ان فاوضتموها بهذا الشأن .

هذا وان رئيس الجمهورية بتسليمه اياكم وزملائكم مقالد الحكم قد شاد بوطنيتكم ومقدرتكم واخلاصكم المجرد الى المصلحة العامة واني لاشاركنه بكل سرور بهذه الثقة واصرح لكم بانني لن اساومكم مؤازرتي كي تنال سوريا اعظم خير تبتغيه تقبل يا دولة الرئيس تأكيد اعتباري الفائق

المفوض السامي للجمهورية الافرنسية في سوريا ولبنان « ده مارتيل »

دمشق في ٢٤ شباط ١٩٣٦



الى اليمين صورة السيد توفيق الكركتلي الملقب بالدكتور . ولقد كانت له اليد الطولى في الحوادث الاخيرة فقد لا تخلو مظاهرة الا ويكون على رأسها



ننشر صورة الاستاذ احمد السوري بمناسبة اعتقاله وهو الخطيب اللسن المخلص لوطنه

استقبال مردم والبكري

وقفت سوريا من اقصاها الى اقصاها بعد انتهاء المحادثات والمفاوضات في بيروت وعودة رجالات الكتلة الوطنية منها. تنتظر ان يعود الزعماء المبعدون ، في حوادث الاضراب الذي ظل خمسين يوماً في القوة والحماسة والاخلاص التي رددها الشرق والغرب في اعجاب واكبار واحترام .

وفي مساء الثلاثاء ١٣ آذار ١٩٣٦ وصل العاصمة السورية السيدان جميل مردم بك ونسيب البكري ، الاول من منفاه في قرقخان والثاني من منفاه في اعزاز ، فزحفت دمشق لاستقبالهما استقبالا قويا ، اثبتت فيه اخلاصها العميق لزعمائهـــا المجاهدين الابرار ، وحبها البالغ لهؤلاء الذين وقفوا جبهة متراصة واحـدة في ساحة الجهاد المؤمن للذود عن حياض سورية الجبارة المجاهدة .

استقبال البارودي

اما فخري البارودي فقد كانت دمشق برجالها ونسائها وشيوخها وكهولهـا وشبابها واطفالها وكانت دمشق كلها تلهج بذكر فخري البارودي .

قيل ان البارودي يصل يوم الاربعاء فلم يبق في دمشق من يصعد نفساً، ولكن البارودي لم يصل وقيل انه يصل يوم الخميس فزحف الناس جميعاً اي زحف هائل لاستقباله ولكنه لم يصل ايضاً .

وكان النبأ اليقين انه قادم يوم الجمعة في ٦ آذار ١٩٣٦ دون ريب ، وتيقن الناس من هذا النبأ فخرجوا جميعاً او خرجت دمشق من بين هذه البنايات والدور

القائمة الى استقبال زعيم شبابها المحبوب فخري بك البارودي ، ونفوس تشعر شوقاً لفخري البارودي وافواه لاتفتح الا لتذكر اسم فخري البارودي .!

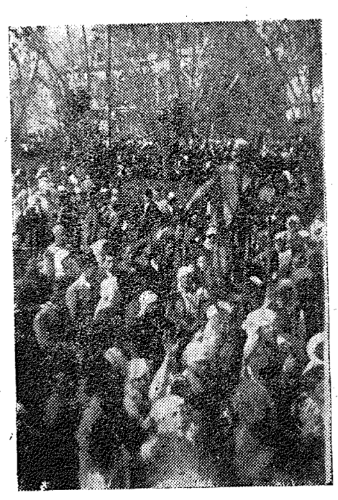
الدكتور المأمون

ولقد كان اسم الدكتور سيف الدين المأمون ، وقد عاد مع السيد البارودي حديث كل فم في هذه الالوف المؤلفة التي ذهبت لتستقبلهما ، والناس اذا حيوا سيف الدين المأمون يحيون شابا هو في رأس شباب سوريا وطنية صادقة مخلصة وجهاداً بريئاً وتضحية مستمرة .

مهرجانات دمشق

اما المهرجانات ، ومظاهر التأييد للرجالات الوطنيين والمواكب الشعبية فانها كانت فوق كل وصف وتقدير اذ لم يبق في دمشق وماجاورها من الضواحي والقرى الا وقدم من سائر المدن السورية في الساحل والداخل ولم يبق احد الا واشترك في هذه المظاهرات وهذه المواكب الهائلة

ومهما حاولت براعة متمكنة ان تصف شعور الناس يوم الجمعة ، لاتتمكن ان تاتي بوصف دقيق لهذه المشاعر التي كانت تنبعث من القلوب هتافات وتحيات لفخري البارودي ، وبلغ الازدحام من



بعض مناظر المهرجانات العظيمة

حي القصاع في دمشق الى عذرا مبلغاً لم تعهده دمشق قبل اليوم

وهكذا سجل الناس لفخري البارودي صفحة جديدة في سجل مجده الوطني مابقي هذا الشعور المقدس المبارك متغلغلا في نفوس الكبير والصغير في هذه الامة الحية المجاهدة ولقد كان الطلاب اجمع يسيرون تحت علم واحد وصف متراص اربعة اربعة ينشدون نشيد استقبال الزعماء المبعدين .

اهلا بنواب الشآم	يا مرحبا بالمبعدين
انتم بنوها الاكرمين	انتم ذووها المخلصين
بارودنا يا فخرنا	مأمون يا ابن الاكرمين
يوم الوقيعة نسيب	ذو النسب الغر الامين
اهلا بمولانا الزعيم	زعيم ارض النيربين
فخر العروبة مردم	عنوان مجد المشرقين
اتاسي يا رمز الوقار	رئيسنا يوم الجهاد
فبالاماني للبلاد	سجلت نصرا لا يبيد
بركات يا فخر الشآم	بركات يا عز البلاد
فبالجهاد والثبات	رفعت شعبا للعلا
خطيب يا زاكي الفؤاد	ذكي يا نور البلاد
بجدك العالي فقد	نلنا أماني للعباد
شهبندر فارسنا	شهبندر قائدنا
فهنيئاً لك بالخلاص	وهنيئا بالنجاح
يا فائز فيك الامل	وبالدفاع تتصف
فليحيى فينا فارس	وليحى فينا العامل



الشاعر الشعبى الاستاذ محى الدين البديوى

قـد اضربت امتنـا — عـن العمـل بالاتحـاد
مسجـلة للامـم — تضامنـا مدي الزمن
يا شهدا يا ابريا — عليكـم منـا السـلام
بدمـكم قـد صبغت — ميـاه وادي النيربـين
شيشكلي يا ابن الخالدين — بالعـز قـد نلت المرام
حمـاة يا اخت الشـآم — حمـاة يا رمز الفخـار
يا حمـص انت مخلصـة — بالشهـداء الاوفيـا
وبالشباب الاكرمـين — وبالغـزاة العـاملـين
شهبـاء يا روح الفـؤاد — فيك مقـر المخلصـين
وفيك نجـم قد هـوى — وانت فخـر السوريين
يا آل سوريا الكرام — بالاتحـاد نلنـا المـرام
وبالحجر فزنا وقـد — فيه بنينـا الاستقـلال

تحيا رجالك ياسوريا

نظمت هذه القطعة بمناسبة الاتحاد الاسلامي المسيحي

وضع وتلحين الشاعر الشعبي السيد محي الدين البديوي

تحيا رجالك ياسوريا — اسلام ومسيحية
الكل قاموا يحموكي — ومن هالقيد يفكوكي

بالروح والمال عم يفدوكي يامهد العروبية
كل العالم متحدين نصارى مع مسلمين
سوريا للسوريين اسمعوا ياغربيين
صار النا ايام وسنين منطالب بالحرية
الحرية بغيتنا والاستقلال غايتنا
والوحدة امنيتنا ما منرجع عن كلمتنا
كل العالم فهمتنا انـا امة عربية
سوريا مع فلسطين ولبنـان وعلويين
وكل العرب اجمعين على الوحدة متفقين
انتصحوا ياغربيين واتفقوا مع سوريا
سوريا صار فيها رجال بساحة الوغى ابطـال
عهد الظلم ولى وزال وصرنا بعهد الدلال
برمشة عين راق الحال وتوحدت القومية
تحيا همة الطلاب ابناء سوريا الانجاب
ولتعش كل الشباب وزعيمها عالي الجناب
تحيا الامة مع النواب ورئيس الكتلة الوطنية
سوريا يابلدنا انت مهجة كبدنا
بروحنا وبولدنا منفديكي ياسندنا
على الله نحنا اعتمدنا وعلى الكتلة الوطنية

محي الدين البديوي

في المسجد الاموي

وفي صباح الاحد ٨ آذار ١٩٣٦ ذهب الناس الى الجامع الاموي ، فخطب كل من السادة : فخري البارودي ، شكري القوتلي ; سيف الدين المأمون، منير العجلاني ، جميل مردم ، فائز الخوري . وقد ألقي السيد القوتلي بيان الكتلة الوطنية

بيان الكتلة الوطنية

ان الشعب السوري النبيل صمد في وجه القوى الجبارة وليس له الا سلاح الحق والايمان فناضل نضال الابطال المجاهدين في ساحة المجد والشرف معتمدا على غلبة العدل وقوة الانصاف واستمر في جهاده بتعطيل الاعمال الصامت واغلاق ابواب الارتزاق سبعة اسابيع متحملا شظف العيش وضروب الحرمان صابرا على المكروه في سبيل المطالبة بحقه الطبيعي من الحرية والاستقلال الى ان اعترف له الغالب بصحة الطلب واجابه الى رغبته العادلة . وبذلك تكللت جهوده بالنجاح واحرز بها ظفرا هو البادرة الاولى من بوادر توفيقه المنتظر .

وقد رغبت الكتلة الوطنية بعد هذا الفوز التمهيدي ان يسود البلاد جو هادىء تتمكن معه من مبادرة الاعمال الايجابية لتحقيق الوعود التي نالتها من الجانب الافرنسي وطلبت الى الامة الكريمة ان تعود لاعمالها في هذا اليوم وتؤكد ثقتها بخدامها المخلصين وتبقى مهيأة لشد ازرهم وتلبية دعوتهم عند الاقتضاء فتهب لهذا التاييد متضامنة في جميع المدن والقرى السورية ليعرف الناس قاطبة ان الامة صف واحد في الدفاع عن حقها تلبي نداء قوادها في حالتي السلب والايجاب .

وعما قريب يتألف الوفد من رجـال متمتعين بالثقة العامة ليذهب الى باريز ويفاوض المرجع الرسمي لتهيئة المعاهدة معتمدا في نجاح مهمته الصعبة على تاييد الامة له ووقوفها بالحزم والثبات الى جانبه ومراقبتها لسير اعماله باليقظة والحذر واستعدادها لاجابة ندائه عند الحاجه . وكما قامت متحدة تعلن باضرابها الصـامت واصرارها على الاعتراف بحقها فلا ريب انها تقوم بعزيمة امضى وصلابة اقوى عند عدم تنفيذ هذا الاعتراف او اقامة العراقيل في سبيله .

والكتلة الوطنية تحب ان تثق بسلامة الوعود المبذولة لها من المفوض السامي عن عزم حكومة باريز على حل مشكلة سوريا بتحقيق الوحدة والغـاء الانتداب ومنح البلاد استقلالها وتحديد العلائق بين الدولتين بمعاهدة تحالف تضمن للسوريين حقوقا لا تقل عن حقوق اخوانهم العراقيين في معاهدتهم الاخيرة . وترجو ان يقابل وفدها في باريز بمثل النية الحسنة وبمثل الرغبة الاكيدة التي يحملها اعضاؤه ليعودوا الى امتهم بمشروع يحقق امانيها ويأتلف مع قواعد العدل والانصاف .

وهذه الكتلة التي تمتعت بثقة الامة منذ الاحتلال الى اليوم تطلب دوام هذه الثقة ليبقى النظام سائدا والكلمة موحدة والصفوف متراصة والتنظيم رصينا محكما وهي شديدة الحرص على اجتناب عوامـل التفرقة التي هي شر على البـلاد من كل كارثة اخرى . واننا نستمطر الرحمة على ارواح الشهداء الخـالدين في الذكـرى ونرجو الشفاء للجرحى ونسجل الفضل لجميع الذين جاهدوا وضحوا في سبيل الوطن بالاقدام والاخلاص .

وندعو جميع اصحاب المتاجر والحرف في المدن السورية كافة ان يعودوا بعد الان للمثابرة على اعمـالهم بالهدوء والطمانينة راجين الا نضطر لدعوة الامة الى التضحية مرة اخرى

في ٨ آذار سنة ١٩٣٦ هاشم الاتاسي

قص الشريط الحريري

ولما انتهت الخطب شق الناس طريقا بين جموعهم الحاشدة لاعضاء الكتلة الوطنية والخطباء فخرجوا يتقدمهم الرئيس الاتاسي وعند وصولهم الى اول سوق الحميدية كان فريق من طلاب الجامعة السورية ممسكين بالشريط الحريري فقصه الرئيس الاتاسي بالمقص الذهبي اشارة الى افتتاح المدينة وما كادت تتم هذه الحركة حتى انتشر الناس واخذوا بفتح حوانيتهم مهللين مستبشرين .

موكب الطلاب المنظم

عددت افراد الموكب ، وهم في ساحة المرجة ، فوجدت تحت كل علم من الاعلام



النواب في شرفة فندق امية والامة جميعها تقدم لهم الطاعة

الخمسة مائتين وسبعة وثلاثين صفا في كل صف ثمانية اشخاص ، ووجدت طليعة الموكب سبعة صفوف فكان المجموع « ٩٥٣٦ » بالضبط وقد ساروا بخطى موزونة شمال — يمين . واحد اثنين ... يقودهم قائد واحد ، يجمعهم شعار واحد ، هو :

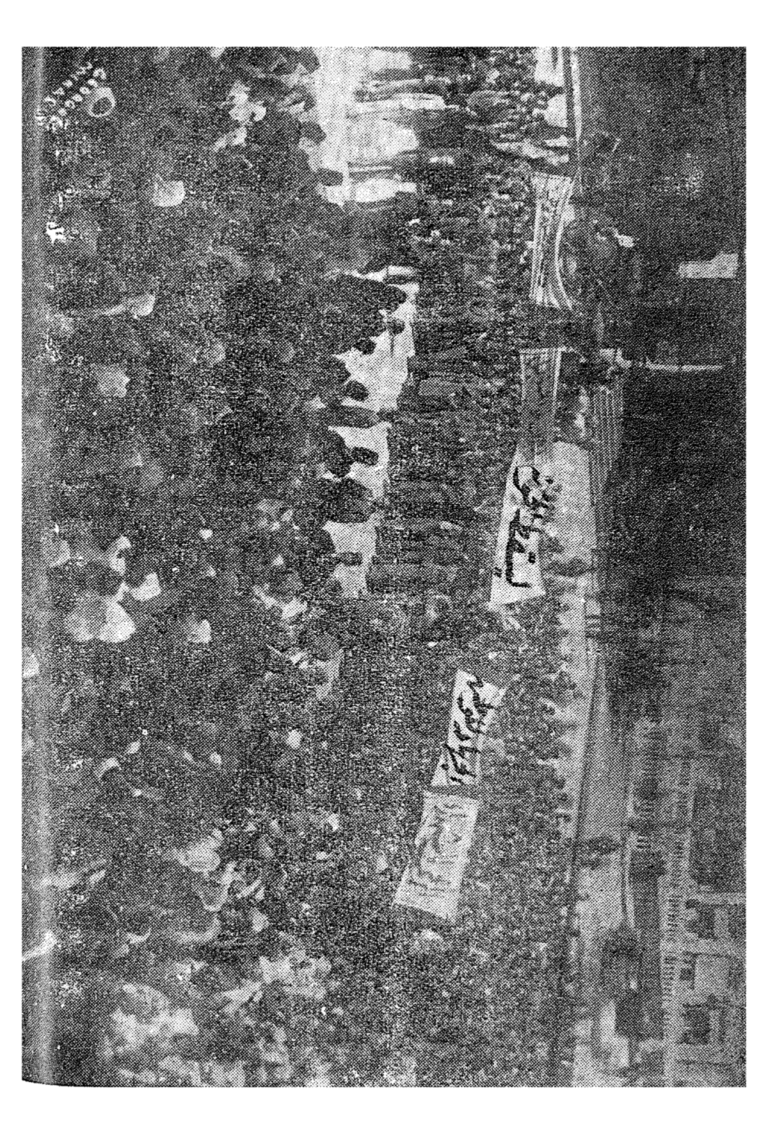
« الجهاد للوطن — والطاعة للكتلة الوطنية »

ظفر جديد للامة والوطنية

هذا هو الشيء الجديد الذي رأته دمشق امس ، فسجلت برؤيته ظفراً جديدا للامة وخطوة واسعة نحو الغاية ؛ ودليلا قويا على ان هذا الشعب مفطور على النظام والاتحاد والعمل . دعا الى هذا الاجتماع الدكتور السيد منير العجلاني سكرتير الشباب الوطني فاقبل الشباب على التكية فلم تبلغ الساعة التاسعة حتى امتلأت على رحبها بالشباب فنشرت الاعلام وكانت خمسة ، مكتوب على الاول « الجهاد للوطن والطاعة للكتلة الوطنية وعلى الثاني : « الشباب هو المستقبل » وعلى الثالث : « الرحمة للشهداء » وعلى الرابع : « ليسقط الخونة » وعلى الخامس : « الشباب رمز التضحية »

الغاية من المظاهرة الكبرى

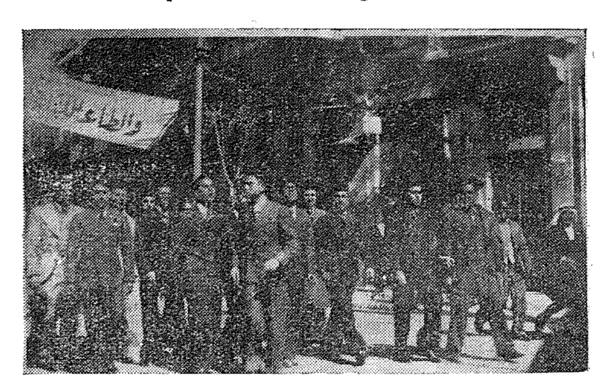
وقام السيد منير العجلاني خطيباً فابان للحاضرين برنامج المظاهرة وان الغاية منها اعلان الطاعة للكتلة الوطنية ، ومقاومة من يريد صدع صفوف هذا الشعب لاغراض شخصية ، وقال السيد منير واعلن ان الخطباء هم السادة الدكتور منير العجلاني الاستاذ علي الطنطاوي الدكتور احمد السمان فلا يجوز ان يقوم غيرهم خطيباً



الى مجمع الكتلة الوطنية

ثم اصطف الشباب ونصبوا القائد الكشاف السيد محمود الرفاعي قائدا لهم في مسيرهم لتأمين النظام وسار هذا الموكب ينشد الاناشيد الوطنية ، ويهتف بشعاره المكتوب على العلم :

« الجهاد للوطن — الطاعة للكتلة الوطنية »



الشباب المنظم في طريقهم الى مجمع الكتلة الوطنية

فمر باوتيل فيكتوريا ثم سار الى آخر شارع الملك فؤاد فدار حول البركة ثم خرج الى الصالحية وقد لحق به امم لاتحصى ، وهنالك نثرت عليه الازهار والعطور وحياه الناس وهتفوا له وكانوا يتلقونه بالتصفيق والزغاريد حينما سار . حتى بلغ دار الدكتور السيد احسان الشريف حيث يجتمع رجال الكتلة فوقف وخرج

اعضاء الكتلة جميعا فاقترح احد الشباب ان يكون السلام بمد اليد اليمنى الى العلاء مع بسط الكف فوافق عليها الرئيس الجليل السيد هاشم الاتاسي بدءه محييا و كذلك فعل سائر الاعضاء فصارت هذه التحية هي الوطنية الجديدة بدلا من رفع اليد الى الرأس .

ثم عاد الموكب الى المرجه فدار حول الحديقة ثم وقف وقام الدكتور منير العجلاني على شرفة مقهى الكمال ومما قاله :

خطاب الدكتور العجلاني

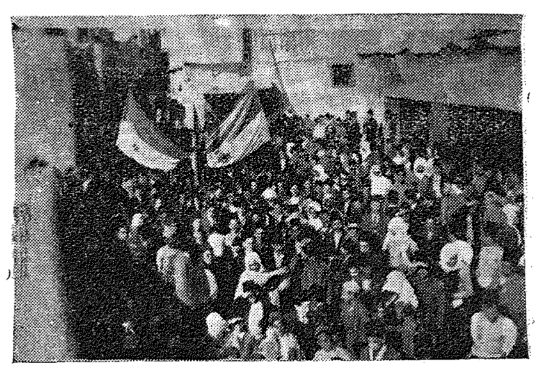
نحن ، جيش الفتوة ، جئنا للعالم جميعا ، ان شعارنا هو التضحية والطاعة ، وان الفوضى ليست عندنا بضاعة ، ولا الشغب صناعة !

لقد جاهدنا واستطعنا بقوة والتضامن والالم ان ننال وثيقة اعترفت لنا فرنسا فيها بمعاهدة مثل معاهدة العراق الاخيرة ، وقبلت ان يذهب وفد رسمي منا الى باريس ليضع مشروع هذه المعاهدة قبل ان يعرض على ممثلي الشعب السوري . فنحن ، امام هذا الاعتراف ، لايجوز لنا ان نشك في النصر الذي احرزناه ، ولا في العهد الذي اخذناه ! لقد اضربت الامة من اجل تحقيق غاية وطنية ، وقدقالوا انهم فهموا حركتنا وقدروها واستعدوا لتطبيقها فعلينا اذن ان نضع حدالاضراب يفقد بعد هذا الاعتراف معناه .. ولكن الهدنة لا تعني الجمود ، فنحن نقف موقف المراقبة ، لنلبي نداء الوطن وكلما دعانا وسيدعونا ، دائما ، لاننا انتهينا من معركة ، حياتنا ستكون جهادا متصلا

ثم دعا الشباب الى ان يرددوا معه الجملة التي اصبحت شعارا : الجهاد للوطن والطاعة للكتلة الوطنية !

الطواف في الاحياء

ثم كانت تحية العلم . فوقف الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم دقيقتين مادين ايديهم بالتحية الوطنية الجديدة ، وقد شاهدنا بعض رجال الجيش قد شاركوا الناس الناس بتحية العلم . وكان مشهد رائع جدا ، ثم سار الموكب الى العمارة فمسجد الاقصاب فالقصاع فباب توما . وكانت مظاهرات الاحياء تمر في هذا الطريق



موكب الشباب يطوف في الاحياء معلنا انتهاء الاضراب

باستمرار في طريقها الى دار السيد فخري البارودي وقد جاءت هذه المظاهرات « العراضات » الشعبية الرائعة من سائر احياء دمشق وكافة القرى المحيطة بها . فمر الموكب على سبعة واربعين « عراضة » شعبية وكانت تنشق له العراضات ويقف رجالها على الجانبين كيما يمر الموكب فيحييهم الشباب بالتحية الجديدة ويحيونه م بالهتاف و ... يامرحبا باللي جاي ...

في ساحة الشهداء الابرار

وقد صار الذي يتبعونه من الناس لايحصى لهم عد ، ولا يدرك لهم حد فمر على باب الجابية والسنجقدار ثم وقف في المرجة ، وهناك اصطف على نظام بديع وصفه به خلائق كالبحر المتماوج بحيث لم يبق في المرجة على رحبها متسع لانسان ، وهناك قام الاستاذ الطنطاوي فارتجل خطابا استهله بقوله :

نواة الجيش الوطني العتيد

« افتحوا ساعاتكم . انظروا . ثم سجلوا : انه في الساعة الثانية عشرة والثلث



جيش الطلاب والشباب في ساحة الشهداء

من يوم ٧ آذار سنة ١٩٣٦ تألفت اول فرقة من الجيش الوطني ! » ثم قال :

« واذا اتونا بالصفوف كثيرة جئنا بصف واحد لن يكسرا »

صف يقوده الايمان وتدفعه الشجاعة ، تجمعه التضحية ، وتقوده الكتلةالوطنية

ان هذا الجيش ضعيف ليس لديه عتاد او سلاح ، ولكن الضعف ليس عاراً ، ان العار هو الجبن ، ونحن ضعاف ولكنا لم نجبن ابداً ولا نعرف ماهو الجبن ، ونحن محكومون ولكنا لم نذل ابداً ولا ندرى ما هو الذل !

نعرف كيف نموت كراماً

انّنا نعرف كيف نموت كراما اذا نحن عجزنا ان نعيش كراماً »

ثم افاض في الكلام على الاتحاد وطاعة الزعماء ، واعلن فتح المدينة غداً ، لان الكتلة قد امرت بذلك ، وسأل الناس رأيهم فاجابوا جميعاً بصوت تهتز له الارض والجبال « الجهاد للوطن — والطاعة للكتلة الوطنية »

ولم يرتفع صوت واحد بالمعارضة .

عند منزل الزعيم البارودى

ثم سار الموكب الي دار السيد البارودي ، وبقيت المرجة تعج بالناس عجا وما فيهم الا من اكبر هذه الظاهرة الجديدة ، واستبشر بها وهناك اطل زعماء الامة ، اعضاء الكتلة فهتف الناس هتافا عاليا ثم اطل فخري البارودي والدكتور سيف الدين المأمون فزلزلت الارض وانشق بالهتاف الفضاء ولم يكن فخري يستطيع ان يتكلم لطول ماخطب وما قاسى من متاعب فكان يتكلم بصوت منخفض ويبلغ

السيد بشير البكري مقاله للناس فشكرهم وحياهم . ثم قام السيد الطنطاوي فالقى خطابا جاء فيه ! يافخري ، ويا اخوان فخري . هذا هو الجيش الوطني العتيد جاء يجـــدد الطاعة لـكم والثقة فيكم .

فبكى السيد فخري فرحا وجدد العهد للشبـاب بانه واخـوانه لن يحيـدوا عن خدمة الامة . فقال السيد الطنطاوي :

اننا لن نخطب ونطيل ، فان الامة قد خطبت بابلـغ اللغات، خطبت بلغة الصبر، بلغة التضحية ، وان هذا الشعب ما جاء الا ليعلن عزمه على الموت ليشتري بموته حياة الوطن ؛ وان من ورائه اهله ونساؤه واطفاله ، تجمعهم كلهم فكرة واحدة وتسوقها حوافز واحدة ، الى غاية واحدة ؛ وان شعارهم جميعا :

« الجهاد للوطن — والطاعة للكتلة الوطنية » فردد الناس الشعار .



الوفد العلوي في دمشق يهنىء المبعدين

وأخيرا اعلن القائد الرفاعي بالنظر للزحام العظيم الى الشباب الوطني المثقف نهاية المظاهرة وان الاجتماع صباح ٨ آذار في الساعة الثامنة في المسجد الاموي .

الوفود في دمشق

ماكاد يذاع نبأ عودة نواب سوريا المبعدين الا وتقاطرت الوفود المهنئة من كل حدب وصوب لتحية رجال سوريا المخلصين وقدام العاصمة السورية الوفود الآتية: طرابلس , زحلة ، اعزاز ، العلويين ، جبل الدروز ، العراق وغيرهـا من الوفود التي كانت تؤيد الكتلة الوطنية والوحدة السورية .

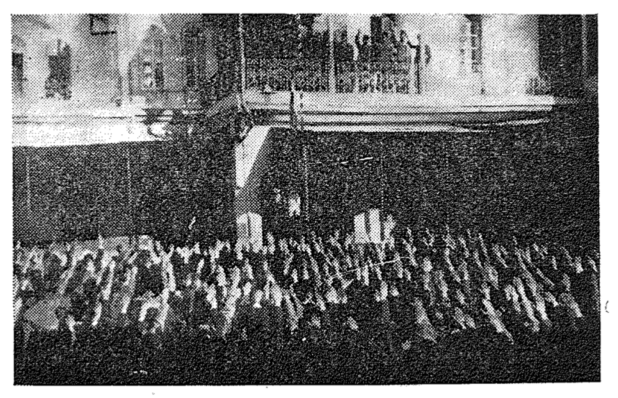


وفد قضاء اعزاز وبعض الشباب في دار زعيم الشباب فخري بك البارودي

تحية العلم السوري

القى هذه القصيدة في مدرسة التجهيز بدمشق الطالب السيد عز الدين العطار

ايهذا الخفاق رفرف على الدهـ ـر وته في العلاء زهواً وحسنا
الفضاء الرحيب محرابك الوا سع فاخفق واترع الجو لحنا
صـورة انت للربوع الغـوالي غلغلت في حماك داراً ومغنى
وطني اجتليه في رمزك السمـ ـح والقى الرفاق خدناً فخدنا
ياتراب الشـآم ياعبق الخلـ ـد ويا نغمة تناسم عدنا
طابت الارض من اريجك انفا ساً وطاب الوجود سهلا وحزنا
في ثراك القدسي يثوي الميامـ ـين فيختـال طيلساناً وردنا



طلاب تجهيز دمشق يحيون العلم السوري في مهرجان

ملأوا الكون بالهداية والنو ر وزانوا مغناه علماً وفناً
طلعوا في دجى الزمان شموساً هي ابهى من الضياء واسنى
رب قلب على خفوقك وقف كلما رف بندك الحلو حنا
تامه طيفك الحبيب فنادا ك وناجى بك العلى وتغنى
لك هذي الارواح منا حلال فادعها تسبق الغمائم جفنا
نحن يوم البلاء رمز التفادي ان دعانا داعي الجهاد اجبنا
فاذا جاء بالدماء شهيد هب الف يجود بالدم منا
من نفوس لم تستكن للعوادي وجسوم لم تعرف الدهر وهنا
تتمشى للمجد عطشى الى المو ت ولو عبت الخضمات رنا
تتنزى كأنها النار وقدا وتوالى يوم المزاهر مزنا
الشباب الشباب ريحانة الخلد وعزم على المدي ليس يفنى
نحن لو علك الكواكب يوما لاتخذنا لك الكواكب زينا
قد وهبنا لك النفوس لتحيا ليس منا من يخبأ النفس ضنا
أنت منا الهوى وأنت الاماني كل روح ترى بك المتمنى

اجتماع رجال الكتلة الاول لانتخاب الوفد

ذكرنا فيما سبق انه اتفق المفوض السامي مع رئيس الكتلة الوطنية على ارسال وفد الى باريس للمفاوضة بشأن الاستقرار السياسي وعلى اثر ذلك عقد رجال الكتلة الوطنية اجتماعا في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم ١١ آذار سنة ٩٣٦ في منزل الاستاذ فائز الخوري نائب دمشق ونقيب المحامين ، تناول البحث فيه مختلف الشؤون الوطنية والمفاوضات الاخيرة

وقد حضر هـذا الاجتماع جميع اعضاء مجلس الكتلة الوطنية وهم السادة :
الرئيس الجليل هاشم الاتاسي ، فارس الخوري ، جميل مردم بك ، رياض الصلـح ، سعد الله الجابري ، فخري البارودي ، نسيب البكري ؛ لطفي الحفار عفيف الصلح ، فائز الخوري ، شكري القوتلي ، مظهر رسلان ، الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، احمد اللحام ، جميل ابراهيم باشا ، نجيب البرازي ، الدكـتور احسان الشريف ، الدكتور ناظم القدسي ، الدكتور ادمون الرباط ، نعيم الانطاكي ، الدكتور منير العجلاني ، الدكـتور سيف الدين المـأمون ، صلاح الدين باقي ، رشدي الكيخية ، احمد منير الوفائي . وقد تناول الجميع طعام الغداء على مائدة الاستاذ فائز الخوري واجتمعوا بعد الغداء اجتماعا قصيرا .

انتخاب اعضاء الوفد الوطني

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ١١ آذار انتقلوا الى منزل الاستاذفارس الخوري في المهاجرين وظل الاجتماع معقودا حتى الساعة السابعة .

وقد قام الرئيس الجليل واخوانه الذين اشـتركوا بالمفـاوضات مع العميد السامي الكونت دومارتيل بشرح تفاصيل المحادثات التي دارت آنئذ ،ودرس ضبط هذه المحادثات الرسمي ليطلع رجال الكتلة الوطنية المبعدون على التفاصيل الدقيقة لكل ما جرى . ثم انتقل البحث الى انتخاب اعضاء الوفد الوطـني الذي سيقوم بالمفاوضات في باريس وقد تم ترشيح الاعضاء الذين يتألف منهم الوفد بالاتفاق العام واعلن الجميـع عدم وجود حاجة للانتخاب السري لان الاتفـاق تام على الاعضاء وهكذا تم انتخاب اعضاء الوفد وهم السادة :

الرئيس هاشم الاتاسي ، الاستاذ فارس الخوري ، جميل مردم بك ، سعدالله الجابري

من الرئيس الى الزعيم

ارسل دولة الرئيس الجليل السيد هاشم الأتاسي الى الزعيم عبد الرحمن الشهبندر منذ ايام كتابا اتصلت بنا سورته وهو :

سيدي : نهار امس حضرت الى بيروت لاجل تقديم الوفد السوري المفاوض الى المفوض السامي واجراء التعارف بينهما قبل سفره الى باريس وبعد اتمام ذلك خلوت به وطلبت منه مرة ثانية التوسط بالعفو عن جميع المحكوم عليهم السياسيين والمحرومين من العودة الى الوطن فطلب تاخير هذا البحث الآن فاجبته بان هنالك اشخاصا لا بد من حضورهم الى باريس في اثناء المفاوضات لنفوذ كلمتهم وقيمة آراءهم فقال انه سيسعى لاستصدار امر بالترخيص لهم بالمجيء الى باريس بعد وصوله اليها .



الزعيم المخلص الدكتور شهبندر

ونحن بعد اسبوع ان شاء الله تعالى سنتوجه مع الوفد وهم السادة : فارس الخوري وجميل مردم بك وسعد الله الجابري والامير مصطفى الشهابي وادمون حمصي وهذا الحقير وعند وصولنا سا كرر السعي لمجيئكم الى باريز لتكونوا معنا في اثناء المفاوضات فنسترشد بآرائكم ونستانس بها فاذا حصل الترخيص ارجو حضوركم بلا تاخير حتى اذا تم الاتفاق على مافيه خير البلاد ان شاء الله تعالى نعود سوية الى الاوطان مجبوري الخاطر وما ذلك على الله بعزيز

وتفضلوا بقبول ازكى التحيات واسمى التمنيات سيدي   اخوكم : هاشم الاتاسي



دولة رئيس الوفد السيد هاشم الاتاسي



السيد سعد الله الجابري عضو الوفد



الاستاذ فارس الخوري عضو الوفد



السيد جميل مردم بك عضو الوفد

الامير مصطفى الشهابي العضو الحكومي في الوفد

السيد ادمون حمصي العضو الحكومي في الوفد

الاستاذ نعيم الانطاكي سكرتير الوفد

الاستاذ احمد اللحام المستشار العسكري

نص مرسوم رئيس الوفد الجليل

ان رئيس الجمهورية السورية بناء على الدستور السوري وبناء على محضر الاجتماع الذي عقد في ٢٩ شباط سنة ١٩٣٦ في غرفة فخامة سفير فرنسا المفوض السامي للجمهورية الافرنسية بحضور أعضاء الحكومة السورية وصاحب الدولة هاشم بك الاتاسي ذلك الاجتماع الذي تقرر فيه ذهاب وفد الى باريس مهمته اجراء مذاكرات لتهيئة مشروع المعاهدة بين الجمهورية الافرنسية والجمهورية السورية

وبناء على بيان الحكومة السورية المؤرخ في ١٢ آذار سنة ١٩٣٦ المؤيد لهذا القرار

وبناء على كتاب صاحب الدولة هاشم بك الاتاسي المؤرخ في ١٢ آذار سنة ١٩٣٦ والموجه الى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء والذي ينص على انتخاب صاحب الدولة هاشم بك الاتاسي واصحاب المعالي فارس بك الخوري وجميل بك مردم وسعد الله بك الجابري اعضاء في الوفد .

وبناء على قرار مجلس الوزراء المؤرخ في ١٢ آذار سنة ١٩٣٦ الذي يتضمن ايضا انتخاب صاحبي المعالي الامير مصطفى الشهابي وادمون بك حمصي عضوين في الوفد

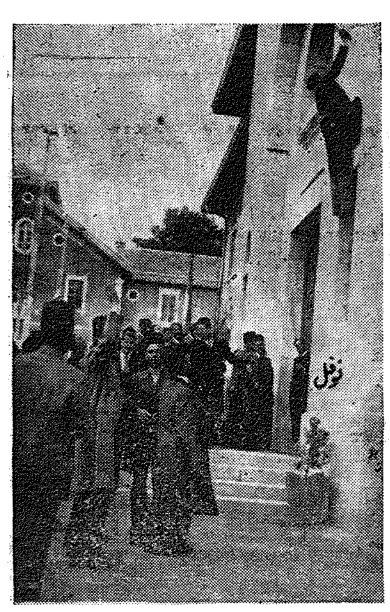
وبناء على المادة الثالثة من المراسيم ١٥٩–١٦٣ بتاريخ ١٢ آذار يرسم ما يأتي:

١ — لما كان اعضاء الوفد قد انتخبوا دولة هاشم بك الاتاسي رئيسا لهم فالحكومة السورية تقر هذا الانتخاب .

٢ — يذاع ويبلغ الى من يلزم . دمشق في ١٤ آذار سنة ١٩٣٦

صدر عن رئيس الجمهورية السورية

ورئيس الوزراء ووزير الداخلية



على اثر فتح الجامعة السورية وعودة طلابها بعد الاضراب فقد عز على طلاب فرع الطب رؤية اثر العهد البائد عهد الشيخ تاج في معهدهم لذلك تجمع قسم منهم واخذ بتكسير اللوحة المنقوشة باسم الشيخ تاج كما هو مبين في الرسم

في الاسفل — فريق من طلاب الجامعة السورية عند عودتهم الى المدرسة



وداع الوفد

بقلم الشاعر المعروف الاستاذ احمد عبيد

سر أيها الوفد محفوفا باقبال ... فالله ردؤك في حل وترحال
وحول ركبك اكباد وأفئدة ... تهفو اليك باكبار واجلال
انا لنعلم ما اوعيت من شرف ... ومن اصالة آراء واعمال
انت الحكيم فلا توصى ولست بما ... نرجوه منك بخوار ولا آلي
فاحمل الى القوم آمالا لنا غررا ... هي الحياة نسميها بآمال
واحطم برأيك اغلالا تحاط بها ... فلا نطيق حياة ضمن اغلال
وعد الينا اشم الانف محتقبا ... فخر الزمان لاوطان واجيال

كيف ودعت الامة وفدها الامين

انصرفت الامة يوم السبت في ٢٥ آذار سنة ١٩٣٦ بكل جهودها الى وداع وفدها الامين المسافر لتحقيق اماني الوطن والوصول الى الوحدة والسيادة والاستقلال

وقد ظلت وفود الكبراء والوجهاء والهيئات المختلفة تطوف على منزل رئيس الوفد الجليل السيد هاشم الاتاسي ، ومنازل اخوانه اعضاء الوفد السادة : فارس بك الخوري ، جميل بك مردم بك ، الامير مصطفى الشهابي ، وعلى فندق اوريان بالاس حيث يحل السيد سعد الله بك الجابري ، ومنزل المستشار العسكري امير اللواء السيد احمد اللحام حتى الساعة الثانية بعد الظهر اذ توافد جميع اعضاء الوفد والمستشار العسكري الى منزل الرئيس الاتاسي حيث اجتمعوا به

رئيس الوزراء والوزراء يودعون

وقد أم رئيس الوزراء السيد عطا الايوبي والوزيران السيدان سعيد الغزي ومصطفى القصيري يرافقهم مدير غرفة الرئاسة الامير كاظم الجزائري منزل الرئيس الاتاسي حيث اجتمعوا به وباخوانه اعضاء الوفد لوداعهم

وثائق اعتماد الوفد

وقبل الوداع سلم رئيس الوزراء الى الرئيس الاتاسي الاوراق الرسمية باعتماد الوفد التي جرت العادة على تبادلها بين المتفاوضين عند الشروع في المفاوضات رسميا فضمها الرئيس الى اضبارة الوثائق الخاصة بالوفد .

العلم الوطنى على فندق كونتيننتال فى باريس

وقد شاهدنا علما وطنيا كبيرا من الحرير اخذه الوفد معه الى باريس وسيرفع هذا العلم على فندق كونتيننتال في باريز حيث يحل الوفد كما جرت العادة في مثل هذه الحالة . كما وان بعض الاعلام الوطنية الصغيرة كانت مما اصطحبه الوفد لترفع على السيارة التي تقل رئيس الوفد الجليل واخوانه في تنقلاتهم .

موكب الشباب فى تكية السلطان سليم

وتألفت فرقة من الكشافين راكبي الدراجات بقيادة الدكتور مدحة البيطار

لمواكبة مواكب الوفد ، كما اجتمع طلاب الجامعة السورية والمعاهـد التجهيزية الرسمية الوطنية مع فريق كبير من طلاب المعاهد الاجنبية في تكية السلطان سليم وانتظمت مواكبهم يتقدمهم العلم الوطني بقيادة احـد الطلاب الكشافـين وكان معهم الدكتور منير العجلاني واخذوا بانتظار وصول رجال الوفد ليحيوهم

وكان مما يلفت النظر موكب طلاب المعاهد الوطنية المسيحية الذى كان يحمل راية كتب عليها « الطالب المسيحي يدعو للوفد بالنجاح »

الشيوخ وطلاب المعاهد الدينية

واحتشد في حديقة الامة جمهور عظيم من شيوخ الدين لتأييد وفـد الامـة



موكب تلامذة الشيخ علي الدقر الذي اتى لتوديع الوفد

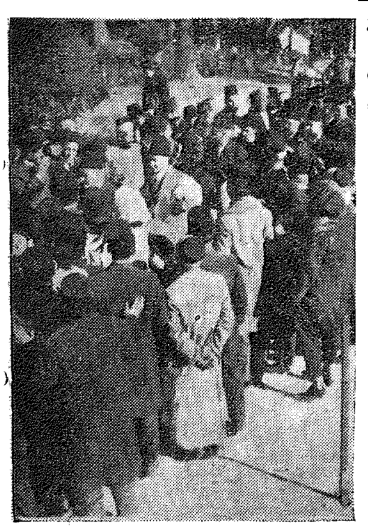
الامين بمنظرهم المهيب الجميل وعلى رأسهم اساتذتهم ولا سيما السادة : احمد الدقر عبد الحميد الطباع ، احمد الصابوني ، احمد الامام وهم تلامذة العلامة الجليل الشيخ علي الدقر كما احتشد فيها ايضا طلاب معهد العلوم الشرعية الاسلامية وطلاب المدارس الخيرية ، وشباب الاحياء وزعماؤها ورجال الطبقات المختلفة .

وكان شباب الميدان والكشافون يقومون بالعمل على توطيد النظام

هتافات تشق كبد السماء

وفي الساعة الثالثة وصل الى حديقة الامة رجال الوفد وعلى راسهم الرئيس الاتاسي ورئيس الوزارة والوزراء ورجال الكتلة الوطنية على عدد من السيارات كانت تقل الاولى الرئيسين الاتاسي والايوبي ، والعلامة الخوري والثانية السادة جميل مردم بك وسعد الله الجابري وسعيد الغزي وزير العدلية والثالثة الامير مصطفى الشهابي وزير المعارف والسيد مصطفى القصيري وزير الاقتصاد الوطني ، ثم على بقية السيارات رجال الكتلة الوطنية .

وما ان رآهم الجمهور حتى استقبلهم بالهتاف الحاد والتصفيق الشديد والنداء بحياة الوفد وحياة رجاله .



الرئيس الاتاسي بين الجموع عند وداعه

ولما كان من المتعذر شق الطريق بين الجمهور المحتشد المزدحم فقد حمل الجميع على المناكب وكان اول من رفع السيد فخري البارودي الذي بذل واخوايه جهدا كبيراً ليتمكن الاستاذ فارس الخوري من القاء خطابه ؛ ولما وجد ان ليس بالمستطاع وسط الزحام القاء الخطب اعلن الاستاذ الخوري ان خطابه وخطاب الاستاذ الحفار سينشران في الصحف ثم حيوا الجمهور بين الهتاف والتصفيق وغادروا حديقة الامة الى السيارات وكانت هتافات الشباب وزغاريد السيدات والاوانس العالية تشق الفضاء

ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد

وبينما كان الموكب يستعد للسفر الى رياق تقدمت سيدة من السيدين مردم بك الجابري تحمل مصحفا شريفا قائلة :

لقد استخرت الله فخارني ووجدت ان مهمتكم بحمد الله ستكون ناجحة اذ ان الاية التي ظهرت من هذه الاستخارة عن مهمتكم هي (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)فالله مؤيدكم وناصركم ومعيدكم الينا موفقين ناجحين

الموكب العظيم الى دمر

تقدمت الموكب سيارة تقل فريقا من الشباب الوطني يحملون الرايات والزهور وتلتهم فرقة الكشافة راكبي الدراجات يتقدمهم قائدهم الدكتور البيطار فسيارة تقل السيدين الاتاسي والخوري فسيارة تقل السادة مردم بك والجابري والغزي فسيارة تقل الامير مصطفى الشهابي والسيد شكري القوتلي والسيد عفيف الصلح فسيارة تقل بقية رجال الكتلة الوطنية فرتل طويل من السيارات تقل الوجهاء والتجار والشباب والطلاب الذين قاموا بوداع الوفد الى رياق .

الحفاوة العظيمة للوفد في تركيا

ان الحكومة التركية ارسلت كتيبة من الجنود لاستقبالهم رسميا ولقداظهرت الحكومة التركية عواطفها السامية نحو اعضاء الوفد واخيرا غادر الوفد تركيا سالكا طريق فرانسةالي ان وصل الى باريس وهناك استقبل رسميا وحل في ضيافة الحكومة الافرنسية .

أمية تبعث

« للاستاذ امجد الطرابلسي »

شعري أردت له علىً وخلودا — فنظمته لبني الشآم عقودا
وجعلته لحنا يفيض بحبهم — ويرن في سمع الزمان نشيدا
وأصوغ من يوم الجهاد ملاحما — تروى وانطقها الربى والبيدا
حتى أرى وطني تحرز وانبرى — يطوي الشعوب الى السماء صعودا
أدمشق يامهوى رؤاي وماأرى — الا بمغناك المقام رغيدا
وانا المحب وما سواك حبيبة — أشدوا بحسنك يا شآم عميدا
يا غضبة اموية من جلق — حطمت سلاسل صلبة وقيودا
ضجت لها كل الشعوب، اما ترى — كيف استفاضت في الدنى ترديدا
ألمت دمشق من الخنوع فزمجرت — أنفا وطبقت الفضاء رعودا
وقفت تناضل كاللباة جراءة — لا شرة حفلت ولا تهديدا
لم تسمع الدنيا بمثل ثباتها — درسا يهيج المرفق المصفودا

خمسون يوما في الجهاد مجيدة — كانت فخارا للشآم مجيدا
رضي الاله على الشباب فانه — أضحى لنهضتها لواً وعمودا
لو كنت شاهده غداة كفاحه — لرأيت جيشا للنضال حشيدا
أو كنت ثمة شاهدا أطفاله — لرأيت جندا عدة وعديدا
صبروا على مر الطوى وتحملوا — قفرا على غير الاباة شديدا
حفوا بألوية الجهاد وأقسموا — الا يكونوا للقوي عبيدا
كل يسير الى الامام مشمرا — وقد استعد لان يعود شهيدا
وعتاده قطع الصفا لكن في — ايمانه ما يصدع الجلمودا
وفؤاده بين الاضالع شعلة — حرى تشع عزيمة ووقودا
سقطوا أمام بيوتهم وسط الحمى — صرعى فما حفلوا الظبى وحديدا
شهداء مثل الزهر في اكمامه — كانوا على ظلم القوي شهودا
يا ابن الحضارة هل علمت حضارة — تروى دما ومدامعا وكبودا
ذكرت على الدم والجماجم عرشها — ثم ارتدت زور الطلاء برودا
لبست بياضا ناصعا لكنها — أخفت قلوبا كالضغائن سودا
يا منقذ الحرية الزهراء في — زمن غدوت لليله فرقودا
أعلنت للانسان حقا اقدسا — وأدته طاغية العروش عهودا
درس غذوت به الشعوب جميعها — فكسرت اغلالا وهجت هجودا
أتلوم شعبا هب يبعث مجده — ويعيد فخرا كالخلود تليدا
يمشي على لهب اللظى لحقوقه — ويخوض لاستقلاله (البارودا)
قالوا: حقود! قلت طاش خيالكم — فتى العروبة لا يكون حقودا
هو يطلب استقلاله بدمائه — لا يجتدي كرما ويطلب جودا

ردوا له الحق السليب مسلما ... تجدوه ألفا صادقا وودودا
الشرق سمح منذ كان وإنما ... ملئت حضارتكم قذى وحقودا
يا جيرة ضمدوا جراحة جلق ... اذ جرحها يتلمس التضميدا
لله نصرتكم أخاكم انها ... قد اصبحت مثلا يسير شرودا
قل للغوي يري العروبة انهراً ... لا تلتقي ويرى الوفاق بعيدا
ان العروبة في المواطن كلها ... ضمنت لها آلامها التوحيدا
جسدين اذا اشتكا عضو به ... من ذا رأى حلوا يعيش وحيدا
يا يوم عاد المصطفون الى الحمى ... ضمن الزمان لجدك المخلودا
في جيد هذا الشرق كنت قلادة ... وأراك في عمر الجهاد فريدا
ما مر يوم او مررت بخاطري ... الا سطعت لناظري جديدا
يا يوم عادوا والجلال يحفهم ... لا السجن قدها بوا ولا التشريدا
طلعوا علينا كالكواكب رفعة ... وهفوا على هام الرجال بنودا
سل مقلتي لما بدت ركبانهم ... هل بددت عبراتها تبديدا
زحفت دمشق تحوطهم بقلوبها ... ولدا واشياخا تدب وغيدا
تتزاحم العبرات في آماقهم ... فرحا فتنتثر لؤلؤا متصوضا
كدوا الخناجر فرحة بأيابهم ... وتدافعوا مثل الأتي وفودا
أرأيت كيف طغى العباب على الثرى ... او كيف تحتضن الرؤوم وليدا
يامن رأى المأسور عاد مكرما ... والآسر المأفون عاد طريدا
يطوي البحار السود يطلب ملجأ ... وحمى ويضرب في البلاد شريدا
أنى تحول والسماء صواعق ... والارض فاغرة هوى ووحودا
وأمامه انى تقلب نسوة ... يخمشن أجيادا زهت وخدودا

ذق ما يذوق الظالمون ومن يهن　　أنف الشعوب يهن ويقض كميدا
وفد الشآم ويا رسول جهادها　　أنى حللت تر القلوب مهودا
الله والشعب المبارك عزمه　　قد اولياك النصر والتأييدا
فاسحب من الحب الثمين سوابغا　　واصحب من العطف العميم جنودا
واهبط رباعا من «فرنسة» خضبت　　بدم الاباة سباسبا ونجودا
دكت حصون الظالمين سيوفهم　　والظلم تذروه السيوف بديدا
جئهم فبثهم السلام وقل لهم　　« يا من نشرتم للحقوق بنودا
يا موقدين لهيب أروع ثورة　　تركت عروش المالكين حصودا
والمرسلون على الظلوم صواعقا　　والباذلين مع الضعيف جهودا
لا تكتبوا بشبا الشباب عهودكم　　فالحب أصدق موثقا وعهودا
ضنوا بهذا الشعب يوما ان يهي　　اعجابه بنضالكم وبيدا »
يا وفد سر يحمى الاله وحفظه　　واستنجز المأمول والموعودا
وارجع الينا بالحياة مظفرا　　واسطع بشائر في الحمى وسعودا

خاتمة

اننا اخرجنا هذا الكتاب الصغير وذلك حرصا على ضياع هذه الحوادث التاريخية التي كان لها اثر عظيم في انحاء العالم واقتصرنا على سرد حوادث دمشق لعدم تمكننا من استسقاء حوادث حمص ، حماة ، حلب ، دير الزور . ولهذا فقد عزمنا على اصدار كتاب خاص للاقضية الاربعة راجين من اخواننا ان يرسلو الينا ما يقع تحت ايديهم من صور عن حوادث المظاهرات الاخيرة في الاقضية المذكورة



من ذهاب الوفد الى باريس حتى تصديق المعاهدة

الجزء الثاني

وصف وتاريخ مفاوضات باريس ٠ جهاد سوريا ٠ الشباب الوطني

المعاهدة السورية الافرنسية ٠ المجلس النيابي السوري

جمع وتنظيم

انور العش

١٣٥٥ هـ — « مطبعة الاعتدال » — ١٩٣٧ م

الاهداء !...

الى الرجال المخلصين لسوريا المحبوبة !..

الى المجاهدين الابرار بعلمهم وثقافتهم !..

الى حاملي لواء الحرية والاستقلال

الى من احبهم الشعب وتفانى في خدمتهم

الى الذين نفثوا روح الحرية في هذا الشعب

الى فخامة رئيس الجمهورية السورية

ورئيس المجلس النيابي السوري

ورئيس الوزارة الدستورية الاولى

ووزراء سوريا المجاهدين

ونواب الشعب الاحرار

اقدم هذا الكتاب كذكرى لعهد الامة الزاهر وسلوكها طريق الحرية والاستقلال .

المخلص

انور العش



فخامة رئيس الجمهورية السورية هاشم بك الاتاسي

السيد جميل مردم بك
رئيس الوزارة السورية

السيد شكري القوتلي
وزير المالية والدفاع الوطني

السيد سعد الله الجابري
وزير الداخلية والخارجية

السيد عبد الرحمن الكيالي
وزير المعارف والعدلية



مؤلف الكتاب: انور العشي

مقدمة الكتاب

بقلم الاستاذ السيد علي الطنطاوي

مدرس الادب العربي في الثانوية المركزية ببغداد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله وانبيائه

... كنت العام الماضي ، معلما في الصف الثالث — من مدرسة طارق (في المهاجرين) — فكنت افهم التلاميذ ابان (الحوادث). معنى الاستقلال ، واشرح لهم فكرة الحرية ، وابين لهم حق العرب في الحياة ، فكانوا يصغون ، ويأخذون من كلامي ، بمقدار ما تسع افهامهم وعقولهم ..

وكنت يوما اخوض في شيء من ذلك . فقام تلميذ صغير فقال :

— استاذ ! متى نستقل ؟ وصاح آخر :

— استاذ ! اما صرنا مستقلين ؟

لقد احسست لما سمعت هذا السؤال ، كأن سطل ماء سخن قد صب على رأسي ، لقد اضطربت وحرت كيف اجاوب ؟ هل افاجيء هذا الطفل بالحقيقة المرة ! هل اقول اننا لم نستقل ، وان الاستقلال بعيد عنا ما هو ذنب هذا الطفل الطاهر حتى اسيء اليه ، في اجمل فكرة يحملها ، واحلي امنية يحلم بها ؟ ..

لا . لن اقول له الحقيقة . فاسوءه ولن اكذب عليه لاسره.

فسكت - ولم اقل شيئا . .

. . ولكن الدمعة قد لاحت في عيني !

ومرت ايام وليال . والحوادث قائمة على قدم وساق (واطفال دمشق) يقابلون بالحجارة والعصي ، دبابات فرنسا الدولة القوية المعظمة .. ونحن .. نحن رجال الفكر ، نشهد بطولة رجال العمل . وعبقرية اطفال الشعب صامتين معجبين . ولكن املنا لم يكن قويا . .

وفتحت عيني ذات يوم فجأة فاذا في الجبهة شيء جديد : ان الشعب يسير في (طريق الحرية) - ان الاضراب الذي كان احتجاجا على اعتقال (فخري البارودي) - والمظاهرات التي قامت لاجله ، قد اخذت معنى آخر . . لقد صار (فخري البارودي)فكرة .لقد صار رمز الاستقلال :

ان الشعب لا يريد الا الاستقلال !

عقد الشعب النية على العمل ، لقد كان ضعيفا ، ولكنه كان قويا بضعفه لانه مؤمن . لقد كان قليلا ، ولكنه كان كثيرا بقلته لانه متحد لقد كان يريد الموت . ولكنه لم يمت ؛ لان الموت لا يأتى من يريده . بل يلحق من يفر منه . .

كان الشعب يناضل نضال المستميت ، افما رأيت الهرة اذا ضويقت كيف تنقلب لبؤة . اما رأيت الدجاجة اذا هاجم الباشق افراخها كيف تنقلب نسرا ؟

كذلك كان الشعب ..

رأيت ذلك ، فذهبت الى المدرسة ، فقلت للتلميذ الذي سألني متى نستقل ؟

— انا سنستقل قريبا

يا لسر القدر - لقد عمل القدر عمله ، لقد ظهرت الخوارق ، ان الاشخاص الذين (سرقوا) من بيوتهم ، واخذوا الى المنفى كما يؤخذ المتهمون ... قد عادوا الى دمشق عودة البطل الفاتح ، استغفر الله .. اي بطل ؟ واي فاتح ؟ ما رأى الناس مثل استقبال فخري البارودي وجميل مردم واصحابهم . . انني اجل هذا اليوم ان اصفه لئلا اذهب بجلاله فليحفظه الآباء في صدورهم ، وليمسكوه في قلوبهم ؛ ليقدموه الى ابنائهم واحفادهم ، هدية حلوة ، وصورة فخمة ، تتجلى فيها (عظمة الوطن) !

رأيت ذلك ، وابصرت فرق الشباب الحديدي ، فاسرعت الى المدرسة ، فناديت الذي سألني هل صرنا مستقلين . وقلت له :

— يا عدنان ! لقد استقل وطنك !

ولقد كان ذلك . فكتبت المعاهدة ، الصفحة الاولى ، من تاريخنا الجديد ... وهذه الصفحة التي تقرؤنها في الكتاب الذي اخبرني الشاب العامل القوي، السيد انور العش ، انه سيؤلفه ، وسألني ان اكتب له مقدمته

هذا هو الجزء الثاني من كتاب (في طريق الحرية) ، ولقد وفق انور في هذا الاسم كل التوفيق ، فان الطريق لم ينته بعد ، وانه طريق طويل ، وعر فيه شوك ووحل ، ومخاوف ، فعلينا ان نسير فيه ...

لا . لست متشائما . ولم اقل : اننا لم نأخذ شيئاً ، ولكني لست عاجزاً ايضاً ، ولا انا مصاب بقصر البصر ، ان لنا معاشر العرب مطمحاً بعيداً ، ان لنا آمالا ، اننا ابناء المجد - احفاد الملوك سلائل العظماء - ولم نولد أمس ، ولا نحن من حثالة الشعوب . . .

نعم يا اخواني . يجب ان تعرفوا من انتم ! انتم المتفضلون على العالم كله . ان لكم في عنق اوربة دينا ، قد اخذتم منه قسماً ، ولم تأخذوا صدقة ، ان الحرية والحياة والمجد حق لكم . . . لقد قامت في الارض ثلاث حضارات عالمية ، ثلاث فقط : الحضارة اليونانية - والحضارة العربية -

والحضارة الغربية ، لقد بنى اليونان الطبقة الاولى من هذا البناء ، وبنينا نحن الطبقة الثانية ، وبنت اوربا الطبقة الثالثة ، لقد زادوا علينا ، وارتفعوا . ولكن نحن انشأنا الاساس . . نحن من اصحاب الدار . لسنا متطفلين ولا لصوصا ولا سائلين . .

تعلموا يا اخواني . واقرءوا تاريخكم ، لتعرفوا انفسكم يجب ان يقرأ التاريخ العربي في المدارس مفصلا ، لا كما يقرأ الان ، يجب ان يكون في كل بيت من البيوت كتاب تاريخ ، يقرأ صباح مساء ، هكذا تفعل الشعوب الحية ، هكذا تصنع الامم القوية

وبعد ، يا اخواني القراء ، خذوا قصة جهادكم ، فاقرءوها في هذا الكتاب ، لا لتعيدوها وتكرروها حتى تنعسوا من التكرار ، ولا لتفخروا بها حتى تتعب السنتكم من الفخر ، ولكن لتفكروا في انشاء قصة جديدة ، ان الماضي الفخم ، لا يكون قيما الا اذا صنع المستقبل الفخم ، والا كان لهوا وعبثا ، وما فائدة السجين من ذكر ايام الحرية والفقير من ايام الغنى ، اذا لم يفكر في اعادتها ، واسترجاعها . وماذا تغني عنا عظمة الاجداد ، اذا لم نكن عظماء . .

يا اخواني القراء .. انه لا شك انكم قطعتم من (طريق الحرية) شوطاً بعيدا ، ومرحلة واسعه ؛ ولكننا لا نزال في الطريق ، والطريق طويل وعر ، فيه شوك ووحل ، ومخاوف .. فالاخلاص الاخلاص ، لاتحاد الاتحاد ، العلم العلم ، العمل العمل .. هذه هي اركان النجاح ؛

...

يا تلميذي العزيز ، يا عدنان :

— اننا قد صرنا مستقلين ، فاحمد الله ، واهتف للزعماء المخلصين المجاهدين . وابتهج وافرح ، ولكن لا تنم ، ان النائم لا يكون مستقلا والمستقل لا يكون نائما ...

بغداد : علي الطنطاوي

الفصل الاول

من مغادرة الوفد السوري دمشق حتى توقيع المعاهدة في فرنسا

ذهاب الوفد الى باريس

كنا ذكرنا في الجزء الاول الحفاوة والوداع الرائع الذي زحفت دمشق جميعها علماؤها وشيوخها واطباؤها ورجالها وشبابها ونساؤها واطفالها لوداعه وتركنا الوفد في طريقه الى حمص ...



وداع الوفد في المدن السورية

وفي حمص ذهب الحمصيون الى المحطة رغم ان الوقت كان ليلا فتعالت الاصوات

بالتحية وهتف الشباب وزغردت النساء للسيد الاتاسي واخوانه اعضاء الوفد الامناء وقد وقف القطار عشرين دقيقة وتحرك بعدها فتحركت افئدة الناس التي كانت تبكي للسرور الذي عمها معانقة آمالها واحلامها على مساعي وفدها الامين .



الوفد الامين في حماه

اما في حماه فكان الناس ينتظرون على احر من الجمر مرور وفدهم الذي يفدونه بارواحهم ولبثوا ينتظرون وصول رجالهم الامناء وكانت الانوار تضيء ظلام الليل الدامس وقد اخترقت اشعة الكهرباء نفوس المنتظرين الذين شعت في نفوسهم الآمال وتجاوبت في اصداء قلوبهم الآمال وبينما هم كذلك اذا بالقطار يصل حاملا رئيس الوفد واعضائه الكرام فما اطل الرئيس الا وتعالت الاصوات بالدعاء للوفد الامين وانشقت الحناجر بالهتاف وانبرى الشباب يؤيدون للوفد الامين الذي يعتمدون عليه

في فتح طريق الحياة امامهم فاجابهم رئيس الوفـد ببشاشته المعروفة وشكرهم على



حفاوتهم آملا من الله تحقيق آمال هذا الشعب البائس وا كد لهم ان امة تحفق هذه الروح بين جنباتها لن تموت وتحرك القطار الى الشمال مقلا آمال امة واماني وطن بذلا من التضحيات اغلاها .....

وفدنا الامين في حلب

احتشدت الجماهير في محطة حلب منتظرة وصول الوفد السوري ولكثرتهم ضاق بهم فناء المحطة على رحبها وفي الساعة الخامسة من صباح ٢٣ اذار ٩٣٦ قدم القطار

فتعالت اصوات الدعاء والهتافات بحياة الوفد الامين وتحقيق مساعيه .



وقد وقف القطار فى حلب نصف ساعة وبعدها ترك حلب بعد ان اذن **احمد**



الشيوخ بصوت بديع عذب اخشع النفوس وجعل منها قلوبا طافحة بالايمان والرجاء والدعاء الى الله بتوفيق رجال الوفد الامناء ....

وفدنا الامين فى تركيا

لم يكد يصل الوفد السوري الامين الى حدود تركيا حتى وقفت ثلة من الجنود الاتراك يستقبلون الوفد استقبالا رسمياً ....

الوفد السورى فى فرنسا

في اليوم السادس والعشرين من شهر اذار عام ١٩٣٦ وصل الوفد السوري الى باريس يحمل رسالة الشرق الى الغرب وهي المرة الاولى التي يكون التفاهم النزيه اول حجر في بناء الصداقة بين سورية وفرنسا ... وهذا هو اليوم الذي علقت فيه سوريا آمالها على محالفة فرنسا لها والعمل معاً بعد ان دام النزاع سبعة عشر عاما .

استقبال الوفد فى باريس

وصل الوفد السوري الى باريس فاستقبله عند وصوله كثير من السوريين واللبنانيين المقيمين في فرنسا والمسيو كيفر ممثل المندوب السامي في سوريا والمسيو ديواتر والمسيو دي مارتيل والامير علي عبد العزيز مندوب سوريا في باريس والدكتور الفونس ايوب مندوب لبنان وهناك حل الوفد الكريم في فندق كونتيننال . وقد ادت ثلة من الحرس الجمهوري التحية الرسمية لرجال الوفد عند قبر الجندي المجهول .

الوفد يقابل وزير الخارجية الافرنسية

قدم المسيو دي مارتيل الوفد السوري الى وزير الخارجية الافرنسية فاستقبلهم

فيها استقبالا يليق بهم واقام لهم مأدبة غذاء على شرفهم وبعدها اخذوا يتناولون الاحاديث عن سوريا وما يتعلق بالانتداب والسعي لادخال سوريا في عصبة الامم واعطائها حريتها وسيادتها ،

موقف الوفد من رجال فرنسا

ظل الوفد السوري نحو اسبوع في زيارات التعارف وزيارات المودة والمجاملة فزار رئيسه هاشم الاتاسي رئيس الوزارة ورؤساء المجلسين النيابيين ولجانها الخارجية وبعض كبار الموظفين ورد الجميع لدولته ولاعضاء الوفد زياراتهم واتفق ان المسيو فلاندان كان مشغولا عنهم في دائرته الانتخابية فلم يتمكن معاونوه من تعيين موعد لبدء المفاوضات في غيابه فلما عاد الى باريس ادب مأدبة للوفد السوري وتقدمتها احاديث كثيره وعين المسيو دي‌مارتيل والمسيو سان كانتان الخبيربالشؤون الشرقية والمتصل بدخائل القضية السورية مفاوضين وتسهيلا للاعمال عين المسيو شوفل معاون المسيو سان كنتان والمسيو كيفر رئيس هذه الغرفة .

رأى وزارة الخارجية بسوريا

لقد كانت وزارة الخارجية في فرنسا مقتنعة بان سوريا مهضومة الحقوق وذلك للتجارب العديدة التي قامت بها في سوريا ولفشل السياسة السلبية وقد علموا بان سوريا لن تكف عن عصيانها السلمي وبالاختصار لن ترضى عن الانتداب بشكله الحالي كيف ترضى وقد رأت العراق ينعم بالمعاهدة ومصر بالاستقلال التام .

جهاد الوفد فى فرنسا

لقد كان وفدنا الامين في فرنسا يجاهد ويناضل في سبيل قضية عامه اخذ على

نفسه تحقيقها الا ان الوقت الذي شخص فيه الى فرنسا كان وقت انتخاب وقت تطاحن بين الاحزاب فكانت الوزارة الافرنسية آنئذ لم تستطع البت في قضية المعاهدة ولا المفاوضة وكل ما كان لم يخرج عن الوعود والمذاكرات التي لا تجدي نفعا وقد احس بذلك رجال الوفد السوري الا انهم ثبتوا بقدم راسخه وايمان صادق وعزيمة لا تكل وكانوا في فرنسا يتلظون على احر من الجمر خيفة العوده بالفشل وكان ايضا من المشاكل الصعبه غياب مجلس الشيوخ ومجلس النواب ومع هذا اخذ رجالنا الامناء يتصلون برجال السياسة في فرنسا ويقنعونهم بوجوب اعطاء سوريا حريتها



ولا سيما قبل الانتخابات فقد كانوا كلما تسنح لهم الفرصة يتصلون بمن يعطفون على سوريا ويحنون اليها .

الوفد السورى وبارقة النصر

لقد مضى على الوفد السوري طيلة هذه المدة وهو بين المحاولات فكان رجاله

يتعاقون باهداب هـذا ويطلبون مقابلة ذاك كل هذا خوف الفشل واخيراً سعوا بمساعدة الكونت دي مارتيل لمقابلة المسيو بلوم زعيم الاشتراكيين في فرنسا وهو من الذين اخذوا على انفسهم تحرير الشعوب الضعيفة ومما ساعد ايضاً ان الكونت دي مارتيل كان اشتراكياً وفي هذه المقابلة استطاع رجال الوفد ان يطلعوا المسيو بلوم على مطاليبهم ويشرحوا له غايتهم فوعدهم بانه يهتم بسوريا خاصة وبجميع الشعوب الضعيفة لان هذا من مبدئهم نشعت بارقة النصر ووجدوا بصيصا من الامل بعد ذلك الظلام الحالك .

القضية السورية في باريس

المقررات الاولية التي اتخذتها الوزارة الخارجية

ان المقررات الاولية التي دار البحث عليها اثناء الاجتماع الذي عقد في (الكه دورسي) بتاريخ ١٦ حزيران سنة ٩٣٦ برئاسة المسيو فيانو نائب وزير الخارجية الافرنسية وبحضور اعضاء الوفد السوري والمسيو دهمارتيل وسان كنتان وشونل وليجه والجنرال غملان رئيس مجلس الحرب الاعلى والجنرال جورج وغيرهم من كبار الرجل العسكريين وكبار موظفي وزارة الخارجية . اما هذه المقررات فهي :

١ — الاعتراف باستقلال سوريا موحدة مع الاحتفاظ باستقلال اداري لبلاد العلويين ولجبل الدروز .

٢ — الاعتراف باستقلال لبنان بحدوده الحاضرة .

٣ — قبول الجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية عضوين في جامعة الامم .

٤ — عقد معاهدة صداقة وتحالف بين سوريا وفرنسا .

٥ — عقد معاهدة صداقة وتحالف بين لبنان وفرنسا .

٦ — تعترف الجمهوريتـان السورية واللبنانية للجمهورية الافرنسية ببعض التحفظات فيما يخص الشؤون العسكرية ثم دار البحث ايضا حول الغاء المفوضية العليا الافرنسية في سوريا ولبنان والاستعاضة عنها بسفير يمثل الجمهورية الافرنسية يقيم ستة اشهر في دمشق وستة اشهر في بيروت .

استئناف المفاوضات الرسمية في باريس

في ٨ تموز سنة ١٩٣٦ استؤنفت اعمال الوفد واخذت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب تسمع اقوال المسيو فيانو عن سير المفاوضات بين الحكومة الفرنسوية وممثلي سوريا ثم وافقت باجماع الآراء على عقد معاهدة التحالف والصداقة التي توضع قواعدها الآن بين البلدين والتي ستعرض بعد وضعها على لجنة الانتداب في البرلمان الفرنسوي وفي عصبة الامم .

كواكب النصر تلمع

بقي اعضاء الوفد (١٥) يوما وهم ينتظرون بفارغ الصبر ويبتهلون الى الله كي تفوز الجبهة الشعبية لان امال الوفد كانت معلقة عليهـا وما فازت احزاب اليسـار الا واستقالت وزارة سارو وتسلمت وزارة بلوم الحـكم لهذا نقد اثلج ذلك صدور اعضاء الوفد لانهم كانوا يعتقدون انهم سيوصلون البلاد الى تحقيق ما كابـدت من اجله ستة عشر عاما ولهذا بزغ نجم النصر ودعاهم الى التفاؤل .

سحابة صيف

لقد تلبدت غيوم فرنسا وانكمشت افئدة وفدنا وذلك للاضراب الذي قام به العمال في فرنسا واستفحل امره مما جعل مركز تلك الوزارة يتزعزع فخاف الناس

زوال تلك الوزاره لان عدد المضربين في فرنسا استفحل امره" وبلغ عددهم نصف مليون عامل وقد امتد الاضراب الى الملحقات ومعظم الانحاء الصناعية وتطرق الى المخازن الكبرى في باريس التي اضرب عمالها واعتصموا داخلها يرفضون الخروج وقد رأت نقابة الصحافة ازاء هذه الحاله ان تتخذ قرارا بتوقيف اصدار الصحف

وعلى اثر هذا الاضراب المريع بدأ وزيرا الداخلية والعمل الجديدان فور استلامهما منصبهما بالاهتمام بقضية انهاء الاضراب فاجتمعا الى زعماء العمال ووجه وزير العمل الى المضربين ان الوضعية قد تغيرت تماما وان حكومة الجبهة الشعبية ستعمل على انالتهم مطالبهم .

وكذلك فقد اذاع رئيس الوزاره المسيو بلوم خطابا بالراديو وجهه الي العمال قال فيه ان من ضمن القوانين التي ستسنها الحكومة وتقدمها فورا الى مجلس النواب قانون تحديد ساعات عمل الاسبوع بـ (٤٠) ساعه واجازة العقود المشتركة واجبار اصحاب الاعمال على دفع اجور العمال في ايام العطل ثم حث المضربين على المحافظة على النظام والعودة الى العمل.

دخول المفاوضات بصورة جدية

في صباح ١٠ حزيران ١٩٣٦ دخلت المفاوضات بصورة جدية واخذت المباحثات تدور حول الوحدة والاقليات والمسائل العسكريه وهذه اول بادرة حسنة تظهر من الجانب الافرنسي .

برقية من الوفد

اخذت الاشاعات والاقاويل تتردد على افواه الناس لما نشرته بعض الصحف عن وجود اختلاف بين اعضاء الوفد فارسل الرئيس الى نائبه في دمشق البرقية الآتية:

« اختلاقات جريدة (الشرق) عن وجود اختلاف بين اعضاء الوفد عار عن الصحه كذبوها بشدة » فمن هذه البرقية يتضح لنا العقبات التي لاقاها رجل الكتلة في ادق دور تجتازه البلاد ...

المأساة السورية

عقدت مجلة (شرك) الباريسية مقالا استهلته بقولها :

قدم باريس وفد سوري وهو لا يزال فيها بدون ان يحصل على نتائج حتي الان وقد طلب اليه ان ينتظر نتيجة الانتخابات اما فيما يتعلق بنا فاننا امام امرين فاما الاحتفاظ بعطف سوريا او باضاعة هذا العطف واحتمال جميع عواقبه . ان الادارة في سوريا تبتلع على الاقل نصف واردات البلاد وهناك فوق ذلك في الفرق العسكرية التي اكثريتها افرنسية استعمارية وهناك مجندون معادون للسوريين كالارمن والشركس والآشوريين اما من السوريين فقد قبل عدد ضئيل جدا. بضعة انفار وبدون ان يكون لهم حظ للتدرج في الرتب العسكرية العليا .

كانت المظاهرات والاضرابات شاملة جميع انحاء سوريا .

وكان كلما عمد الى اعتقال الزعماء كلما ازداد الهياج حتى انتقل العراك الى الشوارع بين ابناء الشعب وطلاب المدارس والاهلين المسلحين بالمقاليع من جهة وبين الجنود المسلحين بالبنادق والتراليوزات من جهة اخرى وقد وقع مائة قتيل والف جريح كان هذا منذ ثلاثة اشهر والوطنيون الذين طلبوا جوازات سفر للمجيء الى باريس كانوا وقتئذ معتقلين .ان الوفد الذي ينتظر حاليا في باريس ليس له غاية الا ارجاع السكينة والهدوء فنحن نأمل بان يكون وزراء حكومة الجبهة الشعبية الذين سيتفاوضون معهم اكثر انصافا لهم من اسلافهم وذلك لأجل مصلحة فرنسا

نائب افرنسي يقول :

السوريون كالافرنسيين... امة حرة!..

سورية مدنت العالم فلا يجوز ان تستعمر !..

نشر النـائب الفرنسي المسيو بول كاباني مقالا يرد فيه على حملات الصحف الاستعمارية بما يلي :

بينما تدور المفاوضات تثور الانتقادات وتقوم بعض الصحف هنا وهناك بحملات عنيفه وتتهم فرنسا بالضعف ازاء السوريين ومطالبهم الضخمة ان لهذه الصحف ملء الحريه ان تكتب ماتشاء ولكن يجب ان لاننسى ،

مدنية سورية وحضارتها

ان المدنية مدينة لسوريا ولبنان بقسط عظيم وان هذه البلاد اوجدت فنون الملاحه والتجارة وصناعة البلور والارجوان وعلم الحروف الابجدية ، ولسنا بحاجة ان نذهب بعيداً ونتجاهل ان هذه كانت خلال الف عام مهد الحضارة التي جاء بهـا العرب الى اوربا مع روائع اليونان وهل نستطيع ان ننسى ان في سوريا اضاءت فنونها البديعة العالم ! ان مدرسة الفنون في انطاكية لعبت الدور الاول في تهذيب العقل البشري قبل روما

وهل نستطيع ان نتجاهل مالسوريا ولبنان من الفضل على روما ليس من وجهة الامبراطورية والحكم فحسب بـل من وجهة العلم والعبقرية التي اوجدت القانون الروماني وهل من الممكن ان ننسي مايسمونه بالحضارة العربية هو الحضارة السورية نفسها وقد امتزجت بمدنية الامويين بدمشق .

موقف سوريا تجاه فرنسا اثناء الحرب العامة

هذا هو ماضي سوريا ولبنان اللامع القديم اما ماضيها الحديث فان موقفهما في الحرب العامة الي جانب الحلفاء كان من انبل المواقف فقد حاربت هذه البلاد الى جانبنا في سبيل استقلالها ولكن اتفاقات سنة ١٩١٥ السرية قضت ان يصبحا تحت انتدابنا .

سوريا لا تحكم كالمستعمرات

ولقد ظن ان هذه البلاد ستحكم على طريقة المستعمرات وغاب عن بالهم انهم كالافرنسيين من سكان البحر الابيض ، لقد كانت هذه المهزلة طويلة ـ ولكن الحكومه الجديدة ستضع حدا لهذه المأساة المحزنة .

لتكتب اذن تلك الصحف ماتشاء لها مبادئها الاستعمارية اما نحن فنعتقد ان عظمة الوطن تقاس بعظمة الفكر والمعنى والتقاليدواحترام الشعوب الصغيرة وهي من اقصى امانينا .

ان في اعطاء سوريا ولبنان استقلالها والتعاقد معها بمعاهدة تحالف وصداقة تقوم الحكومة الافرنسية بعمل عادل شريف نحو هذه البلاد ونحو فرنسا التي يزداد حب هذه البلاد لها

كتاب من سكرتير الوفد عن المفاوضات

ان المفاوضات تجري الآن بصورة حازمة وبنشاط زائد والجانبان السوري والافرنسي يجدان في سبيل تسوية جميع المسائل ويجتمعان في كل يوم اكثر من مرة ويدوم كل اجتماع من ٣ — ٤ ساعات ثم يقول ان هذا الطور الجديد الحازم يسهل رجوع الوفد في وقت قريب لان بغية الفريقين الاسراع في اتمام العمل ويقول

ايضا في ختام كتابة انه يظن انه لا يوجد من يفكر بان غياب الوفد الذي طال امده يمكن ان يفسر الا بان المفاوضات تتطلب هذا التأخير

نجاح المفاوضات يغضب المتطرفين فى فرنسا

اشارت صحف الجبهة الشعبية الى انتهاء المفاوضات الافرنسية السورية وا كدته ان حكومة الجبهة الشعبية تساهلت كثيرا مع الوفد السوري الذي يمثل العناصر المتطرفة (على رأيهم) في سوريا ويجب ان لا ننسى ان طول هذه المباحثات السياسية كان ناشئا عن تمسك المندوبين السوريين بنظرياتهم فقد عمد اعضاء الوفد الي اطالة المباحثات ليتسنى لهم البحث مع رجال الجبهه الشعبية

ولقد نجح الوفد في هذه المناورة وتمكن في برهة صغيرة من اقناع رجاله (الكي دورسية) بعدل مطالبة وامانيه .

ومهما يكن من امر فان المعاهدة الفرنسية السورية سيتم توقيعها في هذا الاسبوع ولا تنفذ الا بعد عرضها على البرلمان لاقرارها والموافقة عليها ثم عرضها على البرلمان السوري وكذلك لابد من عرضها على لجنة الانتدابات في جنيف

واذا كانت المعاهده السورية مستوحاة من معاهدة العراق فان جلاء قواتنا عن سوريا اصبح قريبا وهذا ما كنا نخشاه حتى هذه الساعة وسيقع لامحالة ، وهنا تبدأ الحركات التي رتبها مؤتمر (الكومنترن) السابع في موسكو لاجل تحرير الشعوب الضعيفة .

ان حكومة الجبهة الشعبية تساهلت كثيرا في عقد المعاهدة السورية في مثل هذه الظروف الدقيقة الخطرة وكان الاجدر بها ان تعمد الى تقوية حصوننا في البحر الابيض وتركيزها في كل بقعة من الشرق الادنى .

ولا شك ان هذه المعاهدة ستثير سكان لبنان الذين ماطالبوا قط الا بحماية فرانسة

وبذلك يختل التوازن في البحر الابيض . ومهما يكن من امر فان المعاهدة الفرنسية السورية اصبحت حقيقية فان مباحثات خمسة اشهر متواصلة لايمكن ان تذهب هباء منثور .

على اننا لايهمنا امر عقد المعاهدة اذا كانت لاتسيء الى الوطن الفرنسي نفسه وتكون سببا في كسب اصدقاء جدد .

وفدنا الامين ونضاله فى فرنسا :

كانت المفاوضات تأخذ ادوارا عديدةمنها الرفض والمماطلة والتسويف والاهتمام فقد جرت جميع هذه الادوار الحسنة والسيئة واعضاء الوفد الامناء ثابتون على مطالبتهم بحقوقهم متذرعين بجميع الوسائل والاسباب لايصال هذه الامة الى حقوقها التي جاهدت وبذلت من اجلها دماءها الذكية .

هذا وقد اعتقد رجالات فرانسا المفكرين من ان سوريا مهضومة الحقوق لذلك سهلوا سبل المفاوضة وساعد على ذلك ربط زمام الحكم بالجبهة الشعبية التي تعلم بان غموض الحالة السياسية في سوريا مصدر متاعب ومشاكل هائلة سواء في الماضي او الحاضر او المستقبل لهذا كان الدافع قويا لعقد معاهدة صداقةمعسوريا على اسس صريحة معقولة .

المسيو بينار يدعو السوريين الى الاتحاد :

قال المسيو بينار لاحد محرري معهد الحقوق في فرانسا :

ان مستقبل بلادكم مرهون باتحاد السوريين

اني اوجه ندائي الى الشباب بصورة خاصة ليشاطروا في تمكين اواصر هذا

الاتحاد لانه الشرط الاساسي لايجاد بلاد قوية وخصبة وليكن لقب (سوري) هو اللقب الوحيد الذي تتعارفون به وتجتمعون تحت لوائه .

لقد دفعتم ثمن استقلالكم غاليا :

ان بلادكم في حاجة الى نشاطكم مجتمعين ولذلك لايجوز ان تتفرقوا تحت الوية ومذاهب وطوائف مختلفة.

انكم ستنالون استقلالكم عما قريب وقد دفعتم ثمنه غاليا ولذلك يجب عليكم ان تحرصوا عليه وتدافعوا عنه بكل قواكم ، وهذا الحرص سيكون اكبر حافز الى (التضامن الوطني) لان الذين يحبون شيئا واحدا — هو الوطن — ويخشون عليه من الاذى لايعقل ان يتفرقوا من حوله ويطعنونه في صميمه .

واخيرا !.. ظفرنا..

يقول اناس ان ليس للسياسة دين فهذا قول حق لاننا شاهدنا ان الظروف تقلب الاشخاص وان الاجواء السياسية كثيراً ما تؤثر على الافكار !.. وان قادة الافكار في السياسة كثيراً ما يوجهوا عنايتهم لشيء دون آخر !.. كل هذا يعلمنا ان السياسة ليس لها استقرار والسياسة عبارةعن تجربة... فجميع الامم تتبع في سياستها التجارب فتنقلب الدويلات !.. وتعمر الممالك !.. وترتفع الامم بينما الساسة سائرون في بحر تجاريبهم . فالسياسة كالاجواء تارة تصحو وتارة تصخب واخرى يكثر فيها الضباب فنحن معاشر السوريين لحسن حظنا كان جو السياسة مساعداً !.. وهذا من اكبر البواعث على نجاح وفدنا الامين ولكننا لا ننكر جهوده التي بذلها بعد الاخذ والرد ؟ . وبعد المجادلات والمحاولات والاجتماعات والجلسات التي مرت عليها ستة اشهر ! . .والتي اظهر بها ابطالنا شجاعتهم واقدامهم وثباتهم في سبيل تحقيق امنيــة اخذوا على عاتقهم انجازها فعادوا من تلك المعركة

ناصعي الجبين ! . . اذ ان جهادهم هذا ارفع من الجهاد ! . . واعظم من نضال المجاهد في ساحات الوغى اذ ان المقاتل يقاتل بسيفه وهؤلاء قاتلوا بافكارهم وادمغتهم التي اذابوها في سبيل الوصول الى ما وصلنا اليه ! . . .

لقد بلغوا بمجاهداتهم مما لم يكن بالحسبان ! . . لقد سجلوا لنا العزة والاباء !. لقد رفعوا عنا الحيف والظلم ! . . لقد هدموا لنا صروح المزلة ! . . وايقظوا فينا الشعور القومي ! . . لقد انشئوا لنا كيانا بين الامم . لقد غرسوا لنا شجرة الحرية ! . . وغذوها بماء الاستقلال لقد اوجدوا في نفوسنا الدفاع عن الوطن !.. انهم فتحوا لنا طريقاً للتقدم والنجاح في جميع نواحي الحياة ! . .

انهم علمونا منذ سبعة عشر عاما كيف تنتزع الحرية انتزاعا وكيف يلتهم الاستقلال التهاما وهاهم اليوم وقد حققوا ذلك لا بما قاسوا من الهوان في منفاهم فحسب كلا بل بما جاهدوه في بلاد الغرب من اجهاد القرائح وكد الاذهان !...

واخيرا بعد هذا الجهاد الميمون ظفرنا ونلنا بغيتنا .

عيد سوريا !.. يوم «٩» ايلول

لكل امة من الامم يوم عيد تفتخر به !.. ترفع الرأس عاليا !.. فنحن ان كان لنا عيدا سعيدا نفخر به ان هو الا هذا اليوم يوم (٩) ايلول ان هذا اليوم هو من الايام المشهودة ؟..

انه يوم عظيم !.. يوم خالد !.. يوم جهاد سبعة عشر عاما يوم تدمع فيه العين للسرور وللحزن !.. تسر فيه العين لانه رفع عن عاتقنا حيفا قاسينا مرارته مئات السنين وللحزن لانه لم يشهد الابرار المجاهدون المخلصون الذين منهم هنانو والغزي والخراط وغيرهم ممن استشهدوا واعينهم تفيض حزنا واسىً وتتمنى ان ترى هذه البلاد هائتة مغتبطة تنعم بالحرية والاستقلال !..

ولكن الله يأبى الا ان يريهم نتيجة اعمالهم فهم يرفرفون علينا بارواحهم ويشهدون ذلك الصرح الذي وضعوا اساسه وناموا نومتهم الابدية الخالدة !..

ان هذا اليوم يوم سوريا الاكبر !.. انه يوم تهتز له الافئدة!..انه يوم تنشرح له القلوب لان الامة مامن شيء احلى واعذب عندها من بلوغ الحياة الطلقة ..

لهذا يجب ان نفتح قلوبنا ونسجل هذا اليوم الذي وقعت فيه المعاهدة بين فرنسا وسوريا !..

ليحفظه ابناؤنا لانه يوم بني فيه مستقبلهم ولاننا لانريد ان يفتحوا اعينهم ويروا مارأيناه من ذل وهوان !.. لانريد ان يلقوا مالقينا من شقاء وعذاب !..

لاننا نريد لهم الحياة !.. نريد لهم التقدم !.. نريد لهم النجاح فلا عاش من كان خاملا لايفكر الا بنفسه وان امة فيها زعماء مخلصون وقادة اخيار لايمكن لها ابداً ان تتقهقر او ان ترجع الى الوراء فحيا الله شعباً ناصر مخلصيه وشد عضدهم في السراء والضراء ..

الفصل الثاني

يتضمن اعمال الكتلة الوطنية اثناء غياب الوفد

الكتلة الوطنية ومسؤولياتها

لم يكد يغادر الوفد سوريا الا وتألفت احزاب المعارضة من جهة وقام شباب جبل الدروز يطالب بالوحدة من جهة اخرى واخذ العلويون الذين يقدسون مبدأ الوحدة يطلبون الانضمام الى سوريا وقام رجال يحاربون الامة ويفرقون صفوفها

باسم الوحــدة الشاملة ! . . وتألفت الجبهــة المتحدة التي لم يكن لها رأي في انهاء الاضراب ! . . ثم قام اناس يدعون انهم من انصار السيد صبحي بركات يحاربون بسيفه ! . . وجاءتهم مسألة مقاطعة الكهرباء وتطورها . . .

فاخذ رجال الكتلة الوطنية يعملون لتهدئة الخواطر والوقوف تجاه هذه العقبات بثبات ورباطة جأش وقد اهتم بقضية الكهرباء وقضية الوحدة الدرزية وما يتبعها من اعمال الشباب النائب السيد البارودي وجميع القضايا التي تتعلق بالكتلة والمفاوضات مع رجال الوفد اخذها على عاتقه نائب رئيس الكتلة الوطنية السيد شكري القوتلي فقد كان في عمله مثال الجد والعمل . . .

هذه هي حالة دمشق والمدن السورية فكان رجال الكتلة دأبهم الوقوف في سبيل من تحدثه نفسه بخيانة الوطن وكانوا من جهة اخرى يسهرون على صالح الامة يحلون مشاكلها متيقظين حذرين لكل دسيسة تحاك ضد القضية الوطنية .

زعماء الاحياء وجهادهم

لقد كان لزعماء الاحياء الفضل الاكبر في سبيل تهدئة الخواطر والوقوف في سبيل الذين يكيدون للامة ويفرقون صفوفها فقد كانوا يد الكتلة الوطنية العاملة يذودون عن حياضها وذلك ناشيء عن اعتقاد راسخ في قلوبهم باخلاص رجال الكتلة الوطنية لما لهم من الماضي الناصع في سبيل القضية الوطنية فكنت ترى في كل ليلة يجتمع زعماء الاحياء في مكتب الكتلة ويتبادلون الاحاديث للتفكير في حالة البلد وما آلت اليه حالة الوفد السوري بالتناقش مع رأي زعمائهم رجال الكتلة لكي يقفوا على الرأي الصائب خوفا من التبلبل الذي قد يطرأ على الافكار

الكتلة الوطنية في المدن السورية

لم تكن الجهود التي يبذلها رجال الكتلة في المركز الرئيسي في دمشق اقل من

الجهود التي يبذلها اعضاء الكتلة في سائر المدن السورية . كحمص وحماه وحلب ففي كل مدينة كان رجال الكتلة يجتمعون الى رجالهم الخاص وينيرون اذهانهم بالاخبار الصحيحة فكانت جميع المكاتب متصلة اتصالا تاما بالمركز الرئيسي بدمشق وبهذه الوسيلة استطاع رجال الكتلة الاشاوس ان يوطدوا النظام ويخلقوا جواً هادئاً لكي يتسنى لرجالنا الابرار ان يفاوضوا في جو صاف نقي لا غبار فيه .

الكتلة الوطنية في دمشق

لقد كانت الكتلة الوطنية في دمشق ساهرة على اعمال الشعب عامة وحركات المغرضين خاصة فقد راجت الاشاعات حول الاضراب تارة لاجل فلسطين واخرى لعمال النسيج فما كان من نائب رئيس الكتلة السيد القوتلي الا ان دعى اليه زعماء الاحياء وابلغهم وجوب عدم القيام باي مظاهرة كانت اواضراب مالانه يضر بالصالح العام وذكر لهم ان بعض المغرضين ارسلوا الى فرنسا يقولون ان (١٢٠) الفا من الجنود السوريين يرابطون على الحدود وما شاكل ذلك من الاشاعات السيئة التي يروجها اصحاب الغايات الشخصية فاقتنعوا بوجوب السهر على راحة الامة واخذوا يبثون شباب الاحياء هناوهناك لحفظ الامن .

البارودي في مكتبه

اذا دخلت مكتب الكتلة الوطنية ترى السيد البارودي جالسا وراء مكتبه يفصل الدعاوي ويحل مشاكل الناس التي مرت عليها السنون فهذا يود اعادته لوظيفة كان اقيل منها وآخرون تشاجروا يطلبون منه ان يكون حكما عدلا بينهم ومن اظرف القضايا ان احد الفلاحين طلب منه ان يعيد له حماره المغتصب من قبل مختار قريته من مدة عشرة سنوات فهذا الاعتقاد الراسخ في الامة من ان السيد

البارودي هو رجل الامة وخادمها الامين انزله هذه المنزلة العايا من نفوس الناس قاطبة واذا حللنا شخصيته وجدنا ان اقبال طبقات الامة جميعها وضيعها وعظيمها كبيرها وصغيرها شبابها وشيبها نجد ان ذلك صادر عن كرم خلقه الذي يمتزج بالاخلاص امتزاجا وسخاؤه الذي ضرب به الامثال فهو يعطي المحتاجين بلا حساب وكذلك لسانه الطلق بالخطابة بلغته الشعبية المعروفة عنه وسهره على راحة الامة وقيامه بخدمتها ليل نهار ...

وتشجيعه للمصنوعات الوطنية وبره بميثاقه الاقتصادي الذي لو سار عليه الناس عامة لما احتجنا الى غيرنا ولما كنا عالة على الامم الاجنبية وسعيه لنشر العلم وتشجيعه للمتعلمين من ابناء البلاد وتنشيطهم وقيامه بانشاء مكتبه الخاص للنشر والدعاية .



١٣٥٣م — ١٩٣٤م

مكتب البارودي للدعاية والنشر

ذلك المكتب الذي مضى على تأسيسه اربع سنوات ولم يدر احد بما يفعل فاقول الحق ان الذي اخذه على عاتقه يحتاج الى دولة معظمة كبرى لتقوم باعماله اذ انه يجمع جميع الجرائد منذ الاحتلال حتى الان فيأخذ المكتبه بتصفح الجرائد العدد الواحد بعد الآخر ويلخصون المواضيع ببضع كلمات فيكتبونها على بطائق خاصة وهذه البطائق تتضمن المواضيع المهمة الاجتماعية والاخلاقية والرياضية والاقتصادية الخ . .

اي في كل ناحية من نواحي

الحياة فعندما تنتهي اعمال المكتب يستطيع اي كاتب الاعتماد على هذا المكتب في اي شأن من شؤون الحياة فمثلا اذا عرض لاحد الاساتذة ان يطلع على حالة المعارف عام ١٩٢٠ فيستطيع ان يرجع الى البطاقة التي تذكر كلمة المعارف ومنها يستنبط كل ماكتب عن المعارف في ذاك العام واذا اراد ان يقارن بينه وبين عام ١٩٣٥ فيستطيع ان يجد التطور الذي طرأ على المعارف .

وهناك بطائق بلون آخر مختصة بالكتب العلميه والادبية والاقتصادية والزراعية وغير ذلك وهناك ايضا وثائق وتقارير مما لم يذكر لا بالصحف ولا بالكتب فهذه لها دوسيات خاصة يستطيع الكاتب ان يرجع اليها في مكتب البارودي منهل يستقي منه عامة الناس في جميع شؤون الحياة ، فاحسن الله اليه كما احسن الى الامة جميعها



مدير مكتب الكتلة

الوطنية في دمشق

ان الجهود التي يبذلها مدير المكتب السيد مهدى مرتضى نحو قاصديه من تسهيل مهماتهم ومساعدتهم والسهر على راحة الامة لجدير بالتقدير والاعجاب واننا ننشر صورته لما له من الخدمات الجلى الصادرة عن نفس ابية جبلت على فعل الخير والسير وراء المصلحة العامة . ولقد عرفه الكثيرون برحابة صدره وحنينه الى افراد الشعب الذين يلتجئون اليه فتراه نشيطا في عمله

يعترويا في فهمه يعمل بجد واخلاص ولا يني في ادارة مكتبه الذي يستقي الحوادث من كافة المدن السورية

رواج الاشاعات للاضراب

انحبست اخبار الوفد السوري شهراً عندما كان يفاوض في باريس فاخذ الدساسون يروجون الاشاعات ويتقولون الاقاويل فمنهم من قال ان الوفد رفض في باريس ومنهم قال: فشلت المفاوضات وآخرون قالوا هذه خدعة من فرنسا ... وقسم من الناس قال انهم طلبوا الوفد الى باريس لقتله . . . فاخذ المرجفون يحيكون الدسائس ويبثون بذور الشقاق بين صفوف الامة لتقسيمها فترى اشاعات الاضراب والاغلاق على كل شفه فاخذ المخلصون يستفسرون من نائب رئيس الكتلة الوطنية السيد شكري القوتلي ومن السيد فخري البارودي عن صحة الاشاعات فينفيانها نفيا باتا ويأخذان في تهدئة الخواطر واذاعة البلاغات من قبل المكتب فعندئذ يطمئن الناس وتعتريهم هزة الارتياح ولكثرة ماروجه اعداء هذه الامة المأجورين اصبح الناس عديمي الثقة باي حركة تصدر عنهم .

البارودى ومعتقلوا الحوادث الاخيرة

ان للسيد البارودي في كل عمل باعا وفي كل حادثة ذراعا فلم تكن تقتصر اعماله على ماسبق بل كانت له اليد الطولى في تخليص معتقلي الحوادث الاخيرة

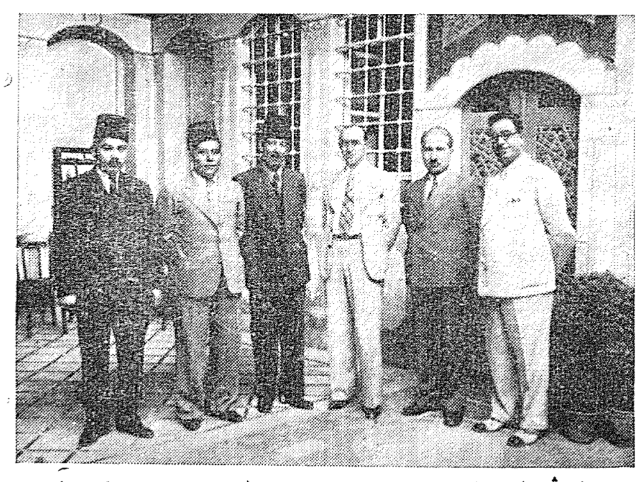
البارودى وهودزنجر

قال الجنرال هودزنجر قائد جيوش الشرق للسيد فخري البارودي انا اشكر

للكتلة الوطنية موقفها النبيل وسهرها على حفظ الامن بصورة عامة واشكرك بصورة خاصة .

الوفد السوري في باريس يحل مشكلة الكهرباء

ان وفدنا الكريم لم يكفه المفاوضة فقط بل اجتمع الى المركز الرئيسي لشركة الجر والتنوير وتفاوض معها على حلول كانت في جانب الاهلين مما حمل جميع الناس ان يلهجوا بالثناء وكانت مدة هذه الحلول سنة كاملة يحق بعدها لكلا الفريقين



«على أثر المفاوضات التي دارت بدمشق بين لجنة المقاطعة وشركة الجر والتنوير بشأن النقاط الفرعية التي لم يتعرض لها الوفد بفرنسا والتي تم الاتفاق عليها اخذت هذه الصورة في مكتب الكتلة الوطنية في دمشق ويرى القارئ السادة : مهدي مرتضى ، فخري البارودي ، سيف الدين المأمون ، مدير الشركة وسكرتيره»

المتعاقدين ان يطلب تعديله فتلق رئيس لجنة المقاطعة السيد فخري البارودي برقية بالحلول فعرضهـا على صفحات الجرائد وفي ٨ ايار ١٩٣٦ انتهت المقاطعة التي كانت السبب في نوالنا حريتنا واستقلالنا . وبعد الاتفاق ذهب السيد فخري البارودي الى دائرة البلدية لكي يحتفل بانتهاء المقـاطعة فاجتمع انـاس كثيرون في ساحة المرجه فاطل السيد البارودي من شرفة البلدية فصفق الناس ثم القى عليهم الكلمة الاتية :

ايها السادة : من البيان الذي اصدرته لجنة المقاطعة يتضح لكم ان المقاطعة قد انتهت واني انتهز هذه الفرصة لاشكر الامة على موقفها الشريف واشكر الوفـد على موقفه في حل قضية المقاطعة راجيا من الله سبحانه وتعالى ان يوفقه ايضا لحل العقدة السياسية الكبرى .

اضراب سوريا لاجل فلسطين

لقد رأى رجال الكتلة الوطنية في دمشق واللجنة العليا للشباب الوطني ان يخصصوا يوما تضرب فيه المـدن السورية كافة فبعد ماهيأت الاسباب وامنتهـا بواسطة الشباب الوطني لعدم القيام بمظاهرات من شأنها احداث القلاقل لذلك فقد افاق الناس يوم ١٠ ايار ١٩٣٦ واذا بدمشق وحمص وحماه وحلب وسائر البلدان السورية مقفلة حوانيتها مشاركة عواطف اختها فلسطين . ومن هنا يتضح لك ان الشعب السوري يحب النظام ويخضع للقادة وقـد اصبح جديرا بالحرية والاستقلال

البارودى والبارون فابه

لم تكد تنتهي قضية المقاطعة الا واخذ آل المعتقلين يفدون الى مكتب الكتلة ويطلبون من السيد البارودي ان يسعى للافراج عن بقية المعتقلين السياسين فذهب

بنفسه الى قصر مندوب المفوض السامي البارون فان وتحدث اليه بشأن السيدين فريز الملك وياسين الصفدي اللذين اعتقلا بسبب مقاطعة الكهرباء وطلب اليه حل قضية ابن عوف من حمص ورفقاءه من حماه واحمد بكار ورفيقه من دوما فكانت هذه الوساطة خير وسيلة لاخلاء سبيلهم بعدمراجعات عديده للبارون فان في دمشق وقائد جيوش الشرق الاعلى الجنرال هودزنجر في بيروت وفي النهاية اطلق سراح جميع المشتركين في الحوادث الاخيرة ولم يبق منهم احد .



« ننشر صورة الشاب السيد فريز الملك بمناسبة الافراج عنه »

الكتلة فى حلب

الدكتور كيالى يخطب

على أثر انتشار الاشاعات الكاذبة حول الوفد والمفاوضات واضراب المدينة وغيرها من الادعاءات التي يقصد منها هياج الافكار وبلبلة الخواطر فقد اضطر رجال الكتلة الوطنية ورجالاتها المخلصين في حلب ان يحذروا الاهلين من الدساسين لهذا فقد خطب الدكتور عبد الرحمن الكيالي عميد الكتلة في حلب وخطيبها المصقع وذلك يوم الجمعة في ١٣ آب ١٩٣٦ في الجامع الاموي قال :

منذ ايام والناس تتوارد الي والى مكتب الكتلة فتسألنا الحقيقة عن دعايات

واخبار وانباء يرويها بعضهم ويروجها ولم نكن لنحفل بتلك الاراجيف لولا انها في هذا الظرف الدقيق حيث الآذان منصتة والعيون شاخصة ترتقب الانباء عن الوفد . ان المفاوضات اخذت تفعل فعلتها في النفوس وبين افراد الشعب . ونحن منذ سبعة عشر سنة نعمل لترميم القلوب حصنا حصينا منيعا لايدخله رجيم ولا يصل اليه دساس ولا ينال منه افاق مجرم ونحن اليوم وجدنا ان هناك ثلمة يسعى اعداء الوطن للعبور منها الى قلوبكم فجئت اعيذكم ونحن على ابواب المستقبل من هؤلاء اللصوص واتخذ دليلا على قوة ايمانكم وبأس عقيدتكم وثباتكم امام تلك المحاولات والسعايات والتخيلات وقول جماعة الكاذبين ان الوفد قد نبذ وان سعد الله في خلاف مع اخوانه ، وان نعيم الانطاكي قد ركب البحر وان الفرنسيين يهزؤون بنا الى آخر اضاليل هؤلاء المرتزقة السفلة الذين لايستحقون الا ان يلطم سامعوهم على وجوههم ليدركوا ان حلب قلعة جبارة لاتنال بالمين الرخيص على المغريات والاضاليل لان قلوب اهلها عامرة بالايمان المتين والوطنية والصادقة

ان زعماءكم الذين اتخذتموهم ليكونوا حراساً عليكم لا يزالون امناء للعهد محتفظين بوديعة الوطن الغالية مقسمين متحدين على الموت او الاستقلال فلا يلين لكم اعتقاد واذا صح حبوط المفاوضات لا سمح الله فاننا لا نتردد عن اخباركم بذلك ونعود معكم الى ساحة التضحية والجهاد مرتاحين الى اننا قمنا بالواجب ومددنا اليد واخلصنا النية .

وانني اعيد ما قلته في فرصة سابقة ان السيوف التي حاربنا بها لا تزال ماضية على اكتافنا والقلوب لا تزال في صدورنا فان قدم لنا شبر من الخير قدمنا ذراعنا وان اعطينا شبراً من الشر اعطينا بدلا منه باعا . انني اصرح اننا لازلنا على العهد واننا لا نخاف ولا نهاب ولا نخشى احداً وما ارواحنا واموالنا الا فداء الامة والوطن.

لا شك ان في سبيل المعاهدة عقبات وصعوبات وحواجز فهذا امر طبيعي منتظر

ولولا ذلك لما جاهدت الامة مدة هذه السنين ولما تحملت المصائب والمكارة ولماسفكت الدماء وزهقت الارواح وغصت السجون ولما انتظر الناس سبعة عشر سنة للوصول لهذه المرحلة . ولو كان امر المعاهدة هين بسيط لما ذهب الوفد لباريس بل بقي هنا وعقد الاتفاق في برهة ولحظة عين وان امر سوريا هام وحسابها عسير واذا كانت تصفية بعض الاعمال العادية تحتاج الى شهور عديدة فكيف يكون الامر عندما يتعلق بمصير امة ومستقبل بلاد . نعم هناك عقبات والوقت كاف لاذلالها بحول هذه الامة وقوتها وقد ذلل اكثرها والوفد وفدكم امين وقد مشي وخطا خطوات واسعة في سبيل الحل المرتقب وقد سبق لي ان صرحت ان الاتفاق تم على جميع النقاط وان البحث يدور الآن حول امر الحدود بيننا وبين لبنان وحول المصالح المشتركة التي هي العصب الحساس في المعاهدة وفي علاقاتنا مع فرنسا .

وقد انتهت ايضا المسألة العسكرية والامل من فرنسا وقد عجمت عودنا وعلمت ايماننا ورأت كيف الدماء تسيل وايقنت صلابة تعلقنا بالاستقلال والحرية ان لا ترجع الوفد فاشلا بل تعمل على تحقيق الوعود التي قطعتها لنا بلسان مفوضها على ان تكون المعاهدة مماثلة للمعاهدة العراقية .

لقد علمنا اسماء الذين يبثون الدعايات الخبيثة سواء كانوا من اللبنانيين ام من الصهيونين ام من جواسيس بعض الدوائر ام من الحكام الذين عاشوا على اشلاء الشهداء وامتصوا دماء الاوطان ووضعوا ولا يزالون العثرات في طريق الامة ولكن هذا الوفد الجامع الى العلم والقوة والدهاء والسياسة يعرف كيف يفسد خطط المفسدين واني ابشركم انه قد افسدها وسيفسد ماتبقي منها . وعليكم انتم ان لاتتركوا احداً يؤثر على ايمانكم وتضامنكم واتحادكم ولا تصدقوا وتنقلوا الحوادث قبل ان تتبينوا صحتها ، ان بيت الامة بيتكم وكلنا خدامكم فارجعوا الينا كلما اردتم الاستفهام عن امر واذا جد شيء اعلمناكم به كما عودناكم لاننا منكم وفيكم .

واعلموا ان الامة التي لا قيادة ولا عقيدة لها لا يمكن ان تنال استقلالها .

هذه فلسطين تزأر زأرة الاسد وتثور ثورة المستميت في وجه الافاكين المتشردين بعد ان توحدت كلمتها وعقيدتها . وهذه اسبانيا تأكل بعضها لتلاعب الاحزاب فيها وهذه الحبشة قد ضربها موسوليني لتنابذ قبائلها وكثرة رؤسائها .

العهدة العمل للكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بتجرده وصبره ومزاياه العالية مضى على اعدائه وافسد خططهم ومؤامراتهم وجعل نفوس العرب موحدة ومثالا اعلى للامم . ان الله معكم ولا يبدل الله ما في قوم حتى يبدلوا ما في انفسهم .

يوم فلسطين في سوريا

عينت الكتلة الوطنيـة يوم (٢٥) ايار ١٩٣٦ وهو اليوم الذي اعدته لجمع التبرعات لمساعدة الشقيقة فلسطين وفي هذا اليوم اخذ التجار والمحامون والاطباء والصيادلة وزعماء الاحياء والطلاب والطالبات يجمعون الدراهم وكان مقدار ما جمع من دمشق فقط خمسة آلاف ليرة سورية وكذلك كان نصيب حمص وحماه وحلب ودير الزور واللاذقية على ترتيب اللجان وذلك سيراً على النهج الذي سنته دمشق وبلغته الى سائر مكاتب الكتلة في المدن السورية .

جبل الدروز والوحدة السورية

الاحتجاج على الضغط

باريس : وزارة الخارجية الوفد السوري

جبل الدروز يستنكر الضغط على الحريات ومنع السلطة اجتماعات الوجهاء بالقوة ممثلوا الجبل المجتمعين في عاصمتهم دمشق يؤيدون تعلقهم بالوحدة السورية واعتبار الجبل قطعة منهم .

علي مصطفى الاطرش

بيان المؤتمر الدرزى

حاولت السلطة في الجبل وما تزال تحاول خنق صوت الحق المطالب بالوحدة السورية التي هي امنية كل درزي يغار على مصلحة بلاده فحالت دون ثلاث اجتماعات حاول الزعماء والوجهاء عقدها في (كفر اللحى والمجدل وعين طيجه) ولكن تجاهلت ان هذا الارهاق لا يزيد الدروز الا تمسكا بايمانهم الثابت وعقيدتهم الراسخة في وحدة البلاد السورية المقدسة وان هذه الوسائل المستنكرة التي تتبعها في الجبل الدرزي للحيلولة دون اظهار رغبات اهله ستكون سلاما للحق يبرهن عن حقيقة ارادتهم واذا تمكنت القوة المسلحة من منع الزعماء والوجهاء من الاجتماع في الجبل فان هذه القوة نفسها قد اجبرتهم على الاجتماع في دمشق عاصمة بلادهم لايصال صوتهم للمراجع العليا المسؤولة واظهار حقيقة ما يجري في الجبل من الاعمال المنكرة التي لا يقرها العدل الافرنسي .

تنشيط دعاية الانفصال

وبينما تمنع السلطة اجتماع الزعماء الاحرار وتعتقل بعضهم وتحظر على البعض الاخر الخروج من بيوتهم تراها توعز الى موظفيها ومأجوريها لنشر الدعاية الانفصالية واغراء نفر من الدروز لطلب الانفصال والاستعانة بهم على اذاعة البيانات في الصحف الافرنسية موقعة من فريق من الدروز دون علم منهم مع انه محظور على الموظف التدخل في السياسة وآخر مالجأت اليه السلطة دعوتها لفريق من المأجورين بواسطة مستشارين لعقد اجتماع في منزل احد الموظفين مدعية بانه يمثل رغبات الدروز مع ان الزعماء والوجهاء رفضوا الاشتراك بهذا الاجتماع الذي اريد به طلب الانفصال تحت عوامل الضغط ولم يحضره من اهالي الجبل سوى

بعض اعضاء المجلس الحكومي المعين من قبل السلطة ونفر من الموظفين المفروض عليهم بحكم وظائفهم التقيد باوامر السلطة والعمل بمشيئتها

قرارات المؤتمر الدرزى

لقد تمكن نفر من رجالات الجبل الدرزي ان يقدموا الى دمشق ليعقدوا اجتماعهم فيها بعد ان حالت السلطة دون اجتماعهم في الجبل وبعد ان منعت الكثيرين غيرهم من القدوم اليها والمجتمعون يعلمون علم اليقين ان جمهرة اهالي الجبل معهم روحا وفكرا وقد قرروا في اجتماعهم مايلي :

١ — تأييدهم تأييدا تاما للمذكرة المقدمة لوزارة الخارجية الافرنسية باسم الجبل بتاريخ ١٣ نيسان سنة ٩٣٦ الموقعة من زعماء ووجهاء جبل الدروز المفوضين من قبل اهله بموجب اوراق رسمية والممثلين لرغبات الجبل الحقيقية .

٢ — تأييدهم ماورد في الكتاب المرسل لدولة الرئيس السيدهاشم الاتاسي بشأن وحدة سوريا واستقلالها

٣ — تأييدهم ثانية ارادة الجبل الدرزي في الوحدة السورية واستقلال سوريا بما فيها الجبل الدرزي دون ان يكون للافرنسيين اي نفوذ خاص في الجبل وهم ينيبوا الوفد السوري ان يتكلم باسمهم على هذا الاساس

٤ — الاحتجاج على التدابير التي لجأت اليها السلطة في تفريقها الاجتماعات بالقوة المسلحة واستنكار حملها الناس قسراً على طلب الانفصال عن بقية بلادهم واستعمالها المغريات الشخصية لتأييد السياسة المنافية لرغبات الجبل الحقيقية والمصلحة اهله

٥ — عدم الاعتراف باي حل تفرضه السلطة فرضا لاينطبق على رغبات الاهلين ولا يتفق ومبدأ الوحدة والمجتمعون يلفتون نظر المراجع الرسمية العليا الى

وسائل العنف والارهاق التي تقوم بها السلطة في الجبل. لاتحول دون اظهار الشعور ولا تعرف اصحاب العقائد عن الوحدة السورية والتمسك بها ويعلنون ان اجتماع موظفين يمثلون رغبة الحكومة التي عينتهم لايمثلون آراء الجبل ورغباته .

عن المجتمعين　　　　　　　　　　على مصطفى الاطرش

حماه تحتفل بعودة الاستاذ الملقى

حكم القضاء الاجنبي على الاستاذ المحامي السيد رئيف الملقي بالسجن اربعة اشهر لاتهامه بانه يوم زار رئيس وزارة العهد البائد الشيخ تاج حماه وقابله شبابها واطفالها واهلوها بهتافات العداء كان مبعث هذه الحركة ومديرها وقبل ان ينصرم ذلك العهد المشؤوم سجن الاستاذ الملقي في سجون حمص وقد انتهت المدة المحكوم بها رغم الوعود الكثيرة المقطوعة بصدور عفو خاص عن هذا الحكم وغادر السجن فاحتفل به شباب حمص الوطني حفاوة كبري ورافقه فريق الى حماه التي استقبلت فتاها البار باعظم مجالي الرفعة اذ برغم وصوله اليها على حين غره وفي وقت لم يكن ينتظر وصوله فما كاد يذاع نبأ وصوله حتى هبت حماه تحتفل بقدومه وغصت الشوارع والطرق والشرفات بالالوف التي كانت تهتف بحياته وحياة الكتلة الوطنية

عصبة العمل القومي وموقفها السياسي

نستطيع ان نستطلع الخطة التى سار عليها رجال العصبة ابان غياب الوفد في باريس من الخطبة البليغة التي القاها الاستاذ صبري العسلي في الحفلة التذكارية للمرحوم الاستاذ عبد الرزاق الدندشي واليك نص الخطاب : لسنا في هذه الذكرى الاولي لعميدنا لا بل زعيمنا نرغب ان نتفجع ولا ان نتوجع .... بل نحن في حميم معركة حامية يستهدف فيها الخصم تقويض اركان الامة العربية وامتلاك تراث

اجيالها المزوج بدماء انهارها .

نحن هنا في قلب واقعة تاريخية شرف امتنا مرهون على الظفر فيها وفي يدنا اليوم ان نكتب لاعقابنا الذل والمسكنة او النصرة والكرامة . . .

نحن في دور البعث نسير في مضماره بسرعة عجيبة فكروا بحال هذه الامة الروحي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي منذ سنين قليلة منذ الاحتلال وقابلوا ذلك بما نحن عليه اليوم تتحققوا اننا نسير الى الامام رغم المعوقات ورغم العقبات بل ورغم الازمات

نحن نسير في مضمار البعث والقوى القومية الدفينة تتلجلج في مكامنها وهي انما تحتاج في نشوءها الى ان يرسم لها ابناؤها الخلص الطريق وان يروموا في اسس بنائها العظيم امتن الدعائم .

في مثل هذا الطور تفترض التضاحي فرضا في مثل هـذا الطور يجب التساند والتضامن ويجب ان نفتح العيون كباراً ونتفحص بها شأن الامم المعاصرة ونتبين اسس نهضتها ونفهم روح العصر الذي نعيش فيه ثم نحدد موقفنا من جميع ذلك فنرسم النهج ونعمل السير .

هذه هي الخطوط الكبرى في خطوطنا من القضية الوطنية ، وبالرغم من هذا وذاك فالقوم ماغـيروا من نـاحية قضيتنا التي ماعتراهـا التعديل ولاطرأ على موقفها في اعينهم تغيير . اذ رسم الفرنسيس منذ الاحتلال والى يوم قريب لاستعمار الشام خطة مازالوا سائرين على نهجها سيراً حثيثاً كاد يثمر وكاد يعم البلاد ، واليكم مجملا عن هذه الخطة التي تدل على اعمالهم دلالة واضحة لاينكرها غير البكم الذين طمس الله على قلوبهم فهم لايعقلون والخطة تلخص :

خطة فرنسا في سوريا

بتمزيق البلاد الى دويلات تثار فيها النعرات الدينية والجنسية

باستعمار البلاد فكريا والقضاء على التقاليد والشعائر القومية

بفصل العرب في سورية عن تاريخهم وتوجيه ميولهم شطر الغرب .

بافقار البلاد افقاراً منظما ، بافساد خلق الشعب ، بحشد شذاذ الآفاق لتفسيخ وحدته الجنسية ، بتفشيل الاعمال الوطنية سياسية كانت او اقتصادية او عمرانية بلبلة التشريع بلبلة تجعل العدل حلماً والحق وهما ، بوضع برامج للتعليم لقتل الشخصية وتقضي على المواهب وتخلق من الطلاب متفرنسين وعن العربية غرباء اعجميين

على ضوء هذه الحقائق الراهنة ونورها ، ذهب وفد الامة الامين ليعالج مع الفرنسيس القضية الوطنية وحدة واستقلالا وعلى اساس تعاقد واضح صريح يدل من هذا الوضع القائم القاتم ويستبدل به وضعاً لا تعيش فيه على هامش الحياة لتضل سواء السبيل لا بل نحس بكياننا ونشعر بوجداننا اننا امة مستقلة في هذه الحياة الدنيا .

نعم يريد الوفد تعاقداً مع فرنسا نكون معه مستقلين . تسير الامور بعده في الادارة والتشريع حرين طليقين بوضع الانظمة والقوانين التي من شأنها صيانة قوى البلاد الخلقية والاجتماعية والثقافية وبحمايتها وانمائها وبتوطيد دعائم الامن داخلا وخارجا وبتقوية الشعور القومي واقامة نبراس للعدل عالي المنار وتنظيم القضاء تنظيما حكمياً مواتياً وضمان استقلاله واختيار رجاله ممن ازدهي علمهم و ممن لاتأخذهم في الحق لومة لائم وبحماية اليد العاملة وتنشيط الشركات التعاونية في الصناعة والزراعة وهي روح كل عمل ولسن تشريع يضمن لها حياة هانئة وحقاً مستبنيا واملا بتحسين مرافق العيش بنسبة ما تبذله من جهد وتبدي من جداره وباستهداف قواعد في اصول وضع الضرائب وجبايتها وتقنينها بصورة موافقة لنمو قوى البلاد في مرافقها العامة وبوضع تشريع جمركي حكيم يتناسب مع حاجة البلاد .

لقد اثقلتنا القيود نرزح تحت عبئها وترتطم بها كراماتنا وتحول دون تسامي امانينا في انشاء كياننا القومي ففزعنا الى باريس للمرة الاخيرة ننشد وحدة واستقلالا

حتى اذا لم يتحققا لنا مؤكدين اعوذ بهذه الامة النبيلة الكريمة التي جعلت من عنصر الاباء وطبعت بطابع الرجولة المشرفة والتي ترى ان الحياة التي تستحسن العيش هي الحياة النقية يعيشها المرء سيداً حراً .

اعوذ بالاباء التالد اعوذ بالسادة من قحطان وعدنان من قريش من امية من بني العباس ، اعوذ بدم يسير في هذه العروق ان نرضى الحياة دنيئة سافلة وان نستمرفي غشاوة التعامي ولا نضرب بيد جبارة ركزة الاجنبي ونكأته من اولئك الهصراء السفلاء الذين صيغوا من معدن الدناءة وطبعوا بطابع التخنس وكانوا لعهد قريب مطايا يركبها الاجنبي يرون الحياة فلساً يرن في جيوبهم وقينة ودناً وابهة فارهة يتخدم الخصم بها سخرية فيحكمون ويستوزرون ويسودون ويستأسدون .

كلمة اخيرة اقولها ان لن يجد الفرنسيون ان نحن اخفقنا بعد اليوم مواليا او مقاربا ولن يجد الخانع ولا الذليل مهما كانت ريحه عاتية تلفحنا ومهما كانت ناره حامية من على هذه الهضاب ترمقنا .

صبري العسلي

المطالب التي قدمت باسم المسلمين

سأل رئيس جمهورية لبنان مفتي المسلمين في بيروت عن رأيه في الدستور ومطالب المسلمين فأجابه بما يلي :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهوريه اللبنانية المعظم.

جوابا على الاستشارة التي طلبتموها فخامتكم في اخذ رأي الطائفة الاسلامية عما يتعلق بالدستور والقضية اللبنانية جئت بمذكرتي هذه مستندة الى اراء مفكري الطائفة وزعمائها واعيانها الشفاهي منها والتحريري وهي تتلخص بالمطالب الثلاثة التالية

١ —الاستقلال التام ٢— السيادة القومية ٣— الوحدة السورية بجميع اجزاءها

وتفضلوا يافخامة الرئيس بقبول فائق الاحترام .

قرار قمع الجرائم وفصل الامن العام عن الشرطة

اذاع النائب العام في المحاكم الاجنبية بلاغا على جميع المحاكم انه اعتباراً من تاريخ ٣٠ آب ٩٣٦ لا تعود المحاكم تنظر في الدعاوي المقامة بموجب القرار - ٤ - المدعو بقرار قمع الجرائم بل يترك الامر للمحاكم الوطنية .

وكذلك نقد فصلت دائرة الامن العام عن مديرية الشرطة ولم يعد لها ادنى علاقة



السيد انور نظام

ننشر رسمه بمناسبة الافراج عنه بعد ما قاسى انواع العذاب بالتشرد والسجن من اجل قضية بلاده التي يقدسها ويجلها الى ان قيض له زعيم الشباب السيد فخري البارودي فأخرجه بالبراءة التي نالها من المحكمة ، وهذا الشاب من اسرة عريقة بالمجد والجهاد الوطني. مبادؤها سامية ونضالها مستمر واعمالها مجيده في سبيل القضية الوطنية .

الشارة البيضاء

على اثر تأليف فرق القمصان الحديدية في مدن سوريا قامت فئة ممن تعودوا

الدس والكيد لابناء هذه الامة فالفوا فرقة لهم دعوها جمعية الشارة البيضاء فانضم اليها قسم ضئيل من مسيحي وارمن حلب وان هذه الطائفة الرجعية تألفت على اثر تشجيع من اذناب الحكومات السابقة وقيل ان هذه الجمعية تأسست في دار الشيخ تاج . . . والله اعلم .

اعمال الشارة

ان شباب الشارة البيضاء اخذوا يجهزون انفسهم بالمسدسات ويجاهرون بان الحكومة تناصر اعمالهم وهم من حزبها وهذا مما دعا الناس للاطلاع على نواياهم السيئة فبدأوا بالتعدي على الناس الى ان كانت تلك الحادثة المشؤومة التي ذهب ضحيتها جرحى كثيرون وكان اذ ذاك الشرطة يساعدون افراد الشارة ولو لم تقم الكتلة الوطنية في حلب يوم ذاك لكانت مجزرة عظيمة في حلب ولكن رجال الكتلة هناك اخذوا على عاتقهم تهدئة الخواطر والوقوف بحزم ازاء الاهلين الذين لو لم يتدخل رجال الكتلة لكان ما لا تحمد عقباه . واخيراً اخذت الحكومة الايوبية الحزم وقضت على كل موظف ينتمي الى الشارة .

هذا وان مسيحي حلب ومطارنة الارمن تبرأوا على صفحات الجرائد من الشارة وحذروا الناس الانتماء اليها فعندئذ انسحب اكثر اعضائها وقضي على هذه الفكرة الخبيثة التي انبعثت من بيت من كان السبب في خراب هذه الامة وهكذا زهق الحق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ماهو واجب الشباب والطلاب

اذكر انني حينما كنت طالبا في التجهيز كنت اشعر كسائر اخواني الطلاب بان الذ الساعات عندي الساعة التي يعلنون فيها الاضراب ....

تلك الساعة التي ننشد فيها جميعا انت سوريا بلادي. ياظلام السجن خيم !..هذا الوطن حق له ... فنأخذ في اثارة شعور اخواننا ثم ينتقل الشعور الى الناس عند خروجنا من المعهد بعد كسر الباب ... فكنا نقوم بهذه الواجبات نحو امتنا كلما دعانا الواجب او نادانا الوطن !...

ان هذه الساعات العذاب !.. ساعات الجهاد لاازال اذكرها !.. ولا تزال تمر بمخيلتي عند كل حادثه !..

كنت اشعر واخواني ان علينا واجبات يجب ان نقوم بها نحو وطننا وبلادنا فنتظاهر ونضرب عن الدروس ونشاغب ونوزع النشرات !.. كل ذلك في سبيل تنغيص عيش الظالمين الذين كانوا يتربعون على كراسي الحكم ويستغلون اموال الامة غير عابئين بالامة ولا بصلاحها .

فكانت نتيجة جهادنا ان بلغنا هذا الاستقلال وان كنا اخذنا القسم الاعظم منه ليس جميعه ولكننا ولجنا الباب واصبحت الدار ملكنا نستعين على ادارتها باخذ الرأي ولكن السيطرة لنا وسندات التمليك بين ايدينا ؟.. وهذه السندات تحتاج الى ايد قوية لحفظها من السرقة ومن التعدي ومن الدس والاحتيال ..

لهذا فان الامة اصبحت بحاجة الى طلاب عاملين يخدمونها من طريق العلم .. من طريق الرقي والتقدم .. اذ ان زمن المظاهرات والمشاغبات والاضرابات مضى وانقضى عهده ولم يبق امامنا الا الاتحاد والتضامن والجرأة والاقدام والصدق والاخلاص كل هذا يضمن لنا الاستقلال ويوصلنا الى الحرية التامة التي لايسيطر عليها مسيطر

فيا اخواني معاشر الطلاب والشباب اشبال اليوم واسود الغد الذين يهمهم امر وطنهم المحبوب .. ارى ان الواجب يدعونا اليوم للنهوض والسير بخطى واسعة سريعة .. لنتحول من طريق القول الى طريق العمل ولنعمل جميعا في طريق واحدة

ان الطريق التي نسير فيها الان سهلة ميسرة على المجد المخلص الذين لايبالي

بالعقبات ولايكترث بالصعاب .. لهذا ارى ان نتمرن على الجندية ونقوي اجسامنا ونعود انفسنا احتمال المكاره وتجشم الصعاب في سبيل وطننا العزيز .. لنطع قادتنا وزعماءنا الذي جربناهم وعرفنا اخلاصهم وتضحياتهم ..

فكروا ايها الاخوان واعلموا انكم دفعتم ثمن الحرية غاليا ، دفعتم ثمنها شهداء ابرار دفعتم ثمنها دماء ذكية فحرام ان تضيعوها ؟

لقد ضحينا باوقاتنا وراحتنا وسعادتنا ، لقد سجنا وعذبنا وقاسينا انواع الالام وصنوف المذلات في سبيل الوصول الى هذا الاستقلال فلا ندع مجالا لامتداد الايدي اليه وتدنيسه اذ الاستقلال ارفع من ان تمتد اليه يد الظالم او يعبث به منافق .

لنكن نحن الشباب حذرين يقظين نحو من تحدثه نفسه بخيانة الوطن او بتفريق صفوفه ، اذ الوطن لنا معاشر الشباب .. الوطن لنا دون سوانا ، لنكن لوطننا كالام الرءوم ، ترعى اطفالها وتحن اليهم وتعطف عليهم ، تغذيهم باغلى ما تجود به نفسها ، واثمن ما تدخره لحياتها كونوا للوطن كالوالد الشفيق الذي يخاف على افلاذ كبده من ذر الريح ..

ليكن كل شاب سوري منا امة بمجموعها يحمل اعباء الوطن على كتفه بلا كلل ولا ملل ، فمتى عرف الشاب منا واجبه نحو امته ووطنة استطاع ان يخلص هذا الوطن مما ينتابه من الآلام والمصائب . افيقوا معاشر الشباب وانظروا الى اوربا .. والى الامم الغربية كيف يتنعمون بالحرية ويتلذذون بها ونحن هنا لانزال نغص بالم العبودية ايام الحكومات السابقة . فايام الاستقـــلال هنيئة وطعم الحرية لذيذ فلا تضيعوها .

الا فلتشهد الاجيال وليشهد التاريخ ان الكتلة الوطنية سجلت للامة السورية استقلالا وفتحت لها بابا للوصول الى الحرية المطلقة ونحن ابناء هذه الامة اما ان نبدد هذا الاستقلال وعندها نسجل عارا لايمحى ابد الدهر ونعيش عيش العبيد

الارقاء مستضعفين في ديارنا منتهكة حرماتنا ، صغيرة نفوسنا او اننا نحقق لهذا الوطن المفدى اغلى امانيه الحلوة الا وهو الاستقلال التام والحرية التي سترفرف باجنحتها ان شاء الله على البلاد العربية فنكون من الذين انعم الله عليهم واصبحوا باستقلالهم ينعمون ،

انور العش



لم تمت امة اهانت دماها

فى سبيل الحرية الحمراء

يخجل المجد ان يرى الليث شلواً　　تحت انيـــاب حية رقطاء
اين ملك في ظـله ترقص النعمى　　وتشدو شبابه العليـــاء
اين لمع المنى وحمحمة الخيـل ؟　　ووهج القنى وخفق اللواء
اليـامين ياغـــرام اليـامين　　يخوضون لجة من شقاء
القيود الثقـال عضت عليهم　　وجري سمهـا على الاحناء
ولئام الطغـاة تجتر كالذؤ　　بان قلب المروءة الغراء
كم اهانوا دمع المسيح على الأثم　　وهزوا مضاجع الانبيـاء
ان هذى الربوع بعد بهاهـا　　صـيروها مقابر الشهداء
منجل البغي راعف الحد يلوي　　بنفوس اعــزة ابريـاء
انفت ذلة الحيـــاه فهبت　　وبهـا شبه جنة دوجاء
تتمشي على اللظى والمنايـا　　وارمات بطونهـا بالدماء
كم جريح يكب على الارض ميتاً　　وفي ثغره ابتسـام الرضاء
لم تمت امـة اهانت دماهـا　　في سبيـل الحرية الحمراء

عمر ابو ريشه

الفصل الثالث

الشباب الوطني : فكرته . قانونه . تعاليمه



المفتش العام لفرق القمصان الحديدية السيد فخري البارودي

فكرة الشباب الوطني : بقلم الدكتور منير العجلاني

اللون الاحمر للبلاشفة ، والاسود للفاشيست ، والاسمر للنازي . . فماذا يكون لون قمصاننا ؟ فكرت طويلاً ، ثم قلت : اللون الحديدي !

أليس في هذه اللفظة كثير من الاغراء ؟ أليس الحديد هو المطرقة التي يحملها العامل في المصنع ؟ أليس الحديد هو السلاح الذي يحمله الثائر في معركة الحرية ؟ أليس الحديد رمز القوة والجد والجهد ، وفي الجملة ، رمز الشباب . . . لانك تستطيع ان تصنع منه كل شيء ، اذا ملكت عاطفته ، ورفعت حرارته ، والهبت حماسته ؟ — ليكن الحديدلوننا !

دعونا الشباب الى التنظيم فانضوى تحت رايات « القمصان الحديدية » عدد كبير من فتيان العرب ، وخرجوا في شوارع دمشق بموكب عظيم ، كله روعة ، وكله هيبة ، فتحدث الناس عنهم وا كبروا نظامهم ، ولم تمض ايام طويلة ، حتى تأسست فرق ترتدي « القمصان الحديدية » في كثير من مدائن سورية وقراها ، ولكنهالم تكن كلها مرتبطةمعنا ، ومؤدبةبادبنا ، ومؤمنةبفكرتنا ، وانما اكتسحتها الموجة ، فاتحدنا في لون الملابس والمظهر الكشفي — او العسكري الى حد ما — ولكننا لم نتحد في البرامج ولا في الاساليب ولا في الغايات . على ان الذين يلبسون « القمصان الحديدية » هنا وهناك سيتساءلون ذات يوم عن اصحاب الفكرة الاولى في التنظيم ، ومتى اخذهم العطش الى فهم الحقيقة فسوف يعتقدون مبادئنا ويقسمون قسمنا ويمضون في طريق الجهاد معنا ، فنؤلف صفا واحداً من الشباب المؤمنين ، لااختلاف فيقيادته ، ولا وهن في وحدته ، ولاتراخي فيمشيته ، ونقصي عن يميننا وعن يسارنا اولئك الذين يغرقون في الكيد لنا ، او التوددالكاذب الينا . . ونترك وراءنا ، كأ كبر دليل على جهادنا — هيا كل الشخصيات المجرمةالتي كشفناها،وانقاض الافكار الرجعية التي هدمناها ، ونحمل معنا دائماً : هذا المثل ، الذي ينير الظلمة ، ويجلو الغمة ،ويتقلب اليه كل اولئك القوم الجالسين في احشاء الليل ، ينتظروننا!

قانون الشباب الوطني

قوميون . سياسيون . تهذيبيون . كفاحيون . تعاونيون

المادة الاولى—« الشباب الوطني »هيئة قومية عربيـة ، غايتها تحرير سورية الطبيعية وتوحيدها ، والعمل في سبيل تقارب البلاد العربية واتحادها .

المادة ٢ —« الشباب الوطني « هيئة سياسيةتدرس الاوضاعوالاحوالالسياسية وتحدد موقفها منهـا وتشترك في بحث الحركات السيـاسية وتوجهها شطر تحقيق المقاصد الوطنية .

المادة ٣— « الشباب الوطني » هيئة تهذيبية ، تعمل على نشر مبادىء الاخلاق الانسانية والوطنية ، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

المادة ٤ — « الشباب الوطني » هيئة كفاحية ، تقوم على اساس الطاعةوالنظام والتضحية وتدرب الشبيبة على اساليب مستمدة من التعاليم الرياضية والعسكرية .

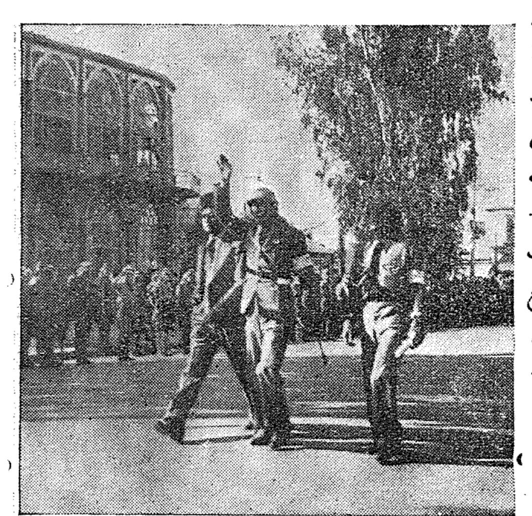
المادة ٥ — « الشباب الوطني » هيئة تعاونية تقوي روح الاخوة بين اعضائها وتنشط مواهبهم وتشد ازرهم .

الشعار ، الملابس ، القسم ، التحية

المادة ٦ — شعار « الشباب الوطني » مشعل ملتهب يحمله ساعد مفتول يقبض عليه بشدة ، اشارة الي رسالة الشباب الوطني ، وهي الحرية ، والحق ، والقوه .

المادة ٧ — لباس « الشباب الوطني » الرسمي : قميص وبنطلون من اللون الحديدي ، اي الرمادي الذي يضرب الى السواد .

المادة ٨ — قسم « الشباب الوطني » هو : « اقسم بالله ان اخدم بلادي بشرف واخلاص وتضحية . » اقسم بالله ان انفذ قانون « الشباب الوطني . » اقسم بالله ان



اطيع دون تردد اوامر اللجنة العليا واتقيد بمقررات المجلس السياسي الاعلى .

المادة ٩ — تحية « الشباب الوطني » رفع الذراع الايمن الى الاعلى مع بسط الكف .

☆☆☆

المفتش العام يستعرض فرق الشباب بالبسة الحديدية وترى الشعار على لتهه الايسر

الفرق الحديدية ، المركز

المادة ١٠ — يؤلف « الشباب الوطني » فرقا باسم فرق القمصان الحديدية ويمكن ان يطلق عليها اختصارا اسم الفرق الحديدية او القمصان الحديدية ويرمز لها بحرفي « ف . ح . »

المادة ١١ — دمشق مركز « الشباب الوطني »

طلبات الانتماء

المادة ١٢ — يرفع طالب الانتماء الى « الشباب الوطني » على ورقة يذكر فيها

اسمه ولقبه وعمره والمدينة التي يقيم فيها وصنعته وشهاداته اذا كان يحمل شهادات ـ ويتعهد باحترام قانون « الشباب الوطني » ويضع نفسه تحت تصرف اللجنة العليا لتعهد اليه بالمهمات التي تراه صالحا للقيام بها ويرسل هذا الطلب الى امين السر العام في المركز — وفي الفروع ، بواسطة امناء سر اللجان الادارية

المادة ١٣ — في حالة قبول الانتماء يدعى طالب الانتماء الى حلف اليمين ويدفع الرسم ويسجل .

اللجنة العليا

المادة ١٤ — تتألف اللجنة العليا من خمسة اعضاء ينتخبهم المجلس الكبير (الذي يتألف من جميع الاعضاء المنتسبين الى الشباب الوطني الحائزين على شهادات عليا) ويتم الانتخاب على ورقة واحدة وبطريق الاقتراع السري وتطلب الاكثرية المطلقة في الدورة الاولى ويكتفي بالاكثرية النسبية في الدورة الثانية . وبعد الانتهاء من انتخاب اللجنة العليا يدعى المجلس الكبير حالا الى اختيار احد اعضائها ليكون امين سر عام « للشباب الوطني » وآخر ليكون مراقبا عاما .

المادة ١٥ — تنتخب اللجنة العليا لمدة سنة واذا استقال احد اعضائها او فصل عنها لسبب ما يدعى المجلس الكبير الى انتخاب عضو جديد بدلا منه ومن وقت الاستقالة او الفصل الى ان يتم تعيين



الدكتور محمد السراج
عضو اللجنة العليا للشباب الوطني

العضو الجديد تختار اللجنة العليا احداعضاء المجلس الخاص بصفة عضو موقت فيها.

المادة ١٦ — تسهر اللجنة العليا على تطبيق نظام ومبادىء « الشباب الوطني » وتنفذ مقررات المجلس السياسي الاعلى والمجلس الخاص بدمشق والمجلس الكبير والمجلس العام بدمشق والمؤتمر الخاص بدمشق ، وتقبل الشكايات وتراقب سيرة الاعضاء وتفصل بصورة دائمة او موقتة من يرتكب عملا مخلا بسمعة «الشباب الوطني» او مخالفا لمبادئه وانظمته وقراراته وتؤلف اللجان الفرعية وتحدد صلاحياتها وتنفذ او تعدل او ترفض مقترحاتها وباسمها تصدر جميع القرارات العامة. ولها الحق ان تنتدب لبعض مهماتها لجنة اوشخصا ضمن حدود معينة. ويبقى الاعضاء المنتمون الى الشباب بصورة فردية — لانهم يقيمون في بلدان او قرى بعيدة عن مراكز الشباب الوطني — تحت اشرافها ، وتغذيتها ، ولها ان تربطهم بفرع ما .

المادة ١٧ — تتخذ اللجنة العليا مقرراتها باكثرية الاعضاء الحاضرين ولكن لاحد الاعضاء يؤيده امين السر او المراقب ان يطالب عرض الموضوع المناقش فيه على المجلس الخاص قبل ان يقرر او يرفض من قبل اللجنة العليا . وحينئذ تضطر اللجنة العليا الى انتظار رأي المجلس الخاص الذي يدعى الى الاجتماع بصورة استثنائية او في وقت اجتماعه العادي اذا كان قريبا فاما ان يرفض المشروع فيهمل واما ان يقبله فتقرره اللجنة العليا . ولكن اذا اتفقت اللجنة العليا بالاجماع على مخالفة اجتهاد المجلس الخاص فحينئذ يطرح قرار المجلس الخاص على المجلس العام بدمشق فاذا قبله وجب تنفيذه حتما والا فيهمل .

المادة ١٨ — يستطيع احد اعضاء اللجنة العليا او الاعضاء جميعا ان يطلبوا من المجلس الخاص او المجلس العام الموافقة على اقتراح ما واذا لم يحصلوا على هذه الموافقة فيجوز لهم ان يستقيلوا من مراكزهم .

المادة ١٩ — تجتمع اللجنة العليا مرة واحدة في الاسبوع ويجوز لامين السر

ان يدعوهم الى اجتماعات استثنائية ومن يتخلف عن حضور الاجتماعات ثلاث مرات متوالية ، او اربع مرات خلال شهر واحد دون عذر يعد مستقيلا ويدعى المجلس الكبير الى انتخاب بدل منه .

المادة ٢٠ — لايجوز لاعضاء اللجنة العليا ان يقبلوا وظائف او مهمات في الحكومة الا بعد استشارة اللجنة العليا واخذ موافقتها وفي حالة المخالفة يعتبر العضو المخالف مستقيلا عن اللجنة العليا ويعرض امر النظر في فصله كعضو من المجلس العام او عدم فصله على المجلس الخاص .

اللجان الخاصة

المادة ٢١ — تؤلف اللجنة العليا لجانا مركزية ضمن حدود ترسمها لها وهي صاحبة الحق في تعيين رؤسائها وامناء سرها وتعيين عدد اعضائها ، على ان يترك امر اختيار هؤلاء الاعضاء الى المجلس الخاص من ضمن قائمة تعدها له اللجنة العليا وتحتوي على ضعفي عدد الاعضاء المطلوب انتخابهم على الاقل . ومن بين هذه اللجان لجنة الدعاية ولجنة القيادة ولجنة الماليه ولجنة التنظيم الخ ..

امين السر ، المراقب

المادة ٢٢ — امين السر العام او من ينتدبه يحفظ وثائق « الشباب الوطني » ويمثله امام الخارج ، ويقوم بمخابراته ، ويسجل وقائع جلساته ، ويعين الرئيس المكلف بادارة الجلسات ، ويدعو الى اجتماعات « الشباب الوطني » ويعين برنامجها وينظم المحاضرات والخطب التي تلقى فيها ، ويوقع على دعوات « الشباب الوطني » كلها .

المادة ٢٣ — المراقب العام او من ينتدبه يتصل باللجان الفرعية وله حق حضور جلساتها كعضو طبيعي فيها وتقديم تقارير شفهية او خطية الى اللجنة العليا عن مساعيها وسيرة اعضائها .

المادة ٢٤ — امين السر والمراقب يوقعان على جميع بيانات ومقررات اللجنة العليا ، ولهما الحق بان يدعوا الى اجتماعات شعبية ومواكب وفاقا لمنهاج يضعانه وينفذانه بواسطة اللجان المختصة ، على ان يبلغا اللجنة العليا ذلك في اقرب وقت ممكن . وهما يقبلان طلبات الانتماء وعند اختلافهما يحال الطلب الى اللجنة العليا لتفصل فيه . ولهما ان ينتدبا عنهما غيرهما في هذه المهمات ضمن حدود معينة .

الخازن

المادة ٢٥ — تختار اللجنة العليا احد اعضاء المجلس العام ليكون خازناً « للشباب الوطني » وهو مكلف بان ينفذ اوامر الصرف الصادرة اليه من اللجنة العليا ولو استنفذت كل ما يحفظه من مال « الشباب الوطني » وتستطيع اللجنة العليا في كل وقت بان تقيله وتعين بدلا منه احد اعضاء المجلس العام بشرط ان تحصل على موافقة المجلس الخاص على هذا التعيين في اول جلسة يعقدها واذا لم يوافق على التعيين فان المجلس العام يدعى الى انتخاب امين للصندوق



السيد حسني الزين
خازن الشباب الوطني

المادة ٢٦ — الخازن ينفذ اوامر الصرف الصادرة اليه من امين السر تنفيذا للصلاحيات الممنوحة له مرفقة بلائحة عن النفقات التي انفقها او يجب ان ينفقها بشرط ان لاتتجاوز ثلاثين ليرة سورية في الشهر الواحد الا بعد تجديد الاعتماد من

اللجنة العليا ، واوامر الصرف الصادرة من امين السر والمراقب مجتمعين تنفيذا للصلاحيات الممنوحة لهما ، مرفقة بلائحة عن النفقات التي انفقاها او يجب ان ينفقاها بشرط ان لاتتجاوز ستين ليرة سورية في الشهر الواحد الا بعد تجديد الاعتماد من اللجنة العليا .

المجلس الخاص

المادة ٢٧ — يتألف المجلس بدمشق من خمسة وعشرين عضوا من الاعضاء المقيمين بدمشق ينتخبهم المجلس العام لمدة سنة واحدة واعضاء اللجنة العليا اعضاء طبيعيون فيه

المادة ٢٨ — يجتمع المجلس الخاص في الشهر مرة على الاقل وفي الاوقات الاستثنائية التي تقررها اللجنة العليا . وهو يتذاكر في الامور العامة والحزبية ويقدم مقترحات الى اللجنة العليا ويدرس المواضيع التي تعرضها عليه ويستمع الى تقريراتها الموجزة عن مساعي « الشباب الوطني » بوجه الاجمال . وتعرض عليه اللجنة العليا اسماء الاعضاء الذين يراد فصلهم لسوء سيرتهم او اهمالهم وله الحق في قبول الفصل او رفضه وتعرض عليه كذلك اسماء الاعضاء الذين ترى ضمهم الى المجلس العام وله الحق في قبول هذا الضم او رفضه . وينظر كذلك في المواضيع التي جاء ذكرها في المادتين ٢٠ و ٢٣

المجلس العام

المادة ٢٩ — يتألف المجلس العام بدمشق من الاعضاء المقيمين بدمشق الحائزين على شهادات عليا ويجوز للجنة العليا ان تضم اليهم بعد موافقة المجلس الخاص عدداً من اعضاء المؤتمر الخاص بشرط ان لايتجاوز الخمسة خلال كل شهر .

المادة ٣٠ — يجتمع المجلس العام في الشهرين مرة واحدة على الاقل وفي الاوقات الاستثنائية التي تقررها اللجنة العليا ، وهو يتذاكر في الامور العامة والحزبية ويستمع الى تقارير اللجنة العليا عن مساعيها بصورة مجملة ويقدم المقترحات ويقرر بناء على اقتراح المجلس الخاص اضافة بعض اعضاء المؤتمر العام الى المؤتمر الخاص .

المؤتمر الخاص

المادة ٣١ — يتألف المؤتمر الخاص بدمشق من جميع الاعضاء الحائزين على شهادات ثانوية ومن ينضم اليهم وفقا للمادة السابقة ويجتمع كل ستة اشهر مرة واحدة على الاقل للبحث في المواضيع التي تطرحها عليه اللجنة العليا .

« الفروع »

المادة ٣٢ — تتألف فروع « للشباب الوطني » في المدن والبلدان السورية على ان تكون خاضعة لدستور « الشباب الوطني » وقرارات المجلس السياسي الاعلى ، واللجنة العليا وحدها صاحبة حق الترخيص بانشاء الفرع

المادة ٣٣ — تقوم على رأس كل فرع لجنة ادارية تتألف من ثلاثة اخماسه او سبعة اعضاء بحسب كثرة او قلة عدد المنتمين اليه ، ويمكن ان يقوم الى جانب اللجنة مجلس سياسي يمثل المجلس السياسي الاعلى ومجلس خاص ومجلس عام ومؤتمر خاص اذا كان عدد المنتمين الى الفرع كبيراً ويتم الاتفاق على ذلك بين اللجنة العليا واللجنة الادارية للفرع الناشئ

المادة ٣٤ — يقدم الفرع الى اللجنة العليا في آخر كل شهر تقريراً ملخصا عن اعماله والمقترحات التي يرى ان تدرسها اللجنة العليا لمصلحة « الشباب الوطني » .

المادة ٣٥ — يدفع الفرع الذي يزيد عدد المنتمين اليه على (خمسمائة) عضو عشر وارادته الى المركز (دمشق) كاشتراك في النفقات العامة واذا كان عدد اعضائه دون الخمسمائة فيجب ان يدفع الى المركز خمس وارداته .

المادة ٣٦ — ينتدب المركز وكل فرع عددا من الاعضاء بنسبة واحد عن كل مائة عضو ليمثلوه في « المؤتمر الوطني » لذي يعقد في السنة مرة واحـدة في وقت ومكان تعينها اللجنة العليا للبحث في الامور التي تحددها ايضا . ويمكن ان يدعى لمؤتمرات استثنائية . ويعتبر في تعيين عدد اعضاء الفرع مجموع الاعضاء الذين سجلوا في المركز ، على ان يكونوا غير اميين .

تعديل القانون - الانظمة

المادة ٣٧ — لا يمكن تعديل الاحدى عشرة مادة الاولى من هذا القانون الا باتفاق تسعين بالمئة من مجموع اعضاء المجلس الكبير ولا يمكن تعديل بقيه مواد القانون با كثرية ستين بالمئة من المجلس الكبير ، بشرط ان يبلغ اقتراح التعديل والمادة او المواد المقترح تعديلها الى اعضاء المجلس الكبير قبل شهر على الاقل من موعد الاجتماع الذي سيطرح فيه التعديل على بساط البحث ويمكن ان يتناول التعديـل تسميـة الشباب الوطني والفرق الحديدية

المادة ٣٨ — اقتراح التعديل يجب ان يصدر عن اللجنة العليا او عن احد الفروع ويجب ان يبسط في اجتماع المجلس الكبير الاسباب الداعية اليه

مواد متفرقة

المادة ٣٩ — تضع اللجنة العليا انظمة لتأمين تنفيذ دستور (الشباب الوطني) كنظام الفروع ، ونظام القيادة والتدريب ، ونظام ادارة الجلسات ، ونظام العقوبات ونظام المراسيم ، وتحديد اوقات اجتماعات الهيئات المذكورة في الدستور الخ ..

ويكون لهذه الانظمة قوة القانون الاساسي الى ان تعدل ويكتفى في تعديلها باكثرية المجلس الكبير النسبية .

المادة ٤٠ — يسمح للجان الفرعية والخاصة بان تضع انظمةلسير اعمالها بشرط ان لايخالف القانون والانظمة المشار اليها في المادة السابقة ، ويجب ان تعرض على اللجنة العليا في المركز او على من تنتدبهم في الفروع للموافقة عليها .

المادة ٤٢ — للجنة العليا او لمن تنتدبه حق اعفاء بعض الاعضاء من ارتداء الملابس الرسمية لضرورات ماجئة في جميع الاوقات او بعضها ، ولها ان تعين نسيج والوان الملابس على ان تكون — ولاسيما القمصان — قريبة بقدر الامكان الى اللون الحديدي الذي يتفق عليه اي من النموذج الاصلي ، وتبذل الجهود حتى تكون الوان المنسوجات مماثلة له او قريبة منه بالقدر المستطاع

« بدلات الاشتراك »

المادة ٤٣ — رسم الانتساب الى الهيئة العامة (للشباب الوطني) عشرة قروش سورية ، والى المؤتمر الخاص ربع ليرة سورية ، والى المجلس العام واللجان الخاصة نصف ليرة سورية والى المجالس السياسيه والمجلس الخاص ليرتان سوريتان ويدفع المنتمي الى (الشباب الوطني) بدلا شهريا : عشرة قروش سورية في الهيئة العامة وربع ليرة سورية في المجلس الخاص واللجنة العليا . ويجوز للجنةالعليا في المراكز واللجان الادارية في الفروع ان تعفو او تخفف هذه الرسوم عن الاشخاص الذين يثبت عجزهم وذلك بقرارات شخصية تتخذها

مادتان موقتتان

المادة ٤٤ — تألفت اللجنة العليا الاولى (للشباب الوطني)من السادةالدكتور منير العجلاني امين سر عام ، الدكتور سيف الدين المامون مراقبا عاما ، والمهندس

عبد الوهاب المالكي والدكتور محمد السراج ، والدكتور احمد السمان اعضاء

المادة ٤٥ — تعين اللجنة العليا في اقرب وقت مستطاع مواعيد اجتماعات المجالس والمؤتمرات الواردة في هذا الدستور وتضع نظاما ، للمجلس السياسي الاعلى وصلاحياته ، واوقات اجتماعه ، ومدته ومقرراته ،على ان تنفذ هذه المقررات بواسطة اللجنة العليا — التي تقوم في نفس الوقت بدور الوسيط بين المجلس السياسي الاعلى والمجالس السياسية .

مهرجان الشباب الوطني الاول

ان اليوم التاريخي العظيم هو يوم ٢١ ايار سنة ٩٣٦ ذلك اليوم الذي اجتمع فيه الف شاب من شباب القمصان الحديدية ... ذلك اليوم الذي نعده هو الغرس الذي اثمر لنا عشرة الاف شاب ينضوون تحت هذا اللواء يقدمون انفسهم ضحية



السيد فخري البارودي يلقي خطابه رافعا يده الى العلاء وخلفه القائد العام ومرافقه ونائبه السيد احمد غصوب والسيد فوزي تللو سكرتير مكتب الشباب الوطني

لهذا الوطن المقدس الذي يفدونه بارواحهم والفضل كل الفضل في ذلك يرجع الى الشاب المخلص الذي اول من خطرت له هذه الفكرة الطيبة الدكتور منير العجلاني ففي ذلك الاجتماع الذي عقد في دار آل مردم بك افتتح الاجتماع الدكتور احمد السمان احد اعضاء اللجنة العليا للشباب الوطني وقال: بسم الله بسم الوطن ثم طلب الى المجتمعين ان يقفوا دقيقة واحدة تحية لأرواح الشهداء الابرار فوقفوا خاشعين بقلوبهم مرفوعة ايديهم الى العلاء يشهدون شهداءهم على التضحية والاخلاص

تحية العلم السوري

ثم طلب الدكتور السمان القيام بواجب التحية عند مايصدر الايعاز من القائد العام السيد نزهة المملوك فوقف القائد العام واصدر امره بتحية العلم فلبى الجميع الامر وادوا التحيه فعزفت الابواق تحية للعلم السوري المحبوب ...



المفتش العام يخطب والى جانبه القائد العام السيد نزهة المملوك

خطاب السيد لطفي الحفار

واجب الشباب

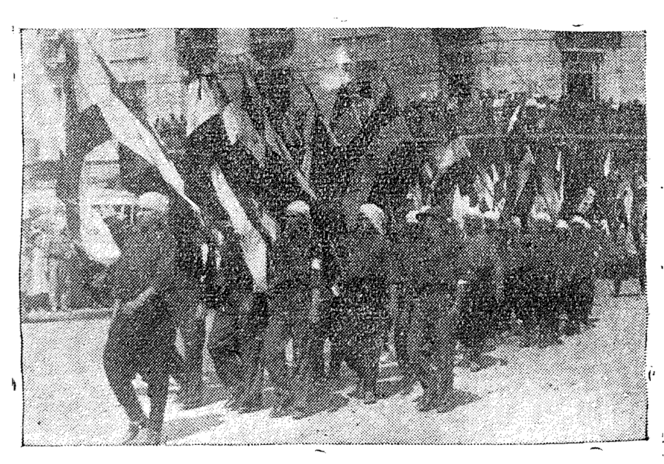


نحن الآن في حفلة الشباب هذه الزهرات التي تتفتح عن اكمامها بمختلف الاشكال والالوان فهل يكفي ان نبتهج بكم ونسر برؤياكم ونصفق لكم ونناديكم يارجال المستقبل وعماد الغد ...

لاهذا لايكفي ابداً .. بل لابد ونحن في موقفنا هذا من ان نبحث معكم في معاني الشباب وواجب الشباب ويجدر بكم ايها الابناء الاعزاء ان تصغوا لامثالنا نحن الذين خطونا عقد هذا الشباب ووقفنا على ابواب الكهولة تسير بنا نحو الشيخوخة سراعاً اعترف بهذا بالرغم عن اصرار اخي ورفيقي منذ نعومة اظفاري السيد فخري البارودي في دعوى الشباب وزعامة الشباب وفراري انا من هذه الدعوى لاني لااستطيع اثباتها كما يستطيع هو ، ولا ازيد !.. نعم انه لجدير بكم ان تصغوا لامثالنا لاننا كنا فتياناوشبابا امثالكم كنانشعر بواجبنا ونعمل في سبيل امتنا وبلادنا رغم ان الظروف لم تكن تساعدنا لقد كنا نشتغل بالخفاء خوفا من بطش الجواسيس والرقباء وكان عهد عبد الحميدوما ادراكم ماوراء ذلك من التهديد والوعيد وقد المت بشيء من تاريخ الجمعيات السريه وقتئذ وعملها في سبيل الدعوة القومية والوطنية في خطبة يوم الشهداء وما عهدها ببعيد وليس هذا ما اقصده الان بل الذي اريده هو ان اقرأ امامكم حقيقة جديرة بكم يجب ان تنتبهوا اليها جداوهي ان الحوادث والوقائع دلتنا دلالة قاطعة على انه لاثقة بمن لا ماضي لهم . ولا اعتماد على الذين لايدينون بالمبادئ الوطنية والعقائد القومية منذ نعومة اظفارهم ولا اطمئنان الا الى الذين شبوا وهم يدينون بها ونهضوا

وهم يتدارسون معانيها ولا تغرنكم صيحات الأدعياء فهي لاتلبث ان تتلاشى مع الهباء والهواء فاذا اردتم ان تكونوا رجالا للمستقبل وعمالا لهذا الوطن فاحرصوا على جامعتكم هذه واخلصوا في عملكم هذا واقتدوا بمن سبقكم في الحرص على خدمة امتكم وبلادكم مهما لاقيتم من العقبات والمثبطات وبذلتم في سبيل ذلك من الجهود والتضحيات فالوطن لايبني الا بالتضحية والايمان والامه لاتتكون الا من ابنائها العاملين الامناء .

وقديما قالوا « وكل قرين بالمقارن يقتدي » فاذا لم تعاونوا العاملين المخلصين واذا لم تقتدوا بالشهداء الصالحين واذا لم تعشقوا بلادكم ووطنكم ولم تهيموا بحب لغتكم وامتكم واذا لم تعجبوا بماضيكم وتاريخكم وتتفهموا ما حوى من المفاخر والمآثر واذا لم تثملوا بنشوة الغضب والكرامه لماضيكم وآتيكم فان تكونوا رجالا



فرقة حرستا البصل والى جانبها قائدها السيد علي الطباع

صالحين .اعباء المستقبل امامكم كثيرة وواجبات الوطن تناديكم لان تتجردوا عن شهوات الهوى والشباب وتتحلوا بالاخلاق القومية الفاضلة وتعشقوا بلادكم لتستطيعوا ان تقوموا بواجبكم نحوها فالمستقبل ايها الابناء للذين يتقدموا لساحات العمل بالجد والثبات والاستقامه المجردة والاخلاص والحوادث تظهر العاملين في مختلف الادوار فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض .

هذا واجبكم ايهاالنافعين والناشئين هذا طريقكم ايها الشباب فالاخلاق الفاضلة قبل العلم والتعليم على انه لا بد لكم من قسط العلم مهما بلغ شأنه وسما مكانه اذا لم يقترن بالاخلاق الفاضلة فضرره اكثر من نفعه على صاحبه قبل كل انسان والشواهد على صحة هذا كثيرة جدا ، وسبيل الاخلاق القوميه وطابق المبادئ القومية هو ان يجتمعوا الى بعضكم بعضا وان تتآلفوا وتتدارسوا وتهتموا بنواديكم الرياضية وتقوية اجسامكم وان تكونوا مخلصين طائعين لاساتذتكم وقادتكم هذا هو واجبكم نحو اليقين انكم تعلمون واجبكم هذا وانكم لم تجتمعوا في صعيد واحد وعلى فكرة واحدة وضمن اطار واحد الا في سبيل هذا الواجب .

ولقد كان من اقصى امانينا نحن رجال الكتلة الوطنية ان نرى امامنا شبابا وطنيا مثقفا يشق لنفسه طريق العمل ويبني لمستقبل امته وبلاده صروح الامل وما زلنا نشجع الذين نتوسم فيهم الخير والبركة ونستنهض همم الذين نرى فيهم المضاء والعزيمة حتى حقق الله امنيتنا هذه باخواننا اعضاء اللجنة العليا للشباب الوطني فايدتهم الكتله الوطنية في عملهم هذا ووثقت بهم والقت اليهم بحمل هذا العبأ الذي يقومون به خير القيام فهم منا وانتم منا ونحن منهم والامة كلها مجتمعة بقواها المادية والمعنوية تعمل في سبيل مبادىء الكتلة الوطنية وتحقيق ميثاقها الوطني العام وهي لاتعترف بميثاقها هذا الا على توحيد جميع قوى الامة وتوجيه جهودها لتحقيق الآمال القومية ولذلك فان الكتلة الوطنية تعتبر تأليف الاحزاب السياسية في هذه

الآونة مخالفا لوحدة الجمهور وهي تعتبر الامة جمعاء بكل مالديهـا من قوة معنوية ومادية وقفا على هذا الجهاد الوطني حتى تبلغ الامة اهدافها . بقي علي ايهـا الاخوان الاعزاء ان اشرح امامكم مافهم من معاني الشباب وقد تسائلت في ابتداء كلامي عنه وقلت ماهو الشباب ؟ انا لاافهم من معانى الشباب الا العزيمة والقوة والمضاء والفضيلة والوفاء.

ولا اتخيل الشاب الا عاملا مجداً لايني ولا يمل يقبل التضحية ولا يفر من المعركة يغامر ويناضل ويهادن ويقاتل ويسير طبق مشيئة قادته وحاجة امته .

فمن صحت عزيمته . وقويت شكيمته فهو الشاب كل الشـاب وان كان يدب في سني الكهولة والشيخوخة ابيا ، ومن وهنت قوته وهانت عليه كرامته ولم يخفق قلبه من الملمات بل كان اسير الشهوات واللذات فهو الشيخ الهرم وان كان يزهو

القائد العام السيد نزهة المملوك يخطب

في سني الفتوة والشباب زهوا ، وابلغ ماقرأت في هذا المعنى ماخطته يراعة البحاثة

الاستاذ السيد احمد امين صاحب كتابي ضحي الاسلام وفجر الاسلام يقول : ان علامات الشباب والشيخوخة في نظريتنا ليس موضعها النظر انما موضعها القلب فاليأس شيخ لان اليأس ضعف في الارادة وضيق في الخيال وبرودة في العاطفة . والشيب شيب القلب لاشيب الرأس فمن لم ينفعل لمواضع الانفعال ومن لم يعجب لمواضع الاعجاب ولم يتنازل في مواضع الكفاح ولم يطرب للموسيقى الجميلة والمناظر الجميلة ولم يتهيج للاحداث ولم يأمل ولم يطمح فهو شيخ اي شيخ . شاب قلبه وان كان اسود الرأس حالكه ان اردت ان تعرف اشيخ انت ام شاب فاسأل قلبك لا رأسك . هل ينهض بالحب حب الجمال وحب الطبيعة وحب الفضيلة وحب الانسانية وحب الوطن وهل ينفعل لذلك فيهم ويغار ويدافع ويضحي ؟ هل يبادل من حوله حبا بحب وعاطفة بعاطفة وخيرا بخير واحياناً شراً بشر وهل يترك العالم خيرا مما تسلفه ؟

هذا هو المقياس الصحيح للشيخوخة والشباب ايها الاخوان واني ادعوكم الآن اخواني ولا ادعوكم ابنائي وفقا لهذا القياس ذلك لاننا نحن مثلكم الآن شئتم ام ابيتم لم تهن لنا عزيمة ولم تخمد لنا عاطفة نشعر شعور الشباب الناضر ونندفع اندفاع السحاب الماطر والشهاب الثاقب في سبيل غاياتنا الوطنية العليا وتحقيق اهدافنا القومية الكبرى نضيف الى قوة هذا الشعور تجاربنا الماضية وجهادنا المستمر على ان لانزال نشعر بالقصور والفتور ونعترف اننا لم نقم بواجبنا بعد وان دون هذا الواجب انفسنا وقوتنا حتى النفس الاخير ونردد قول الشاعر

ياعز هل لك في شيخ فتى ابداً وقد يكون شباب غير فتيان

وثقوا ياابنائي ويااخواني اننا نثق بالمستقبل ثقة لاحد لها لاننا نراكم امامنا تهيؤون نفوسكم الابية وتنشدون من عزائمكم القوية لخدمة امتكم وبلادكم سلاحكم الخلق الرضي والعلم الصحيح والمبدأ القويم فلا نتردد بان نضع على اعناقكم مسؤولية هذا المستقبل وان نجعلكم موضع العمل والامل .

وقف الفيلسوف الفرنسي رينان في جمع مثل هذا الجمع يقول ايها الشباب، انظروا الى ما حولكم ان كل ما ترونه رهن الزوال والاضمحلال الا ثلاثة امور: خير يعمل، وحقيقة تبحث، ووطن يحب ويعشق، وما اجدرني بدون هذا القول في موقفي بينكم وحسبي هذا و كفى.

خطاب المأمون

وقف الدكتور سيف الدين المأمون المراقب العام للشباب الوطني فقال :

ايها السادة ! مضى عهد كنا فيه نعيش بالهتافات والتحيات تتشقق منها الحناجر وجاء عهد نريد فيه ان نعد انفسنا منذ اليوم لعمل مجد مفيد .

نريد ان لا تكون التحية سهلة على السنتنا وان لا يكون هناك تقدير الا للعمل شريطه ان يستحق التقدير فلقد اكثرت الامة — وهي معذورة — من تحية كل خطيب واديب و كاتب ذلك لان الامة كانت في ليل بهيم من الاضطهاد وهي تود ان تصغي لاناشيد الحرية وان تدرك قسطها من هذه الحرية.

اما وانه آن لفجر الاستقلال ان ينبثق وان نعيش في بلادنا احرارا فيجب ان نقدر عمل المخلصين ودؤوب العاملين كما نقبح خيانة الخائنين ومروق المارقين .

وان احسن الخطب هو هذا الاجتماع الذي ضم مجاهدين ومناضلين ومفكرين ومخلصين ضم كهولا في اواخر ايام باتت تملأ قلوبهم وتتسرب الى نفوسهم من جهات مختلفة ونحن نريد ان نوحد فكرتهم القومية وآرائهم السياسية .

كما نريد منهم ان يفهموا فهما صحيحا علاقاتنا مع السلطة المنتدبة و كيف يجب ان نستغلها لمصلحة البلدين معا . اما من حيث برنامجنا السياسي فسنقابل كل حالة مقبلة بالشكل الذي تستدعيه . فاذا نجحت المفاوضة الحالية فتكون مهمتنا اذ ذاك

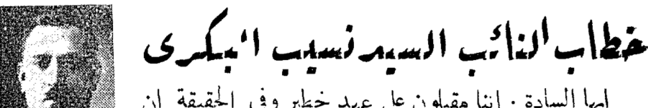
الاهتمام بتنفيذ بنود المعاهدة والعمل لاعداد البلاد الى المستقبل وسنحرص اذ ذاك على صداقة الشعب الافرنسي .

اما اذا فشلت المفاوضات —وهذا مايؤسف له كثيرا— فتكون مهمتنا اذ ذاك ان نعمل على حماية حقوق البلاد بحسب برنامج محدود يوضع بشكل ملائم للوضع المضطرب.

وفي كل الظروف والاحوال فاننا نؤيد دائما المبدأ الذي تتخذه الكتلة الوطنية التي تعمل على تحقيق مبادىء البلاد القومية الحقة .



مراقب الشباب الوطني الدكتور سيف الدين المأمون



خطاب النائب السيد نسيب البكري



ايها السادة : اننا مقبلون على عهد خطير وفي الحقيقة ان هذا العهد ينقسم الى دورين هما : دور الانتقال ودور الحرية الناصعة والاستقلال واني اشبه الدور الاول بسنواته مهما كان

عددها بدرجات معينة فاذا كانت نهاية هذا الدورعندما تأخذ سوريا مركزها بين الامم فانهاتتقدم كل سنةدرجةحسب سني عهد الانتقال التي نرجوان لاتزيد على عام واحد.

ثم صور وضع البلاد بمريض وصل الى دور النقاهة وان جمعية الامم جمعية اطباء فاذا وجدوا ان المريض ينتقل من دور الى دور نشيطا معافى فانه يملك صحته ويصل الى ماتصبو اليه نفسه واذا كان الامر على العكس اعيد والعياذ بالله الى المستشفى ولا يدري احد متى يغادره وان الكتلة الوطنية واخواننا الشباب الوطني بشعلهم الملتهب المضيء لينيرون السبيل ويرشدون النفوس لئلا يتمكن من بعضها الداء وتتمكن من الجناية على الوطن بسلبه كل مايناله من حقوق .

خطاب الدكتور منير العجلاني

عهود لا خطب



سادتي : ليست اجتماعاتنا خطباً ولكنها عهود فقد تذكرون ان المغفور له الملك فيصل لما اعلن الثورة العربية تنادى اليه عدد من فرسان قريش واجتمعوا حوله وقالوا له :

انهم يتقدمون اذا تقدم ويقاتلون اذا قاتل ويعاهدون اذا عاهد ويضعون وطنهم وتحرير هذا الوطن فوق اموالهم وفوق عائلاتهم وفوق انفسهم :

نحن كذلك اننا نتنادى الى هذا المشعل النير لنردد بين يديه قسمنا الرهيب : طاعة لامواربة فيها واخلاص لاحد له وجهاد عنيف حتى تدرك هـذه الامة ماتنشد من مثل سامية .

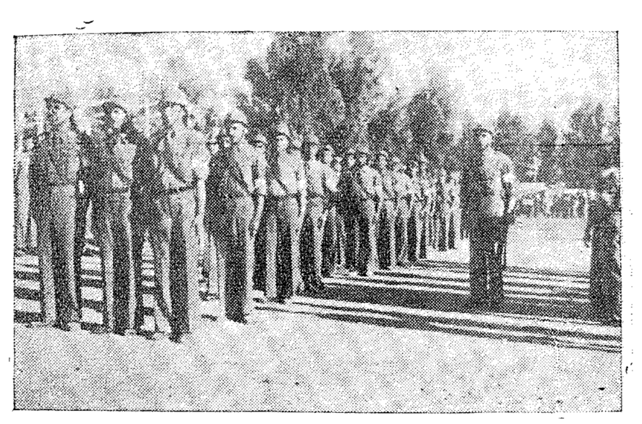
حرية ، اخوة ، مساواة !

لقد نسجت الجمهورية الافرنسية مثلها السامية او اذا شئتم شعارها من ثلاث

كلمات كألوان رايتها وهي ، الحرية ، والاخوة ، والمساواة

مثل حلوة مختارة يا اخوتي ولكنها كانت مثلنا منذ اكثر من الف عام !

الم يخرج من بلادنا التي وراء الصحراء سيد قريش محمد«ص»فيدعو الى الاخوة والمساواة والحرية باروع معانيها هذه المثل ، عريقة في تاريخنا فيا ايها الاجداد الراقدون في حمى الابدية اطمئنوا اننا نحمل اليوم شعلتكم ونرفع رايتكم ونبشر بمثلكم فنحن احرار متمردون على الظلم والجهل والخرافة اخوة في الوطن متضامنون متواصون بالخير ومتساوون في الحقوق والواجبات .



يرى السيد بديع حتاحت قائد فئة صقر قريش اثناء تمارينه في المرجة

ايمان وفكرة وعزيمة

سادتي ، لقد نهضنا ومشينا وتقدمنا كثيرا فلن ننكص على عقبينا ولن نقف .

اما اليأس فقد علمنا (سعد) ان ليس له معنى مع الحياة واما الامل فكل شيء في هذه الدنيا يدعونا اليه الم تكن امم كثيرة غارقة في الفوضى فجاء رجالات

مخلصون انقذوها منها ووحدوها ومضوا بها قدما الى الامام فلماذا نيأس نحن من امتنا هذه الامة الطيبة التي ما كدنا ندعو الى التنظيم حتى انضوى تحت راياته عدد عظيم من اخلص عناصر الشعب وافضله ثقافة ؟اننا لم نصل الى الغاية ولكننا سنصل ففي قلوبنا ايمان وفي رؤوسنا فكرة وفي سواعدنا عزيمة .

الشباب والحركة العامة

سادتي : يقول المستشرق (روبير مونتاغو) ان ابرز المشاهد التي شهدها في سوريا وحملته على كثير من الاعجاب اشتراك الشباب المثقف في الحياة العامة فانه يحمل الى الشعب افكارا جديدة قوية .

فياسادتي : اننا نقدم شهادة هذا الاجنبي اليكم ونسألكم هل نستحقها ؟

(اصوات : نعم ! نعم !)

اذا كنا نستحقها فاننا نعاهدكم على اننا سنمضي الى النهاية في تأدية الرسالة ولا نبتغي من ورائها مالا ولا منصبا ولا جاها ولكن خير هذا الوطن الذي نجد في خدمته لذة لايعادلها كل مافي الدنيا من لذة واغراء .

نحن والكتلة الوطنية

وبعد .. انني كنت اقلب ديوان شعر فوقعت على ثلاث قطع تمثل حالنا في ثلاثة مواقف : نحن والكتلة وخصومها .

اما نحن فاننا تعاونا مع الكتلة الوطنية ووثقنا بها ولا شيء يبيح لنا ان ننفض من حولها ولا اولئك الذين حاولوا ان يوجدوا تفرقة بينها وبيننا استطاعوا ان يحققوا بعض اغراضهم فكانتا وهي كما قال الشاعر :

ستقطع في الدنيا اذا ماقطعتني يمينك فانظر اي كف تبدل
احارب من حاربت من ذي عداوة (ولست اخون العهد فالعهد يسأل)

المعارضون لوجه المعارضة

اما المعارضون فبينهم الشريف وبينهم المغرض السخيف وهذه الطبقة الاخيرة من المعارضين كانت تبدو لنا اول الامر في غير صورتها الحقيقية فكنا نتساءل معها ولكننا لما وجدناها تنعت وتكفر بحقوق الوطن قابلناها بمثل عدائها وكنا معها كما قال الشاعر :

صفحنا عن بني ذهل وقلنا : القوم اخوان
عسى الايام يرجعن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر فامسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
... وفي الشر نجاة حين لاينجيك احسان

الوطنيون وخصومهم

اما خصوم الوطنيين الذين يقبعون في احدى الزوايا ويخترعون النقائص للوطنيين ويدعون انهم لا يملكون شيئا من الصفات حتى يكونوا زعماء وقادة فقولوا لهم :

« اقلوا عليهم — لا ابا لابيكم — من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا

فان اولئك الرجال الذين تنتقدونهم يملكون الشهرة من طرفيها لانهم :

(يسوسون احلاما بعيدا اناتها وان غضبوا جاء الحفيظة والجد)

فهم ابطال السلم وابطال الجهاد .. فانصروهم ما نصروا الوطن .

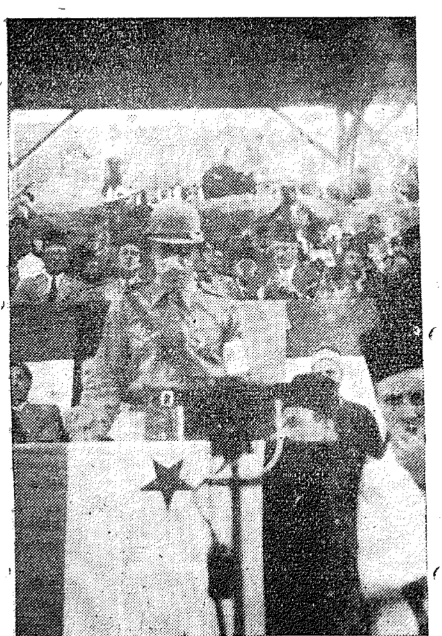
الوفد والفجر الجديد

ايها الناس ! اننا نعيش ساعات عجيبة كمن يجلس في احشاء الليل ينتظر الفجر فعد الينا يا وفدنا الامين واعطنا الميثاق . لو لم تكتبه هناك بالحبر لانتزعنا المداد من مهجنا .

منير العجلاني

كلمة الدكتور السمان عن الشباب الوطني

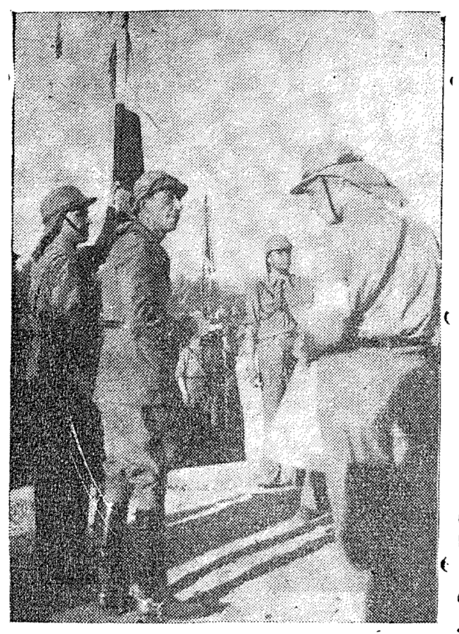
مانشأ «الشباب الوطني» ارتجالا ، ولم يكن ابن الساعه ، ولم ينظم ليكون ابن الساعة ولكن ليكون باني المستقبل وحارسه ولهذا قاوم التضخم منذ تأسسه وسيقاومه اذ خير له ان يبدأ صغيرا ثم يكبر من ان يبدأ كبير كالمصيبة وتدب في صفوفه عوامل الفساد فيصغر «الشباب الوطني» هيئة اخذت على نفسها بث افكارها في الحكومة وفي السياسة وفي الاقتصاد ، لتبعث في سورية وفي البلاد العربية نهضة قومية واسعة مبنية على مبادىء العلم وعلى حاجات العصر الحديث . اما غاياتها فمنها قومي يرمي الى تسيير النهضات في البلاد العربية في مجرى الفكرة العربية ،والعمل للوحدة لتكون مقدمة للوحدة العربية



الدكتور احمد السمان عضو اللجنة العليا للشباب الوطني يخطب

ومنها تهذيبي ، يشرب الشباب حب الاخلاق الفاضلة فتلقي عليهم محاضرات ودروس علمية،يقومون بتمرينات رياضية ويعتادون على النظام وعلى الطاعة بالتعليمات العسكرية

نحن نعلن ان سورية عربية بقدر عروبة اي جزء آخر من البلاد العربية ، ونحن من اخصام السياسة الاقليمية التي تصرخ كالبوم،هنا،وهناك سورية للسوريين ومصر للمصريين ، والعراق للعراقيين ، ولبنان للبنانيين ، نحن لا نؤمن بقومية سورية ، لان سورية منفصلة عن البلاد العربية دولة لا يمكن ان تحيا سياسيا واقتصاديا ، كانت النمسا قبل الحرب دولة عظيمة فقطعوا اوصالها بعد الحرب وجزأوها كما جزأوا الامبراطورية العثمانية وصارت النمسة بقعة صغيرة كالرأس فصل عن سائر اجزائه فاضطرت ان تلقي بنفسها بين احضان الدول لتستطيع ان تحيا وهذا حال سوريا المنفصلة عن اخوانها ستبقى رأسا لا جسد له يغذيه ويحمله فلا يستطيع الحياة«السيد فوزي تلو يتلقى اوامر القيادة العامة من المفتش العام»



«الشباب الوطني» وليد الحاجة الاجتماعية ، والنهضة الوطنية ، والازمتين الفكرية والاقتصادية

ثم ان فكرة القومية السورية خاطئة لحصرها القومية في دوائر العوامل الجغرافية والطبيعية . واذا كان لاينكر مالهذين العاملين من اثر في تكوين الخصائص بين سكان القرى المختلفة ؛ وبين سكان الجبل وسكان السهل ، بين سكان الساحل وسكان الداخل، فانها ليست كافية لتكون القومية

ولو اخذنا فكرة القومية السورية على علاتها ، وقبلنا ان نعد كل من سكن سوريا سوريا، يؤمن بسوريته، لكان الآشوريين والصهيونيين وكل شذاذ الافاق ومن لفظتهم الامم المجاورة حق معلوم في وطننا وفي مستقبلنا وفي قضيتنا مثلنا . فترون ان فكرة القومية السورية فكرة خاطئة نظريا وعمليا ولا سيما وهي تنكر القوى الروحية والقيم المعنوية، وهي كل شيء في القومية ستضع في قوميتنا العربية لبنان ،سنسوقه اليها بالحب والاقناع وسيكون موقفنا منه على حد قول الشاعر

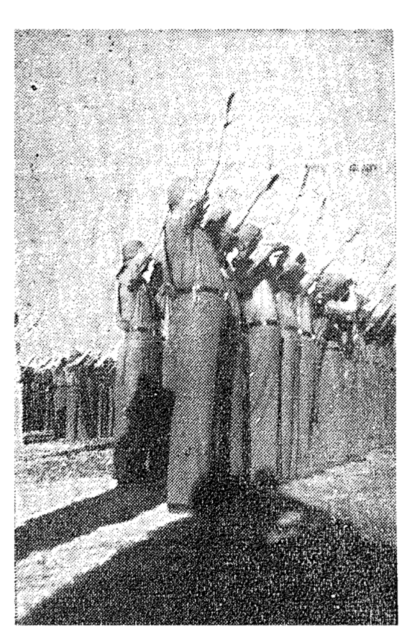
القائد العام يعطي اوامره الى وكيله السيد احمد غصوب

الاميركي الكبير «اودين مركهام» رسم المتعصب دائرة صغيرة وجعلني انا الكافر خارجها ولكني والحب عوني غلبناه ، فرسمنا دائرة كبيرة وجعلناه ضمنها!» ونحن ايها السادة سنتعاون جميعا في رسم الدائرة الكبرى دائرة الاخاء لن نستثني منها احدا ، بل سنبني بالقضاء على التعصب ، وسننسي في قوميتنا العربية تقسيماتنا الطائفية الصغرى، لتبقى صرح الطائفية الكبرى بالطائفية الوطنية وسنميت كل العصبيات الاقليمية والبلدية الاعصبية واحدة هي العصبية العربية .

اما غاياتنا التهذيبية فستتناول النفوس بفضائل الاخلاق ، وبروح الثورة على التقاليد البالية والافكار الرجعية وبجهاد النفس قبل جهاد الغير ، وبالثورة الروحية قبل الثورة الاجتماعية « فالمرء الذي يثور اولا على نفسه فيصلحها، انما هو المصلح الحقيقي ، المرء الذي يثور على ماورث ، مما كان فاسدا اوانسده الزمان فيصلحه اوينبذه هو الذي يحق له ان يثور على الحكومة الفاسدة لان من

المفتش العام السيد فخري البارودي يمرن الشباب

لايثور على مافي نفسه لاينجو من العبودية ولا يحق له ان يشكو العبودية !



فرق القمصان الحديدية في المرج الاحضر تحي القائد العام

هذا شيء من مبادىء «الشباب الوطني» التي سيسعى لتحقيقها بما لديه من ايمان واخلاص وثقة بالنفس واعتماد عليكم وهو لن ينسى مااقيم من عقبات ولكنه لايخشاها لانكم من ورائه سيرون نحو الغاية المثلى وستحوزون اللقمة من براثن الاستبداد لان :

لقمة الليث للذي يصرع الليث
ولاشيء للذليل الجبان

«الشباب الوطني» ملك لكم جميعا ؛ وعليكم انجاحه وهو امانة في اعناقكم ، كما هو امانة في اعناقنا فاخلصوا وآمنوا به ، تصلوا الى غاياتكم في الاستقلال والحرية والعاقبة للمتقين

«الدكتور احمد السمان»

الى الشباب الوطني

هل تذكرون فخاراً عز مغناه

ماللفؤاد اضاع الحزن سلواه ... اخانه الصبر في البلوى فاعياه
اهفوا اليه والامي معربدة ... كانها سكرت من خمر بلواه
والليل ان طال اعي من يكابده ... والحزن ان ثار ابكاه وادماه
يافتية العرب والايام شاهدة ... انا غضبنا على ظلم ابيناه
فلا المدافع تذوي من عزائمنا ... ولا القنابل تفني ما اردناه
ما ضرنا وسيوف العزم مرهفة ... ان نبلغ اليوم مجدا قد اضعناه
سلوا القبور ففيها من مآثركم ... مجد تطل على الاكوان عيناه
كانه وحراب اليأس تقاعه ... نفس تذوب ودمع ضل مجراه
يافتية العرب والآلام صاخبة ... هل تذكرون فخارا عز مغناه
اهوت عليه يدالطغيان فاندثرت ... تلك الصروح فكانت من ضحاياه
ايرتضي العار شعب كله شمم ... والحب والعدل كانا من مزاياه
وكيف يصبر والذكرى تؤرقه ... والجد رغم خفوت الصوت لباه
نادى فصفقت الجوزاء ثائرة ... وجلجل الرعد لما صاح رباه
رباه قد زلت الاقدام عاثرة ... فكيف يخذل شعب انت ترعاه
رحماك يارب كم ابكيت والدة ... على وحيد رصاص الظلم ارداه
قضى وبين حنايا صدره امل ... لم يلق ريب الاسى والموت لولاه
انظر .. نهذا فؤاد القوم مضطرب ... يشكو اليك نهل ترثي لشكواه
بني العروبة انا امة نهلت ... من منهل عانق الافلاك خداه
كم في زواياه تيجان لنا سطعت ... وكم تحطم تاج في زواياه
سيروا الى الامل المحبوب وانتزعوا ... ذاك التراث وقولوا ربنا الله

انور الجندي

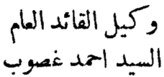
الفرق الحديدية في دمشق

الفرق الحديدية	القـــادة	المعـاونون	العدد
يوسف العظمة	الدكتور مدحة بيطار	السيد اكرم فرعون	١٢٥
عمر بن الخطاب	السيد عاصم النائلي	« نادر احمد	١٨٠
صقر قريش	« ياسين الحكيم	« بديع حتاحت	١٥٠
احمد مريود	« خالد خلف	عبدالقادر غندور ، زهير قباني	٢٢٠
صلاح الدين الايوبي	« فهمي الخفار	حسين هيتو ممدوح عمر باشا	٢٨٠



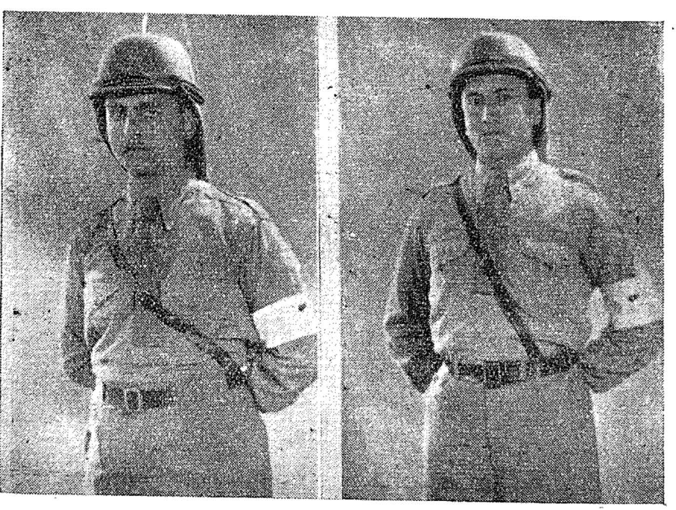
قائد فرقة يوسف العظمة
الدكتور مدحة البيطار





وكيل القائد العام
السيد احمد غصوب

الفرق الحديدية	القـــادة	المعـاونون	العدد
ابوعبيدة الجراح	السيدصبحي الدردري	السيدبشير قضماني	٢٣٠
علي بن ابي طالب	« شريف الوتار	« علي جعرش ، عمرجعرش	٧٠٠
المنذر	« توفيق شمس	« جورج قطيني	١٤٠
فيصل الاول	« فؤاد نوري		١٦٠
خالد بن الوليد	« مصطفى فخري الحواصلي	واصف مهايني توفيق كركتلي	٣٤٠
حرس الشاغور	« محمود خدام السروجي	السيد صلاح دلول	٣٢٠



السيدعاصم النائلي قائد فرقه عمر بن الخطاب . السيد فهمي الخفار قائدفرقة صلاح الدين

ويوجد فرق للغوطة : حمورية ، سقبا ، التل ، منين ، كفر بطنا ، حرستا ويبلغ عددهم (٣٠٠) يدربهم السيد علي الطباع . وهناك فرقة عرطوز ، جديدة معضمية «١٦٠» يقودها السيد مسلم الجلاد . وفرقة القنيطرة (١٤٠) وفرقة قطنا ٨٠

نواة الجيش الوطني العتيد

ارباب القمصان الحديدية

مارأيت وسني سني منظرا أثر في نفسي وابكاني بكاء الغبطة والفرح كمنظر هذه الفتية النادرة ، المقتطعة من افلاذ اكباد دمشق ،المسماة بفرق القمصان الحديدية عندما كانت منصرفة من حفلة المرجة يسودها النظام ويحفها الجلال والوقار ، تحمل بايديها البنود السورية الخفاقة ، والمصابيح المضيئة ؛تنشد اناشيد الحرية والاستقلال، تطوف شوارع المدينة واسواقها بين زغردة النسوة وتصفيق الرجال المتفرجين..





السيد احمد خلف قائد فرقة احمد مريود . مصطفى فخري الحواصلي قائد فرقة خالد بن الوليد

ان حفزة هذه الكتائب الصغيرة بحجمها الكبيرة بعملهاباتت ليائذ مبعث سرور الدمشقيين ومحط آمالهم ورجاءهم ..

ان كل فرد من افرادها يحمل بين جنبيه قلبا وثابا ونفسا طموحة يجري في عروقه دم مضطرم ، وحب وطن عزيز غالي ..

ان هذا التنظيم الذي شوهد في هذه الفئة امس على سرعته وحداثة عهده ينم على مقدرة فائقة وذكاء حاد ...

وان دل هذا التنظيم على شيء فانما يدل على مقدرة السوريين لايجاد الشيء من العدم وينم على قابليتهم الفائقة في ايجاد كيان لانفسهم ..

اولئك هم الشباب السوريون اصحاب الهمم الشماء والمجد الاثيل والعز والسؤدد...



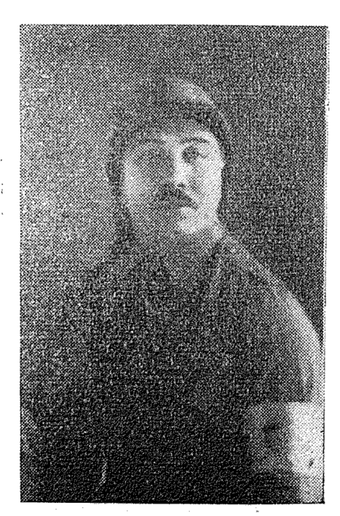
السيد توفيق شمس قائدفرقة المنذر. السيد صبحي الدردري قائدفرقة ابو عبيدة الجراح

اولئك هم الفتية الغطارفة وارثو مجد امية وعزها وحضارتها ..

تلك هي امية نبراس الحضارة الشرقية وحاملة لوائها الى الغرب عن طريق الاندلس،

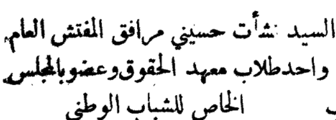
فاذا مارأينا هؤلاء الاحفاد احفادها يهبون اليوم بعد هدأتهم وفترتهم لاعادة امجادها واحياء ذكرها ونشر مدنيتها من مرقدها ،، فلا ملامة علينا والحالة هذه اذا نحن بكينا بكاء الفرح والغبطة ، واذا جننا من فرحنا وسرورنا بعد الذي رأيناه وذقناه ..

ا دمشق الصبورة باتت ليلة اول امس بعد الذي شهدته من ابنائها باهنأ ماتبيت به امة كانت مروعة بحريتها ،وقد رد الله اليها حقها الهضيم وعزها الدائم ..



السيد شريف الوتار قائد فرقة علي بن ابي طالب





السيد نشأت حسيني مرافق المفتش العام واحد طلاب معهد الحقوق وعضو بالمجلس الخاص للشباب الوطني

باتت دمشق قريرة العين بهذه البادرة الوطنية تحمد الله على ماأولاها من نعم وآلاء على ايدي رجالها المخلصين العاملين

ان هؤلاء الشباب الذين يرتدون الثياب الحديدية وتلمع من رؤوسهم اسنة الخوذ المعدنية ..

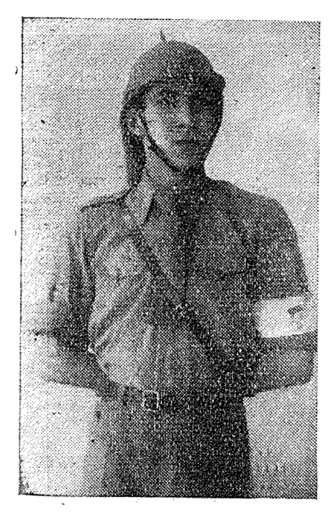
قد رفعوا يوم امس رؤوسنا وافعموا افئدتنا غبطة بما قاموا به ..

انهم ولا شك نواة الجيش الوطني المزمع ترتيبه وتأليفه ، انهم دعامة الاستقلال وعماد الامة وركن الوطن وسداده وموئله وعتاده ..

فارفعوا رؤوسكم يافتية الشام واشحذوا من عزائمكم ، واعلموا ان هذه الشارة



السيدحسين هيتو قائد فئة صلاح الدين الايوبي



الشاب النشيط السيد اكرم فرعون
نائب قائد فرقة يوسف العظمة

التي على ايديكم اعظم واشرف وسام وطني تقلدونه ، ان هذا اللون الحديدي الذي اخترتوه لباسا لكم علامة على انكم في ثباتكم في خدمة امتكم وشدتكم على اعداءكم مثل الحديد ..

ان المستقبل لكم ايها الشباب ويد الله مع ايديكم ، ان هذا الوطن الذي انجبكم كم اتت عليه من عصور ومرت عليه من ايام . سائلوا بردى هذا النهر الذي تنساب مياهه في تربتكم كم شهد من امم ومرت عليه من زحوف وكم هزأ بالفاتحين ..

انه ولا شك يجيبكم بان اجدادكم كانوا خير من اقام عليه من امم الارض الفاتحين .. وخير من ورثوه ..

ان هذا النهر ذا الماء الضحضاح كل شبر فيه قد انطوى تحته حقبة امة من الامم التي كانت تعمل كما انتم الآن تعملون ، وكل قطرة من مائه كان يقطر تقدارها دم من سيوف اجدادكم الذابين عن حوزته وكيانه حتى استقر لهم الملك ، ودانت لهم الامم والشعوب في كل قطر من اقطار الكون سنين واحقاب ..

فلا غرابة في ان تقوموا معشر الشباب ارباب هذه الالبسة الحديدية والعزائم الفولاذية هنا على ضفافه لارجاع مجداً بائكم واجدادكم العظام الذين كانوا فوق البشر نفوسا وهمما واباء ..

في حراسة المولى ايتها الفتية الوثابة وفي حفظه وامانه . انكم ولا مشاحة ستكونون نواة لجيش وطني عتيد يضاهي اكبر جيوش العالم

لان آباءكم ابناء عبد شمس الذين اورثوكم هذا المجد . كانوا خواضي غمرات الموت ماهانوا يوما في معركة ولا جبنوا ، ان امكم سوريا التي انجبتكم باتت ليلة امس قريرة العين بحفلتكم ولسان حالها ينشد ويقول :

شكرت صنيعكم بدموع عيني ودمع العين مقياس الشعور
لاول مرة قد ذاق جفني على ماذاقه دمع السرور

حسني كنعان

الفصل الرابع

عودة الوفد، استقباله، المعاهدة، شرحها

المهرجانات الشعبية

اين هم الادباء البارعون ؟ . واين هم الخطباء المفوهون ؟ .
بل اين هم الكتاب المبدعون والشعراء العاطفيون . . ؟
فكأنما غشي على اعينهم . فلم يعودوا يبصرون ما يجري حولهم من عواطف مذابة . عواطف شعب ظافر وثاب
وكأنما قدت قلوبهم من صخر حتى لم نعد نرى لهم وصفاً صادقا لهذه الامة في صفحة او مجلة . . .



المفتش العام وحوله الشباب في محطة حلب ينتظرون عودة الوفد

تلك هي الامة التي نفرت من الاغوار والانجاد ميممة شطر عاصمة ابناء عبد شمس تذيب عواطفها وتحمل افئدتها على اكفها تقدمها هدية للذين انتشلوها من هوتها السحيقة اعترافا بجميلهم عليها ، وبيض اياديهم ...

ان الاديب الذي يجف مداد يراعته عن وصف امثال هذه المهرجانات المنقطعة النظير والخطيب الذي لم تأخذه هزة عند رؤيته اياها فلا يندلق الكلام من فمه اندلاقا ولا يؤاتيه مؤاتاة . . .

والشاعر الذي لا يذيب روحه فياضة على القراطيس جياشة اخاذة لهذه المشاهدة لحري به وبمن لف لفة من بقية حملة الاقلام المنوه عنهم آنفا ان يجردوا من مزاياهم . ويحطموا يراعتهم . والا يتبجحوا بعد هذا بشيء مما عندهم . . لان البلابل الصداحة التي تتغنى بورد الربيع . وبزهر الرياض . وفرح الامة . امة العنادل التي تمت اليها . . لحقيقة ان تنسلخ عنها لانها حينئذ تكون ليس منها . .

ثلاثة ايام اتت على دمشق مواصلة ليلها مع نهارها فياضه بالبشر والسرور جديرة بان تتخذ غرضاً لاقلام الكتاب . .

وتجعل موضوعا يتبارى به الكاتب والصحافي ، والاديب ، والمتأدب ، والشاعر والخطيب ، وكل من يمت بصلة الى مسك القلم .

وما العواطف التي يستطيع ان يظهرها هؤلاء الفنانون البارعون في صوغ الالفاظ وسبك القول ليتركوا الامة في عواطفها . . سوى مقال يكتب وشعر يقرض ؛ وقول يلقى ، واكثر من هذه لا تريد منهم امتهم .

فمتى رأت هذه الامة قادة الفكر ، وارباب الاقلام وملوك الكلام من بنتها ينشطونها ويتغنون بنهضتها . وطفرتها تزداد في نشاطها ومضيها في سبيلها الى الامام قدما

لا خيل عندك تهديها ولا مال . . . فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

وما انتم معشر حملة الاقلام غير مصابيح تضيئون امامها الطريق ، لترى الطريق

الصالح المعبد فتسير فيه وترى الطريق غير المعبد الوعر فتتجنبه وتتنحى عنه غير هيابة ولا وجلة ...

ثلاثة ايام مضت على دمشق اني سرت فيها وكيفما اتجهت تري علامات البشر والسرور طافحة على وجوه ابنائها المتاحة ، التي كانت فيما مضى عليها غبرة ترهقها قترة فاينما يممت ترى الابتسامة الاخاذة مرتسمة على الثغور والافواه . لا تسمع في كل صوب في العاصمة الجبارة غير الاناشيد الوطنية ، والموسيقى الكشفية ، والاهازيج الشعبية وعبارات التحايا ، والتصفيق المتواصل . .

تر ان هذه الفتاة الحبيسة اعني سوريا المسماة بابنة مروان ، قد انطلقت اليوم من عقالها . . وانفلتت من محبسها ، وغدت كالمهرة العربيـة الاصيلة و التي تسرح وتمرح في ميادين السباق بعد طول اقامتها في معقلها ، ترتع في بحبوحـة من رغد



شباب حاب الحديدي بينهم السيد فخري البارودي

العيش واخضراره . . .

تلك هي ابنة مروان . اذ انطلقت من معقلها ارت الناس العجب العجاب .

فلا ملامة على اهلها والحالة هذه اذا هم جنوا من فرحهم وبحت اصواتهم وشقت خناجرهم من كثرة الهتافات والتحايا والاهازيج في المهرجانات والاعياد والافراح .

وماذا على ابنة مروان لو رفلت بهذه الحلي ، حلى الزينة ، وأتزرت بهذه البنود ذي الاربعة الالوان وازدانت بها . . .

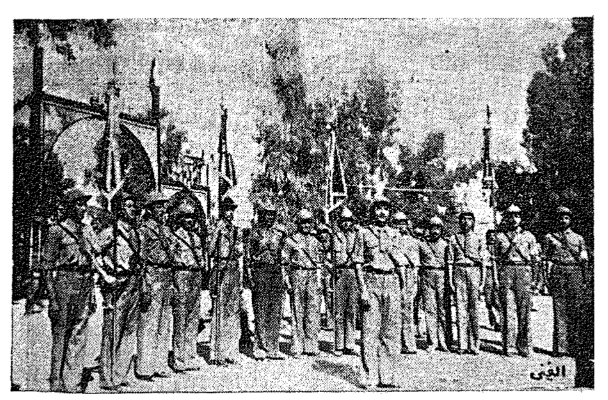
بعد ان مضي عليها ثمانية قرون وهي مرزوءة بحريتها غير متذوقة بحلاوة استقلالها اللهم الا بذينك العامين اللذين كانت تجتلى بهما طلعة المليك القرشي الهاشمي ابن فاطمة الزهراء فيصل العرب وملاذهم ، واذا جاز لنا ان نسمي النير رزءاً . . . فليس اشد على الامة وطأ ، واكثر ثقلا من نير هذه الخمسة عشر حجة التي مرت عليها



القائد العام السيد نزهة المملوك ممتط صهوة جواده
يستعرض ترتيب الفرق يوم استقبال الوفد عند محطة الحجاز

فاهنأي يا ابنة مروان بنوالك امانيك وارفلي في ثياب الزينة على تراخي العصور والاحقاب فما انت سوى ابنة المجد الاثيل والعز والسؤدد .

فغداً سيرد الله عليك الغياب المشردين من ابنائك ليعيشوا تحت اكنافك ويملوا في حقلك .وهم ابناؤك الذين اقصوا عنك وشردوا في طول البلاد وعرضها من اجل نصرتك وفك الاغلال من اعناقك . فعساك موفية لهؤلاء الخلص من ابنائك دينهم لئلا يقال ان مروان انكرت صنع جميل المخلصين العاملين من بنيها . . . « حسني كنعان »

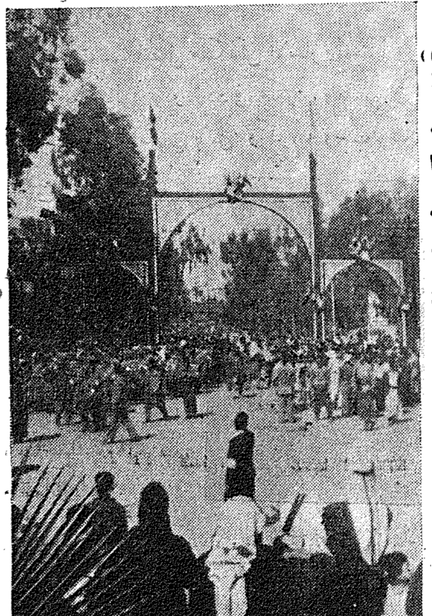


حملة اعلام الفرق الحديدية وامامهم القائد الدكتور مدحة البيطار ينتظرون عودة الوفد

عينا فيصل مشهد

مشهد يزحف في النواظر والخواطر مع ذكريات الامس القريب والماضي الحبيب الاعلام تشق الشوارع والميادين يهزج بها الميامين وباصواتهم اصداء التاريخ تجلجل على الالام والمؤسيات وتداخلها مداخلة النور لقطع السحاب

انها الحقيقة في روح كل فرد من افراد هذه الامة العربية تثور على الاباطيل وان تراكمت في الاجسام وتصرخ بالاهـــاويل وان تلبدت على النفوس جهاما تجيرها جهام .



الم تشعر بالحقيقة تصارع في نفسك النزوة مصارعة عنيفة شعواء؟ الم تشعر بهذه الامة تصارع في نفوسهـا ومن حولها النزوات والشهوات وكل المؤسيـات المؤذيات وتصرخ بها بمختلف الاهازيج والكلمات

انها الروح تسمو وتظهر وانه الحق يذكر وتعســـا لمن ابد على الحق شهوته وهواه اجل مررت وقلبـي يخفق بكل هاتيك الجماهير وتطلعت وفي عيوني اجواء التاريخ وسمعت في اذني الهمس من وراء القرون وهذا « فرق القمصان الحديدية تستقبل الوفد الامين عند المحطة » الصريخ وذهبت اتأمل . . فاذا بصورة فيصل

فيصل ، اجل فيصل ، وارحمتاه ، واحسرتاه وياللذكريات ، وياللدموع لا تغرورق وللسان لا ينبث ولا ينطق .

تأملت فيصل الباسم ظل فيصل القائم واصابني سهوم ولبث بي الوجوم كل الوجوم

تأملت ... فيصل يبسم قريرا باجتماع هذه الامة على فكرة ونظام وحميتها للسير الى الامام

تأملت ... فيصل منكمش الاسارير حنانا ووجيعة وشعرت بروحه تتنزل علي بمثل امواج الراديو وتتردد في فكري ونفسي ان حيا الله الامة ووفق الزعماء والقادة للنظام بها الي الامام في بأس وكرامة وحب وسلام وان وفق الله وحرس الله ووقى الجميع الزلل والخطل

فيصل ! فيصل لملك العراق صاحب التاج والسرير والمال الوفير يتجافى عن كل ذلك ويتقلب في المضاجع ألماً للامة العرب وحنانا عليها

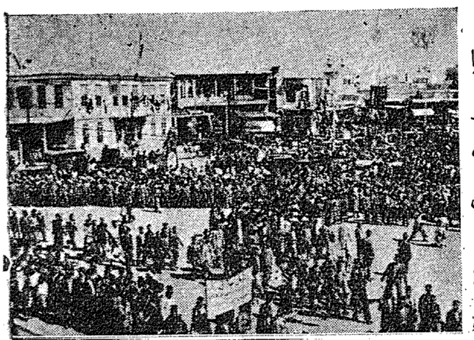
« الجموع المحتشدة في ساحة الشهداء تحي الوفد الامين »

فيصل الذاكر الساهر الذي ما فتئ حتى النفس الاخير يبذل الجهود ويسهر الليالي في سبيل سوريا وقضية سوريا .

فيصل الحكمة ، فيصل الحمية ، فيصل الحنان كان يؤلف امة العرب «بروحه» يقيمها ما استطاع من عثرات السنين

كان يصل بين شعور المنكوب ويؤلف المعنى الذى يتصل بالدهر والتاريخ ويطبق الارض والسماء وما كان انانيا تظهر انانيته في ايذاء الشعور وتقطيع الصلات بين الحاضر والماضي وبين الاخ والاخ

كان حكيما ولم يكن انانيا ولا مفرطا ولا مؤذيا ولا مغالطا يصب على الدماء الزيت ويحسها كالماء



فيصلا يبسم لسوريا ويرجو لها النظام والسير الحثيث الى الامام وهو، هو يبكي ونبكي معه اسي ووجيعة لفلسطين

فلسطين المضرجة بالدماء المسودة السماء الزاخرة بالاشلاء من «مهرجانات الاهلين في المرجة عند استقبال الوفد الامين» قتلى الرجال والاطفال والنساء

اذكروها مثل ذكراها لكم — رب ذكرى قربت من نزحا
اذكروا صبا اذا غنى بكم — شرب الدمع وعاف القدحا

محمد بد الدين الخطيب

نص المعاهدة السورية الافرنسية

ان الوفد الفرنسي والوفد السوري بعد ان درسا معا طبقا للاتفاق الذي عقد في اول آذار ١٩٣٦ مختلف المسائل المتعلقة بوضع معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسوريا على اسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال . قررا بعد مفاوضات جرت في باريس صيغ الوثائق التى تؤلف نص معاهدة التحالف والصداقة وملاحقها وهي :

اتفاق عسكري . خمسة بروتوكولات . احدي عشر مراسلة.

تعرض حكومة الجمهورية السورية البرلمانية حال تشكلها في سوريا هذا النص على البرلمان السوري لاجل ابرامه.

كتب في باريس نسختين في ٩ ايلول ١٩٣٦

التواقيع : ب فينو ــ ختام الوفد السوري ١٩٣٦

ده مارتيل — الرئيس ه.أ

هاشم الاتاسي ــ ب.ف

فارس الخوري ــ ده مارتيل

جميل مردم بك

سعد الله الجابري

مصطفى الشهابي

ادمون حمصي



الخوري ومردم يتكلمان في قاعة البلدية يوم عودتهم

معاهدة تحالف بين فرنسا وسوريا

ان حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجمهورية السورية :

بناء على تصريح الحكومة الفرنسية امام عصبة الامم بقصدها عقد معاهدة مع الحكومة السورية معتبرة ماتم من التطور في سوريا ونظرا للتقدم الذي تحقق في سبيل تثبيت سوريا امة مستقلة وبناء على اتفاق الحكومتين على تهيئة جميع الشروط لقبول سوريا في عصبة الامم في مهلة ثلاث سنوات ابتداء من مراسيم ابرام المعاهدة متبعتين في ذلك منهاجا تام الصراحة قد اتفقتا لهذه الغاية على عقد معاهدة صداقة وتحالف ـ لتحدد على اسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال ـ العلاقات التي تظل قائمة

بين الدولتين بعد زوال الانتداب وعلى تعيين شروط تطبيق المعاهدة واساليبه في الاتفاقات والبروتوكولات والمراسلات الملحقة بالمعاهدة والمعتبرة جزءاً غير منفصل عنها

ولهذا الغرض قد انتدبت كل من صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية وصاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية مفوضين عنهما .

وهم بعد ان تبادلوا اوراق اعتمادهم ووجدوها صحيحة اتفقوا على ما يلي :

المادة الاولى

يسود بين فرنسا وسوريا سلم وصداقة دائمان



رجال الوفد السوري على شرفة البلدية ينظرون الى الامة بجذل وسرور لما لاقوا من حفاوة وا كرام

ويقوم تحالف بين الدولتين المستقلتين المتمتعتين بالسيادة توثيقا لصداقتهما وللصلات التي تجمع بينهما للدفاع عن السلم والمحافظة على مصالحهما المشتركة .

المادة الثانية

اتفقت الحكومتان على ان تتشاورا بصورة تامة وبدون تحفظ في كل امر يتعلق بالسياسة الخارجية من شأنه ان يمس مصالحهم المشتركة .

وقد تعهدتا بان تبنيا ازاء الدول الاجنبية موقفا يلائم تحالفهما وبان يتجنبا كل عمل من شأنه ان يسيء الى علاقتهما مع الدول الاخرى .

وتقيم كل منهما لدى الاخرى ممثلا سياسيا .

المادة الثالثة:



رجال الوفد في قاعة البلدية يستقبلون وفود الاحياء

يتخذ الطرفان الساميان المتعاقدان جميع التدابير النافعة لتنقل يوم زوال الانتداب الى الحكومة السورية وحدها الحقوق والواجبات الناجمة عن جميع المعاهدات والاتفاقات وسائر العقود الدولية التي عقدتها الحكومة الفرنسية فيما يخص سوريا او باسمها .

المادة الرابعة

اذا ادى خلاف بين سوريا ودولة اخرى الى حالة من شأنها احداث خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة تتداول عندئذ الحكومتان لتسوية الخلاف بالطرق السلمية

وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم او لاى اتفاق دولي آخر ينطبق على مثل تلك الحال.

واذا وجد احد الطرفين الساميين المتعاقدين نفسه رغم التدابير المنصوص عنها في الفقرة السابقة مشتبكا في نزاع يبادر حينئذ الطرف السامي المتعاقد الآخر فوراً الى نجدته بصفته حليفاً وفي حالة خطر حرب محدق يتداول الطرفان الساميان المتعاقدان فوراً لاتخاذ تدابير الدفاع الضرورية . ومعونة الحكومة السورية تنحصر في ان تقدم الى الحكومة الفرنسية في الاراضي السورية كل مافي وسعها من التسهيلات والمساعدة بما فيه استعمال السكك الحديدية ومجارى المياه والمرافئ والمطارات وسطوح المياه وسائر وسائل المواصلات .

المادة الخامسة :

ان مسؤولية حفظ النظام في سوريا ومسؤولية الدفاع عن اراضيها هما على الحكومة السورية والحكومة الفرنسية تقبل بتقديم مساعدتها العسكرية الى سوريا مدة المعاهدة وفقاً لنصوص الاتفاق الملحق وتسهيلا لقيام الحكومة الفرنسية بالواجبات المترتبة عليها عملا بالمادة السابقة من هذه المعاهدة تعترف الحكومة السورية بان استمرار بقاء مسلك العبور «الترانزيت» الجوية للحكومة الفرنسية التي تجتاز الاراضي السورية وصيانتها في جميع الظروف هما من مصلحة التحالف .

المادة السادسة :

عقدت هذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة

المدة ذاتها المحددة للمعاهدة تكون للاتفاقات والعقود التطبيقية الملحقة مالم ينص في متنها على مدة اقصر او يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على اعادة النظر فيها مجاراة لاوضاع جديدة .

وتفتح المفاوضات لتجديد المعاهدة او تعديلها اذا طلبت ذلك احدى الحكومتين

اعتباراً من السنة العشرين بعد وضعها موضع العمل .

المادة السابعة

تبرم المعاهدة ويتم تبادل صكوك الابرام باسرع مايمكن وتبلغ الى عصبة الامم .
توضع هذه المعاهدة موضع العمل مع الاتفاقات والعقود الملحقة بها يوم قبول سوريا في عصبة الامم .

المادة الثامنة

حالما توضع هذه المعاهدة موضع العمل تسقط عن الحكومة الفرنسية المسؤوليات والواجبات المترتبة عليها فيما يتعلق بسوريا سواء من جراء مقررات دولية او من اعمال عصبة الامم .
فما يبقى من هذه المسؤوليات والواجبات ينتقل من تلقاء نفسه الى الحكومة السورية

المادة التاسعة

كتبت هذه المعاهدة بالفرنسية والعربية وكلا النصين رسمي ويعول على النص الفرنسي .
اذا حصل اختلاف بشأن تفسير هذه المعاهدة او تطبيقها ولم يمكن حسمه نهائياً عن طريق المفاوضة مباشرة فالطرفان الساميان المتعاقدان متفقان على ان يلجأ الى اصول المصالحة والتحكيم المنصوص عليها في ميثاق عصبة الامم .

اتفاق عسكري

المادة ١ — ان الحكومة السورية بحلولها محل السلطات الفرنسية تأخذ تحت مسؤوليتها القوى العسكرية المنظمة مع تكاليفها وواجباتها .
المادة ٢ — الحد الادنى الذي يجب ان تحويه القوى العسكرية السورية هو فرقة مشاة ولواء خيالة والمصالح التابعة لها .

المادة ٣ — تتعهد الحكومة الفرنسية بمنح حكومة الجمهورية السورية بناء على طلبها التسهيلات الآتية على ان تعود نفقاتها على الحكومة السورية :

آ) وضع بعثة عسكرية تحت تصرف الحكومة السورية لجيشها ودركها وبحريتها وطيرانها العسكري تحدد مهمة البعثة وتأليفها ونظامها بالاتفاق بين الحكومتين قبل وضع معاهدة التحالف موضع العمل ، ولما كان من المرغوب فيه ان يكون التدريب والتعليم واحداً في جيشي الطرفين الساميين المتعاقدين فان الحكومة السورية تتعهد بان لاتستخدم سوى الفرنسيين بصفة معلمين واختصاصيين .

يطلب هؤلاء المعلمون والاختصاصيون من الحكومة الفرنسية ويرجع امرهم في الادارة والانضباط العام الى رئيس البعثه العسكرية .

يجوز ان يعهد الي ضباط من البعثة العسكرية الفرنسية القيام بقيادة فعلية موقتة في القوى العسكرية السورية بناء على طلب موجه الى ممثل الحكومة الفرنسية وموافق عليه منه وفي هذه الحال يرتبط هؤلاء الضباط بقيادة القطعة التي يلحقون بها في كل مايتعلق بممارسة القيادة المعهود بها اليهم .

ب) ارسال كل من ترى الحكومة السورية ضرورة لارسالة للتعلم خارج سورية من رجال القوى المسلحة السورية الى المدارس ومراكز التعليم وقطعات الجيوش الفرنسية وعلى ظهر السفن البحرية الفرنسيـة الا انه من المفهوم ان الحكومة السورية تظل محتفظة بحريتها بان ترسل الي اي بلد آخر من لايكون باستطاعة المدارس ومراكز التعليم الفرنسية قبولهم من هؤلاء الاشخاص .

المادة ٤ — تسهيلا لتنفيذ واجبات التحالف تتخذ الحكومة السورية لقواها المساحة سلاحا وعدداً من الطراز المستعمل في القوى المساحة الافرنسية وتجهزها بقدر الضرورة تجهيزات من الطراز المستعمل في القوى المسلحة الافرنسية .

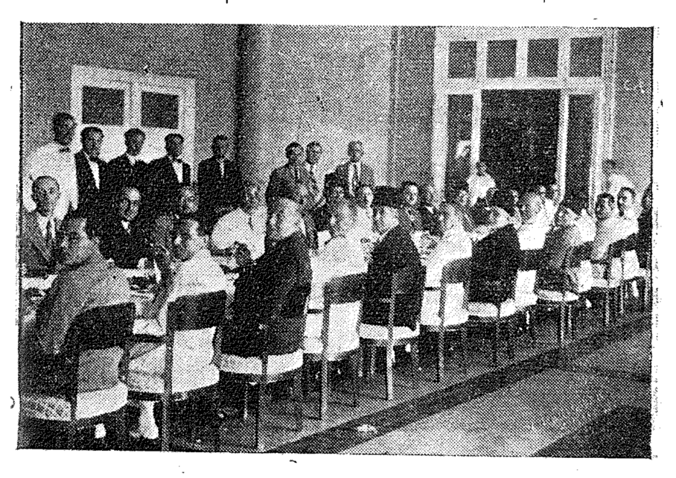
والحكومة الفرنسية تمنح جميع التسهيلات للحكومة السورية لتمكينها من

ان تؤمن في فرنسا احتياجات القوى المسلحة السورية من اسلحة وعتاد وسفن وطيارات ولوازم وتجهيزات من احدث طراز .

المادة ٥ — عملا باحكام الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من المعاهدة تتعهد الحكومة السورية بان تضع تحت تصرف الحكومة الفرنسية لمدة التحالف مواقع القاعدتين جويتين .

تختار الحكومة الفرنسية هذه المواقع في نقاط لايقل ابتعادها عن المدن الكبرى الاربع عن اربعين كيلو متراً على وجه التقريب .

وبصورة وقتية يسمح للحكومة الفرنسية باستعمال مطاري النيرب والمزة كقاعدتين ويتم النقل الى الموقعين الجديدين حالما يتم تهيئة القاعدتين الجديدتين



صورة تاريخية فريدة للمفوض السامي والوزارة الايوبية ورجال الوفد الامين وهي تمثل حفلة الحلف السوري الافرنسي

بنفس شروط الانشاء والتجهيز الكائنة في القاعدتين القديمتين اللتين تصبحا ملكا للحكومة السورية على ان تتحمل نفقات هذه العملية .

وفيما عدا هاتين القاعدتين وريثما يصبح باستطاعة القوى الجوية السورية القيام بتعهد شؤون اراضي النزول المجهزة حاليا تقبل الحكومة الفرنسية بان تقدم مساعدتها لتعهد هذه الاراضي ومن المفهوم ان هذه المعاهدة لاتخل بحقوق ملكية الحكومة السورية لهذه الاراضي .

والحكومة السورية تتعهد بان تقدم بناء على طلب الحكومة الفرنسية وعلى نفقة هذه الحكومة وبالشروط التي يتفق عليها الطرفان الساميان المتعاقدان حرسا خاصا من جنودها للتعاون مع القوى الفرنسية الموكول اليها تأمين سلامة القاعدتين الجويتين وتجهيزهما وتعهدهما مع الاختصاصيين في القوى الجوية الفرنسية المخصصين وقتيا لتجهيز اراضي النزول الآنفة الذكر والاعتناء بها .

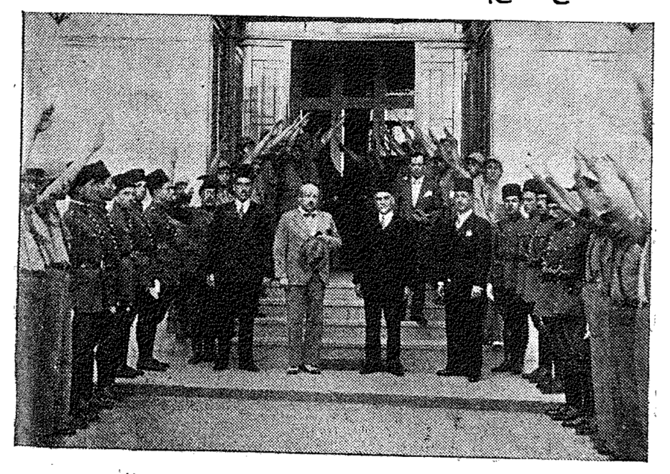
والحكومة الفرنسية تقبل بان تستبقي لمدة خمس سنوات اعتباراً من تاريخ انفاذ المعاهدة جنوداً في جبل الدروز والعلويين وتحدد نقاط اقامة هذه الجنود باتفاق الحكومتين .

والحكومة السورية تضع تحت تصرف القيادة الفرنسية الوحدات القائمة في هاتين المنطقتين لتقوم هذه القيادة بتعهد شؤونها وتعليمها . والحكومة السورية تسهل استخدام مايقتضي من الاشخاص المحليين لتأمين المحافظة على موجود تلك الوحدات .

ومن الواضح ان استبقاء الجنود الفرنسية في مختلف هذه النقاط لايفيد احتلالها ولا يمس بحقوق السيادة السورية .

المادة ٦ — تمنح الحكومة السورية كل مايمكن من التسهيلات لتعهد القوى الفرنسية ولتعليمها وانتقالاتها ولنقلياتها ومواصلاتها سواءاً كان ذلك حول النقاط

المقيمة فيها او في المرور من احدى تلك النقاط الى غيرها وكذلك لنقل جميع المؤن والتجهيزات التي تحتاج اليها هذه القوى وخزنها . وهذه التسهيلات تشمل استعمال الطرق والسكك الحديدية وطرق الملاحة والمرافئ والارصفة والمطارات وسطوح المياه وحق الطيران فوق الاراضي واستعمال شبكات البرق والهاتف واللاسلكي ، ولا يجوز في حال من الاحوال وضع تعرفة متفاوتة ضد الحكومة الفرنسية ، وللسفن الحربية الفرنسية جواز عام في دخول المياه السورية والرسم فيها وزيارة المرافئ السورية على انه من المفهوم ان الحكومة السورية تتلقى بلاغا مقدما عن زيارة المرافئ السوريه والحكومة السورية تضع تحت تصرف الحكومة الفرنسية جميع المواقع والامكنة اللازمة لاحتياجات القوي الفرنسية .



« المفوض السامي الكونت دمارتيل والرئيس الاتاسي والى جانبها القوتلي والجابري عند خروجهما من فندق الاوريان ويرى الشباب الوطني والشرطة تحييهم التحية الرسمية

توضع اتفاقات خاصة باساليب تطبيق هذا النص وكذلك مختلف المسائل المتعلقة بالممتلكات العسكرية الفرنسية او بالممتلكات التي لها عليها حق انتفاع. لايجوز ان ينتج تنفيذ هذه الاتفاقات زيادة في اعباء الحكومة الفرنسية المترتبة عليها حالياً.

المادة ٧ — تنفيذا للمادة الخامسة من معاهدة التحالف ومع التحفظ بالتعديلات التي قد يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على احداثها في المستقبل تتعهد الحكومة السورية بان تؤمن للقوى الفرنسية وللعسكريين والبحريين الفرنسيين المنفردين وكذلك للمستخدمين المدنيين الفرنسيين وعائلاتهم المقيمين في الاراضي السورية بمقتضى التحالف الميزات والمناعات التي كان يتمتع بها في سوريا هؤلاء العسكريون والبحريون والمدنيون حين وضع هذا الاتفاق موضع العمل.

المادة ٨ — تتعهد الحكومة السورية بان تتسلم اراضي الطيران المحدثة من جانب السلطة الفرنسية في سوريا في تاريخ وضع معاهدة التحالف موضع التنفيذ او الاراضي التي يرى الطرفان الساميان المتعاقدان احداثها ضروري للدفاع الجوي (وهي غير المؤسسات والاراضي المذكورة في المادة ٥) وتأخذ على عاتقها تعهد تلك الاراضي جميعها والمحافظة عليها وتعين شروط اخذ تلك الاراضي باتفاقات خاصة.

ولطيارات القوى الفرنسية بصورة عامة حق الطيران فوق الاراضي السورية تحت قيد مراعاة قواعد السير ذاتها المرعية في فرنسا وخاصة فيما يتعلق بالطيران فوق المدن والقرى واما كن الاجتماع المرتادة. ولهذه الطيارات الانتفاع من اراضي الطيران وسواها في الاراضي السورية ويحق للحكومة الفرنسية ان تستبق في هذه الاراضي او ان تحدث ترتيبات تكون عليها نفقة انشائها وتعهدها.

ويجوز للحكومة الفرنسية ان تقيم على المخازن والمعامل التي تحتفظ بها او تحدثها اختصاصيين من القوى الجوية تفرزهم لهذه الغاية.

والحكومة السورية تمنح جميع التسهيلات لتعهد هذه المؤسسات والقائمين عليها.

البروتوكولات

والكتب المتبادلة بين الطرفين المتعاقدين

مراسلة رقم ١ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

عطفاً على المادة الاولى من الاتفاق العسكري اتشرف باحاطة فخامتكم علماً بان الحكومة السورية تعتبر الحقوق المكتسبة للضباط وصغار الضباط والعسكريين السوريين في الجيش الخاص من جملة التكاليف والواجبات في المادة المشار اليها .

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسيه
الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم دولتكم فاعلمتموني عطفاً على المادة الاولى من الاتفاق العسكري بكتاب بتاريخ اليوم ان الحكومة السورية تعتبر الحقوق المكتسبة للضباط وصغار الضباط والعسكريين السوريين في الجيش الخاص من جملة التكاليف والواجبات المذكورة في المادة المشار اليها . فاتشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم .

بروتوكول رقم ١ عطفاً على المادة السابعة من الاتفاق السكري اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على ان يحددا قبل دخول المعاهدة في دور العمل المبرات والمناعات المذكورة في تلك المادة وفاقاً للاساليب المتبعة في الحالات المشابهة .

مراسلة رقم ٢ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

عطفاً على المعاهدة الموقعة بتاريخ اليوم اتشرف باحاطة فخامتكم علماً بان

الحكومة السوريه نظراً للصداقة والتحالف الوثيق بين البلدين ستأتي من فرنسا بالمستشارين الفنيين والقضاة والموظفين الاجانب الذين ترى لزوما لوجودهم فيسوريا

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم دولتكم فاعلمتموني بكتاب بتاريخ اليوم نيات الحكومة السورية في امر استخدام موظفين اجانب في سوريا فلي الشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم

مراسلة رقم ٣ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

عطفاً على المادة الثانيــة من المعاهدة التي وقعناها بتاريخ اليوم اتشرف باحاطة فخامتكم علماً بان الحكومة السورية تطلب الى الحكومة الفرنسية ان تتكرم فتؤمن وفاقا للتعامل الدولي المتبع في هذه الامور حمــاية التبعة والمصالح السورية في كل مكان لا تكون فيه الحكومة السورية ممثلة تمثيلا مباشراً .

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

جوابا على كتاب دولتكم بتاريخ اليوم اتشرف باعلامكم ان الحكومة الفرنسية نزولا عند الرغبة التي ابدتها الحكومة السورية ووفاقا للتعامل الدولي المتبع في هذه الامور ستقبل بارتياح ان تؤمن حماية التبعة والمصالح السورية في كل مكان لا تكون فيه الحكومة السورية ممثلة تمثيلا مباشراً .

مراسلة رقم ٤ من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

عطفاً على المادة الثانية من المعــاهدة التي وقعناها بتاريخ اليوم اتشرف باحاطة

دولتكم علما بان الممثل السياسي لحكومة الجمهورية الفرنسية في سوريا ستكون له صفة سفير .

من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

جوابا على كتابكم بتاريخ اليوم اتشرف باعلام فخامتكم ان الحكومة السورية رغبة منها في اعلان ارتياحها على اثر تعيين ممثل الجمهورية الفرنسية بصفة اول سفير في سوريا قررت ان يظل تقدمه بالنسبة لممثلي سائر الدول شاملاً للذين يخلفونه .

والحكومة السورية تود بهذه المناسبة احاطة فخامتكم علما بان ممثل سوريا السياسي لدى حكومة الجمهورية الفرنسية يكون مدة المعاهدة بدرجة وزير مفوض

مراسلة رقم ٥ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السوريه
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

لي الشرف بان اثبت لفخامتكم ان الحكومة السورية تؤمن بقاء ضمانات الحقوق العامة المنصوص عنها في الدستور السورى للافراد والجماعات وتعطى هذه الضمانات كامل مفعولها

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسيه
الي رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم بكتاب بتاريخ اليوم فاثبتم لي ان الحكومة السورية تؤمن بقاء ضمانات الحقوق العامة المنصوص عنها في الدستور السوري للافراد والجماعات وتعطى هذه الضمانات كامل مفعولها .

فلي الشرف باعلامكم باستلامي هذا البلاغ الكريم وبتقديم الشكر لدولتكم على التأكيدات التي يحويها .

ضم اللاذقية والجبل الى سوريا

مراسلة رقم ٦ من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لي الشرف بان اقدم الى دولتكم طيا نص القرارين رقم ....و ....بتاريخ .... المتضمنين نقل اختصاصات السيادة على اراضي اللاذقية وجبل الدروز الى الحكومة السورية وتعيين النظام الخاص الاداري والمالي لهاتين المنطقتين .

وهذان النصان هما نتيجة الاتفاق الذي تم في باريس فيما يتعلق بضم هاتين المنطقتين الى دولة سوريا بالنظام الاداري والمالي الذي استنسب الاحتفاظ به لهاتين المنطقتين وفاقا للمبادىء التي حددتها عصبة الامم .

قرار المفوض السامي بالحاق اللاذقية

ان المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

بناء على صك الانتداب المؤرخ في ٢٤ تموز ١٩٢٢

وبناء على مرسوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ الذي حدد سلطات المفوض السامي

وبناء على مرسوم ...

ولما كان قد حصل اتفاق في باريس بين الحكومة الفرنسية والوفد الذي كان عهد اليه وضع اسس معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا

ولما كان الاتفاق المذكور يستلزم نقل اختصاصات السيادة التي كان حق ممارستها محفوظا للمفوض السامي بموجب القرار رقم ٣١١٣ بتاريخ ١٤ ايار ١٩٣٠ الى الحكومة السورية ويستلزم ايضاً تحديد اساليب النظام الخاص في الادارة والمالية الذي تنوي الحكومة السورية تأمينه لمنطقة اللاذقية وفاقا للمبادئ التي حددتها

عصبة الامم قرر مايأتي :

مادة اولى—ان اراضي اللاذقية هي جزء من الدولة السورية .

مادة ثانية—تستفيد هذه الاراضي ضمن دولة سوريا من نظام خاص مالي واداري حددت اساليبه في النظام الملحق .

مادة ثالثة—مع الاحتفاظ باحكام النظام المذكور يسري على اراضي اللاذقية دستور الجمهورية السورية وقوانينها وانظمتها العامة .

مادة رابعة—فور ابرام المعاهدة الفرنسية السورية يدخل هذا القرار والنظام الملحق به في دور التنفيذ بدلا من النصوص التي كانت تسري على هذه الامور .



اخذت هذهالصورة في اللاذقية بمناسبة تعيين السيد مظهر ارسلان محافظا
ويرى السيدان الجابري والبارودي مع وجهاء اللاذقية

قرار المفوض السامى بالحاق جبل الدروز

ان المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

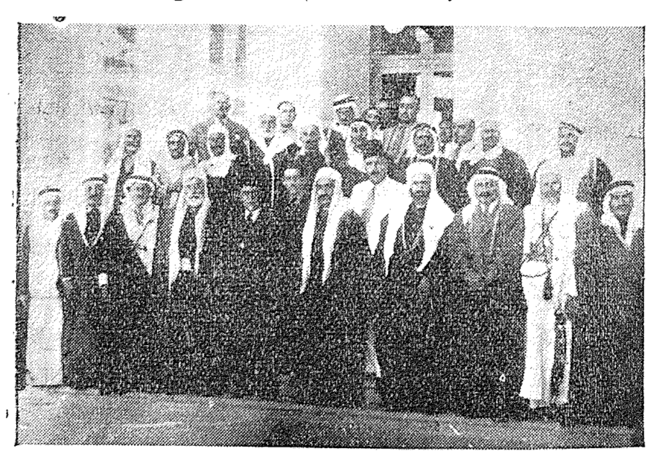
بناء على صك الانتداب المؤرخ في ٢٤ تموز ١٩٢٢

وبناء على مرسوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ الذي حدد سلطات المفوض السامي

وبناء على مرسوم ...

ولما كان قد حصل اتفاق بين الحكومة الفرنسية والوفد الذي كان عهد اليه وضع اسس معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا

ولما كان الاتفاق المذكور يستلزم نقل اختصاصات السيادة التي كان حق ممارستها محفوظا للمفوض السامي بموجب القرار رقم ٣١١٤ بتاريخ ١٤ ايار ١٩٣٠ الى



هذه الصورة تمثل زعماء جبل الدروز وبينهم الرئيس الاتاسي والنائب السيد البكري

الحكومة السورية ويستلزم ايضا تحديد اساليب النظام الخاص في الادارة والمالية الذي تنوي الحكومة السورية تأمينه لمنطقة جبل الدروز وفاقا للمبادي التي حددتها عصبة الامم . قرر ما يأتي :

مادة اولى—ان اراضي جبل الدروز هي جزء من الدولة السورية

مادة ثانية— تستفيد هذه الاراضي ضمن دولة سوريا من نظام خاص اداري ومالي حددت اساليبه في النظام الملحق

مادة ثالثة — مع الاحتفاظ باحكام النظام المذكور يسري على اراضي جبل الدروز دستور الجمهوريه السوريه قوانيها وانظمتها العامة

مادة رابعة — نور ابرام المعاهدة الفرنسية السورية

« ننشر صورة السيد نسيب البكري بمناسبة تعيينه محافظا لجبل الدروز»

يدخل هذا القرار والنظام الملحق به في دور التنفيذ بدلا من التي كانت تسري على هذه الامور .

ملاحظة

من المفهوم ان النظام الخاص الاداري والمالي المشار اليه في المادة الثانية من

المشروعين اعلاه سيكون النظام الذي يستفيدمنه حاليا لواء الاسكندرون

الا انه وجد ان نص المادة الثامنة من النظام الاساسي للواء الاسكندرون قد وضع على اساس اسلوب ادارة سيجري تعديله وان المادة المذكورة يجب توفيقها مع المقتضيات لاظهار اختصاصات الحكومة السورية فيما يتعلق بالواردات والنفقات التي تشير اليها هذه المادة .

ورغم كون النظام الذي تستفيد منه حاليا حكومتا اللاذقية وجبل الدروز مماثلا لما حددته المادة الثامنة اعلاه الا انه وجد ان النظام الاساسي لكل من هاتين الحكومتين لا يحوي احكاما مقابلة للمادة المذكورة ولذلك فانه من المفهوم حفظا للمستقبل ان النظام الذي سيلحق بالقرار اعلاه لن يتضمن ماده مقابلة للمادةالثامنة من نظام اللواء ومن جهة اخرى يستوحي في وضع النص المقابل للفقرة الثالثة من المادة الرابعة من نظام لواء الاسكندرون من النص الآتي :

٢ — المبالغ المخصصة بصفة توزيع فيض الواردات المدونة حاليا في حساب الادارة بعد تنزيل المصاريف العامة العائدة لمجموع الدولة السورية والتي تتحملها الميزانية العامة للجمهورية السورية .

سيادة الحكومة على اللاذقية والسويداء

من رئيس مجلس الوزراء فيالجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

لقد تكرمتم فخامتكم بكتاب بتاريخ اليوم فبعثتم الي نص القرارين رقم... و... الصادرين بتاريخ ... المتضمنين نقل اختصاصات السيادة على منطقتي اللاذقية وجبل الدروز الى الحكومة السورية وتعيين النظام الخاص الاداري والمالي لهاتين المنطقتين.

فلي الشرف باعلام فخامتكم ان الحكومة السورية بعد اطلاعهاعلى هذين النصين

تعتبرهما منطبقتين على الاتفاق الذي تم في باريس بشأن هذه الامور .

المصالح المشتركة بين سوريا ولبنان

بروتوكول رقم ٢ ان الطرفين الساميين المتعاقدين يثبتان اتفاقهما على النقاط التالية.

بغية تهيئة نقل سلطات التشريع والادارة التي يمارسها حاليا ممثل فرانسالحساب سوريا في الشؤون الاقتصادية والمالية الى الحكومة السورية تعلن هذه الحكومة استعدادها للدخول في المفاوضات فور ابرام المعاهدة الفرنسية ـ السورية لتسوية المسائل المعلقة بين سوريا ولبنان .

والحكومة الفرنسية من جهتها مستعدة لتأمين النقل المذكور وفاقا لاية تسوية تنتج عن تلك المفاوضات وفي حال عدم افضاء التسوية الى وجود هيئة مشتركة بين سوريا ولبنان ولا الى اساليب للتعاون بين الادارات السوريةواللبنانيةفالحكومة السورية بشرط المقابلة لن تقرر ضد لبنان نظاما متفاوتا بالنسبة الى سائر الدول المنسلخة عن السلطنة العثمانية القديمة .

وفي حال عدم وجود هيئة مشتركة تنقل الحكومةالفرنسية مباشرةالى الحكومة السورية سلطات التشريع والادارة التي يمارسها حاليا ممثل فرنسا لحساب سوريا في الشؤون الاقتصادية والمالية .

مراسلة رقم٧ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

اتشرف باحاطة فخامتكم علما بان الحكومة السورية مستعدةلان تبقي لمؤسسات الاسعاف والخير الاجنبية ولبعثات التنقيب الاثريةالانتفاع من النظام الحالي للمؤسسات والعاديات .

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم دولتكم فاعلمتموني بكتاب بتاريخ اليوم نيات الحكومة السورية بشأن نظام المؤسسات والعاديات في سوريا.

فلي الشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم .

بروتوكول رقم ٣ يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بالمفاوضة فور ابرام المعاهدة الفرنسية السورية لعقد اتفاق بشأن الجامعات .

مراسلة رقم ٨ من رئيس مجلس وزراء الجمهورية السورية

الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

في هذا الحين التي تسوى فيه العلاقات مع فرنسا بمعاهدة صداقة لي الشرف باحاطة فخامتكم علما بانه من الاحتفاظ بالتعديلات التي يمكن ان تدخل باتفاق الطرفين الساميين المتعاقدين على الامتيازات والاتفاقات التي تهم مالية الدولة او الجماعات العامة مجاراة للاحوال الاقتصادية والمالية في سوريا تتعهد الحكومة السورية باحترام الحقوق المكتسبة باسم سوريا ولحسابها لمنفعة الاشخاص الطبيعية والحكومة الفرنسية .

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم دولتكم فاعلمتموني بكتاب بتاريخ اليوم انه مع الاحتفاظ بالتعديلات التي يمكن ان تدخل باتفاق الطرفين الساميين المتعاقدين على الامتيازات والاتفاقات التي تهم مالية الدولة او الجماعات العامة مجاراة للاحوال الاقتصادية والمالية في سوريا تتعهد الحكومة السورية باحترام الحقوق المكتسبة المنشأة باسم سوريا

ولحسابها لمنفعة الاشخاص الطبيعية والحكومة الفرنسية .
فلي الشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم .

التعامل النقدى بين فرنسا وسوريا

مراسلة رقم ٩ من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية
الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

في هذا الحين الذي تسوي فيه العلاقات بين فرنسا وسوريا بمعاهدة صداقة وتحالف .

لي الشرف ان اؤكد لفخامتكم ان الحكومة السورية ستحافظ على التعادل النقدي القائم بين العملة السورية والعملة الفرنسية .

من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية
الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

لقد تكرمتم دولتكم فاكدتم لي بكتاب بتاريخ اليوم ان الحكومة السورية ستحافظ على التعادل النقدى القائم بين العملة السورية والعملة الفرنسية .
فلي الشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم .

الجنسية السورية والجنسية الفرنسية

مراسلة رقم ١٠ من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية
الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

بغية تحديد وضع التبعة الفرنسيين في سوريا وبالمقابلة وضع التبعة السوريين في فرنسا اتشرف باحاطة دولتكم علما بان الحكومة الفرنسية مستعدة لمفاوضة الحكومة

السورية لعقد اتفاق اقامة وسيتضمن هذا الاتفاق تأييد الوضع الوقتي المقرر بمرسوم رئيس الجمهورية بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٥

ويزاد توضيحاً على ذلك :

١—ان تبعة كل من الطرفين الساميين المتعاقدين يتمتعون بمعاملة الدولة الاكثر رعاية فيما يتعلق بمراجعة محاكم الطرف الآخر سواء للمطالبة بحقوقهم او للدفاع عنها لدى جميع درجات المحاكم المقررة قانوناً .

٢—ان فيما يتعلق بالدخول والاقامه يستيفد التبعة السوريون في المستعمرات



(القلم والدواة اللتان وقع بهما نواب المجلس المعاهدة السورية الفرنسية)

الفرنسية من السلطة الممنوحة لتبعة الدولة الاكثر رعاية .

والحكومة الفرنسية تؤمن هذه المعاملة للتبعة السوريين اشخاصاً طبيعين او شركات ممن هم مقبولون للاقامة في المستعمرات الفرنسية او الذين يقبلون فيما بعد مع التحفظ بمراعاة القوانين المتعلقة بالنظام العام او بالامن او بالتشريع المحلي ـ

والحكومة الفرنسية توصي الحكومة التونسية بان لاتوجد بحق التبعة السوريين تفاوتا فيما يتعلق بالدخول والاقامة في تونس وبان تمنح ايضاً التبعة السوريين اشخاصا طبيعين او شركات مقيمة في الاراضي التونسية حق الاستفادة من الحقوق الشاملة لرعايا مختلف الدول مع الاحتفاظ بمراعاة القوانين المتعلقة بالنظام العام وبالامن وبالتشريع المحلي .

وكذلك يستفيد في سوريا تبعة المستعمرات والحمايات من المعاملة الممنوحة لرعايا الدولة الاكثر رعاية .

من رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

الى المفوض السامي للجمهورية الفرنسيه

لقد تكرمتم فخامتكم فاطلعتموني بكتاب بتاريخ اليوم على الشروط التي اظهرت الحكومة الفرنسية استعدادها للمفاوضة على اساسها مع الحكومة السورية لعقد اتفاق اقامة .

فلي الشرف باعلام فخامتكم ان الحكومة السورية مع موافقتها الحكومة الفرنسية على مضمون هذا الكتاب تأخذ العلم بهذا البلاغ الكريم.

النظام القضائي بعد ابرام المعاهدة

بروتوكول رقم ٤ يتعهد الطرفان الساميان المتعاقدان بالدخول في المفاوضة بعد ابرام المعاهدة ليحددا ضمن المهلة المعينة لقبول سوريا في عصبة الامم نظاما قضائيا مستوحى من اتفاق اول آذار ١٩٣٦ من شأنه التوفيق بين الاهتمام بحماية المصالح الاجنبية والتقدم الذي احرزته الحكومة السورية في تنظيم القضاء .

والحكومة الفرنسية تؤيد الحكومة السورية تأييداً تاما ليؤمن وضع هذا النظام موضع التطبيق ضمن المهلة ذاتها .

والى ان تنتهي تلك المفاوضة يوضع فور ابرام المعاهدةمنهاج اصلاحات تشمل :

١—تطبيق مبدأ وحدة القضاء بجميع المحاكم .

٢—تقليل عدد القضاة الفرنسيين .

٣—تحديد المصلحة الاجنبية بصورة تعالج بها بعض وسائل سوء الاستعمال كالمصلحة الوهمية وتحويل القضايا عن مجراها الطبيعي الى محكمة اخرى بايجاد مصلحة اجنبية احتيالا على القانون .

٤—الغاء اشتراط نقل الصلاحية بين التبعة السوريين .

اعفاء سوريا من نفقات الانتداب

مراسلة رقم ١١ من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

الى رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية

كان من حق الحكومة الفرنسية عملا بقررات عصبة الامم ان تطلب من الحكومة السورية المساهمة بنفقات تعهد قواها العسكرية وكان حقها ايضا التفاهم معها لاجل تسديد جميع النفقات التي تكبدتها لتنظيم الادارة وتنمية الموارد المحلية واجراء الاشغال العامة في سوريا .

فاتشرف بان اخبر دولتكم بان الحكومة الفرنسية اخذت بنظر الاعتبار قرب بلوغ سوريا مرتبة دولة تامة الاستقلال فقررت بمناسبة توقيع معاهدة التحالف ان لاتطالب بدفع هذه النفقات .

وينحصر الاستيفاء بمختلف العقارات والتجهيزات المتنوعة التي تسلم للحكومة السورية وتقدر قيمتها عند التسليم بمعرفة لجنة خبراء تحكيمية مختلطة .

من رئيس مجلس الوزراء في الجمهوربة السورية

الي المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

تفضلتم فخامتكم وابلغتموني بكتاب بتاريخ اليوم نيات الحكومة الفرنسية بخصوص النفقات المدنية والعسكرية التي تكبدتها فرنسا في سوريا .

وذلك ان الحكومة الفرنسية اخذت بنظر الاعتبار قرب بلوغ سوريا مرتبة دولة تامة الاستقلال فقررت بمناسبة توقيع معاهدة التحالف ان لاتطالب بدفع هذه النفقات .

وينحصر الاستيفاء بمختلف العقارات والتجهيزات المتنوعة التي تسلم للحكومة السورية وتقدر قيمتها عند التسليم بمعرفة لجنة خبراء تحكيمية مختلطة .

فلي الشرف باخذ العلم بهذا البلاغ الكريم .

بروتوكول رقم ٥ عطفا على الفقرة الرابعة من مقدمة المعاهدة يوضح الطرفان الساميان المتعاقدان انهما ينويان تخصيص السنتين الاوليتين من مهلة السنوات الثلاث المشروطة في النص المذكور لاقامة جميع المؤسسات السورية المعدة لتأمين تسلم الحكومة السورية المسؤوليات التي يؤمنها حاليا ممثل فرنسا لحساب سوريا على ان تخصص السنة الثالثة من المهلة الآنفة الذكر لتكييف تلك المؤسسات في ممارسة هذه المسؤوليات .

ومن جهة اخرى عطفا على البروتوكول رقم ٢ يعتبر الطرفان الساميان المتعاقدان ان المفاوضات الوارد ذكرها في الفقرة الثانيـة منه يجب ان تقترن بنتيجة في مهلة سنة اعتباراً من تاريخ البدء بتلك المفاوضات والطرفان الساميان المتعاقدان يبذلان منتهى الاهتمام لفتح هذه المفاوضات في اقرب تاريخ ممكن من اول كانون الثاني سنة ١٩٣٧

وفي حالة عدم افضاء التسوية الناتجة عن هـذه المفاوضات الى وجود هيئـة مشتركة فالطرفان الساميان المتعاقدان متفقان على ان تحدد بستة شهور المهلة الاضافية المخصصة لتنظيم الادارات السورية التي ستنتقل اليها الاختصاصات الاقتصادية والمالية التي يمارسها حاليا ممثل فرنسا لحساب سوريا .

شرح المعاهدة وتفنيدها

على اثر البيانات التي اصدرها السيد زكي الخطيب معترضاً على بنود المعاهدة لذلك فقد رأت الكتلة الوطنية ان تطلع الرأي العام على حقيقة المعاهدة فاختارت السيد فارس الخوري لكي يفند بنود المعاهدة ويشرحها وفيما يلي: المحاضرة التي القاها على مدرج الجامعة السورية .

فارس الخوري يشرح المعاهدة

سادتي :



اذكروا معي بالتقدير والتقديس شهداءنا البواسل الذين على اجسادهم نبني صرح استقلالنا وبدمائهم الزكية نوقع صك حريتنا .

ثم حيوا معي هذه النهضة العربية المباركة التي انبثقت شرارتها منذ افتتاح القرن العشرين وانبعثت من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حيث شعر العرب انهم شعب كبير ذو تاريخ لامع ومواهب عنصرية بارزة تخولهم الحق ان يتبأوا في المدنية الحديثة مكاناً متناسبا مع تاريخهم المجيد وكفاءتهم العالمية فقاموا يطالبون بهذا الحق ويؤيدونه بكل ما لديهم من الوسائل .

وحيال ما اظهروه من الصلابة في التفاني عرفت الدول المستعمرة انها لم يعد لها قبل بالاستمرار على اساليب التحكم العنيف ، فجنحت عن الشدة الى اللين وعن العنف الى الرفق ، واعترفت بعد الحرب العامة باستقلال كامل لدولتي الحجاز واليمن ثم تخلصت المملكة العراقية سنة ١٩٣٢ من الانتداب المفروض عليها وهاهي تمارس استقلالها بالطمأنينة الطيبة . وتخلصت مصر الشقيقة من الاحتلال الذي عانت

شقاءه مدة ٤٥ سنة بفضل ايمان شعبها الوثيق ،وتضحيات ابطالها المجاهدين ،ووقع وفدها الامين في لندن صك الحريه في ٢ آب الماضي وعاد الى مصر يحمل لها علم زوال الاحتلال وتدشين عهد الاستقلال وبعد تحرر اخواننا المصريين باسبوعين وقعنا نحن رجال الوفد السوري في باريس صك زوال الانتداب واقامة السيادة القومية على انقاضه .

لا حاجة لنا لتلاوة الصفحات التي مرت على قضيتنا قبل بلوغنا بها هذه الصفحة التي نواجهها اليوم . فبعد ان حاربت سوريا الى جانب الحلفاء معتمدين على وعودهم بنيلها استقلالها فرض عليها نظام الانتداب فرضا ولم يكن هذا النظام موفقا في اساليب تطبيقه بل سار بالبلاد من سيء الى اسوأ والشعب السوري لايضيع فرصة للمطالبة بحقوقه في إبطال التجزئة الضارة والغاء نظام الانتداب واعطائنا استقلالنا اسوة بسائر الشعوب التي لا تقل عنا رقياً واستعداداً .

اتفاق اول آذار

عولجت القضية مراراً من قبل السلطة الفرنسية طمعا بحلها على اساليب لاتضمن حقوقنا فكان الفشل نصيب هذه المحاولات وبقيت الحالة تزيد استفحالا والنار تزيد اشتعالا حتى كانت حوادث الاضراب الاخيرة في مطلع هذه السنة على اثر الحفلة التاريخية التي اقيمت في هذه القاعة لتأبين الزعيم الخالد ابراهيم هنانو وانتهت باتفاق وضع ووقع في اول آذار ٩٣٦ بين المفوض السامي باسم حكومته ورئيس الكتلة الوطنية ورفاقه من رجال الكتلة . واذاعته الحكومة السورية في بيان خلاصته اتفاق الطرفين على ذهاب وفد رسمي يمثل الشعب السوري الى باريس للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية لاجل تهيئة مشروع معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسوريا على اساس الغاء الانتداب وعدم وجود مصلحة لفرنسا في التجزئة الواقعة ونيل السوريين

استقلالا لا تقل فيه حقوقهم عن الحقوق التي يتمتع بها العراق في معاهدته الاخيرة مع بريطانيـا .

انتهاء الاضراب وانتخاب الوفد

اعلن هذا الاتفاق في ٢ آذار وبالتاريخ نفسه اذاعت الكتلة الوطنية بيانا بموافقتها على هذه الاسس واستعدادها للمفاوضة في باريس لاجل تحقيقها ودعت الامة السورية الى النزول عند هذا الحل وانهاء الاضراب العام انتظاراً للنتائج التي تقترن بهـا مساعي الوفد المفاوض في باريس فاجابت الامة هـــذه الدعوة بالقبول وعادت الى السكينة المتحفزة للوثوب .

انتخب اعضاء الوفد السوري واجمعت اراء الشعب السوري واحراره المجاهدين في الداخل والخارج على تأييده واعلان الثقة التامه به وسافرنا الى باريس للعمل على تحقيق هذه الشروط معتمدين على قوة حقنا بها وعلى تأييد الامة المنقطع النظير الذي هو التضامن الاول للنجاح .

توقيع المعاهدة

بدأت مفاوضاتنا مع الوفد الفرنسي منذ اول نيسان الماضي ، واستمرت خمسة اشهر بدون انقطاع عبرنا بها على اطوار متنوعة بين كر وفر وجدال وسجال مع حكومة الاتحاد الراديكالي الجمهوري ثم مع حكومة الجبهة الشعبية حتى انتهينـا في اوائل ايلول الى اتفاق حاسم وقعناه في التاسع منه ، وعدنا به نعرضه على الامة السورية لتبدي رأيها به بواسطة نوابهـا الذين تجيء بهم الانتخابات الحالية وقد نشرنا نصوص المعاهدة وملاحقها يوم ٢٢ من تشرين الاول ليطلع الشعب عليهـا ويجري الانتخاب على اساسها فقابلتها طبقات الامة بالرضى عن مضامينها والقناعة بصلاحها لبنيان الاستقلال المنشود .

ولا بد لي من الاشارة الى كون صلاح المعاهدات يستند الى النية الحسنة عند عاقديها والعزم الصادق على تنفيذها بامانة واخلاص ، اكثر مما يستند على نصوصها ومعاني عباراتها والقوة المؤيدة لحقوق كل من الطرفين فيها هي كفاءته ومقدرته في الطلب والتنفيذ .

فمع التصريح والتوثق من ان الروح التي سادت هذه المفاوضات كانت روح مودة وولاء تجلى فيها مظهر صميمي من الجانب الفرنسي وعزم جلي على التخلي عن سوريا وترك مقدراتها لابنائها والاكتفاء باقامة تحالف مخلص بين الحكومتين ، وصداقة متينة بين الشعبين فان المستقبل المحفوف بمجاهل الغيب والاحداث الطارئة يقضي على الشعب السوري ان يكون كامل الاهبة مستوفي الاستعداد لمواجهة هذا المستقبل بنشاط لا يمل وعزيمة لا تفل فاذا كانت النصوص تعلن قوة الحق فان عزيمة الشعب تعلن حق القوة واخلق بمن توفرت له هاتان القوتان ان يبقى جانبه موهوبا وحقه مصونا موفوراً ،



«ننشر صورة السيد مظهر ارسلان بمناسبة تعيينه محافظا للاذقية»

مشروع المعاهدة

مشروع المعاهدة الموضوع تحت البحث والتمحيص الآن مؤلف

من قسمين احدهما اصل وهو المواد التسع المكونة منها متون المعاهدة والآخر فرعي وهو الاتفاق العسكري والبروتوكولات الخمسة والمراسلات الاحدى عشرة .

وقبل البدء بتمحيص هذين القسمين وتفصيل مضامينها ارى من المفيد ان اشير الى الفرق بينهما من جهة الاستمرار وقابلية التعديل .

مواد المعاهدة الاصلية

مواد المعاهدة الاصلية مع مقدمتها تتضمن امورا مبتوتا بها تنفذ عاجلا وامورا تستمر متمادية طول المدة المعقودة عليها فالامور النافذة عند وضع المعاهدة موضع العمل هي زوال الانتداب واستقلال سوريا الفعلي وتمتعها بالسيادة التامة داخلا وخارجا وانتقال الحقوق والواجبات السابقة الى الحكومة السورية وحدها وسقوط جميع المسؤوليات المتعلقة بسوريا عن الحكومة الفرنسية سقوطا تاما ليس له معاد ؛ فهذا القسم من المعاهدة لايخضع للتعديل ولا يطرأ عليه خلل ولا تبديل والقسم الثاني ينص على اقرار عهد سلم وصداقة دائم بين الدولتين وانشاء تحالف لمدة خمس وعشرين سنة بينهما وضعت شروطه كل منهما تجاه الاخر كما سيأتي تفصيلها عند البحث في كل مادة على حده وهذا القسم ايضا لايعرض للتعديل او التحديد الا بعد مرور عشرين سنة على وضع المعاهدة موضع العمل اذا طلب ذلك احد الطرفين واذا لم يطلب احد الطرفين ذلك فينتهي حكم التحالف بانقضاء المدة التي عقد لاجلها

القسم الفرعي

اما القسم الفرعي وهو مجموع الملاحق وان كان جزءا من المعاهدة كما نص عليه في المقدمة وله المدة ذاتها المحدد للمعاهدة فهو يخضع لاعادة النظر والتعديل في اي وقت كان عند ظهور حالات جديدة وهذا الخضوع يظهر في المادة ٦ التي جاء فيها (المدة ذاتها المحددة للمعاهده تكون للاتفاقات والعقود التطبيقية الملحقة ما لم ينص

في متنها على مدة اقصر ، او يتفق الطرفان على اعادة النظر فيها مجاراة لاوضاع جديدة فاذا لم يوافق الطرف الاخر على اعادة النظر يصار الى الاستفادة من احكام المادة التاسعة من المعاهدة القائلة بالالتجاء الي اصول التحكيم والمصالحة المنصوص عليها في ميثاق عصبة الامم)

من ذلك يتبين ان هذه الملاحق يمكن طلب تعديلها في كل حالة يظهر بها اسباب جديدة تبرر هذا الطلب .

مقدمة المعاهدة

مقدمة المعاهدة . تضمنت هذه المقدمة اعتراف فرنسا بان سوريا بلغت من الرقي الدرجة التي تؤهلها لتكون امة مستقلة صالحة للدخول في عصبة الامم عضوا دوليا مستقلا و نصت على عزم الطرفين على عقد معاهدة صداقة وتحالف وبينهما تحدد شروطها على اسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال المعترف به لكل منهما وتعين موعد دخول سوريا في عصبة الامم في مهلة ثلاث سنوات اعتبارا من مراسم ابرام المعاهدة اي بعد تصديقها من البرلمانين السوري والفرنسي والذي نرجوه هو ان تنتهي هذه المراسم في شهر كانون اول المقبل وبذلك تكون نهاية الثلاث سنوات في اواخر سنة ١٩٣٩ حين نقبل سوريا في جمعية الامم وتوضع المعاهدة بصورة نهائية موضع العمل .

وبعد خروجنا من باريز حضر وزير الخارجية الفرنسية الى جنيف في النصف الثاني من شهر ايلول وابلغ مجلس جمعية الامم خلاصة ما تم عليه الاتفاق من هذه الجهة وكان موافقا في بياناته التي صادفت عند المجلس قبولا واستحسانا

فترة الانتقال

هذه السنوات الثلاث المنصوص عليها في المقدمة هي فترة الانتقال المعينة لنقل المسؤوليات من السلطة الفرنسية الى الحكومة السورية وفي البروتوكول ذي الرقم

«٥» قد اتفقنا على ان ينتهي هـذا النقل في غضون العامين الاولين منبـا بحيث لايأتي آخر السنة الثانية الا وتكون الحكومة السورية قد استلمت من الفرنسيين جميع الادارات والمسؤوليات التي تقوم بها فرانسا اليوم باسم سوريا ولحسابها. وفي السنة الثالثة تمارس الحكومة وحدها هذه الاعمال حتى اذا حان الموعد لدخولها في عصبة الامم يكون قد مر عليها سنة كاملة وهي تمارس استقلالهـا وتضلع باعبـاء التبعات الناشئة عنه . واذا اعتبرنا انه لم يقم الى الان منذ سنة ١٩٢٠ في سوريـا حكومة وطنية مسؤولة تدير شؤونها بالاستقلال وتحمل التبعات في تسيير امـور الدولة وان مسؤولية الحكم في البلاد من جميع نواحيها مازالت في ايدي الفرنسيين تجد ان الحكومة النيابية المقبلة عليها ان تستلم في غضون هاتين السنتين كل ماقي وظائف الحكومة من فروع فلا تكون السنتان والحالة هذه مهلة طويلة للقيام بهذا الواجب الهام .

السلم والتحالف

المادة الاولى تنص على دوام السلم واقامة تحالف بين هاتين الدولتين المستقلتين المتمتعتين بالسيادة وهذا مايجري في العقود بين الند والند على اساس المساواة التامة. والمادة الثانية حصرت التشاور في كل امر يتعلق بالسياسة الخارجية من شأنه ان يمس مصالحها . وبذلك استثناء للامور غير السياسية فتبقى لسورية الحرية التـامة بعقد معاهدات واتفاقات تجارية وقضائية واقتصادية وصحية وغيرها مع اية حكومة كانت بدون ان تكون مضطرة للتشاور مع فرنسا بها فتستطيع ان تؤسس علائقهـا التجارية مع الدول الاخـرى على قاعدة المبـادلة في البيع والشراء وتجد اسواقـا حسنة لتصريف حاصلاتها الصناعية والزراعية كما انها تستطيع ان تعقد بالامور السياسية التي لاتخل بمصالح فرنسا ولا تسيء الى علاقاتها مع الدول الاخرى .

والمادة الثانية تشير الى نقل الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية التي

الحكومة السورية وحدها . وذلك نتيجة لازمة لاستقلال سورية واضطلاعها بالتبعات الدولية وقد استلمنا نسخة عن هذه العقود التي عقدتها فرنسة باسم سورية مع دول العراق وفلسطين وشرقي الاردن ومصر وتركيا لتعيين الحدود ووضع التخوم وتحديد الجمارك واعادة المجرمين وتبادل الصكوك القضائية والادخال والاخراج للعروض التجارية وسائر الامور التي اقتضتها المناسبات والصلات الراهنة بين سورية والبلاد الاخرى كالشؤون الصحية وحسن الجوار ومعاملات البرق والبريد واشباهها ومعاهدة لوزان تدخل بين هذه العقود وهذا النص موجود في المعاهدة العراقية وهو واجب حقوقي لا يمكن العمل بدونه

وتبقى لسورية الحرية التامة بفتح مفاوضات مع الدول العاقدة لاعادة النظر بهذه العقود والسعي لتعديلها بما يأتلف مع الوضع الجديد فيها.

من جملة هذه المعاهدات عهدة انقرة المعروفة التي عقدتها فرنسا مع الحكومة التركية في ٢٠ تشرين اول ١٩٢١ وفيها نصوص تتعلق بمحافظة اسكندرون ستبقى محترمة ومنفذة بعناية واهتمام .

التحالف الدفاعي

المادة ـــ ٤ و ٥ : هاتان المادتان تنصان عن التحالف الدفاعي الذي اوجب على فرنسا الاسراع لمعاونة سوريا عسكريا عند وقوع الاعتداء على اراضيها. واما معونة سورية لفرنسا عند وقوع الاعتداء على فرنسا فتقتصر على منحها التسهيلات ضمن الاراضي السورية فقط .

مسالك العبور الجوية للحكومة الفرنسية في الجو السوري معترف به بانه من مصلحة التحالف ويبقى هذا الاعتراف نافذا مادام التحالف بانقضاء مدة المعاهدة او بفسخه لسبب آخر قبل انقضائها يزول هذا الاعتراف ويبطل حق العبور الناشيء عنه ،ومن الطبيعي ان يسمح للطيارات الفرنسية ان تعبر في الجو السوري عند

الاقتضاء في مدة المحالفة مادامت فرنسا آخذة على نفسها واجب الاشتراك مع الجيش السوري بالدفاع عن الاراضي السورية .

وقد اعترف بمثل الحق في المعاهدة العراقية ليس لمدة التحالف فقط بل بصورة ابدية وهذه مزية لايستهان بها للمعاهدة السورية .

المفاوضات لتعديل المعاهدة

المادة—٦ : فرقت هذه المادة بين نصوص المعاهدة نفسها وبين الملاحق المربوطة بها بان جعلت فتح المفاوضات لتجديد المعاهدة او تعديلها جائزاً بعد مرور عشرين سنة ولاجل تعديل الملاحق جائزا في كل وقت مجاراة لاوضاع جديدة .

اذا الغيت العصبة يزول الانتداب

المادة ٧ — حددت هذه المادة موعد وضع المعاهدة موضع العمل يوم دخول سوريا في عصبة الامم اي في غضون ثلاث سنوات كما صرح به في المقدمة بصورة حازمة ولا يخفى انه اذا الغيت جمعيه الامم يزول الانتداب حتما .

الخلاف على تفسير المعاهدة

المادة ٨ و ٩ — تشير الى سقوط جميع المسؤوليات عن الحكومة الفرنسية والى اسلوب حل الاختلاف عندوقوعه بشأن تفسيرالمعاهدات او تطبيقها ونهايته الرجوع الى اصول المصالحة والتحكيم المنصوص عنها في ميثاق العصبة ، وهذا يمنع فرنسا من كل تدخل مباشر في شؤون سوريا الداخلية والخارجية بل تتصرف الحكومة السورية بامورها بالحرية المطلقة واذا وجدت الحكومة الفرنسية في هذا التصرف ما يخل بالمعاهدة لها ان تفاوضنا بشأنه وعند عدم الاتفاق على حسم الخلاف لها ان ترجع الى اصول المصالحة والتحكيم حيث تقف مع سوريا امام القضاء الدولي اسوة بما يجرى بين الدول المستقلة عند الخلاف . وهذا الحق نفسه ممنوح لسوريا عندما

تخل فرنسا بواجبها الناشيء عن المعاهدة وفي هـذه الحالة لا يخشى التدخل الكيفي المباشر وتبقى هذه المادة ضامنة لسلامة التطبيق وصيانة الصلات الحلفية بين الطرفين وحائلا دون اللجوء الى استعمال الوسائل العنيفة بجميع اشكالها .

قال بعض الناقدين ان فرنسا تستطيع بقواتها الجوية والبرية التي تبقى في لبنان وسوريا ان تعيد سيطرتها على البلاد وتفرض اراداتها متى شاءت فنقول ان المعاهدة لا تخولها ان تفعل شيئاً من ذلك بل منعتها من اي تدخل كان في شؤون سوريا . اما اذا عمدت الى خرق المعاهدة والخروج على قواعد الشرف الدولي لا سمح الله فلا فرق بين ان يكون لها قوة قريبة او ان تسوق هذه القوة من موضع آخر .وهذه المستعمرات التي امتلكتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا وسائر الدول المستعمرة لم يحل بعدها الشاسع دون اجتياحها ، وفي هـذه الحالة لا يبقى مضاء لسلاح المعاهدات ولا لنصوصها بل تبقى الكلمة للشعب بين ان يذعن للظلم او ان يثور في وجهه .

شعلة الحرية في نفس الشعب

ان فرنسا لم تستطع في عهد انتدابها ان تخمد شعلة الحرية في نفوس الشعب السوري وهو اعزل الا من سلاح الحق وهي تحمل اقوى الاسلحة وافتكها وتحمل صك انتداب من خمسين دولة يطلق يدها بالعمل كما تشاء فكيف تستطيع ذلك بعد ان ينكر عليها الاجماع الدولي حق التدخل ويصبح امامها في سوريا امة مستعدة للموت في سبيل الدفاع عن استقلالها زد على ذلك روح الديموقراطية الحرة المستولية على نفوس الشعب الفرنسي والكارهة لمباديء الاستعمار والاعتساف .

المعاهدات المعقودة بيننا

الملاحظات التي ابداها الناقدون على نفس المعاهدة التي تتلخص بما يلي :

١ — انتقال جميع الحقوق والواجبات الناشئة عن العقود الدولية الى الحكومة

السورية بدون تعيين ماهية هذه العقود والحقيقة ان هذه العقود مطبوعة جميعها في كتاب ومنشورة على الملأ وقد اطلعنا عليها كلها . واما بعد فلن تعقد فرنسا باسم سوريا عقودا جديدة الا بالاتفاق مع الحكومة السورية . ولايخفي انه لا يمكن في العرف الدولي ان يصرح بمثل هذا القيد في المعاهدة مادامت الدول الاخرى لم تعترف بعد باستقلال سوريا لكون لها الحق منذ الان بان تتولى عقد المعاهدات على ان المادة الثالثة تحصر البحث بالمعاهدات التي عقدتها فرنسا باسم سوريا وليس التي ستعقدها .

المعاهدة بين فرنسا ولبنان

اما المعاهدة المنوى عقدها بين فرنسا ولبنان فلا تدخل ضمن هذا النطاق ولا تكون ملزمة لسوريا لانها لن تعقد باسم سوريا او لحسابها . ثم ان الوضع اللبناني لا يستند الى المعاهدة العتيدة بل ان تعيين حدود لبنان سنة ١٩٢٠ وتصديق جمعية الامم على هذا التعيين في صك الانتداب باعتبار لبنان دولة ذات كيان خاص منفصل عن سوريا

حدود لبنان وتحفظات الوفد

وقد احتج السوريون على هذا التعيين عند كل مناسبة كما سجل الوفد تحفظاته بهذا الخصوص بصورة جلية ولم يتنازل لاصراحة ولا دلالة عن مطالبه عن الاراضي المنسلخة عن سوريا وعسي ان تتوفق الحكومة السورية فيما بعد الى حل موافق بحسب ما يقتضيه التطور الجديد في سوريا ولبنان

الغاء الوعد بالمساعدة

٢ — عدم وعد فرنسا في المعاهدة بمساعدتنا في تعديل العهود الدولية مستند الى كون هذا الوعد كان مربوطا بفقرة اخرى في المادة الثالثة من مشروع المعاهدة

سنة ١٩٣٣ يشير الي تعهد سوريا لفرنسا بما يبقى من الامتيازات الاجنبية لدولة اخرى فوجدنا ان العبء الناشيء مع هذا الوعد العقيم اضخم جدا من النفع المنتظر من الوعد ولذلك رجحنا صرف النظر عن نعمة الوعد ونقمة العهد مع العلم بان الوعد بالمساعدة للتعديل من فرنسا لايجدي نفعا وانما سيؤخذ هـــذا النص من من جمعية الامم باتفاق الدول كلها كما اخذ العراق فى المادة ١٣ من تعهـــده وهو الاحتفاظ بحق نقد هذه العقود عندما يكون ذلك ملحوظا.

الاتفاق العسكري - الجيش السوري

يوجب هـذا الاتفاق تقيم الحكومة السورية وزارة دفاع تتولى بالحال تأليف الجيش السوري بالحريه التامة على ان يكون الحد الادنى للقوة العسكرية السورية فرقة مشاة ولواء فرسان مع المصالح التابعة لها وهذا التحديد يطلبـه كل حليف ليكون على بينة من القوة الصغرى عند حليفه ويبقى باب الزيادة مفتوحا للحكومة السورية بقدر ما تسمح لها ميزانيتها وتقتضيها حاجة الدفاع

وبما ان الحكومة السورية ستستلم الوحدات التي انشأهـا الجيش الفرنسي من السوريين فسيكون لديها في القريب العاجل شطر كبير من هذه الفرقة يمكن القوى الفرنسية من مباشرة الجلاء ويمكن وزارة الدفاع من اكمال النقص وابلاغ هذه القوة عاجلا الى الحد الادنى الواجب عليها بلوغه

ينتقد بعضهم هذه الوحدات بانها غير متجانسة فلا تكون نواة صالحة للجيش وان تكاليفها ثقيلة بسبب ضخامة رواتب افرادها فلا يسهل على الخزينة السوريـة تحمل اعبائها مع ان الخبراء العسكريين لا يشاطرون المنتقدين هذه الملاحظة، اذ اننا لم نستلم الا الاشخاص السوريين من هذه الكتائب وبوسع القيادة السورية ان تستعمل صلاحيتها بابقاء الذين تتوفر فيهم جميع الشرائط اللازمة للخدمة في الجيش السوري، وبما ان هؤلاء القواد مرتبطون بعقود لآجل محدودة وقصيرة مثل افراد

الدرك فالقيادة السورية مخارة بتجديد الخدمة او بالغائها عند انتهاء اجل كل عقد او باقامتها على اساس آخر . وقد علمنا ان القيادة الفرنسية بدأت بتصفية هذه الكتائب منذ بضعة اشهر كما انها اخذت بتعديل اجورهم بحيث تسلم للحكومة اصغر عدد ممكن باقل نفقة مستطاعة خلوا من كل عنصر اجنبي . واما اجورهم فليست من الضخامة بالدرجة التي يتوهمها الناقدون فما يتناوله الجندي في الشهر لا يتجاوز ثماني ليرات سورية.

وبما ان هذه الكتائب مجهزة بالاسلحة والاعتاد الفنيه الحديثه ومشهود لها من القيادة الفرنسيه بالكفاءة للحلول محل القوى الفرنسيــة فاستلامهـا يسهل لوزارة الدفاع المباشرة بتشكيل الجيش السوري ويمهد سبيل الجلاء ومن الجهة الاخرى يحسن لفت النظر الى الضرر الفادح من ابقاء هذه الكتائب السورية ضمن البلاد لخدمة الجيش الفرنسي الذي يكون مضطرا في هذه الحال الى تسريح افرادها وضباطها حالا بتعويض ثقيل واما الى ابقائها في خدمته ضمن بلادنا وهــذا مخالف لمبدأ الاستقلال واما الى تهجيرها الى مستعمراته وهو اشد وانكى .

البعثة العسكرية

بناء على طلب الحكومة السورية تضع فرنسا تحت تصرف هذه الحكومة بعثة عسكرية تحدد مهمتها وتأليفها ونظامها باتفاق خاص .والحكومة السورية تستخدم افراد هذه البعثة بالاسلوب الذى تراه نافعا لها ولن يكون لرجالها الا الصفة الاستشارية وابداء الرأي دون الصفة التنفيذية الآمرة اسوة بسائر البعثات العسكرية التي تأخذها مبتدئة من دولة قديمة عريقه في التنظيم العسكري وعبارة المادة الثالثة القائلة بوضع هذه البعثة تحت تصرف الحكومة السورية يفيد صراحة انهــا تكون مأمورة لاآمرة . فالحذر من هذه الجهة ليس له مبرر . واما الاتفــاق المشار اليه في المادة فيوضع لبيان عدد اعضاء البعثة ورتبهم ورواتبهم واجازاتهــم والاعمــال التي

يكلفون بها . واما استخدام المعلمين والاختصاصيين الفنيين فيكون ايضا اختياريا وعند الحاجة اليه بموجب مقاولات خاصة . وجميع ذلك لايضير استقلال سوريا ولا يخل بسيادتها مادام استخدامهم اختياريا وصلاحيتهم استشارية وما دام الخبراء العسكريون يقولون بضرورة هذه الاستعانة .

القوى الجوية

لن يكون لفرنسا في سوريا للقوى الجوية سوى قاعدتين تختار موقعها بعيداً عن المدن لاقل من اربعين كيلو متراً وحالما يتم انشاء هاتين القاعدتين تنتقل اليها القوة الفرنسية الموجودة حاليا في قاعدتي المزة والنيرب وتستلم الحكومة السورية هاتين القاعدتين للقوى الجويه السورية التي ستنشئها كما تستلم المحطات اي منازل الطيارات الموجودة في تدمر ، واسكندرونة ، والقامشلي ، ودير الزور والحسكة وغيرها وتبقى جميع هذه المنازل ملكا للحكومة السورية كما انها تستولي على المنازل الاخرى التي يرى الطرفان باتفاقهما ضرورة لانشائها قياما بحاجات الدفاع عند الاقتضاء .

والقصد من ذلك ان الحكومة السورية تتعهد بابقاء هذه المنازل صالحة لنزول الطيارات فيها ولا يجوز لها الغاؤها وابطالها وهي من وسائل الدفاع الواجب اعدادها استعداداً للطوارئ المفاجأة والحكومة السورية تفرز قطعا من جيشها لحراسة قاعدتي الطيران على ان تدفع الحكومة الفرنسية نفقات هؤلاء الحراس من ذلك يتبين ان فرنسا لن يكون لها حق الحماية والمحافظة في الاراضي السورية حتى في قاعدتي الطيران الخاصتين بها بل تعود هذه المهمة للجيش السوري وتعهدت الحكومة الفرنسية بالاتفاق على منازل الطيران الحالية موقتا الى ان تتمكن الحكومة السورية من استلامها واستخدامها لطياراتها العتيدة .

القوى البرية الفرنسية

في اثناء دورة الانتقال تجلو الجنود الفرنسية البرية عن البلاد وتحل محلها قوى الجيش السوري .

وعند دخول المعاهدة في دور العمل لايبقى لفرنسا منها الا الوحدات الموجودة حاليا في جبل الدروز وبلاد العلويين وسيتفق الطرفان المتعاقدان في هذه الدورة على تحديد نقاط اقامة هذه الجنود التي يتأخر جلاؤها خمس سنوات .

وان يكون لهذه القوى الفرنسية المتأخرة في البلاد اي تدخل في شؤونهالاي سبب كان اذ ان مسؤولية الامن في سوريا هي على الحكومة السورية وحدها بحكم الفقرة الاولى من المادة الخامسة من المعاهدة واستبقاء هذه القوى في مختلف النقاط لايفيد احتلالا ولا يمس بحقوق السيادة السورية بحكم الفقرة الاخيرة من المادة(٥) من الملحق العسكري .

اما عدد الجنود المتأخرة في هاتين النقطتين فان يكون اكثر من الموجود الحالي قيما وهو بكل حال اقل من العدد الذي استبقته بريطانيا في الهنيدي والموصل لمدة خمس سنوات ايضا . ولا ننس ان لبريطانيا الحق بنقل هذه الجنود بعدالسنوات الخمس الى قواعد الطيران وليس في المعاهدة السورية شيء من ذلك .

ولا يغرب عن الذهن ان المادة(٦) من المعاهدة اجازت اعادة النظر والتعديل في امثال هذه المنح عند ظهور اوضاع واحداث جديدة مثل تكامل الجيش السوري والتوثق من عدم الحاجة لبقاء القوى الفرنسية لآخر السنوات الخمس المذكورة

ولست ادري كيف استنتج زعيم كبير في نقده للمعاهدة تدخل الجيش الفرنسي في حفظ نظامنا الداخلي بالاضافة الى حقه في حفظ الامن الخارجي . بينما الفقرة الاولى من المادة الخامسة تصرح بان مسؤولية حفظ النظام في سوريا ومسؤولية الدفاع عن اراضيها هما على الحكومة السورية . فاي دخل للحكومة الفرنسية .

والفقرة الثانية من هذه المادة هي :

والحكومة الفرنسية تقبل بتقديم مساعدتها الفرنسيه لسوريا مدة المعاهدة وفقاً لنصوص الاتفاق الملحق .

نعود الى هذا الاتفاق فنجد ان المساعدة العسكرية المنصوص عنها فيه والمقصودة بهذه الفقرة معدودة في المادتين ٣ و ٤ منه ومحصورة بوضع بعثة عسكرية تحت تصرف الحكومة السورية عند طلبها وبقبول الاشخاص الذين ترسلهم سوريا ليتعلموا الفنون العسكرية في فرنسا وبتقديم الاسلحة والتجهيزات من احسن طراز او ليس في هذا كله ما يبيح للحكومة الفرنسية ان تتدخل بشؤون سوريا .

والفقرة الثالثة والاخيرة من المادة الخامسة تنص هكذا :

تسهيلا لقيام الحكومة الفرنسية ، بالواجبات المترتبة عليها بموجب المادة السابقة من هذه المعاهدة تعترف الحكومة السورية بان استمرار بقاء مسالك العبور الجوية (الترانزيت) للحكومة الفرنسية هو من مصلحة التحالف .

ولما كانت المادة ٤ السابقة من المعاهدة والمشار اليها في هذا النص تنحصر بحلف الدفاع الخارجي فمسالك العبور المذكورة هي لاجل هذا الدفاع فقط ولا علاقة لها بالامن الداخلي ، واذا رجعنا الى المادة (٥) من الاتفاق العسكرى الخاصة بالقوى الفرنسية الجوية والبرية نجدها مفتتحة بالعبارة التالية :

وعملا باحكام الفقرة الثالثة من المادة (٥) من المعاهدة تتعهد الحكومة بان تضع تحت تصرف الحكومة الفرنسية لمدة التحالف مواقع لقاعدتين جويتين الخ . .

فكل ما جاء في هذه المادة هو اذن معطوف على الفقرة الثالثة من المادة (٥) من المعاهدة اي لاجل تسهيل مهمة فرنسا في تنفيذ تعدها بمساعدة سوريا في الدفاع الخارجي ، سواء كان ذلك بواسطة طياراتها او بواسطة قواها البرية التي يتأخر جلاؤها الى ان يتم تأليف الجيش السورى .

التسهيلات الممنوحة

هذه التسهيلات المسروده في المادة (٦) من الملحق العسكري تتضمن ترتب الاجرة على الفرنسيين عندما يستعملون المرافق المحلية وانما اشترط فيها ان لا يكلفوا بتعرفة متفاوتة توضع ضدهم زيادة عن التعرفة لسائر الافراد وان لا تزيداعباء الاجور على ما يتحملونه في الوقت الحاضر فقول بعض الناقدين ان الحكومةالسورية مجبرة على تقديم المواقع والامكنة مجانا هو غير مؤتلف مع النص الوارد في هذه المادة وستوضع اتفاقات خاصة بين الطرفين لتحديدالانتفاع وتعيين الاعباء المترتبةعليه

الميزات و المناعات

ظن البعض خطأ ان الميزات والمناعات التي سيتمتع بها الفرنسيون في ظل المعاهدة هي عين ما يتمتعون به حاليا ، مع ان المادة السابقة من الاتفاق العسكري تنص على انها تبقى كما تكون عند وضع الاتفاق موضع التنفيذ اي في نهاية دور الانتقال وجاء البروتوكول رقم (١) موضحا ان الطرفين يحددان قبل دخول المعاهدة في دور العمل الميزات والمناعات المذكورة في المادة (٧) من الاتفاق العسكري وفاقا للاساليب المتبعة في الحالات المشابهة .

فيتبين من ذلك ان هذه الميزات ليست ما هو جار حاليا بل سيوضع لها تحديد واضح وفاقا لما يجري بهذا الخصوص عند وجود قوى حليفة في ارض حليفتها وهذا الاتفاق سيبدأ بوضعه بعد تصديق المعاهدة وينفذ قبل وضعها موضع العمل ولن يكون فيه ما يجعل هذه الميزات والمناعات اقوى من امثالها في العراق ، وهي تتعلق بالقضاء العائد للجنود او عليهم وبالاعفاء الجمركي لاعتاد الجيش والاعفاء من الضرائب اما الموظفون المدنيون الذي تقضي المعاهدة وجودهم في سوريا فميزاتهم تحدد في مقاولات استخدامهم ولا تتناول اعفاءات جمركية ، وفضلا عن ذلك فان المادة (٧) المذكورة تنص على امكان التعديل في كل ما تتفق عليه في هذه الميزات .

العقارات والتأسيسات التي تستلمها سورية من فرنسا

الابنية التي انشأتها القوى الفرنسوية باموالها مع التأسيسات التي اقامتها ولا تزال باقية وصالحة للانتفاع كشبكة الهاتف مثلا تسلمها للحكومة السورية مقابل القيمة التي تقدرها لها لجنة خبراء تحكيمية من الطرفين (الفقرة الاخيرة من المراسلة رقم ١١) واما التي انشئت باموال من ميزانية المصالح المشتركة فتسلم بلا مقابل واكثر المؤسسات هي من هذا القبيل ، لذلك لا يكون العبء المالي ثقيلا من هذه الجهة .

وفي الاتفاق العراقي على امثال هـذه المؤسساب تعهد العراق ان يدفع بدلها لبريطانيا ثلث النفقة المصروفة على انشائها بموجب قيود وزارة الحربية والطيران وذلك انهم حسبوا ان هذه الانشاءات لن تكون قيمتها الباقية لها عند الاستلام اكثر من ثلث الكلفة الاصلية بعد ان يمر على استعمالها اكثر من عشر سنوات وبعد هبوط الاسعار الذي اصبح فاحشا بالنسبة الى ما كان عليه يوم الانشاء في جميع انواع العقار وقد ذهب بعض المنتقدين خطأ الى كون العراق كلف بدفع ثلث القيمة الحالية فقط مع ان ذلك مخالف للواقع ، ولا ريب ان العقارات التي ستعملها الحكومة السورية لن تساوي عند الاستلام ثلث المبالغ المقيدة في وزارة الحربيـة الفرنسية نفقه على انشائها فصفقتنا من هذه الجهة ليس فيها ما يوجب انتقاداه اما منازل الطيران فتستلمها سورية بدون ان تكلف بدفع شيء مقابل ومثلها الطرق التي انشأها الجيش الفرنسي وجميع ما انشيء من قبل الجنود السوريين ومن ميزانية المصالح المشتركة

الموظفون الاجانب

المراسلة رقم ٢

استخدام الموظفين الاجانب ليس اجباريا على سوريا بل هي مختارة بذلك فاذا

تجلت لها حاجة لجاب احدهم تأتي به من فرنسا دون ان يكون للحكومة الفرنسية علاقة بانتقائهم والاتفاق معهم بل تختارهم الحكومة السورية من بين الاشخاص الفرنسيين الذين يتقدمون لطلب الخدمة وتعقد معهم مباشرة فيكونون مسؤولين امامها وحدها بجميع ما يعهد اليهم به من الاعمال وهذا الاطلاق يتناول المستشارين الفنيين والقضاة وسائر الموظفين الذين ترى الحكومة السورية لزوما لوجودهم في سوريا ، والذي ترجوه هو ان كفاءة رجل سوريا واستعدادهم للعمل الحازم في جميع نواحي الادارة تؤول الى الاقلال من هؤلاء الفنيين الى الحد الادنى اذا لم تكف للاستغناء عنهم بتاتا

في المعاهدة العراقية ينتقي الموظفون البريطانيون بالاتفاق بين الحكومتين وتجاه هذا التقييد تظهر مزية معاهدتنا بجلاء لا تخفى على البصير .

اما كون الحكومة العراقية تستطيع ان تأتي بغير البريطانيين للوظائف التي لا يتيسر لها طالب بريطاني فذلك حق طبيعي لا يمارس في جواز استعماله ولا حاجة لذكره بالنص الصريح فعند عدم وجود افرنسي يلبي الدعوة يحق للحكومة السورية استخدام رجل غير فرنسي سواء ذكر ذلك ام لم يذكر ، من ذلك نرى ان المقايسة بهذا البند بين معاهدتنا والمعاهدات الاخرى تسجل لمعاهدتنا رجحانا عظيما والمجربون يقدرون الفرق في الانقياد بين موظف اجنبي ارسلته حكومته وبين موظف اجنبي جئنا به بدون تدخل حكومته .

التمثيل الخارجي

مراسلة رقم ٣ و ٤ المعاهدة السورية اطلقت الحق لسوريا باقامة ممثلين سياسيين في اي بلد كان يري لها فيه مصلحة سياسية او تجارية ولما كان السوريون منتشرين في اكثر اقطار الدنيا فان يكون عليها عسيراً ان تجعل لها من ابنائها المهاجرين ومن رجالها البارزين ممثلين وقناصل ووكلاء قناصل وقائمين بالاعمال في جميع المراكز التي لها بها علاقات تستدعي هذا التمثيل وتقوم وارداتها بسد نفقاتها ، في المراكز

الاخرى التي ليس لها فيها مصالح ولا لها علاقات ذات اهمية فيمكنها ان تعمد بما قد يقع لها او رعاياها من الاعمال الى ممثلي حليفتها فرنسا وفاقا للتعامل الدولي المتبع في مثل هذه الحالات . واذا ظهر من ممثلي فرنسا تقصير اواهمال في القيام بهذا الواجب يبقى مجال اعادة النظر بمضمون هذه المراسلة مفتوحا بالاستناد الى هذا الحق المنصوص عنه في المادة السادسة من المعاهدة ، والاتفاق الخاص الذي يتم بين الحكومتين لتنفيذ هذا البند سيضمن سلامة المعاملة .

في المراسلة رقم ٤ يكون الممثل الفرنسي في سوريا برتبة سفير وبنتيجة هذه الرتبة تبقى له حق التقدم على غيره من ممثلي الدول الاخرى الذين ليس من الملحوظ ان يكون احد منهم بهذه الرتبة وهذا الوضع هو عين المتفق عليه في العراق وفي مصر . اما الممثل السوري في فرنسا فيكون برتبة وزير مفوض .

الحقوق الدستورية ، ضمانها من حكومة سوريا

مراسلة رقم ٥ وضعت جمعية الامم شروطاً جمة على كل دولة فيها اقليات عنصرية او لغوية او دينية لاجل تأييد المساواة في الحقوق العامة بين جميع افراد الرعية واوجبت التعهد بها بصكوك مسهبة على رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وتشكوسلوفاكيا وغيرها من الدول الداخلة في جمعية الامم .

وقد جاء في تعهد الحكومة العراقية المؤرخ في ٧ ايار سنة ١٩٣٢ انها تتعهد بان تمنح جميع سكان العراق حماية تامة بدون تفريق الجنس واللغة والدين فيتمتعون بممارسة طقوسهم الدينية وحرية الاعتقاد وبالحقوق المدنية والسياسية ويؤمن قانون الانتخاب تمثيلا عادلا للاقليات وفي الوظائف والامتيازات التشريعية واستعمال لغاتهم حتى في المعاملات الرسمية وامام المحاكم ويحتفظون بالمؤسسات الخيرية والمدارس وقواعد الاحوال الشخصية وادارة اوقافهم فكل مايخطر على البال من القيود

والتفاصيل المسهبة في عشر مواد وضعوها لاجل حماية الاقليات وقد نصت المادة الاولى منها على اعتبار الاحكام المنصوص عنها في هذا الفصل قوانين اساسية في العراق ؛ ولا يمكن لاي قانون او نظام او اي عمل رسمي كان ان يعارض هذه الاحكام، او يناقضها او يتغلب عليها في الحاضر او في المستقبل . وفي المادة (١٠) من هذ التعهد ان احكام هذه المواد تعتبر عهودا ذات صبغة دولية تضمنها جمعية الامم ويحقق لكل عضو في مجلس جمعية الامم ان يطالب بتنفيذها امام الجمعية وان يراجع محكمة العدل الدولي الدائمة لاجلها والعراق يذعن لما تصدره من الاحكام

في المراسلة الخامسة الملحقة بالمعاهدة السورية بيان من الحكومة السورية انها تؤمن بقاء ضمانات الحقوق العامة المنصوص عنها في دستورها للافراد والجماعات هو امر طبيعي وبيان يعطى للاعراب عن نيات الحكومة السورية وتطمين جمعية الامم من هذه الناحية ولا يفسح للحكومة الافرنسية مجال التدخل المباشر بشؤون سوريا من هذه الجهة الا بطريق الشكوى لجمعية الامم وفقا للمادة ٩ من المعاهدة كما يحق لكل دولة من اعضاء مجلس العصبة ان ينقدم بمثل هذه الشكوى على سوريا او من غيرها من الدول الداخلة في العصبة عندما تتحقق منها اخلالا بهذه التعهدات

ولما كانت المادة (٨) من المعاهدة تصرح بسقوط جميع المسؤوليات المتعلقة بسوريا عن فرنسا فلا تكون فرنسا مسؤولة امام العصبة اكثر من غيرها من دول المجلس

ولما كانت الامة السورية متحدة صفا واحدا للعمل المخلص في سبيل صيانة مصالحها العامة وترصين كيانها السياسي والاجتماعي ولا تؤمن بوجود اقليات مفتقرة لحماية حقوقها بل هي عازمة عزما اكيدا على تقديس قاعدة المساواة في الحقوق العامة بين جميع ابنائها بدون تفريق في العنصر او المذهب وكان الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية سنة ١٩٢٨ والذي وضعه المؤتمر السوري سنة ١٩١٩ ينصان على احترام هذه الحقوق واعطائها كامل مفعولها فلسنا نعتقد انه يكون هناك اية وسيلة لاية دولة ان تتقدم بالشكوى منا الى جمعية الامم بهذا الخصوص.

نحن نريد ان يقوم الكيان السوري على اساس المدنية البحتة والديموقراطية الصحيحة المرتكزة على قاعدة المساواة امام القانون بين جميع ابناء الوطن في الحقوق والواجبات بدون تفريق . مع اطلاق حرية الاعتقاد في الاديان السماوية والتصريح لكل طائفة بممارسة طقوسها وتنظيم الاحوال الشخصية لابنائها بموجب قواعد ديننا المؤتلفة مع الآداب العامة والنظام العام والفرنسويون انفسهم يعرفون اننا يالغون في بلادنا من هذه الحرية مالم تبلغه شرائعهم . والقيود الموضوعة في قانونهم المدني لاجل توحيد القضاء في الاحوال الشخصية لجميع الطوائف الدينية لاوجود لها في قوانينا . فهذا التسامح القائم عندنا منذ القديم على قاعدة (ان لا اكراه في الدين) فسح المجال لكل طائفة بانشاء مدارسها وتأسيس اوقافها للخيرات والمبرات والاحتفاظ بشرائعها في تنظيم العائلة والاحوال الشخصية هو كاف لتطمين الاقليات على حقوقهم وضامن لتأييد الوحدة القومية التي عليها وحدها يرتكز البنيان المدني الذي تصبو اليه وبها وحدها تتخلص الاقلية من وصمة الضعف اللاصقة بها .

المؤسسات الاجنبية للخير والاسعاف و بعثات الاثار

مراسلة رقم ٧ ضمنت هذه المراسلة الانتفاع من النظام الحالي لمؤسسات الخير والاسعاف وبعثات التنقيب الأثرية . والنظام الحالي يفيد السماح لها بالاستمرار في اعمالها تحت حماية القانون على ان لاتخل بالآداب العامة والنظام العام وتخضع للتفتيش والمراقبة من قبل السلطة ذات السيادة وهذا التفتيش على برامجها وسائر اعمالها يقوم به اليوم مستشار المعارف والتابعين بهذه المهمة لسلطة الانتداب ، اما في ظل المعاهدة فتنتقل هذه الصلاحيات الى وزارة المعارف السورية التي يبقى عليها الواجب المحتوم بالمحافظة على وحدة برامج التعليم وصيانة الاثار من التسرب الى الخارج .

النص المقابل في تعهد الحكومة العراقية وارد في المادة (١٥) منه هكذا .

يتعهد العراق بان يؤمن ويضمن في جميع اصقاعه حرية الضمير وممارسة الشعائر الدينية ومساعي البعثات التبشيرية على اختلاف عقائدها بما يتعلق بالدين والمدارس والاسعاف الطبي مهما كانت جنسية تلك البعثات او جنسية اعضائها على ان يحتفظ بحقه في اتخاذ التدابير التي لابد منها للمحافظة على الآداب العامة والنظام العام .

ومن البديهي انه اذا ظهر وضع شاذ من البعثات العلمية والاثرية يكون واجب الحكومة حرمان هذه البعثات من التسهيلات والمساعدات الممنوحة لها .

الحقوق المكتسبة

مراسلة رقم (١) الحق المكتسب لايجوز انكاره على صاحبه واذا انكره المتغلب يوصم عمله بالعسف والاجحاف وتشجبه مبادئ العدل والانصاف . وانما ينظر في اول الامر الى تمحيص الحق المدعى به وكيفية اكتسابه فاذا كان كتب بطريق مشروع وجب أن يبقى محترما .

الوضع الدولي لسورية هو الوضع الذي اوجدتها به جمعية الامم واقرته الدول الداخلة فيها رغما عن انكاره من قبل اكثرية السوريين. ولاجل التخلص من هذا الوضع لم يكن امامنا الا طريق واحد هو الطريق الذي سلكناه بعد ان جربنا طرقا اخرى لم تجدنا نفعا .

القطر العراقي الشقيق لم يتخلص من الانتداب الا بهذه الطريقة التي نواجهها اليوم بموجب مشروع المعاهدة المعروض امامنا . وفيما يتعلق بالحقوق المكتسبة صرحت حكومته في المادة (١٤) من تعهدها المؤرخ في ٧ ايار سنة ١٩٣٢ بان حكومة العراق تعلن احترامها لجميع الحقوق على اختلاف انواعها المكتسبة قبل زوال نظام الانتداب من قبل الافراد او الشركات او الاشخاص المعنويين وتتعهد باحترام وتنفيذ الموجبات المالية من اي نوع كانت التي اقرتها عنه السلطة المنتدبة في اثناء الانتداب

اما نحن فقد وضعنا تحفظ لهذا الاعتراف باجراء التعديلات الممكنة على الامتيازات والاتفاقات التي تمس مالية الدولة والادارات العامة مجاراة للاحوال المالية والاقتصادية في سورية وهذا التحفظ سيكون له شأنه في ازالة الاضرار الناشئة او تخفيفها عند اعادة النظر في بعض الامتيازات الممنوحة من قبل سلطة الانتداب وحكومات سوريا السابقة كمقاولات الخطوط الحديدية التي عقدتها رئاسة حكومة الاتحاد سنة ٩٢٥ لمدة ٨٠ سنة وعقود الماء والجر والتنوير في دمشق وحلب وحمص وحماه المعقوده من قبل رئاسة الوزراء بعد هذا التاريخ وامتياز المصرف السوري الذي منحته رئاسة الاتحاد سنة ١٩٢٤ لمدة ١٥ سنه . ولا ريب ان الحكومة السورية العتيدة ستعالج هذه الامور واشباهها لاجل افراغها في صيغة جديدة تأتلف مع العدل والانصاف ومع الحالة الاقتصادية في البلاد .

تعادل العملة

مراسلة رقم ٩ العملة السوريه قائمة اليوم على اساس الامتياز الممنوح لمصرف سوريا ولبنان الكبير من قبل رئاسة حكومة الاتحاد السوري لمدة ١٥ سنة اعتباراً من تاريخ العقد في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ منح المصرف بموجب هذا الاتفاق حق اصدار اوراق نقدية لحد (٢٥) مليون ليرة سورية تؤدى قيمتها لحاملها حوالات على باريز اومرسيليا بمعدل عشرين فرنكا افرنسيا مقابل كل ليرة سورية ولم تكلفه الاتفاقية ايداع تأمين احتياطي ذهبي او اسناد اجنبية مشروط دفعها ذهبا الا بكسر تافه من الاوراق المتداولة لم يتجاوز في وقت ما الثلاثة في المئة وهذا الكسر الصغير لا يستفيد منه حاملوا العملة الورقية عند هبوط الفرنك بل تبقى فائدته لاصحاب المصرف وعلى هذا الوجه اصدر البنك اوراقا يوم كانت قيمتها تعادل نحو ٤٠ غرشا ذهبا عثمانيا عن كل ليرة سورية ثم اخذت بالهبوط الى

ان بلغت ١٨ غرشا حين ثبتت الحكومة الفرنسية قيمة الفرنك سنة ١٩٢٦ بمقدار ٦٥٥ تلغراما من ذهب ذي العيار تسعة اعشار وفي ٢ تشرين اول عام ١٩٣٦ عادت حكومة فرنسا نخفضت قيمة الفرنك الى حد يتراوح بين ٤٣ و ٤٩ ميليغراما من الذهب . فكان من نتيجة هـذا الخفض ان خسر حاملوا الورق النقدي السوري خسارة جسيمة اما الحكومة الفرنسية فانها عمدت الي هذا الخفض الاختياري طمعا بنيل الربح الجسيم الذي تم لها منه وذلك انها في امتيازها الممنوح لبنك فرنسا اعتطه حق اصدار الورق مقابل ضمانات احتياطية ذهبية واسناد اجنبية مشروط دفعها ذهبا ليشتريهـا البنك بالورق الذي يصدره فعند خفض قيمة الفرنك ترتفع اسعار هذه الضمانات ويكون الربح الحاصل من هذا الارتفاع عائد للحكومة الفرنسية وبهذه الوسيلة ربحت الخزينة الفرنسية نحو سبعة عشر ملياراً من الفرنكات الى ٨٥٠ مليون ليرة سورية استوفتها بتمامها من بنك الاصدار .

واما مقاوله الحكومة السورية مع بنك سوريا ولبنان فليس فيها شيء من هذه الشروط الضامنة لحقوق البلاد التي نكبت في اقتصادياتها نكبة حاطمة بسبب هـذا العقد الذي جعلها شريكة بالغرم دون الغنم ولا ريب ان الحكومة السورية العتيدة تحرص على ايجاد وسيلة لاصدار عملتها على اساس صالح لضمان حقوق البلاد ولن توافق على ايجاد تعادل الا على اساس ثابت يمكنها من الاشتراك بالغنم عنـد حصوله فليس التعادل في العملة بين دولتين ضاراً في مصالحها وانما الضار هو القواعد الجائرة يبنى عليها هذا التعادل في العملة بين دولتين ان تبقى مقدرات هذه العملة رهن ادارة دولة واحدة منهـا لذلك فالتعادل المذكور في المراسلة رقم (٩) يقوم على اساس معيار ثابت لا يتغير فاذا ظهر وضع جديد يصار الي العمل بحكم المادة (٦) من المعاهدة لاجل تعديل الاتفاق او الغائه .

ومن المفيد الاشارة بهذه المناسبة الي قيام التعادل مع العملة الانكليزية في مصر

وفي العراق وفلسطين والهند والى ان الدول العظمى انكلترا وفرنسا واميركا تعرض الوقت الحاضر لتأسيس تعادل ثابت بينهما في العملة فالعبرة اذن هي في شروط هـذا التعادل والقواعد التي يبنى عليها لصيانة الحقوق وتسهيل المعاملات .

المصالح المشتركة

بروتوكول رقم ٢ و ٥ عند مواجهة الامر الواقع بانفصال لبنان عن سوريا انفصالا سياسيا لايبقى للمفاوض السوري في معالجة هذه العقدة الا الاحتفاظ بحقوقه لوقت آخر والانفراد بادارة مصالحه الاقتصادية مع ابقاء الباب مفتوحا لايجاد حل آخر جدير بالقبول فلا يمكننا الآن ان نستبق الحوادث ونتكهن عما تصير اليه الامور حيال التطورات الحاضرة والآتيـة وما يستقر عليه رأي الاكثرية في لبنان بعد ان ينال استقلاله وتصبح مقدراته في ايدي ابنائه الذي لا نشك ان المقيمين منهم والمهاجرين يقدرون مثلنا الاضرار الجسيمة الناجمة عن هذا الانفصال ويحسبون لها حساب البصير الحكيم وانا نراقب المستقبل القريب بالامل المحبوب ان نؤلف مع اخواننا اللبنانيين كيانا سياسيا واحـداً توحده القومية واللغة والتاريخ والوضع الجغرافي والعادات وهم يعرفون جيداً انهم غير بالغين حالة الاستقرار التي هم باشد الحاجة اليها مادام الشطر الكبير منهم غير راض عن الوضع الحاضر وما دامت شقيقتهم سوريا تعاني آلام الحجب عن منافذها الطبيعية ; وبما اننا دنونا من عتبة المفاوضة مع الحكومة الفرنسية لاجل حل هـذه العقدة الباقية فاننا نعقد آمالا طيبة على انهم يسهلون قطع هذه المرحلة ويشتركون معنا في الرغبة بالاتحاد .

نظام اللامركزية

مراسلة رقم ٦ محافظة الاسكندرون تدار منذ سنة ١٩٢٠ بنظام خاص حفظ


دمشق
السيد فارس الخوري
السيد فخري البارودي
السيد جميل مردم بك
السيد فائز الخوري
السيد احسان الشريف
السيد لطفي الحفار
السيد عفيف الصلح
السيد منير العجلاني
السيد صبري العسلي
السيد احمد اللحام
السيد شكري القوتلي
السيد جورج صحناوي
السيد يوسف لنيادو
السيد نسيب البكري

لسكانها ادارة ممتازة في المالية والتوظيف وبالنظر للوضع الخاص القائم في مقاطعتي العلويين وجبل الدروز اتفق الوفد مع الحكومة الفرنسية على ضم هاتين القطعتين الى سوريا على ان يطبق فيهما النظام الحكومي الجاري في محافظة الاسكندرونة وبما ان هذا الضم هو نتيجة المعاهدة فانه يتم بالفعل حال تصديقها في مجلس النواب السوري وقد تخوف احد الناقدين من الرجوع عن قرار الاتفاق مع ان هذه المعاهدة واجب تنفيذها على الحكومة الفرنسية .

نفقات الانتداب

مراسلة رقم ١١ في الواقع لم تستوف بريطانيا في العراق نفقاتها في مدة انتدابها ونحن لنا الحق بحكم اتفاق اول آذار ان نستفيد بمثل ذلك ورغما عن كون نفقات انتداب بريطانيا بالعراق كانت اقل من نفقات فرنسا في سوريا بالنظر لقصر مدة الانتداب العراقي ولقيام حكومة عراقية منذ (١٩٢١) تمارس صلاحيتها الواسعة فقد توفق الوفد الى حمل فرنسا عن التنازل بنفقاتها التي يخولها صك الانتداب الحق بالمطالبة بها . وهي تبلغ بحسب قيد الميزانية في فرنسا (٢١٦) مليون ليرة سورية .

النظام القضائي

بروتوكول رقم (٤) وظائف الحكومة السورية جميعها بمعزل عن تدخل الاجنبي فهي تدير الاشتراع وتحفظ الامن وتنظم المالية والمعارف وسائر فروع الادارة في الحرية التامة ولولا قضية الامتيازات الاجنبية الموروثة عن الامبراطورية العثمانية لما كان لبحث القضاء مدخل بمشروع المعاهدة ولكن عند تأسيس الانتداب اتفقت الدول ذات الامتيازات ان تؤجل العمل بامتيازاتها مادام الانتداب قائما واشترطت العودة اليها بحال زوال الانتداب . ولما كانت معاهدتنا الحالية تنص عن زوال


نواب حلب
وضواحيها
السيد سعد الله الجابري
الدكتور عبد الرحمن الكيالي
السيد حسن فؤاد ابراهيم باشا
السيد سعيد الكيالي
السيد ادمون رباط
السيد فتح الله آسيون
السيد حكمت حكيم
السيد عبد القادر الكرسي
السيد ناظم القدسي
السيد سعد الدين الجابري

الانتداب فلكي يكون المشروع مقبولا عند هذه الدول بحيث يتضمن نصا عن اسلوب القضاء الضامن لحماية مصالح الاجانب وبما انه سبق للعراق ان وضع بالاتفاق مع بريطانيا اسلوبا لهذه الغاية قبلته جمعية الامم والدول صاحبة الامتيازات رأى الوفد والحكومة الفرنسية ان يحذوا هذا الحذو ويباشرا بعد تصديق المعاهدة وضع نظام مستمد من القاعدة المؤسسة بين الطرفين في اتفاق اول آذار وهي ان لاتقل حقوق سوريا في المعاهدة عن حقوق العراقيين وهكذا سيكون النظام القضائي هذا شبيها بالنظام العراقي وفيه ان اللغة العربية وحدها اللغة الرسمية فيه وان العراق يستخدم في محاكمه تسعة قضاة انكليز لمدة عشر سنوات الى آخر ماهنالك من التفصيلات هذا هو مشروع المعاهدة وملاحقها نشر على الامة السورية واطلعت عليه فقابلته في داخل البلاد وخارجها بالرضى والموافقة .

منتقدو المعاهدة ومعارضو مشروعها

اما الانتقادات التي ظهرت في بعض الصحف فليست معارضة بالمعنى المراد في هذه الكلمة من العرف الحزبي اذ ان المعارضة تستدعي الدعوة لرفض المشروع ومؤازرة مشروع آخر وبما انه ليس في هذه الحالة شيء من ذلك فانني احسب المعارضة البادية انتقادات وملاحظات عن المشروع املاها في الغالب على اصحابها المبالغة في الحرص على مصلحة الامة وشدة الحذر على مستقبلها وقد صرح رئيس الوفد واعضاؤه مرارا بانهم لايدعون ان هذا المشروع يحقق جميع المطاليب دفعة واحدة ولكنه ينقذ الامة الكريمة من دور الانتداب ويدخلها في دور الاستقلال ويفسح المجال لابنائها لاظهار كفاءتهم واستثمار مواهبهم وبحكم هذا الاستقلال يقوون احراراً باشتراع القوانين بواسطة نواب الامة وتحديد الضرائب والرسوم وتعيين وجوه الاتفاق للمصالح العامة وادارة امورنا الاقتصادية بما يضمن لنا المنفعة والانتعاش وانشاء جيش وطني وقوة امن داخلي والسيطرة على اساليب الانفاق العامة .



الامير فواز الشعلان
السيد هاشم الاتاسي
السيد رشيد الحسيني
السيد جميل الشماط
السيد عاصم المحمود
السيد مظهر رسلان
السيد نجيب البرازي
الدكتور توفيق الشيشكلي
السيد محمد خير عقيل
الامير فاعور الفاعور
السيد عبدالله فزلوح
السيد محمد محمود
السيد حكمت الحراكي
السيد محمد المفلح
السيد اسماعيل الحريري
السيد مصطفى المقداد
السيد يونس الحنشور
السيد عمر الدلال

الفصل الخامس

الانتخابات ونتائجها في المدن السورية

بعد عودة الوفد من فرنسا وعرض المعاهدة السورية الافرنسية على الشعب السوري وحلولها محل الرضى على من عامة الناس ـ الا من نفر قليل من المعارضين ـ رأت الحكومة ان تباشر بالانتخاب فاعدت لوائحها على اثر مرسوم جمهوري وبعد ان دارت رحى المعركة الانتخابية فاز بالنتيجة كل من النواب الذين ترى صورهم في صفحات خاصة .

خلاصة جلسات المجلس النيابي

في الساعه (١٠) من يوم الاثنين في ٢١ كانون اول ١٩٣٦ اجتمع المجلس النيابي برئاسة اكبر الاعضاء سناً نائب انطاكيه السيد محمد الاضه لي وقد اخذ اصغر الاعضاء سناً لامانة السر وهما ناظم القدسي والدكتور منير العجلاني ثم افتتحت الجلسة وبوشر بالانتخاب ففاز السيد فارس الخوري ثم بوشر بانتخاب نائبي رئيس ففاز السيدان نوري الفتيح ولطفي الحفار وقد تنازل الاول للثاني بنيابة الرئاسة وبعدها انتخب امينا السر ففاز السيدان توفيق الشيشكلي وناظم القدسي وبمناصب المراقبة السادة فخري البارودي ، جميل ابراهيم باشا ، جورج صحناوي وفي هذه الجلسة قدم رئيس الجمهورية السورية الاول استقالته فقبلت باجماع الآراء وبعدها انتخب رئيساً للجمهورية ففاز السيد هاشم الاتاسي ، وبعدها شكل الوزارة الدستورية الاولى برئاسة السيد جميل مردم بك وكل من السادة سعد الله الجابري شكري القوتلي عبد الرحمن الكيالي وكانت هذه الوزارة رباعية .

وفي الجلسة الخامسة وقعت المعاهدة السورية الافرنسية من جميع النواب .


الشيخ سعيد العرفي
السيد خليل ابراهيم باشا
السيد سعيد اسحق
السيد حسين حلمي
الامير مجحم بن مهيد



ملاحظة

فاتنا ان نذكر اسماء النواب الكرام ونظراً لضيق الكتاب نشرنا صورهم والسادة النواب الذين لم نتمكن من الوصول الى صورهم ولم يرسلوها هم السادة :
المراقب جميل ابراهيم باشا نائب جبل سمعان فارس الزعبي نائب ازرع طراد الملحم بادية الشام ابو الهدى الحسيبي قطنا و نواف الصالح عشائر حلب، شايش عبدالكريم عشائر حلب محمد العايش دير الزور قدور الحاج علي بك الرقه ، داوود اريحاني ، الاسكندرونه محمد الاطه‌لي انطاكيه مصطفى القصيري انطاكيه ، صادق معروف انطاكيه ، موسيس ديركالوشيان انطاكيه

نموذج مدرسة عمر بن الخطاب

جسر — جادة نوري باشا

ان هذه المدرسة هي خير مدرسه يعتمد عليها الاباء باخراج ابناء ذوي ثقافة والمدرسة ابتدائية ذات خمسة صفوف ابتدائية تؤهل الطلاب لدخول فحص الشهادة الابتدائية مديرها الشاب النشيط السيد ثابت نصري ولها اساتذة اكفاء كلهم من حملة البكالوريا .

